

الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية

تأليف شيخ الإسلام العلامة

محمد الشهيد بن أحمد بن محمد الحلي

ق: ٦٥٢ هـ

تحقيق

د. الرضا بن زيد النطوري الحسني

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

مطبعة دار مكتبة مركز بدر

العاصم والشعاف

صنعاء



مركز بحوث الحاسب في الرياض

الحدائق الوردية
في مناقب أئمة الزيدية

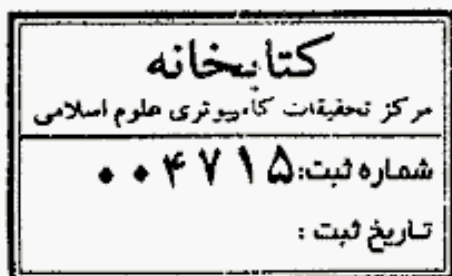


الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية

تأليف شيخ الإسلام العلامة

عبيد الشريد بن أحمد بن محمد الحلي

ق: ٦٥٢ هـ



مركز تحقيقات كتابي و تری علوم اسلامی

الجزء الأول

تحقيق

د. المرقي بن زيد المطوري الحسني

١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م

مطبعات مكتبة مركز بدر
العامي والثقافي
صنعاء

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م



توزيع

مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع

Republic of yemen - Sana'a • الجمهورية اليمنية - صنعاء
Tel: 269091 - تلفون: ٢٦٩٠٩١ -
Fax: 269079. P.O. Box: 3801 فاكس: ٢٦٩٠٧٩ - ص.ب: ٣٨٠١

E.-mail: almahatwary@hotmail.com

المقدمة وترجمة المؤلف

مر في هذه الدنيا رجال حفروا تأريخهم في العقول ، ونقشوه في القلوب
ورغم أن العظماء يتزاحمون في الذاكرة ويتنافسون على الصدارة إلا أن البعض
منهم ينساب إلى القلب ، ويتسرب إلى العقل كأنه النسيم يحمل ريح الجنة . ومن
هؤلاء العظام الشهيد حميد بن أحمد المَحَلِّي رحمه الله الذي كان بطلا وفيا في
زمن الغدر والجبن ، فقد أبى رحمه الله إلا أن يموت شهيدا تحت راية الإمام الزاهد
والعادل المجاهد الشهيد أحمد بن الحسين الملقب بأبي طير الذي خانته حتى شيخه
أحمد محمد الرصاص ، وغدر به ابن عمه الأمير أحمد بن عبدالله بن حمزة ؛ إذ
قتل الإمام واحتز رأسه وجيء به إلى خيمة أحمد بن المنصور والرصاص .

أي سواة وقع فيها هؤلاء تحجب عنهم الرحمة ، وتدخلهم النار ، إن وحشيا
قتل حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه وهو مشرك ، ولما أسلم وحشيُّ هذا لم
يقو إسلامه على إخراجه من لعنة التآريخ ومزيلة الغدر والخيانة كقاتل نبي الله
يحيى بن زكريا ، وقاتل علي بن أبي طالب وقاتل الحسين ، ومثل هؤلاء قاتل
أحمد بن الحسين ، ياللفجيعة ! إن المنحدر السحيق الذي وقع فيه قتلة الأولياء
يقابله مقام الشهداء الذي باعوا مهجهم فداء للحق وتضحية من أجل الفضيلة ،
ما أبعد ما بين الموقفين .

إن الشهيد حميد بن أحمد يشبه الصحابي الجليل والشيخ الوقور عمار بن
ياسر الذي قتل شهيدا تحت راية إمامه علي بن أبي طالب ، وقد روي أن رأس
الشهيد حميد كان يتكلم بالأذان وهو مقطوع ، فإذا صحت هذه الكرامة فإنما هو
يتأسى برأس النبي يحيى بن زكريا . إن الشهيد المحلي بوأه الله مع الشهادة كرامة
العلم فكان طودا شامخا وعلمًا بارزا .

وأكرمه الله بكرامة الولاء لأهل البيت الطاهر وهي مكرمة لم يكتسبها عن

بيع ولا شراء وإنما ورثها عن آباء كرام وسلف صالح : رضعها من ثدي أمه الطاهر . ومثله يصدق قول القائل :

لا عذب الله أمي أنها شربت حب الوصي وأسقتنيه في اللبن
وأن لي والدا يهوى أبا حسن وأنني مثله أهوى أبا حسن

ثم إنه تبوأ كرامة المصاحبة لأئمة العلم والجهاد من آل البيت عليهم السلام ونهل من علومهم وتشبع بأخلاق الوصي التي ورثها لهم فكأنه مع النبي ﷺ وآله ووصيه وسبطيه والزهراء (ع) وجها لوجه ينظر إلى خمسة الكساء من خلال المهدي أحمد بن الحسين سلام الله عليه فالشهيد المحلي خط طريقه عن قناعة ، إنها قناعة المؤمن التقي الحازم ، خط عمار وأبي ذر والأشتر وقيس بن سعد ، خط الرجال الأحرار الأوفياء الذين ماسال ولايسيل لعابهم لمتاع الدنيا ولهوها ولم يخدعوا بمكرها وسحرها ، إنهم أهل الله وخملة لواء المعروف والوفاء والشهامة والنبيل والزهد والفطنة والقناعة والتواضع والشجاعة ، وحري بهم أن ينشد فيهم :

إن لله عيبا إذا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا

إن هذا القديس الذي ألف (الحدائق الوردية في تاريخ الأئمة الزيدية) أراد أن يجاهد لنصرة آل النبي ﷺ وآله بسنانه ولسانه وبنانه وبيانه ، فكتبه الله شهيدا فأجرى ذكر الشهيد على الألسن فصار لا يعرف إلا بالشهيد حميد .

وقد أجرى الله القبول والإستحسان لهذا الكتاب النفيس والثروة الضخمة والمخزون الذي يحوي من تاريخ أئمة آل البيت ﷺ وأيامهم ووقائعهم وشعرهم ونثرهم وغزير علمهم وعجائب عدلهم وشدة تخرجهم عن متاع الدنيا وعزوفهم

عن ملذاتها وما كابدوا من مكائد ولا قوا من شدائد ما يجعله أنفس من كنوز سليمان ، وما حوته خزائن بني عثمان .

وقد آن الأوان لهذه الكنوز أن تثري المكتبة الإسلامية والإنسانية . وإنه لمن دواعي الأسف في عصر ثورة المعلومات أن تبقى خزائن السادة الزيدية من المخطوطات عرضة للسلب والنهب والضياع والإهمال . وإن تيسر طباعة شيء منها فلا يليق بها أن تطبع بغرض التجارة بل بغرض خدمة العلم والتراث وتقدير وحب وإجلال لتتاج علماء اليمن الكبار وإنصافهم وإخبار الدنيا أن في الزوايا خبايا وأن اليمن الحبيب بلد الإيمان والحكمة حقيقة لا مجاز .

عملنا في التحقيق :

أ : ١- حسب قواعد البحث الحديث فقد بحثنا عن نسخة المؤلف كأغلى أمنية نحققها فعثرنا على نسخة قديمة لعلها نسخة المؤلف أو قريب منها وهي بخط غير منقوط من مكتبة السيد الحجة محمد بن محمد المنصور وقال السيد العلامة محمد بن محمد المنصور في أولها : والخط في غالب ظني هو خط مؤلفها الشهيد رحمه الله تعالى بالمقابلة على خطه في منهاج الأنظار . وثبت ذلك أنه لم يذكر في آخرها الأم التي نسخت منها ولم يذكر تاريخ النسخ وهي الجزء الأول فقط ، وأولها مبتور وتبدأ من قوله : قالوا : اللهم لا نعلمه ، قال : فأشركم بالله وبحق نبيكم أيها النفر جميعا هل فيكم من أحد صلى القبلتين غيري .

٢- وجدنا نصف نسخة جميلة وصحيحة من مكتبة السيد العلامة ناصر الدرّة أعارنا إياها ولده السيد العلامة يحيى الدرّة حرسه الله وتفضل بإبقائها لدينا للمقابلة ونصفها في مكتبة الشهاري المتوكل لم نجد سبيلا إليها .

٣- نسخة صورناها من مكتبة الجامع الكبير .

٤- نسخة مصورة متداولة في السوق .

٥- نسخة مصورة من نسخة السيد العلامة مجدالدين المؤيدي أطال الله بقاءه
ب - ١ - تم صفها بالكمبيوتر ثم دخلنا في معركة التصحيح والمقابلة
والتحقيق وفك الغامض من بليغ كلام الأئمة وشعرهم وكم كانت دهشتنا ونحن
نفتش معاجم اللغة وغريبها أن هؤلاء الفصحاء كانوا على اطلاع تام وإمام شامل
بمفردات اللغة كالإمام ابن منظور والفيروز آبادي ومحمد مرتضى الزبيدي
والأزهري ناهيك عن فقههم فهم ورثة باب علم المصطفى .

٢- ضبط الآيات وتخرجها .

٣- تخريج الأحاديث التي تيسر لنا إخراجها ، ولم نجد ضرورة للتوسع في
تخريج أحاديث الفضائل نظرا لأن الكتاب تاريخي وليس كتاب حديث مع أنا لم
نهمل الإشارة الضرورية لأهم الأحاديث التي لها عندنا مراجع ، ومالم نجد له
مرجعا فقد تركناه على عهدة المؤلف ، وقد استوعبنا غرر أحاديث فضائل أهل
البيت في الروضة الندية شرح التحفة العلوية لإمام المحدثين السيد محمد بن
إسماعيل الأمير وهو مطبوع بتحقيقنا والحمد لله .

٤- محاولة موازنة ألفاظ الشعر عندما لا نجد مرجعا لها ولا تتفق النسخ ولا
يستقيم الوزن .

٥- تكميل بعض العبارات المقطوعة في بعض النسخ من النسخ الأخرى أو
مما نجده من مراجع نقل منها كأن ينقل المؤلف كلاما عن الإمام علي عليه السلام فنجده
في نهج البلاغة باختلاف يسير فنعمد النهج عند الضرورة لاستقامة اللفظ والمعنى
وعند اختلاف كل النسخ مع النهج .

٦- عندما نجد خطأ إملائيا أو سبق قلم في إحدى النسخ أو خطأ واضحا
فنصلحه دون إثقال الكتاب بالهوامش .

نسب المؤلف : حميد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الوهاب بن
عبدالرزاق بن إبراهيم بن أبي القاسم بن علي بن الحسن بن إبراهيم بن محمد بن
يزيد بن يعيش المحلي الوادعي الصنعاني الهمداني .

مشائخ المؤلف :

أخذ عن أئمة كبار ومشائخ بحار منهم :

١- الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة .

٢- محمد بن أحمد بن الوليد القرشي .

٣- أحمد بن الحسن الرصاص .

٤- الفقيه علي بن أحمد الأكوخ .

٥- الشيخ عمران بن الحسن الشتوي .

٦- الفقيه عمرو بن جميل النهدي .

٧- الشيخ تاج الدين زيد بن أحمد البيهقي . القادم إلى اليمن عام عشر

وستمائة .

٨- المرتضى بن شراهنك الحسيني المرعشي .

تلاميذه :

١- ولده أحمد حميد .

٢- يحيى بن القاسم الحمزي .

٣- يحيى بن عطية .

٤- عبدالله بن زيد العنسي .

مؤلفاته :

- خلف الشهيد حميد رحمه الله ثروة ضخمة من المؤلفات النفيسة منها :
- ١- عمدة المسترشدين في أصول الدين . ٣ أجزاء- مكتبة الجامع الكبير
٥٦٩ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ .
 - ٢- محاسن الأزهار في فضائل إمام الأبرار .
 - ٣- مناهج الأنظار العاصمة من الأخطار - مكتبة السيد العلامة محمد بن محمد المنصور .
 - ٤- الرسالة الكاشفة عن لوازم الإمامة لطالب الأمن في القيامة .
 - ٥- العقد الفريد .
 - ٦- الوسيط المفيد الجامع بين الإيضاح والعقد الفريد - مصور بمكتبة مركز بدر العلمي .
 - ٧- الرد على المجبرة .
 - ٨- الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار .
 - ٩- نصيحة الولاية الهادية إلى النجاة - تحت تحقيق الدكتور محمد المأخذي .
 - ١٠- الرد على المطرفية .
 - ١١- الثعبان النفاث بهلاك أهل المسائل الثلاث .

وفاته : استشهد رحمه الله في يوم الجمعة ١٢ رمضان ٦٥٢ هـ ، ومشهده بقرية الرحبة من مديرية السود بمحافظة عمران ، وتبعد عن صنعاء ٨٧ كم شمالا ، وقد كتبت على مشهده أبيات للإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين في رثاء الشهيد وهي :

وقفت بمشهد السهم الشهيد
فتى ساد الهدى وبنى المعالي
فَظْفَرُ بالشهادة يوم حانت
أما حذر الذي لاقى حميدا
لقى من قاتليه بغير جرم
وشابهاه ابن ملجم في مراد
وما نقم الخوارج من حميد
ونشر العلم في يمن وشام
وتعظيم الأئمة من علي
قام قناة مذهبهم وجلّى
وبعد القتل قد شهدت عداه
فبلى الله تربته بعفوه
وقد قمت بزيارة قرية الشهيد حميد التي فيها ضريحه ، وتحدثنا مع آل حميد
هناك وهم حوالي ٦٠٠ نسمة عن فضائله ومكانته ، وقالوا : إن ذرية الشهيد
تتوزع على كثير من الجهات في لواء حجة و خولان و بلاد الروس و بني حشيش
وريمة و رداع و شرس و صنعاء و تعز و بني مطر (بيت ردم) و صعدة و شبام
وغيرها .

المراجع :

١ - طبقات الزيدية الكبرى ١ / ٤٢١ .

٢ - أعلام المؤلفين الزيدية ٤٠٨ .

٣ - مآثر الأبرار (خ) .

٤ - مطلع البدور (خ) .

٥- لوامع الأنوار ٢/ ٤٥، ٤٦ .

٦- تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ٣/ ٣٠٥ .

وقد تم الفراغ من آخر تصحيح ومقابلة كتاب حميد الشهيد بعد شروق يوم الإثنين ٢٥ محرم ١٤٢٣ هـ الموافق ٨ / ٤ / ٢٠٠٢ م في مناسبة الشهيد الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام ، جزى الله المؤلف عن دينه وأهل بيت نبيه خير الجزاء .
وأشكر الجهود الشاقة التي قام بها الأولاد الكرام في قسم التحقيق من مقابلة وتصحيح وتخريج وطباعة في إنجاز هذا العمل العظيم ، وفي مقدمتهم / محمد حسين عيسى شرف الدين ، وعبدالرحمن عبدالله المحطوري ، وعبدالقادر المهدي ، وعباس حسين عيسى شرف الدين كتب الله أجر الجميع .

د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني

مركز تحقيق وتصحيح النصوص العربية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله الذي أفاضَ علينا أنوارَ الهدايةِ ، وزحزحنا بلطفه عن مدارج الغواية ، وحمانا بتأييده عن الانخداع بتمويهات أرباب الضلالة ، وألهمنا النظر في البراهين التي ينجو من اعتصم بها^(١) من الجهالة ، ووفقنا لإدراك حقيقة الحق والاستمسك بالقول الصادق ، وحدا قلوبنا إلى معرفته ، وجذبها إلى العلم بحكمته ، فأشرقت بأنوار المعارف الإلهية ، وتألأت بضياء العلوم الربانية^(٢) فأنوارها لاتخبو لحنادس الشبهات ، وجواهرها لا تلوث بورود المشكلات ، يقصر عن ضيائها شعاع الشمس الظاهر ، ويتضائل عنها نور القمر الباهر ؛ إذ ظهر لها ما لا يظهر للعيون ، وتجلّى لها من التوحيد سرّ المصون ، فأصبحت في رياض التوحيد قاطنة ، وفي حدائق العدل عاذنة غير ظاعنة ، متنعمة ببرد اليقين ، متحققة أن بارئها بالتقديس جديرٌ قَمِينٌ^(٣) ، إن طاف بهامن الشك والتخمين طائفٌ أذهبته بروق يقينها المتألثة الخواطف ، قد حرسها الله بنور هدايته ، وكلاها^(٤) بعين حياطته عن دياجير ظلم الضلال ، وغياهب سُدْفٍ^(٥) الإشكال ، فالحمد لله على ما أكرمنا به من عرفانه ، وحبانا به من إدراك التوحيد وإتقانه ، حمداً يكون كفاءً لهذه النعم العميمة ، وقياماً بشكر هذه المنز الجسيمة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مثيل ، ولا ضدّ ولا ندّ ولا عديل ، شهادة صادرة عن يقين صاف عن كدّر التشبيه ، وإخلاص غير مشوب بشبهات أهل الزيغ والتمويه ، قاضيةً بالزلفى يوم القيامة ، مسلّمةً من أهوال

(١) في (ب) : إنشاء الله .

(٢) في (أ) : الدينية .

(٣) القمين : الخليق الجدير . القاموس : (١٥٨١) .

(٤) في (ب) وتلاها .

(٥) المراد به الظلمة . القاموس : (١٠٥٩) .

الطامة، وأشهد أن محمداً عبده المختار، ونبيه المجتبي الداعي إلى دار القرار، المبعوث على حين فترة، وضلال أمة، فدعا الخلق بالطف دعا، وناداهم بأرفق نداء، حتى دخلوا في دين الله أفواجا، وبادروا إليه أفراداً وأزواجا، المخصوص بالحكم الغربية، والبلاغة العجيبة، وجوامع الكلم الغر، وبدائع الألفاظ الزهر، فاستشفى بها أهل الإسلام، واستنبطوا منها غرائب الأحكام، وارتووا من معينها الصافي، واستقوا من سلسالها الشافي، صلى الله عليه صلاة تقضي له بالوسيلة، وبلوغ عوالي الرتب الجليلة، وترقيته من الجنة ذرى غرفها، وتبلغه السامي من تحفها، وتكون مؤدية لحقه الواجب، وسبباً للخروج عن عهدة فرضه اللازب، وحاكمة باستحقاق شفاعته، والانخراط في سلك زمرة، والإرتواء من حوضه السلسل المعين، والتفيؤ في ظل لوائه يوم الدين، وعلى وصيه وأخيه ووليه، السابق لأهل الإسلام، المعصوم من مقارفة الآثام، مدمر سبع الكفار، المردي لعسرو يوم زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وقل المحامي والناصر، الفائز يوم أحد بمحاسن الثناء، المسموع من ناحية السماء، حيث نادى رسول المليك العلي: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي^(١). الذي أخاه الرسول من بين صحابته، وزوجه بإذن ربه بابنته، بعد أن زوجه فوق عرشه الملك الجليل، وأشهد على ذلك ميكال وجبريل، صفوة الصحابة الأخيار، مولى المهاجرين والأنصار، المنفرد دونهم بصدقة المناجاة، الذي قال فيه الرسول ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»^(٢) المحب من ثمار الجنان بأترجها والرمان، زاكي المناسب، أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) المحب الطبري في ذخائره ص ٧٤.

(٢) هذا الحديث متواتر وله طرق كثيرة رواه أحمد بن حنبل رقم ٢٥٠، ٩٦١ ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٣. وتذكر الحفاظ ١٠/ ١ وأحمد بن عيسى ٣١٠/ ٤، وفضائل الصحابة ٢/ ٧٤١، والنسائي في الخصائص رقم ٨٢-٨٥، وابن أبي شيبة ٦/ ٣٦٨ وكنز العمال رقم ٣١٦٦٢، والطبراني في الكبير ١٧٩/ ١ رقم ٣٠٤٩، والحاكم ٣/ ٣٧١، وغيرهم كثير.

طالب، وعلى عترته الزكية، وسلالته النبوية، أطواد الفخر وأعلامه، رعاة الإسلام وقُومأمه، سفينة النجاة، ذرية النبي الأواه، ورثة علم الله، حفظة وحي الله، صلاة تقضي لهم بالزلف العظام، والتحف الجسام، أما بعد:

فإن أولى من أسعف مراده من صفى في الدين اعتقاده، وخلص لأرباب الحق وداده، وقد بلغنا كتاب القاضي الأجل الأوحى الأعز الأسعد أدام الله إسعاده، وأحسن إرشاده، رافلاً في حلل الأدب، كاشفاً عن شريف أخلاقه والمذهب، ينم بفضل منشيه، ويشهد بكرم مبدئه، منطوياً على السؤال عن نكت شافية، وغرر كافية، من أخبار السابقين من ذرية النبي الأمين، والأنزع البطين سلام الله عليهم أجمعين، فرأينا الإجابة من فروض الدين، ولوازم المتقين؛ إذ كان الكلام في أحوالهم وحكاية أفعالهم من جملة القرب العظام إلى ذي الجلال والإكرام، ولقد طلب أدام الله إسعاده، وأنجح مقصده ومراده، وأحسن سداده، وأصلح معاده، أمراً عرض عنه الخلق بجمهورهم، ونبذوه وراء ظهورهم، غير أن لله عبداً يخصصهم بالتوفيق، ويلهمهم فوائد التحقيق، تناولهم دعاء الخليل إلى الملك الجليل، حيث يقول: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

فالحمد لله الذي أكرمنا وإياهم بالدخول في ضمن هذا الدعاء الشريف، الذي نرجوا به إن شاء الله تعالى الفوز في المعاد، والأمن يوم التناد، إذا دُعي كل إنسان بإمامه، وحسّر الحق عن لثامه، وبأء المبتلون بعبء الباطل وآثامه، فحينئذ ظهرت حسرتهم، وعظمت مصيبتهم، حيث تركوا اتباع الهداة السادة، الذين اختصوا بشرف الولادة، وحكم لهم على الأمة بالسيادة، وهنالک يجذل المؤمنون، ويحبر المتقون، الذين قفوا مناهج الذرية النبوية،

وسلكوا أدراج العترة الزكية ، وإلى مثل ذلك أرشد القرآن ، وأعرب عنه الفرقان ، وأوضح هذا المعنى وأبان ، فقال جل ذكره : ﴿ يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ ﴾ [الإسراء: ١٧] ، فَبَخِ بِخٍ لِمَنْ دُعِيَ يَوْمَ التَّنَادِ ، بذرية النبي الهاد ، فإنهم لا محالة تحت لواء أبيهم في ذلك المقام ، وهم السقاة على الحوض والقوأم ، وويل وثبور لمن دُعِيَ يوم القيامة بمن عداهم ^(١) من الأئمة المضلين ، والقادة المخلئين .

وقد توخينا الإيجاز فيما سأل أرشده الله عزوجل إلا فيما تدعوا إليه الضرورة مع أنه اقترح ما يقتضي الإسهاب ، ويستدعي الإطناب ، حيث طلب الوقوف على جوامع أخبارهم ، ومحاسن آثارهم ، ونكت من منظومهم ، ولُغ ^(٢) من منشورهم ، والله تعالى يرشدنا لموافقة محبوبه ، ويرزقنا الإتيان بمطلوبه ، فإن أعظم الأشياء قبولاً ما وافق الخاطر ، ولم يُعْرَجْ عن غرض الناظر ، ونحن نذكر ذلك حسبما ذكره من عني بهذا الشأن من أئمتنا عليهم السلام وغيرهم من نقلة السير ، ولولا اقتراحه أن نلّي ذلك بأنفسنا ، لكان الإتكال على ما وضعوه يكفي ، ولكل ذي قلب يشفي ، إلا أنه طلب منا أمراً فقمنا برضاه ، وانحططنا في هواه والله تعالى ينفع السائل والمستول ، ويمنّ علينا بالاعتصام بذرية الرسول ، لنسعد في المبدأ والمآل ، وننجوا من موبقات الضلال ، وقد سلكنا في ذلك طريقة المصنفين ، وذكرنا نكتاً ^(٣) مما ذكروه ، ونظمتنا لُمعاً مما نقلوه ، ونُقدّم أمام ذلك فصلاً يتضمن طرفاً من الأحاديث التي نقلناها بالإسناد الموثوق به إلى النبي ﷺ في فضل العترة عليهم السلام ؛ ليعلم الناظر أولاً أن أئمة الزيدية هم الصفوة من الأمة ، والخيرة من أهل الإسلام ، فيكون ذلك أقرب إلى رعاية حقهم والإعتراف بفضلهم ، وليتحقق المنصف أنهم أحق الأمة بالزعامة ، وأجدرهم بالإمامة .

(١) في (ب) : عاдам .

(٢) في (ج) : ولؤلؤ .

(٣) في (ب) : شينا .

فصل :

فمن ذلك ما روينا من أمالي السيد أبي طالب عليه السلام وقد أخبرنا به الشيخ العالم الورع الفاضل محيي الدين عمدة الموحدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الوليد القرشي رحمته الله ^(١) يرفعه إلى السيد الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسيني عليه السلام بإسناده إلى علي بن موسى الرضى عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال : رسول الله ﷺ « حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وقتلهم ، وعلى المعين عليهم ، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم » ^(٢) وبالإسناد الموثوق به إلى السيد أبي طالب عليه السلام يرفعه إلى حنش الكناني ^(٣) قال : سمعت أبا ذر يقول وهو أخذ بباب الكعبة : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني فأنا أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله ﷺ يقول : « مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك » ^(٤) .
وبإسناده إلى السيد أبي طالب يرفعه إلى ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس أوصيكم بعترتي أهل بيتي خيراً فإنهم لحمي وفصيلتي ،

(١) ولد سنة ٥٣٨ هـ حافظ مسند من كبار علماء الزيدية ، اشتغل بتحصيل كتب الأئمة ، وله سبعة وعشرون مصنفاً مفيدة ، توفي سنة ٦٢١ هـ من مؤلفاته مختصر تفسير الحاكم الجشمي ، مختصر جلاء الأبصار ، تحرير زوائد الإبانة ، وسيرة الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ، منهاج السلامة في مسائل الإمامة وغيرها . التحف ٢٣٦ ، ومطلع البدور ٩٩ / ٤ .

(٢) أمالي أبي طالب ص ١٢١ ، صحيفة علي بن موسى ص ٤٦٣ .

(٣) حنش بن المعتمر ، ويقال بن ربيعة أبو المعتمر الكوفي ، من أصحاب علي عليه السلام روى عن عليم الكندي ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي ذر الغفاري ، روى له أبو داود والترمذي والنسائي في خصائص علي وفي مسنده . تهذيب الكمال ٤٣٣ / ٧ ، أعيان الشيعة ٢٥٧ / ٦ .

(٤) أمالي أبي طالب ص ٣٦ . الهادي في الأحكام ٤٠ / ١ ، وعلي بن موسى الرضى ٤٦٤ ، والمرشد بالله ١٥٢ / ١ ، والمستدرک ٣٤٣ / ٢ ، ١٥٠ / ٣ ، على شرط مسلم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والطبراني في الأوسط ٥٣٩٠ / ٥ ، والكبير ٤٥ / ٣ رقم ٢٦٣٦ ، والبيزار ٣٣٤ / ٢ رقم ١٩٦٧ .

فاحفظوا منهم ما تحفظون مني»^(١). وروينا عنه عليه السلام يرفعه إلى شهر بن حوشب^(٢) عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ ثوباً فجلّله على علي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فجئت لأدخل معهم فقال: «مكانك إنك على خير»^(٣).

وروينا بالإسناد الموثوق به من غير أمالي السيد أبي طالب إلى أبي الحمراء^(٤) رحمه الله تعالى قال: شهدت النبي صلى الله عليه وآله أربعين صباحاً فيجيء إلى باب علي وفاطمة عليهما السلام فيأخذ بعضادتي الباب ويقول: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، الصلاة يرحمكم الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]»^(٥).

وبالإسناد إلى السيد أبي طالب يرفعه إلى جعفر بن محمد الصادق^(٦) عن

(١) أمالي أبي طالب ص ١٣٠. مركزية تقيتير علوم حسيني

(٢) الأشعري تابعي قرأ القرآن على عبدالله بن عباس وابن عمر وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وقد طعن فيه بعضهم، توفي سنة ١١١ هـ وقيل غير ذلك سير أعلام النبلاء ٣٧٢/٤، وتهذيب الكمال ٥٧٨ / ١٢.

(٣) الأمالي ١٣٠، ومسلم ٤ / ١٨٨٣، ومسند أحمد بن حنبل رقم ٢٦٥٧٠، ٢٦٦١٢، ٢٦٨٠٧، والترمذي ٥ / ٦٢١ رقم ٣٧٨٧، والمستدرک ١ / ١٤٦، وقال صحيح على شرط الشيخين، وسنن البيهقي ٢ / ١٥٢، وابن أبي شيبة ٦ / ٣٧٠، والعمدة ٧٥، والطبراني ٣ / ٥٢ من رقم ٢٦٦٢ - ٢٦٧٤، وتفسير الطبري ٢٢ / ١١، وتاريخ الخطيب ١٠ / ٢٧٨، وتفسير ابن كثير ٣ / ٤٨٤، وشواهد التنزيل ٢ / ٤٧.

(٤) مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قيل اسمه: هلال بن الحارث، وقيل: هلال بن ظفر، ينظر أسد الغابة ٦ / ٧٥، الاستيعاب ٣ / ١٩٨.

(٥) ذخائر العقبى ص ٢٤، تفسير الطبري ٢٢ / ١٢، وتفسير ابن كثير ٣ / ٤٨٣.

(٦) جعفر الصادق ولد سنة ٨٠ هـ وقيل ٨٣ هـ وفضله وعلمه وزهده وورعه أشهر من أن يذكر، سمي بالصادق لصدقه، قال مالك بن أنس: ما رأيت عيني أفضل من جعفر بن محمد فضلاً وعلماً وورعاً. توفي سنة ١٤٨ هـ. أعيان الشيعة ١ / ٦٥٩.

آبائه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ : « إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإيمان ولياً من أهل بيتي ، موكلاً به ، يذب عنه ، يعلن الحق ، وينوره ، ويرد كيد الكائدين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار ، وتوكلوا على الله »^(١) .

وبالإسناد إليه عليه السلام يرفعه إلى أبي هريرة قال : نظر النبي ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال : « أنا حرب لمن حاربهم ، وسلم لمن سالمهم »^(٢) وبالإسناد إليه يرفعه إلى محمد بن الحسين بن علي بن الحسين^(٣) عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال : زارنا رسول الله ﷺ ، فعملنا له خزيرة^(٤) وأهدت إلينا أم أيمن قعباً من لبن وزبداء وصحفة من تمر ، فأكل رسول الله ﷺ وأكلنا معه ، ثم توضأ رسول الله ﷺ فمسح رأسه ولحيته بيده ثم استقبل القبلة ، ودعا الله جل ذكره ما شاء ثم أكب إلى الأرض بدموع غزيرة مثل المطر ، ثم أكب إلى الأرض ففعل ذلك ثلاث مرات ، فهبنا أن نسأله ﷺ ، فوثب الحسين فأكب على رسول الله ﷺ وبكى ، فضمه إليه وقال له : « بأبي أنت وأمي وما يبكيك ؟ » ، فقال : يا أبت إنني رأيتك تصنع ما لم تصنع مثله ، فقال : « يا بني إنني سررت بكم اليوم سروراً لم أسركم قبله ، وإن حبيبي جبريل أتاني فأخبرني بأنكم قتلتي ، وأن مصارعكم شتى ، فحزنتني ذلك فدعوت الله لكم » فقال الحسين عليه السلام : يا رسول الله من يزورنا على تشنتنا وتباعد قبورنا؟ فقال : رسول الله ﷺ « طائفة من أمتي يريدون بذلك برِّي وصلتي ، إذا كان

(١) الأمازي ١١٩ .

(٢) أمالي أبي طالب ١١٠ ، الترمذي ٥ / ٦٥٦ رقم ٣٨٧٠ ، ابن ماجة رقم ١٤٥ ، الطبراني ٣ / ٤٠ رقم ٢٦١٩ ، ٢٦٢١ ، والمستدرک ٣ / ١٤٩ ، والبداية والنهاية ٨ / ٢٢٣ ، كنز العمال ١٢ / ٣٤١٥٩ ، ٣٤١٦٤ ، ومجمع الزوائد ٩ / ١٦٩ .

(٣) ولد سنة ١١٤ هـ مدني نزل الكوفة ، روى عن أبيه عن جده وتوفي سنة ١٨١ هـ . معجم الرجال لأبي القاسم الخوئي ١٧ / ١٨ .

(٤) شبه عصيدة مع اللحم . القاموس ص ٤٩١ .

يوم القيامة زرتهم بالموقف فأخذت بأعضادهم فأنجيهم من أهوالها وشدائدھا»^(١) .
وبالإسناد إليه يرفعه إلى جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال :
قال رسول الله ﷺ : «الإسلام لباسُ الحياء ، وزينته الوفاء ، ومرؤته
العمل الصالح ، وعماده الورع ، ولكل شيء أساس ، وأساس الإسلام حبنا أهل
البيت»^(٢) .

وبالإسناد إليه يرفعه إلى علي بن موسى الرضى عن آبائه عن علي بن
أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : «ثلاثة أنا شفيع لهم يوم القيامة :
الضارب بسيفه أمام ذريتي ، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطروا إليه ، والمحب
لهم بقلبه ولسانه»^(٣) ومن كتاب المناقب لابن المغازلي وقد أخبرنا الفقيه الأجل
العالم الزاهد بهاء الدين أبو الحسن علي بن أحمد الأكوح رحمته الله^(٤) يرفعه بإسناده
إلى المصنف وهو القاضي العدل الخطيب أبو الحسن علي بن محمد بن محمد
الجلاّبي المعروف بابن المغازلي الشافعي رحمته الله^(٥) روى بإسناده عن ابن امرأة زيد
ابن أرقم قال : أقبل نبي الله ﷺ من مكة في حجة الوداع حتى نزل بغدير
الجحفة بين مكة والمدينة فأمر بالدوحات فقم ما تحتهن من شوك ، ثم نادى :
الصلاة جامعة ، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحر ، وإننا لمن
يضع رداءه على رأسه وبعضه على قدمه من شدة الرمضاء ، حتى انتهينا

(١) أمالي أبي طالب ص ١١٢ ، فضل الزيارة ص ٣١ .

(٢) الأمالي ص ٣٧٨ .

(٣) أمالي أبي طالب ص ٤٤٣ .

(٤) فقيه عابد وعالم فاضل ، ناصر الإمام عبد الله بن حمزة ، جمع الإختيارات المنصورية . ينظر
مطلع البدور ج ٢ ص ٨٢ «خ» .

(٥) فاضل ، عالم برجالات واسط وحديثهم ، وكان حريصا على سماع الحديث
وطلبه . ت : ٤٨٠ هـ وله كتاب مناقب الشافعي ، والأربعين في فضائل قریش ، والقضاء والشهادات
على مذهب الشافعي ، وشرح الجامع الصحيح للبخاري ، وكتاب مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي
طالب عليه السلام . ينظر ترجمته في مقدمة المناقب ص ٩ ، والأنساب ١٣٧/٢ .

إلى رسول الله ﷺ ففصلى بنا الظهر ثم انصرف إلينا، فقال: الحمد لله نحمده ونستعينه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن ضل، ولا مضل لمن هدى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد: أيها الناس فإنه لم يكن لنبي من عُمُرِه إلا نصف من عمر من قبله، وإن عيسى بن مريم لبث في قومه أربعين سنة، وإني قد أشرعت في العشرين، ألا وإني أوشك أن أفارقكم، ألا وإني مسؤول وأنتم مسؤولون فهل بلغتكم؟ فماذا أنتم قائلون؟ فقام من كل ناحية من القوم مجيب يقولون: نشهد أنك عبد الله ورسوله قد بلغت رسالته، وجاهدت في سبيله، وصدعت بأمره، وعبدته حتى أتاك اليقين، فجزاك الله عنا خيراً ما جرى نبياً عن أمته. فقال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق، وتؤمنون بالكتاب كله؟ قالوا: بلى، قال: فإني أشهد أن قد صدقتكم وصدقتموني. ألا وإني فرطكم على الحوض وأنتم تبغي، توشكون أن تردوا علي الحوض فأسألکم حين تلقونني عن ثقلی كيف خلفتموني فيهما؟ قال: فأعيل علينا ما ندري ما الثقلان؟! حتى قام رجل من المهاجرين فقال: بأبي وأمي أنت يا نبي الله ما الثقلان؟ قال: الأكبر منهما كتاب الله، سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسكوا به ولا تولوا ولا تضلوا، والأصغر منهما عترتي: من استقبل قبلي واستجاب دعوتي فلا تقتلوهم، ولا تقهروهم، ولا تقصروا عنهم، فإني قد سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني: ناصرهما لي ناصر، وخاذلهما لي خاذل، ووليهما لي ولي، وعدوهما لي عدو، ألا فإنها لم تهلك أمة قبلكم حتى تتدين بأهوائها، وتظاهر على نبوتها^(١)، وتقتل من قام بالقسط، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب ﷺ فرفعها وقال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، من كنت وليه فهذا

(١) في (ب) بيوتها.

وليه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» قالها ثلاثاً^(١).

وروى ابن المغازلي في كتابه بإسناده إلى علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «من أسبغ وضوءه، وأحسن صلاته، وأدى زكاة ماله، وكف غضبه، وسجن لسانه، وبذل معروفه، واستغفر لذنبه، وأدى النصيحة لأهل بيتي، فقد استكمل حقائق الإيمان، وأبواب الجنة له مفتحة»^(٢).

وروى بإسناده أيضاً عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «فضل أهل بيتي على الناس كفضل البنفسج على سائر الأدهان»^(٣).

وروى بإسناده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «اشتد غضب الله تعالى وغضبي على من أهرق دمي وأذاني في عترتي»^(٤).

وروى بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن جسده فيما أبلاه؟ وعن ماله فيما أنفقه؟ ومن أين اكتسبه؟ وعن حينا أهل البيت؟»^(٥).

وروى بإسناده عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، ومن قاتلنا في آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال»^(٦).

وروى بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»^(٧).

(١) المناقب ص ٦٧.

(٢) المناقب ص ٩٠.

(٣) المناقب ص ٩٠.

(٤) المناقب ص ٩١، ولسان الميزان ٥ / ٣٦٢، ورواه أحمد رقم (٢٥٣) باب فضائل علي.

(٥) أمالي أبي طالب ٧٣، المناقب ص ١٤١، وأخرجه الطبراني في الكبير ١١ / ١٠٢ رقم ١١٠٧٧، ومجمع الزوائد ١٠ / ٣٤٦، ولسان الميزان ٢ / ١٥٩.

(٦) المناقب ١٤٩، ١٥٠، والطبراني في الكبير ١ / ٤٥ رقم ٢٦٣٦، وميزان الاعتدال ١ / ٢٢٤.

(٧) المناقب ص ١٥١، المستدرک ٣ / ١٥٠ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وتاريخ بغداد ٤ / ١٦٠، والترمذي ٥ / ٦٢٢ رقم ٣٧٨٩، وحليه الأولياء ٣ / ٣٤٤.

وروى بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال : صعد رسول الله ﷺ المنبر فقال : «والذي نفس محمد بيده لا يبغيض أهل البيت أحدٌ إلا أكبه الله في النار»^(١).

وروى بإسناده عن كثير بن زيد^(٢) قال : دخل الأعمش^(٣) على المنصور وهو جالس للمظالم ، فلما بصر به قال : يا سليمان تصدّر ، فقال : أنا صدّر حيث جلست ، ثم قال : حدثني الصادق ، قال : حدثني الباقر قال : حدثني السجّاد قال : حدثني الشهيد قال : حدثني التقي - وهو الوصي أمير المؤمنين - علي بن أبي طالب عليه السلام قال : حدثني النبي ﷺ ، قال : «أتاني جبريل آنفاً فقال : تختّموا بالعقيق ، فإنه أول حجر شهد لله بالوحدانية ، ولي بالنبوة ، ولعلي بالوصية ، ولولده بالإمامة ، ولشييعته بالجنة» قال : فاستدار الناس بوجوههم نحوه فقيل له : تذكروا قوماً فتعلم ما لا تعلم ، فقال : الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، والباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، والسجّاد علي بن الحسين ، والشهيد الحسين بن علي ، والوصي وهو التقي علي بن أبي طالب عليهم السلام^(٤).

وروى بإسناده عن السدي^(٥) في قوله عز وجل : ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْهُ ﴾

(١) المناقب ١٥١ ، والمستدرک ٣ / ١٥٠ ، وكنز العمال ١٢ / ١٠٤ رقم ٣٤٢٠٤ ، ومجمع الزوائد ٢٩٦ / ٧ .

(٢) لأسلمي السهمي وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه آخرون ، روى له البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه ، توفي آخر أيام أبي جعفر المنصور وكانت وفاة أبي جعفر ١٥٨ هـ . ينظر تهذيب الكمال ٢٤ / ١١٣ .

(٣) سليمان بن مهران الأسدي أبو محمد ولد سنة ٦١ هـ مقرئ محدث حافظ ناسك عابد ، توفي ١٤٧ هـ . ينظر سير أعلام النبلاء ٦ / ٢٢٦ .

(٤) المناقب ص ٢٤٢ .

(٥) هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة ، محدث ومفسر توفي ١٢٧ هـ . ينظر سير أعلام النبلاء ٤ / ٢٥٦ .

لَهُ فِيهَا حُسْنًا ﴿ [الشورى: ٢٣] قال: المودّة في آل الرسول ﷺ .^(١) وفي قوله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥] قال: رضى محمد ﷺ . أن يدخل أهل بيته الجنة .

وروى بإسناده عن علي بن جعفر قال : سألت الحسن عن قول الله عزوجل : ﴿ كَمْ شِكَاءَ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ قال : (المشكاة) فاطمة ، (والمصباح) الحسن ، والحسين : ﴿ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ ﴾ قال : كانت فاطمة عليها السلام ككوكب دري من بين نساء العالمين : ﴿ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ﴾ فالشجرة المباركة إبراهيم : ﴿ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ﴾ : لا يهودية ولا نصرانية ، ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ﴾ قال : يكاد العلم أن ينطق منها ، ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ﴾ قال : فيها إمام بعد إمام : ﴿ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة: ٢٥] قال : يهدي الله عزوجل لولايتنا من يشاء^(٢) .

وروى بأسانيده إلى الأعمش قال : بعث إلي أبو جعفر المنصور^(٣) فقلت للرسول : لما يريدني أمير المؤمنين ؟ فقال : لا أعلم ، فقلت : أبلغه أنني آتية ، ثم تفكرت في نفسي ، فقلت : ما دعاني في هذا الوقت لخير ، ولكن عسى أن يسألني عن فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فإن أخبرته قتلني ، قال : فتطهرت ولبست أكفاني وتحنطت ثم كتبت وصيتي ثم صرت إليه فوجدت عنده

(١) المناقب ٢٦٣ ، ومجمع البيان ٩ / ٤٩ ، وتفسير القرطبي مج ٨ / ١٦ / ١٧ ، وشواهد التنزيل ١٤٧ / ٢ . ومسند أحمد ١ / ٤٢٥ رقم ١٧١٩ ، ومجمع الزوائد ٩ / ١٢٥ ، والطبراني في الكبير ٣ / ٧٩ .

(٢) المناقب ص ٢٦٣ .

(٣) عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الدوانيقي ولد سنة ٩٥ هـ . تولى الخلافة سنة ١٣٦ هـ . وكان من المسرفين في قتل أهل البيت ، وقتل من قرش ومضر واليمن والعجم والفقهاء والشعراء الكثير . توفي سنة ١٥٨ هـ . ينظر المسعودي ٣ / ٢٩٣ ، والأعلام ٤ / ١١٧ .

عَمْرُو بن عبيد^(١)، فحمدت الله تعالى على ذلك، وقلت : وجدت عنده عون صدق من أهل البصرة، فقال لي : ادن يا سليمان، فدنوت فلما قربت منه أقبلت على عمرو بن عبيد أسأله وفاح مني ريح الخنوط، فقال : يا سليمان ما هذه الرائحة؟ والله لتصدقني وإلا قتلتك!

فقلت يا أمير المؤمنين : أتاني رسولك في جوف الليل، فقلت في نفسي ما بعث إلي أمير المؤمنين في هذه الساعة إلا ليسألتني عن فضائل علي فإن أخبرته قتلتني، فكتبت وصيتي ولبست كفني وتحنطت، فاستوى جالساً وهو يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال : أتدري يا سليمان ما اسمي؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين، قال : ما اسمي؟ قلت : عبدالله الطويل بن محمد بن علي بن عبدالله ابن عباس بن عبد المطلب قال : صدقت، فأخبرني بالله وبقرايتي من رسول الله ﷺ كم رويت في علي من فضيلة من جميع الفقهاء وكم تكون؟ قلت : يسيراً يا أمير المؤمنين . قال علي ذلك . قلت : عشرة آلاف حديث وما زاد، قال : فقال : يا سليمان لأحدثك في فضائل علي ﷺ حديثين يأكلان كل حديث رويته عن جميع الفقهاء ، فإن حلفت لي أن لا ترويها لأحد من الشيعة حدثك بهما . فقلت : لا أحلف ولا أخبر بهما أحداً منهم . فقال : كنت هارياً من بني مروان، وكنت أدور البلدان أتقرب إلى الناس بحب علي ﷺ وفضائله، وكانوا يؤونني^(٢)، ويطعمونني، ويزوروني، ويكرموني، ويحملوني، حتى وردت بلاد الشام، وأهل الشام كلما أصبحوا لعنوا علياً ﷺ في مساجدهم؛ لأن كلهم خوارج وأصحاب معاوية، فدخلت مسجداً وفي نفسي منهم ما فيها، فأقيمت الصلاة فصليت الظهر وعلي كساء خلق، فلما سلم الإمام اتكأ على الخائط،

(١) شيخ المعتزلة في وقته ومفتيها وله خطب ورسائل وكلام كثير في العدل والتوحيد وغير ذلك،

توفي ١٤٤ هـ . ينظر المسعودي ٣/٣٠٣ .

(٢) في النسخ : يأوون إلي .

وأهل المسجد حضور، فجلست فلم أر أحداً منهم يتكلم توقيراً لإمامهم فإذا بصبيين قد دخلا المسجد فلما نظر إليهما الإمام قال: ادخلا مرحباً بكما، ومرحباً بمن سميتكما بأسمائهما، والله ما سميتكما بأسمائهما إلا بحب محمد وآل محمد، فإذا أحدهما يقال: له الحسن، والآخر الحسين.

فقلت: فيما بيني وبين نفسي قد أصبت اليوم حاجتي ولا قوة إلا بالله، وكان شاباً إلى جنبي فسألته من هذا الشيخ؟ ومن هذان الغلامان؟ فقال: الشيخ جدهما وليس في هذه المدينة أحد يحب علياً عليه السلام غير هذا الشيخ، ولذلك سماهما الحسن والحسين فقامت فرحاً، وإني يومئذ لصارم لا أخاف الرجال، فدنوت من الشيخ فقلت: هل لك في حديث أقرُّ به عينك؟ قال: ما أحوجني إلى ذلك وإن أقررت عيني أقررت عينك.

فقلت: حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: من والدك؟ ومن جدك؟ فلما عرفت أنه يريد أسماء الرجال، قلت محمد بن علي ابن عبد الله بن العباس قال: إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا فاطمة عليها السلام قد أقبلت تبكي، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت يا أبتاه: إن الحسن والحسين قد غبرا، وقد ذهب منذ اليوم ولا أدري أين هما، وإن علياً يمشي على الدالية منذ خمسة أيام يسقي البستان، وإني قد طلبتهما في منازلكما فما أحسست لهما أثراً، وإذا أبو بكر عن يمينه فقال يا أبا بكر: قم فاطلب قرة عيني، ثم قال: قم يا عمر فاطلبهما، يا سلمان، يا أبا ذر، يا فلان، يا فلان، قال: فأحصينا على رسول الله صلى الله عليه وآله سبعين رجلاً بعثهم في طلبهما وحثهم، فرجعوا ولم يصيبوهما فاغتم النبي صلى الله عليه وآله لذلك غمماً شديداً، ووقف على باب المسجد وهو يقول: بحق إبراهيم خليلك، وبحق آدم صفيك إن كانا قرتي عيني وثمره فؤادي أخذاً برأ أو بحرأ فاحفظهما وسلمهما، فإذا جبريل عليه السلام قد هبط فقال: يا رسول الله، إن الله يقرئك السلام ويقول لك:

لا تحزن ولا تغتم، الصبيان فاضلان في الدنيا فاضلان في الآخرة، وهما في الجنة وقد وكلت بهما ملكاً يحفظهما إذا ناما وإذا قاما، ففرح رسول الله ﷺ فرحاً شديداً، ومضى جبريل عن يمينه والمسلمون حوله حتى دخل حظيرة بني النجار، فسلم على ذلك الملك الموكل بهما، ثم جثى النبي ﷺ على ركبتيه وإن الحسن معانق للحسين وهما نائمان وذلك الملك قد جعل أحد جناحيه تحتها والآخر فوقهما، وعلى كل واحد منها دراعة من شعر أوصوف، والمداد على شفتيهما فما زال النبي ﷺ يلثمهما حتى استيقظا، فحمل النبي ﷺ الحسن، وحمل جبريل الحسين، وخرج النبي ﷺ من الحظيرة .

قال ابن عباس : وجدنا الحسن عن يمين النبي ﷺ والحسين عن يساره وهو يقبلهما ويقول : « من أحبكما فقد أحب رسول الله ، ومن أبغضكما فقد أبغض رسول الله ﷺ » فقال أبو بكر : يا رسول الله أعطني أحدهما أحمله ، فقال له رسول الله ﷺ : نعم المحمولة ونعم المطية تحتها ، فلما أن صارا إلى باب الحظيرة لقيه عمر ، فقال له مثل مقالة أبي بكر ، فرد عليه رسول الله ﷺ كما رد على أبي بكر فرأينا الحسن متشبهاً بثوب رسول الله ﷺ متكئاً على رسول الله فدخل النبي ﷺ المسجد فقال : « لأشرفن ابني اليوم كما شرفهما الله » ، فقال : يا بلال علي بالناس ، فنادى بهم فاجتمع الناس فقال النبي ﷺ : « معشر أصحابي بلغوا عن نبيكم ﷺ سمعنا رسول الله ﷺ يقول : ألا أدلكم اليوم على خير الناس جداً وجدة ؟ قالوا : بلى يا رسول الله قال : عليكم بالحسن والحسين ، فإن جدَّهُما محمدُ رسولُ الله ، وجدَّتُهُما خديجة بنت خويلد سيدة نساء أهل الجنة . هل أدلكم على خير الناس أباً وأماً ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : عليكم بالحسن والحسين فإن أباهما علي بن أبي طالب وهو خيرُ منهما شابٌ يُحبُّ الله ورسولَهُ ، ويُحِبُّهُ اللهُ ورسولُهُ ، ذو المنفعة والمنقبة في الإسلام ، وأمَّهُما فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهي سيدة نساء أهل الجنة .

معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس عمًّا وعمَّة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: عليكم بالحسن والحسين فإن عمهما جعفر ذو الجناحين يطير بهما في الجنان مع الملائكة، وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب. معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: عليكم بالحسن والحسين فإن خالهما القاسم، وخالتهما زينب بنت رسول الله ﷺ. ألا يا معشر الناس أعلمكم أن جدَّهما في الجنة وجدَّتهما في الجنة، وأبوهما في الجنة وأمهما في الجنة، وعمَّهما في الجنة وعمَّتهما في الجنة، وخالهما في الجنة وخالتهما في الجنة، وهما في الجنة. ومن أحب ابني عليّ فهو غداً معنا في الجنة، ومن أبغضهما فهو في النار، وإن من كرامتهما على الله أن سماهما في التوراة شبراً وشبيراً.

فلما سمع الشيخ الإمام هذا قدَّمني وقال: هذه حالك وأنت تروي في عليّ ﷺ هذا! فكساني حلة وحملني على بغلة بعثها بمائة دينار، ثم قال لي: أدلك على من يفعل بك خيراً، هاهنا إخوان لي في هذه المدينة أحدهما كان إمام قوم، وكان إذا أصبح لعن علياً ألف مرة كل غداة، وإنه لعنه يوم الجمعة أربعة آلاف مرة فغير الله ما به من نعمة فصار آية للسائلين، فهو اليوم يُحِبُّه، وأخ لي يُحِبُّ علياً ﷺ منذ خرج من بطن أمه، فقم إليه ولا تحتبس عنده، والله يا سليمان لقد ركبتُ البغلة وإنني يومئذ لجائع، فقام معي الشيخ وأهل المسجد حتى صرنا إلى الدار، وقال الشيخ: انظر لا تحتبس، فدققتُ الباب وقد ذهب من كان معي، فإذا شاب آدم قد خرج إليّ، فلما رأني والبغلة، قال: مرحباً بك والله ما كساك أبو فلان خلعتة ولا حملك على بغلته إلا أنك تحب الله ورسوله، إن أقررت عيني لأقرن عينك.

والله يا سليمان إنني لأنفسُ بهذا الحديث الذي سمعته وتسمعه، أخبرني أبي عن جدي عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ جلوساً بباب داره، فإذا فاطمة

قد أقبلت وهي حاملة للحسين وهي تبكي بكاءً شديداً ، فاستقبلها رسول الله ﷺ فتناول الحسين منها ، وقال لها : ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت : يا أبت عبرتني نساء قريش ، وقلن زوّجك أبوك مُعدماً لا شيء له .

فقال النبي ﷺ مهلاً يا فاطمة وإيائي أن أسمع هذا منك ، فإني لم أزوجك حتى زوجك الله من فوق عرشه ، وشهد على ذلك جبريل وإسرافيل ، وإن الله تعالى أطلع على أهل الدنيا ، فاختر من الخلائق أباك فبعثه نبياً ، ثم أطلع الثانية ، فاختر من الخلائق علياً ، فأوحى إليّ فزوجتُك إياه ، واتخذته وصياً ووزيراً ، فعليّ أشجع الناس قلباً ، وأعلم الناس علماً ، وأحلم الناس حلمًا^(١) ، وأقدم الناس إسلاماً ، وأسمحهم كفاً ، وأحسن الناس خلقاً ، يا فاطمة ، إنني آخذ لوآء الحمد ومفاتيح الجنة بيدي فأدفعها إلى علي فيكون آدم ومن وكّد تحت لوآئه ، يا فاطمة إنني غداً أقيم علياً على جوضي يسقي من عرفٍ من أمّتي ، يا فاطمة ، وابنك الحسن والحسين سيّد شباب أهل الجنة . وكان قد سبق اسمهما في توراة موسى ، وكان اسمهما في الجنة شبراً وشبيراً ، فسامهما الحسن والحسين لكرامة محمد ﷺ ، على الله تعالى ولكرامتهما عليه ، يا فاطمة ، يكسى أبوك حلّتين من حلل الجنة ، ويكسى عليّ حلّتين من حلل الجنة ، ولوآء الحمد في يدي ، وأمّتي تحت لوآئي ، فأناؤه علياً لكرامته على الله تعالى ، وينادي مناد : يا محمد نعم الجدُّ جدُّك إبراهيم ، ونعم الأخ أخوك علي ، وإذا دعاني ربُّ العالمين دعا علياً معي ، وإذا جثوتُ جثى عليّ معي وإذا حييتُ حيي عليّ معي ، وإذا شفّعني شفّع علياً معي ، وإذا أُجبتُ أُجيب عليّ معي ، وإنه في المقام عوني على مفاتيح الجنة ، فؤمي يا فاطمة فإن علياً وشيعته هم الفائزون غداً .

وقال : بينما فاطمة عليها السلام جالسة إذ أقبل رسول الله ﷺ حتى جلس إليها ، فقال يا فاطمة : مالي أراك باكية حزينة؟ قالت : بأبي وأمّي كيف

(١) في (ب) وأحكم الناس حكماً .

لا أبكي ، وتريد أن تفارقني ؟ فقال لها : يا فاطمة لا تبكي ولا تحزني فلا بد من مفارقتك قال : فاشتد بكاء فاطمة عليها السلام ، ثم قالت : يا أبت أين ألقاك ؟ قال : تلقيني على تل الحمد أشفع لأمتي ، قالت يا أبت : فإن لم ألقك ؟ قال : تلقيني على الصراط وجبريل عن يميني وميكائيل عن يساري ، وإسرافيل آخذ بحجزتي ، والملائكة من خلفي ، وأنا أنادي يارب أمتي أمتي هون عليهم الحساب ، ثم أنظرُ يمينا وشمالاً إلى أمتي ، وكلُّ نبي يومئذ مشغول بنفسه يقول : يارب نفسي ، وأنا أقول : يارب أمتي أمتي ، وأول من يلحق بي يوم القيامة أنت وعليُّ والحسنُ والحسينُ ، فيقول الربُّ يا محمد : إن أمتك لو أتوني بذنوب كأمثال الجبال لعفوت عنهم ما لم يشركوا بي شيئاً ، ولم يوالوا لي عدواً .

قال : فلما سمع الشاب هذا مني أمر لي بعشرة آلاف درهم ، وكساني ثلاثين ثوباً ، ثم قال لي : من أين أنت ؟ قلتُ : من أهل الكوفة . قال : عربي أنت أم مولى ؟ قلتُ : بل عربي . قال : فكما أقررتُ عيني أقررتُ عينك ، ثم قال : إيتني غداً في مسجد أبي فلان ، وإياك أن تخطي الطريق ، فذهبت إلى الشيخ ، وهو جالس ينتظرني في المسجد فلما رأيته استقبلني ، وقال : ما فعل أبو فلان ؟ قلت : كذا وكذا . قال : جزاه الله خيراً جمع الله بيننا وبينهم في الجنة ، فلما أصبحتُ يا سليمان ركبتُ البغلة ، وأخذتُ في الطريق الذي وصف لي ، فلما صرت غير بعيد تشابه عليَّ الطريق ، وسمعتُ إقامة الصلاة في مسجد ، فقلت : والله لأصلين مع هؤلاء القوم ، فنزلت عن البغلة ودخلت المسجد ، فوجدت رجلاً قامته مثل قامة صاحبي فصرت عن يمينه ، فلما صرنا في ركوع وسجود إذا عمامته قد رمى بها من خلفه ، فتفرستُ في وجهه ، فإذا وجهه وجه خنزير ورأسه وحلقه ويداه ورجلاه ، فلم أعلم ما صليت وما قلت في صلاتي متفكراً في أمره ، وسلم الإمام وتفرس في جهي ، وقال : أنت أتيت أخي بالأمس فأمر لك بكذا وكذا ، قلت : نعم ، فأخذ بيدي ، فأقامني ، فلما رأنا أهل المسجد تبعونا ، فقال للغلام :

أغلق الباب، ولا تدع أحداً يدخل علينا، ثم ضرب بيده إلى قميصه فنزعه؛ فإذا جسده جسد خنزير، فقلت يا أخي: ما هذا الذي أرى بك؟! قال: كنت مؤذن القوم، وكنت إذا أصبحتُ ألعن علياً عليه السلام ألف مرة بين الأذان والإقامة، قال: فخرجت من المسجد ودخلت داري هذا، وهو يوم الجمعة؛ وقد لعنته أربعة آلاف مرة، ولعنت أولاده، فاتكأتُ على الدكان فذهب بي النوم، فرأيت في منامي كأنما أنا بالجنة قد أقبلت، فإذا علي عليه السلام فيها متكئ، والحسن والحسين عليهما السلام معه متكئان، بعضهم ببعض مسرورين، تحتهم مُصلَّيات من نور، وإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جالس والحسن والحسين قدامه وييد الحسن كأس، فقال صلى الله عليه وآله وسلم للحسن: اسقني، فشرِب، ثم قال للحسن: إسق أباك علياً فشرِب، ثم قال للحسن: إسق الجماعة، فشرِبوا، ثم قال: اسق المتكئَ على الدكان، فولى الحسن بوجهه عني، وقال يا أبت: كيف أسقيه وهو يلعن أبي في كل يوم ألف مرة، وقد لعنه اليوم أربعة آلاف مرة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: مالك - لعنك الله - تلعن علياً، وتشتم أخي لعنك الله، وتشتم أولادي الحسن والحسين، ثم بصق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فملاً وجهي وجسدي، فانتبهت من منامي فوجدت موضع البصاق الذي أصابني من بصاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد مسخ كما ترى وصرت آية للسائلين .

ثم قال يا سليمان: سمعت في فضائل علي عليه السلام أعجب من هذين الحديثين، يا سليمان « حب علي إيمان، وبغضه نفاق، لا يحب علياً إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا كافر »، قلت: يا أمير المؤمنين، لي الأمان؟ قال: لك الأمان. قال: قلت فما تقول يا أمير المؤمنين في من قتل هؤلاء؟ قال: في النار. لا أشك، فقلت: فما تقول فيمن قتل أودلاهم وأولاد أولادهم، قال: فنكس رأسه ثم قال: يا سليمان، الملكُ عقيم، ولكن حدث في فضائل علي عليه السلام بما شئت، قال: قلت فمن قتل ولده فهو في النار؟ قال عمرو بن عبيد: صدقت يا سليمان، الويل لمن قتل ولده، فقال المنصور: يا عمرو، أشهدُ عليه أنه في النار؟ فقال

عمرو : أخبرني الشيخ الصادق - يعني الحسن - عن أنس : « أن من قتل أولاد علي عليه السلام لا يشم رائحة الجنة » قال : فوجدت أبا جعفر وقد حمص وجهه ، قال : فخرجنا ، فقال أبو جعفر : لولا مكان عمرو ما خرج سليمان إلا مقتولاً^(١) .

قال علي بن محمد بن الشرفية : حضر عندي في دكاني بالوراقين بواسط يوم الجمعة خامس ذي القعدة من سنة ثمانين وخمسمائة ، القاضي العدل جمال الدين نعمة الله بن علي بن أحمد بن العطار ، وحضر أيضاً عندي الأمير شرف الدين أبو شجاع بن العنبري الشاعر ، فسأل شرف الدين القاضي جمال الدين أن يسمعنا المناقب ، فابتدأ بالقراءة عليه من نسختي التي بخطي في دكاني يومئذ ، وهو يرويها عن جده لأمه الإمام العدل المعمر أبي عبدالله (محمد) بن علي بن المغازلي^(٢) عن أبيه المصنف ؛ فهما في القراءة وقد اجتمع عليهما جماعة إذ اجتاز أبو نصر بن قاضي العراق وأبو العباس بن زُبَيْه وهما ينبران بالعدالة ، فوقفا يغوغيان وينكران عليه قراءة المناقب ، وأظن بن قاضي العراق في التهزي والمجون ، وقال - في جملة مقالاته على طريق الاستهزاء : أي قاضي اجعل لنا وظيفة كل يوم جمعة بعد الصلاة تسمعنا شيئاً من هذه المناقب في مسجد الجامع ! فقال لهم القاضي نعمة الله بن العطار : ما أنتما من أهلها ، أنتما قد حضرتما في درب الخطيب وذكرتما أن علياً عليه السلام ما كان يعرف سورة واحدة من كتاب الله تعالى ، والمناقب تتضمن أنه ما كان في الصحابة أقرأ من علي بن أبي طالب عليه السلام ، فما أنتما من أهلها ، فأكثر الغوغاء والتهزي . فضجر القاضي نعمة الله بن العطار وقال - بمحضر جماعة كانوا وقوفاً : اللهم إن كان لأهل بيت نبيك عندك حرمة ومنزلة فاخسف به داره ، وعجل نكايته ؛ فبات ليلته تلك ، وفي صبيحة يوم

(١) المناقب ص ١٥٤ ، وجلاء الأبصار ٣٤٠ .

(٢) كان شيخاً فاضلاً عالماً ، سمع أباه وغيره ، تولى القضاء والحكومة بواسط نيابة عن أبي العباس ابن بختيار الماندائي ، توفي ٥٤٣ . شذرات الذهب ٢٥١/٦ ، والأنساب للسمعاني ١٣٦/٢ .

السبت سادس ذي القعدة من سنة ثمانين وخمسائة خسف الله تعالى بداره ،
فوقعت هي والقنطرة وجميع المسناة إلى دجلة ، وتلف منه فيها جميع ما كان
يملك من مال وأثاث وقماش ، فكانت هذه المنقبة من أطرف ما شوهد يومئذ من
مناقب آل محمد صلوات الله عليهم ، فقال علي بن محمد بن الشرفية في ذلك
اليوم في هذا المعنى :

يا أيها العبدل الذي	هو عن طريق الحق عادل
متجنباً سبل الهدى	وإلى سبيل الغي مائل
أبمثل أهل البيت يا	مغرور ويحك أنت هازل
دع عنك أسباب الخلا	عة واستمع مني الدلائل
بالأمس حيث جحدت من	أفضالهم بعض الفضائل
وجريت في سنن التمر	ذلت تسمع عدل عادل
نزل القضاة على ديا	رك في صباحك شرراً نازل
أضحت ديارك سائخبا	ت في الثرى خسف الزلازل
وبقيت يا مغرور في الـ	دارين لن تحفظ بطائل
هذا الجزاء بهذه الد	نيا غداً ما أنت قائل

وهذه القصيدة المذكورة في نسخة المناقب^(١) وهي لنا مسموعة .

ومن كتاب السفينة للحاكم^(٢) الإمام عليه السلام وقد أخبرنا به الفقيه الأجل

(١) المناقب ص ٣٤٩ .

(٢) هو أبو سعيد المحسن بن كرامة الجشمي البيهقي الحاكم ينتهي نسبه إلى محمد بن الحنفية ولد سنة ٤١٤ هـ ونشأ نشأة كريمة تليق بمكان أسرته بإقليم خراسان ، شهرته تُغني عن التعريف به فهو علامة عصره وفريد دهره في علم التفسير والعدل والتوحيد ، كنه شاهدة له بالتقدم والتبريز ، كان معتزليا في الأصول وحنفيا في الفروع ، لكنه تحول إلى مذهب الزيدية ، وتوفي شهيدا بالبلد الحرام بسبب كتابه (رسالة إبليس إلى إخوانه المناجيس) وله التهذيب في التفسير قيل إن الكشاف مأخوذ منه بزيادة تعقيد ، وله تنبيه الغافلين عن فضائل أمير المؤمنين ، وعيون المسائل وشرحه ، والمؤثرات ، والإمامه ، وتنزيه الأنبياء والأئمة ، وجلاء الأبصار في تأويل الأخبار ، والسفينة ، والرسالة الغراء ، =

تاج الدين أحمد بن الحسن البيهقي^(١) مناولةً عن السيد الإمام مجد الدين يحيى ابن إسماعيل بن علي بن أحمد بن علي بن علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد زيارة بن عبدالله بن الحسن بن الحسن الأقطس بن علي بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي الوصي أمير المؤمنين عليهم السلام يرفعه إلى الحاكم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وأخبرنا به أيضاً القاضي شهاب الدين خطيب الزيدية بنيسابور عبدالعزيز بن الحسن الزنقي الزيدي إجازةً على لسان الفقيه الأجل جمال الدين عمران بن الحسن بن ناصر - أدام الله عزه - عمَّن يوثق به من الإخوان^(٢) يرفعه إلى الحاكم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: روى السيد أبو طالب بإسناده عن جُوَيْرٍ عن الضحَّاك عن ابن عباس عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: لما أمر الله تعالى آدم بالخروج من الجنة رفع طرفه نحو السماء، فرأى خمسة أشباح على يمين العرش، فقال: إلهي خلقت خلقاً من قبلي؟ فأوحى الله إليه: أما تنظر إلى هذه الأشباح؟ قال: بلى، قال: هؤلاء صفوتي من نوري اشتقت أسماءهم من اسمي، فأنا الله المحمود وهذا محمد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا المحسن وهذا الحسن، ولي الأسماء الحسنى، وهذا الحسين. فقال آدم: فبحقهم اغفر لي، فأوحى الله إليه قد غفرت لك، وهي الكلمات التي قال الله تعالى: ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]^(٣).

= وترغيب المبتدئ، وتذكرة المنتهي، ونصيحة العامة، والمنتخب في فقه الزيدية وغيرها. ينظر مطلع

البدور، ولوامع الأنوار ١/٤٥٤، والحاكم الجسمي ومنهجه في التفسير تأليف د/ عدنان زررور.

(١) يسمى زيد وأحمد بالاسمين بن الحسن البيهقي، قدم إلى هجرة حوث ٦١٠هـ في أيام

المنصور بالله عبدالله بن حمزة، وأجاز لابن الوليد وحميد وغيرهم وأثنى عليه العلماء وكان حافظاً.

ينظر الشافي ١/٥٦، ومطلع البدور ٢/١٣٣.

(٢) في (ب) كثرهم الله.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص ١٠٤، والعمدة ٤٣٩، وفي الدر المنثور ١/١١٩ عن ابن النجار عن

ابن عباس قال: سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، قال:

سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي فتاب عليه. ورواه أيضاً في مجمع

البيان ١/١٧٥ بصيغة أخرى.

وروينا بالإسناد من غير السفينة عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت علي باب العرش مكتوباً بالذهب لا بماء الذهب لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله، علي باغضهم لعنة الله»^(١).

وبالإسناد إلى الحاكم رحمته الله قال: حدثت زيد بن علي عليهما السلام قال: مطر الناس بالمدينة مطراً جَوْدًا^(٢) فخرج النبي ﷺ إلى ناحية المدينة، وقال لفاطمة عليها السلام إن جاء زوجك وابناك فابعثهم إلي، فبينا رسول الله ﷺ قائماً، إذ أتاه علي عليه السلام فسلم، فرد النبي ﷺ عليه السلام، ثم أخذ بيده وأجلسه عن يمينه، ثم أقبل الحسن والحسين فسلما عليه فرد السلام وأجلسهما، فبينما هم جلوس إذ هبط جبريل عليه السلام معه جام من ذهب مجلل مكلل، عليه منديل من نور، فقال: يا محمد إن ربك عز وجل يقرئك السلام، وأحب أن يعجل لك شيئاً من فاكهة الجنة، فأخذته النبي ﷺ فلما صار الجمام في يده قال الجمام: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ثم دفعه إلى علي عليه السلام فقال: مثل ذلك، ثم دفعه إلى الحسن ثم إلى الحسين فقال: مثل ذلك.

وروى الحاكم رحمه الله في كتاب السفينة من كتاب الفتوح لابن أعثم^(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ رجع من سفر له وهو متغير اللون. فخطب خطبة بليغة وهو يبكي، ثم قال: أيها الناس: إني قد خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وأرومتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ألا وإني أنتظرهما، ألا وإني أسألكم يوم القيامة في ذلك عند الحوض، ألا وإنه سيرد علي يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة: راية سوداء فتقف، فأقول: من أنتم؟ فينسون ذكري،

(١) شمس الأخبار ١/١٢١.

(٢) جَوْدٌ: المطر الغزير. الفاموس ٣٥١.

(٣) ٣٢٥/٤، وابن أعثم: اختلف في اسمه فقيل: لوط بن أحمد بن محمد بن أعثم، وقيل: أحمد بن محمد بن أعثم، وهو مؤرخ كوفي، ت ٣١٤ هـ. الأعلام ١/٢٠٦، والذريعة ١٦/١١٩.

فيقولون: نحن أهل التوحيد من العرب. فأقول: أنا محمد نبي العرب والعجم فيقولون: نحن من أمتك. فأقول: كيف خلفتموني في عترتي، وكتاب ربي؟ فيقولون: أما الكتاب فضيعناه، وأما عترتك فحرصنا على أن نُبيدهم! فأولِّي وجهي عنهم، فيصدرون عطاشا قد اسودت وجوههم، ثم ترد راية أخرى أشد سواداً من الأولى، فأقول لهم: مَنْ أنتم؟ فيقولون كالقول الأول: نحن من أهل التوحيد، فإذا ذكرت اسمي قالوا: نحن من أمتك، فأقول: كيف خلفتموني في الثقلين كتاب الله وعترتي؟ فيقولون: أما الكتاب فخالفنا، وأما العترة فخذلناهم ومزقناهم كل ممزق! فأقول لهم: إليكم عني، فيصدرون عطاشا مسودةً وجوههم، ثم ترد عليّ راية أخرى تلمع نوراً، فأقول: مَنْ أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى، نحن أمة محمد، ونحن بقية أهل الحق، حملنا كتاب ربنا فأحللنا حلاله، وحرّمنا حرامه، وأحببنا ذرية محمد فنصرناهم من كل ما نصرنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم، وقتلنا من ناوأهم، فأقول لهم: أبشروا فأنا نبيكم محمد، ولقد كنتم كما وصفتم، ثم أسقيهم من حوضي فيصدرون رواءً، ألا وإن جبريل أخبرني: بأن أمتي تقتل ولدي الحسين بأرض كرب وبلاء، ألا ولعنة الله على قاتله وخاذله أبد الدهر» .

ثم نزل، ولم يبق أحد إلا وتيقن أن الحسين عليه السلام مقتول، فلما كان أيام عمّر وأسلم كعب الأحبار وقدم المدينة، وجعل الناس يسألونه عن الملاحم وهو يُحدّثهم، قال كعب الأحبار: نعم وأعظمها ملحمة هي الملحمة التي لا تنسى أبداً وهو الفساد الذي ذكره الله في الكتب وذكره في كتابكم فقال: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الروم: ٤١] الآيات، وإنما فُتِحَ بقتل هابيل وختم بقتل الحسين بن علي عليهما السلام قال كعب: ولعلكم تهوّنون قتل الحسين، أو لا تعلمون أنه يفتح يوم قتله أبواب السموات كلها، ويؤذن للسماء بالبكاء فتبكي دماً فإذا رأيتم الحمرة قد ارتفعت من جنباتها شرقياً وغربياً فاعلموا أنها تبكي حسينا،

والذي نفس كعب بيده لتبكين زمرة من الملائكة في السموات لا يقطعون بكاهم آخر الدهر، وإن البقعة التي يدفن فيها هي خير البقاع بعد بيت مكة والمدينة وبيت المقدس، وما من نبي إلا وقد كان زارها وبكى عليها، ولها في كل يوم زيارة من الملائكة، فإذا كانت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة نزل إليها سبعون ألف ملك ييكونه، ويذكرون فضله ومنزله عندهم، وأنه يسمى في السموات حسينا المذبوح، وفي الأرضين أبا عبدالله المقتول، وفي البحار الفرخ الأزهر المظلوم^(١).

وروى الحاكم رحمته الله عن النبي ﷺ أنه قال: «نحن يا علي من شجرة: أنا أصلها، وفاطمة فرعها، وأنت لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، والشيعه ورقها، لو أن رجلاً صام حتى يكون كالوتر، وصلى حتى يكون كالخني، وكان في قلبه وزن ذرة من بغضك أكبه الله على وجهه في النار»، «يا علي لا يحبك إلا مؤمن تقي، ولا يبغضك إلا منافق شقي»^(٢) نظمه أبو يعقوب الطبراني فقال:

يا حبذا شجر في الخلد نابته	ما مثلها نبتت في الأرض من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة	ثم اللقاح علي سيد البشر
والهاشميان سبطاه لها ثمر	والشيعه الورق الملتف بالشجر
هذا مقال رسول الله جاء به	أهل الرواية في العالي من الخبر
إني بحبهم أرجو النجاة غداً	والفوز في زمرة من أفضل الزمر ^(٣)

روى الصادق عن آبائه عن النبي ﷺ قال: «إن في السماء حرساً وهم الملائكة، وفي الأرض حرساً وهم شيعتك يا علي»^(٤) ذكره الناصر. وذكر

(١) ج ٤/٣٢٥.

(٢) أخرجه الكنجي في الكفاية ٤٢٥، والحاكم ٣/١٦٠، وذخائر العقبى ١٦، والمناقب لابن المغازلي ١٢٢، ومعناه في ميزان الاعتدال ٢/١٨٣، ولسان الميزان ٤/٤٣٤، ٢/٢٢٦، وتاريخ دمشق ٤٢/٦٥، ٦٦ رقم ٨٤٠٩ - ٨٤١٣.

(٣) كفاية الطالب ٤٦٢.

(٤) تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين ص ١٧٤.

بإسناده عن النبي ﷺ قال : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب » قال علي عليه السلام : مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال : هم شيعةك ، وأنت إمامهم ^(١) وذكر عن الباقر أنه قال : إن نبي الله ﷺ قال : « إن عن يمين العرش رجالاً وجوههم من نور عليهم ثياب من نور ، ما هم بنيثين ولا شهداء ، يغطهم النبيثون والشهداء ، قيل : مَنْ هُمْ؟ قال : أولئك أشياعنا وأنت إمامهم يا علي » عن علي عن النبي ﷺ قال : « من آذاني في أهل بيتي فقد آذى الله ، ومن أعان علي أذاهم ، وركن إلي أعدائهم فقد أذن بحرب من الله ورسوله ، ولا نصيب له في شفاعة رسول الله ﷺ » .

(روى) أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : « والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار » ^(٢) .

وعنه عليه السلام : « لظالموا أهل البيت عذابهم مع المنافقين في السدرك الأسفل من النار » ^(٣) (روى) جابر عن النبي ﷺ : « لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي ، ولا يبغضنا إلا منافق رديء » ^(٤) [وعن] الصادق في قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ♦ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٠٠ - ١٠١] . قال : نزلت فينا وفي شيعتنا ، وذلك أنا نشفع وتشفع شيعتنا ، فإذا رأى ذلك من ليس منهم ، قال : ما لنا من شافعين ولا صديق حميم . روى ذلك كله الحاكم رحمه الله ^(٥) .

ورويننا عن النبي ﷺ قال : « من أحسن إلى أحد من أهل بيتي بعدي

(١) المناقب للكوفي ٢/ ٢٨٥ ، والمناقب لابن المغازلي ٢٤٩ ، وتنبية الغافلين عن فضائل الطالبين ص ١٧٤ .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) المناقب لابن المغازلي ١٠٦ .

(٤) المناقب للكوفي ٢/ ١٨١ ، وذخائر العقبى ١٨ ، وللحديث شواهد كثيرة .

(٥) تنبيه الغافلين ص ١٧٤ .

شفعت له يوم القيامة ، ويكون في الجنة معي . وروينا عنه عليه السلام أنه قال : « ما أحبنا أهل البيت أحد فزلت به قدم إلا ثبتته قدم حتى ينجيه الله يوم القيامة »^(١) .
وروينا عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : قد أعطيت الكوثر؟ قلت : يا رسول الله وما الكوثر؟ قال : نهر في الجنة عرضه وطوله ما بين المشرق والمغرب ، لا يشرب منه أحد فيظماً ، ولا يتوضأ منه أحد فيشعث ، لا يشربه إنسان خفر ذمتي ولا قتل أهل بيتي »^(٢) .

وروينا عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « نحن أهل بيت شجرة النبوة ، ومعدن الرسالة ، ليس أحد من الخلائق يَفْضَلُ أهل بيتي غيري »^(٣) .

وروينا عن أبي ليلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا يؤمن عبد حتى كون أحب إليه من نفسه ، وتكون عترتي أحب إليه من عترته ، ويكون أهلي أحب إليه من أهله ، وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته »^(٤) .
وروينا عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ويل لأعداء أهل بيتي المستأثرين عليهم لا نالهم شفاعتي ، ولا رأوا جنة ربي » .

وروينا عن جرير بن عبد الله البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « مَنْ مات على حب آل محمد مات شهيداً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوَّار قبره بالرحمة الملائكة ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما

(١) رواه الإمام الهادي في درر الأحاديث ص ٥١ ، وتنبية الغافلين ص ١٧٤ .

(٢) الدر المنثور ٦/٦٨٧ ، وشمس الأخبار ١/١٢٤ .

(٣) شمس الأخبار ١/١٢٤ .

(٤) تنبيه الغافلين ص ٢١٣ .

تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيسٌ من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة أبداً»^(١).

وروينا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣] قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله عز وجل بمودتهم؟ قال: «فاطمة وولدها»^(٢)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ﴾ [الصفات: ١٣٠] قال: «على آل محمد»^(٣)، وعنه في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣] قال: المولاة لآل محمد رضي الله عنهم^(٤).

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَأَفَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٠٨] قال: «ولايتنا أهل البيت».

وعن ثابت البناني^(٥) في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] قال: «إلى ولاية أهل نبيه»^(٦).

(١) الكشاف ٤/ ٢٢٠ في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾

[الشورى: ٢٣] والصواعق المحرقة ٢٣٢، والقرطبي ١٦/ ١٦.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٧٠١، والقرطبي ١٦/ ١٦، وتفسير الخازن والبيهقي ٥/ ٣٨٠، ومجمع البيان ٩/ ٤٨، وتفسير ابن كثير ٤/ ١١٢، والمناقب لابن المغازلي ٢٥٩، والكشاف ٤/ ٢٢٠، وذخائر العقبى ٢٥، وشواهد التنزيل ٢/ ١٠٣، والطبراني في الكبير ٣/ ٤٧ رقم ٢٦٤١.

(٣) الدر المنثور ٥/ ٥٣٩، والقرطبي ١٥/ ٧٩، ومجمع البيان ٨/ ٣٣٠.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) ولد في أيام معاوية بن أبي سفيان، وهو من تابعي البصرة ومحدثيهم، ت ١٢٧ هـ، وقيل غير ذلك. ينظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٢٠.

(٦) مجمع البيان ٧/ ٤٥، والطبري ١٦/ ٢٤٣، وروح المعاني ١٦/ ٣٥٢، ومناقب آل أبي طالب ٣/ ١٠٣.

وروينا عنه عليه السلام أنه قال: « يا علي إن شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة - على ما بهم من العيوب والذنوب - وجوههم كالقمر في ليلة البدر، وقد فُرِّجت عنهم الشدائد، وسهَّلت لهم الموارد، وأعطوا الأمن والأمان، وارتفعت عنهم الأحزان، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون، شرك نعالهم تتلأأ نوراً، على نوق بيض لها أجنحة قد ذلت من غير مهانة، ونجبت من غير رياضة »^(١).

وروينا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: « أيها الناس اعلموا أن العلم الذي أنزله الله تعالى على الأنبياء من قبلكم في عترة نبيكم؛ فأين يتاه بكم عن أمر تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة؟ هؤلاء مثلها فيكم، وهم كالكهف لأصحاب الكهف، وهم باب السلم فادخلوا في السلم كافة، وهم باب حطة من دخله غفر له، خذوا عني عن خاتم المرسلين حُجَّةً من ذي حُجَّة، قالها في حُجَّة الوداع: إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله، وعترتي أهل بيتي؛ إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض »^(٢).

(١) المناقب لابن المغازلي ٢٥١، والصواعق المحرقة ٢٣٢، وشمس الأخبار ١/١٤٣.
(٢) رواه الإمام زيد بن علي عن آبائه في المجموع ص ٤٠٤. وعلي بن موسى الرضى عن آبائه في صحيفته ص ٤٦٤. ومسلم عن زيد بن أرقم ٤/١٨٧٣ رقم ٢٤٠٨، عن جابر. والترمذي عن جعفر بن محمد عن أبيه ٥/٦٢١ رقم ٣٧٨٦، وقال: حديث حسن غريب. وقال: وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد، وقال: حسن غريب من هذا الوجه، ورواه برقم ٣٧٨٨ عن زيد بن أرقم، وقال: حسن غريب. والطبراني في الكبير عن زيد ٥/١٨٦ رقم ٥٤٠. ومسنده أحمد عن أبي سعيد ٤/٣٠ رقم ١١٠٤. وج ٧/٨٤ رقم ١٩٣٣٢ عن زيد بن أرقم. وج ٨/١٣٨ رقم ٢١٦٣٤ عن زيد بن ثابت. وابن كثير في البداية النهاية ٥/٢٢٨. وقال: قال شيخنا أبو عبدالله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

وروينا عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال : « أنزلوا آل محمد صلى الله عليه وآله بمنزلة الرأس من الجسد ، وبمنزلة العينين من الرأس ، فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس ، وإن الرأس لا يهتدي إلا بالعينين » .

وروينا عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « إن لهذه الأمة فرقة وجماعة ، فجامعوها إذا اجتمعت ، فإذا افتترقت فارقوا أهل بيت نبيكم ، فإن سالموا فسالوا ، وإن حاربوا فحاربوا ، فإنهم مع الحق والحق معهم ، لا يفارقهم ولا يفارقونه » .
وقيل ليحيى بن معاذ رضي الله عنه ^(١) : ما تقول في أهل البيت عليهم السلام ؟ قال : ما أقول في طينة عجنت بماء النبوة ، وغرست بأرض الرسالة ، فهل ينفع منها إلا ريع الهدى وعبر التقى .

ولنقتصر على هذا المقدار من رواية الآثار في مناقب العترة عليهم السلام ، فإن الكثير منها ينطوي على مجلدات عدة ، وإنما ذكرنا قطرة من مطرة ، ومجة من لجة ؛ رعاية لحقهم الذي أرشد الحكيم إليه ، حيث يقول : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى : ٢٣] ونعود بعد ذلك إلى المقصود بالكتاب ، وهو الكلام في ذكر الأئمة السابقين على الولاء حسب ما اتصل بنا من أخبارهم ، وبلغ إلينا من آثارهم ، ونبتدئ بذكر إمام الأئمة والأمة ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ونختم بذكر الإمام المنصور بالله عليه وعليهم السلام إن شاء الله تعالى ومنه التوفيق وهو المرجو لسلوك أهدي طريق .

(١) ابن جعفر الرازي واعظ حكيم زاهد ، له كلمات سائرة ، نزل الري ثم انتقل إلى نيسابور وبها توفي ٢٥٨ هـ . ينظر صفوة الصفوة ٤/٦٠ ، وحلية الأولياء ١٠٠/٥٣ ، والأعلام ٨/١٧٣ .

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام^(١)

أما نسبه : فهو علي بن أبي طالب ، واسمه عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهو زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان . شعر :

نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى راداً^(٢) ومن فلق الصبح بروداً
وأُمهُ عليها السلام : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي ، وهي أول هاشمية وكُدت لهاشمي ، فهو شريك النبي ﷺ في نسبه الشريف ، وقسيمه في جوهره العالي المنيف ، كما قال الشاعر :

إنَّ علي بن أبي طالب جِداً رسول الله جِداً
أبو علي وأبو المصطفى من طينة طهرها الله
ولدته أمه عليها السلام في الكعبة ، وذلك أنها لما اشتكت المخاض التجأت إلى الكعبة تبركاً بها ، فطلقت طلقة فولدته عليها السلام ، فحصل له هذا الشرف العظيم بولادته في أشرف بقعة في الأرض ، ثم حمله رسول الله ﷺ إلى منزلها ، وكان قد سار

(١) لترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام العديد من المصادر منها: الاستيعاب ١/١٩٧ ، والافادة ٢٠ ، ومروج الذهب ٢/٣٥٨ ، وطبقات الشيرازي ٤١ ، تفسر التهذيب ١/٤٨ ، وتهذيب التهذيب ٧/٣٣٤ ، والعبر ٥٢٤ ، وتاريخ الخلفاء ١٦٦ ، والجرح والتعديل ٦/٢٩١ ، وتاريخ الاسلام ٣/٨ ، وصفوة الصفوة ١/١٣٠ ، والأعلام ٤/٢٩٥ ، وحلية الأولياء ١/٦٩ ، والاصابة ٢/٥٠٧ ، وأسد الغابة ٤/٨٦ ، ومقاتل الطالبين ٢٤ ، وطبقات ابن سعد ٣/١٣ ، وطبقات الزيدية (خ) ، والغدير ١-١١ مجلداً ، وأعيان الشيعة ١/٣٢٣ ، والاستيعاب ٣/١٩٧ ، ومناقب الإمام علي (ع) للكوفي ١-٣ مجلدات ، والمصايح ٢٩٧ ، وترجمة أمير المؤمنين في تاريخ دمشق لابن عساكر ١-٣ بتحقيق محمد باقر المحمودي ، وسير أعلام النبلاء ١٧/١٦٩ .

(٢) الراد: رونق الضحى ، وقيل: هو بعد انبساط الشمس وارتفاع النهار . لسان العرب ج٣/١٦٨ .

مع عمه أبي طالب حين دخل الكعبة ، وأجلس أبو طالب فاطمة بنت أسد رحمها الله في الكعبة ،^(١) وهي أول امرأة بايعت رسول الله ﷺ ، وكانت من المهاجرات ودفنها رسول الله ﷺ بالروحا^(٢) مقابل حمام أبي قتيبة ، ولما ماتت رحمها الله دفنها رسول الله ﷺ وكفنها في قميصه ونزل في قبرها ، وفي بعض الأخبار وتمرغ في لحدها فقبل له في ذلك ؟ فقال : إن أبي هلك وأنا صغير ، فأخذتني هي وزوجها فكانا يوسعان علي ، ويؤثراني على أولادهما ، فأحبت أن يوسع الله في قبرها . وفي بعض الأخبار : أما قميصي فأمان لها يوم القيامة ، وأما اضطجاعي في قبرها فليوسع الله عليها^(٣) .

وهو أصغر أولادها ، وولدت أربعة ذكور بين كل ذكركين عشر سنين : طالب^(٤) وعقيل وجعفر وعلي .

كنيته **عقيل** : كان **عقيل** يكنى بأبي الحسن ويكنى بأبي تراب كناه بها رسول الله ﷺ ، وذلك فيما روينا بالإسناد الصحيح إلى عمار بن ياسر **رضي الله عنه** قال : كنت أنا وعلي بن أبي طالب **رضي الله عنه** رفيقين في غزوة العُشيرة ، فلما نزلها رسول

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٥٨ .

(٢) في الأصل وكانت مهاجرة بالروحا . والروحا : موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة .

(٣) روي في الاستيعاب ٤/٤٤٦ ، والإصابة ٤/٣٦٨ ، وأسد الغابة ٧/٢١٢ عن عبد الله بن عباس قال : لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب ، ألبسها رسول الله قميصه ، واضطجع معها في قبرها ، فقالوا : ما رأيناك صنعت ما صنعت بهذه ؟ فقال : إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ بي منها ، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حُلل الجنة ، واضطجعت معها ليهون عليها ، ينظر مقاتل الطالبين ٤ .

(٤) كان شاعراً ، وهو الذي قال حين خرج مع المشركين يوم بدر ، وقد خرج كرها :

لأهْمُ إما يغزون طالب ❖ في مقنّب من هذه المقانِب

فليكن المسلوب غير السائب ❖ والراجع المغلوب غير الغالب

وقيل رجع إلى مكة ، وقيل لم يرجع واستهوته الجن فلم يوجد له أثر بين القتلى والأسرى . ينظر هامش جمهرة النسب ١/١٢٨ .

الله ﷺ فأقامَ بها، وإذ هناك ناس من بني مُدَلج^(١) يعملون في عين لهم في نخل، فقال علي ﷺ: يا أبا اليقظان هل لك في أن تأتي إلي هؤلاء فننظر كيف يعملون؟ قال: قلت إن شئت، قال: فجئناهم ثم نظرنا إلى عملهم ساعة ثم غشنا النوم، فانطلقت أنا وعلي ﷺ حتى اضطجعنا في صُور^(٢) من النخل ودقعاتها فوالله ما أهبنا إلا رسول الله ﷺ يحركنا برجله، وقد تتربنا من تلك الدقعاء^(٣) التي نمنا فيها، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعلي ﷺ: «مالك يا أبا تراب؟! لما يرى عليه من التراب، ثم قال: «ألا أحدثكم بأشقى الناس؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: أُحيمرُ ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا عليُّ على هذه - ووضع يده على قرنه حتى تبل منها هذه وأخذ بلحيته»^(٤). هذه طريق في تكنيته بأبي تراب.

وفي رواية أخرى بالإسناد الموثوق به أنه وقع بينه وبين فاطمة عليها السلامُ كلامٌ فخرج، فقال النبي ﷺ: لإنسان: ابغِ عليًا، قال: هو ذاك في المسجد، قال: فأتاه النبي ﷺ والريح تسفي عليه التراب، فقال: «قم يا أبا تراب»، قال سهل بن سعد: وهو الذي انتهت إليه الرواية - فوالله إن كانت لأحب الأسماء إلى علي ﷺ. وفي طريق أخرى فقال سهل: فكننا نمدحه بهذا فإذا ناسٌ يعيونه، قال الشاعر وهو السوسي:

(١) بنو مُدَلج: قبيلة من كنانة وهو مُدَلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة. تاج العروس ٣/٣٧٢

(٢) الصُور: النخل الصغار أو المجتمع. تاج العروس ٧/١١٢.

(٣) الدقعاء: التراب. ص ٩٢٤ القاموس.

(٤) المناقب لابن المغازلي ٥٩، والخصائص ١٣٠. والمسند ١٨٣٤٩. والطحاوي مشكل الآثار ٢/٢١٨. والبيهقي في الدلائل ٣/١٢. وصححه الحاكم على شرط مسلم ٣/١٤١. وواقفه الذهبي. وابن هشام ١/٦٠٠. والحلبية ٢/١٢٦. وعيون الأثر ١/٣٥٧ وما بعدها. وابن كثير ٢/٣٦٣. وتأريخ خليفة ٥٧. الطبقات ٩/٢.

(٥) المناقب لابن المغازلي ص ٦٠، والدولابي ص ٣٤ رقم ١٤، والبخاري في صحيحه ١/١٧٠ رقم ٤٣٠ ج ٣/١٣٥٨ رقم ٣٥٠٠، ٥/٢٢٩١ رقم ٥٨٥١.

أنا وجميع من فوق التراب فداءً تراب نعل أبي تراب^(١) وأقام مدة مع أبويه حتى وقعت أزمة شديدة، فضمه رسول الله ﷺ إليه تخفيفاً عن أبي طالب، فتأدب بأدابه الكريمة، وتخلق بأخلاقه الشريفة حتى ظهرت فيه آثاره المطهرة .

صفته وحليته ﷺ :

ذكر السيد أبو طالب ﷺ في كتاب الإفادة وقد أخبرنا الفقيه الأجل تاج الدين أحمد بن أحمد بن الحسن البيهقي بحوث، قدمها سنة عشر وستمائة عن عالم الزيدية وزاهدهم في وقته شعيب بن دابسون الجيلي رحمه الله بإسناده إلى السيد الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسني ﷺ قال : قال أبو إسحاق السبيعي فيما روينا عنه - : أدخلني أبي المسجد يوم جمعة فرفعني حتى رأيت علياً ﷺ شيخاً أصْلَع ، ناتيء الجبهة ، عريضاً ما بين المنكبين ، له لحية قد ملأت صدره ، وفي عينيه اطرغشاش^(٢) ، قال داوود بن عبد الجبار راوي الخبر عن أبي إسحاق يعني لنا في العين ، فقلت لأبي : من هذا يا أبا؟ فقال : علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ ، وخشن رسول الله ﷺ ، وأخو رسول الله ﷺ ، وأمير المؤمنين^(٣) .

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى السيد الإمام الموفق بالله أبي عبد الله الحسين ابن إسماعيل الحسني الجرجاني ﷺ يرفعه إلى زياد المخارقي قال : سألت محمد ابن الحنفية فقلت : صف لي علياً ﷺ ؟ فقال : كان ضخماً الهامة ، عريض المنكبين ، عظيم المشاش ، ضخماً البدن ، حَمَشَ الساقين ، كأنما كُسِّرَتْ عظامه ثم جَبَّرَتْ ، والله لو أخذ الأسد لافترسه .^(٤)

(١) هو الصاحب كما في ديوانه ص ١٨٥ .

(٢) في الأصل : اطرغشاش .

(٣) المقاتل ص ٢٧ ، الإفادة ص ٣٩ .

(٤) انظر صفة الإمام علي عليه السلام فقد أتت بروايات عديدة بمعنى واحد في تاريخ دمشق ٤٢ /

٢٠ ، وذخائر العقبى ٥٧ ، وغيرها في كتب التراجم .

صفة إسلامه ﷺ وزواجه بفاطمة عليها السلام:

لما أن بعث الله نبيه ﷺ يوم الإثنين أسلم عليٌّ ﷺ يوم الثلاثاء^(١)، فهو أول ذكر أسلم على الصحيح من النقل وفيه إجماع العترة عليهم السلام. واختلف في سنه يوم أسلم، فقيل: إنه أسلم وله اثنتا عشرة سنة، وقيل: ثلاث عشرة سنة^(٢).

وفي سبقه إلى الإسلام آثار كثيرة فمنها: ما رويناه بالإسناد إلى أبي ذر رحمة الله عليه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليٌّ أولٌ من آمن بي، وأول من يضافحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، والفاروق يفرق بين الحق والباطل»^(٣). وعن سلمان قال قال رسول الله ﷺ: «أول الناس وروداً عليٍّ الخوض أولهم إسلاماً علي بن أبي طالب»^(٤).

وروينا عن ابن عباس رضِيَ اللهُ عنهما أنه قال: «أول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال عليٌّ، ومن النساء خديجة رضي الله عنهما». وعن سلمان رحمة الله

مركز تحقيق وتوثيق التراث الإسلامي

(١) المستدرک ١٢١/٣، ومجمع الزوائد ١٠٢/٩، والترمذي ٥٩٨/٥، والمنظوم ٧٦/٥، وتاريخ دمشق ٢٧/٤٢ وروى الحديث بعدة طرق، وأسد الغابة ٨٩/٤، والإستيعاب ٢٠٠/٣، والطبراني ٣٠٩/٢، والكامل ٣٧/٢، والبداية والنهاية ٣٦٩/٧، وتهذيب الكمال ٤٧٢/٢٠.
(٢) وقيل عشر سنين. انظر ابن هشام ٢٤٥/١، والحلبية ٢٦٨/١. وتاريخ الطبري ٣٠٩/٢. وأسد الغابة ٨٨/٤. وعميون الأثر ١٧٩/١. والبداية والنهاية لابن كثير ٣٤-٣٥. ومحمد رسول الله ٦٨. ودلائل النبوة ١٦٠/٢. وابن كثير ٤٢٨/١. والطبري ٣١٠/٢. وتاريخ دمشق ٢٧/٤٢. والمصنف لعبد الرزاق ٣٢٥/٥. وقد أوسع في ذلك في شرح النهج ٢١٩/٤، وقد رجح أبو جعفر الاسكافي أن عمره حين أسلم ١٥ عاماً.

(٣) تاريخ دمشق ٤١/٤٢ رقم ٨٣٦٩، مناقب الكوفي ٢٩٩/١ رقم ٢٢٣ و٥٣٥/٢ رقم ١٠٣٧، وشمس الأخبار ٩٤/١، والطبراني في الكبير ٢٦٩/٦ رقم ٦١٨٥، ومختصر مسند البزار ٣٠١/٢ رقم ١٨٩٨، ومجمع الزوائد ١٠٢/٩، والكنجي في كفاية الطالب ١٥٨.
(٤) تاريخ دمشق ٤٠/٤٢، والمناقب للكوفي ٢٨٠/١، وشمس الأخبار ٩٣/١، والمستدرک ١٣٦/٣، وتاريخ الخطيب ٨١/٢، وأسد الغابة ٩٠/٤، ومجمع الزوائد ١٠٢/٩، والاستيعاب ١٩٨/٣، ومصنف ابن أبي شيبة ٣٧١/٦ رقم ٣٢١١٢، والمناقب لابن المغازلي ص ٦٧.

عليه : « أن أول هذه الأمة وروداً على نبيها ﷺ أولهم إيماناً علي بن أبي طالب ﷺ »^(١).

وروينا عن أمير المؤمنين، ﷺ أنه قال على المنبر: أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يقولها بعدي إلا مفتر كذاب^(٢)، فقالها رجل فأصابته جنة، وكان يضرب برأسه الجدران حتى هلك، وقد ذكر ﷺ سبقه إلى الإسلام في يوم الشورى بحضرة من المهاجرين والأنصار فقال :

محمد النبي أخي وصهري
وجعفر الذي يمسي ويضحى
وبنت محمد سكني وعرسي
وسبطاً أحمد ولدائي منها
سبقتكم إلى الإسلام طراً
وأوجب بالولاية لي عليكم
فويل ثم ويل ثم ويل
من يلقي الإله غداً بظلمي

وزوجه رسول الله ﷺ، فاطمة عليها السلام في صفر سنة اثنتين من الهجرة عقداً من غير دخول بها - بعد أن طلبها أبو بكر فامتنع وطلبها عمر فامتنع في أسانيد كثيرة يطول ذكرها : منها ما روينا بالإسناد الموثوق به من كتاب المناقب لابن المغازلي الشافعي^(٣) بإسناده إلى أنس بن مالك أن أبا بكر خطب فاطمة عليها السلام إلى النبي ﷺ، فلم يرد إليه جواباً، ثم خطبها عمر فلم يرد إليه جواباً، ثم جمعهم فزوجها علي بن أبي طالب ﷺ، وقيل : أقبل علي أبي بكر وعمر فقال :

(١) تاريخ الخطيب ٢ / ٨١ ، ومجمع الزوائد ٩ / ١٠٢ .

(٢) ابن ماجة ١ / رقم ١٢٠ ، والمستدرک ٣ / ١١٢ ، وكتاب السنة رقم ١٣٢٤ ، وخصائص النسائي رقم ٦ ص ٢٩ ، والمراتب ص ٣٣ ، ومعرفة الصحابة ١ / ٣٠١ رقم ٣٣٧ ، ومناقب آل أبي طالب ٣ / ١٢٥ ، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل رقم ١٠٥٥ .

(٣) ص ١٨١ .

إن الله عز وجل أمرني أن أزوجهما من عليّ، ولم يأذن لي في إفشائه إلا هذا الوقت، ولم أكن لأفشي ما أمر الله عز وجل به • وابتنى عليّ عليه السلام بفاطمة عليها السلام في سنة ثلاث من الهجرة في شهر صفر.

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله كنت ذات يوم في المسجد أصلي إذ هبط عليّ ملك له عشرون رأساً فوثبت لأقبل رأسه فقال: مه! يا محمد أنت أكرم على الله من أهل السموات وأهل الأرض أجمعين، وقبل رأسي ويدي فقلت: حبيبي جبريل ما هذه الصورة التي لم تهبط عليّ بمثلها قط؟ قال: ما أنا بجبريل ولكن أنا ملك يقال لي: محمود، بين كتفي مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، بعثني الله أزوج النور بالنور. قلت: من النور؟ قال: فاطمة من علي، وهذا جبريل وإسرافيل وإسماعيل صاحب السماء الدنيا وسبعون ألف ملك من الملائكة قد حضروا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: « يا علي قد زوجتك على ما زوجك الله من فوق سبع سمواته ».

ثم التفت النبي صلى الله عليه وآله إلى محمود فقال: منذ كم كُتِبَ هذا بين كتفيك؟ فقال: من قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام، وناوله جبريل قدحاً فيه خلوق من الجنة، وقال: حبيبي مرفاطمة تلتخ رأسها وبدنها من هذا الخلق، فكانت فاطمة عليها السلام إذا حكّت رأسها شم أهل المدينة رائحة الخلق ^(١) وروينا بالإسناد الموثوق به إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: دخلت أم أيمن على النبي صلى الله عليه وآله وهي تبكي فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: ما يبكيك؟ لا أبكي الله لك عيناً، قالت: بكيت يا رسول الله؛ لأنني دخلت منزل رجل من الأنصار، وقد زوج ابنته رجلاً من الأنصار فنشر على رؤسهم لوزاً وسكراً فذكرت تزويجك لفاطمة من علي عليهما السلام، ولم تنشر عليهما شيئاً، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا تبكي يا أم أيمن، فوالذي بعثني بالكرامة، واستخصني بالرسالة ما أنا زوجته،

(١) مناقب المغازلي ٢٨١ .

ولكن الله تبارك وتعالى زوجّه من فوق عرشه، وما رضيتُ فاطمة حتى رضي الله رب العالمين، يا أم أيمن كما زوج الله تبارك وتعالى فاطمة من عليٍّ؛ أمر الملائكة المقربين أن يحدقوا بالعرش، وفيهم جبريل وميكائيل وإسرافيل فأحدقوا بالعرش، وأمر الحور العين أن تتزين، وأمر الجنان أن تزخرف؛ فكان الخاطب الله تبارك وتعالى، والشهود الملائكة، ثم أمر الله شجرة طوبى أن تشر عليهم فنشرت اللؤلؤ الرطب مع الدر الأخضر مع الياقوت الأحمر مع الدر الأبيض، فتبادرت الحور العين يلتقطن من الحلبي والحللي ويقلن: هذا من نثار فاطمة بنت محمد عليهما السلام^(١).

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: لما زوج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة من علي عليهما السلام، أتاه ناس من قريش فقالوا: إنك زوجت عليا بمهر خسيس! فقال: ما أنا زوجت عليا ولكن الله زوجة ليلة أسري بي عند سدرة المنتهى، أوحى الله عز وجل إلى سدرة المنتهى أن انثري ما عليك، فنشرت الدر والجوهر والمرجان، فابتدرت الحور العين فالتقطنه فهنَّ يتهادينه ويتفاخرن، ويقلن: هذا نثار فاطمة بنت محمد عليهما السلام. فلما كانت ليلة الزفاف أتى النبي صلى الله عليه وآله ببغلة الشهباء، وثنى عليها قطيفة، وقال لفاطمة: اركبي وأمر سلمان أن يقودها والنبي صلى الله عليه وآله يسوقها، فبينما هو في بعض الطريق إذ سمع النبي صلى الله عليه وآله وجبة فإذا هو بجبريل صلى الله عليه في سبعين ألفاً وميكائيل عليه السلام في سبعين ألفاً، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما أهبطكم إلى الأرض؟ قالوا: جئنا نرف فاطمة إلى زوجها علي بن أبي طالب، فكبر جبريل، وكبر ميكائيل، وكبرت الملائكة، وكبر محمد صلى الله عليه وآله فوق التكبير على العرائس من تلك الليلة^(٢).

(١) مناقب المغازلي ٢٧٨ .

(٢) مناقب المغازلي ٢٨٠ ، وذخائر العقبى ٣٢ .

ذِكْرُ طَرَفٍ مِنْ مَنَاقِبِهِ وَأَحْوَالِهِ عليه السلام :

اعلم أن التشاغل بمناقبه يخرجنا عن الغرض المقصود، ومناقبه عليه السلام أشهر من النهار لذوي الأبصار، وإنما نذكر اليسير على وجه الرعاية لحقه عليه السلام إذ كنا قد روينا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «ذكر عليّ عبادة»^(١).

وقالت عائشة رضي الله عنها: «زينوا مجالسكم بذكر عليّ عليه السلام»^(٢). فمن ذلك ما روينا بالإسناد الموثوق به إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه لما قدم علي بن أبي طالب عليه السلام بعد فتح خيبر قال: «يا علي لولا أن تقول طائفة من أمتي فيك ما قالت النصراري في عيسى بن مريم لقلت فيك مقالاً لا تمر بملاً من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت رجلك، وفضل ظهورك يستشفون بهما»^(٣)، ولكن حسبك أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، وأنت تبريء ذمتي، وتستر عورتني، وتقاتل علي سنتي، وأنت غداً في الآخرة أقرب الخلق مني، وأنت على الحوض خليفتي، وإن شيعتك على منابر من نور، مبيضة وجوههم حولي أشفع لهم، ويكونون في الجنة جيرانني؛ لأن حرك حربي، وسلمك سلمني، وسريرتك سريرتي، وإن ولدك ولدي، وأنت تقضي ديني، وأنت تنجز وعدي، وإن الحق على لسانك وفي قلبك ومعك وبين يديك ونصب عينيك، الإيمان مخالط للحمك ودمك كماخالط لحمي ودمي، لا يرد عليّ الحوض مبغض لك، ولا يغيب عنه محب لك، فخر عليّ عليه السلام ساجداً وقال: الحمد لله الذي منّ عليّ بالإسلام، وعلمني القرآن، وحببني إلى خير البرية، وأعزّ الخليفة، وأكرم أهل السموات والأرض على ربه، خاتم النبيين وسيد

(١) مناقب المغازلي ١٩٥، والفردوس ٢٤٤/٢ برقم ٣١٥١ عن عائشة، وكنز العمال ١١/٦٠١ رقم ٣٢٨٩٤، ومناقب آل أبي طالب ٣/٢٣٤.

(٢) مناقب المغازلي ١٩٩.

(٣) مجمع الزوائد ٩/١٣١، والطبراني في الكبير ١/٣٢٠ رقم ٩٥١.

المرسلين ، وصفوة الله في جميع العالمين ، إحساناً من الله إليّ ، وتفضلاً منه عليّ . فقال له النبي ﷺ : « لولا أنت يا علي ما عرف المؤمنون بعدي »^(١) ، لقد جعل الله عز وجل نسل كل نبي من صلبه ، وجعل نسلي من صلبك يا علي ؛ فأنت أعز الخلق وأكرمهم علي وأعزهم عندي ، ومُحِبُّكَ أَكْرَمُ من يرد عليّ من أمتي »^(٢) .

وروينا عن عبدالله قال : مرض رسول الله ﷺ مرضةً ، فغدا إليه علي ابن أبي طالب ؑ في الغلس ، وكان لا يحب أن يسبقه أحد ، فإذا هو بصحن الدار ، ورأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي ، فقال : السلام عليك . قال : وعليك السلام ورحمة الله ، أما أني أُحِبُّكَ ولك عندي مديحة أزفها إليك قال : قل ، قال : أنت أمير المؤمنين ، وأنت قائد الغر المحجلين ، وأنت سيد ولد آدم يوم القيامة ما خلا النبيين والمرسلين ، لوآء الحمد بيدك ، تزف أنت وشيعتك إلى الجنان زفًا زفًا ، أفلح من تولاك وخاب وخسر من تخلاك ، بحُبِّ محمد أحبُّوك ، وبيغضك لم تنلهم شفاعة محمد ، اذُنُ إلى صفوة الله أخيك وابن عمك فأنت أحق الناس به قال : فدنا علي بن أبي طالب ؑ فأخذ برأس رسول الله أخذًا رفيقًا وصيِّره في حجره فانتبه رسول الله ﷺ ، فقال : « يا علي ما هذه الهمهمة ؟ فأخبره علي ؑ الحديث ، فقال رسول الله ﷺ : « لم يكن ذلك دحية بن خليفة ، كان ذلك جبريل ؑ سَمَّاكَ بِأَسْمَاءِ سَمَّاكَ اللهُ بِهَا ، وهو الذي ألقى محبتك في صدور المؤمنين ، وهيبتك في صدور الكافرين ، ولك يا علي عند الله أضعاف كثيرة » .

وروينا عن أنس بن مالك قال : أهدى لرسول الله ﷺ طائر فوضعه بين يديه ، فقال : « اللهم اتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير ، قال : فجاء علي بن أبي طالب فدق الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : أنا علي ، فقلت :

(١) مناقب المغازلي ١٠٩ .

(٢) أخرجه ابن المغازلي ٢١٥ بلفظه ، والكفاية للكنجي ٢٦٤ .

إن النبي ﷺ رآه على حاجة، فعل ذلك ثلاثاً، فجاء الرابعة فضرب الباب برجله فقال النبي ﷺ رآه: ما حبسك؟ فقال: قد جئت ثلاث مرات [يردني أنس]، فقال النبي ﷺ رآه: ما حملك على ذلك؟ قال: كنت أحب أن يكون رجلاً من قومي^(١).

(١) هذا الحديث أخرجه المئات من أعلام أهل السنة في القرون المختلفة عن عشرات من التابعين، عن اثني عشر شخصاً من صحابة رسول رب العالمين عليه وآله الصلاة والسلام وهم: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وأبو سعيد الخدري، وأبو رافع، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وحبيشي بن جنادة، ويعلى بن مرة، وابن عباس، وسفيانة مولى رسول الله، وأنس بن مالك، وعمرو بن العاص في كل من تاريخ البخاري ٣/٢ برقم ١٤٨٨، والمعجم الكبير للطبراني ٨٢/٧ برقم ٦٤٣٧، والمعجم الأوسط ٢٠٧/٢ برقم ١٧٤٤، ١٧٤٤، ٥٨٨٦، ٦٥٦١، ٧٤٦٦، ٩٣٧٢، والمغازي ص/٥٥، والحاكم في المستدرک ٣/١٣٠، والذهبي في تاريخ الإسلام ص ٦٣٣، والترمذي ٥٩٥/٥ برقم ٣٧٢١، ومجمع الزوائد ٩/١٢٦، والمحب الطبري في الذخائر ص ٦١، والرياض النضرة ٢/١٦٠، والسيوطي في الجامع الكبير ١٦/٢٦٩، برقم ٧٩١٩، والخصائص ٥. قال العلامة/مجد الدين المؤيدي حفظه الله في اللوامع ٢/٤٦٠ ما لفظه: «خبر الطبري» رواه أئمة العترة عليهم السلام منهم المنصور بالله في الشافي ٣/١٤٦، والأمير الحسين في الينابيع قال: وهذا الخبر مما احتج به أمير المؤمنين عليه السلام يوم الشورى بمحضر الصحابة ولم ينكر عليه منهم منكر انتهى. قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة الحاكم ٣/١٠٤٣: أما حديث الطبري فله طرق كثيرة، وقد أفردتها في مصنف ومجموعها يوجب أن يكون له أصلاً، وابن الأثير في أسد الغابة ٤/٣٠، وأخرجه صاحب فضائل الخمسة بكل طرقة ٢/١٨٩، ١٩٥، وابن البطريق في العمدة ١٣٠، وتذكرة الخواص ٤٤، وتهذيب التهذيب في ترجمة أبي الهندي ١٢/٢٦٨، وأخبار أصبهان لأبي نعيم ١/٢٣٢، وميزان الاعتدال رقم ٢٢٨٠، وتاريخ بغداد ٩/٣٦٩، ومصابيح السنة ٢/٥١٧ برقم ٢٦٧٧، وترجمة الإمام علي لابن عساكر ٢/١٠٥ و١٥٨ برقم ٦١٢ - ٦٤٥، وجامع الأصول ٨/٦٥٣ برقم ٦٤٩٤، وأسد الغابة ٤/١٠٤، وكنز العمال ٣٩٦٤ - ٣٦٥٠٥، والجامع الكبير للسيوطي ١٦/٢٦٩ برقم ٧٩١٦، ٧٩١٨، ٧٩١٩، والعلل المتناهية لابن الجوزي ١/٢٢٥، ولسان الميزان ١/٧١، ٨٥، والعقيلي في الضعفاء ١/٤٦، ٨٣/٤، ١٨٩. والبدية والنهاية لابن كثير ٧/٣٨٧، وكفاية الطالبين ٤٤، وابن عدي في الكامل ١/٢١٤، وحلية الأولياء ٥٤/٣٩٥، ٦/٣٧١ برقم ٨٩٧٣، ومختصر مسند البزار لابن حجر العسقلاني ٢/٣١٥ - ٣١٦ برقم ١٩٢٥ - ١٩٢٦، وكشف الأستار ٢٥٤٨. وقد أفرد السيد الميلاني له جزأين ١٣، ١٤، وأخرج جميع من روى هذا الحديث، وبين طرقة، ورد على من ضعفه فتأمل.

وروينا عن ابن عباس قال : بينما رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة إذ بدت
رمانة من الكعبة ، فاخضراً المسجد لحسن خضرتها ، فمد رسول الله ﷺ يده
إليها فتناولها ومضى رسول الله ﷺ في طوافه ، فلما انقضى طوافه صلى
بالمقام ركعتين ، ثم فلق الرمانة نصفين كأنها قدت ، فأكل النصف وأطعم علياً عليه السلام
النصف فرنخت [أي استرخت] أشداقهما لعذوبتها ، ثم التفت
رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال : « إن هذه قطف من قطف الجنة لا يأكله إلا
نبي أو وصي نبي ولولا ذلك لأطعمناكم » وروينا عن زيد الباهلي أن رسول الله
ﷺ أخى بين المسلمين وقال : « يا علي أنت أخي ، أنت مني بمنزلة هارون من
موسى إلا أنه لا نبي بعدي ، أما علمت يا علي أن أول من يدعى به يوم القيامة
يُدعى بي ، فأقوم عن يمين العرش في ظلّه فأكسى حُلّة خضراء من حلل الجنة ، ثم
يدعى بالنبين بعضهم على بعض فيكونون سَمَاطِينَ ^(١) عن يمين العرش ، ثم
يكسون حلالاً خضراً من حلل الجنة ، وإني أخبرك يا علي أن أمّتي أول الأمم
يحاسبون ، ثم إنه أول من يدعى بك لقرابتك مني ومنزلتك عندي ، ويدفع إليك
لوائِي وهو لواء الحمد ، وتسير به بين السماطين ، آدم عليه السلام وجميع خلق الله
يستظلون بظل لوائِي يوم القيامة طوله مسيرة ألف سنة ، سنامه يا قوتة حمراء ،
قصبته من فضة بيضاء ، زُجُهُ ^(٢) درة خضراء ، له ثلاث ذوائب من نور : ذؤابة في
المشرق ، وذؤابة في المغرب ، والثالثة وسط الدنيا ، مكتوب عليه ثلاثة أسطر :
الأول بسم الله الرحمن الرحيم ، والثاني الحمد لله رب العالمين ، والثالث لا إله إلا
الله محمد رسول الله ، طول كل سطر مسيرة ألف سنة ، وعرضه مسيرة ألف
سنة ، فتسير باللواء والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتى تقف بين يدي

(١) سَمَاطُ القوم : صفهم . قاموس ٨٦٧ .

(٢) الزُّجُ : الحديدة التي في أسفل الرمح . مختار الصحاح ٢٦٨ .

إبراهيم عليه السلام في ظل العرش ، ثم تكسى حلة خضراء ، ثم ينادي مناد من تحت العرش نعم الأب أبوك إبراهيم ، ونعم الأخ أخوك علي ، أبشريا علي إنك تكسى إذا كُسيْتُ ، وتُدعى إذا دُعيتُ ، وتُحى إذا حُببتُ^(١) . وروينا بالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ : «يا علي أنت فارس العرب ، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين ، وأنت رفيقي في الجنة ، وأنت أخي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ، وأنت سيف الله الذي لا يخطئ»^(٢) .

وروينا^(٣) بالإسناد عن عامر بن واثلة قال : كنت على الباب يوم الشورى إذ دخل علي عليه السلام وأهل الشورى وحضرهم عبدالله بن عمر فسمعت علياً عليه السلام يقول : «بايع الناس أبا بكر ، فسمعت وأطعت ، ثم بايعوا عمر فسمعت وأطعت ، ثم يريدون أن يبايعوا عثمان إذا أسمع وأطيع ، ولكني محتج عليكم : أنشدكم الله هل تعلمون فيكم أحق برسول الله ﷺ مني ؟ قالوا : اللهم لا . قال : أنشدكم بالله هل فيكم من أحد له عمٌ مثل عمي حمزة أسد الله وعم رسوله وسيد الشهداء؟ قالوا : اللهم لا . قال : أنشدكم بالله هل فيكم من أحد له أخٌ كأخي جعفر له جناحان يطير بهما مع الملائكة ؟ قالوا : اللهم لا . قال : أنشدكم بالله هل فيكم من أحد له زوجة مثل زوجي فاطمة سيدة نساء الجنة؟ قالوا : اللهم لا . قال : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم ﷺ هل فيكم من

(١) في (ب) : وتُحى إذا حُببت . مناقب المغازلي ٤٦ .

(٢) أمالي أبي طالب ص ٦٦ ، وورد برواية أنت قاتل الناكثين والمارقين والقاسطين في المصادر التالية : ترجمة الإمام علي لابن عساكر ١/٢٠٠ - ٢١٤ برقم ١١٢٠٦ إلى ١٢١٩ ، ومجمع الزوائد ٧/٢٣٨ ، و ٩/٢٣٥ ، ومختصر الزوائد ٢/١٧٤ برقم ١٦٤٠ ، وابن عدي في الكامل ٢/٢٣٦ ، والمعجم الأوسط ٨/٢١٣ برقم ٨٤٣٣ ، وتلخيص الحبير ٤/٤٤ ، وأسد الغابة ٤/١٠٨ ، ومستدرک الحاکم ٣/١٣٩ ، والسيوطي في الدر المنثور ٥/٧٢٥ ، وتاريخ بغداد ٨/٣٠٤ ، والبدایة والنهاية ٧/٣٣٨ - ٣٣٩ ، والسيوطي في الجامع الكبير ١٦/١٦٨ - ١٦٩ .

(٣) مناقب المغازلي ٢٤٦ ، وكفاية الطالب ٣٨٩٦ ، وميزان الاعتدال ١/٢٠٥ .

أحد له سبطان مثل سبطي الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة^(١)؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم ﷺ هل فيكم من أحد وحد الله قبلي؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال^(٢) : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم أيها نفر جميعاً هل فيكم من أحد صلى القبلتين غيري^(٣)؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد نصر أبوه رسول الله ﷺ وهو مشرك^(٤) غيري؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً غيري؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد أقتل لمشركي قريش في حرب رسول الله ﷺ وإخراجه ناجزاً عنه عند كل شديدة تنزل مني؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله هل فيكم من أحد مسح رسول الله ﷺ عينيه وأعطاه الراية يوم خيبر وقال : لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله عليه ، ليس برعديد ولا جبان غيري؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله وبحق

(١) يعني بهما يحيى بن زكريا ، وعيسى بن مريم سلام الله عليهما .

(٢) من هنا تبدأ النسخة الأصل والتي بخط المؤلف . ظن .

(٣) المعلوم أن النبي ﷺ صلى في المدينة إلى بيت المقدس ثم حولت القبلة إلى الكعبة . وعليه فليس في هذا احتجاج ، ولكن علياً عليه السلام صلى قبل الناس مع رسول الله سبع سنين وكانت القبلة هي بيت المقدس وكان الرسول يحب التوجه إلى الكعبة ؛ لأنها قبلة آباءه .

(٤) بمعنى نصر النبي ﷺ وهو مشرك ، ثم أسلم واستمر في النصر ، وهو متظاهر بالشرك ؛ لأنه كنتم إسلامه وهذه من مناقبه ؛ لأن القوم الذين احتج عليهم علي عليه السلام لم يعرف من آباؤهم إلا الشرك والمعارضة للنبي ﷺ ، وأما إسلام أبي طالب فمشهور فهو الذي ظل يدافع عن رسول الله ﷺ قرابة نصف قرن وعندما مات ، سمي رسول الله ﷺ ذلك العام : عام الحزن وقد روي عن علي عليه السلام (ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبدمناف صنما قط . قيل فماذا كانوا يعبدون؟ قال : كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم الخليل متمسكين به) . وقد أفرد العلامة زيني دحلان كتاباً في ذلك وسمّاه (أسنى المطالب في إسلام أبي طالب) .

نبيكم هل فيكم من أحد نصبه رسول الله ﷺ للناس ولكم يوم غدير خم ،
 فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه غيري ؟
 قالوا : اللهم لا . قال : فأنشدكم بالله هل فيكم من أحد واخاه رسول الله
 ﷺ يوم آخى بين المسلمين وقال له : أنت أخي وأنا أخوك ترثني وأرثك ، وأنت
 مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال :
 فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد بارز عمراً بن عبد ود . يوم الخندق
 وقتله غيري ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله وبحق رسول الله
 ﷺ هل فيكم من أحد وقف مع الملائكة يوم حنين غيري - حين ذهب الناس - ؟
 قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد
 اشتاقت الجنة إلى رؤيته بقول نبيكم غيري ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال :
 فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد هو وصي رسول الله ﷺ في
 أهله غيري ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله هل فيكم من أحد له
 سبق مثل سبقي في الإسلام ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله
 وبحق نبيكم هل فيكم من أحد ورث سلاح رسول الله ﷺ ودوابه عند موته
 غيري ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من
 أحد له شقيق مثل شقيقي ، ووزير مثل وزير^(١) ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال :
 فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد هو أغنى عن رسول الله ﷺ
 مني حين اضطجع في مضجعي^(٢) ، وأضجعتني في مضجعه ، وبذلت له مهجة دمي
 وأقيه بنفسي ؟ قالوا : اللهم لا نعلمه . قال : فأنشدكم بالله ، وبحق نبيكم هل

(١) هكذا في المخطوطات . في هامش الأمالي الصغيرى ص ١١٩ ما لفظه : في هامش نسخة العلامة
 محمد يحيى مطهر : الشقيق : يحتمل أن يكون أراد به جعفر (ع) كل ذلك بشرف انفرادهم ،
 وكذلك الوزير يحتمل الأخ كما تقدم . انتهى ذكر معناه حميد في محاسنه . تمت .

(٢) في نسخة : مضجعه .

فيكم من أحد له سهمان كسهمي سهم في الخاصة ، وسهم في العامة؟ قالوا: اللهم لا نعلمه . قال: فأنشدكم بالله ، وبحق نبيكم هل فيكم من أحد هو أحدث عهداً برسول الله ﷺ مني؟ قالوا: اللهم لا نعلمه . قال: فأنشدكم بالله ، وبحق نبيكم ، هل فيكم من أحد وكلي غسل رسول الله ﷺ بالروح والريحان مع الملائكة المقربين غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه . قال: فأنشدكم بالله ، وبحق نبيكم ، هل فيكم من أحد قال له رسول الله ﷺ : اغسلني فإنه لا يرى أحد شيئاً من عورتي إلا عمي غيرك يا علي؟ ، قالوا: اللهم لا نعلمه . قال: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد وضع رسول الله ﷺ في حفرة ولف عليه أكفانه غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه . قال: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم ، هل من أحد أمر الله بمودته من السماء حيث يقول : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى: ٢٣] غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه . قال: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد جار رسول الله ﷺ في مسجده ، يحل له فيه ما يحل لرسول الله ، ويحرم عليه ما يحرم على رسول الله ﷺ ، وأمر الله نبيه بسد أبواب المهاجرين ، وأخرجهم غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه . قال: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد قال له رسول الله ﷺ حين قال له ذووا قرابته : سددت أبوابنا وأخرجتنا من مسجدك ، وتركت علياً ﷺ فقال رسول الله ﷺ : ما أنا بأخرجتكم ، ولا سددت أبوابكم ولا تركت علياً ، لكن الله أمرني بإخراجكم ، وترك علياً ولم يخرجهم؟ قالوا: اللهم لا نعلمه . قال علي ﷺ : اللهم اشهد ، وكفى به شهيداً بيني وبينكم ، أسمع وأطيع وأتبع وأصبر حتى يأتي الله بالفتح من عنده ، شأنكم فاصنعوا ما بدا لكم ، ثم قال هذه الآيات :

محمد النبي أخي وصهري وحمزة سيد الشهداء عمي

وجعفر الذي يضحى ويمسي
وبنت محمد سكني وعرسي
وسبطا أحمد ولدائي منها
سبقتكم إلى الإسلام طراً
وأوجب بالولاية لي عليكم
رسول الله يوم غدیر خم

وروينا بالإسناد عن أبي الفرج عبدالواحد بن محمد الخنزومي الشاعر المعروف بالبغفا^(١)، قال: كنت بصور في سنِّي نيف وخمسين وثلاثمائة عند أبي علي محمد بن علي المستأمن، وإنما لقب بذلك لأنه استأمن من عسكر القرامطة إلى أصحاب السلطان بالشام وهو على حماية البلد، فجاءه قاضيها أبو القاسم بن إبان وكان شاباً أديباً فاضلاً جليلاً واسع المال عظيم الثروة ليلاً فاستأذن عليه فأذن له، فلما دخل عليه، قال: أيها الأمير قد حدث الليلة أمر ما لنا بمثله عهد، وهو أن في هذه البلد رجلاً ضريراً، يقوم كل ليلة في الثلث الأخير فيطوف في البلد ويقول بأعلى صوته: يا غافلين اذكروا الله، يا مذنبين استغفروا الله، يا مبغض معاوية عليك لعنة الله، وأن رأيتي التي ربتني كانت لها عادة في أن تنتبه على صياحه، فجاءتني الليلة وأيقظتني قالت: كنت نائمة فرأيت في منامي كأن الناس يهرعون إلى المسجد الجامع فسألت عن السبب، فقالوا: رسول الله ﷺ هناك؛ فتوجهت إلى المسجد فدخلته ورأيت النبي ﷺ على المنبر وبين يديه رجل واقف، وعن يمينه ويساره غلامان واقفان، والناس يسلمون على رسول الله ﷺ ويرد عليهم السلام، حتى رأيت ذلك الضرير الذي يطوف في البلد ويذكر، ويقول: كذا وكذا - وأعاد ما يقوله في كل ليلة - قد دخل فسلم على النبي ﷺ فأعرض عنه، وعأوده فأعرض عنه، فقال الرجل الواقف: يا رسول الله

(١) قال في الحاشية: لقب بذلك للثغة كانت فيه.

رجل من أمتك ضرير يحفظ القرآن يسلم عليك فلم حرمة الرد عليه؟ فقال له :
يا أبا الحسن هذا يلعنك ويلعن ولدك منذ ثلاثين سنة ، فالتفت الرجل الواقف
فقال : يا قنبر ، فإذا أنا برجل قد برز ، فقال : اصفعه فصفعه صفقة فخر على
وجهه ، ثم انتبهت فلم أسمع له صوتاً ! وهذا هو الوقت الذي جرت عاداته
بالصياح والطواف والتذكير . قال أبو الفرج : فقلت أيها الأمير تنفذ من يعرف
خبره ، فأنفذنا في الحال رسولا قاصداً ليخبر أمره ، فجاءنا يُعرفنا أن امرأته ذكرت
أنه عرض له في هذه الليلة حكاك شديد في قفاه^(١) فمنعه من التطواف والتذكير ،
فقلت لأبي علي المستأمن : أيها الأمير هذه آية ونحب أن نشاهدها ، فركبنا وقد
بقيت من الليل بقية يسيرة ، وجئنا إلى دار الضرير فوجدناه نائماً على وجهه
يخور ، فسألنا زوجته عن حاله ، فقالت : انتبه وحك هذا الموضع ، وأشارت إلى
قفاه ، وكان قد ظهر فيه مثل العدسة ، وقد اتسعت الآن وانتفخت وتشققت ، وهو
الآن على ما تشاهدون يخور ولا يعقل ، فانصرفنا وتركناه ، فلما أصبح توفي
فأكب أهل صور على تشييع جنازته وتعظيمه . قال أبو الفرج : واتفق أني لما
وردت إلى باب عضد الدولة بالموصل في سنة ثمان وستين وثلاثمائة لزمْتُ دار
خازنه أبي نصر خرشيد يزديار بن مافته ، وكان يجتمع فيها كل يوم خلق كثير من
طبقات الناس ، فحدثت بهذه الحكاية جماعة في دار أبي نصر : منهم القاضي أبو
علي التنوخي رحمه الله ، وأبو القاسم الحسين بن محمد الجنابي ، وأبا إسحاق
النصيبي ، وابن طرخان وغيرهم ، فكلهم ردَّ عليَّ واستبعد ما حكيتُه عليَّ أشنع
وجه غير القاضي أبي علي رحمه الله فإنه جوزَّ أن تكون هذه الحكاية صحيحة
وشيدها وحكى في مقابلتها ما يقاربها ، ثم مضت عليَّ هذه مُدِدة^(٢) يسيرة ،

(١) في الأصل سقطت (قفاه) .

(٢) في الأصل : (مدة) .

فحضرت دار أبي نصر على العادة واتفق حضور أكثر الجماعة ، فلما استقر بي المجلس سلم عليّ فتى شاب لم أعرفه فاستثبته . فقال : أنا ابن أبي القاسم بن أبان قاضي صور ، فبدأت فأقسمت عليه بالله يمينا مكررة مؤكدة وبأيمان كثيرة مغلظة محرجة إلا صدق فيما أسأله عنه ، فقال : نعم عندي أنك تريد أن تسألني عن المنام والضرير المذكر وميتته الطريفة ، فقلت : نعم هو ذاك فبدأهم وحدثهم بمثل ما حدثهم به ، فعجبوا من ذلك واستطرفوه وأنشد الساري قال أنشدنا والذي لنفسه :

لن يبلغوا مدح النبي وآله قوم إذا ما بالمدائح فاهوا
رجل يقول إذا تحدث قال لي جبريل أرسلني إليك الله
وهو ﷺ في الجهاد السابق في الميدان ، المبيد للأقران ، المقطر للشجعان
روينا عن مصعب بن سعد عن أبيه قال : قال لي معاوية : أتجب عليا ؟ قلت :
وكيف لا أحبه وقد سمعت النبي ﷺ يقول له : أنت مني بمنزلة هارون من
موسى غير أنه لا نبي بعدي ، ولقد رأيته بارز يوم بدر وهو يحمم كما يحمم
الفرس ، ويقول :

(ما تنقم الحرب العوان مني)^(١)

بازل عامين حديث سني سنحنح الليل كأنني جنني
ثم قال : لئله هذا ولدتني أُمي

فما رجع حتى خضب سيفه دماً^(٢) . وروينا عن عبدالله قال : دخل علي بن
أبي طالب ﷺ - يوم قتل عمرو بن عبد ود - على رسول الله ﷺ وسيفه

(١) ما بين القوسين في (أ) فقط . والعوان : من الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة كأنهم جعلوا
الأولى بكرا . مختار الصحاح ٤٦٣ .

(٢) مناقب ابن المغازلي ٤٨ رقم ٤٨ ، وعمدة عيون الصحاح ١٨١ برقم ٢٠٧ ، وينايع المودة ١٤ /

يقطر دماً فقال ﷺ والله : اللهم اتحف علياً بتحفة لم تتحف بها أحداً قبله ، ولا تتحف بها أحداً بعده ، قال : فهبط جبريل على النبي ﷺ بأترجة ، فإذا فيها سطران مكتوبان : هدية من الطالب الغالب إلى علي بن أبي طالب^(١) ، وأنشد ﷺ في قتل عمرو بن عبد ود :

أعليّ تقتم الفوارس هكذا	عني وعنهم أخبروا أصحابي
اليوم يمنعي الفرار حفيظتي	ومصمّم في الهام ليس بنايبي
ألى ابن عبد حين شدّ أليّة	وحلفت فاستمعوا من الكذاب
أن لا يصد ولا يهمل فالتقى	رجلان يضطريان أي ضراب
فصدت حين رأته متقطراً	كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو انني	كنت المقطر بزني أثوابي

وروينا عن سعيد بن المسيب قال : لقد أصابت علياً ﷺ يوم أحد ست عشرة ضربة ، كل ضربة تلزمه الأرض ، فما كان يرفعه إلا جبريل ﷺ .

وروينا عن المنتجع بن قارض النهدي أن أباه حدثه ، وكان جاهلياً قال : شهدت هوازن يوم هوازن ، وكنت امرأ ندباً سودني قومي ، ولقينا رسول الله ﷺ ، فرأيت في عسكره رجلاً لا يلقاه قرن إلا دهمه ، ولا يبرز إليه شجاع إلا أرداه ، فصمد له وبرز إليه الجلموز بن قريع ، وكان والله ما علمته حوشي القلب ، شديد الضرب ، فأهوى له الرجل بسيفه ، فاخلى قحف رأسه على أم دماغه ، فحدتُ عنه وجعلتُ أرمقه وهو لا يقصد ركافة ، ولا يؤمُّ إلا صناديد الرجال ، لا يدنو من رجل إلا قتله ، وكانت الدائرة لمحمد ﷺ علينا ، فأسلمت بعد ذلك ، فتعرفتُ الرجل ، فإذا هو علي بن أبي طالب ﷺ ، وتالله لقد رأيت زنده فخلته أربع أصابع ، وإن أول خنصره كأخر مفصل من مرفقه . وروينا عن عبدالله

(١) كفاية الطالب للكنجي ٧٨ .

ابن الحسن عليه السلام قال: بارز علي بن أبي طالب عليه السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين مبرزاً.

وروينا في خبر أنه صلى الله عليه وآله لما قفل من غزوة تبوك، وقسم للناس الغنائم، دفع إلى علي عليه السلام سهمين، فأنكر ذلك قوم! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها الناس هل أحدٌ أصدق مني؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: أيها الناس أما رأيتم صاحب الفرس الأبلق أمام عسكرينا في الميمنة مرة، وفي اليسرة؟ قالوا: رأيناه يا رسول الله. فماذا؟ قال: ذلك جبريل عليه السلام قال لي يا محمد: إن لي سهماً مما فتح الله عليك، وقد جعلته لابن عمك علي بن أبي طالب فسلمه إليه، قال أنس: فكنت فيمن بشر علياً عليه السلام بقول رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان عليه السلام في العلم البحر الذي لا ينتهي إلى قراره، والغمام الذي لا يقلع ديمة مدراره.

وقد روينا بالإسناد الموثوق به إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»^(١) وقال صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة الحكمة

(١) ابن عساكر ٤٦٤/٢ برقم ٩٨٤-٩٩٧، وشواهد التنزيل للحسكاني ١/٣٣٤ برقم ٤٥٦، والحاكم في المستدرک ٣/١٢٦، ١٢٧، وأسد الغابة ٤/٩٥، وابن المغازلي ٨١، وكفاية الطالب ٢٢٠، وبتايع المودة ٧٧، والاستيعاب ٣/٢٠٥، وابن أبي الحديد ٧/٢١٩، وذخائر العقبى ٧٧، وجامع الأصول ٩/٤٧٣ برقم ٦٤٨٩، وفضائل الخمسة ٢/٢٥٠، ومسند الكلابي ٣٦٣، والجامع الصغير للسيوطي ١/٤٥١، والجامع الكبير للسيوطي ١٦/٢٥٩ برقم ٧٨٨١، والرياض النضرة ٢/٢٥٥، والعقيلي في الضعفاء ٣/١٥٠، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ١/٣٠٨ برقم ٣٤٦، وتاريخ جرجان ٦٥، والبدایة والنهاية لابن كثير ٧/٣٩٦، وتفسير القرطبي ٩/٣٣٦، والصواعق المحرقة ٣٣٧، وحاري الفتاوى للسيوطي ٢/١١٧، وتهذيب التهذيب ٧/٣٨٧، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٥٩، والفوائد المجموعة للشوكاني ٣٤٩. والفردوس للديلمی ١/٤٤، وتاريخ بغداد للخطيب ٤/٣٤٨، ٧/١٧٣، ١١/٤٨، والمواهب اللدنية ١/١٨٣، والطبراني في الكبير ١١/٦٦، وأسنى المطالب في مناقب آل أبي طالب ٦٩، وابن عسدي في الكامل ١/١٩٣، ١٩٥، ٣/١٢٤٧، وابن الجوزي في الموضوعات ١/٣٥٠-٣٥٣، ومجمع الزوائد ٩/١١٧، والأميني في الغدير ٦/٦١، من مائة وثلاثة وأربعين مصدرًا، وكنز العمال برقم ٣٢٩٧٨، ٣٢٩٨٠، ٣٦٤٦٣، ولقد خصص له الميلاني ثلاثة مجلدات من كتابه نفحات الأزهار ١٠، ١١، ١٢.

وعلي بابها، فمن أراد الحكمة، فليأت الباب^(١)، وعن عمر أنه قال: لا أبقاني الله لمعضلة لا أرى فيها ابن أبي طالب^(٢)، وعنه: «لولا علي لهلك عمر»^(٣). وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: وجدنا العلم على ستة أسداس: لعلني منها خمسة أسداس خاصة، ولسائر الناس سدس واحد، ويشاركهم فيه. وعنه رحمه الله تعالى قال: «لعلني عليه السلام خصال قواطع: بسطة في العشييرة، وصهر بالرسول صلى الله عليه وآله، وعلم بالتنزيل، وفقه بالتأويل، وصبر إذا دعيت نزال».

وعنه في صفة أمير المؤمنين عليه السلام: «كان والله يشبه القمر الباهر، والحسام الباتر، والربيع الباكر، والفرات الزاخر، والليث الخادر، فأشبهه من القمر ضوءه وبهائه، ومن الحسام حدّه وجلّاءه، ومن الربيع خصبه وحيّاءه، ومن الفرات جوده وسخّاءه، ومن الليث شجاعته ومضّاءه».

وروينا عن سعيد بن كلثوم قال: كنت عند جعفر بن محمد، فذكر علي بن أبي طالب عليه السلام فأطراه، ثم قال: والله ما أكل علي من الدنيا حراماً قط حتى مضى لسبيله، وما عرض له أمران قط هما لله برضى إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه، وما نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله نازلة إلا دعاه فقدمه أمامه ثقة به، وما أطاق عمل رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الأمة غيره، وإن كان ليعمل عمل رجل كأن وجهه

(١) الترمذي ٥٩٦/٥ برقم ٣٧٢٣، وتاريخ بغداد ١١/٢٠٤، ومناقب أحمد ٢ برقم ١٠٨١، ولسان الميزان ٤/٣٣٢، ٥/٧٠، وابن عدي ٥/١٨٢٣، ومصابيح السنة للبغوي ٢/٥١٦ برقم ٢٦٧٩، وذخائر العقبى ٧٧، وكنز العمال ١١/٦٠٠ برقم ٣٢٨٨٩، ومناقب ابن المغازلي ١١٩ برقم ١٢٨.

(٢) فرائد السمطين ١/٣٨٤، والفخر الرازي ١٦/٣٢/١١ تفسير سورة التين، وذخائر العقبى ٨٢، وابن عساكر ٣/٥٠.

(٣) الأحكام ٢/٢٢٠، مجموع الإمام زيد ٣٣٥، وفرائد السمطين ١/٣٥١، الرياض النضرة ٢/١٩٤، الغدير ٦/٨٣، وأسد الغابة ٣/٢٠٦.

بين الجنة والنار، يرجو ثواب هذه، ويخاف عقاب هذه، ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله، والنجاة من النار، مما كدَّ بيده، ورشح منه جبينه، وإن كان ليقوت أهله بالزيت والحل والعجوة، وما كان لباسه إلا الكرايس، إذا فضل شيء عن يده من كمه دعا بالجلم فقصه، وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحد، وإن كان أقرب القوم شبيهاً به في لباسه وفقهه علي بن الحسين عليهما السلام.

وعن عروة بن الزبير قال: كنا جلوساً في مسجد رسول الله ﷺ، فتذاكرنا أعمال بدر، وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: ألا أخبركم بأقل القوم مالاً، وأكثرهم ورعاً، وأشدهم اجتهاداً في العبادة؟ قالوا: من هو؟ قال: علي ابن أبي طالب، قال: فوالله إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرض عنه بوجهه، ثم ابتدر له رجل من الأنصار فقال له: يا عويمر لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها فقال أبو الدرداء: يا قوم إنني قائل ما رأيت، وليقل كل امرء ما رأى؛ شهدت علياً عليه السلام، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بفسلان النخل، فافتقدته فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين، ونغمة شجي، وهو يقول: إلهي كم من موقفة حلمت عن مقابلتها بنعمتك، وكم من جريرة تكلمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براج غير رضوانك، فشغلني الصوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو علي عليه السلام بعينه، فاستترت منه، وأخملت الحركة، فركعت ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فزع إلى الدعاء والاستغفار والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما ناجى به ربه أن قال: إلهي أفكر في عفوك فتتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليه بليتي، ثم قال: آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيتها وأنت محصيتها، فتقول: خذوه، فياله من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملائكة إذا أذن فيه بالنداء، ثم قال: آه من نار تنضج الأكباد والكلبي، آه من نار نزاعة للشوى، آه من ملهبات لظى.

قال: ثم أنعم في البكاء فلم أسمع له حساً ولا حركة، فقلت: غلبه النوم بطول السهر، أوقفه لصلاة الفجر فأنتبه، فإذا هو كالخشب الملقاة، فحركته فلم يتحرك، فزويته فلم ينزوا، فقلت: إنا لله وإنا لله راجعون، مات والله علي بن أبي طالب، قال: فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبا الدرداء هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق، فنظر إلي وأنا أبكي، فقال: ما بكأؤك؟ فقلت: مما أراه تنزله بنفسك، فقال: يا أبا الدرداء فكيف لو رأيتني وقد دعيت إلى الحساب، وأيقن أهل الجرائم بالعقاب^(١)، واحتوشنتني ملائكة غلاظ، وزبانية أفظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبار قد أسلمني الأحباء، ورحمني أهل الدنيا؛ لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية!

قال أبو الدرداء: ما رأيت أحداً من أصحاب محمد ﷺ مثل ذلك.

وروينا عن محمد بن السائب عن أبي صالح قال: دخل ضرار بن ضميرة الكناني على معاوية، فقال له: صف لي علياً، فقال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعفيك، قال: إذ لا بد، فإنه كان والله بعيد المدا، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه^(٢)، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وكان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفيه، ويحاسب نفسه، يُعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن.

كان والله كأحدنا يدنيننا إذا آذناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع قربه منا لا نكلمه هيباً منه، وإن تبسم فمثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا يياس الضعيف من عدله، فأشهد بالله

(١) في (ج): بالعذاب.

(٢) في (ب، ج): نواجهه.

لقد رأيت في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، مُمثلاً في محرابه، قابضاً على لحيته، يتململ تلمل السليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأنني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا يتضرع إليه، ثم يقول للدينا: أبي تعرّضت، أم بي تشوّقت، هيهات هيهات غريّ غيري لا حان حينك، قد بتتُك ثلاثاً، فعمرك قصير، وخطرك كبير، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق، قال: فوكفت دموع معاوية على لحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمّه، وقد اختنق القوم بالبكاء، فقال: كذا كان أبو الحسن فكيف وجدك عليه يا ضرار؟ قال: وجدُّ من دُبِحَ واحدها في حجرها، لا ترقأ دمعها، ولا يسكن حزنها، ثم قام فخرج^(١).

وروينا عن زيد بن علي عليهما السلام قال: اجتمع نفر من قريش فيهم علي ابن أبي طالب عليه السلام فتفاخروا، فقالوا شيئاً من الشعر حتى انتهوا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا: يا أبا الحسن قل فقد قال أصحابك، فقال عليه السلام:

الله أكرمنا بنصر نبيه	وبنا أقام دعائم الإسلام
وبنا أعزّ نبيه وكتابه	وأعزّه بالنصر والإقدام
في كل معترك تطير سيوفنا	فيها الجماجم من قراح الهام
ينتابنا جبريل في أبياتنا	بفرائض الإسلام والأحكام
فنكون أول مستحلّ حله	ومحرمّ لله كل حرام
نحن الخيار من البرية كلها	ونظامها وزمام كل زمام
الخائضو غمرات كل كريمة	والضامنون حوادث الأيام
والبرمون قوى الأمور بعزمهم	والناقضون مراير الإبرام
سائل أبا كرب وسائل تبعاً	عنا وأهل العير والأزلام
إننا لنمنع من أردنا منعهم	ونجود بالمعروف والإنعام

(١) حلية الأولياء ١/١٢٦ رقم ٣٦١، والاستيعاب ٣/٢٠٩ وصفة الصفوة.

وترد عادية الخميس سيوفنا وتقيم رأس الأصيد القمقام^(١)
 وروينا عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: قال أهل الشام لمحمد بن
 الحنفية، وقد برز في بعض أيام صفين: هذا ابن أبي تراب، هذا ابن أبي تراب،
 فقال لهم محمد بن الحنفية: إخشوا ذرية النار، وحشو النفاق، وحصب جهنم
 أنتم لها واردون، عن الأسل النافذ، والنجم الثاقب، والقمر المنير، ويعسوب
 المؤمنين، من قبل أن تلمس وجوه فتردّ على أديارها، وتلعنوا كما لعن أصحاب
 السبت، وكان أمر الله مفعولاً.

أو لا تدرون أي عقبة تتسمنون، بل ينظرون إليك وهم لا يبصرون، أصنّو
 رسول الله ﷺ تستهدفون؟ ضلة بكم، هيهات برز والله بسبق، وفاز بخصل
 محرزاً القصبات سبقه، فأنحسرت عنه الأبصار، وتقطعت دونه الرقاب،
 واحتفزت دونه رجال، وكرتهم السعي، وفاتهم الطلب، وأنى لهم التناوش من
 مكان بعيد. فخفضاً أقلّوا لا أباً لأبيكم من اللوم، أو سدوا المكان الذي سدوا،
 وأنى تسدون مسدّ أخي رسول الله ﷺ إذ شفّعوا، وشبيهه هارون إذ منحوا،
 والبادي يبدر إذا ابتدروا، والمدعو إلى خيبر إذ نكلوا، والصابر مع هاشم يوم
 هاشم إذ حصّلوا، والخليفة على المهاد ومستودع الأسرار!

تلك المكارم لا قعبان من لبن شيباً بماء فعابدا بعد أبوالا
 وأنى يبعد عن كل مكرمه وعلاً وقد ثمته ورسول الله أبوة، وتفيثا في ظل،
 ودرجا في سكن، ورئيا في حجر، منتجبان مطهران من الدنس، فرسول الله
 ﷺ للنبوة، وأمير المؤمنين ﷺ للخلافة، خلافة قد رفع الله عنها سنة
 الاستبداد، وطمس عنها وسم الذلة فقد حلأها عن شربها أخذاً بأكظامها،
 يرحضها عن مال الله حتى عضها الثقاف، ونمضها فرض الكتاب، فجرجرت
 جرجرت العود، فلفظته أفواهاها، ومجته شفاهها، ولم يزل على ذلك وكذلك،

(١) ديوان الإمام علي ص ٩٢، وتاريخ ابن عساكر ٤٢/٥٢٢.

حتى أقشع عنكم ريب الذلّة، واستنشقتم ريح^(١) النّصفة، وتطعمتمم قسمة السوء، سياسة مأمون الخرفة^(٢)، مكتهل الخنكة، طبُّ بأدوائكم، قمن بدوائكم، يبيت بالربوة، كاليا لحوزتكم، جامعا لقاصيتكم، يقتات الجريش، ويلبس الهدم، ويشرب الخمس، وأنتم تريدون أن تطفشوا نور الله بأفواهكم: ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

ثم إذا تكافح السيفان، وتبادرت الأقران، وطاح الوشيح، واستسلم الوشيظ وغمغمت الأبطال، ودعت نزال، وغردت الكماة، وقلصت الشفاه، وقامت الحرب على ساق، وسألت عن أبراق، الفيت أمير المؤمنين مثبتا لقطبها، مديرا لرحاها، دلافا للبهيم، ضرابا للقلل، سلابا للمهيج، تراكا للونية^(٣)، مُشكل أمهات، ومؤيم أزواج، ومؤتم أطفال، طامحا في الغمرة، راكدا للجولة، يهتف بأولها فتتكفى على أخراها، فأونة يكفاها، وفينة يطويها طي الصحيفة، وتارة يفرقها فرق الوفرة، فباي مناقب أمير المؤمنين تكذبون، وعن أي امرء مثل حديثه تروون، وربنا المستعان على ما تصفون، وتفصيل مناقبه ﷺ تخرجنا عن المراد وإنما نبهنا عن اليسير دون الكثير.

وقد روينا في مثل هذا المعنى عن النبي ﷺ أنه قال: «لو أن الغياض أقلام، والبحار مداد، والجن كتاب، والإنس حساب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب»، فكيف يروم أحد مع ذلك الإحاطة بمناقبه والإحصاء لمكارمه.

هذا وقد روينا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٦١] أن رسول الله ﷺ دعا عليا وفاطمة عليهما السلام، والحسن والحسين، فكانت الأنفس المراد بها نفس النبي ونفس علي صلوات الله عليهما، والنساء المراد بها فاطمة عليها السلام،

(١) في (ج): روح .

(٢) في (ب): الخرفة .

(٣) في (ج): للونية .

والأبناء المراد بها الحسن والحسين عليهما السلام^(١)، وهذا شرف لا يسامى،
وفضل لا يدانى، ومن مدحه مُحكم التنزيل؛ اِكْتَفِي فِي ظُهُورِ فَضْلِهِ عَنِ
التطويل، ولله القائل:

يفنى الكلام ولا يحاط بمدحك أحيط ما يفنى بما لا ينفد

ذَكَرَ بَيْعَتَهُ وَبَدَأَ مِنْ سِيرَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بُوعَ لَهُ ﷺ بِالْخِلاَفَةِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بَعْدَ الْعَصْرِ بِالْمَدِينَةِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ
ﷺ لثَمَانِ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَّتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ مِنَ الْهَجْرَةِ. وَهُوَ
اليوم الذي قُتِلَ فِيهِ عَثْمَانُ، وبُوعَ لَهُ فِي الْغَدِ يَوْمَ السَّبْتِ، وامتدت البيعة على ما
قيل ثلاثة أيام^(٢)، وأول من بايعه طلحة، ثم الزبير، ثم من حضر من المهاجرين
والأنصار وسواهم، وكان يأخذ البيعة على الناس عمّار بن ياسر، وأبو الهيثم بن
التَّيَّهَانِ، ولما بُوعَ لَهُ عَلَى مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَقَفَ خَزِيمَةُ بْنُ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ
بَيْنَ يَدَيْ الْمَنْبَرِ^(٣) وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

(١) ينابيع النصيحة ٣٤٩، ومسلم ١٨٧١/٤ فضائل علي ﷺ، والترمذي ٥٩٦/٥ رقم ٣٧٢٤،
وأحمد بن حنبل ٣٩١/١ رقم ١٦٠٨، والنسائي في الخصائص ٣٢ رقم ٩، والحاكم في مستدركه
١٣٣/٣، وشواهد التنزيل للحسكاني ١/١٢٠ برقم ١٧٦١٦٨، ومناقب ابن المغازلي ٣٣١ برقم
٣١٠، وكفاية الطالب ١٤١-١٤٤، وتفسير الطبري ٣/٢١١-٢١٣، وابن كثير ١/٣٧٠، وتفسير
الكشاف للزمخشري ١/٢٨٢-٢٨٣، وتفسير القرطبي ٢/٤٦٧، وأسباب النزول للواحدي ٥٨،
وفتح القدير للشوكاني ١/٣٤٧-٣٤٨. وتفسير الفخر الرازي ٤/٩٠-٩١ وجامع الأصول لابن
الأثير ٨/٦٥٠ برقم ٦٤٩١، وذخائر العقبى ٢٥، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٥٨ وتفسير الخازن ١/
٤٦٦، وتفسير البغوي ١/٤٦٧، وأسد الغابة ٤/٩٩، والإصابة ٢/٥٠٣، والهداية والنهاية لابن
كثير ٧/٣٧٦، وتفسير أبي السعود ٢/٤٦، ومصابيح السنة للبغوي ٢/٥٢١ برقم ٢٧٠٠، ومجمع
البيان ٢/٣٠١، والدر المنثور ٢/٦٨-٧٠، وتفسير المارودي ١/٣٩٨، والجلالين ٧٧، وتفسير
الميزان ٣/٢٢٩.

(٢) أعيان الشيعة ١/٤٤٣، والطبري ٤/٤٢٧، والاستيعاب ٣/٥٩ - ١٦٠.

(٣) في (ج): أمير المؤمنين.

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا
وجدناه أولى الناس بالناس إنه
وإن قریشاً ما تشق غباره
وفيه الذي فيهم من الخير كله
أبو حَسَنٍ مما نخاف من الفتن
أطب قریش بالكتاب وبالسنن
إذا ما جرى يوماً على الضمير البدن
وما فيهم كل الذي فيه من حسن
وقال خزيمه بن ثابت رحمه الله أيضاً عند اختلاف الناس على علي عليه السلام بعد
البيعة - وكان يسمي ذا الشهادتين ، قطع به رسول الله صلى الله عليه وآله وحده - :

ويلكم إنه الدليل على الله
وابن عم النبي قد علم الناس
كل خير يزينهم هو فيه
ثم ويل لمن يبسارز في الروع
ثم نادى أنا أبو الحسن القريني
ه وداعيه للهدى وأمينه
جيمعاً وصنوه وخدينه
وله دونهم خصال تزينه
ع إذا ضمت الحسام يمينه
م فلا بد أن يطيح قرينه

مركز تحقيق التراث (وقعة الجمل)

ولما استقرت له البيعة عليه السلام أتاه طلحة والزبير فاستأذناه للحج ، فقال :
ما الحج تريدان ! ولكن اذهبا فذهبا ، والتقوا بعائشة مقبلة من الحج ، وعبدالله بن
عامر ، وجاء يعلى بن منية ^(١) من اليمن - وكان عاملاً فيه لعثمان ، فاشتورا
واتفقت آراؤهم على الخروج إلى البصرة لمخالفة علي عليه السلام ، والطلب بدم عثمان ،
وهؤلاء من عيون أهل عصرهم في الدنيا والدين ^(٢) ، ولهذا قال علي عليه السلام : في
حربهم بليت بأشجع الناس في الناس - يعني الزبير ، وأطوع الناس في الناس -

(١) هو يعلى بن أمية ، ومنية هي أمه لقب بها . أسد الغابة ٤٨٦/٥ .

(٢) الطبري ٤٥٠/٤ ، والبداية والنهاية ٢٥٧/٧ ، والكامل ١٠٦/٣ ، ومروج الذهب ٣٥٦/٢ ،

وتاريخ يعقوبي ٧٩/٧ ، وكتاب الفتوح ٤٥١/٢ .

يعني عائشة، وأغنى الناس في الناس يعني - يعلى بن منية^(١)، وراودوا أم سلمة رضي الله عنها على الخروج معهم فأبت^(٢).

وكتبت عائشة إلى زيد بن صوحان العبدى: بسم الله الرحمن الرحيم من عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين زوجة النبي ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أما بعد: إذا جاءك كتابي هذا فأقم في بيتك، واخذل الناس عن علي حتى يبلغك أمري، وليبُلغني عنك ما أسرُّ به، فإنك من أوثق أهلي عندي والسلام. فلما قرأ كتابها قال: أُمِرْتُ بأمر وأمرنا بغيره، أُمِرْتُ أن تجلس في بيتها، وأن تَقْرَأَ فيه، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة، فركبت ما أمرنا، وتأمرنا أن نركب ما أمرت به^(٣). ثم إن عائشة وطلحة والزبير ومن انضاف إليهم ساروا حتى نزلوا البصرة، وفيها عامل علي عليه السلام عثمان بن حنيف رحمه الله تعالى، فهموا بقتله، ثم حبسوه وحلقوا لحيته، وقتلوا رجالاً كثيراً كانوا معه على بيت المال وغير ذلك من أعماله^(٤)، فلما بلغ علياً عليه السلام مسيرهم خرج مبادراً إليهم واستنجد أهل الكوفة، ثم سار بهم إلى البصرة وهم بضعة عشر ألفاً، فخرج إليهم طلحة والزبير وعائشة بأهل البصرة فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهُزِمَ عسكرُ عائشة، وأمر أمير المؤمنين صلوات الله عليه بردها إلى المدينة، وقد كان رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام: «إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر، فإذا كان ذلك فارددها إلى ما منها». وروينا أن علياً عليه السلام خرج على بغلة رسول الله ﷺ فنادى بأعلى صوته: «ادعوا لي الزبير، فدُعي به، فقال علي: أنشدك الله، أتذكر يوم مرَّ بك رسول الله ﷺ، ونحن في مكان كذا؟ فقال: يا زبير أتحب

(١) لاستيعاب ٣١٨/٢، وكتاب الفتوح ٤٦٣/٢.

(٢) كتاب الفتوح ٤٥٤/٢، وتاريخ يعقوبي ٧٨/٢.

(٣) لطبري ٤٧٦/٤، والبداية والنهاية ٢٦١/٧، وتاريخ يعقوبي ٨٠/٢.

(٤) الطبري ٤٦٩/٤، ومروج الذهب ٣٥٨/٢، وكتاب الفتوح ٤٥٩/٢.

عليًا؟ فقلت: ألا أحب ابن خالي وابن عمي، ومن على ديني! فقال: يا علي أتجبه؟ فقلت: ألا أحب ابن عمتي، ومن على ديني! فقال: يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت له ظالم، فقال الزبير: بلى والله لقد نسيت منذ سمعته، ثم تذكرته الآن، والله لا أقاتلك، فرجع الزبير يشق الصفوف، فعرض له ابنه عبد الله، فقال: مالك؟ قال: ذكّرني عليٌّ عليه السلام حديثًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لَتُقَاتِلَنَّهُ وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ»^(١) فلا والله لا أقاتله، ثم ولى وأنشد:

تَرَكُ الْأُمُورَ الَّتِي تُخْشَى عَوَاقِبُهَا لِّلَّهِ أَجْمَلُ فِي الدُّنْيَا وَفِي الدِّينِ
نَادَى عَلِيًّا بِأَمْرٍ لَسْتُ أَنْكَرُهُ قَدْ كَانَ عَمْرُؤُ أَبِيكَ الْخَيْرَ مُذْهِينِ
فَاخْتَرْتَ عَارًا عَلَيَّ نَارَ مُؤَجَّجَةٍ أَنِّي يَقُومُ لَهَا خَلْقٌ مِنَ الطَّيْنِ
ثم ذهب حتى نزل بوادي السباع، فقتله ابن جرموز وأتى برأسه عليًا عليه السلام
فقال: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «بشر قاتل ابن صفية بالنار»^(٢)
فقال ابن جرموز:

أَتَيْتُ عَلِيًّا بِرَأْسِ الزَّبِيرِ وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو بِهِ الزَّلْفَةَ
فَبَشَّرْتُ بِالنَّارِ قَبْلَ الْعِيَانِ فَبِئْسَتْ بَشَارَةٌ ذِي التَّحْفَةِ
فَسِيَانٌ عِنْدِي قَتَلَ الزَّبِيرَ وَضُرْطَةٌ عِنْدِي الْجُحْفَةُ^(٣)
ودعى عليٌّ عليه السلام أيضًا بطلحة فقال له: نشدتك الله، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ؟» قال: نعم. قال: فَلِمَ تُقَاتِلُنِي؟ قال: لم أذكر، وانصرف^(٤).
وروي أنه لما رُمي بسهم قال بعد ما أفاق من غشيته: ما رأيتُ مصرع قرشي

(١) أمالي أبي طالب ص ٧٠ .

(٢) لقرطبي ٢١١/٨ .

(٣) الاستيعاب ٩٢/٢ ، والبداية والنهاية ٢٦٩/٧ ، ومروج الذهب ٣٦٢/٢ ، وكتاب الفتوح ٢/٤٦٩ ، وتاريخ يعقوبي ٨١/٢ .

(٤) الاستيعاب ٣١٨/٢ ، ومروج الذهب ٣٦٤/٢ .

أضل من مصرعي . وروي أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه دفع رايته يوم الجمل إلى محمد بن الحنفية ، وقال : تقدم يا بني ، فتقدم ، ثم وقف ساعة ، فصاح به : اقتحم لا أم لك ، فحمل محمد وطعن بها في أصحاب الجمل طعناً منكراً فأعجب به ﷺ ، فجعل يُنشدُ :

اطعن بها طعن أبيك تُحمد لا خير في الحرب إذا لم توقد
ورجع ثم استل أمير المؤمنين ﷺ سيفه وحمل على القوم فضرب فيهم يمينا وشمالاً ورجع وقد انحنى سيفه فجعل يسويه بركبته ، فقيل له : نحن نكفيكها يا أمير المؤمنين ، فلم يجب أحداً حتى سواه ، ثم حمل ثانياً حتى اختلط بهم ، ثم رجع ، وقد انحنى سيفه فوق يسويه بركبته ، ويقول : والله ما أريد بذلك إلا وجه الله والدار الآخرة ، ثم التفت إلى ابنه محمد وقال : هكذا فاصنع يا بني . وخرج عمرو بن اليثربي وقتل ثلاثة من أصحاب أمير المؤمنين ، وطلب البراز ، فخرج إليه عمار ، وألقاه عن فرسه وجره حتى ألقاه بين يدي أمير المؤمنين ، فأمر بضرب عنقه ، فقال : استبقني لأقتل منهم مثل ما قتلت من أصحابك ، فقال : أبعد ثلاثة من أصحابي ! فقال : أذن مني أذنك أكلمك ، فقال : أنت رجل متمرّد ، وقد أخبرني رسول الله ﷺ بكل متمرّد ، فقال : لو أدنيت مني لقطعت أذنك ، وقتل ، فخرج أخوه عبدالله بن اليثربي يرتجز ويقول :

أضربكم ولو أرى علياً عمته أبيض مشرفيا
فخرج عليٌّ ﷺ وهو يقول :

أثبت لتلقاه به ملياً مهذباً سميدياً كميا
فحمل عليه عليٌّ ﷺ فضربه ضربة رمى بنصف رأسه فقتله وانصرف . فصاح صائح من خلفه ، فالتفت فإذا بعبد الله بن خلف الخزاعي صاحب منزل عائشة ، فقال : ما تشاء يا ابن خلف؟ فقال : هل لك في المبارزة؟ قال : ما أكره ذلك ، ولكن

ما راحتك في القتل؟ فقال: ترى أينما يقتل صاحبه؟ ثم جعل يرتجز:

إن تدن مني يا علي فتسرا فإنني دان إليك شبرا
بصارم يسقيك كأساً مرّاً ها إن في صدري عليك وثرا
فثنى عليّ عليه السلام عنانه ، وأنشأ يقول :

يا ذا الذي يطلب مني الوثرا إن كنت تبغي أن تزور القبرا
حقاً وتصلى بعد ذاك الجمرا فاذنْ تجدني أسداً هزيراً
أسعطك اليوم زعافاً مرّاً

وتطاعنا وتضاربا فضربه عليّ عليه السلام ضربة رمى يمينه ، ثم ثناه ضربة أخرى
فأطار قحف رأسه ، ثم وقف عليه وجعل يرتجز :

إياي تدعو في الوغى يا ابن الأرب . . . من أبيات
ولما عُرِّقَ الجمل ووقع ، دنا أمير المؤمنين علي بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله ففرع
الهودج برمحه وقال: يا عائشة ، أهكذا أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقالت عائشة :
قد ظفرت فأحسن ، فقال لمحمد بن أبي بكر: شأنك بأختك ، فأدخلها البصرة ثم
ردّها إلى المدينة .

وروي عن أبي جعفر عليه السلام أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه يوم الجمل كان
في خمسة عشر ألفاً ، وطلحة والزبير في خمسة وثلاثين ألفاً ، فما كان إلا ثلاث
ساعات أو أربع حتى قُتل من الفريقين زهاء نيف وعشرين ألفاً ، ولما انهزم
أصحاب الجمل بعث أمير المؤمنين ابن عباس إلى عائشة في خمسين نسوة من أهل
البصرة يأمرها بالانصراف إلى بيتها بالمدينة الذي تركها فيه رسول الله
صلى الله عليه وآله ، وقال له : قل لها : إن الذي يردها خير من الذي يخرجها ، ثم نادى مناديه :
لا تجيزوا علي جريح ، ولا تتبعوا ما برأ ، ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا امرأة : من دخل
داره وألقى سلاحه فهو آمن ، وما حوت المنازل والدور فهو ميراث . وإنما
فعله ؛ لأنه لم يكن لهم فيئة .

وروينا بالإسناد^(١) إلى السيد أبي العباس أحمد بن إبراهيم^(٢) الحسن بن علي^(٣) قال: يا رسول الله من يغسلك إذا مت؟ قال: يغسل كل نبي وصيّه، قال: قلت: يا رسول الله من وصيك؟ قال: علي بن أبي طالب، قلت: يا رسول الله كم يعيش بعدك؟، قال: ثلاثين سنة، وإن يوشع بن نون عاش بعد موسى ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى، وقالت: أنا أحق بالأمر منك، فقاتلها وقاتل مقاتلتها، وأسرها وأحسن أسرها، وإن بنت أبي بكر ستخرج علي في كذا وكذا ألفاً من أمتي، فيقاتلها ويقاتل مقاتليها، ويأسرها ويحسن أسرها، وفيها وفي صفراء أنزل الله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]^(٤)، يعني صفراء في خروجها على يوشع بن نون.

وروينا عنه^(٥) رواه بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: لنسائه: ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأذنب؟ لا تخرج حتى تنبجها كلاب الحوآب، يقتل عن يمينها، وعن يسارها قتلى كثير في النار^(٦).

قال الشيخ العالم أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد الزيدي^(٧) في كتاب المحيط بالإمامة: ولا شبهة عند أهل النقل أن النبي ﷺ كان أخبر عائشة أن كلاب الحوآب تنبجها في سيرها، وأنها لما بلغت الحوآب ونبجتها كلابه، سألت الجمال عن ذلك الموضع فعرفها أنه الحوآب، فأمرت أن يناخ بعييرها واضطربت، حتى جاء أصحابها، وحلف -علي ما في الخبر- نحو ثلاثين

(١) في (ب): الموثوق به .

(٢) (أحمد بن إبراهيم) ساقط من (أ) .

(٣) المصابيح ٣٠٥ برقم ١٥١ .

(٤) المصابيح ٣٠٦ برقم ١٥٤، وحكى ما يوافق ذلك الاستيعاب رقم ٤٧٤، وكنز العمال ٥/

٤٩٢ .

رجلاً، وفي رواية أخرى خمسين رجلاً أن ذلك الموضوع ليس بالحوأب، واشتهرت القصة في ذلك حتى ذكر أهل اللغة كلاب الحوأب في كتبهم.

قال الخليل في كتاب العين: الحوأب موضع حيث نبحت الكلاب على عائشة، وقال ثعلب في كتاب الفصيح: وهي كلاب الحوأب مهموز، وذكر القتيبي في أدب الكتاب: ولشهرته استُدل بذلك على مُعجز النبي ﷺ، وأنه كان أخبر أن كلاب الحوأب تنبأها في مسيرها، وأن الأمر كان كما قال ﷺ.

وروينا بالإسناد عن السيد أبي العباس ﷺ بإسناده عن أم هانئ: (قد علم من جرت عليه المواصي أن أصحاب الجمل ملعونون على لسان النبي الأمي، وقد خاب من افتري) ^(١). وبالإسناد إليه ﷺ بإسناده إلى عليٍّ ﷺ قال: (لقد علمتُ صاحبةُ الجمل أن أصحاب النهروان وأصحاب الجمل ملعونون على لسان النبي الأمي ﷺ) ^(٢).

وروي صاحب المحيط في الإمامة ﷺ بإسناده عن ابن عباس قال: مرض عليُّ بن أبي طالب ﷺ، فدخل رسول الله ﷺ ليعوده في مرضه فرأى طلحة عند رأسه والزبير عند رجله فقال لهما رسول الله ﷺ: (يشتد عليكم مرض علي؟ فقالا: سبحانه الله! وكيف لا يشتد علينا مرض علي؟! فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده إنكما لا تخرجان من الدنيا حتى تقاتلاه وأنتما له ظالمان» ^(٣). وقتل طلحة مروان بن الحكم ^(٤). وفي الرواية لما صرع مرَّ به رجل من أصحاب أمير المؤمنين ﷺ فقال: أمن أصحابنا؟ أم من أصحاب أمير المؤمنين؟

(١) المصايح لأبي العباس ٣٠٦ رقم ١٥٥.

(٢) المصايح ٣٠٧ رقم ١٥٦.

(٣) تاريخ الطبري ٥٠٢/٤.

(٤) المصايح ٣١٣ رقم ١٦٠ وابن عبد البر في الاستيعاب (٢/٣١٦-٣٢١) وشرح النهج ٩/

فقال: بل من أصحاب أمير المؤمنين فقال: ابسط يدك لأبايعك لأمر المؤمنين فألقى الله على بيعته، أما والله ما كفتنا آية من كتاب الله، وهي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] فوالله لقد أصابت الذين ظلموا منا خاصة.

وكانت وقعة الجمل لعشر خلون من شهر جمادى الأخرى سنة ست وثلاثين، وكانت عدة القتلى ثلاثين ألفاً برواية وكيع، ولما انقضى حرب الجمل بالفتح المبين لأمر المؤمنين عليه السلام، وبلغ إلى معاوية ذلك؛ كتب إلى علي عليه السلام:
بسم الله الرحمن الرحيم

لعلي بن أبي طالب من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فوالله ما بقي أحد أحب أن يكون هذا الأمر إليه منك، ولقد عرفت رأي أبي قبل، لقد جاءك يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك إلى البيعة، فأنا إلى ذلك اليوم أسرع إن أعطيتني النصف، أو تحاملت على نفسك لقرابتي؛ إن استعملتني على الشام، وأعطيتني ما أثلج به لا تعزلني عنه بايعة لك ومن قبلي وكنا أعوانك، فقد رأيت عمر قد ولاني فلم يجد علي، وإن لم تفعل فوالله لأجلبن عليك خمسين ألف حصان قارح في غير ذلك من الخيل^(١). فلما قرأ علي عليه السلام الكتاب استشار فيه عبدالله بن عباس، والحسن بن علي، وعمار بن ياسر رجلاً رجلاً، فقال عمار: والله ما أرى أن تستعمله علي الزرقاء وإنما بها خمسة أنفس، فقال علي عليه السلام: اطو ذلك، ثم دعا الحسن وابن عباس، فقالا قد كنا أشرنا عليك أن تُقره على عمله ولا تحركه حتى إذا بايع الناس أخذت ما أردت وأقررت إن رأيت أهلاً لذلك^(٢).

(١) المصايح ٣٠٨.

(٢) المصايح ٣٠٨.

وروينا عن السيد أبي العباس بإسناده أن علياً عليه السلام قال : كان المغيرة بن شعبة قد أشار علياً أن استعمل معاوية على الشام وأنا بالمدينة فأبيت عليه ؛ ولم يكن الله ليراني أن اتخذ المضلين عَضُدًا^(١) ، قال : قال الواقدي في حديثه : فلما علم معاوية ذلك من علي عليه السلام قال : والله ما كتبت إليه وأنا أريد أن ألي له شيئاً ، ولا أبايعه ، ولكن أردت أن أخدعه وأقول لأهل الشام انظروا إلى علي ، وإلى ما عرض علي فيزيدهم بصيرة ، ويختلف أهل العراق عليه ، فأحضر العشية حتى تُسمع كلامي ، فقام فحمد الله وأثنى عليه [و] قال : وكان إمامكم إمام الرحمة ، والعفو ، والبر ، والصلاة ، والصلة عثمان بن عفان ، فبطر علي بن أبي طالب النعمة ، وطالت عليه المدة ، واستعجل أمر الله قبل حينه ، وأراد أن يكون الأمر له فقتل إمامكم ، وفرق جماعتكم ، وأطمع عدوكم فيكم . ومعه قميص عثمان وهو يقول : يا أهل الشام ذبح علي هذا القميص كما تذبح الشاه ، ثم بكى وأبكى أهل الشام ساعة طويلة ، ثم قال : يا أهل الشام عمد ابن أبي طالب إلى البصرة ، فسار إليها فلقي رجالاً لا يعرفون قتاله ، وأنتم أهل مناصحة في الدين ، وأهل طاعة للخلفاء ، يا أهل الشام إن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ وَمَنْ قَتَلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا ﴾ [الإسراء : ٣٣] وأنتم ولاة دم خليفتم ، والقائمون به ، وأنا معكم ، فأجابه أهل الشام : سر بنا حيث نصر إمامنا ونطلب بدمه ، والذي أمره بذلك - في حديث نصر بن مزاحم - عمرو بن العاص ، قال نصر : حدثنا محمد بن عبيدالله ، وعمر بن سعد ، أن معاوية كتب إلى عمرو بن العاص وهو بفلسطين أما بعد : فقد كان من أمر علي وطلحة والزبير ما بلغك ، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة ، وقدم إلينا جرير بن عبدالله في بيعة علي ، وقد حبست نفسي عليك حتى تأتيني ، فلما قدم الكتاب

(١) المصايح ٣٠٩ ،

على عمرو واستشار ابنه عبدالله ومحمداً فقال عبدالله : قرّ في منزلك ولا تكن حاشية لمعاوية على دنيا قليلة، وقال محمد: إنك شيخ قريش، وإن يضرم^(١) هذا الأمر وأنت فيه خامل تصاغر أمرك، فالحق بجماعة أهل الشام، واطلب بدم عثمان، فسار حتى قدم على معاوية، فقال: أبا عبدالله إن علياً نزل بالكوفة متهيئاً للمسير إلينا، فقال: والله ما تُسويّ العرب بينك وبينه في شيء إلا أن تظلمه.

وفي حديث عمر بن سعد أنه قال: أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربه، وشق عصى المسلمين، وقتل الخليفة، فقال عمرو: والله يا معاوية ما أنت وعليّ بعكمي بعير، فما تجعل لي أن أبايعك على ما تسمع من العز والخطر.

وفي حديث عمر بن سعد أنه قال: أبا عبدالله، إنني أكره أن تحدث العرب أنك دخلت في هذا الأمر لغرض دنيا، قال عمرو: دعني منك فإن مثلي لا يخدع لأننا أكيس من ذلك، فما تعطيني؟ قال: مصر طعمة. فخرج عمرو من عنده، فقال ابنه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر. قالوا: وما مصر في ملك العرب؟ قال: لا أشبع الله بطونكما إن لم تشبعا بمصر^(٢).

ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام أمر مناديه، فنادى في الناس أن اخرجوا إلى معسكركم بالنخيلة فأجابوه، ولم يبرح في النخيلة حتى قدم إليه ابن عباس مع أهل البصرة، ثم سار حتى إذا جاوز الجسر نزل في مسجد أبي سبرة فقصر فيها صلاة الظهر، ثم سار حتى نزل دير أبي موسى على فرسخين من الكوفة فصلى العصر، وقدم زياد بن النضر الحارثي في ثلاثة آلاف، وشريح بن هاني في ألفين فمضيا حتى إذا جازا عرض الجزيرة فلقىهما أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي في حد الشام في خيل عظيمة، فدعواه إلى الطاعة فأبى إلا القتال، فراسلا أمير

(١) في (ب): وإن انصرم .

(٢) ابن مزاحم في وقعة صفين ص ٣٨ ، وابن أبي الحديد شرح النهج ٦٥ / ٢ .

المؤمنين، فدعا عليٌّ عليه السلام مالك بن الحارث الأشتر رحمه الله، وقال: إذا قدمت عليهم فأنت أمير، ولا تبدأ القوم بالقتال إلا أن يبدؤك، واجعل على ميمتك زياداً، وعلى ميسرتك شريحاً، ولا تحاربهم حتى تقدم عليك، فمضى الأشتر، وخرج أمير المؤمنين عليه السلام في أثره حتى بلغ صفين وهو من الرقة على عشرة أو خمسة فراسخ.

وروينا من غير طريق السيد أبي العباس أن علياً عليه السلام لما سار جعل يقول: سيروا إلى أهل الشام العتاة الطغاة، سيروا إلى أولياء الشيطان، وأعداء السنة والقرآن، سيروا إلى بقية الأحزاب، سيروا إلى الكذبة الفجار وقتلة المهاجرين والأنصار، وجعل عمار بن ياسر يرنم ويقول:

سيروا إلى الأحزاب أعداء النبي سيروا فخير الناس أتباع علي
هذا أوان طاب سل المشرفي وَقَوْدُنَا الخيل وهز السّمْهَرِي
ولما خرج عليه السلام من الأنبار سائراً أخرج في طريقه عيناً بقرب دير، فسئل الراهب؟ فقال: إنما بُني هذا الدير لهذه العين، وإنه عين راحوماً ما استخرجها إلا نبي أو وصي نبي، ولقد شرب منها سبعون نبياً، وسبعون وصياً، فأخبروا بذلك علياً عليه السلام.

وكانت تعبئة أمير المؤمنين عليه السلام لعسكره: على خيل ميمته الحسن والحسين، وعلى رجالتها عبدالله بن جعفر ومسلم بن عقيل، وعلى خيل الميسرة محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر، وعلى رجالتها هاشم بن عتبة، وعلى جناح القلب عبدالله بن العباس، وعلى رجالاته الأشتر والأشعث، وعلى الكُميين عمار بن ياسر.

وروي أنه عليه السلام كان في تسعين ألفاً، ومعاوية لعنه الله في مائة وعشرين ألفاً، وكان في عسكره عليه السلام من الأنصار، ثمان مائة أو تسع مائة ممن بايع تحت

الشجرة، وثمانون بدرية، وأول وقائعهم وقعة الأشرم مع أبي الأعور السلمي وكانوا قد سبقا العسكرين، ثم وقعة الماء عند نزول العسكر بصفين. قال السيد أبو العباس عليه السلام: قتل في اليوم الأول زيادة على ألف رجل سوى الجرحى، وأميرهم يومئذ عمار بن ياسر رحمه الله في خمسة عشر ألفاً^(١).

قال: وفي حديث أبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي أن أمير المؤمنين عليه السلام شخص من النخيلة لخمس مضي من شوال، ولم يقاتلوا إلا غرة صفر، إلا ما كان من القتال حين وردوا الماء أولاً، ثم اتصل القتال شهر صفر كله إلى ليلة الهرير من ربيع الأول، وكانت في صفين أخبار يطول ذكرها.

فمن ذلك ما روي أن علياً عليه السلام خطب في بعض أيام صفين وحث الناس على القتال، فقام قيس بن سعد بن عبادة فتكلم، فلامه المشيخة على أن تكلم أولاً فقال: إنكم لسادتي وعمومتي ولكن وجدت الدين في صدري قد جاش فلم أجد بداً من الكلام، وكتب إلى معاوية كتاباً أوله:

معاوي قد كنت رخوا الخناق فآلقحت حرباً تضيق الخناق

من قصيدة. وخرج في بعض أيام صفين يرتجز ويقول:

أنا ابن سعد وأبي عبادة والخزرجيون رجال سادة

ليس فراري في الوغى بعبادة يا ذا الجلال لقيني الشهادة

شهادة تتبعها سعادة حتى متى تثني لي الوسادة

فخرج إليه بسر، فجرحه قيس وانهزم بسر، وروي أن معاوية دعا بالنعمان ابن بشير وسلمة بن مجالد، وذم الأنصار، وقال: ما لقيت منهم؟ لا أسأل عن رجل إلا قيل: قتله^(٢) فلان الأنصاري، فبلغ ذلك قيساً، فقال بعد كلام: بلغني أن

(١) المصاييح ٣١٢-٢١٣.

(٢) في (ج): قتل.

ابن آكلة الأكباد قال: كذا وكذا، وقد أجاب عنكم صاحبكم النعمان بن بشير،
ولعمري لأن وترتموه في الإسلام لقد وترتموهم في الجاهلية، وأنتم اليوم مع ذلك
اللواء الذي كان يقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، والقوم يقاتلون مع
لواء أبي جهل والأحزاب، وقال قصيدة يذم معاوية أولها:

يا ابن هند دع التوثب في الحر ب إذا نحن في الحروب دنونا
ثم خرج من الغد وحمل عليهم وأثر أثراً منكراً حتى قال معاوية: إذا رأيتم
هذا الرجل فاحترسوا عنه فإنه الأسد الضرغام.

وروينا بالإسناد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما رأيت رئيساً كأمير المؤمنين
علي عليه السلام، ولقد رأيت يوم صفين وعلى رأسه عمامة بيضاء، وكان عينيه سراجاً
سليط وهو يحمش أصحابه إلى أن انتهى إليّ وأنا في كُتف من المسلمين، فقال
معشر المسلمين: استشعروا الخشية، وتجلّبوا السكينة، وأخملوا اللوم، وأخفوا
الجبين^(١)، وألقوا السيوف في الغمد قبل السلة، والحظوظ الشزر، واطعنوا
النثر، وناقحوا بالظبا، وصلوا السيوف بالخطا، وامشوا إلى الموت سجعاً،
وعليكم بالرواق المطنّب فاضربوا ثبجه، فإن الشيطان راكد في كسرهِ، نافج
حضنيه، مفترش ذراعيه، قد قدم للوثبة يداً، وآخر للنكوص رجلاً.

وروينا أنه كان لمعاوية مولى يقال له: حريث. وكان من أشجع الناس
وأشبههم بمعاوية، وكان إذا حمل أيام صفين قال الناس: حمل معاوية، وكان
لا يقوم له قائم، وكان معاوية مسروراً بموضعه، فقال له يوماً: يا حريث، بارز
كل من بارزك، وقاتل كل من قاتلك؛ إلا علياً فإنه لا طاقة لك به، فحسد عمرو
ابن العاص حريثاً؛ لما يظهر من نجدته ويسالته فقال له: يا حريث، إن معاوية نفس
عليك بقتل علي؛ لأنك عبد، ولو كنت عربياً وذا شرف لرضيك لهذا الأمر

(١) في (ب، ج): واعملوا اللوم وأخفوا الجتن .

والمنزلة ، فإن قتلت علياً انصرفت براءة الفخر ، وأعلا ذروة الشرف ، فعمل في حريث قول عمرو . فلما برز علي عليه السلام أحجم الناس عنه ، فتقدم إليه حريث ، فضرب علياً عليه السلام ضربة لم تؤثر فيه ، وضربه علي عليه السلام فقتله ، فاتصل الخبر بمعاوية فقلق وجزع ، وقال : من أين أتى حريث وقد كنت حذرتة علياً ، ومنعته من قتاله ؟ فقيل : إن عمراً أشار عليه بذلك ، فأنشأ معاوية يقول :

حريث ألم تعلم وعلمك ضائع	بأن علياً للفوارس قاهر
وأن علياً لم يبارزه واحداً	من الناس إلا أقعصته الأظافر
أمرتك أمراً حازماً فعصيتني	فخذك إذ لم تقبل النصح عاثر
ودلائك عمرو والحوادث جمّة	فله ما جرّت عليك المقادر
وظن حريث قول عمرو نصيحة	وقد يهلك الإنسان ما لا يحاذر

وخرج المخارق بن عبدالرحمن من أصحاب معاوية ، فقتل أربعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وكشف عوراتهم ، واحتز^(١) رؤوسهم ، فتنكر علي عليه السلام ، وخرج فقتل ثمانية نفر من أصحاب معاوية واحتز رؤوسهم ، ولم يكشف العورة ، فقال معاوية لغلام له بطل : اكفني هذا الرجل ، فقال : إني أرى رجلاً لو برز إليه جميع عسكري لأفناهم ، ولم يخرج ، فجال علي عليه السلام ساعة ثم رفع المغفر وقال : أنا أبو الحسن . وخرج مولى لعثمان يقال له : أحمر للمبارزة ، فخرج إليه كيسان مولى لعلي عليه السلام فحمل عليه أحمر فقتله ، فقال علي عليه السلام : قتلني الله إن لم أقتلك ، فحمل عليه فاستقبله أحمر وهو لا يعرفه فمدّ علي عليه السلام يده إليه وقبض على ثوبه فضرب به الأرض وكسر منكبه وأضلّعه .

وحمل أمير المؤمنين عليه السلام في بعض المواقف على عمرو بن العاص فأسقطه عن فرسه فرفع عمرو رجله وأبدى عورته ، فأعرض عنه أمير المؤمنين ورجع . ومعاوية يضحك فقال : مم تضحك ؟ فقال : منك ومن علي ، والله لقد وجدته

(١) في (ج) : واكب يحتز .

هاشمياً ملياً بالنزال، لا ينظر إلى عورات الرجال، وقال احمد الله يا عمرو وعورتك، فقال عمرو: يا معاوية، أما والله لو بدا له من صفحتك لأوجع قذالك وأيتم عيالك، وأنهب مالك.

وفي بعض الأخبار أن معاوية ضحك، فقال عمرو: مم تضحك؟ فقال: يضحكني دفعك علياً عن نفسك بالإستاء، ولقد كان كريماً لا ينظر إلى عورات الرجال، فقال له: هلا ضحكك إذ دعاك علي إلى البراز، فأحوّلت عينك، ومالت شذفاك، وارتعدت فرائصك، وبدا من أسفلك شيء أكره ذكره.

وخرج بعد أيام بسر بن أرطاة إلى علي عليه السلام وهو لا يعرفه، فلما بصربه عرفه، وحمل عليه علي عليه السلام، فسقط عن فرسه، ورفع رجله، وكشف عورته، وصرف علي عليه السلام وجهه، ووثب بسر هارباً، فضحك معاوية من بسر، وقال: لا عليك، فقد نزل بعمر وما نزل بك، وصاح فتى من أهل الكوفة ويلكم يا أهل الشام أما تستحيون لقد علمكم عمرو بن العاص في الحرب كشف الإستاء، ثم أنشأ يقول: -

أفي كل يوم فارس ذو كرهية له عورة وسط العجاجة بادية
يكف له عنه علي سنانه ويضحك منه في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقتع رأسه وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمر و ابن أرطاة انظرا سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
فلا تحمدا إلا الخنا^(١) وخصاكما هما كاتنا والله للنفس واقيه
فلولا هما لم تنجوا من سنانه وتلك بما فيها عن العنود ناهيه

وكان بسر مرة يضحك من عمرو، وعمر يضحك من بسر .
وتحامي أهل الشام علياً عليه السلام وخافوه خوفاً شديداً، وصار حديث عمرو

(١) الخنا: الفحش . المختار ١٩٢ .

مثلاً حتى قال أبو فراس :

ولا خير في دفع الردى بمذلة كما ردها يوماً بسوءته عمرو
وخرج عليٌّ يوماً ووقف وأنشأ يقول :

أنا عليٌّ فاسألوني تخبروا ثم ابرزوا لي في الوغى أو أدبروا
سيفي حسام وسناني يزهر منا النبي الطاهر المطهر
وحمزة الخير ومنا جعفر وفاطم عرسي وفيها مفخر
هذا لهذا وابن هند مُحَجَّر مذبذب مطرد مؤخَّر

فقال معاوية : إنه ليدعوني أبدأ إلى البراز حتى لقد استحيت من قریش .
فقال أخوه عتبة : اله عن كلامه فإنك تعلم أنه قتل حريثاً ، وفضح عمراً ، ولا تقدم
إليه امرؤ إلا وقد أيس من نفسه ، ولو برزت إليه لا شممت رائحة الحياة أبداً .

وروى الحاكم رحمته الله عن علقمة والأسود بن يزيد ، قال : أتينا أبا أيوب
الأنصاري فقلنا له : يا أبا أيوب إن الله تعالى أكرمك بنبيه ﷺ إذ أوحى إلى
راحلته فبركت على باب دارك ، وكان رسول الله ﷺ ضيفاً لك فضيلة من الله
فضلك بها ، أخبرنا بمخرجك مع علي ﷺ يقاتل أهل لا إله إلا الله ، فقال
أبو أيوب : فياني أقسم لكما بالله تعالى لقد كان رسول الله ﷺ معي في هذا
البيت الذي أنما معي فيه ، وما في البيت غير رسول الله ﷺ وعلي ﷺ
جالس عن يمينه ، وأنا جالس عن يساره ، وأنس قائم بين يديه ، إذ حرك الباب ،
فقال رسول الله ﷺ : يا أنس انظر من بالباب فخرج أنس فنظر ، ثم رجع
فقال : يا رسول الله هذا عمار بن ياسر ، فقال رسول الله ﷺ : افتح لعمار الطيب
المطيب ، ففتح أنس الباب فدخل عمار فسلم على رسول الله ﷺ فرحب به ،
ثم قال لعمار : « إنه سيكون في أمتي من بعدي هنات حتى يختلف السيف فيما
بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضاً ، وحتى يتبرأ بعضهم من بعض ، فإذا أنت رأيت

ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني يعني علي بن أبي طالب فإن سلك الناس كلهم وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادي علي، واخل عن الناس، يا عمار إن علياً لا يردك عن هدى، ولا يدلك على ردى، يا عمار طاعة علي طاعتي، وطاعتي طاعة الله.

ولما قُتلَ عمار رضي الله عنه قويت بصائر المسلمين في الجهاد بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام، وكان خزيمة بن ثابت كافاً لسلاحه حتى قتل عمار فسل سيفه، وقال: قد حلّ لي القتال فقاتل حتى قتل رحمه الله.

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: اليوم صح لي أنك يا معاوية على الباطل؛ لأنني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»^(١) فقال معاوية: أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جاء به. قال: فإنما قتل حمزة النبي صلى الله عليه وسلم، ولما رأى علي عليه السلام عمّاراً مقتولاً وقف عليه وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، إن امرأاً لم تدخل عليه مصيبة من قتل عمار فما هو من الإسلام في شيء» ثم قال: «رحم الله عمّاراً يوم قُتل، ويوم يُبعث، ويوم يُسئل» فوالله لقد رأيت عمّاراً، وما يذكر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة إلا كان رابعهم، ولا أربعة؛ إلا كان خامسهم، إن عمّاراً وجبت له الجنة في غير موطن، فهنيئاً له الجنة، ولقد قتل مع الحق، والحق معه، فقَاتِلْ عمّار وسالب عمار، وشاتم عمار في النار، وصلى عليه علي عليه السلام ودفنه.

وروى الحاكم رضي الله عنه عن عبدالله بن سلمة قال: رأيت عمّاراً يوم صفين شيخاً آدم طوّالاً أخذ الحربة بيده، ويده ترتعد وهو يقول: والذي نفسي بيده لقد قاتلت هذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة والذي نفسي بيده

(١) أخرجه مسلم ٤/ ١٨٧٤، والطبراني في الأوسط ٤/ رقم ٣٤٣٨، والبيهقي في السنن ٢/ ١٤٨، ومسند أحمد ٤/ ٣٧ رقم ١١١٣١، والترمذي ٥/ ٦٢٢ رقم ٣٧٨٨، ومجمع الزوائد ٩/ ١٦٢، والدارمي ٢/ ٤٣٢، والشجري ١/ ١٤٣.

لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفنا أنا على الحق وهم على الضلالة، وقال ﷺ: «لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» وآخر زادك ضياع^(١)» من لبن، فلما كان اليوم الذي قتل فيه شرب شربة من لبن، ثم كان يقول الجنة الجنة تحت الأسننة، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه.

ومن كان مع أمير المؤمنين ﷺ يوم صفين أويس القرني المشهور فضله، رحمة الله عليه ورضوانه، وكانت الوقائع بصفين تسعين وقعة، وأقام أمير المؤمنين ﷺ بصفين ومعاوية مائة يوم وعشرة أيام حتى أفضى الأمر إلى التحكيم.

قال السيد أبو العباس ﷺ بإسناده عن الحارث بن أدهم: إن الناس بصفين زحف بعضهم إلى بعض وارتعوا بالنبل حتى فئيت، ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسرت، ثم مشى بعضهم إلى بعض بالسيوف وعمد الحديد فلم يسمع السامعون إلا وقع الحديد بعضه على بعض لهو أشد هولاً في صدور الرجال من الصواعق. وأخذ الأشر رحمة الله عليه فيما بين الميمنة والميسرة فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة إلى نصف الليل لم يصلوا لله صلاة، فلم يزل يفعل ذلك الأشر بالناس حتى أصبح من المجالدة، وهي ليلة الهرير^(٢).

وفي رواية من غير السيد أبي العباس رحمه الله، أن علياً ﷺ قتل في ليلة الهرير خمسمائة ونيفاً وثلاثين رجلاً. قال السيد أبو العباس: قال نصر عن عمر ابن سعد عن عمارة بن ربيعة قال: مرّ بي والله الأشر فأقبلت معه فقال: شدوا فداكم عمي وخالي شدة ترضون الله بها وتعزون بها الدين، ثم شد بالقوم حتى انتهى بهم إلى عسكرهم، ثم قاتلوا عند العسكر قتالاً شديداً، وأخذ علي ﷺ لما رأى الظفر قد جاء من قبله يمدّه بالرجال، وجعل علي ﷺ يقول لم يبق منهم إلا

(١) ضياع: اللبن الرقيق الممزوج. لسان العرب ٥٢٧/٢.

(٢) المصاييح ٣١٨ رقم ١٦٥، وشرح نهج البلاغة ١/٤٢٠، وقعة صفين لابن مزاحم ٤٧٤.

آخر نفس ، فدعا معاوية عمرو بن العاص فقال : ما ترى ، فقال : إن رجالك لا يقومون برجاله ، ولست مثله يقاتلك على أمر وتقاتله على غيره ، أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء ، وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم ، وأهل الشام لا يخافون من علي إن ظفر بهم ، ولكن ألق إليهم أمراً إن قبلوه اختلفوا ، وإن ردوه اختلفوا ، ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم ، فإنك بالغ به حاجتك^(١) .

قال نصر : حدثنا عمرو بن سمرة بإسناده عن جابر قال : سمعت تميم بن خزيمة يقول : لما أصبحنا من ليلة الهرير ، نظرنا فإذا المصاحف ربطت على رؤوس الرماح . قال أبو جعفر وأبو الطفيل : وضعوا في كل مجنبية^(٢) مائتي مصحف ، فكان جميعها خمسمائة مصحف ، ثم نادوا هذا كتاب الله بيننا وبينكم ، وأقبل الأشر على فرس كميته قد وضع مغفره على قربوس السرج يقول : اصبروا يا معشر المسلمين ، قد حمي الوطيس واشتد القتال . قال نصر في حديث عمر بن سعد : فلما رفع أهل الشام المصاحف قال علي عليه السلام : أنا أحق من أجاب إلى كتاب الله ، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن ، إنني لأعرفُ بهم منكم ، صحبتهم صغاراً ورجالاً ، وكانوا شر صغار ، وشر كبار^(٣) ، وما رفعوها إلا خديعة ، فجاءه من أصحابه قدر عشرين ألفاً مقنعين في الحديد ، سألني سيوفهم على عواتقهم ، قد اسودت جباههم من أثر السجود ، فقالوا : يا علي أجب القوم إلى كتاب الله أو نقتلك كما قتلنا ابن عفان ، وابعث إلى الأشر فيأتيك ، فقال الأشر : أمهلوني فواق ناقة لقد أحسست بالظفر ، فقالوا له : تحب أنك ظفرت ويقتل أمير المؤمنين ، أو يُسَلَّم إلى عدوه ، فأقبل حتى انتهى

(١) المصاييح ٣١٨ ، وقعة صفين (٤٧٦-٤٧٧) .

(٢) المجنبية : بكسر النون المشددة : ميمنة الجيش وميسرته ، وبفتحها مقدمة الجيش .

(٣) في (ب ، ج) : ورجال .

إليهم، فصاح: يا أهل الذلِّ والوهن، أحين علوتم فظنوا أنكم قاهرون رفعوا المصاحف، حدثوني عنكم فقد قتل أمثالكم، متى كنتم محقين؟ أحين قتل خياركم! فأنتم الآن حين أمسكنم عن القتال مبطلين! أم أنتم محقون؟ فقتلاكم الذين كانوا خير منكم في النار! قالوا: دعنا منك يا أشر، قال: خدعتم فانخدعتم، فسبوه وسبهم، وضربوا بسياطهم وجه دابته، وضرب دوابهم، وصاح بهم علي عليه السلام فكفوا، فبعث علي عليه السلام نفرًا قرأء من أهل العراق، وبعث معاوية من أهل الشام، فاجتمعوا بين الصفيين ومعهم المصاحف، واجتمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن، ويميتوا ما أماته، وعلى أن يحكموا رجلين أحدهما من أصحاب علي عليه السلام، والآخر من أصحاب معاوية، فقال أهل الشام: اخترنا عمرا ابن العاص، فقال الأشعث والخوارج: رضينا بأبي موسى، فقال علي عليه السلام: إني لا أَرْضِي به وليس برضى، وقد فارقتني وخذل الناس عني، ثم هرب مني ولكن هذا ابن عباس، قال^(١): والله ما نبالي أنت كنت أو ابن عباس، قال: فإني أجعل الأشر. فقال الأشعث: وهل ضيق سعة الأرض علينا إلا الأشر، فقال علي عليه السلام: فإني أخاف أن يخدع يمينكم، فإن عمرا ليس من الله في شيء، قال الأشعث: هو أحسب إلينا، فقال علي عليه السلام: قد أبيتم إلا أبا موسى؟! قالوا: نعم. فبعثوا إلى أبي موسى، فجاء الأحنف بن قيس إلى علي عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين إن شئت أن تجعلني حكما، أو ثانيا، أو ثالثا فإنه لا يعقد عقدة إلا حللتها، ولن تحمل إلا عقدت، فأبى الناس ذلك، ثم إن أبا موسى وعمراً ابن العاص أخذوا علي عليه السلام ومعاوية عهداً بالله بالرضى بما حكما به من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، على أن الحكمين أن يحكما بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، فإن لم يفعلا برئت الأمة من حكمهما، وللحكمين أن ينزلا منزلاً

(١) أي الأشعث قبحه الله.

عدلاً بين أهل العراق والشام لا يحضرهما فيه إلا من أحبا عن ملامتهما وتراض ،
والناس آمنون على أنفسهم وأهليهم ، وأموالهم إلى إنقضاء مدة الأجل ، والسلاح
موضوع ، والسبيل مسخلة ، وكان الكتاب في صفر ، والأجل الذي يلتقي إليه
الحكمان شهر رمضان ، ثم إن الأشعث خرج بالكتاب يقرؤه على الناس ، فرضي
به أهل الشام ، ثم مر برايات عَنَزَه وكان منهم مع علي عليه السلام أربعة آلاف مجفف ،
فلما قرأه عليهم قال معدان وجعد (أخوان) : لا حكم إلا لله ، فهما أول من
حكّم ، ثم حملا على أهل الشام ، ثم مرأ به علي مراد ، فقال صالح بن شقيق :

ما لعلي في الدماء قد حكّم لو قاتل الأحزاب يوماً ما ظلم

لا حكم إلا لله ورسوله ، وقال بنو راسب كذلك ، وكذلك رجل من تميم ،
وآخر يقال له : عروة بن أذينة حتى قالوا : يحكمون^(١) الرجال ، وقالوا لعلي :
ارجع وتب كما تبنا وإلا برثنا منك فإننا لسنا نرضى بما في الصحيفة ، ولا نرى إلا
قتالهم ، فقال علي عليه السلام : ولا أنا رضيت لكن لا رأي لمن لا يطاع ، ولا يصلح
الرجوع إلا أن يعصى الله ويتعدى حدود ما في كتابه فيقاتل من ترك أمره ، ثم إن
الناس أقبلوا على قتالهم يدفنونهم^(٢) . ثم إن علياً عليه السلام بعث شريح بن هاني في
أربع مائة ، وعبدالله بن عباس يصلي بهم ، ومعهم أبو موسى . وجاء عمرو بن
العاص في أربعمائة إلى دومة الجندل ، فنزل عمرو بأصحابه ، وابن عباس وشريح
وأبو موسى مقابلهم . وكتب النجاشي شاعر علي عليه السلام عند ذلك إلى أبي موسى
قصيدة منها :

أبا موسى جزاك الله خيراً عراقك إن حظك بالعراق
وإن الشام قد نصبوا إماماً من الأحزاب معروف النفاق
وإننا لا نزال لهم عدواً أبا موسى إلى يوم التلاق

(١) في (ج) : أنحكمون .

(٢) المصابيح ٣٢٢ .

فلا تجعل معاوية بن صخر إماماً ما مشى قدم بساق
ولا يخدعك عمرو إن عمراً أبا موسى كذاهية الرفاق
وكان ابن عباس يعظ أبا موسى ويقول: إنما هو عمرو فلا تغترنَّ بقوله،
فتدافعا قريباً من شهرين يجتمعون بين يومين وثلاثة، وكان رأي أبي موسى في ابن
عمر، فقال له عمرو: يا أبا موسى كنا مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر
نجاهد ونقاتل المشركين، واليوم كما ترى وبكى، ثم نال من معاوية وذكر أنه
لا يرضى بشيء من فعله. فقال أبو موسى: وأنا كذلك لا أرضى بعلي وذمه.
وجعل ابن عباس يستقره ما يجري بينهما، ويكتمه أبو موسى، ثم إن أبا موسى
أتى عمراً واستخبره ما يريد، فقال: إن شئت أحيينا سنة عمر، فقال: إن كنت
تريد أن تباع ابنه فما يمنعك في ابني؟ فقال: إنه رجل صدوق ولكنك غمسته في
الفتنة، قال: صدقت، واتفقا على أن يخلعا علياً ﷺ ويجعلا الأمر في عبد الله
ابن عمر، وبذلك خدع عمرو أبا موسى، ثم أقبلا إلى الناس وهم مجتمعون،
وقال له عمرو: اصعد وتكلم، وقد كان ابن عباس قال له: قدّم عمراً قبلك ثم
تكلم بعده فإنه رجل غدار، فصعد أبو موسى المنبر بين العسكرين فقال: اشهدوا
أنني قد خلعت علياً ونزع خاتمه، وقال: كما ترون... خلعت هذا الخاتم، ثم
صعد عمرو... فحمد الله وأثنى عليه، وقال: سمعتم خلعه صاحبه وقد خلعته
أنا وببيده خاتم، وقال: وأثبت صاحبي كما أثبت الخاتم في إصبعي هذه وأدخل
إصبعه، فقال أبو موسى: لا وفقك الله... غدرت وخنت، مثلك مثل الكلب
إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فقال عمرو: ومثلك مثل الحمار يحمل
أسفاراً، والتمس أصحاب علي ﷺ أبا موسى، فركب ناقته ولحق بمكة. فكان
ابن عباس يقول: قبّح الله أبا موسى قد حذّرتَه فما عقل، فكان أبو موسى يقول:
حذّرني ابن عباس غدرة الفاسق^(١)، وقال بعض أصحاب أمير المؤمنين ﷺ في

(١) المصابيح ٣٢٢-٣٢٣، وقعة صفيح ٤٩٧-٥٤٨.

ذلك قصيدة أولها :

لَعْمُرُكَ لَا أَلْفَى مَدَى الدَّهْرِ خَالِعًا عَلِيًّا بِقَوْلِ الأشْعَرِيِّ وَلَا عَمْرُو
وقال بعضهم :

لو كان للقوم رأيٌ يعصمون به عند الخطاب رموكم بآبن عباس
لله در أبيه أيمًا رجل ما مثله لقضاء الحكم في الناس
لكن رموكم بشيخ من ذرى يَمَنٍ لم يدر ما ضرب أخماس لأسداس
وروي أن أبا الأسود كان عند معاوية فذكر الحكمين ، فقال : لو كنت مكان
أبي موسى ما صنعت ما صنع ، فقال له معاوية : فما كنت تصنع ؟ قال : كنت
أجمع عدة من المهاجرين والأنصار ، فأنشدهم بالله المهاجرون أحق بالخلافة أم
الطلقاء؟ قال له معاوية : أقسمتُ بالله عليك لا تذكر هذا ما عشت .

وبلغ القتل في أيام صفين من أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفًا ، ومن
أصحاب علي عليه السلام خمسة وعشرون ألفًا ، فيهم خمسة وعشرون بدرية ، وفيهم
عمار بن ياسر رحمه الله ، وهاشم بن عتبة ، وعبدالله بن بُدَيْل بن ورقاء ، وخزيمة
ابن ثابت ذو الشهادتين في آخرين رحمة الله عليهم ^(١) .

ثم كان أمر الخوارج وقتالهم ^(٢) . وقد بينا أنهم أنكروا التحكيم الذي كان ،
واعتقدوا تكفير أمير المؤمنين صلوات الله عليه وكُفِّرَ أنفسهم ^(٣) ، وطلبوا من علي
عليه السلام التوبة ، فقال علي عليه السلام : توبوا فلم تكفروا ، وارجعوا إلى حرب عدوكم ،
فقالوا : لا حتى تُقَرَّ على نفسك ، فقال : ويجكم أنتم فعلتم بأنفسكم وتركتم
أمري . فخرج اثنا عشر ألفًا من العراقيين ، رئيسهم شَيْبِث بن ربعي ، وعبدالله بن
الكوأ وعبدالله بن أوفى ، ووهب الراسبي أصحاب الصوف والبرانس ، فأرسل

(١) وقعة صفين ٥٥٧-٥٥٨ .

(٢) المصابيح ٣٢٤-٣٢٦ رقم ١٦٦ .

(٣) في (ب ، ج) : كفرهم بأنفسهم .

علي عليه السلام إليهم أبا أيوب الأنصاري، وصعصعة بن صوحان، ثم سار إليهم بنفسه في اليوم الثالث، واحتج عليهم فندموا على ذلك وانصرفوا إلى الكوفة، وأجمع أمير المؤمنين عليه السلام على المسير إلى الشام، ووافقوه على ذلك، فجمع من الحجاز والبصرة ومن نواحيها أربعين ألفاً، وأنفذ على مقدمته قيس بن سعد بن عبادة في ستة آلاف، فمضى إلى أرض الجزيرة^(١)، وسار أمير المؤمنين صلوات الله عليه حتى نزل أرض مسكن، فلما كان في بعض الطريق من الليل خرج من أهل الكوفة والبصرة سبعة آلاف، وقيل: ثمانية آلاف رجل فأغاروا وقتلوا عبدالله بن خباب ابن الأرت والي المدائن وأمّ ولده وولداً له صغيراً ورجلاً من بني أسد كان يحمل الميرة إلى عسكر علي عليه السلام، فقيل لعلي عليه السلام: كيف تخرج وعدونا في مكاننا يُغَيَّرُ علينا! فانصرفوا وانصرف أمير المؤمنين عليه السلام إلى الكوفة، ومضى الخوارج إلى شَهْرزور ونواحيها، يغيرون، ويقتلون، وَيَسْبُونَ، ورئيسهم من أهل الكوفة عبدالله بن وهب وزيد بن حصين، ومن أهل البصرة^(٢) "مسعر بن قذكي والمستورد ابن علقمة، فسار إليهم علي عليه السلام مع قيس بن سعد وسهل بن حنيف ومَعْقِل بن قيس وشريح بن هاني، ومالك الأشتر في زهاء عشرة آلاف حتى انتهى إلى النهروان في عسكره فوجد القوم قد تجردوا للقتال واستقبلوه بصدور الرماح؛ فنادى أمير المؤمنين عليه السلام قنبراً فقال: يا قنبر ناد القوم ما نعمتم على أمير المؤمنين؟ ألم يعدل في قسمتكم، ويقسط في حكمكم، ويرحم مسترحمكم، لم يتخذ أموالكم دُولاً، ولم يأخذ منكم إلا السهمين اللذين جعلهما الله سهماً في الخاصة وسهماً في العامة، فقالت الخوارج: يا قنبر إن مولاك رجلٌ جدلٌ، وهو رجل خَصِمٌ، وقد قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] وهو

(١) الجزيرة: موضع بعينه، وهو ما بين دجلة والفرات. مختار الصحاح ص ١٠٢ .

(٢) الجزيرة: موجودة في (ج) فقط .

منهم ، وقد ردنا بكلامه الحلو في غير موطن . وجعلوا يقولون والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، فقال علي عليه السلام : يا ابن عباس ، انهض إلى القوم فادعهم بمثل الذي دعاهم به قنبر ، فإني أرجو أن يجيبوك ، فقال ابن عباس : يا أمير المؤمنين ألقى علي حُلتي ، أو ألبس على سلاحي فإني أخافهم على نفسي ، قال : بلى ، فانهض إليهم في حُلَّتكَ ،

من أي يوميك من الموت تفر من يوم لم يقدر أم يوم قدر قال : فنهض ابن عباس إليهم وناداهم بمثل الذي أمره به^(١) ، فقالت طائفة : والله لا نجيبه حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين ، وقال أصحاب الحجج في أنفسهم : والله لنجيبنه ولنخصمنه ، ولنكفرنه ، وصاحبه لا ينكر ذلك ، فقالوا : ننقم عليه خصالا كلها موبقة مكفرة : أما أولاهن فإنه محى اسمه من أمير المؤمنين حيث كتب إلى معاوية ؛ فإن لم يكن أمير المؤمنين فإنه أمير الكافرين ؛ لأنه ليس بينهما منزلة ، ونحن مؤمنون ولسنا نرضى أن يكون علينا أميراً .

ونقمنا عليه أن يُقسَمَ علينا يوم البصرة ما حوى العسكر . وسَفَكَ الدماء ومنعنا النساء والذراري فلعمري إن كان حلَّ هذا فما حرم هذا ! ونقمنا عليه يوم صفين أنه أحب الحياة وركن إلى الدنيا حباً بيناً أن نقاتل معه وأن نصره حيث رُفِعَتْ لنا مصاحف أهل الشام ، فهلا ثبت وحرَّض على قتال القوم وضرب بسيفه حتى نرجع إلى أمر الله ونقاتلهم ، والله تعالى يقول : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال : ٣٩] ، ونقم عليه أنه حكَّم الحكمة فحكَّمًا بجور لزمه وزرّه^(٢) . ونقمنا عليه أنه ولى الحكم غيره وهو عندنا من أحكم الناس .

(١) في (أ) : بمثل الذي ناداهم به .

(٢) في (أ) : ولزمه رده .

ونقمنا عليه أنه شكَّ في نفسه حين أمر الحكّمين أن ينظرا، فإن كان معاوية أولى بالأمر ولّوه، فإن شك في نفسه فنحن أعظم فيه شكّا.

ونقمنا عليه أنه كان وصياً فضيع الوصية، ونقمنا عليك يا ابن عباس حيث جئت ترفل إلينا في حلّة حسنة تدعوننا إليه. فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين قد سمعت ما قال القوم، فقال عليّ عليه السلام: لا ترتابن ظفرت بهم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، نادهم: أستم ترضون بما أتيتكم به من كتاب الله لا تجهلون به، وسنة رسول الله ﷺ، لا تنكرونها؟ قالوا: اللهم بلى، قال: أبداً بما بدأتُم به على مدار الأمر أنا كاتب رسول الله ﷺ، حيث كتب: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى سهيل بن عمرو وصخر بن حرب ومن قبلهما من المشركين عهداً إلى مدة، فكتب المشركون: إنا لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك، فكتب إلينا باسمك فإنه الذي نعرف، وكتب إلينا ابن عبد الله، فأمرني فمحوت رسول الله وكتبتُ ابن عبد الله، وكذلك كتبتُ إلى معاوية من عليّ أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومن قبلهما من الناكثين عهداً إلى مدة فكتبوا إنا لو علمنا أنك أمير المؤمنين ما قاتلناك؛ فكتب إلينا من عليّ بن أبي طالب نُجيبك؛ فمحوت أمير المؤمنين وكتبتُ ابن أبي طالب كما محى رسول الله ﷺ، وكما كتب، فإن كنتم تُلغون بسم الله الرحمن الرحيم أن محاها وتلغون رسول الله أن محاها ولا تثبتونه فآلغوني ولا تثبتوني، وإن أثبتموه فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ [الحشر: ٢٧]، وقال: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الاحزاب: ٢١] (فاستننتُ برسول الله ﷺ، قالوا: صدقت هذه بحجتنا هذه. قال: وأما قولكم: إني قسمت بينكم ما حوى العسكر يوم البصرة وأحللت الدماء ومنعتكم النساء

والذرية؛ فإني مننت على أهل البصرة كما افتتحتها وهم يدعون الإسلام كما من رسول الله ﷺ على أهل مكة وهم مشركون كما افتتحتها، وكان أولادهم ولدوا على الفطرة قبل الفرقة بدينهم^(١) وإن عدوا علينا أخذناهم بذنوبهم، ولم نأخذ صغيراً بذنب كبير، وقد قال تعالى في كتابه: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]، قال رسول الله ﷺ: «لو أن رجلاً غلَّ عقلاً من الحرب لآتى يوم القيامة وهو مغلول به حتى يؤديه». وكانت أم المؤمنين أثقل من عقال، فلو غللتها وقسمت سوى ذلك فإنه غلول، ولو قسمتها لكم وهي أمكم لاستحل منها ما حرم الله، فأياكم كان يأخذ أم المؤمنين في سهمه وهي أمه؟ قالوا: لا أحد وهذه بحجتنا هذه.

وأما قولكم: إني حكمت الحكمين، فقد عرفتم كراحتي لهما إلا أن تكذبوا. وقولي لكم: ولؤها رجلاً من قريش، فإن قريشاً لا تُخدع فأبيتم إلا أن وليتموها من وليتم. فإن قلت: سكت حيث فعلنا ولم تنكر، فإنما جعل الله الإقرار على النساء في بيوتهن، ولم يجعله على الرجال في بيوتهم. فإن كذبتم وقلت: أنت حكمت ورضيت، فإن الله قد حكّم في دينه الرجال وهو أحكم الحاكمين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقال: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٣٥]. فإنما على الإنسان الاجتهاد في استصلاح الحكمين، فإن عدلا كان العدل^(٢) فيما رأياه أولى، وإن لم يعدلا فيه وجارا كان الوزر عليهما، ولا تزر وازرة وزر أخرى، قالوا: صدقت وهذه بحجتنا هذه.

(١) في (١): فلا نأخذهم بذنوبهم.

(٢) في (١): الأمر.

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : إِنِّي حَكَّمْتُ وَأَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِالْحَكْمِ فَقَدْ حَكَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ يَوْمَ الْيَهُودِ فَحَكَّمَ أَنْ تَقْتُلَ مَقَاتِلَتَهُمْ وَتَسْبِي ذُرَارِيَهُمْ وَجَعَلَ أَمْوَالَهُمْ لِلْمُهَاجِرِينَ دُونَ الْأَنْصَارِ ، فَقَالُوا : صَدَقْتَ وَهَذِهِ بِحِجَّتِنَا هَذِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : إِنِّي قُلْتُ لِلْحَكَمِيِّينَ : انظُرُوا فِي كِتَابِ اللَّهِ فَإِنْ كَانَ مَعَاوِيَةَ أَحَقَّ بِهَا مِنِّي فَأَثْبِتُوهُ وَإِنْ كُنْتُ أَوْلَى^(١) بِهَا فَأَثْبِتُونِي ، فَلَوْ أَنَّ الْحَكَمِيِّينَ اتَّقُوا اللَّهَ وَنَظَرُوا إِلَى الْقُرْآنِ عَرَفُوا أَنِّي كُنْتُ مِنَ السَّابِقِينَ بِإِسْلَامِي قَبْلَ مَعَاوِيَةَ ، وَمَعَاوِيَةَ مُشْرِكًا ، وَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ إِذَا نَظَرُوا فِي كِتَابِ اللَّهِ وَجَدُونِي يَجِبُ لِي عَلَى مَعَاوِيَةَ الْإِسْتِغْفَارُ ؛ لِأَنِّي سَبَقْتُهُ بِالْإِيمَانِ ، وَلَا يَجِبُ لِمَعَاوِيَةَ عَلَيَّ الْإِسْتِغْفَارُ ، وَوَجَدُونِي يَجِبُ لِي عَلَى مَعَاوِيَةَ خُمْسُ مَا غَنِمْتُمْ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ بِذَلِكَ إِذْ يَقُولُ : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ [الأنفال: ٤١] ، فَإِذَا حَكَّمَا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ أَثْبِتُونِي ، وَلَوْ قُلْتُ : احْكُمُوا وَأَثْبِتُونِي أَبِي مَعَاوِيَةَ ، وَلَكِنِّي أَظْهَرْتُ لَهُمُ النِّصْفَةَ حَتَّى رَضِي . كَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَوْ قَالَ : أَجْعَلُ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أَبْوَابًا أَنْ يِيَاهِلُوا ، وَلَكِنْ جَعَلَ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ، فَهَمُ الْكَاذِبُونَ وَاللَّعْنَةُ عَلَيْهِمْ ، وَلَكِنْ أَظْهَرْتُ لَهُمُ النِّصْفَةَ فَقَبِلُوا ، قَالُوا : صَدَقْتَ هَذِهِ بِحِجَّتِنَا هَذِهِ .

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : إِنْ كَانَ مَعَاوِيَةَ أَهْدَى مِنِّي فَأَثْبِتُوهُ ، فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَهُ أَهْدَى مِنِّي ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [التصوير: ٤٩] فَقَدْ^(٢) عَرَفْتُ أَنَّهُمْ لَا يَجِدُونَ مَعَاوِيَةَ أَهْدَى مِنِّي .

وَأَمَّا قَوْلُكُمْ : إِنْ الْحَكَمِيِّينَ كَانَا رَجُلِي سَوْءَ قَلَمٍ حَكَّمْتَهُمَا؟ فَإِنَّهُمَا لَوْ حَكَّمَا بِالْعَدْلِ لَدَخَلَا فِيمَا نَحْنُ فِيهِ وَخَرَجَا مِنْ سَوْتِهِمَا ، كَمَا أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَوْ حَكَّمُوا

(١) فِي (أ) : أَحَقُّ .

(٢) فِي (ج) : فَكَذَلِكَ .

بما أمر الله سبحانه حيث يقول : ﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ ﴾ [المائدة: ٤٧] خرجوا من كفرهم إلى ديننا، قالوا: صدقت وهذه بحجتنا هذه. وأما قولكم: إني كنت وصياً فضيعة الوصية، فإن الله تعالى قال في كتابه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧] ولو ترك الحج من استطاع إليه سبيلاً كفر ولم يكن البيت ليكفر، ولو تركه الناس لا يأتونه، ولكن كان يكفر من يستطيع إليه السبيل ولا يأتيه، وكذلك أنا إن أكن وصياً فأنتم كفرتم لا أنا كفرت بكم وبما ترتكموني قالوا: صدقت وهذه بحجتنا هذه.

وأما قولكم: إن ابن عباس جاء يرفل في حلة حسنة يدعوكم إلى ما ندعوكم إليه، فقد رأيت أحسن منها على رسول الله ﷺ يوم حرب. فرجع إليه من الخوارج أكثر من أربعة آلاف، وثبت على قتاله أربعة آلاف، وأقبلوا يحكمون، فقال علي عليه السلام: حكم الله أنتظر فيكم. ياهؤلاء أيكم قتل خباب بن الأرت وزوجته وابنه يظهر لي أقتله بهم، وانصرف عهداً إلى مدة حكم الله أنتظر فيكم؟ فنادوا: اللهم كلنا قتل خباباً وزوجته وابنه واشترك في دمائهم. فناداهم أمير المؤمنين عليه السلام: أظهروا لي كتاباً وشافهوني بذلك فإنني أكره أن يُقرَّ به بعضكم في الضوضاء ولا يُقرَّ بعض، ولا أعرف ذلك في الضوضاء، ولا استحل قتل من لم يقر بقتل من أقر، لكم الأمان حتى ترجعوا إلى مراكزكم كما كنتم، ففعلوا وجعلوا كلما جاء كتيبة سألهم عن ذلك، فإذا أقرّوا عزلهم ذات اليمين حتى أتى على آخرهم، ثم قال: ارجعوا إلى مراكزكم، فلما رجعوا ناداهم ثلاث مرات رجعتكم كما كنتم قبل الأمان من صفوفكم، فنادوا كلهم نعم. فالتفت إلى الناس فقال: الله أكبر لو أقر بقتلهم أهل الدنيا وأقدر على قتلهم لقتلتهم، ثم شدَّ عليهم مرة بعد مرة، يرجع بسيفه يسويه على ركبتيه من اعوجاجه. ثم شدَّ

الناس عليهم فقتلوهم فلم ينج منهم تمام عشرة ، فقال : اثتوني بذى الشدية فإنه في القوم ، فقلب الناس القتلى فلم يقدرُوا عليه ، فأُتِي فأخبر بذلك ، فقال : الله أكبر ، والله ما كذبتُ ولا كُذبتُ وإنه لفي القوم ، ثم قال : اثتوني بالبغلة فإنها هادية ، فركبها ثم انطلق حتى وقف على قليب ، ثم قال : قلبوا فقلبوا سبعة من القتلى فوجدوه ثامنهم ، فقال : الله أكبر هذا ذو الشدية ، والذي خبّرني رسول الله ﷺ أنه يقتل مع شرّ جيل ، ثم قال : تفرقوا فلم يقاتل معه الذين كانوا اعتزلوا ، كانوا وقوفًا على حدة ، وقد كان ﷺ قال لأصحابه : إنه لا يقتل منكم عشرة ، ولا ينجو منهم عشرة ، فكان الأمر كما قال^(١) .

وقد روينا في الخوارج عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال :
«تمرق مارقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق»^(٢) .

وروينا عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : «كلاب أهل النار الخوارج»^(٣) .

وروينا بالإسناد إلى عبد الله بن مسعود قال : أمر علي ﷺ بقتال الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين^(٤) . وعن أبي سعيد الخدري قال : أمرنا رسول الله ﷺ : «بقتال الناكثين ، والقاسطين ، والمارقين ، فقلنا : يا رسول الله أمرتنا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فمع من ؟ قال : مع علي بن أبي طالب» .

والمراد بالناكثين : طلحة والزبير وأصحابهم ؛ لأنهم نكثوا ببيعة أمير المؤمنين صلوات الله عليه . وبالقاسطين : معاوية وأصحابه ؛ لأنهم قسطوا

(١) المصابيح ٣٢٦ ، وشرح نهج البلاغة (٢/ ٢٧٥-٢٧٧) .

(٢) صحيح مسلم رقم ١٠٦٤ ، وسنن أبي داود رقم ٤٦٦٧ ، ومسنند أحمد ١١٢٩٣ ، وفتح الباري رقم ٦٥٣٢ ، والسنن الكبرى رقم ٨٥١١ ، مسند أبي يعلى رقم ١٢٤٦ .

(٣) ابن ماجه رقم ١٧٣ ، والمعجم الكبير رقم ٨٠٣٣ ، ٨٠٣٤ ، ٨٠٣٦ ، ٨٠٤٢ ، ومسنند الطيالسي رقم ١١٣٦ ، ومسنند أحمد بن حنبل رقم ١٩١٥٣ ، ١٩٤٣٤ ، مسند الحميدي رقم ٩٠٨ .

(٤) الحاكم ١٥٠/٣ رقم ٤٤٧ ، والمعجم الكبير ١٠/٩١ رقم ١٠٠٥٣ .

عن الحق أي جاروا وعدلوا. وبالمارقين: الخوارج ؛ لأنهم مرقوا عن طاعة أمير المؤمنين عليه السلام .

مُدَّةُ خِلاَفَتِهِ عليه السلام بَعْدَ الْبَيْعَةِ

كانت البيعة كما ذكرنا يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة، وضرِبَ عليه السلام لتسع عشرة، وقيل: لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، وتوفى ليلة إحدى وعشرين من الشهر على أثبت الروايات سنة أربعين من الهجرة ؛ فكانت مدة الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر وأياماً على أصح الروايات، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام في الإفادة^(١).

أولاد أمير المؤمنين عليه السلام: الحسن والحسين صلوات الله عليهما والمُحَسَّنُ دَرَجَ صَغِيرًا، وزينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى، أمهم فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وأبو القاسم محمد، أمه خولة بنت جعفر بن قيس بن بني بكر بن وائل ثم من بني خنيفة. والعباس وعثمان وجعفر وعبدالله قُتِلُوا مع الحسين صلوات الله عليه، أمهم أم البنين بنت حزام من ولد عامر بن صعصعة. وأبو بكر وعبيد الله، أمهما ليلى بنت مسعود الدأرمية. وعمر ورقية، أمهما الصهباء وهي أم حبيب بنت ربيعة من بني تغلب بن وائل من سببي خالد بن الوليد. وعمر الأصغر أمه الْمُصْطَلِقِيَّة. ومحمد الأوسط، ومحمد الأصغر، وعمر الأوسط على قول بعضهم، والعباس الأصغر، وجعفر الأصغر لأمهات شتى. وعبدالرحمن، وأمهم أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وأمها زينب بنت رسول الله ﷺ، وهي ابنة أخت فاطمة عليها السلام. وكانت أوصت إليه عليه السلام

(١) الإفادة ص ٤٠، وتاريخ الطبري ١٥٢/٥ .

بأن يتزوج بها بعدها. ويحيى وعون درجا صغيرين، وأمهما أسماء بنت عميس من ولد خثعم بن أنمار بن نزار. فهؤلاء عشرون ابناً. هم أكثر المعدودين من أولاده الذكور. ومن أصحاب الأنساب من لم يعد محمد الأوسط والأصغر، ولم يذكر عمر الأوسط، ومنهم من لم يذكر إلا عمر المعقب. والعقب خمسة منهم: وهم الحسن، والحسين عليهما السلام، ومحمد، والعباس، وعمر.

والبنات اثنتان وعشرون بنتاً على اختلاف في ذلك بين أهل النسب. زينب الكبرى قد روت عن أمها فاطمة عليها السلام غير حديث، والصغرى. وأم كلثوم الكبرى، والصغرى، ورملة الكبرى، والصغرى، ورقية الكبرى، والصغرى، وأم هاني الكبرى، والصغرى، وأم الكرام واسمها الجمانة، وأم جعفر، وقد اختلف هل النسب فيها. فمنهم من يقول: جمانة هي أم جعفر، وهو قول يحيى ابن الحسن العقيقي. ابن الكلبي يقول: الجمانة غير أم جعفر. وأم سلمة. ونفيسة هي أم كلثوم الصغرى. وقال غيره: هي غيرها. وميمونة، وليلى، وأم الحسن، وفاطمة، وخديجة، وأمامة.

والعقب لأربع منهن: وهن زينب الكبرى عقبها في ولد عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وزينب الصغرى عقبها في ولد محمد بن عقيل ولدت له عبدالله بن محمد بن عقيل^(١)، وأم الحسن عقبها في ولد جعدة بن هبيرة ابن أخت علي عليه السلام، وفاطمة عقبها في ولد سعد بن الأسود بن أبي البختري. والبواقي منهن لم يتزوجن، ومنهن مزوجات من ولد عقيل والعباس بن عبد المطلب وقد انقرض عقبهن^(٢).

عماله عليه السلام: كاتبه عبيدالله بن أبي رافع. وحاجبه قنبر مولاه. وعامله على مكة معبد بن العباس بن عبد المطلب. وعلى المدينة قثم بن العباس. وعلى اليمن

(١) ولدت له عبدالله بن عقيل، في (أ): ساقطة.
(٢) أنظر المصابيح ٣٣٠-٣٣١، وتاريخ الطبري ٥/١٥٣-١٥٥.

عبيدالله بن العباس هذه رواية^(١) الزبير بن بكار . وروى غيره أن مكة والطائف ونواحيها كان عليها قثم بن العباس . وكان على المدينة أبو أيوب الأنصاري ، وهذا أظهر . وعلى مصر قيس بن سعد . ثم ولى محمد بن أبي بكر عليها . ثم ولى الأشتر عليها فلم يصل إليها وسُمَّ في الطريق بحيلة من معاوية . وعلى البصرة عثمان بن حنيف قُتِلَ في وقعة الجمل ، ثم عبدالله بن العباس بعدها . وأبو الأسود الدؤلي كان على القضاء بها . وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث . وعلى فارس وكرمان ونواحيها زياد . وعلى خراسان جعدة بن هبيرة . ثم خالد بن قرّة اليربوعي . وعلى المدائن سعيد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد^(٢) .

ذِكْرُ مَقْتَلِهِ وَمَبْلَغِ عُمُرِهِ وَمَوْضِعِ قَبْرِهِ ﷺ :

روينا عن قيس بن الربيع قال : كان أمير المؤمنين ﷺ يفطر عند الحسن بن علي عليهما السلام فلا يزيد علي ثلاثة لقم قال : فيقول : يا أبة لوزدت ، فيقول : أحب أن ألقى الله خميصاً . وعن عثمان بن المغيرة قال : لَمَّا دَخَلَ رَمَضَانَ جَعَلَ عَلِيٌّ ﷺ يَتَعَشَّى لَيْلَةَ عِنْدَ الْحَسَنِ ، وَلَيْلَةَ عِنْدَ الْحُسَيْنِ ، وَلَيْلَةَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ ، لَا يَزِيدُ عَلَي ثَلَاثَ لَقْمٍ يَقُولُ : يَا تَبْنِي أَمْرَ اللَّهِ حِينَ يَا تَبْنِي وَأَنَا خَمِيصٌ ، وَإِنَّمَا هِيَ لَيْلَةٌ أَوْ لَيْلَتَانِ^(٣) . وَرَأَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ ﷺ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَنَامِ ، قَالَ عَلِيٌّ : فَشَكَّوتُ إِلَيْهِ مَا لَقِيتُ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ فَوَعَدَنِي الرَّاحَةَ عَنِ قَرِيبٍ ، فَمَا لَبِثَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا جُمُعَةٌ أَوْ جُمُعَتَيْنِ .

وروينا عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال علي ﷺ : واشتكى شكوى ، فلما أفاق قالوا : لقد خفنا عليك ، قال : ما خفتم علي؟ قالوا :

(١) في (ج) : هذه الرواية عن الزبير .

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ١٥٥ - ١٥٦ .

(٣) كنز العمال ١٣ / ١٩٥ برقم ٣٦٥٨٣ .

لم نأمن عليك الموت ، قال : لا ، لعمرى ما من الموت أمان ، ولكن حدثني الصادق المصدوق البار عليه السلام ، أنه أني لن أموت حتى تخضب لحيتي هذه من دم رأسي ، يضربني أشقى هذه ، كما عقر ناقة الله أشقى ثمود ^(١) .

وروى الحاكم رضي الله عنه عن عبدالله بن سبيع قال : خطبنا علي عليه السلام وقال : فيما عهد إلي رسول الله صلى الله عليه وآله : لَتُخْضَبَنَّ هذه من دم هذا ، فقالوا : ألا تخبرنا به فنييد عترته ، فقال : أنشد الله رجلا قتل غير قاتلي .

وروى رضي الله عنه عن أبي الأسود الدؤلي قال : سمعت عليا عليه السلام يقول : أتاني عبدالله بن سلام وقد أدخلت رجلي في الغرز ، فقال : أين تريد ؟ فقلت العراق ، فقال : أما إنك لو جثتها ليصينك بها ذباب السيف ، ثم قال علي عليه السلام : وايم الله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : قبله ، قال أبو الأسود : فتعجبت منه ؛ رجل محارب يحدث بمثل هذا عن نفسه !

وروي عنه أنه عليه السلام لما أراد أن يخرج من الدار في الليلة التي ضرب فيها تعلق مئزره بالباب فانشأ يقول :

اشدد حيازيمك للموت فإني الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت إذا حل بواديكا ^(٢)
ثم مضى إلى المسجد وهو يقول :
خلوا سبيل المؤمن المجاهد في الله لا يعبد غير الواحد

ويوقظ الناس إلى المساجد

وروي أن عبدالرحمن بن ملجم ، والبرك بن عبدالله ، وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا بمكة فذكروا أمر الناس ، وعابوا عمل ولاتهم ، ثم ذكروا أمر أهل النهر فترحموا عليهم وقالوا : والله ما نضع بالبقاء بعدهم شيئا ، فلو اشترينا

(١) الأمازي ٧٥ ولفظ مقارب ، وكنز العمال ١٣ / ١٩٣ رقم ٣٦٥٧٧ - ٣٦٥٧٨ - ٣٦٥٨٠ .

(٢) مقاتل الطالبين ٣١ ، وصفوة الصفوة ١ / ١٤٠ ، وكتاب الفتوح ٤ / ٢٧٧ .

أنفسنا وأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم وأرحنا منهم البلاد، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، وقال البرك: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا على ذلك، واتعدوا ليلة تسع عشرة من رمضان، وهي الليلة التي ضرب ابن ملجم فيها علياً عليه السلام. فأقبل كل واحد منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه^(١).

فأما ابن ملجم فلقي أصحابه بالكوفة فكاتمهم أمره حتى إذا أتى ذات يوم أصحاباً له من تيم الرباب، وقد كان علي عليه السلام قتل منهم عدة يوم النهر، فلقي من يومه ذلك امرأة يقال لها: قطام، وكان علي عليه السلام قد قتل أباه وأخاه يوم النهر، وكانت جميلة، فلما رآها التبست بقلبه فخطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشتفي لي. قال: وما تشأين؟ قالت: ثلاثة آلاف، وعبد، وقينة، وقتل علي بن أبي طالب، فقال: والله ما جاء بي إلا قتل علي بن أبي طالب، قالت: فإنني أطلب لك من يساعدك، وبعثت إلى رجل يقال له: وردان فكلمته فأجابها. وأتى ابن ملجم شبيب بن بحر ويقال: شبيب، وقال: هل لك في قتل علي؟ فقال: ثكلتك أمك! كيف تقدر عليه؟ قال: أكمن له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه، قال: ويحك! لو كان غير علي كان أهون، قال: أما تعلم بأنه قتل أهل النهر العباد المصلين، قال: بلى، قال نقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه، فجاءوا حتى دخلوا على قطام، وقال: هذه الليلة التي واعدت فيها صاحبي أن يقتل كل واحد منا صاحبه^(٢).

وروي أنها أعدت له سيفاً، فلما دفعته إليه قالت: اقتل علياً وارجع قرير العين مسروراً، فقال: لا بل أرجع سخين العين مشبوراً، ثم إنهم أخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي عليه السلام، فخرج صلوات الله عليه لصلاة

(١) الطبري ٦/ ٨٣، وابن أبي الحديد ٢/ ٤٢، والبداية والنهاية ٧/ ٣٢٥، ومقاتل الطالبين ٢٩.

(٢) مقاتل الطالبين ٣٣.

الغداة فشد عليه شبت فوق سيفه بعضادة الباب وبالطاق ولم يصبه ، وضربه ابن ملجم على رأسه ، وهرب وردان حتى دخل منزله ، فدخل عليه رجل من بني أبيه وهو ينزع السيف والحريرة ، وأخبره بما كان ، فذهب إلى منزله وأخذ سيفه وعلاه به حتى قتله ، وخرج شبت ونجا ، وشدوا على ابن ملجم وأخذوه^(١) .

وروي أن الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن جبلة بن معاوية كان تلك الليلة بناحية من المسجد ، وحجر بن عدي رحمه الله كان يصلي ، فسمع الأشعث يقول له : النجا ، فَضَحَكَ الصُّبْحُ ، فقال : قتلت يا أعور قتلك الله ، وكان الأشعث أعور ، وكان ابن ملجم حليفاً لبني جبلة وابن أخت لهم ، وجبلة هو الذي ينتمي إليه الأشعث ، كما قدمنا نسبه ، فلما قُتِلَ علي عليه السلام قال قيس بن ربيعة الكندي يرثيه ويهجو الأشعث :

قتلت أمير المؤمنين تَحَسُّونَا	على غير شيء يابن واهصة الخصى ^(٢)
وأنت لعلج من هرايد فارس	تؤول لعلج ما تبوء لذي العلا
لشنجيت ترمى شر أبناء فارس	إلى شر منجول وألم مُنْتَمِي
غدرت بيمبون النقيبة حازم	وأكرم من ضمت حصاب ومن مشى
أخي الدين والإسلام والبر والتقى	وصهر الذي أصفى له الدين بالهدى
أبر بذي قربي وأبعد من خني	وأتقى لرب حين مَيَّزَ ذُوو النهي
وأشجع من ضرغامة ذي مهابة	وأجود من نوء السماك إذا سقى
أخا أحمد والوارث العلم بعده	وصي له في الغابرين ومن مضى
فأبشر أخا الإتراف والحب والحننا	بما إن تلاقني أن تحش لكم لظي
مقارن إبليس بها عرف نارها	وقود لحاميتها ليهن لك السقا

(١) المصاييح ٣٣٥ .

(٢) يعبر الرجل فيقال : يابن واهصة الخصى إذا كانت أمه راعية . لسان العرب مادة : وهص .

فلا زلت موزوعاً لعيناً مُبَغْضَاً وأبعدك الرحمان واجتاحك الردى^(١)
وكان الأشعث دعياً في كندة؛ ولذلك قال علي عليه السلام فيما حكى الأسود بن
سعد بن قيس الهمداني: أن علياً عليه السلام كان جالساً في الرَّحْبَةِ إذ طلع الأشعث بن
قيس فَسَلَّمَ ثم جلس فقال: يا أمير المؤمنين جئتُ خاطباً، قال: لمن؟ قال: إليك
قال أحمقة: كحمقة أبي بكر يا شعث، يأبى ذلك عليك شنجيت، فقال
الأشعث: وما شنجيت؟ قال رجل من الفرس لما تمزق ملك بني عمرو بن معاوية
شخص مع كندة إلى اليمن، وابنه خُرْزاذ معه غلام، فلما انتهوا إلى حضرموت
هلك شنجيت، فانتسب خرزاذ جدك الذي يقال له: معدي كرب إلى جيلة بن
معاوية. وكان الأشعث لما ارتد عن الإسلام وتحصن بحصنه النحير بَعَثَ إليه
أبو بكر زياد بن لبيد البياضي، فأخذه فمَنَّ عليه أبو بكر وزوجه أخته أم فروة؛
فلذلك قال علي عليه السلام: أحمقة كحمقة أبي بكر^(٢).
وروي عن محمد بن حنيف قال: والله إني لأُصَلِّي تلك الليلة التي ضرب
فيها ابنُ مُلْجَمٍ علياً عليه السلام قريباً من السدة في رجال كثير من أهل البصرة، إذ خرج
علي عليه السلام لصلاة الغداة، فنظرت إلى بريق السيف، وسمعت: الحُكْمُ لله لا لك
يا علي ولا لأصحابك، ثم سمعت علياً عليه السلام يقول: لا يفوتنكم الرجل، فلم
أبرح حتى أخذ ابن ملجم وأدخل على علي عليه السلام فسمعتة يقول: النفس بالنفس
إن هلكت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأي. فبيناهم عنده- وابن
ملجم مكتوف بين يدي الحسن عليه السلام- إذ نادت أم كلثوم بنت علي عليه السلام: إنه
لا بأس على أبي، والله مخزبك يا عدو الله، فقال: فعلام تبكين؟ فوالله لقد
شريته بألف، وسمّته بألف، ولو كانت هذه الضربة لجميع الناس ما بقي منهم

(١) المصاييح ٣٣٦.

(٢) المصاييح ٣٧٧.

أحد . وأقبل علي عليه السلام علي ابن ملجم ، وقال : أرأيت إن سألتك عن ثلاث خصال تصدقني إن سألتك ؟ قال : سلني ، قال : سألتك بالله هل كنت تُدعى وأنت صغير : ابن راعية الكلاب ؟ قال : اللهم نعم . قال : فأسألك عن الثانية : أنشدك بالله أمرُّ بك رجل وقد تحركت فقال : أنت شقيق عاقر ناقة ثمود ؟ قال : اللهم نعم . قال : فإني سألتك عن الثالثة ، وهي أشدهن عليك هل حدثتك أمك أنها حملت بك في حيضها ؟ قال : اللهم نعم ، ولو كنتُ كاتماً شيئاً لكتمته ^(١) . وفي قطام وما كان منها يقول القائل وهو ابن مياس الفزاري :

ولم أر مهراً ساقه ذو سماحة كمهر قطام من فصيح وأعجم
ثلاثة آلاف وعبند وقسينة وقتل علي بالحسام المصمم
فلا مهر أغلى من علي وإن غلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم ^(٢)

وأما صاحباً ابن ملجم لعنه الله تعالى : فإن البرك بن عبد الله انطلق تلك الليلة التي ضرب فيها علي عليه السلام - إلى معاوية فوافقه يصلي بالناس فشدَّ عليه فطعنه بالخنجر في أليته ، فأخذ فقتل . ويقال : بل قطع يديه ورجليه وخلي عنه . ودُوِّي ^(٣) معاوية وبريء ، ثم بلغه أنه ولد له ولد ^(٤) ، فبعث إليه فقتله ، ثم اتخذ معاوية المقاصير والحرس ، وهو أول من اتخذها في الإسلام خوفاً على نفسه . وانطلق عمرو بن بكر إلى عمرو بن العاص ، وكان عميداً يشتكي بطنه فلم يخرج تلك الليلة ، وأمر خارجه قاضي مصر أن يصلي بالناس ، فخرج يصلي بهم

(١) المصايح ٣٣٨-٣٣٩ .

(٢) ابن أبي الحديد ٤٦/٢ ، والاستيعاب ٢/٢٨٥ ، ومقاتل الطالبين ٣٧ ، وتاريخ الطبري ٥/١٥٠ .

(٣) في (ج) : وبريء .

(٤) في هامش (أ) : بلغه أنه لا يولد له بعد تلك الطعنة ، وأن نسله ينقطع من أجلها ، فأمر به يزيد بن معاوية فقتل .

فوافقهُ ابن بكر فقتله، فَأَمْسَكَ فَأَنْطَلَقَ بِهِ إِلَى عَمْرُو، وَقَالَ لِعَمْرُو: يَا عَدُوَ اللَّهِ
وَاللَّهِ مَا أُرَدْتُ غَيْرَكَ لَكِنَّ اللَّهَ أَبِي إِلَّا خَارِجَهُ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ فُقْتِلَ وَصَلِبَ.

وروينا عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهم السلام: أن أمير المؤمنين عليه السلام
كان يخرج إلى الصبح وفي يده درة يوقظ بها الناس، فضربه ابن ملجم، فقال
علي عليه السلام: أطعموه واسقوه وأحسنوا إيساره، فإن عشت فالحق حقي،^(١) فإن
شئت استقدت. وفي بعض الأخبار كفوا عنه وأوثقوه، فإن أعش فالحق حقي
أرى فيه رأيي، وإن أمت فرأيكم في حكمكم.

وَضُرِبَ عليه السلام ليلة تسع عشرة من شهر رمضان. وروي أنه عليه السلام لما ضرب
جمع له أطباء أهل الكوفة فلم يكن فيهم أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هاني
السكوني، وكان متطبباً صاحب كرسي يعالج الجراحات، وكان من الأربعين
غلاماً الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في بيعة عين التمر فسابهم. وأن أثيراً لما
نظر إلى جرح أمير المؤمنين عليه السلام دعا برثة شاة حارة فاستخرج عرقاً منها فأدخله
الجرح ثم استخرجه فإذا عليه بياض الدماغ فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك
فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك^(٢).

وروينا عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: لما ضُربَ أمير
المؤمنين علي عليه السلام الضربة التي توفي منها؛ استند إلى اسطوانة المسجد، والدماء
تسيل على شيبته، وضجَّ الناس في المسجد كهيئة يوم قبض فيه النبي صلى الله عليه وآله،
فابتدأ خطيباً فقال- بعد الثناء على الله تعالى والصلاة على نبيه صلى الله عليه وآله: كل امرئ
ملاق ما يفر منه، والأجل تساق إليه النفس، والهرب منه موافاته. كم اطردت
الأيام ابحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلا ستره، وإخفاءه علماً مكنوناً. أما

(١) في (ب): أرى فيه رأيي، وإن شئت . . .

(٢) ابن أبي الحديد ٢/ ٤٤، ومقاتل الطالبين ٣٨، أمالي أبي طالب ٧٩-٨٠.

وصيتي بالله عز وجل : فلا تشركوا به شيئاً ، ومحمداً ﷺ والله فلا تضيعوا سنته ، أقيموا هذين العمودين ، حَمَلْ كل أمرىء منكم مجهوده ، وخفف عن العجزة ربُّ كريم رحيم ، ودين قويم ، وإمام عليم ، كنتم في إعصار وذرور رياح ، تحت ظل غمامة اظمحل راکدها ، لِيَعْظُكُمْ خفوتي وسكون أطرافي ، إنه لأوعظ لكم من نطق بليغ . ودعّتكم وداع امرىء مرصد للتلاق ، غدا ترون أيامي ، ويكشّف لكم عن سرائري ، فعليكم السلام إلى يوم اللزام ، كنت بالأمس صاحبكم ، وأنا اليوم عظة لكم ، وغداً أفارقكم . فإن أبق فأنا ولي دمي ، وإن أفنّ فالقيامة ميعادي ، عفى الله عني وعنكم ^(١) .

توفى ﷺ ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين . وولي غسله ابنه الحسن بن علي عليهما السلام ، وعبيدالله بن العباس ، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص ، وصلى عليه ابنه الحسن بن علي عليهما السلام ، وكبر خمس تكبيرات ، ودفن عند صلاة الصبح أولاً في الرحبة مما يلي باب كنده ، ثم نقل ليلاً إلى الغري ^(٢) . وذكر السيد أبو طالب أن المشهور أن زيد بن علي عليهما السلام قال لأصحابه - وهم يسلكون معه طريق الغري - : أتدرون أين نحن؟ نحن في رياض الجنة ، نحن في طريق قبر أمير المؤمنين ^(٣) . قال : ومن المعلوم الذي لا يخفى على من نظر في الأخبار أن جعفر بن محمد حضر الموضع وزار القبر ، وقال لابنه اسماعيل : هذا قبر جدك أمير المؤمنين ^(٤) .

وروي عن الحسن بن علي عليهما السلام أنه قال : حملناه ليلاً ودفناه بالغري ^(٥) . فهذا كلام سادة العترة عليهم السلام ، فكيف تدعى النواصب أن

(١) أمالي أبي طالب ١٨٨-١٨٩ .

(٢) مقاتل الطالبين ٤١ ، المصايح ٣٣٩ .

(٣) الإفادة ٣٠-٣١ ، والامالي ٧٩ ، والمصايح ٣٣٩-٣٤٠ .

(٤) الإفادة ٣١ .

(٥) الإفادة ٣١ .

موضع القبر ليس بمعلوم! لولا عمى بصائرهم وشدة انحرافهم عن أهل بيت النبي ﷺ والله .

وروينا بالإسناد عن الأسود الكندي والأجلح قالا : توفي أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو ابن أربع وستين سنة ، قال السيد أبو طالب عليه السلام : وهو الأصح^(١) . وعن جعفر بن محمد قال : قتل علي عليه السلام وهو ابن ثمان وخمسين ، وعن محمد ابن الحنفية لما جاوز خمسا وستين سنة قال : جاوزت سن أبي بستين .

ولما دفن عليه الصلاة والسلام ، دعا الحسن بن علي عليهما السلام - بعد دفنه أياه ابن ملجم لعنه الله فأتي به فأمر بضرب عنقه ، فقال له : إن رأيت أن تأخذ علي العهود أني أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك بعد أن أمضي إلى الشام فأنظر ما صنع صاحبي بمعاوية فإن كان قتله وإلا قتلته ، ثم عدت إليك فتحكم في بحكمك؟ فقال له الحسن عليه السلام : هيهات ، والله لا تشرب الماء البارد أو تلحق روحك بالنار ، ثم ضربت عنقه ، فاستوهبت أم الهيثم بنت الأسود النخعية جيفته منه ، فوهبها لها ، فأحرقتها بالنار^(٢) .

وروينا بالإسناد عن ابن شهاب قال : قدمت دمشق غازياً فدخلت على عبد الملك بن مروان ، فإذا هو على فرش يفوت القائم ، والناس سماطين بين يديه فسلمت ، فأخذت مجلساً ، فقال : يا ابن شهاب ، أتعرف ما كان في بيت المقدس صباح ليلة قتل فيها علي بن أبي طالب؟ قلت : نعم ، قال : هلُم فدرت خلف السماط حتى أتيت من خلف القبة ، فتحول إلي فولاني^(٣) رأسه ، فقال : ما كان؟ فقلت : ما رفَع حجر في بيت المقدس إلا وجد تحتَه دم^(٤) فقال : ما بقي أحد يعرف هذا غيري وغيرك فلا يخرج منك ، فما حدثت به حتى مات .

(١) الإفادة ٣٤ .

(٢) الأماشي ٨٥ ، ومقاتل الطالبين ٤١ .

(٣) في (ب، ج) : فولاً .

(٤) في (ب) : غبيطاً .

وروينا بالإسناد إلى الحاكم رضي الله عنه رواه عن جعفر بن محمد بإسناده عن النبي ﷺ قال لعلي : يا علي من زارني في حياتي ، أو بعد وفاتي ، أو زارك في حياتك ، أو بعد موتك ، أو زار ابنك في حياتهما ، أو بعد موتهما ، ضمنت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها وشدائدتها حتى أصيره معي في درجتي»^(١) .

وروي عن الرضى ﷺ أنه قال : من زار قبر أمير المؤمنين فليصل عند رأسه ست ركعات ؛ فإن في قبره عظام آدم ، وجسد نوح ، وأمير المؤمنين عليهم السلام ، فمن زار أمير المؤمنين فقد زار آدم ونوحاً وأمير المؤمنين . وعنه رضي الله عنه عن الصادق ﷺ : إذا بعدت بأحدكم الشقة ونأت به الدار فليُصَلِّ ركعتين ، وليؤم بالسلام إلى قبورنا ، فإن ذلك يصل إلينا .

وقالت أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب ترثي أمير المؤمنين علياً ﷺ^(٢) :

ألا يا عين ويحك أسعدينا	ألا تبكي أمير المؤمنين
رُزئنا خير من ركب المطايا	وفارسها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها	ومن قرأ المشاني والمثينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين	رأيت البدر راع الناظرينا
فلا والله لا أنسى علياً	وحسن صلواته في الراكعينا
يقيم الحد لا يرتاب فيه	ويقضي بالفرائض مستبيننا
أفي شهر الصيام فجعثمونا	بخير الناس طراً أجمعينا

(١) درر الأحاديث النبوية ٤٩ عن الحسن بن علي (ع) قال للنبي ﷺ وآله ما لمن زارنا؟ فقال رسول الله «من زارني حياً أو ميتاً ، أو زار أباك حياً أو ميتاً أو زارك حياً أو ميتاً كان حقيقاً على الله أن يستنقذه يوم القيامة» .

(٢) اختلف الرواة في ترتيب هذه الأبيات كما اختلفوا في نسبتها ، وقد نسبها الطبري في تاريخه ٥ / ١٥٠ لأبي الأسود الدؤلي .

كَانَ النَّاسُ إِذْ فَتَقَدُوا عَلِيًّا نَعَامٌ حَالٌ فِي بِلَدِ سَنِينَا
وَكُنَّا قَبْلَ مَهْلِكِهِ بِخَيْرِ نَرَى فِينَا وَصِيَّ الْمُسْلِمِينَا
أَشَابَ ذُرَابَتِي وَأَطَالَ جُهْدِي أَمَامَةً حِينَ فَارَقَتِ الْقَرِينَا
وَعَبْرَةٌ أُمَّ كَلْثُومٍ بِحَزْنِ تَجْرَعُهَا وَقَد رَأَتِ الْيَقِينَا
فَلَا تَشَمَّتْ مَعَاوِيَةُ بْنُ صَخْرٍ فَإِنْ بَقِيَةَ الْخُلَفَاءِ فِينَا^(١)

ولما دفن أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، قام صعصعة بن صوحان ، وأخذ التراب ووضع على رأسه ، وأنشأ يقول :

أَلَا مَنْ لِي بِسِرِّكَ يَا أُخِيًّا وَمَنْ لِي أَنْ أَبْثُكَ مَسَا لِدِيًّا
طَوْتُكَ مَنْوَنَ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرِ كَذَلِكَ دَابُّهُ نَشْرًا وَطِيًّا
فَلَوْ نَشَرْتَ طَوَاكَ لِي الْمُنَايَا شَكَرْتُ إِلَيْكَ مَا صَنَعْتُ إِلِيًّا
كَفَى حَزْنًا بِفَقْدِكَ ثُمَّ إِنِّي نَفَضْتُ تَرَابَ قَبْرِكَ مِنْ يَدِيَّا
بِكَيْتِكَ يَا عَلِيَّ بِمَلِّءْ عَيْنِي فَلَمْ يَغْنِ الْبُكَاءُ عَلَيْكَ شَيْئًا
وَكَانَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاةٌ فَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعِظُ مِنْكَ حَيًّا

وقال عمران بن حطان الخارجي في عبد الرحمن بن ملجم لعنهما الله - حين ضرب علياً عليه السلام^(٢) :

يَا ضَرِبَةَ مَنْ تَقِي مَا أَرَادَ بِهَا إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ رِضْوَانَا
إِنِّي لِأَذْكَرُهُ يَوْمًا فَأَحْسِبُهُ أَوْفَى الْبَرِيَّةِ عِنْدَ اللَّهِ مِيزَانَا
أَخْلَقَ بِقَوْمِ بَطُونِ الطَّيْرِ أَقْبَرَهُمْ لَمْ يَخْلَطُوا دِينَهُمْ كُفْرًا وَعَدْوَانَا
فَأَجَابَهُ الْقَاضِي أَبُو الطَّيِّبِ طَاهِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرِ الْفَقِيهِ الشَّافِعِيِّ بِهَذِهِ
الْأَبْيَاتِ :

إِنِّي لِأَبْرءُ مِمَّا أَنْتَ قَسَائِلُهُ عَنِ ابْنِ مُلْجَمِ الْمَلْعُونِ بَهْتَانَا
يَا ضَرِبَةَ مَنْ شَقِي مَا أَرَادَ بِهَا إِلَّا لِيَهْدِمَ لِلْإِسْلَامِ أَرْكَانَا

(١) مقاتل الطالبين ٤٣ .

(٢) مقاتل الطالبين ٣٧ .

إني لأذكره يوماً فآلعه
 عليك ثم عليه الدهر متصلاً
 فأنتما من كلاب النار جاء به
 نص الشريعة برهاناً وتبياناً
 وروى صاحب كتاب الاستيعاب الفقيه الحافظ^(١) أبو عمر يوسف بن
 عبدالله بن محمد النميري لبكر بن حماد التاهرتي يعارض ابن حطان :

قتلت أفضل من يمشي على قدم
 وأعلم الناس بالقرآن ثم بما
 صهر النبي ومولاه وناصره
 وكان منه على رغم الحسود له
 وكان في الحرب سيفاً صارماً ذكراً
 ذكرت قاتله والدمع منحدر
 إني لأحسبه ما كان من بشر
 أشقى مراد إذا عُدت قبائلها
 قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها
 فلا عفى الله عنه ما تحمله
 لقوله في شقي ظل مجترماً
 يا ضربة من تقي ما أراد بها
 بل ضربة من غوي أوردته لظى
 كأنه لم يرد قصداً بضربته
 وروي له أيضاً :

وهز عليٌّ بالعراقين لحيةً
 فقال : سيأتيها من الله حادثٌ
 مصيبتها جلّت على كل مسلم
 ويخضبها أشقى البرية بالدم

(١) في (أ) : بدون الحافظ .

فباكره بالسيف شلت يمينه لشؤم دعاه عند ذاك ابن ملجم
 فيا ضربة من خاسر ظل سعيه تبوء منها مقعداً في جهنم
 ففاز أمير المؤمنين بحظه وإن طرقت فيه الليالي بمعظم
 ألا إنما الديناء بلاءٌ وفستنة حلاوتها شيبت بصابٍ وعلقم

ذِكْرُ نَكْتٍ مِنْ كَلَامِهِ وَسِيرَتِهِ ﷺ :

كلامه ﷺ في الطبقة العالية في كل فن من فنونه لفظاً ومعنى ، وهو بحر يظمي تياره ، ويتلاطم زخاره ، وإنما نذكر مجة^(١) من ليج زاخر ، وقطرة من وابل ماطر . من ذلك ما روينا بالإسناد الموثوق به عن الحارث أن علياً ﷺ لما اختلف أصحابه خطبهم حين اجتمعوا عنده مبتدياً بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ ، ثم قال : أما بعد :

فذمتي بذلك رهينة ، وأنا به زعيم ، مَنْ صرَّحت له العبر فيما بين يديه من المثالات حجزه التقوى عن ارتكاب الشبهات ، وإنه لن يظماً على التقوى زرع قوم ولن^(٢) يبلى على الهدى سنخ أصل ، وإن الخير والخيرة في معرفة الإنسان قدره ، وكفى بالمرء جهلاً أن لا يعرف قدره ، وإن أحب خلق الله إلى الله عبد أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن ، وتجلبب الخوف ، وأضمر اليقين ، وزهرت مصابيح الهدى في قلبه ، فسهل على نفسه الشديد ، وقرب عليها البعيد ، فلم يدع مبهمة إلا كشف غطاءها ، ولا مظلمة إلا قصد جلاها ، ولا معضلة إلا بلغ مداها ، مُعَين طريقته ، مشاهد من كل أمر حقيقته ، شرب نهلاً ، وسلك طريقاً سهلاً ، يحط حيث القرآن حط رحله ، وأين^(٣) نزل كان منزله ، فهو من خاص^(٤) أولياء الله .

(١) في (ب) ، (ج) : لجة .

(٢) في (ب) : ولكن .

(٣) في (أ) : وإن .

(٤) في (ب) : أخص .

وإن أبغض خلق الله إلى الله عبد وكله إلى نفسه جائر عن قصد السبيل ، مشغوف بكلام بدعة ، فهو فتنة لمن افتتن بعبادته ، ضال عن هدي من كان قبله ، مضل لمن اقتدى به ، حمال خطايا غيره ، رهين بخطيئته ، قَمَشَ جهلاً من الجهال فأوطأ الناس عشوة ، غاراً بأوباش الفتنة^(١) ، قد كهج بالصلاة والصوم ، فسماه أشباهه من الناس عالماً ولم يغن في العلم يوماً سالماً ، تكثر فاستكثر ، وما قل منه خير مما كثر ، حتى إذا ارتوى من آجن وأكثر من غير طائل ، قعد حاكماً بين الناس ، ضامناً لتخليص ما اشتبه عليهم ، إن نزلت به إحدى المبهمات هياً لها حشواً من رأيه ، فهو من^(٢) قَطَعَ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ غَزْلِ الْعَنْكَبُوتِ إِنْ أَصَابَ^(٣) ، وإن أخطأ لم يعلم ؛ لأنه لا يعلم أصاب أم أخطأ لا يحسب أن العلم في شيء مما ينكر ، ولا أن من وراء ما بلغه غاية ، إن قاس شيئاً لم يكذب بصره ، وإن أظلم عليه أمرٌ كتم ما يعلم من نفسه ؛ لكيلا يقال : لا يعلم ، ركاب عشوات ، وخائض غمرات ، ومفتاح ظلمات ، ومعتقد شبهات ، لا يعتذر بما لا يعلم ، ولا يعرض على العلم بضرر قاطع فيسلم ، يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم ، تصرخ منه الدماء ، وتبكي منه المواييت ، ويستحل بقضائه الفروج^(٤) الحرام ، ويحرم بقضائه الفروج الحلال ، لا مليء بإصدار ما ورد عليه ، ولا أهل لإصلاح ما فرط منه ، فأبصرو معادن الجور ، واستقصوا آثارها ، واستروحوا إلى طاعة الله من لا تعذرون بجهالته ، ثم ردوا هذا عذب فرات ، واحذروا هذا ملح أجاج ، واعلموا أن العلم الذي هبط به آدم ﷺ ، وما فصلته الأنبياء ، في عترة نبيكم ﷺ فأين يتاه بكم عن أمر تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة ؟ هؤلاء مثلها فيكم ، وهم لكم كالكهف لأصحاب الكهف ، وهم باب حطة ، وباب السلم ، فادخلوا في السلم كافة ، خذوا عني عن

(١) في النهج : عاد في أغباش .

(٢) في (ب) : في .

(٣) في النهج من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت .

(٤) في (ج) : الفرج .

خاتم المرسلين حجة من ذي حجة قالها في حجة الوداع : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض ^(١) .

وروينا بالإسناد الموثوق به : أن رجلاً قام إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف كان ربنا؟ فقال علي عليه السلام : كيف لم يكن وربنا لم يزل تبارك وتعالى ، وإنما يقال : لشيء لم يكن كيف كان؟ فأما ربنا فهو قبل القبل ، وقبل كل غاية ، انقطعت الغايات عنده ، فهو غاية كل غاية ، فقال : كيف عرفته؟ فقال : أعرفه بما عرف به نفسه ، ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾ ❖ ﴿ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٢-٤] ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، متدان في علوه ، عال في دنوه : ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ ، وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ، وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾ [المجادلة: ٧] قريب غير ملتصق ، بعيد غير متقص ، يعرف بالعلامات ، وثبت بالآيات ، يوحد ولا يبعث ، ويحقق ولا يمثّل ، لا إله إلا هو الكبير المتعال ^(٢) .

وروينا عن أبي المعتمر قال : حضرت مجلس أمير المؤمنين علي عليه السلام في جامع الكوفة ، فقام إليه رجل مصفار اللون ، كأنه من متهودة اليمن ، فقال : يا أمير المؤمنين صف لنا خالك وانعت لنا حتى كأننا نراه وننظر إليه ، فسبح علي عليه السلام ربه عز وجل وعظمه ، وقال : الحمد لله الذي هو أول لا بدئ مما ، ولا باطن فيما ، ولا هو ممازج مع ما ، ولا حال بما ، ليس بشبح فيرى ، ولا بجسم فيتجزى ، ولا بذئ غاية فيتناهى ، ولا بمحدث فيتصرف ، ولا بمستتر فيتكشف ، ولا كان بعد أن لم يكن ، بل حارت الأوهام أن تكيف المكيف للأشياء ، من لم يزل لا يمكن ، ولا يزول لا اختلاف الأزمان ، ولا يقلبه شأن بعد شأن ، البعيد من تخيل القلوب ،

(١) نهج البلاغة ص ٢٧ خطبة رقم ١٧ بخلاف سير.

(٢) الأمالى ١٨٨ .

المتعالي عن الأشباه والضروب، علام الغيوب، فمعاني الخلق عنه مَنفِيَّةٌ،
وسرائرهم عليه غير خفية، المعروف بغير كيفية، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس
بالناس، لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأقدار، ولا تُقدَّرُه العقول، ولا تقع
عليه الأوهام^(١).

ومن خطبة له ﷺ قوله: الحمد لله الذي لا من شيء كان، ولا من شيء
خلق ماكوّن، يستشهد بحدوث الأشياء على قدمه، وبما وسمها من العجز على
قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه، لم يخل منه مكان فيدرك بأينية،
ولا له شبح مثال فيوصف بكيفية، ولم يغب عن شيء فيعلم بحيثه، مباين لجميع
ما جرى في الصفات، وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الأدوات، وخارج
بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات، لا تحويه الأماكن لعظمته،
ولا تدركه الأبصار لجلاله، ممتنع من الأوهام أن تستعرفه، وعن الأذهان أن
تمثله.

وفي رواية أخرى: فليست له صفة تنال، ولا حد يضرب له فيه بالأمثال،
كلّ دون صفاته تخابير اللغات، وفضل هنالك تصاريف الصفات، وحرار دون
ملكوته عميقات مذاهب التفكير، وانقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير،
وحال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب، تاهت في أدنى أدانيها طامحات
العقول، واحد لا بعدد، دائم لا بآمد، قائم لا بعمد، ليس بجنس فتعادلته
الأجناس، ولا بشبح فتضارعه الأشباح، ليس لها محيص عن إدراكه لها، ولا
خروج عن إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع من قدرته
عليها، كفى بإتقان صنعه لها آية، وبتركيب خلقها عليه دلالة، وبحدوث ما فطر
على قدمه شهادة، فليس له حد منسوب، ولا مثل مضروب، ولا شيء هو عنه
محجوب، تعالي عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقة علواً كبيراً^(٢).

(١) الأمامي ١٩٠، وحلية الأولياء ٧٢/١، والسيوطي في الكبير ٢٥٨ رقم ٥٦٤٩.

(٢) الأمامي ١٩٨-١٩٩.

ومن كلام له ﷺ حين وقع خلاف من خالفه

بعد حمد الله والثناء عليه ثم قال: ما شاء الله توكلت على الله الذي لا إله إلا هو، حيٌّ بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا قوي بعد ما كوّن، ولا كان ضعيفاً قبل أن يكوّن، ولا كان مستوحشاً قبل أن يتدع، ولا خلواً من الملك قبل إنشائه، ولا يكون خلواً بعد ذهابه، كان إلهاً حياً لا بحياة، وملكاً قبل أن ينشئ شيئاً، ومالك قبل إنشائه، وليس يكون له كيف ولا أين، ولا له حد يعرف، ولا شيء يشبهه، ولكن سميع بلا سمع، وبصير بغير بصر، وقوي بغير قوة من خلقه، لا تدركه حدق الناظرين، ولا يحيط به سمع السامعين، إذا أراد شيئاً كان بلا مشاورة ولا مظاهرة، ولا يسأل أحداً عن شيء خلقه وأراده، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، العلي الجبار، أيتها الأمة المخدوعة انخدعت وعرفت خديعة من خدعها، فأصرت على ما عرفت، واتبعت هواها، وضربت في عشواء غوايتها، وقد استبان لها الحق فصدت عنه، والطريق الواضح فتنكبته، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو اقتبستم العلم من موضعه، وشريتم الماء بعدويته، وأخذتم من الطريق واضحه؛ لأنهجت لكم السبل، وبدت لكم الأعلام، ولأكلتم رغداً، ولا عال فيكم عائل، ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد، ولكنكم سلكتم سبل الظلام، فأظلمت عليكم دنياكم بزحبتها، وسددتم عليكم أبواب العلم، فقلتم بأهوائكم، واختلفتم في دينكم، فأفتيتم في دين الله بغير علم، واتبعتم الغواية فأغوتكم، وتركتم الأئمة فتركوكم، فإذا حزب الأمر سألتهم أهل الذكر، فإذا أنباؤكم قلتهم: هو العلم بعينه، فكيف وقد تركتموه ونبذتموه وخالفتموه، رويداً عما قليل تحصدون غب ما تزرعون، وتجدون وخيم ما اجترحتم، وينزل بكم ما وعدتم كما

نزل بالأمم قبلكم ، وإلى الله غدا تصيرون وسيسألکم الله عن أئمتکم ، والحمد لله رب العالمين^(١) .

ومن كتاب نهج البلاغة:

وقد أخبرنا الشريف الأجل السيد الأفضل الزاهد العابد الورع الصالح أبو طالب المرتضى شَراهُنْكَ الحسینی أدام الله علوه ، وأخبرنا به أيضاً الفقيه الأجل العالم الزاهد المجاهد بهاء الدين علي بن محمد الأکوع رضوان الله عليه ، مناولة يرفعانه إلى المصنف ، وهو الشريف السيد الفاضل الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه : ما وحده من كَيْفِه ، ولا حقيقته أصاب من مثله ، ولا إياه عنى من شبّهه ، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه ، كل معروف بنفسه مصنوع ، وكل قائم في سواه معلول ، فاعل لا باضطراب آلة ، مقدر لا بجول فكرة ، غني لا باستفادة . لاتصحبه الأوقات ، ولا ترفده الأدوات ، سبق الأوقات كونه ، والعدم وجوده ، والابتداء أزلّه ، بتشعير المشاعر عرف ألا مشعر له ، وبمضادته بين الأمور عرف ألا ضد له ، وبمقارنته بين الأشياء عرف ألا قرين له ، ضاد النور بالظلمة ، والوضوح بالبهمة ، والجمود بالبلل ، والحرور بالصرد ، مؤلف بين متعادياتها ، مقارن بين متبايناتها ، مقرب بين متباعداتها ، مفرق بين متدانياتها ، لا يشمل بحد ، ولا يحسب بعد ، وإنما تحد الأدوات أنفسها ، وتشير الآلات إلى نظائرها ، منعته منذ القدمية ، وحمته قد^(٢) الأزلية ، وجنبته لولا التكميلية ، بها تجلى صانعها للعقول ، وبها امتنع من نظر العيون ، لا يجري عليه السكون والحركة ، وكيف

(١) الأمالي ٢٠٧ .

(٢) في (ب) : قدم .

يجري عليه ما هو أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه؟! إذا لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولا تمتنع من الأزل معناه، ولكان له وراء إذ وجد له أمام، ولألتَمَسَ التمامَ إذ لزمه النقصانُ! وإذا لقامت آية المصنوع فيه، ولتحول دليلاً بعد أن كان مدلولاً عليه، وخرج بسُلطان الإمتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره! الذي لا يحول ولا يزول، ولا يجوز عليه الأفلو، لم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً، جلَّ عن اتخاذ الأبناء، وطهر عن ملامسة النساء، لا تناله الأوهام فتُقدِّره، ولا تتوهمه الفطن فتصوِّره، ولا تدركه الحواس فتُحسُّه، ولا تلمسه الأيدي فتُمسُّه، لا يتغيَّر بحال، ولا يتبدَّل في الأحوال، لا تبليه الليالي والأيام، ولا يغيِّره الضيَاء والظلام، ولا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء، ولا بعرض من الأعراض ولا بالغيرية والأبعاض، ولا يقال له: حد ولا نهاية، ولا انقطاع ولا غاية، ولا أن الأشياء تحويه؛ فتقله أو تهويه، أو أن شيئاً يحمله فيميله أو يعدله، ليس في الأشياء بوالج، ولا عنها بخارج، يخبر لا بلسان ولهوات، ويسمع بلا خُرُوقٍ وأدوات، يقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفظ، ويريد ولا يضر، يحب ويرضى من غير رقة، ويبغض ويبغض من غير مشقة، يقول لما أراد كونه: كن فيكون، لا بصوت يقرع، ولا نداء يُسمع، وإنما كلامه - سبحانه - فِعْلٌ منه أنشاء ومثله، ولم يكن من قبل ذلك كائناً، ولو كان قديماً لكان إلهاً ثانياً، لا يقال كان بعد أن لم يكن، فتجري عليه الصفات المحدثات، ولا يكون بينه وبينها فصل ولا له عليها فضل، فيستوي الصانع والمصنوع، ويتكافأ المبتدع والبديع. خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه، أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصنها من الأود والاعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج، أرسى أوتادها، وضرب

أسدادها، واستفاض عيونها، وخذ أوديتها، فلم يهن ما بناه، ولا ضعف ما قواه. هو الظاهر^(١) عليه بسلطانه وعظمته، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالي على كل شيء منها بجلاله وعزته، لا يعجزه شيء منها طلبه، ولا يمتنع عليه فيغلبه، ولا يفوته السريع منها فيسبقه، ولا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه، خضعت الأشياء له فذلت مستكينة لعظمته، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه ولا ضره، ولا كقوله فيكافيه، ولا نظير له فيساويه، وهو المفني لها بعد وجودها، حتى يصير موجودها كمفقودها. وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها، فكيف لو اجتمع جميع حيوانها: من طيرها وبهائمها، وما كان من مراحلها وسائمها، وأصناف أسناخها وأجناسها، ومتبلدات أمها وأكياسها، على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها، ولتخبرت عقولها في علم ذلك وتاهت، وعجزت قواها وتناهت، ورجعت خاسئة حسيرة، عارفة بأنها مقهورة، مقرة بالعجز عن إنشائها، مذعنة بالضعف عن إنشائها، وأنه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده، لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها، كذلك يكون بعد فنائها، بلا وقت ولا مكان، ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلا الواحد القهار، الذي إليه مصير جميع الأمور، بلا قدرة منها على ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناؤها، ولو قدرت على الامتناع لدام بقاءها، لم يتكأده صنع شيء منها إذ صنعه، ولم يؤده منها خلق ما برأه وخلقها، ولم يكوونها لتشديد سلطان، ولا لخوف من زوال ونقصان، ولا للاستعانة بها على ندمكائر، ولا للاحتراز بها عن ضد مشوار^(٢)،

(١) في (أ) وهو القاهر .

(٢) المشوار : الموائب المهاجم .

ولا للازدياد بها في ملكه ، ولا لمكاثرة شريك في شركه ، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها ، ثم هو يفنيها بعد تكوينها ، لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتديورها ، ولا لراحة واصلة إليه ، ولا لثقل شيء منها عليه ، لا يمله طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها ، لكنه سبحانه دبرها^(١) بلطفه ، وأمسكها بأمره ، وأتقنها بقدرته ، ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها ، ولا استعانة بشيء منها عليها ، ولا لانصراف من حال وحشة إلى حال استئناس ، ولا من حال جهل^(٢) وعمى إلى علم والتماس ، ولا من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة ، ولا من ذل وضعة إلى عز وقدرة^(٣) .

ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشُّقْشُقِيَّة^(٤) :

أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ ، وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّيَّ مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ مِنْ الرَّحَى : يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ ، وَلَا تَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ . فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْبًا ، وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحًا ، وَطَفَقْتُ أُرْتَنِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدِ جَذَاءٍ ، أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طَخِيَةِ عَمِيَاءٍ ، يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ ، وَيَشِيْبُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، وَيَكْدُخُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ . فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى . فَصَبْرْتُُ فِي الْعَيْنِ قَدَى ، وَفِي الْخَلْقِ شَجَى ، أَرَى تَرَاثِي نَهْبًا ، حَتَّى مَضَى الْأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ ، فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ (ثُمَّ تَمَثَّلَ عليه السلام بِهَذَا الْبَيْتِ) :

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمَ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ
فِيَا عَجَبًا بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ ، إِذْ عَقَدَهَا لِأَخْرَبِ بَعْدَ وَقَاتِهِ ، لَشَدِّ

(١) في (أ) : برأها .

(٢) في (ب) ، (ج) : جهد .

(٣) نهج البلاغة ، الخطبة رقم : ١٨٤ ص ٤٣٩ .

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة ج / ١ رقم : ٣ ص ١٠٢ .

ما تشطراً ضرعياً فصيرها في حوزة خشناء، يغلظ كلمها، ويخشن مسها،
ويكثر العثار فيها، والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشق لها حرم،
وإن أسلس لها تقحّم، فمني الناس - لعمر الله - بخبط وشماس وتلون
واعتراض؛ فصبرت على طول المدة، وشدة المحنة. حتى إذا مضى لسبيله،
جعلها في جماعة زعم أنني أحدهم، فيا لله وللشورى! متى اعترض الرب في مع
الأول منهم حتى صرت أقرن إلى هذه النظائر! لكنني أسفقت إذ أسفوا، وطررت إذ
طاروا، فصغى رجل منهم لضغنه، ومال الآخر لصهره، مع هن وهن، إلى أن قام
ثالث القوم نافجاً حضنيه بين ثيابه ومعتفه، وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله
خضم الإبل نبتة الربيع، إلى أن انتكث قتله، وأجهز عليه عمله، وكبت به بطنته،
فما راعني إلا والناس كعرف الضبع إلي، ينثالون علي من كل جانب، حتى لقد
وطئ الحسنان، وشق عطفائي، مجتمعين حولي كربيضة الغنم فلما نهضت بالأمر
نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وقسط آخرون، كأنهم لم يسمعوا كلام الله حيث
يقول: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا
فساداً والعاقبة للمتقين﴾ [القصص: ٨٣] بلى والله لقد سمعوها
ووعوها ولكنهم حليت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها..

أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود
الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم، ولا سغب
مظلوم، لألقيت حبلها على غاريها، وكسقيت آخرها بكأس أولها، ولألقيتم
دنياكم هذه أزهت عندي من عفة عنز.

ومن كلام له عليه السلام وقد قال له قائل: إنك يا ابن أبي طالب على هذا
الأمر لحريص، فقلت: بل أنتم والله أحرص مني عليه وأبعد، وأنا أخص
وأقرب، وإنما طلبت حقالي، وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه

فلما قرعته بالحجة في ملاء من الحاضرين بُهتَ لا يرى ما يجيبني به .

اللهم إني استعديك على قريش فإنهم قطعوا رحمي ، وصغروا عظيم منزلتي ، وأجمعوا على منازعتي أمراً هولي ، ثم قالوا : ألا إن في الحق أن تأخذه ، وفي الحق أن تتركه^(١) .

ومن كتاب له ﷺ إلى معاوية جواباً وهو من محاسن الكتب أما بعد :
فقد أتاني كتابك تذكر أصطفاء الله عز وجل محمداً ﷺ له لدينه ، وتأنيده بمن أيده من أصحابه ، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجباً إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا ، ونعمته علينا في نبينا ﷺ ، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هجر ، وداعي مسدده إلى النضال ، وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان ، فذكرت أمراً إن تم اعتزلك كله ، وأن نقص لم يلحقك ثلمه ، وما أنت والفاضل والمفضول ، والسائس والمسوس ، وما للطلقاء وأبناء الطلقاء ، والتمييز بين المهاجرين ، وترتيب درجاتهم ، وتعريف طبقاتهم ؟ هيهات ! لقد حن قدح ليس منها ، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها ، ألا ترى أيها الإنسان على ظلمك ، وتعرف قصور ذرْعك ، وتأخر حيث أخرجك القدر ! فما عليك غلبة المغلوب ، ولا لك ظفر الظافر ، وإنك لذهاب في التيه ، روأغ عن القصد ، ألا ترى - غير مُخبر لك ، لكن بنعمة الله أحدثت - أن قومًا استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين ، ولكل فضل ، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل : سيد الشهداء ، وخصه رسول الله ﷺ بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه ، أولا ترى أن قومًا قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل ، حتى إذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم ، قيل : الطيار في الجنة ، وذو الجناحين ، ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمعة تعرفها قلوب المؤمنين ، ولا تمجها أذان السامعين ، فدع

(١) نهج البلاغة ص ٤٠٦ ، خطبة رقم ١٧٠ .

عنك ما مالت به الرميّة ، فإننا صنائعُ ربنا ، والناس بعد صنائع لنا . لم يمنعنا قديم عزنا ، وعادي طَوْلنا على قومك أن خلطناكم^(١) بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفَاء ولستم هنالك ! وأنى يكون ذلك كذلك ؟ ومنا النبي ﷺ ، ومنكم المكذّب ؟ ومنا أسد الله ، ومنكم أسدُ الأحلاف ؟ ومنا سيّدا شباب أهل الجنة ، ومنكم صبية النار ؟ ومنا خير نساء العالمين ، ومنكم حمالة الحطب ؟ في كثير مما لنا وعليكم . فإسلامنا^(٢) قد سمع ، وجاهليتنا لا تُدفع ، وكتاب الله يجمع لنا ما شدّ عنّا وهو قوله تعالى : ﴿ وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [الأنفال : ٧٥] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَىٰ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ٦٨] فنحن مرة أولى بالقرابة ، وتارة أولى بالطاعة ، ولما احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله ﷺ ، فُلجوا عليهم : فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم ، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم !

وزعمت أني لكل الخلفاء حسدٌ ، وعلى كلهم بغيت ، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك « وتلك شكاة ظاهر عنك عارها » .
وقلت : إنني كنت أقاد كما يقاد الجميل الخشوش حتى أباع ، ولعمر الله لقد أردت أن تدم فمدحت ، وأن تفضح فافتضحت ! وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ، ولا مرتاباً بيقينه ، وهذه حجتي إلى غيرك قَصْدُها ، ولكنني أطلقت لك بقدر ما سنع من ذكرها .
ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه ، فأينا كان أعدى له ، وأهدى إلى مقاتله ؟ أمنٌ بذل له نصرته فاستعده واستكفّه ؟ أم

(١) في (أ) : خلطناهم .

(٢) في (ب ، ج) : ما قد سمع .

من استنصره فتراخى عنه ، وبث المنون إليه حتى أتى قدره عليه؟ كلا والله : ﴿ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْرُوقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الاحزاب: ١٨] وما كنت اعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثًا ، فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له ، فربّ ملوم لا ذنب له :
وقد يستفيد الظنّة المتّصحّحُ

وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب . وذكرت أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف ! فلقد أضحكت بعد استعبار امتي ألفت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين ، وبالسيف مخوفين؟
لَبَّثُ قَلِيلًا يَلْحَقُ الْهَيْجَا حَمَلٌ^(١)

فيطلبك من تطلب ، ويقربُ منك ما تستبعد ، وأنا مرقلٌ نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار ، والتابعين بإحسان ، شديد زحامهم ، ساطع قتامهم ، متسرلين سرايل الموت ، أحبُّ اللقاء إليهم لقاء ربهم ، قد صحبتهم ذرية بدرية ، وسيوف هاشمية ، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك ، وخالك ، وجدك ، وأهلك ، وما هي من الظالمين ببعيد^(٢) .

ومن كلام له عليه السلام : روينا من أمالي السيد أبي طالب عليه السلام بإسناده عن الحارث أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب فقال : ألا إن الحق لو أخلص له لم يخفَ على ذي حجي ، ألا وإن الباطل لو أخلص لم يخف على ذي حجي ، ولكنه يؤخذ من هذا ضغثٌ ومن هذا ضغثٌ فيمزجان ، فحينئذ استولى الشيطان على حزيه ، ونجا حزب الله الذين سبقت لهم من الله الحسنى . ألا وإن الباطل خيل شمس ركبها أهلها وأرسلوا أزمته فسارت حتى انتهت بهم إلى نارٍ وقودها الناس والحجارة ،

(١) يشير إلى بيت قائله حمل بن بدر .

(٢) نهج البلاغة رقم ٢٨ ص ٥٦٥ .

ألا وإن الحق مطايا دُئِلُّ ركبها أهلها وأعطوا أزمتهما فسارت بهم الهويينا حتى أتت ظلاً ظليلاً، فعليكم بالحق فاسلكوا سبيله، واعملوا به تكونوا من أهله، ألا وإنه من خاف حذر، ومن حذرَ جانب السيئات، ألا وإنه من خاف السيئات أدلج إلى الخيرات في السُّرى، ومن أراد سفرًا أعدَّ له زاداً، فأعدوا الزاد ليوم المعاد، واعملوا لجزءٍ باقٍ، فإنني والله لم أر كالجنة نام طالبها، ولم أر كالنار نام هارِبها^(١).

وروينا أن أمير المؤمنين عليه السلام شيع جنازة، فلما وضع الميت في لحده عجز أهله وبكوا، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فقال - وهو قائم على قدميه على من تبكون؟ أما والله لو عاينتم ما عاين ميتكم، لأذهلتكم معايتكم عن البكاء، ثم قال: الحمد لله أحمده وأستعينه، وأومن به وأتوكل عليه، وأستهدي الله الهدى وأعوذ بالله من الضلالة والردى، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين، أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال، ووقت لكم الآجال، وجعل لكم أسماء؛ لتعي ما عناها، وأبصاراً لتجلوا عن عشاها، وأفئدة لتفهم ما دهاها في تركيب صورها، ومدة عمرها، فإن الله لم يخلقكم عبثاً، ولم يهملكم سُدىً، ولم يضرب عنكم الذكر صفحاً، بل أكرمكم بالنعيم السوابغ، وأرشدكم بالرشد الروافد، وأحاط بكم الإحصاء، وأرصد لكم الجزاء في السراء والضراء، فاتقوا الله عباد الله، وأجدوا في الطلب، ونجاة الهرب، وبادروا بالعمل قبل منقطع النهيدات، وهادم اللذات، فإن الدنيا لا يدوم نعيمها، ولا تؤمن فجعاتها، ولا تتوقى سوءاتها، غرور حائل، وشح قاتل، وسناد مائل، تضيء مستطرفها، وتردي مستزيدها، تُخيل مصرعها، وتصرم حبالها، فاتعظوا عباد الله بالعبر، واعتبروا بالأثر، وازدجروا بالنذر،

(١) الأمالى ١٨٩ .

حل بكم طالب المنية ، وضمتم بيت التراب ، ودهمتكم الساعة بنفخة الصور ،
وبعثة القبور ، وسياقة المحشر إلى الحساب بإحاطة قدرة الجبار ، كل نفس معها
سائق وشهيد يسوقها لمحشرها ، وشاهد يشهد عليها بعملها : ﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ
بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٦٩] ، فارتجت الأرض لنداء المنادي ، وكشف عن ساق ، وكان
يوم التلاق ، فكورت الشمس ، وحشرت الوحوش ، وارتجت الأفئدة ، ونزل بأهل
النار من الله سطوة محتاجة ، وعقوبة متاحة ، وقربت الجحيم لها كلب ولب ،
ولهب ساطع ، وتغيظ وتلظ ، وزفير ووعيد ، تأجج جحيمها ، وغلى حميمها ،
وتوقد سمومها ، لايهرم خالدها ، ولا يظعن مقيمها ، ولا تقصم كبولها ، معهم
ملائكة الزجر ، يبشرونهم بنزل من حميم ، وتصلية جحيم ، هم عن الله
محجوبون ، ولأولياته مفارقون ، وإلى النار منطلقون ، حتى إذا أتوا جهنم قالوا :
﴿ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ
الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء: ١٠٠-١٠٢] قيل لهم : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾
[الصافات: ٢٤] وجهنم تناديهم ، وهي مشرفة عليهم إلي بأهلي ، وعزة ربي لأنتقم
اليوم من أعدائه ، ثم يناديهم ملك من الزبانية ، ثم يسحبهم حتى يلقيهم في النار
على وجوههم ، ثم يقول : ﴿ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ [الحج: ٢٢] ثم أزلفت
الجنسة للمتقين ، مخضرة^(١) للناظرين ، فيها درجات لا يبید نعيمها ،
ولا يبأس ساكنها ، أمنوا الموت فصفى لهم ما فيها : ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ
أَسْنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ
عَسَلٍ مُصَفًّى ﴾ [محمد: ١٥] مع أزواج مطهرة ، وحوار عين : ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ
وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٨] ، مع حلية وآنية من فضة ، ولباس السندس
الأخضر ، والفواكه الدائمة ، تدخل الملائكة عليهم فتقول : ﴿ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ

(١) في (ب، ج) : مخضرة مخضلة .

بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿الرعد: ٢٤﴾ فلا تزال الكرامة لهم حين وفدوا إلى خالقهم، وقعدوا في داره، ونالهم ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، فاسألوا الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة، الذين خلقوا لها وخلقتم لهم، عباد الله اتقوا الله تقيّة من كنع فخنع، ووجل فحذر، واجتنب هايباً، ونجا هارباً، وأفاد ذخيرة، وأطاب سريرة، وقدم للمعاد، واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقماً، وخصيماً، وكفى بالجنة ثواباً ونوالاً، وكفى بالنار عقاباً ونكالاً^(١).

ومن خطبة له ﷺ في الاستسقاء:

اللهم قد انصاحت جبالنا، واغبرت أرضنا، وهامت دوابنا، وتحيرت في مراتبها، وعجت عجيج الثكالي على أولادها، وملت التردّد في مراتعها، والحنين إلى مواردها. اللهم فارحم أنين الآتة، وحنين الحانة، اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها، وأنينها في مواجها. اللهم خرجنا إليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين، وأخلفتنا مخايل الجود، فكنت الرجاء للمبتئس، والبلاغ للملتمس، ندعوك حين قنط الأنام، ومنع الغمام، وهلك السّوام، ألا تؤاخذنا بأعمالنا، ولا تأخذنا بذنوبنا، وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق، والربيع المغدق، والنبات المونق، سحاباً وابلاً، تحيي به ما قد مات، وترد به ما قد فات، اللهم سقياً منك مُحْيِيّة، مروية، تامة، عامة، طيبة، مباركة، هنيئة، مريعة، زاكياً نبتها، ثامراً فرعها، ناضراً ورقها، تُنْعَشُ بها الضعيف من عبادك، وتحيي بها المَيتَ من بلادك. اللهم سقياً منك تُعْشِبُ بها نجادنا، وتجري بها وهادنا، ويُخْصِبُ بها جنابنا، وتُقْبِلُ بها ثمارنا، وتعيش بها مواشينا، وتندى بها أقاصينا، وتستعين بها ضواحيننا من بركاتك الواسعة، وعطاياك الجزيلة على بريتك المرملة،

(١) الأماي ١٩٣-١٩٥.

ووحشك المهمله، وأنزل علينا سماءً مخضلة، مدراراً هاطلة، يدافع الودق منها الودق، ويحفر القطر منها القطر، غير خلب برقها، ولا جهام عارضها، ولا قزع ربابها، ولا شقان ذهابها حتى يخصب لإمراعها المجدبون، ويحيا ببركتها المستتون، فإنك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد^(١).

قال السيد الرضي رضي الله عنه: قوله ﴿وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخَضَّلَةً﴾ : «انصاحت جبالنا» أي: تشققت من الموحول، يقال: انصاح الثوب، إذا انشق، ويقال أيضاً: انصاح النبات، وصاح وصوح إذا جف ويسس. وقوله: «هامت دوابنا» أي: عطشت، والهيام: العطش. وقوله: «حدابير السنين» جمع حدبار وهي: الناقة التي أنضاهها السير، فشبه بها السنة التي فشا فيها الجذب. قال ذو الرمة:

حدابير ما تنفك إلا مناخةً على الخسف أو نرمي بها بلداً قفرا

وقوله: «لا قزع ربابها» القزع: القطع الصغار المتفرقة من السحاب. وقوله: «ولا شقان ذهابها» فإن تقديره: ولا ذات شقان ذهابها. والشقان: الريح الباردة. والذهاب: الأمطار اللينة. فحذف «ذات» لعلم السامع به^(٢).

وروينا عن أبي مطر البصري قال: كنت من شباب ذلك الزمان، فبينما أنا أمشي في المسجد وقد أسبلت إزارتي، وأرخيت شعري، إذ نادى رجل من خلفي يا عبدالله، ارفع إزارك، فإنه أتقى لثوبك، وأتقى لربك، وجزء من شعرك إن كنت امرأ مسلماً، فإذا رجل كأنه أعرابي، فجئت حتى قمت من خلفه، فقلت لامرئ من المسلمين: من هذا؟ فقال: أغريب أنت؟ فقلت: نعم، من أهل البصرة، فقال له: هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فمشيت خلفه حتى خرجت من المسجد، فمرراً بأصحاب الإبل، فقال: يا أصحاب الإبل، بيعوا ولا تحلفوا، فإن اليمين تزين البيع، وتمحق البركة. ثم مشى حتى

(١) نهج البلاغة ٣٠٤ رقم ١١٣.

(٢) نهج البلاغة ٣٠٦.

أتى أصحاب التمر فإذا هو بجارية تبكي، فقال: يا جارية، ما شأنك؟ قالت: بعثني مولاي بدرهم، فابتعت من هذا تمرًا، فأتيتهم به فلم يرضوه، فلما أتيته به أبى أن يقبله، فقال: يا عبد الله، إنها خادمة، وليس لها أمر، فاردد إليها درهمها وخذ التمر. فلم يعرفه الرجل، وقام إليه ليلكزه، فقال له رجل من المسلمين: أتدري من هذا؟ هذا أمير المؤمنين! فانخزل^(١) الرجل واصفرّ، وأخذ التمر، فنثره ورد إليها درهمها، ثم قال: يا أمير المؤمنين، ارض عني، فقال: ما أرضاني عنك إن أنت أصحلت أمرك^(٢)، ثم مشى حتى توسطهم، فقال: يا أصحاب التمر أطعموا المساكين وابن السبيل؛ فإن ربكم يربو. ثم مشى حتى أتى أصحاب السمك، فقال: ألا لا يباع في سوقكم طافء ثم مشى فأتى قومًا يبيعون قمصًا من هذه الكرايس، فابتاع قميصًا بثلاثة دراهم فلبسه فكان ما بين الرسغين إلى الكعبين، فلما وضعه في رأسه قال: بسم الله والحمد لله الذي رزقني من اللباس ما أتجمل به في الناس وأواري عورتني، فقالوا: يا أمير المؤمنين، أشيء قلته برأيك أم سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: لا بل سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا القول عند الكسوة، ثم مشى حتى أتى المسجد فجلس فيه، ثم أخذ بلحيته، فقال: ما يحبس أشقاها أن يخضب هذه من هذا، وأشار بيده إلى رأسه فوالله ما كذبت ولا كُذبت، فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن وضوء رسول الله ﷺ، فدعا بكوز من ماء فتوضأ فغسل يديه ثلاثًا، ثم تمضمض واستنشق ثلاثًا، ثم غسل وجهه ثلاثًا، ثم غسل ذراعيه ثلاثًا، ثم مسح رأسه، ثم غسل رجليه ثلاثًا، ثم قال: أين السائل عن وضوء رسول الله ﷺ؟ فقال الرجل: أنا، فقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ.

(١) الانخزال: مشية في تناقل، القاموس ص ١٢٨٢.

(٢) في (أ): نفسك.

قال أبو مطر : وكانني أنظر إلى الماء يهطل من لحيته على صدره ، ثم أتيته وقد ضربه ابن ملجم لعنه الله .

فسمعتة وهو يقول : امشوا بي بين الأمرين ، لا تسرعوا ولا تبطئوا ، ولا تغالوا في كفني ، فإنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : «الكفن سكبٌ سريع إن يكن من أهل الجنة يكفن من الجنة ، وإن يكن من أهل النار يكفن من النار» .

وروينا أن علياً عليه السلام استعمل عاملاً على عكبري قال : ولم يكن السواد يسكنه المصلون ، فقال لي بين أيديهم : استوف منهم خراجهم ، ولا يجدوا منك رخصة ، ولا يجدوا فيك ضعفاً ، ثم قال لي : إذا كان عند الظهر فرح إلي ، فرححتُ إليه ، فلم أجد عنده حاجباً يحجبني دونه ، فوجدته جالساً وعنده قدح ، كوز فيه ماء ، فدعا بظبية . قال : قلت في نفسي لقد أمني حتى يخرج لديّ جوهرًا ، ولا أدري ما فيه ، قال : فإذا عليها ختم فكسر الختم فإذا فيه سويق ، فأخرج منه ، فصب في القدح وصب عليه ماء ، فشرب وسقاني ، فلم أصبر أن قلت : يا أمير المؤمنين ، بالعراق تصنع هذا ؟ طعام العراق أكثر من ذلك ! قال : والله ما أختم عليه بخلاً به ، ولكنني أبتاع ما يكفيني ، فأخاف أن يفتح فيوضع فيه من غيره ، فإنما حفظي لذلك ، وأكره أن يدخل جوفي إلا طيب ، وإني لا أستطيع أن أقول لك إلا الذي قلت بين أيديهم لأنهم قومٌ خدعَ ، ولكنني أمرك الآن بما تأخذهم به فإن أنت فعلت وإلا أخذك الله به دوني ، وإن بلغني عنك خلاف ما أمرك به عزلتك ، لا تبيعن لهم رزقاً يأكلونه ، ولا كسوة شتاء ولا صيف ، ولا تضربن رجلاً منهم سوطاً في طلب درهم ؛ فإننا لم نؤمر بذلك ، ولا تبيعن لهم دابة يعملون عليها ، إنما أمرنا أن نأخذ منهم العقور . قلت : إذا أجيئك كما ذهبت ، قال : ففعلت فاتبعت ما أمرني به ، فرجعت والله ما بقي درهم إلا وفيته .

وروينا بالإسناد عن الأصبغ بن نباته قال : قام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في سوق الكوفة على دابته ، فنادى ثلاثاً : يا معشر الناس ،

أوصيكم بتقوى الله، فإنه وصية الله في الأولين والآخرين، ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخُسُوا
النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [النساء: ١٨١-١٨٣]
ولا تغشوا هذه الفضة الجيدة بالزئبق، ولا بالكحل فتكونوا غداً من المعذبين^(١).

وروينا بالإسناد إلى أبي صادق قال: بلغ علي بن أبي طالب عليه السلام أن خيلاً
لمعاوية أغارت على الأنبار وقتلوا عامله حسان بن حسان البكري، فقام علي عليه السلام
يجر ثوبه حتى أتى النخيلة، فقالوا: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين فقال، ما تكفوني
ولا تكفون أنفسكم، قال: واجتمع الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن
الجهاد باب من أبواب الجنة، من تركه ألبسه الله الذلة، وسيم الخسف، وديث
بالصغار، وقد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت
لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قومٌ في عُقر دارهم إلا ذلُّوا،
فتشاقلتم وتواكلتم، وثقل عليكم ذلك، حتى شنت عليكم الغارات، وهذا أخو
غامد قد نزلت خيله الأنبار، وقتلوا حسان بن حسان، ورجالاً صالحين ونساء،
ولقد بلغني أنه كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع رعائتها،
وحجلها، ثم انصرفوا موفورين، لم يُكلم أحد منهم كلمة، والله لو أن امرءاً
مسلماً مات من دون هذا أسفاً لما كان عندي ملوماً، بل كان عندي بذلك جديراً،
يا عجباً؛ عجباً يميت القلب، ويكثر الهم، ويبعث الأحزان، من اجتماع هؤلاء
القوم على باطلهم، وفشلكم عن حقكم، حتى صرتم غرضاً تُرمون ولا تُرمون،
وتُغزون ولا تُغزون، ويُغار عليكم ولا تُغيرون، ويُعصى الله وترضون! يا أشباه
الرجال ولا رجال، أحلام الأطفال، وعقول ربات الحجال، إذا قلت لكم:
اغزوهم في الحر قلتم: هذه حمارة القيظ، فمن يغزو فيها؟! أمهلنا حتى ينسلخ

(١) الأماشي ص ٢٠٨.

الحر عنا، وإذا قلت لكم : اغزوهم في البرد، قلتهم : هذه أيام قُرُوصٍ، أمهلنا حتى ينسلخ القُرُوعنا، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فأنتم والله من السيف أفر! أما والله لو ددت أنني لم أركم، ولم أعرفكم معرفة -والله- جرت ندمًا، وملا تم قلبي غيظًا، وأفسدتم علي رأيي بالخذلان، حتى لقد بلغني أن قريشًا تقول: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكنه لا علم له بالحروب. لله أبوهم! وهل منهم أشد لها مراسًا مني؟! لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وما أنا الآن قد نيّفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع^(١). قال: فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أنا وأخي كما قال الله تعالى: ﴿لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ [المائدة: ٢٥] فها أنا ذا، وهذا أخي، فمرنا بأمرك فوالله لنضربن دونك ولو حال بيننا جمر الغضا، وشوك القتاد، قال: فقال علي عليه السلام: يرحمكما الله، وأين تقعان مما ريد^(٢)!

وروينا بالإسناد إلى الحسن البصري قال: كنت جالسًا بالبصرة، وأنا حينئذ غلام أتطهر للصلاة، إذ مرّ بي رجل راكب بغلةً شهباء مثلثم بعمامة سوداء، فقال لي: يا حسن أحسن وضوءك يحسن الله إليك في الدنيا والآخرة، يا حسن، أما علمت أن الصلاة مكيال وميزان؟ قال: فرفعت رأسي فتأملت فإذا هو علي عليه السلام، فأسرعت في طهوري، وجعلت أقفو أثره إذ حانت منه التفاتة، فقال لي: يا غلام، ألك حاجة؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. تفيدني كلامًا يتفعلنى الله به في الدنيا والآخرة، قال: يا غلام إنه من صدق الله نجا، ومن أشفق من ذنبه أمن من الردى، ومن زهد في هذه الدنيا قرّت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا، ثم قال: يا غلام، ألا أزيدك؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، قال: إن سرّك أن تلقى الله وهو عنك راض فكن في هذه الدنيا زاهدًا، وفي الآخرة راغبًا، وعليك بالصدق في

(١) نهج البلاغة رقم ٢٧ ص ١٤٠، بخلاف يسير.

(٢) الأماالي ١٨٦، ونهج البلاغة ١٤ رقم ٢٧ بخلاف يسير.

جميع أمورك تنجوع الناجين غداً، يا غلام، إن تزرع هذا الكلام نصب عينيك
ينفعك الله به، ثم أطلق عنان البغلة من يده، وقرص بطنها بعقبه، فجعلت أقفو
أثره، إذ دخل سوقاً من أسواق البصرة، فمسمته ﷺ يقول: يا أهل البصرة،
يا أهل البصرة، يا أهل المؤتفكة، يا أهل تدمر - أربعاً - إذا كنتم بالنهار؛ الدنيا
تخدمون، وبالليل على فراشكم تتقلبون، وفي خلال ذلك عن الآخرة تغفلون،
فمتى ترمون الزاد؟ ومتى تفكرون في المعاد؟ فقام إليه رجل من السوق فقال:
يا أمير المؤمنين، أبدأ من طلب المعاش؟ فقال: أيها الرجل، إن طلب المعاش
لا يصرفك عن طلب الآخرة. ألا قلت: أبدأ^(١) من طلب احتكار، فأعذر إن
كنت معذرواً فولى الرجل وهو يبكي، فمسمته ﷺ يقول: أقبل علي يا ذا الرجل
أزيدك تبيانا، إنه لا بد لكل عامل من أن يوفى في القيامة أجر عمله، وعامل الدنيا
إنما أجره النار، ثم خرج من السوق، والناس في رنة من البكاء، إذ مرّ بواعض يعظ
الناس، فلما بصر بأمر المؤمنين ﷺ سكت ولم يتكلم بشيء، فقال ﷺ: فكم،
والى كم توعظون فلا تتعظون؟ قد وعظكم الواعظون، وزجركم الزاجرون،
وحذركم المحذرون، وبلغكم المبلغون، ودلت الرسل على سبل النجاة، وقامت
الحجة وظهرت المحجة، وقرب الأمر والأمد، والجزاء غداً ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ
ظَلَمُوا أَيَّ مَنَقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [النمر: ٢٢٧]. يا أيها الناس، إنه لم يكن
لله تبارك وتعالى في أرضه حجة ولا حكمة أبلغ من كتابه، ولا مدح الله منكم
أحدًا إلا من اعتصم بحبله، وإنما هلك من هلك عندما عصاه، وخالفه واتبع
هواه، واعلموا أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، والله ما هو شيء قلته من تلقاء
نفسي، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما من عبد جاهد نفسه، فردها
عن معصية الله إلا باها الله به كرام الملائكة، ومن باها الله به كرام الملائكة

(١) في (أ): ساقطة أبد.

فلن تمسه النار»، ثم قال: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ [محمد: ٢١] (١).

وروينا أنه لما قفل أمير المؤمنين عليه السلام من صفين، وأكثر كثير من أصحابه والمحكمة القول في الحكمين، أمر فنودي بالصلاة جامعة، ثم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله، ثم قال: اللهم هذا مقام من قُلِحَ فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة، ومن نطف (٢) أو أوعث (٣) أو أسرف فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، نشدتكم الله، هل تعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله فقلت لكم: إنهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن، ولقد صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً، وهم شرُّ أطفال ورجال، امضوا على صدقكم وحققكم، فإنما رفعوا المصاحف خديعة ومكيدة، فرددتهم قولي، وقلتم: لا بل نقبل منهم، فقلت لكم: اذكروا قولي لكم، ومعصيتكم إياي، وإذا أبيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين، أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن؛ لأنهما إن حكما بحكم القرآن لم يكن لنا خلاف على من حكم بما في القرآن، وإن أبيا كنا من حكمهما برآء، وكنا على رأس أمرنا، قالوا: أفعدل يحكم الرجال في الدماء، قال: إننا لسنا الرجال حكمتنا، إنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط مخطوط مستور بين الدفتين، وإنما ينطق بحكمه الرجال قالوا: فخبّرنا عن الأجل لم جعلته فيما بينك وبينهم؟ قال: ليعلم الجاهل، ويثبت (٤) العالم، ولعل الله يصلح في هذه المدة أمر هذه الأمة، ادخلوا مصركم فدخل أصحابه عن آخرهم. (٥)

(١) الأماالي ١٧٧ - ١٧٩ .

(٢) نطف: اتهم بريية وتلطخ بعيب، وفسد. قاموس ١١٠٨ مادة نطف.

(٣) أوعث: وقع في الوعث وأسرف في المال. قاموس ٢٢٧ مادة وعث.

(٤) في (ج): وينيب.

(٥) الأماالي ص ١٩٨.

وروينا أنه عليه السلام لما فتح البصرة صلى بالناس الظهر، ثم التفت إليهم فقال: سلوا، فقام إليه رجل فقال: والله ما قسمت بيننا بالسوية إذ تقسم بيننا ما حوى عسكرهم، وتدع أبناءهم ونساءهم؟ فقال علي عليه السلام: إن كنت كاذباً فلا أمانك الله حتى تدرك غلام ثقيف، ثم قال عليه السلام: ويحك إنا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير، وقد اجتمع أبواه على رشده، وولد على الفطرة، ولكننا نربيه من الفيء، ونتأني به الكبر، فإن عدا علينا أخذناه بذنبه، وإن لم يعد لم نأخذه بذنب غيره، ويحك أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها، وأن دار الهجرة يحرم ما فيها.

وروينا عن السيد أبي طالب عليه السلام فيما رواه أن عقيلاً رضي الله عنه كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام لعبدالله أمير المؤمنين من عقيل سلام عليك أما بعد:

فإن الله جارئك من كل سوء، وعاصمك من كل مكروه، أعلمك أنني خرجت معتمراً، فلقيت عبدالله بن أبي سرح في نحو من أربعين راكباً من أبناء الطلقاء مصدرين ركا بهم من قديد، فقلت لهم - وعرفت المنكر في وجوههم - : أين يا أبناء الطلقاء، أبالشام تلحقون عداوة تريدون بها إطفاء نور الله وتغيير أمره؟ فأسمعني القوم وأسمعتهم، فسمعتهم يقولون: إن الضحاك بن قيس الفهري أغار على الحيرة، وأصاب من أموال أهلها ما شاء ثم انكفاً راجعاً، فأف حياة في دهر جرّ عليك ما أرى، وما الضحاك إلا فقّع بقرقر^(١)، وقد ظننت حين بلغني ذلك أن أنصارك خذلوك، فاكتب إلي يا ابن أبي برأيك وأمرك، فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أخيك وولد أهلك، فعشنا معك ما عشت، ومنتنا معك ما مت، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فواقاً، وإيم الله الأعز الأجل إن عيشاً أعيشه في هذه الدنيا لغير هنيء ولا مريء والسلام.

فأجابه علي عليه السلام أما بعد: فكلاك الله كلاءة من يخشاه بالغييب إنه حميد مجيد، قدم علي عبيدالله بن عبدالرحمن الأزدي بكتابك، تذكر أنك لقيت ابن

(١) مثل يقال للذليل «أذل من فقّع بقرقر» والفقّع: نبتة بيضاء من الكماء لا أصل له ولا فرع توطأ بالأرجل. والقرقر: القاع الأملس. قاموس مادة فقّع ص ٩٦٦، ومادة قرقر ص ٥٩٣.

أبي سرح في نحو من أربعين راكباً متوجهين إلى المغرب ، وإن ابن أبي سرح طال والله ما كاد الإسلام ، وضلَّ عن كتاب الله وسنة نبيه وبغاها عوجاً ، فدع ابن أبي سرح وقريشاً وتراكضهم في الضلالة ، وتجاولهم في الشقاق ، فإنها اجتمعت على حرب أخيك اجتماعها على حرب رسول الله ﷺ .

وأما الذي ذكرت من إغارة الضحاك على الحيرة فهو أذلُّ من أن يكون مرَّ بحبوباتها ، ولكن جاء في جريدة خيل فلزم الظهر ، وأخذ على السماوة حتى مر بواقصة ، فسرحت إليهم جنداً من المسلمين ، فلما بلغه ذلك ولى هارباً ، فتبعوه ولحقوه في بعض الطريق ، وقد أمعن حين طفلت الشمس للإياب ، ثم اقتتلوا فلم يصبروا إلا قليلاً ، فقتل من أصحاب الضحاك بضعة عشر رجلاً ، ومضى جريحاً بعد ما أخذ منه بالمخنق .

وأما ما سألتني أن أكتب إليك برأيي فإن رأيي جهاد القوم مع المسلمين حتى ألقى الله لا تزيدني كثرة الناس حولي عزّة ، ولا نفورهم عني وحشة ؛ لأنني محقٌ والله مع الحق ، والله ما أكره الموت على الحق ، لأن الخير كله مع الموت لمن عقل ودعا إلى الحق .

وأما ما عرضته عليّ من مسيرك إليّ بينيك وولد أخيك ، فإنه لا حاجة لي في ذلك ، أقم راشداً مهدياً ، فوالله ما أحبُّ أن يهلكوا معي لو هلكت ، فلا تحسبن ابن أمك وإن أسلمه الناس يخشع أو يتضرع ، وما أنا إلا كما قال أخو بني سليم :

فإن تسأليني كيف أنت؟ فإنني صبورٌ على ريب الزمان صليبٌ
يعزُّ عليّ أن تُرى بي كآبةٌ فيشمتَ عاد أو يساءَ حبيبٌ^(١)

وروينا عن السيد أبي طالب فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لم أزل مظلوماً في صغري وكبري ، ف قيل له : قد عرفنا يا أمير المؤمنين ظلم الناس إياك في كبرك ، فما ظلمهم في صغرك : فقال : إن عقيلاً كان في عينه وجع ، فإذا أرادت الأم أن تذرَّ في عينه ذروراً استنع عليها ، وقال : ابدءوا بعليّ أولاً ، فكانت

(١) أمالي أبي طالب ص ٦٢ ، وشرح النهج ١/١٨٢ ، والغارات ٢٩٥ ، وأنساب الأشراف ٢/٧٥ .

تذّر في عيني ذروراً من غير وجع بها^(١) .

وبالإسناد إلى السيد أبي طالب فيما رواه أن أمير المؤمنين عليه السلام قيل له : إنك يا أمير المؤمنين رجل مطلوب، فلوركبت الخيل في الحرب، فقال عليه السلام : أنا لا أفر عمّن كَرَّ، ولا أكرُّ على من قرَّ، والبغلة تزجيني . وفسر أبو الحسن علي بن مهدي، وهو الذي انتهت إليه رواية السيد أبي طالب عليه السلام الإزجي : بالسوق، واستشهد عليه بقول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزُجِي سَحَابًا ﴾ [النور: ٤٢] أي : يسوقه فقال : تزجيني البغلة أي : تسوقني إلى ما أريد^(٢) .

ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام : إني لأستحيي من الله أن يكون ذنب إليّ أعظم من عفوي، أو جهل أعظم من حلمي، أو عورة لا يوارئها ستري، أو خلة لا يسدها جودي^(٣) .

وروينا بالإسناد أن رجلاً سأل أمير المؤمنين علياً عليه السلام في مسجد الكوفة، فقال : يا أمير المؤمنين هل تصف لنا ربنا ؟ فنزداد له حباً وبه معرفة، فغضب علي عليه السلام ونادى الصلاة جامعة، فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله، ثم صعد المنبر، وهو مغضب متغير اللون، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال :

الحمد لله الذي لا يفرُّه المنع، ولا يكديه الإعطاء، ثم كل معط يُنتَقَصُ سواه، هو المنان بفوائده النعم، وعوائده المزيد، ضمن عيالة خلقه، وأنهج سبيل الطلب للراغبين إليه، وليس فيما سُئِلَ بأجود منه فيما لم يسأل، وما اختلف دهر فيختلف فيه الحال، ولو وهب ما شقت عنه معادن الجبال، وضحكت عنه أصداف البحار، من فلزِّ اللّجّين، وسبائك العقيان، ونشارة الدرّ، وحصائد المرجان لبعض عبيده ؛

(١) الأماي ص ٧٣ .

(٢) الأماي ص ٦٩ .

(٣) الأماي ص ٦٢ .

لما أثار ذلك في جوده، ولا أنفد سعة ما عنده، ولكان عنده من ذخائر الإفضال ما لم ينفده مطالب السؤال، ولا يخطر لكثرتة على بال؛ لأنه الجواد الذي لا ينقصه المواهب، ولا يئخله إلحاح الملحين، و﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، فما ظنكم بمن هو هكذا؟ سبحانه وبحمده. أيها السائل اعقل ما سألتني عنه، ولا تسألن أحداً عنه بعدي، فإني أكفيك مؤنة الطلب، وشدة التعمق في المذهب، وكيف يوصف الذي سألتني عنه؟! وهو الذي عجزت الملائكة مع قريهم من كرسي كرامته، وطول ولهمهم إليه، وتعظيم جلال عزته، وقريهم من غيب ملكوت قدرته، أن يعلموا من علمه إلا ما علمهم، وهم من ملكوت القدس بحيث هم، ومن معرفته علي ما فطرهم عليه، فقالوا: ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢٠]. فعليك أيها السائل بما ذلك عليه القرآن من صفته، وتقدمك فيه الرسل بينك وبين معرفته، فأتم به واستضىء بنور هدايته، فإنما هي نعمة وحكمة أوتيتها، فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين، وما كلفك الشيطان علمه بما ليس عليك في الكتاب فرضه، ولا في سنة رسول الله ﷺ، ولا عن أئمة الهدى أثره فكل علمه إلى الله سبحانه؛ فإنه منتهى حق الله تعالى عليك.

اعلم أيها السائل أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن الاقتحام على السُّدِّ المضروبة دون الغيوب الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من تفسير الغيب المحجوب، فقالوا: ﴿ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران: ٧]، فمدح الله سبحانه اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً، وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه منهم رسوخاً، فاقتصر على ذلك. واعلم أن الله لم يُحدِّثْ فيمكن فيه التغير والانتقال، ولم يتصرف في ذاته كرور الأحوال، ولم يختلف عليه عقب الأيام والليالي، وهو الذي خلق الخلق على غير مثال أمثله، ولا مقدار احتذى عليه من خالق كان قبله، بل أرانا من ملكوت قدرته، وعجائب

ما نطقت به آثار حكمته ، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمهم بتبليغ قوته^(١) ، ما دلنا باضطرار قيام الحجّة له علينا على معرفته ، ولم تحط به الصفات فيكون بإدراكها إيّاه بالحدود متناهيًا ، وما زال هو الله الذي ليس كمثل شئ ، عن صفة المخلوقين متعالياً ، وانحسرت وجل عن أن تناله الأبصار ، فيكون بالعيان موصوفاً ، وارتفع عن أن يحوي كنه عظمته فهاهات رويّات المتفكرين ، وليس له مثل فيكون بالخلق مشبهاً ، وما زال عند أهل المعرفة عن الأشباه والأنداد منزهاً ، كذب العادلون بالله إذ شبهوه بأصنافهم ، وحلّوه بحلية المخلوقين بأوهامهم .

وكيف لما لا يُقدَّرُ قدره مقدارٌ في رويّات الأوهام ؛ لأنه أجل من أن تحدّه ألباب البشر بتفكير ، وهو أعلى من أن يكون له كفو فيشبهه بنظير ، فسبحانه وتعالى عن جهل المخلوقين ، وسبحانه وتعالى عن إفك الجاهلين ، فأين يتاه بأحدكم؟ وأين يدرك ما لا يدرك والله المستعان^(٢) .

قال السيد أبو طالب الحسيني رحمته الله ما تشتمل هذه الخطبة عليه من ذكر عَجْز المخلوقين عن المعرفة على جميع صفات الله تعالى ، المراد به العجز عن معرفة معلوماته ومقدوراته ، وعجائب صنعه وخلقه على التفصيل ، ومقادير نعمه على خلقه ، وما اختص به تعالى من علم الغيوب ، الذي لم يُطَّلِعِ البشر عليه^(٣) .

وروينا بالإسناد إلى محمد بن الحنفية رحمته الله قال : لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة - بعد قتال الجمل - دعاه الأحنف بن قيس ، فاتخذ له طعاماً ، وبعث إليه وإلى أصحابه ، فأقبل إليه أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم قال له : يا أحنف ، ادع أصحابي فدعاهم ، فدخل قوم متخشعون كأنهم شنان بوال . فقال له الأحنف بن قيس :

(١) الأماالي والنهج : إلى أن يقيمها بمسالك قدرته .

(٢) الأماالي ص ٢٠٢ ، والنهج رقم ٨٩ ص ٢٣٦ باختلاف يسير .

(٣) الأماالي ٢٠٤ .

يا أمير المؤمنين ، ها هذا الذي نزل بهم من قلة الطعام؟ أم من هول الحرب؟ قال : لا يا أحنف . إن الله عز وجل إذا أحب قومًا تنسكوا له في دار الدنيا تنسك من هجم على ما علم من فزع يوم القيامة من قبل أن يشاهدوها ، فحملوا أنفسهم كل مجهودها ، فكانوا إذا ذكروا صباح يوم العرض على الله تعالى توهموا خروج عنق من النار تحشر الخلائق إلى ربهم عز وجل ، وظهور كتاب تبدوا فيه فضائح ذنوبهم ، فكادت أنفسهم تسيل سيلانا ، وتطير قلوبهم بأجنحة الخوف طيرانا ، وتفارقهم عقولهم إذا غلت بهم مراحل المرء إلى الله عز وجل غليانا ، يحنون حين الواله في دجى الظلم ، ذبل الأجسام ، حزين قلوبهم ، كالحة وجوههم ، ذابلة شفاههم ، خميصة بطونهم ، تراهم سكارى وليسوا بسكارى ، هم سمار وحشة الليالي ، متخشعون قد أخلصوا لله أعمالهم سرا وعلانية ، فلورأيتهم في ليلهم ونهارهم ، وقد نامت العيون ، وهدأت الأصوات ، وسكنت الحركات من الطير في الوكور ، وقد نهتهم يوم الوعيد ، ذلك قوله تعالى : ﴿ أَفَأَمِّنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ [الأمراء: ٩٧] فاستيقظوا لها فزعين ، وقاموا إلى مضاجعهم يعولون ويبكون تارة ، ويسبحون ليلة مظلمة بهماء ، فلورأيتهم يا أحنف ، قياما على أطرافهم ، منحنية ظهورهم على أجزاء القرآن لصلاتهم ، إذا زفروا خلت النار قد أخذت منهم إلى حلاقيمتهم ، وإذا أعولوا حسبت السلاسل قد صارت في أعناقهم . فلورأيتهم في نهارهم إذا لرأيت قوماً يمشون على الأرض هونًا ، ويقولون للناس حسنا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، وإذا مروا باللغو مروا كراما ، أولئك يا أحنف انتجعوا دار السلام ، التي من دخلها كان آمنا ، فلعلك شغلك يا أحنف نظرك إلى وجه واحدة تبيد الأسقام غضارة وجهها ، ودار قد اشتغلت بتقريب فراقها ، وستور علقتها ، والرياح والأيام موكلة بتمزيقها ، وبثست لك دارا من دار البقاء ، فاحتل للدار

التي خلقها الله عز وجل من لؤلؤة بيضاء، فشق فيها أنهارها، وغرس فيها أشجارها، وأظل عليها بالنضيج من ثمارها، وكبسها بالعواتق من حُورِها، ثم أسكنها أوليآءه وأهل طاعته. فإن فاتك يا أحنف ما ذكرتُ لك لترفلن في سراويل القطران، ولتطوفن بينها وبين حميم آن، فكم يومئذ في النار من صُلبٍ محطوم، ووجه مشؤم^(١)، ولو رأيت وقد قام مناد ينادي: يا أهل الجنة ونعيمها، وحليها وحللها، خلوداً ولا موت، ثم يلتفت إلى أهل النار فيقول: يا أهل النار، يا أهل السلاسل والأغلال، خلوداً ولا موت، فعندها انقطع رجاؤهم، وتقطعت بهم الأسباب، فهذا ما أعد الله عز وجل للمجرمين، وذلك ما أعد الله عز وجل للمتقين. وروينا بالإسناد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أن علياً عليه السلام سمع رجلاً يذمُّ الدنيا فأطنب في ذمِّها، فصرخ به علي عليه السلام فقال: هلم أيها الذامُّ للدنيا، فلما أتاه قال له عليه السلام: أيها الذامُّ للدنيا ويحك لم تدمها؟ أنت المحترم عليها أم هي المحترمة عليك؟ فقال: بل أنا المحترم عليها يا أمير المؤمنين، قال: ويحك فيم تدمها؟ أليست منزل صدق لمن صدقها؟ ودار غنا لمن تزود منها؟ ودار عافية لمن فهم عنها؟ مسجد أحببأ الله عز وجل، ومهبط وحيه، ومصلى ملائكته، ومتجر أوليآئه، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمُّها وقد أذنت بينها، ونادت بانقطاعها، ومثلت ببلآئها البلاء، وشوقت بسرورها إلى السرور؟ راحت بفجيعة، وابتكرت بعافية، بتحذير وترغيب وتخويف، فذمها رجال غداة الندامة، حدثهم فلم يصدقوا، وذكرتهم فلم يذكروا، وحمدها آخرون ذكرتهم فذكروا، وحدثهم فصدقوا. فأيتها الذام للدنيا، المغتر بتغريرها، متى استدمت إليك؟ بل متى غرتك؟ أمضاجع آبائك من البلى؟ أم بمصارع أمهاتك تحت الثرى؟ كم عللت بيدك؟ وكم مرضت بكفك؟ تلتمس له الشفاء، وتستوصف له

(١) في (أ): موسوم.

الأطباء، لم ينفعه شفاؤك^(١)، ولم تغن عنه طلبتك، مثلت لك ويحك الدنيا بمضجعه مضجعك، حين لا يغني بكاؤك، ولا ينفع أحباؤك^(٢).

وروى السيد أبو طالب عليه السلام هذه الرواية بطريق أخرى، وذكر أنهما لا تختلفان إلا في أحرف يسيرة. وفيها قال: ثم التفت إلى أصحابه، فقال: عباد الله، انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها فإنها والله عن قليل تزيل الشاوي الساكن، وتفجع المترف الآمن، لا يرجع ما تولى منها فأدبر، ولا يُدرى ما هو آت منها فينتظر، سرورها مشوب بالحزن، وآخر الحياة فيها إلى الضعف والوهن، فلا يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها؛ لقلّة ما يصحبكم منها، رحم الله عبداً تفكّر فاعتبر، وأبصر فازدجر، وعاین إديار ما أدبر، وحضور ما حضر، فكأن ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن، وكان ما هو كائن من الآخرة لم يزل، وكل ما هو آت قريب، واعلموا أنه إنما أهلك من كان قبلكم خبث أعمالهم لَمَّا لم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك. فَأَمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ؛ فَإِنْ ذَلِكَ لَنْ يقدّم أجلاً، ولن يؤخر رزقاً، فإذا رأى أحدكم نقصاً في نفس أو أهل أو مال ورأى لأخيه صفوة فلا يكون ذلك فتنة له، فإن المسلم البريء من الخيانة، ما لم يخش دناءة يخشع لها إذا ذكرت، ويغرى بها لئام الناس كان كالفالج الذي ينتظر أول فوزة من قداحه، تذهب عنه المغرم، وتوجب له المغنم. وكذلك المرؤ المسلم ينتظر إحدى الحسينين، إما رزقاً من الله تعالى، فإذا هو ذو أهل ومال، ومعه دينه وحسبه، وإما داعي الله فما عند الله خير للأبرار، المال والنبون زينة الحياة الدنيا والعمل الصالح حرث الدنيا وقد يجمعهما الله لأقوام^(٣).

وروينا من كتاب جلاء الأبصار عن الحاكم رحمه الله تعالى بإسناده إلى أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر صاحب أبي عثمان الجاحظ قال: كان الجاحظ يقول لنا

(١) في (ج): شفاعتك.

(٢) الأماالي ٢٧٣، ونهج البلاغة ٧٠٩ رقم ١٣١ باختلاف يسير.

(٣) الأماالي ٣٧٤.

زماناً: إن لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مائة كلمة كل كلمة، منها تفي بألف كلمة من محاسن كلام العرب، قال: وكنت أسأله دهرًا بعيداً أن يجمعها لي ويمليها علي، وكان يعدني بها ويتغافل عنها ضناً بها. قال: فلما كان آخر عمره أخرج يوماً جملة من مسودات مصنفاته، فجمع منها تلك الكلمات، وأخرجها إليّ بخطه، فكانت الكلمات المائة هذه:

لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا. الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم. ما هلك امرؤ عرف قدره. قيمة كل امرء ما يحسن. من عرف نفسه فقد عرف ربه. المرء مخبوءٌ تحت لسانه. من عذب لسانه كثر إخوانه. بالبر يُستعبد الحر. بشر مال البخيل بحادث أو وارث. لا تنظر إلى من قال، وانظر إلى ما قال. الجزع عند البلاء تمام المحنة. لا ظفر مع بغية. لا ثناء مع كبير. لا بر مع شح. لا صحة مع نهم. لا شرف مع سوء أدب. لا اجتناب لمحرم مع حرص. لا راحة لحسود^(١). لا سوؤد مع انتقام. لا محبة مع مرأء. لا زيارة مع زعارة^(٢). لا صواب مع ترك المشورة. لا مروءة لكذوب. لا وفاء لملول. لاكرم أعز من التقى. لا شرف أعلى من الإسلام. لا معقل أحرز من الورع. لا شفيق أنجح من التوبة. لا لباس أجمل من السلامة. لا داء أعيب من الجهل. لا مرض أضنى من قلة العقل. لسانك يقتضيك ما عودته. المرؤ عدو ما جهله. رحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتعد طوره. إعادة الاعتذار تذكير بالذنب. النصيح بين الملأ تقريع. إذا تم العقل نقص الكلام. الشفيق جناح الطالب. نفاق المرء ذلة. نعمة الجاهل كروضة على مزيلكة. الجزع أتعب من الصبر. المسئول حر حتى يعد. أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة. من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعينه. السامع للغيبة أحد المغتابين. الذل مع الطمع. الراحة مع اليأس. الحرمان مع الحرص. من كثر مزاحه

(١) في (ج): مع حسود.

(٢) لزعارة: شرسة الخلق ولا فعل له. مختار ص ٢٧٢.

لم يَخْلُ مَنْ حَقْدُ عَلَيْهِ أَوْ اسْتِخْفَافُ بِهِ . عبد الشهوة أذلُّ من عبد الرُّق . الحاسد
 مغتاض على مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ . كفى بِالظَّفَرِ شَفِيعاً لِلْمَذْنَبِ . ربّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ .
 لَا تَتَكَلَّ عَلَى الْمَنِيِّ فَإِنَّهَا بَضَائِعُ النَّوْكََا . اليأسُ حَرٌّ وَالرَّجَاءُ عَبْدٌ . ظنُّ الْعَاقِلِ
 كَهَيَاةٍ . مَنْ نَظَرَ اعْتَبَرَ . الْعِدَاوَةُ شَغَلَتِ الْقَلْبَ . الْقَلْبُ إِذَا أَكْرَهَ عَمِي . الْأَدَبُ صُورَةُ
 الْعَقْلِ . لَا حَيَاءَ لِحَرِيصٍ . مَنْ لَانَتْ أَسَافِلُهُ صَلَبَتْ أَعَالِيَهُ . مَنْ أَتَى فِي عِجَانَةٍ^(١)
 قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَبَدَأَ لِسَانَهُ . السَّعِيدُ مَنْ وَعُظَّ بِغَيْرِهِ . الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ . الشَّرْجَامِعُ
 لِمَسَاوِي الْعَيُوبِ . كَثْرَةُ الْوَفَاقِ نِفَاقٌ ، وَكَثْرَةُ الْخِلَافِ شِقَاقٌ . رَبٌّ آمَلَ خَائِبٌ ،
 وَرَبٌّ رَجَاءٌ يُؤَدِّي إِلَى الْحَرْمَانِ . رَبٌّ أُرْبَاحٌ تُوَدِّي إِلَى الْخُسْرَانِ . رَبٌّ طَمَعٌ كَاذِبٌ .
 الْبَغْيُ سَائِقٌ إِلَى الْحَيْنِ . فِي كُلِّ جَرْعَةٍ شَرْقَةٌ ، وَمَعَ كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَّةٌ . مَنْ كَثُرَ فِكْرُهُ
 فِي الْعَوَاقِبِ لَمْ يَشْجَعْ . إِذَا حَلَّتِ الْمَقَادِيرُ ضَلَّتِ التَّدَابِيرُ . إِذَا حَلَّ الْمَقْدُورُ بَطَلَ
 التَّدَابِيرُ . إِذَا حَلَّ الْقَدْرُ بَطَلَ الْحَذَرُ . الْإِحْسَانُ يَقْطَعُ اللِّسَانَ . الشَّرْفُ الْعَقْلُ
 وَالْأَدَبُ ، لَا الْأَصْلُ وَالْحَنْسَبُ . أَكْرَمُ الْحَنْسَبِ حُسْنُ الْخَلْقِ . أَكْرَمُ النِّسَبِ حَسَنُ
 الْأَدَبِ . أَفْقَرُ الْفَقْرِ الْحُمُقُ . أَوْحَشُ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ . أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ . الطَّامِعُ
 فِي وَثَاقِ الذَّلِّ . احْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ . أَكْثَرُ مِصْرَاعِ ذَوِي
 الْعُقُولِ تَحْتَ بَرُوقِ الْأَطْمَاعِ . مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ . إِذَا أَمَلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا
 اللَّهُ بِالصَّدَقَةِ . مَنْ لَانَ عَوْدُهُ كَثَفَتْ أَغْصَانُهُ . قَلْبُ الْأَحْمَقِ فِي فِيهِ ، وَلِسَانُ الْعَاقِلِ
 فِي قَلْبِهِ . مَنْ جَرَى فِي عِنَانِ أَمَلِهِ عَشْرَ بَاجِلِهِ . إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلَا
 تَنْفَرُوا أَقْصَاهَا بِقَلَّةِ الشُّكْرِ . إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرَ الْقُدْرَةِ
 عَلَيْهِ . مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ مِنْهُ فِي فِلَتَاتِ لِسَانِهِ وَصَفْحَاتِ وَجْهِهِ . اللَّهُمَّ
 اغْفِرْ رِمَازَاتِ الْأَلْحَاطِ ، وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ ، وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ ، وَهَفْوَاتِ اللِّسَانِ .
 الْبَخِيلُ مُسْتَعَجِلٌ لِلْفَقْرِ يَعِيشُ فِي الدُّنْيَا عَيْشَ الْفُقَرَاءِ ، وَيَحَاسِبُ فِي الْآخِرَةِ
 حِسَابَ الْأَغْنِيَاءِ . لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ ، وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ .

(١) العجان : الدبر أو الأست . ينظر لسان العرب مادة عجن .

قال الجاحظ -معناه: أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مراجعة فكره، ومفاحصة رأيه، فكان لسان العاقل تابع لقلبه، وكان قلب الأحمق وراء لسانه .

وروينا بالإسناد إلى السيد أبي طالب عليه السلام بإسناده عن كميل بن زياد أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قال: يا سبحان الله! ما أزهّد كثير من الناس في الخير! عجبت لرجل يأتيه أخوه المؤمن في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً! فوالله لو كنا لا نرجو الجنة ولا ثواباً، ولا نخشى ناراً ولا عقاباً - لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق؛ فإنها تدل على سبل النجاح. فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله قال: نعم. وما هو خير منه، لما أتانا سبايا (طيّ) وقعت جارية حمّاء، حواء، لعساء، لميآء، عيطآء، شمّاء الأنف، معتدلة القامة، ردما الكعبين، خدلجة الساقين، لفآء الفخذين، خميصة الحصرين، ضامرة الكشحين، فلما رأيتها أعجبت بها، وقلت: لأطلبن إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يجعلها في فيثي، فلما تكلمت نسيت جمالها لما رأينا^(١) فصاحتها، فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي العرب، فإنني ابنة سرة قومي، كان أبي يفك العاني، ويشبع الجائع، ويقرّي الضيف، ويفرّج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، وما ردّ طالب حاجة قط عنها، أنا ابنة حاتم الطائي، فقال صلى الله عليه وآله: هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلامياً ترحمنا عليه، خلّوا عنها فإن أباهما كان يحب مكارم الأخلاق والله يحب مكارم الأخلاق، فقام أبو بردة فقال: يا رسول الله تحب مكارم الأخلاق؟ فقال: نعم يا أبا بردة لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق^(٢).

قال الحاكم الإمام عليه السلام: حمّاء أي: سمراء، وكذلك الحوّاء: من الحوّة في اللون، وقيل: منه سميت امرأة آدم عليه السلام حواء. وفي الحديث «خير الخيل الحوّاء»

(١) في (أ): لما سمعت من .

(٢) لأمالى ٣٢٨ .

يعني : الكميت التي يعلوها سواد ، وقد حوى الفرس حوّه .

وقوله : لمياء لعساء ، اللماء واللّمس : سواد مستحسن في الشفة ، يقال :
جارية لعساء ، إذا كان في لونها أدنى سواد وشربة من الحمرة . قال ذو الرمة :
لمياءُ في شفتيها حوّهٌ لعسٌ وفي اللثات وفي أنيابها شنب
وقوله : عيطاء : هي الطويلة في اعتدال ، والشماء : من الشمم في الأنف ،
وهو تطامن القصبه ، وقوله : ردما : هي التي خفي العظم في ساقها غمض من
كثرة اللحم وامتلائه ، والخدلجة : المثلثة الساقين سمناً . وقوله : لفاء : هي من
الأنف وهو اجتماع اللحم على الفخذ ، ومنه الشجر الملتف الأغصان ، والكشح
والخصر واحد ، ومنه الكاشح العدو ، الذي يضمّر العدو في كشحه ، وقولها :
سرة قومي : أي خالصهم وصميمهم^(١) .

ومنه حديث ظبيان قال لما وفد على رسول الله ﷺ : نحن قوم من سرة
مذحج : أي خيارهم ، وقولها : وفك العاني : أي يطلق الأسير ، ومنه : ﴿ فَكُّ
رَقَبَةٍ ﴾ [البند : ١٣] ، ومنه الحديث : « أعتق النسمة ، وفك الرقبة » قيل : أو
ليسا واحدة ؟ قال : لا ، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة : أن تعين في
عتقها .

وروينا عن السيد أبي طالب عليه السلام رواه عن عقبة بن أبي الصهباء قال : لما
ضرب ابن ملجم لعنه الله علياً عليه السلام دخل الحسن عليه السلام وهو باك ، فقال له علي
عليه السلام : ما يبكيك يا بني ؟ قال الحسن عليه السلام : ومالي لا أبكي وأنت في أول يوم من
الآخرة وأخر يوم من الدنيا ، فقال : يا بني احفظ عني أربعاً لا يضرك ما عملت
معهن شيء ، فقال عليه السلام : ما هن يا أمير المؤمنين ؟ فقال : « اعلم أن أغنى الغنى
العقل ، وأكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكبر من الحسب حسن
الخلق » فقال الحسن عليه السلام : يا أبة هذه الأربع فأعطني الأربع قال : يا بني إياك

(١) الأماي ص ٣٢٩ .

ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه يقرب إليك البعيد ويباعد عنك القريب ، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يقعد عنك أحوج ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه اليسير .

وروينا بالإسناد إلى السيد أبي طالب عليه السلام بإسناده عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عن أبيه عليهم السلام أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كتب إلى ابنه الحسن عليه السلام بعد انصرافه من صفين إلى قناصرين^(١) :

من الوالد الفان ، المقر للزمان ، المستسلم للدهر^(٢) ، الدائم للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، الظاعن منها إليهم غداً ، إلى الولد المؤمل في دنياه ما لا يدرك ، السالك في الموت سبيل من هلك ، غرض الأسقام ، ورهينة الأيام ، وقرين الأحزان ، ورمية المصايب ، وتاجر الغرور ، وغريم المنايا ، وأسير الموت ، ونصب الآفات ، وخليفة الأموات . أما بعد ، يا بني : فإن فيما تبينت من إدبار الدنيا عني ، وجنوح الدهر علي ، وإقبال الأخرة إلي ما ينزع بي عن ذكري سواي ، والاهتمام بما ورأيتي ، غير أنني تفرّد بي دون هموم الدنيا هم نفسي ، فصدقتني رأيتي ، وصرفتني عن هواي ، وصرّح لي محض^(٣) أمري ، وأفضى بي إلى جد لا يُزري بي لعب ، وصدق لا يشوبه كذب . وجدتك يا بني بعضي ، بل وجدتك كلي ، حتى كأن لو شيئاً أصابك أصابني ، وحتى لو أن الموت أتاك أتاني ، فعناني من أمرك ما يعينني من أمر نفسي ، كتبت إليك كتابي هذا إن بقيت أو فנית .

أوصيك بتقوى الله ، ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] وأي سبب أوثق من سبب يكون بينك وبين الله ، فأحي قلبك بالموعظة ،

(١) هي النهج والامالي (حاضرین) ، وهو : اسم بلدة في نواحي صمين .

(٢) في المتن : للحدتان .

(٣) هي النسخ (محصر) .

ونوره بالحكمة، ومرّنه على الزهد، وقوّه باليقين، وذلّله بالموت، وقرره بالفناء،
 وبصره فجائع الدنيا، وحذره صولة الدهر، وفحش تقلب الأيام والليالي،
 واعرض عليه أخبار الماضين، وذكّره ما أصاب من قبلك، وسر في ديارهم
 وآثارهم، وانظر ما فعلوا، وأين حلوا، وعمّا انقلبوا؟ فإنك تجدهم انقلبوا عن
 الأحبة، ونزلوا دار الغربية، فكأنك عن قليل صرت كأحدهم؛ فأصلح مثواك،
 ولا تبع آخرتك بدنياك، ودع القول فيما لاتعرف، والنظر في ما لم تُكلّف،
 وأمسك عن طريق إذا خفت ضلّاته، فإن الوقوف عند حيرة الطريق خيرٌ من
 ركب الأهوال، وأمر بالمعروف، وكن من أهله، وأنكر المنكر بلسانك ويدك،
 وبابن مَنْ فَعَلَهُ بجهدك، وجاهد في الله حق جهاده، ولا يأخذك في الله لومة
 لائم.

وفي رواية أخرى: وعود نفسك الصبر على المكروه، ونعم الخلق الصبر^(١)،
 وألجئ نفسك في أمورك كلها إلى إلهك؛ فإنك تلجئها إلى كهف حريز، ومانع
 عزيز، واخلص المسألة لربك؛ فإن في يديه العطاء والحرمان، وأكثر من
 الاستخارة، واحفظ وصيتي. ومن هاهنا اتفقت الروايتان: ولا تذهبن عنك
 صفحاً؛ فإن خير القول ما نفع.

واعلم يا بني أنه لا غناء بك عن حسن الارتداد، وبلاغ الزاد، مع خفة الظهر،
 فلا تحمل على ظهرك فوق بلاغك، فيكون عليك ثقلاً ووبالاً، وإذا وجدت من
 أهل الفاقة من يحمل زادك فيوافيك به حيث ما تحتاج إليه فاغتمه؛ فإن أمامك
 عقبة كشوداً لا محالة، وإن مهبطها يكون على جنة أو على نار، فارتد يا بني
 لنفسك قبل نزولك، وأحسن إلى غيرك كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح
 لنفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس بما ترضى لهم، ولرب بعيد
 أقرب من قريب، والغريب من ليس له حبيب، ولربما أخطأ البصير قصده،

(١) في الأمالي والنهج: التصبر.

وأبصر الأعمى رشده .

يا بني : قطيعتك الجاهل تعدل مواصلة العاقل ، قلة التوقي أشد زلة ، وعلة الكاذب أقبح علة ، وليس مع الاختلاف ائتلاف ، مَنْ أمن الزمان خانه ، ومن تعاظم عليه أهانه ، ومن لجأ إليه أسلمه . رأس الدين صحة اليقين ، وخير المقال ما صدقه الفعال ، سَلْ يا بني عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار ، واحتمل ضيم المدل عليك ، واقبل عذر من اعتذر إليك ، وكن من أخيك عند صرمة لك على الصلة ، وعند تباعده على الدنو منه ، وعند جموده على البذل ، حتى كأنه ذو نعمة عليك ، وإياك أن تفعل ذلك في غير موضعه ، أو تصنعه بغير أهله . لَنْ لمن غالطك فيوشك أن يلين لك ، ولا تُقل ما لا تعلم ، بل لا تقل كل ما تعلم .
واعلم أن الانحراف عن القصد ضد الصواب وآفة ذوي الأبواب ، فإذا اهتديت لقصدك فكن أخشى ما تكون لربك .

وفي رواية أخرى : وإياك والانتكال على الأمانى ؛ فإنها بضائع النوكا ، وتثيبت عن الآخرة والأولى ، وخير حظ المرء قرين صالح . قارب أهل الخير تكن منهم ، وبأين أهل الشر تب عنهم ، ولا يغلبن عليك سوء الظن ، فإنه لا يدع بينك وبين خليلك صلحا ، وذك قلبك بالأدب كما تُذك النار بالحطب . كفر النعمة لؤم ، وصحبة الأحمق شؤم ، واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض قد أذن بدعائك ، وتكفل بإجابتك ، وأمرك أن تسأله ليعطيك ، وهو رحيم بصير ، لم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه ، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة ، ولم يعاجلك بالنقمة ، وفتح لك باب المتاب والأسباب ، فمتى شئت سمع دعاءك ونجواك ؛ فافض إليه بحاجتك ، وبث ذات نفسك ، وأسند إليه أمورك ، ولا تكن مسألتك فيما لا يعينك ، ولا بما يلزمك خباله ، ويبقي عليك وبأله ، فإنه يوشك أن ترى عاقبة أمرك حسنا أو قبيحا .
واعلم يا بني أنك إنما خلقت للآخرة لا للدنيا ، وللبقاء لا للفتناء ، وللحياة لا للموت ، وأنت في منزل قلعة ، وطريق إلى الآخرة ، وأنتك طريد الموت الذي

لا ينجو هاربه، فأكثر ذكر الموت، وما تهجم عليه، وتفضي بعد الموت إليه، واجعله أمامك حيث تراه، فيأتيك وقد أخذت حذرك، وأذكر الآخرة وما فيها من النعيم والعذاب الأليم؛ فإن ذلك يزهّدك في الدنيا، ويصغرها عندك، مع أن الدنيا قد نعت إليك نفسها، وتكشفت لك عن مساوئها، وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهلها، وتكالبهم عليها، فإنما هم كلاب عادية، وسباع ضارية، يهرّب بعضها على بعض، يأكل عزيزها ذليلها، وكثيرها قليلها. واعلم يا بني أن من كانت مطيته الليل والنهار فإنه يساربه وإن لم يسر، وأن الله قد أذن بخراب الدنيا وعمارة الآخرة، فإن تزهد فيما زهدتكَ فيه منها ورغبت عما رغبت عنها فانت أهل لذلك، وإن كنت غير قابل نصيحتي فاعلم علماً يقيناً أنك لن تبلغ أملك، ولن تعدوا أجلك، وإنك في سبيل من كان قبلك، فاخفض في الطلب، وأجمل في المكتسب، فرب طلب جرّ إلى حرب.

وانظر إلى إخوانك الذين كانوا لك في الدنيا مواسين، ومعك لله ذاكرين متكاتفين، قد خلّوا عن الدور، وأقاموا في القبور إلى يوم النشور، وكان قد سلكت مسلكهم، ووردت منهلهم، وفارقت الأحبة، ونزلت دار الغربة، ومحل الوحشة، وجاورت جيراناً افترقوا في التجاور، واشتغلوا عن التزاور، فاعمل لذلك المصرع، وهول المطلع، فيوشك أن تفارق الدنيا، وتنزل بك العظمى، وتصير القبور لك مثوى، واعمَل ليوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين، ويجيء فيه بصفوف الملائكة المقربين، حول العرش يجمعون على إنجاز موعد الآخرة، وزوال الدنيا الفانية، وتغير الأحوال، وتبدل الآمال من عدل القضاء، وفصل الجزاء في جميع الأشياء، فكم يومئذ من عين باكية، وعورة بادية، تُجرّ إلى العذاب الأليم، وتُسقى ماء الحميم، في مساكن الجحيم، إن صرخ لم يُرحم، وإن صبر لم يُؤجر، فاعمل لتلك الأخطار تتخلص من النار، وتكون مع الصالحين الأبرار... يا بني: كن في الرخاء شكوراً، وعند البلاء صبوراً، ولربك ذكوراً،

وليكن ما بينك وبينه معموراً، يا بني لن تزال بخير ما حمدت ربك، وعرفت موعظته لك، فإن قلوب المؤمنين رقيقة، وأعمالهم وثيقة، ونياتهم صدق وحقيقة، فالزم محاسن أخلاقهم، وجميل أفعالهم، لعلك تُحاسب حسابهم، وتثاب ثوابهم.

يا بني: أزحتُ عنك العلة، وألزمتك الحجة، وكشفت عنك الشبهة، وظهرت لك الآثار، ووضحت لك البيّنات، وما أنت بمخلد في الدنيا، فعيشها غرور، ما يتم فيها لُبُّ سرور، يوشك ما ترى أن ينقضي وتمر أيامه، ويبقى وزره وآثامه.

إن الدار التي أصبحنا فيها بالبلاء محفوفة، وبالفناء موصوفة، كلما ترى فيها وبين أهلها دول سجال، وعوار مقبوضة، بينا أهلها فيها في رخاء وسرور إذ هم في بلاء وغرور، تتغير فيها الحالات، وتتابع فيها الرزقيات، ويساق أهلها للمنيات، فهم فيها أغراض ترميهم سهامها، وينشاهم حمامها، قد أكلت القرون الماضية، وأشرعت في الأمم الباقية، أكلهم ذعاق ناقع، وحمام واقع، ليس عنه مذهب، ولا منه مهرب، إن أهل الدنيا سفر نازلون، وأهل ظعن شاخصون، فكأن قد انقلبت بهم الحال، ونودوا بالارتحال، فأصبحت منهم قفاراً، ومن جميعهم بواراً، والسلام عليك^(١).

ومن كلامه ﷺ: أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل كن لها أهلاً: لا يرجون أحد منكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحيين أحد منكم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ولا يستحيين أحد إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه، وعليكم [بالصبر فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه].^(٢)

(١) الأماالي ص ٨١، والنهج ص ٥٧٢ رقم: ٣١.

(٢) ما بين القوسين ساقط من جميع النسخ، وموجود في هامش (أ) فقط. ينظر الأماالي ص ١٤٥.

وقال عليه السلام : المغبون من غبن نفسه، والمغبوط من سلم له دينه، والسعيد من وعظ بغيره، والشقي من انخدع لهواه وغروره .

وقال عليه السلام : يؤساً لنعمة تذهب لذتها وتبقى تبعثها .

وقال عليه السلام : ثلاثٌ من كنوز الجنة : كتمان الصدقة، وكتمان المصيبة، وكتمان المرض .

وقال عليه السلام : جميع الخير كله في ثلاث : النظر، والسكوت، والكلام . فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو، وكل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو، وكل سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة، فطوبى لمن كان نظره عبثاً، وسكوته فكراً، وكلامه ذكراً، وبكى على خطيئته، وأمن الناس شره .

وكتب عليه السلام إلى الأشر: صل من قطعك، وأعط من حرمك، واعف عمن ظلمك، وأحسن إلى من أساء إليك، وقُل الحق على نفسك .

وروي عن الجاحظ أنه قال : صنفت ألف كتاب ما سمعت كلمة إلا أتيتُ بنظيرها إلا تسع كلمات لأُمير المؤمنين صلوات الله عليه : ثلاث في المناجاة، وثلاث في الحكمة وثلاث في الأدب . أما التي في المناجاة : إلهي كفى لي فخراً أن تكون لي رباً، إلهي كفى لي عزاً أن أكون لك عبداً، إلهي أنت كما أحبُّ فأجعلني كما تُحب .

وأما التي في الحكمة فقوله : استغن عمن شئت تكن نظيره، وارغب إلى من شئت تكن أسيره، وتفضل على من شئت تكن أميره .

وأما التي في الأدب فقوله : قيمة كل أمرئ ما يُحسنه، والمرء مخبوءٌ تحت لسانه، وما هلك امرؤٌ عرف قدره .

ومن شعره عليه السلام قوله وقد توفيت فاطمة (ع) :

نفسي على زفراتها محبوسة يا ليتها خرجت مع الزفرات
لا خير بعدك في الحياة وإنما أبكي مخافة أن تطول حياتي

ثم أخذ في جهازها ودفنها وهو يقول :
 وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد دليلٌ على أن لا يدوم خليل
 لكل اجتماع من خليلين فرقةً وكل الذي دون الفراق " قليل
 ولَمَّا أُقبل من قبرها زار قبر رسول الله ﷺ، وقال: إن الصبر لجميل
 إلا عنك، وإن الجزع لقبيح إلا عليك، وإن المصيبة بك لجليل، وأما بعدك فجليل،
 ثم أنشأ يقول :

ما غاض دمعي عند نازلة إلا جعلتُك للبكاء سبباً
 فإذا ذكرتُك سامحتُك به مني الجفون ففاض وانسكباً
 وروى سعيد بن المسيب قال: دخلنا مقابر المدينة مع جنازة، فمال علي عليه السلام
 إلى قبر فاطمة عليها السلام وانصرف الناس فبكى وأنشأ يقول :

لكل اجتماع من خليلين فرقة وإن الذي دون الفراق قليل
 أرى علل الدنيا علي كثيرةً وصاحبها حتى الممات عليل
 إذا انقطعت يوماً من العيش مدتي فإن غناء الباقيات قليل
 وإن افتقادي فاطماً بعد أحمد دليلٌ على أن لا يدوم خليل
 وروي: وإن افتقادي واحداً بعد واحد.

ثم نادى: يا أهل القبور، تخبرونا أخباركم، أم تريدون أن نخبركم، أم عن
 الجواب منعمتم، يا معشر الأخوان: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال:
 فسمعنا صوتاً يقول: وعليك السلام ورحمة الله يا أمير المؤمنين، خبرنا
 بأخبارك، ما عندك؟ فقال عليه السلام: أما أزواجكم فقد زُوجوا، وأما أموالكم فقد
 اقتُسمت، وقد حشر في زمرة اليتامى أولادكم، والمنازل التي شيدتم وبنيتم قد
 سكنها أعداؤكم، فهذه أخباركم عندنا، فما أخبارنا عندكم؟ قال: فأجابته
 مجيبٌ وهو يقول: تخرقت الأكفان، وتناثرت الشعور، وتمغطت الجلود،

(١) في (أ): الممات.

وسالت الأحداق على الحدود، وسالت المناخر والأفواه بالقبيح والصديد، وما
قدّمنا وجدناه، وما أبقينا خسرناه، ونحن مرتهنون بالأعمال.

وله عليه السلام يعظ ابنه محمداً عليه السلام :

إِنَّ عَضَّكَ الدَّهْرُ فَانْتَظِرْ فَرَجًا
أَوْ مَسَّكَ العُسْرُ فَابْتُلِيَتْ بِهِ
رَبٌّ مَعَافِي شَكَا تَقَلُّبُهُ
وَأَمِنَ فِي عَشِيَاءِ لَيْلَتِهِ
مَنْ صَحِبَ الدَّهْرَ ذِمًّا صَحْبَتَهُ
وله عليه السلام :

فَإِنَّهُ نَاطِرٌ لِمَنْتَظِرِهِ
فَاصْبِرْ فَإِنَّ الرِّخَاءَ فِي أَثَرِهِ
وَمُشَّتَكَ مَا يَنَامُ مِنْ سَهْرِهِ
دَبَّ إِلَيْهِ البَلَاءُ فِي سَحَرِهِ
وَنَالَ مِنْ صَفْوِهِ وَمَنْ كَدَرِهِ
وفوضت أمري إلى خالقي
كذلك يُحسن فيما بقي
وله عليه السلام :

انظر لنفسك هل ترى من ظالم
الله يمهّل ثم يأخذ بغتة
وله جزاء عاجل ومؤخر
وله عليه السلام :

ما أحسن الدنيا وإقبالها
من لم يواس الناس من فضله
وقال عليه السلام في رجل ضعيف يقال له : وبرة، ذي مال :

ورازق المسلمين والفجرة
مما نلت من رزق ربنا وبرة
سبحان رب العباد يا وبرة
لو كان رزق العباد من جلد
وقال عليه السلام :

وإن مسني عسرٌ لقد مسني يسرٌ
فإن ساءني صبرٌ وإن سرني شكرٌ
لأن ساءني دهرٌ لقد سرني دهرٌ
لكل من الأيام عندي عادة

وله عليه السلام :

ما أكثرَ الناسَ لا بل ما أقلُّهمُ
إني لأطبقُ جفني ثم أفتحُه
اللهُ يعلمُ أني لم أقلُ فنَدَا
أرى كثيراً ولكن لا أرى أحداً
وله عليه السلام يخاطبُ جابراً :

لا تخضعنَّ لمخلوقٍ على طمعٍ
واسترزق الله بما في خزائنه
فإنَّ ذلكَ نقصٌ منك في الدينِ
فإنَّ ذلكَ بين الكاف والنونِ
روينا ما بعد وصية أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب السفينة إلى ها هنا .

وروينا من غيرها مما هو مسموعٌ لنا أيضاً لأمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقول :
إذا يقضي لك الرحمنُ رزقاً
وإن يحرمك لا تسطع بحولٍ
فأقصر في خطاك فلست تعدو
وله عليه السلام :

لا تعتنِ على العبادِ فإنما
سبق القضاء بوقته فكأنما
يأتيك حين يؤذن فيه
يأتيك حين الوقت أو تأتيه
بالعسبِ أرأف من أب ببنيه
تُضني حشاك وأنت لا تبديه
فكأنما عن نفسه يُخفيه
وله عليه السلام :

لو كانت الأرزاق تجري على
لكان من يُخدم مستخدماً
واعتذر الدهرُ إلى أهله
لكنها تجري على سمتها
مقدار ما يستوجب العبدُ
وغاب نحسٌ وبدا سعدُ
واتصل السؤدد والمجدُ
بما يريد الواحد الفردُ

ومن كلامه عليه السلام رواه مصنف نهج البلاغة^(١): واعجباً أن تكون الخلافة
بالصحابه ولا تكون بالصحابه والقرابة!

وروي له عليه السلام في هذا المعنى:

لأن كنت بالشورى ملكت أمورهم
وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم
فكيف بهذا والمشيرون غُيبُ
فغيرك أولى بالنبي وأقربُ

ومن دعائه عليه السلام - رواه أيضاً: اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن
عدتُ فعدلي بالمغفرة. اللهم اغفر لي ما رأيت من نفسي ولم تجد له وفاء عندي.
اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك ثم خالفه قلبي. اللهم اغفر لي رمزات الألفاظ،
وسقطات الألفاظ وشهوات الجنان، وهفوات اللسان.^(٢)

ومن كلام له عليه السلام - رواه أيضاً: اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطي،
وعلى ما تعافي وتبتلي، حمداً يكون أرضى الحمد لك، وأحب الحمد إليك،
وأفضل الحمد عندك، حمداً يملاً ما خلقت، ويبلغ ما أردت، حمداً لا يحجبُ
عنك، ولا يقصرُ دونك، حمداً لا يقطع عدده، ولا يفنى مدده، فلسنا نعلم كنه
عظمتك، إلا أنا نعلم أنك حيٌّ قيومٌ لا تأخذه سنة ولا نوم، لم ينته إليك نظر،
ولم يدركك بصر، أدركت الأبصار، وأحصيت الأعمار، وأخذت بالنواصي
والأقدام، وما الذي نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك، وتصفه من عظيم
سلطانك، وما تغيب عنا منه، وقصرت أبصارنا عنه، وانتهت عقولنا دونه،
وحالت سواثر الغيوب بيننا وبينه أعظم، فمن فرغ قلبه، وأعمل فكره؛ - ليعلم
كيف أقمت عرشك، وكيف ذرات خلقك، وكيف علقت في الهواء سماواتك،
وكيف مددت على مور الماء أرضك - رجع طرفه حسيراً، وعقله مبهوراً، وسمعه
وآلهاً، وفكره حائراً^(٣).

(١) (الحكم والأمثال) رقم ١٩٠ ص ٧٢١.

(٢) النهج ص ٢٠٢ رقم: ٧٦.

(٣) النهج ص ٣٨١ رقم: ١٥٨.

ومن كلامه عليه السلام : اللهم أنت أهل الوصف الجميل ، والتعداد الكثير ، إن تؤمّل فخير مأمول ، وإن تُرَجَّ فخيرُ مرجو ، اللهم وقد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك ، ولا أثني به على أحد سواك ، ولا أوجهه إلى معادن الخيبة ، ومواضع الريبة ، وعدلت بلساني عن مدائح الأدميين ، والثناء على المربوبين المخلوقين . اللهم ولكل مُثنٍ على من أثني عليه مشوبةٌ من جزاء ، أو عارفةٌ من عطاء ، وقد رجوتك دليلاً على ذخائر الرحمة ، وكنوز المغفرة . اللهم وهذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي هو لك ، ولم يرَ مستحقاً لهذه المحامد والمادح غيرك ، وبني فاقة إليك لا يجبرُ مسكنتها إلا فضلك ، ولا يُعشُّ من خَلَقَها إلا منك وجودك ؛ فهب لنا في هذا المقام رضاك ، وأغننا عن مدِّ الأيدي إلى سواك ، إنك على كل شيء قدير .

وبالإسناد الموثوق به من كتاب آخر أنه قال في مناجاته عليه السلام : إلهي ارحمنا إذا تضمنتنا بطونُ حُودنا ، وأغميتُ باللبين سقوفُ بيوتنا ، واضطجعنا مساكين على الأيمان في قبورنا ، وخُلِّفنا فرادى في أضييق المضاجع ، وصرعتنا المنايا في أعجب المصارع ، وصرنا في دار قوم كانت مأهولة منهم بلاقع . إلهي لقد رجوتُ ممن ألبسني من بين الأحياء ثوب عافيته ألا يعريني منه من بين الأموات بجود رأفته .

ومن كلام له عليه السلام في صفة النبي صلى الله عليه وآله : لم يكن صلى الله عليه وآله بالطويل الممَّغَط^(١) ، ولا بالقصير المتردد^(٢) . كان ربعة^(٣) من القوم ، ولم يكن بالجعد القطط^(٤) ولا السَّبَّط ، كان جعداً رجلاً^(٥) ، لم يكن بالمطهم^(٦) ولا

(١) أي : لم يكن بالطويل البائن الطول . لسان العرب ٤٠٥/٧ مادة : مغط .

(٢) أي : القبيح الخلقة .

(٣) أي : بين الطول والقصر .

(٤) القطط : الشديد جمودة الشعر .

(٥) مسرح الشعر .

(٦) المطهم : العظيم الجسم .

المُكَلَّمُ^(١)، وكان أبيضَ مُشرباً بحمرة، أدعج^(٢) العينين، أهدب^(٣) الأشفار، جليل^(٤) المشاش والكتد^(٥)، دقيق المسربة^(٦)،

أجرد، شن^(٧) الكفَّين والقدمين، إذا مشى تقلَّع^(٨) كأنه يمشي في صَبَب^(٩)، وإذا التفت التفت معاً، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو ﷺ، خاتم النبيين، أجود الناس كفاً، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة. من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبه. يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ. رويناه من سيرة ابن هشام^(١٠).

ومن كلامه ﷺ في تعليم الناس الصلاة على النبي ﷺ: اللهم داحي المدحوآت، وداعم المسموكات، وجابل القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها: اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفتاح لما انغلق، والمعلن الحق بالحق، والدافع جيشات الأباطيل، والدامغ صولات الأضاليل، كما حُمِّلَ فاضطلع قائماً بأمرك، مُستوفزاً في مرضاتك، غير ناكلٍ عن قُدُمٍ، ولا واهٍ في عزمٍ، واعياً لوحيك، حافظاً لوعدك، ماضياً على نفاذ أمرك، حتى أورى قبس القابس، وأضاء الطريق للخابط، وهدنت به القلوب

(١) المكلم: المستدير الوجه في صغر.

(٢) الأدعج: الأسود.

(٣) أهدب الأشفار: طولها.

(٤) المشاش: عظام رؤوس المفاصل.

(٥) الكتد: ما بين الكتفين.

(٦) المسربة: الشعر الممتد من الصدر إلى السرة.

(٧) أي: غليظهما.

(٨) لم يثبت قدميه.

(٩) الصبب: ما انحدر من الأرض.

(١٠) ج ٢ ص ١٤.

بعد خوضات الفتن، وأقام موضحات الأعلام، ونيرت الأحكام، فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين، وبعيذك بالحق، ورسولك إلى الخلق. اللهم افسح له مفسحاً في ظلك، واجزه مضاعفات الخير من فضلك. اللهم أعلِ على بناء البانين بناءه، وأكرم لديك منزلته، وأتمم له نوره، واجزه من ابتعائك له مقبول الشهادة، ومرضى المقالة، ذا منطق عدل، وخطة فصل. اللهم اجمع بيننا وبينه في برد العيش، وقرار النعمة، ومنى الشهوات، وأهواء اللذات، ورخاء الدعة، ومنتهى الطمأنينة، وتحف الكرامة. رواه في نهج البلاغة^(١)، ولنقتصر على حكاية هذا القدر، وإن كان قليلاً من كثير من كلامه عليه السلام، وهو كُله في الرفيع من منازل الفصاحة، والعالي من درجات البلاغة صلى الله عليه وآله وأرضاه.



١٦ الخطبة رقم ٧٠ ص ١٦٢ .

الإمام الحسن بن علي عليهما السلام^(١)

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، وأمّه فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ. وروى أنها لما طُلِّقَتْ^(٢) فاطمة عليها السلام بالحسن بن علي عليهما السلام أُخْبِرَ بذلك رسول الله ﷺ، فأرسل إلى أسماء بنت عميس وإلى عائشة، وقال: انطلقا إلى فاطمة، فإذا وضعت ما في بطنها فاقرءا بفاتحة الكتاب، وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، واعلماني بما وضعت، ففعلتا ذلك وبعثتا إليه، فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، ولَبَّاهُ بريقه فجنكه، وقال: اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم. وجاء علي ﷺ، فقال: ما سميتَه؟ فقال: حرب يارسول الله، قال: هو حسن، ومن بعده حسين، وأنت أبو الحسن القرم^(٣). ثم جاءت به أمه تحمله بعد ذلك، فقالت: يارسول الله، انحَلُّ ابني، قال: قد نحلته المهابة والحياء، ونحلتُ حسينا الشجاعة والجود، وهما سيدا شباب أهل الجنة، ومن أحبهما فبحبي أحبهما، ومن أبغضهما أو بغى عليهما فببغضي أبغضهما.

وولد الحسن ﷺ للنصف من شهر رمضان، سنة ثلاث من الهجرة عام

(١) مقاتل الطالبين (٤٦)، الإفادة (٣٥)، تاريخ الطبري (١٥٨/٥)، الجرح والتعديل (١٩١/٣)، مروج الذهب (١٨١/٣) الحلية (٣٥/٢)، جمهرة أنساب العرب (٣٨)، الاستيعاب (٥٧٤)، تاريخ ابن عساکر (٤٩/١)، أسد الغابة (٩/٢)، الكامل (٤٦٠/٣)، تاريخ الإسلام (٢١٦/٢)، البداية والنهاية (١٤/٨)، مجمع الزوائد (١٧٤/٩)، تاريخ الخلفاء (١٨٧) سير أعلام النبلاء (٢٤٥/٣)، الأعلام (١٩٩/٢) صفوة الصفوة (٣٤٢/١)، أعيان الشيعة (٥٦٢/١).

(٢) طلقت: أصابها وجع الولادة قاموس مادة طلق ١١٦٧.

(٣) ذكرت برواية أخرى في أمالي أبي طالب ص ٩٤، تنبيه الغافلين ص ٧٣، رواه الترمذي ج ١/ ص ٢٨٦، أبو داود ج ٣/ ص ٢١٤، رواه أحمد بن حنبل ٩/ ٦، ٣٩١، و ص ٣٩٢.

(أحد)^(١) بعد الوقعة، وعق عنه رسول الله ﷺ في اليوم السابع كبشاً، وحلقت فاطمة عليها السلام رأسه وتصدقت بوزنه فضةً على المساكين.

صفته ﷺ: كان علي عليه السلام يقول: إن الحسن والحسين اقتسما رسول الله ﷺ، فالحسن أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين مفرق صدره إلى نحره، والحسين أسفل من ذلك.

وروي أنه كان أبيض اللون، حسن الوجه، على رتة في لسانه^(٢) قال النبي ﷺ: أتته من قبل جدّه موسى عليه السلام، ونحله رسول الله ﷺ المهابة والحياء كما تقدم في الخبر.

ذكر طرف من مناقبه ومقاماته ﷺ:

روينا عن النبي ﷺ أنه قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حرب لمن حاربتهم وسلم لمن سالمتم»^(٣)، وقال ﷺ: «لما أسري بي رأيت علي باب الجنة مكتوباً بالذهب، لا بماء الذهب: لا إله إلا الله، محمد حبيب الله، علي ولي الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله، علي باغضهم لعنة الله»، وعنه ﷺ: «أنه قال للحسن: اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»^(٤).

(١) في الأصل: (بدر) والصواب: (أحد)؛ لأن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل بفاطمة عليها السلام بعد رجوعه من غزوة بدر، وكذلك غزوة بدر كانت في السنة الثانية، وميلاد السبط الحسن في السنة الثالثة. انظر المقاتل ص ٤٨، والإفادة ص ٤٩، والاستيعاب ج ١ ص ٤٣٦.

(٢) في الإفادة ص ٥٠: أنه فصيح اللسان، وفي هامش (أ) قال الزمخشري: إن الرتة كانت في الحسين عليه السلام.

(٣) أمالي أبي طالب ١١٠، الترمذي ٦٥٦/٥ رقم ٣٨٧٠، ابن ماجه رقم ١٤٥، المعجم الكبير للطبراني ٣/٤٠ رقم ٢٦١٩، ٢٦٢١، ٥٠٣٠، والمستدرک ٣/١٤٩، والبدایة والنهایة ٨/٢٢٣، كنز العمال ١٢/٣٤١٥٩، ٣٤١٦٤، ومجمع الزوائد ٩/١٦٩ وقال المقبلي حديث أنا حرب لمن حاربتهم وسلم لمن سالمتم قال لعلي والحسن والحسين وفاطمة.

(٤) البخاري رقم ٣٥٣٩، ٥٥٤٥، ومسلم رقم ٢٤٢١، ٢٤٢٢، والترمذي رقم ٣٧٨٣، ابن ماجه رقم ١٤٣، أحمد بن حنبل رقم ٧٣٩٢، ٨٣٦٢، ١٠٩٠٤، ١٨٥٢٤، ١٨٦٠٠.

ابن عباس إعظاماً لقوله ، وكان الحسن عليه السلام جالساً في ناحية فقال : إني يا ابن الأزرق ، قال : لستُ إياك أسأل ، قال ابن عباس : يا ابن الأزرق ، إنه من أهل النبوة ، وهم ورثة العلم ، فأقبل نافع نحو الحسن عليه السلام ، فقال له الحسن : يا نافع ، إنه من وضع دينه على القياس لم يزل دهره في التباس ، قابلاً غير المنهاج ، ظاعناً في الاعوجاج ، ضالاً عن السبيل ، قائلاً غير الجميل . يا ابن الأزرق ، أصفُ ألهي بما وصف به نفسه ، وأعرّفه بما عرّف به نفسه : لا يدرك بالحواس ، ولا يقاسُ بالناس ، فهو قريب غير ملتصق ، وبعيدٌ غير متقص ، يوحد ولا يُعصّ ، معروف بالآيات ، موصوف بالعلامات ، لا إله إلا هو الكبير المتعال ، قال : فبكى ابن الأزرق ، وقال يا حسن : ما أحسن كلامك ! أما والله يا حسن لئن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام ، ونجوم الأحكام ، حتى بدلتُم فاستبدلنا بكم ، فقال الحسن : إني أسالك عن مسألة ، قال : سل ، قال : هذه الآية : ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ [الكهف: ٨٢] يا ابن الأزرق ، مَنْ حَفِظَ فِي الْغُلَامَيْنِ؟ قال : أبوهما ، قال الحسن : فأبوهما خيرٌ أم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال ابن الأزرق : قد أنبانا الله بأنكم قوم خصمون .

وروي عن قتادة عن الحسن (البصري) عليه السلام أن رجلاً قال : يا أبا سعيد ، أمعاوية كان أحلم أم الحسن؟ قال : بل الحسن ، قال إنما أعني معاوية بن أبي سفيان الذي كان أمير المؤمنين ، قال الحسن عليه السلام : وهل كان ذلك إلا حماراً نهاقاً .

وروي أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يمشيان إلى الحج فلم يرا براكب إلا نزل يمشي ، فثقل ذلك على بعضهم فقالوا لسعد بن أبي وقاص : قد ثقل علينا المشي ولا نستحسن أن نركب وهذان الفتيان يمشيان ، فقال سعد للحسن عليه السلام : يا أبا محمد ، إن المشي قد ثقل على جماعة ممن معك ، والناس إذا رأوكما لم تطب أنفسُهم بأن يركبوا ، فلوركبتما ، فقال الحسن عليه السلام : لا نركب قد جعلت على نفسي أن أمشي ، ولكن أتتكب الطريق ، فأخذ جانباً .

وروينا عن المغيرة بن أبي نجيح : « أن الحسن بن فاطمة عليهما السلام حجَّ خمساً وعشرين حجةً وقاسم ماله ربَّه مرتين .

وروي السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني في كتاب نسب آل أبي طالب بإسناده إلى عبدالله بن عبيد بن عمير قال : لقد حج الحسن بن علي خمساً وعشرين حجةً ماشياً ، وإن النجائب لتقاد معه .

وروينا عن مدرك بن أبي راشد قال : كنتُ في حيطان لابن عباس فجاء الحسن والحسين عليهما السلام ، فطافا بالبستان قال : فقال الحسن عليه السلام : عندك غداء يا مدرك؟ قال : قلت : طعام الغلمان ، قال : فجئته بخبز وملح جريش وطاقات بقل ، قال : فأكل ثم جيئ بطعامه وكان كثير الطعام طيبه ، فقال : يامدرك ، اجمع غلمان البستان ، فجمعهم فأكلوا ولم يأكل ، فقلت له في ذلك فقال : ذاك كان بندي أشهى من هذا ، قال : ثم توضأ ثم جيئ بدآبته ، فأمسك له ابن عباس بالركاب وسوى عليه ، ثم مضى بدآبة الحسين فأمسك له ابن عباس بالركاب فسوى عليه ثم مضى ، قال : قلت له : أنت أسنُّ منهما تمسكُ لهما؟ قال : يا لكع أو ما تدري من هذان؟ هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله ، أوليس هذا بما أنعم الله به عليَّ أن أمسك لهما وأسوي عليهما!

وسمع الحسن عليه السلام رجلاً يسألُ الله عشرة آلاف فانصرف الحسن عليه السلام إلى منزله فبعث بها إليه .

وروي أن الحسن عليه السلام كان عند معاوية في جماعة من قريش ، فذكر كل واحد منهم قومه وقديمه وحديثه ، والحسن عليه السلام ساكت ، فقال معاوية : يا أبا محمد ، مالي أراك ساكتاً ، فوالله ما أنت بكليل اللسان ، ولا مأشوب الحسب ، فقال الحسن عليه السلام : والله ما ذكروا مكرمة موقنة ، ولا فضيلة قديمة إلا ولي محضها وجوهرها ، ثم قال :

فيم المرء وقد سبقتُ مُبرِّزاً؟ سبق الجواد من المدى المتباعد
نحن الذين إذا القروم تخاطروا فزنا على رغم العدو الحاسد

دانت لنا رَغماً بفضل قديمنا مُضَرُّ وَقَوْمَنَا طَرِيقَ الْحَايِدِ
ومن مواقعه عليه السلام : ما روي أنه كان عند معاوية يوماً فافتخر معاوية فقال : أنا
ابن بطحاء مكة ، أنا ابن أغزرها جوداً ، وأكرمها جدوداً ، أنا ابن من ساد قريشاً
فضلاً ناشئاً وكهلاً ، فقال الحسن عليه السلام : أعليّ تفتخري يا معاوية؟! أنا ابن عروق
الثرى ، أنا ابن مأوى التقى ، أنا ابن من جاء بالهدى ، أنا ابن من ساد أهل الدنيا
بالفضل السابق ، والجود اللائق ، والحسب الفائق ، أنا ابن من طاعته طاعة الله ،
ومعصيته معصية الله ، فهل لك أب كأيي تباهيني به؟ وقديم كقديمي تساميني به؟
قل نعم أو لا ، قال : بل أقول لا ، وهي لك تصديق ، فقال الحسن عليه السلام :
الحق أبلج ما يُخيل سبيله والحق يعرفه ذووا الألباب
ومن مقاماته عليه السلام :

ما روي أنه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص ، وعتبة بن أبي سفيان ،
والوليد بن عقبة بن أبي معيط ، والمغيرة بن شعبة فقالوا : يا معاوية ، أرسل لنا إلى
الحسن بن علي لنسب أباه ونوبِّخه ونُصغِّره ، وكانوا قد تواطئوا على أمر
واحد ، ثم قال عمرو : إن الحسن قد أحيا أباه ، وخفقت النعال خلفه ، وأمر
فأطيع ، وقال فصدّق ، وهذا رافعه إلى ما هو أعظم منه ، فلو بعثت إليه ، فأخذنا
منه النصفة كان رأياً ، فقال معاوية : إني والله أخاف أن يقلدكم قلائد تبقى عليكم
في قبوركم ، فوالله ما رأيت قط إلا خفتُ جنابه ، وهبتُ عتابه ، وإن بعثت إليه
والله أنصفته منكم ، فقال عمرو : أتخاف أن يأتي بآطله على حَقْنَا ، أو مرضه
على صحتنا؟ قال : لا فابعثوا إليه إذا فالقوه بما في أنفسكم ، ولا تُكَنُّوا^(١) ولا
تلجلجوا ، وصرِّحوا ولا تعرضوا ، فلن ينفعكم غير التصريح .

قال : فبعثوا إلى الحسن عليه السلام ، فقال الرسول : أجب أمير المؤمنين معاوية ،
فقال من عنده؟ فسماهم ، فقال : مالهم خرَّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم

(١) في (ج) : تكنموا .

العذاب من حيث لا يشعرون، ثم قال: يا جارية، أبلغيني ثيابي، ثم قال: اللهم إني أدرك بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، وأستعين بك عليهم، فأكفنيهم بما شئت، وكيف شئت، وأنتى شئت بحولك وقوتك يا رحمان، ثم قال للرسول: هذه كلمات الفرج، فلما أتى معاوية رحب به وناولته يده، فقال الحسن: إن الترحيب سلامة، والمصافحة أمانة، قال: أجل، فلما قعد قال له معاوية: ما أنا دعوتك ولكن هؤلاء أخرجوني فيك حتى أرسلت إليك فدعوتك لهم، وإنما دعوتك ليقرررك أن عثمان قُتلَ مظلوماً، وأن أباك قتله، فاسمع منهم وأجبهم، ولا يمنعنك هيبتى ولا هيبتهم أن تتكلم بصليب لسانك، فقال الحسن عليه السلام: سبحان الله! البيت بيتك، والإذن فيه إليك، والله لئن كنت أجبتهم إلى ما قالوا^(١) إنه استحياء لك من الفحش، ولئن كانوا غلبوك على ما تريد إنه استحياء لك من الضعف، فبأيهما تُقر؟ ومن أيهما تفر^(٢)؟ فهلاً إذ أرسلت إلي أنبأتني فأجيبهم بمثلهم من بني هاشم، على أنهم مع وحدتي أوحش منهم مع جميعهم، وإن الله لولي قلبي فليقولوا فأسمع.

فبدأ عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر علياً عليه السلام، فلم يترك شيئاً من الوقوع فيه حتى عيَّره بأنه شتم أبا بكر، واشترك في دم عمر، وقتل عثمان مظلوماً، وادَّعى ما ليس له بحق، ثم قال: إنكم معشر بني هاشم لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخليفة، واستحلالكم ما حرم الله عليكم، وحرصكم على الملك، وإتيانكم ما لا يحل لكم، ثم أنت يا حسن: كيف تحدث نفسك أنك كائن خليفة؟ وليس عندك عقل ذلك ولا رأيه، فكيف تُراك تأتيه، وأنت أحق قريش! وفيك سوء عقل أبيك، وإني دعوتك لأسبَّك وأباك، ثم لا تستطيع أن تغيره، ولا أن تكذبه، فأما أبوك فقد كفانا الله شره، وأما أنت ففي أيدينا نتخير

(١) في (ج): أرادوا .

(٢) في (ج): تعذر .

فيك ، والله لو قتلناك ما كان في قتلك إثمٌ من الله ، ولا عتب من الناس ، فتكلّم ، وإلا فأعلم أنك وأباك من شر خلق الله تعالى .

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال : إنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان ، ثم لم تدؤهُ ، ولم تقيدونا به ، والله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم من الله ، ولا لومٌ من الناس ، وكان من الحق أن نقتلك وأباك ، فأما أبوك فقد تفرّد الله بقتله وكفاناه ، وأما أنت فقد أقادك الله به إذ كان أبوك شرّ قريش لقريش ، أقطعهم لأرحامها ، وأسفكهم لدمائها ، وعليك القود في كتاب الله فنحن قاتلوك به . وأما رجأوك الخلافة فليست قدحة رأيك ، ولا رجح ميزانك .

ثم تكلم الوليد بن عقبة فقال : إنكم بني هاشم كنتم أخوال عثمان ، ولنعم الولد كان لكم إذ كنتم أصهاره ، ولنعم الصهر كان لكم ، يعرف حقكم ، ويكرمكم ، وإنكم كنتم أول من حسده ودبّ في قتله وفتك به ، وكنتم أنتم قتلتموه ، وأطعتم الناس في قتله ؛ حرصاً على الملك ، وقطيعة للرحم ، فكيف ترون الله طلب بدمه ؟ وكيف ترون منزلكم منازلكم ؟ أما أبوك فقتله الله ، وأما أنت فصرت إلى ما كرهت .

ثم تكلم المغيرة بن شعبة ، فقال يا حسن : إن عثمان قُتل مظلوماً ، ولم يكن لأبيك في ذلك عذر بري ، ولا اعتذار مذنب ، غير أنا ظننا أنه راض بقتله لضمه قتله ، ومكانهم منه ، وكان والله طويل اللسان والسيف ، يقتل الحي ويعيب الميت ، وبنو أمية لبني هاشم خير من بني هاشم لبني أمية ، ومعاوية خير لك منك له .

ثم تكلم الحسن عليه السلام : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا معاوية ، والله ما شتمني غيرك فحشاً منك ، وخلقاً سيئاً ، وبغياً عليّ ، وعداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قديماً وحديثاً ، ولا أبداً إلا بك ، ولا أقول إلا دون ما فيك ، والله لو كنتُ أنا وهؤلاء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحولنا أهل المدينة لما استطاعوا أن

يتكلموا بالذي تكلموا به، ولكن اسمعوا أيها الملأ، ولا تكتموا حقاً علمتموه، ولا تصدقوا باطلاً إن تكلمتُ به: أنشدكم الله، أتعلمون أن الرجل الذي شتمتم وتناولتم منه اليوم قد صلى القبلتين كليهما، وأنت يا معاوية كافر بهما تراهما ضلالة وتعبد الآلات والعزى، وباع البيعتين بيعة الرضوان وبيعة الفتح وأنت يا معاوية بالأولى كافر وبالثانية ناكث.

وأنشدكم الله، أتعلمون أن علياً لقيكم يوم الأحزاب ويوم بدر مع رسول الله ﷺ ومعه راية رسول الله ﷺ والمؤمنين ومعك يا معاوية لوآء المشركين من قريش في كل ذلك يفلج الله حجته، ويحقُّ دعوته، ويصدقُ أحدوثته، وينصر رايته، وفي كل ذلك رسول الله ﷺ راضٍ عنه في المواطن كلها.

وأنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ حاصر قريظة والنضير، فبعث عمر براية المهاجرين، وسعد بن معاذ براية الأنصار، فأما سعد فجيء به جريحاً، وأما عمر فرجع بأصحابه. فقال النبي ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه»^(١).

فتعرض لها أبو بكر وعمر، وعلي بن أبي طالب يومئذ أرمده، فدعاه النبي ﷺ وأعطاه إياها، فلم يلبث حتى فتح الله عليه، فاستنزلهم على حكم الله ورسوله، وأنت يومئذ مشرك بمكة عدو لله. بالله أتعلمون أن علياً عليه السلام من أصحاب محمد ﷺ ممن حرم الشهوات، من الذين أنزل الله فيهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْرُمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٧] وكان في رهط هو عاشرهم، فأنبأهم الله أنهم مؤمنون، وأنت في رهط قريب من أولئك

(١) في هامش (ج): هذا كما ترى، والمشهور في السير أن سعد بن معاذ أصيب في أكحله يوم الخندق، ومحاصرة النبي ﷺ لبني قريظة وهو مريض ومات فيه (مات بعد انقضاء شأنهم وحكمه فيهم. ابن هشام ج ٣ ص ٢٦٢). . القصة المشهورة في إعطاء الراية علياً عليه السلام وهو أرمده في فتح خيبر، وقال النبي ﷺ قبيل إعطاء الراية ما قاله من قوله ﷺ: «لأعطين الراية... إلخ، وكان الفتح على يديه فتحقق.

لعنك رسول الله ﷺ .

ونشدتك بالله ، أتعلم أنك كنت تسوق أباك يوم الأحزاب ، ويقود به أخوك هذا القاعد : عتبة بن أبي سفيان على جمل أحمر بعد ما عمي أبو سفيان ، فلعن رسول الله ﷺ الجمل والقائد والراكب والسائق .

ونشدتك بالله ، أتعلم أنك كنت تكتب لرسول الله ﷺ . وكان يعجبه حسن خطك ، فأرسل إليك يوماً ، فقال الرسول : هو يأكل ، فأعاد ذلك مراراً ، كل ذلك يقول الرسول : هو يأكل ، فقال الرسول ﷺ : «اللهم لا تشيع بطنه»^(١) فنشدتك الله ، أأنت تعرف تلك الدعوة في نهمتك وأكلك ورغبة بطنك ؟

ونشدتك بالله ! أتعلم أن رسول الله ﷺ لعن أبا سفيان في سبعة مواطن : لعنه يوم لقيه خارجاً من مكة مهاجراً إلى المدينة ، وأبو سفيان جاء من الشام ، فوقع فيه وسبه وكذبه وأوعده وهم أن يبطش به ، فصدّه الله عنه . ولعنه يوم أحد ، قال أبو سفيان : أعل هبل ، فقال رسول الله ﷺ : الله أعلى وأجل ، فقال أبو سفيان : لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال النبي ﷺ : الله مولانا ولا مولى لكم . ولعنة الله وملائكته ورسله عليه . ولعنه يوم بدر إذ جاء أبو سفيان بجميع قريش ، فردّهم بغیظهم ، فأنزل الله فيهم آيتين : سمى أباك في كليهما وأصحابه كافراً ، وأنت يا معاوية يومئذ مع أبيك .

ولعنه يوم الهدى معكوكاً أن يبلغ محله ، فرجع رسول الله ﷺ ، ولم يطف بالبيت ، ولم يقض نسكه . ولعنه يوم الأحزاب : جاء أبو سفيان بجمع قريش ، وجاء عيينة بن حصن بن بدر بنظفان ، وواعدكم قريظة والنضير ، فلعن الله القادة والاتباع ، فأما الاتباع فلا تصيب اللعنة مؤمناً ، وأما القادة فليس فيهم مؤمن ولا مجيب ولا ناج . ولعنه يوم حملوا على رسول الله ﷺ في العقبة ، وهم اثنا عشر رجلاً : سبعة من بني أمية ، وأبو سفيان فيهم ، وخمسة من سائر

(١) مسلم ٢٠١٠ رقم ٢٦٢٤ ، مقدمة كتاب سنن النسائي وقد قتل بسببه .

قريش ، لعن الله من على الثنية غير النبي ﷺ ، وناقته وسائقها وقآئدها ، فهل تردوا عليّ مما قلت شيئاً؟ .

ومنها : لعنك يوم أبوك همّ أن يُسلم ، فبعثت إليه بشعر معروف تنهاه عن الإسلام^(١) ، فهذه مواطن لعنت فيها أنت وأبوك . ومنها : ولأك عمر الشام فختته ، ولأك عثمان فتربصت به ، وقاتلت علياً عليه السلام على أمر كان أولى به منك عندالله ، فلما بلغ الكتاب أجله ، وصار إلى خير منقلب ، وصرت إلى شرّ مثوى ، وقد خففتُ عنك من عيوبك . وشعرُ معاوية إلى أبيه يرده عن الإسلام :

يا صخر لا تسلمن طوعاً فتفضحنا بعد الذين بيدر أصبحوا مزقا
جدّي وخالي وعمّ الأمّ يالهم قومًا وحنظلة المهدي لنا الأرقا
لا تركنن إلى أمر يُقلدنا والراقصات به في مكة الحرقا
والموتُ أهون من قول السفاه لقد خلى ابن حرب لنا العزى لنا فرقا
فإن أتيت أبينا ما تريد فلا ثني عن الآلات والعزى لنا عنقا

وأما أنت يا عمرو : فإن أول لؤمك أنك ولدت على فراشٍ مشترك ، وقد احتج فيك خمسة من قريش : أبو سفيان بن حرب ، والوليد بن المغيرة ، وعثمان ابن الحويرث ، والنضر بن حارثة ، والعاص بن وائل ، كل واحد منهم يدعي أنك ابنه ، فغلب عليك جزأر قريش الأمها حسباً ، وأخبثها منصباً ، وأعظمها لعنة ، ثم قمت خطيباً في نادي قريش ، فقلت^(٢) : إني شائئٌ محمداً ، فأنزل الله تعالى فيك : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ (الكوثر: ٣) ، ثم كنت في كل يوم قاتلٍ فيه رسول الله ﷺ ، أشدهم له عداوةً وتكديباً ، ثم كنت من الفسقة الذين ركبوا إلى التجاشي في جعفر ، فكذبك الله وردك بغيبك ، فلما أخطأك ما رجوت أجلبت على صاحبك عمارة بن الوليد فقتلته . وأنت عدو بني هاشم في الجاهلية والإسلام ،

(١) ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج ٤٦١/٢ عن الحسن والأميني في الغدير ٨١/١٠ .

(٢) قاتل ذلك : هو أبوه العاص بن وائل ، كما روي في كتب التفسير .

ولسنا نلومك على حسبك، ولا نستعتبك على حب، وقد هجوت النبي ﷺ،
بسبعين بيتاً، فقال نبي الله ﷺ: اللهم إني لا أحسن الشعر، ولكن العنه بكل
بيت لعنة^(١)، فأما قولك في عثمان، فإنك ألهبتها عليه شائياً، ثم هربت إلى
فلسطين، فلما بلغك قتله حبست نفسك على معاوية، فبعته دينك بديناه، ولسنا
نلومك على بغضنا، وأنت القاتل حيث قلت :

تقول ابنتي : أين أين الرحيـ	ل؟ وما السير مني بمستنكر
فقلت : دعيني فإنني امرؤ	أريد النجاشي في جعفر
لأكسويه عنده كسيـة	أقسم بها صعر الأضر
ولا أنثني عن بني هاشم	بما أسطعت في الغيب والمحضر
وعن عائب اللات في قوله	ولولا رضى اللات لم نمطر
وإني لأشنى قسريش له	وأقولهم فيه بالمنكر
وأجرا قريش على عيبه	وإن كان كالذهب الأحمر
فإن بزني الأمر تابعتـه	وإلا لوبت له مشفر

وأما أنت يا عتبة : فوالله ما أنت بحصيف فأجييك، ولا عاقل فأعييك، ولا
فيك خير يُرتجى، ولا شر يُتقى، وأما وعيدك إياي بالقتل فهلا قتلت الذي
وجدت على فراشها قد غلبك على فرجها، وأشركك في ولدها؟ ولو كنت
تستحيي من شيء، أو تقتل أحداً لما أمسكتها بعد إذ بغت عليك، ولم تغر عليها
ولا عليه، فكيف يخافك أحد؟ أم كيف توعد الناس بالقتل وقد تركته! ولا
ألومك على سب عليّ ﷺ، وقد قتل خالك مبارزة، واشترك هو وحمزة في
جدك فقتلاه. وأما قولك في رجائي الخلافة، فلعمري إن لي كملبساً، ولكنك
والله ما أنا بنظير أخيك، ولا خليفة أهلك، وكان حقاً لك أن تستحيي من قول
نصر بن الحجاج حيث يقول :

(١) تهذيب تاريخ ابن عساکر ج ٧/ ١٠٨ .

يا لرجال لحارث الأزمان
 نبئتُ عتبه قذرته عرسه
 ألفاه معها في الفراش فلم يكن
 لله دركٌ خلٌّ عنها إنها
 واطلب سواها حرّة مأمونة
 لله دركٌ إنها مكروهة
 لا تُلزمُنْ يا عتّب نفسك حبّها
 إن النساء حبالُ الشيطان

وأما أنت يا وليد: فلا ألومك أن تسبَّ علياً عليه السلام وقد جلدك في الخمر، وقد
 قتل أباك بيده صبراً عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله، وكيف تسبّه وقد سمّاه الله في
 عشر آيات مؤمناً وسمّاك فاسقاً!، وكيف تسبّه وأنت علجٌ ^١ صفوريّة!

وأما زعمك أنا قتلنا عثمان، فوالله ما استطاع طلحة والزبير أن يقولوا لعليّ
 ذلك، ولو استطاعا لقالا، وكأنك قد نسيت قول شاعرك حيث يقول:
 أنزل الله في كتاب عزيز
 في عليّ وفي الوليد قرآناً
 . . . القصيدة .

وأما أنت يا مغيرة: فوالله ما كنت حقيقاً أن تقع في هذا الكلام، إنما مثلك
 مثل البعوضة حيث وقعت على النخلة، فقالت لها: استمسكي فإني نازلةٌ عنك،
 فقالت النخلة: والله ما شعرت بوقوعك فيشق عليّ نهوضك، ونحن والله
 ما شعرنا بعداوتك ولا غمّتنا إذ عرفناها، ولكن أخبرني بأي الخصال تسبُّ عليّاً:
 انتقاصاً في نسبه؟ أم بعداً من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ أم سوء بلاء في الإسلام؟ أم
 جورٌ حُكْمٍ؟ أم رغبة في الدنيا؟ فلئن قلت واحدةً منها فقد كذبت، أوجئت تزعم
 أن علياً عليه السلام قتل عثمان، ولعمري لو قتله ما كنتُ من ذلك في شيء، فأما قيلكم
 في الأمر والملك الذي أعطيتم فإن الله تعالى قال لمحمد صلى الله عليه وآله: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ

(١) العليج: بوزن العجل-الواحد من كفار العجم. المختار ص ٤٤٩.

فِئْتَنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿١١١﴾ [الانبيا: ١١١] ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاَهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦٦]

والله ما نصرت عثمان حياً ، ولا غضبت له ميتاً ، وما زالت الطائف دارك حتى كان أمس ، وأما اعتراضك في بني هاشم أو بني أمية ، فهو ادعاءك إلى معاوية . ونفض ثيابه وخرج .

فقال معاوية : ذوقوا ، قد نبأتكم ، والله ما قام حتى أظلم علي البيت ، وقال معاوية شعراً :

أمرتكم أمراً فلم تسمعوا له	وقلت لكم لا تبعثن إلى الحسن
فإني ورب الراقصات عشية	بركبانها يهوين من سرّة اليمن
أخاف عليكم منه طول لسانه	وبعد مداه عند تجريه الرسن
فلما أبيتم كنت فيه كبعضكم	وكان خطابي فيه غبناً من الغبن
فأجمعتم بغياً عليه وغدره	وقد يعثر العير المدل من السمن
فكيف رأيتم غباً رأيتم ورأيكم	على أنه دار السلاح على المحن
فحسبكم ما كان من نضج كيّه	وحسبي وحسب المرء في القبر والكفن

وقال قثم بن العباس :

والله لو جئنا لما قال قائل	مع ابن رسول الله حرماً مدى الدهر
وانصره منكم وأنتم عصابة	أذل بحمد الله من عازب الوبر
دلفتم بعمر واثقين بفحشه	إلى ابن رسول الله خرقاً ولا ندري
وليس يساوي عمروكم شسع نعله	ألا لا وشسع النعل أفضل من عمرو
وقد كان للمرء المعيطي شاغل	عن ابن رسول الله في الطهر والخمر
وقل لأبي سفيان عتبه زفها	إليك عروساً واترك الفخر في فهر
وما الأحق الزناً إلا بعوضة	هوت في ذناب الريح في لجة البحر
ورأس خطاياهم معاوية الذي	يرد بطيسر الماء عادية الصقر

فلما أتاه الصقر أبصر صيده
 أتؤذي نبي الله في أهل بيته
 على غير ذنب كان منا علمته
 من قصيدة له طويلة ، وكانوا يهابون الحسن عليه السلام بعد ذلك حتى قبض ، وقال
 غيلان بن مسلمة من قصيدة له :

ألا أبلغا عني المغيرة مالكا
 وغرك عمرو والوليد سفاهة
 دعوك وأعراض الحتوف كثيرة
 إلى خير من يمشي على الأرض حافيا
 إلى حسن من غير ذنب أتى به
 فسمّاك فيما كنت فيه بعوضة
 فوالله ما أخطى الذي أنت أهله
 وعبت عليا والحوادث جمّة
 ومناقبه عليه السلام ظاهرة ، وبدور شرفه باهرة .

ذكر بيعته عليه السلام

بُوع له بعد موت أمير المؤمنين عليه السلام ، يوم الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان
 سنة أربعين ، وكان من كلامه عليه السلام بعد الخطبة - وقد ذكر أمير المؤمنين فقال : خاتم
 الوصيين ، ووصي خاتم الأنبياء ، وأمير الصديقين والشهداء والصالحين ، ثم قال :
 أيها الناس لقد فارقكم رجل ما سبقه الأولون ، ولا يُدركه الآخرون ، لقد كان
 رسول الله صلى الله عليه وآله يعطيه الراية فيقاتل جبريل عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، فما
 يرجع حتى يفتح الله عليه ، ما ترك ذهباً ولا فضة إلا شيئاً على صبي له ، وما ترك
 في المال إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً لأم كلثوم ،

(١) في (ج) : تحركه .

ثم قال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد عليه السلام، ثم تلا قول يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨] أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله السراج المنير^(١)، وأنا ابن الذي أرسل رحمة للعالمين، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل عليهم، وعنهم كان يعرج، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم وولايتهم، فقال فيما أنزل على محمد عليه السلام: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣] واقتراف الحسنة مودتنا.

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة فقال - بعد حمد الله والثناء عليه :-

أما بعد : فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا بِالْهُدَىٰ وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، فَأَدَّىٰ عَنِ اللَّهِ رِسَالَاتِهِ ، وَنَصَحَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ حَتَّى تَوَفَّاهُ ، وَقَدْ رَضِيَ عَمَلَهُ ، وَغَفَرَ ذَنْبَهُ عليه السلام ، ثُمَّ ذَكَرَ الَّذِينَ وَلُوا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، وَذَكَرَ عَثْمَانَ وَقَالَ : إِنَّهُ خَالَفَ سَنَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ ، وَسَنَ سَنَتَيْنِ ضَلَالَةً لَمْ تَكُنْ قَبْلَهُ ، وَاسْتَأْثَرَ بِالْفِيءِ وَحَابَىٰ بِهِ قُرْبَاءَهُ ، وَوَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، فَرَأَىٰ أَهْلَ الْفَضْلِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَنْ يَنْفُوا مَا رَأَوْا مِنْ إِحْدَاثِهِ فَقَتَلُوهُ ، ثُمَّ نَهَضُوا إِلَى خَيْرِ خَلْقِ اللَّهِ بَعْدَ رَسُولِهِ عليه السلام ، وَأَوْلَاهُمْ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ فَبَايَعُوهُ ، فَأَقَامَ الْكِتَابَ ، وَحَكَمَ بِالْحَقِّ ، وَتَخَلَّى مِنَ الدُّنْيَا ، وَرَضِيَ مِنْهَا بِالْكَفَافِ ، وَتَزَوَّدَ مِنْهَا زَادَ الْبَلْغَةِ ، وَلَمْ يُوَثِّرْ نَفْسَهُ وَلَا أَقْرَبَاءَهُ بِفِيءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَتَوَفَّاهُ اللَّهُ حَسَنَ السَّيْرِ ، تَابِعًا لِلْسُنَّةِ ، مَا حَقَّقًا لِلْبِدْعَةِ ، وَهَذَا ابْنُ وَابِنِ رَسُولِ اللَّهِ عليه السلام ، وَأَوْلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ الْيَوْمَ بِهَذَا الْأَمْرِ ، فَبَانْهَضُوا إِلَيْهِ

(١) في (أ): اختلف ترتيب الجمل (كان جبريل ينزل عليهم، وعنهم كان يعرج، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم وولايتهم).

رحمكم الله ، فبايعوه ترشدوا وتصيبوا ، ثم قال : ابسط يدك يا ابن رسول الله
أبايعك ، فبسطها فبايعه ، ثم تبعه العيون من أهل الفضل .

وروينا عن أبي بكر الهذلي قال : أتى أبا الأسود الدؤلي نعي أمير المؤمنين
وبيعة الحسن بن علي عليهما السلام ، فصعد المنبر فخطب الناس ، ونعى علياً عليه السلام
وقال في خطبته : إن رجلاً من أعداء الله المارقة في دينه اغتال أمير المؤمنين كرم
الله وجهه ومثواه في مسجده ، وهو خارج لتَهجُّدِه في ليلة يُرْجى فيها مصادفة ليلة
القدر فقتله ، فيا لله من قتيل ! وأكرم به وبروحه من روح ! عرجت إلى الله بالبر
والتقوى ، والإيمان والهدى ، ولقد أطفأ نور الله في أرضه ، لا يُضاء بعده ، وهدم
ركنًا من أركان الإسلام لا يشاد مثله ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، وعند الله
نحتسب مصيبتنا بأمر المؤمنين ، وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد ، ويوم قُتل ،
ويوم يُبعثُ حياً . ثم بكى حتى اختلجت أضلأعه ، ثم قال : وقد أوصى بالإمامة
إلى ابن رسول الله ﷺ وابنه وسليته وشبيهه في خلقه وهديه ، وإنني لأرجو أن
يجبر الله به ما وهي ، ويسد به ما انثلم ، ويجمع به الشمل ، ويظفي به نيران
الفتنة ، فبايعوه ترشدوا ، فبايعت الشيعة كلها ، وهرب قوم فلحقوا بمعاوية .

ولما فرغ الحسن عليه السلام من كلامه الذي تقدم ، قام عبدالله بن العباس عليهما
السلام يدعو الناس إلى بيعته ويأخذها عليهم ، وأسرع الناس إلى بيعته ، فبايعه :
قيس بن سعد بن عبادة ، وسليمان بن صرد الخزاعي ، والمسيب بن نجبة
الفرزاري ، وسعيد بن عبدالله الحنفي ، وحجر بن عدي ، وعدي بن حاتم ، وكان
يقول للرجل : تبايع على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ سلم من سالمته ، وحرب
من حاربت ، فعلموا أنه يريد الجدد في الحرب ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد أوصاه
بذلك عند وفاته ، ووردت عليه بيعة أهل مكة والمدينة وسائر الحجاز والبصرة
واليمامة والبحرين والعراقين ، وزاد عليه السلام المقاتلة عند البيعة مائة مائة ، فتبعه الخلفاء

على ذلك ، وهو أصل ما يسمى الآن مال البيعة .

وكتب عليه السلام إلى العمال يقرهم في أعمالهم ، وبسط فيهم العدل ، واستقامت له النواحي إلا الشام والجزيرة ومصر ، قال أبو الفرج الأصفهاني : ودس معاوية لعنه الله رجلاً من حمير إلى الكوفة ، ورجلاً من بني القين إلى البصرة يكتبان إليه بالأخبار ، فدُلَّ على الحميري عند لحام جرير ، ودلَّ على القيني بالبصرة في بني سليم فأخذا وقتلا .

وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية لعنه الله أما بعد : فإنك دَسَسْتَ إليَّ الرجال كأنك تحب اللقاء ، وما أشكُّ في ذلك فتَوَقَّعه إن شاء الله تعالى ، وقد بلغني أنك شَمْتٌ بما لا يشمت به ذوو الحجى ، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول :

قل للذي يبغى خلاف الذي مضى تجهز لأخرى مثلها فكأن قد
وإنا ومن قد مات منَّا لك الذي يروح فيمسي في المبيت ليغتدي^(١)
فأجابه معاوية ، أما بعد : فقد وصل كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، ولقد علمتُ بما حدث ، فلم أفرح ، ولم أشمت ، ولم آس ، وإنَّ علي بن أبي طالب لَكَمَّا قال أعشى قيس بن ثعلبة :

فأنت الجواد وأنت الذي	إذا ما القلوب ملأن الصدورا
جدير بطعنة يوم اللقاء	ء تضرب منها النساءُ النحورا
وما مزيد من خليج البحور	يعلو الأكام ويعلو الجسورا
بأجود منه بما عنده	فيعطي المثين ويعطي البدورا ^(٢)

وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية مع جندب بن عبدالله الأزدي :

(١) الاغتداء : الغدو ، وغداه ، فتغدى . مختار الصحاح ص ٤٧٠ .

(٢) المقاتل ص ٥٢ .

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

من عبدالله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان سلام عليك، فإني
أحمد الله الذي لا إله إلا هو . . . أما بعد:

فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين، ومنة على المؤمنين،
وكأفة إلى الناس أجمعين ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقُّ الْقَوْلُ عَلَى
الْكَافِرِينَ﴾ [سورة: ٧٠] فبلغ رسالات الله، وأقام على أمر الله، حتى توفاه الله
وهو غير مقصر ولا وان، حتى أظهر به الحق، ومحق به الشرك، ونصر به
المؤمنين، وأعز به العرب، وشرف به قريشاً خاصة، فقال: ﴿وَأِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ
وَلِقَوْمِكَ﴾ [الشورى: ٤٤] فلما توفي ﷺ تنازعت سلطانه العرب، فقالت
قريش: نحن قبيلته، وأسرته وأولياؤه، ولا يجمل لكم أن تنازعونا سلطان
محمد ﷺ في الناس وحقه، فرأت العرب أن القول كما قالت قريش، وأن الحجة
في ذلك على من نازعها أمر محمد ﷺ، فأنعمت لهم العرب، وسلمت
ذلك.

ثم حاجبنا نحن قريشاً بمثل ما به حاجت العرب فلم تنصفنا قريش إنصاف
العرب لها؛ لأنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإنصاف والاحتجاج، فلما
صرنا أهل بيت محمد وأولياءه إلى محاجتهم، وطلب النصف منهم، باعدونا
واستولوا بالإجماع على ظلمنا ومراغمتنا، والعيب منهم لنا، فالوعد الله وهو
الولي والنصير، وقد عجبنا لتوثب المتوثبين في حقنا، وسلطان نبينا محمد
ﷺ، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، فأمسكنا عن منازعتهم مخافة
على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمراً يثلمونه به، أو يكون لهم
بذلك سبب لما أرادوا من إفساده، فليتعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر
لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، فأنت
ابن حرب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله ﷺ، ولكتابه، والله
حسيبك، وسترد فتعلم لمن عقبى الدار، وبالله لتلقين عن قليل ربك، ثم

ليجزيتك بما قدّمت يداك ، وما الله بظلام للعبيد .

إنَّ علياً عليه السلام لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض ، ويوم منَّ الله عليه بالإسلام ، ويوم بيعت حياً - ولاني المسلمون الأمر بعده ، فأسأل الله أن لا يزيدنا في الدنيا الفانية ^(١) شيئاً ينقصنا في الآخرة مما عنده من كرامته ، وإثما حملني على الكتاب إليك الإغذار فيما بيني وبين الله في أمرك ، ولك في ذلك إن فعلت الحظ الجسيم ، وللمسلمين فيه صلاح ، فدع التماذي في الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي فإنك تعلم أنني أحق بهذا الأمر منك عند الله ، وعند كل أبواب حفيظ ، ومن له قلب منيب ، واتفق الله ودع البغي ، واحقن دمآء المسلمين ، فوالله ما لك من خير في أن تلقى الله من دمآئهم بأكثر مما أنت لاقية به ، وادخل في السلم والطاعة ، ولا تنازع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منك ؛ ليطفىء الله الثائرة بذلك ، ويجمع الكلمة ، ويصلح ذات البين ، فإن أنت أبيت إلا التماذي في غيِّك نهدت إليك بالمسلمين فحاكمت حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . . . فكتب إليه معاوية لعنه الله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من عبد الله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسن بن علي سلام عليك ، فإنني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو . . . أما بعد :

فقد بلغني كتابك ، وفهمت ما ذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضل ، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله قديمه وحديثه صغيره وكبيره ، فلقد والله بلغ وأدبى ، ونصح وهدى ، حتى أنقذ الله به من الهلكة ، وأنار به من العمى ، وهدى به من الضلالة ، فجزاه الله أفضل ما جزى نبياً عن أمته ، وصلوات الله عليه يوم ولد ، ويوم بُعث ، ويوم قبض ، ويوم بيعته الله حياً .

وذكرت وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتنازع المسلمين من بعده ، فرأيتك صرحت بتهمة أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وأبي عبيدة الأمين ، وحواري الرسول

(١) في النسخة (ب) : الزائلة .

ﷺ، وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك؛ إنك امرءٌ عندنا وعند الناس غير الظنين، ولا المسيء، ولا اللئيم، وأنا أحب لك القول السديد، والذكر الجميل، إن هذه الأمة لما اختلفت بعد نبيها ﷺ، ولم تجهل فضلكم، ولا سابقتكم، ولا قرابتكم من نبيكم ﷺ، ولا مكانكم في الإسلام ومن أهله، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيها ﷺ، ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم أن يؤثروا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلامًا، وأحكمها علمًا، وأحبها له، وأقواها على أمر الله، فانتاروا أبا بكر، وكان ذلك رأي ذوي الدين والفضيلة والناظرين للأمة، فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة، ولم يكونوا بمتهمين، ولا فيما أتوا بالمخطفين، ولو رأى المسلمون أن فيكم من يغني غناه، أو يقوم مقامه، أو يذب عن حرم الإسلام ذبه، ما عدلوا بذلك الأمر إلى غيره رغبة عنه، ولكنهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحًا للإسلام وأهله، فالله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيرًا.

وقد فهمت ما الذي دعوتني إليه من الصلح، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها وأبو بكر بعد النبي ﷺ، لو علمت أنك أضبط مني للرعية، وأحوط على هذه الأمة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأكيد للعدو لأجبتك إلى ما دعوتني إليه ورأيتك لذلك أهلاً، ولكن قد علمت أنني أطول منك ولاية، وأقدم منك لهذه الأمة تجربة، وأكثر منك سياسة، فأنت أحق أن تجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني، فادخل في طاعتي، ولك الأمر من بعدي، ولك ما في بيت مال العراق من مال بالغاً ما بلغ تحمله إلى حيث أحببت، ولك خراج أي كور العراق شئت معونة لك على نفقتك يجيبها أمينك، ويحملها إليك في كل سنة، ولك أن لا يستولى عليك بالأشياء، ولا يقضى دونك بالأمور، ولا تعصى في أمر أردت به طاعة الله تعالى، أعانتا الله وإياك على طاعته إنه سميع مجيب الدعاء والسلام.

قال جندب : فلما أتيت الحسن عليه السلام بكتاب معاوية قلت له : إن الرجل سائر إليك فابدأه بالمسير إليه حتى تقاتله في أرضه وبلاده وعمله ، فإما أن تقدّر أنه ينقاد لك فلا والله حتى يرى يوماً أعظم من يوم صفين فقال : أفعل ، ثم قعد عن مشورتني وتناسى قولني . قال : وكتب معاوية لعنه الله إلى الحسن :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فإن الله يفعل في عباده ما يشاء لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ، واحذر أن تكون منيتك على يدي رعاع من الناس ، وأيس من أن تجد فينا غميمة ، وإن أنت أعرضت عما أنت فيه وتابعتني وفيت لك بما وعدت ، وأجزت لك ما شرطت ، وأكون في ذلك كما قال أعشى بني^(١) قيس بن ثعلبة :

وإن أحد أسدى إليك أمانةً فأوف بها تدعى إذا متّ وافياً
ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى ولا تجفّه إن كان في المال فانياً

ثم الخلافة لك من بعدي ، فأنت أولى الناس بها والسلام .

فأجابه الحسن عليه السلام . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فقد وصل إلي كتابك تذكر فيه ما ذكرت ، فتركت جوابك خشية البغي عليك ، وبالله أعوذ من ذلك فاتبع الحق تعلم أنني من أهله ، وعليّ إثم أن أقول فأكذب والسلام .

فلما وصل كتاب الحسن عليه السلام إلى معاوية - لعنه الله - قرأه ، ثم كتب إلى

عماله على النواحي بنسخة واحدة . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ، ومن قبله من المسلمين

سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . . . أما بعد :

(١) في (أ) : بدون : بني .

فالحمد لله الذي كفاكم مؤنة عدوكم، وقتلة خليفتمكم، إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده فقتله، وترك أصحابه متفرقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرفهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم فأقبلوا إليّ حين يأتيكم كتابي بجدكم وجندكم، وحسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغي والعدوان، والسلام عليكم ورحمة الله.

قال: فاجتمعت العساكر إلى معاوية لعنه الله، وسار قاصداً إلى العراق، وبلغ الحسن عليه السلام خبر مسيره، وأنه قد بلغ جسر منبج فتحرك عند ذلك، وبعث حجر بن عدي يأمر العمال والناس بالتهيء للمسير، ونادى المنادي الصلاة جامعة، فأقبل الناس يثوبون ويجتمعون، فقال الحسن عليه السلام: إذا رضيت جماعة الناس فأعلمني، وجاءه سعيد بن قيس الهمداني، فقال له: اخرج، فخرج الحسن عليه السلام، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال أما بعد:

فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: (اصبروا إن الله مع الصابرين) فليستم أيها الناس نائلين^(١) ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون، إنه بلغني أن معاوية لعنه الله بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك، اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى تنظروا وتنظروا ونرى وتروا.

قال: وإنه في كلامه ليتخوف خذلان الناس إياه قال: فسكتوا فما تكلم أحد منهم ولا أجابه بحرف، فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قال: أنا ابن حاتم، بص، سبحان الله- ما أقبح هذا المقام! ألا تجيبون إمامكم، وابن بنت نبيكم؟ أين خطباء مصر، أين المتبليغون، أين الخواصون من أهل المصر؟ الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا وجدوا الجد قرواً غؤون كالثعالب، أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها.

(١) في (أ): تنالون.

ثم استقبل الحسن بوجهه فقال: أصاب الله بك المرشد، وجنبك المكاره، ووفئك لما يُحمد وردّه وصدّره، قد سمعنا مقاتلك، وأتينا إلى أمرك، وسمعنا منك، وأطعناك فيما قلت، وما^(١) رأيت، وهذا وجهي إلى معسكري، فمن أحب أن يوافي فليواف، ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب، فركبه ومضى إلى النخيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، فكان عدي أول الناس عسكرياً، ثم قام قيس بن سعد بن عبادة، ومعقل بن قيس الرياحي، وزباد بن حفصة التيمي، فأثبوا الناس، ولا موهم، وحرّضوهم، وكلموا الحسن بمثل كلام عدي بن حاتم في الإجابة والقبول، فقال لهم الحسن عليه السلام: صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرّفكم بصدق النية، والوفاء بالقول، والمودة الصحيحة فجزاكم الله خيراً ثم نزل.

وخرج الناس فعسكروا ونشطوا للخروج، وخرج الحسن عليه السلام إلى المعسكر واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وأمره باستحثاث الناس وإشخاصهم إليه، فجعل يستحثهم ويخرجهم حتى تتالى^(٢) العسكر، ثم إن الحسن عليه السلام سار في عسكر عظيم، وعدة حسنة، حتى أتى دير عبدالرحمن فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس، ثم دعا عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب فقال له: يا بن عم إني باعث معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب، وقرأء المصر، الرجل منهم يرد الكتيبة فسر بهم، وألن لهم جانبك، وابسط وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدّينهم من مجلسك، فإنهم بقية ثقة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات، ثم إلى مسكن، ثم امض حتى تستقبل معاوية، فإن أنت لقيته فاحبسه حتى آتيتك فإنني في أثرك وشيكاً، وليكن خبرك عندي في كل يوم، وشاور هذين يعني قيس بن سعد، وسعيد بن قيس، فإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك، فإن فعل

(١) في (أ): بدون : ما .

(٢) في (ج): أتوا.

فقاتله ، فإن أُصبتَ فقيسَ على الناس ، فإن أُصيبَ قيسَ فسعيد بن قيس على الناس ، ثم أمره بما أراد ، وسار عبيدالله على الزبيرة في شينور حتى خرج إلى شاهي ، ثم لزم الفرات والفلوجة حتى أتى مسكن ، وأخذ الحسن على حمام عمر حتى أتى دير كعب ، فنزل ساباط دون القنطرة .

فلما أصبح نادى في الناس : الصلاة جامعة ، فاجتمعوا وصعد المنبر فخطبهم فقال : الحمد لله كلما حمده حامد ، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد ، وأشهد أن محمداً رسول الله أرسله بالحق ، وأئتمنه على الوحي ﷺ والله أما بعد : فوالله إنني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنه وأنا أنصح خلقه لخلقه ، وما أصبحت محتملاً على مسلم معتبة ، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة ، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ، ألا وإني ناظرٌ لكم خيراً من نظركم لأنفسكم ، ولا تخالفوا أمري ، ولا تردوا عليّ رأيي غفر الله لي ولكم ، وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضى .

قال : فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا : ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا : نظنه والله يريد أن يصالح معاوية ، ويسلم الأمر إليه ، فقالوا : كفر والله الرجل ، ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته ، ثم شدّ عليه عبدالرحمن بن عبدالله بن جعال الأزدي ، فنزع مطرفه عن عاتقه ، فبقي جالساً متقلداً السيف بغير رداء ، ثم دعا بفرسه فركبه ، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته ، ومنعوا منه من أراده ، ولاموه وضعفوه لما تكلم به ، فقال : ادعوا لي ربيعة وهمدان ، فدعوا له فأطافوا به ، ودفعوا الناس عنه ، ومعهم شوب من غيرهم ، فقام إليه رجل من بني أسد من بني نصر بن قعين يقال له : الجراح بن سنان ، فلما مرّ في مظلم ساباط قام إليه فأخذ بلجامه ويده معول فقال : الله أكبر يا حسن أشركت كما أشرك أبوك فطعنه فوقعت في فخذه ، فشقه حتى خالط أربيته ، فسقط الحسن إلى الأرض بعد أن ضرب الذي طعنه واعتنقه فخرا جميعاً

إلى الأرض ، فوثب عبدالله بن الخضل الطائي فنزع المعول من يده فحضضه^(١) به ، وأكب ظبيان بن عمارة عليه فقطع أنفه ، ثم أخذوا له الأجر فشدخوا وجهه ورأسه حتى قتلوه .

وحمل الحسن على سرير إلى المدائن ، وبها سعد بن مسعود الثقفي وال عليها من قبله ، وكان علي عليه السلام ولأه فأقره الحسن عليه السلام ، قال : ثم إن معاوية وافى حتى أتى قرية يقال لها : الجنوبية بمسكن ، وأقبل عبيدالله بن العباس حتى نزل بإزائه ، فلما كان من غد وجه معاوية بخيله إليهم ، فخرج إليهم عبيدالله بن العباس فيمن معه فضربهم حتى ردهم إلى معسكرهم ، فلما كان الليل أرسل معاوية لعنه الله إلى عبيدالله بن العباس أن الحسن راسلني في الصلح ، وهو مسلم الأمر إلي ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً ، وإلا دخلت وأنت تابع ، ولك إن جئتني الآن أعطيتك مائة ألف درهم يُعَجَّلُ لك في هذا الوقت نصفها ، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر ، فانسلَّ عبيدالله ليلاً فدخل عسكر معاوية فوفى له بما وعده .

وأصبح الناس ينتظرون أن يخرج فيصلي بهم فلم يخرج حتى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه ؛ فصلى بهم قيس بن سعد ، ثم خطبهم فقال : أيها الناس ، لا يهولنكم ولا يعظمن^(٢) عليكم ما صنع هذا الرجل ، الوله^(٣) الوزغ ، إن هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط ، إن أباه عم الرسول ﷺ خرج يقاتله ببدر ، وأسرهُ أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري فأتى به رسول الله ﷺ فأخذ فداه فقسّمه بين المسلمين ، وإن أخاه ولأه علي أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة ، فسرق مال الله ومال المسلمين واشترى به الجواري ، وزعم أن ذلك له حلال ، وإن هذا أيضاً ولأه علي عليه السلام اليمن ، فهرب من بسر بن أرطاة وترك ولديه حتى قتلا ، وصنع الآن هذا الذي صنع .

(١) في (ج) : فحضضه .

(٢) ساقطة من (أ) .

(٣) الوله : الذاهب العقل

قال فتنادى الناس : الحمد لله الذي أخرجنا من بيننا، انهض بنا إلى عدونا ،
فنهض بهم ، وخرج إليهم بسر بن أرطاة في عشرين ألفاً فصاحوا هذا أميركم قد
بايع ، وهذا الحسن قد صالح ، فعلام تقتلون أنفسكم؟ قال لهم قيس بن سعد :
اختاروا إحدى اثنتين : إما القتال مع غير إمام ، وإما تباعون بيعة ضلال ، قالوا :
بل نقاتل بلا إمام ، فخرجوا فضاربوا أهل الشام حتى ردوهم إلى مصافهم .

فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعو ويمنيه ، فكتب إليه قيس : لا والله
لا تقابلني أبداً إلا وبينني وبينك الرمح ، فكتب إليه معاوية أما بعد : إنما أنت
يهودي ابن يهودي تشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك ، فإن ظهر أحب الفريقين
إليك نبذك وعزلك ، وإن ظهر أبغضهما إليك نكل بك وقتلك ، وقد كان أبوك
أوتر غير قوسه ، ورمى غير غرضه ، فأكثر الحزب ، وأخطأ المفصل ، فخذله قومه ،
وأدركه يومه ، فمات بحوران طريداً غريباً . والسلام .

فكتب إليه قيس بن سعد أما بعد : فإنما أنت وثن من هذه الأوثان ، دخلت في
الإسلام كرهاً ، وأقمت عليه فرقاً ، وخرجت منه طوعاً ، ولم يجعل الله لك فيه
نصيبةً ؛ لم يقدم إسلامك ، ولم يحدث نفاقك ، ولم تزل حرباً لله ولرسوله ،
وحزباً من أحزاب المشركين ، فأنت عدو لله ورسوله والمؤمنين من عباده ، وذكرت
أبي ، ولعمري ما أوتر إلا قوسه ، ولا رمى إلا غرضه ، فشغب عليه من لا يشق
غباره ، ولا يبلغ كعبه ، وكان امرأً مرغوباً عنه ، مزهوداً فيه ، وزعمت أني يهودي
ابن يهودي ، وقد علمت وعلمنا أن أبي من أنصار الدين الذي خرجت منه ،
وأعداء الدين الذي دخلت فيه وصرت إليه ، والسلام .

فلما قرأ كتابه معاوية غاظه وأراد إجابته ، فقال له عمرو : مهلاً إن كاتبته
أجابك بأشد من هذا ، وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس فأمسك عنه ، قال :
وبعث معاوية عبدالله بن عامر ، وعبدالرحمن بن سمرة إلى الحسن عليه السلام للصالح

(١) في (ج) : فإنما أصلك .

فدعواه إليه، وزهداه في الأمر، وأعطياه ما شرط له معاوية، وأن لا يتبع أحد بما مضى، ولا يُنال أحدٌ من شيعة علي عليه السلام بمكروه، ولا يُذكر علي عليه السلام إلا بخير، وأشياء اشترطها فأجابه الحسن عليه السلام إلى ذلك.

قال أبو الفرج : وسار معه حتى نزل النخيلة، وجمع الناس بها فخطبهم قبل أن يدخلوا الكوفة خطبة طويلة لم ينقلها أحد من الرواة تامة، وجاءت مقطعة في الحديث، وسنذكر ما انتهى إلينا من ذلك، فروى بإسناده عن الشعبي قال : خطب معاوية حين بويع له فقال : ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، ثم إنه انتبه فندم فقال : إلا هذه الأمة فإنها فإنها.

وروى بإسناده عن أبي إسحاق قال : سمعت معاوية بالنخيلة يقول : ألا إن كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدمي هاتين لا أفي به . قال أبو إسحاق : وكان والله غداراً . وروى بإسناده عن سعيد بن سويد قال : صلى بنا معاوية بالنخيلة يوم الجمعة الضحى ثم خطبنا فقال : وإني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون، قال شريك في حديثه : هذا هو التهتك .

وروى بإسناده عن حبيب بن أبي ثابت قال : لما بويع معاوية خطب فذكر علياً عليه السلام فقال منه، ونال من الحسن فقام الحسين ليرد عليه فأخذ الحسن بيده، فأجلسه ثم قام وقال أيها الذاكر علياً أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وجدتي رسول الله، وجدك حرب، وجدتي خديجة، وجدتك قتيلة، فلعن الله أئمة ذكراً، والأئمة حسباً، وشرنا قدماً، وأقدمنا كفرًا ونفاقًا، فقال طوائف من أهل المسجد : آمين . قال : فضل، قال يحيى بن معين : ونحن نقول آمين، قال أبو عبيد : ونحن أيضاً نقول آمين، قال : فدخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة بين يديه خالد بن عرفطة،

ومعه رجل يقال له : جبيب بن حمار يحمل رايته حتى دخل الكوفة وصار إلى المسجد فدخله من باب الغيل واجتمع الناس إليه .

قال الشيخ أبو الفرج : ولما تم الصلح بين الحسن ومعاوية أرسل إلى قيس بن سعد بن عبادة يدعو إلى البيعة فأتي به ، قال : وكان رجلاً طويلاً يركب الفرس المشرف ورجلاه يخطان الأرض ، وما في وجهه طاقة شعر ، وكان يسمى خصي الأنصار ، فلما أرادوا أن يدخلوه إليه قال : إني قد حلفت أني لا ألقاه إلا وبني وبينه الرمح ، أو السيف ، فأمر معاوية برمح أو سيف ، فوضع بينه وبينه ليدر في يمينه . وروى الشيخ أبو الفرج بإسناد آخر قال : فأقبل على الحسن فقال : أنا في حل من بيعتك قال : نعم ، فألقي لقيس كرسى وجلس عليه ، وجلس معاوية على سريره فقال له معاوية : أتبايع ؟ قال : نعم ، فوضع يده على فخذه ، ولم يمدها إلى معاوية ، فحنى معاوية على سريره ، وأكب على قيس حتى مسح على يده ، فما رفع قيس إليه يده .

وروى بإسناده أن معاوية أمر الحسن أن يخطب كما سلم إليه الأمر ، وظن أنه سيحصر ، فقال في خطبته : إنما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وليس الخليفة من سار بالجور ، ذلك ملكٌ ملكٌ مُلكاً يُمَتَّع فيه قليلاً ، ثم تنقطع لذته ، وتبقى تبعته ، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ، قال : وانصرف الحسن ﷺ إلى المدينة فأقام بها .

وروينا بالإسناد إلى السيد الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الحسيني الجرجاني ﷺ ، رواه بإسناده عن الشعبي قال : شهدت الحسن بن علي بالنخيلة حين صالحه معاوية فقال له معاوية : إن كان ذا فقم فتكلم ، فأخبر الناس أنك قد سلمت هذا الأمر ، وربما قال سفيان : أخبر الناس بهذا الأمر الذي تركته لي . فقام فخطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه . قال الشعبي : وأنا أسمع ، فقال : أما بعد : إن أكيس الكيس التقى ، وإن أحقق الحمق الفجور ، وإن هذا الأمر الذي

اختلفت فيه أنا ومعاوية : إما كان حقاً لي تركته لمعاوية ؛ إرادة صلاح هذه الأمة ، وحقن دمائهم ، أو يكون حقاً كان لامرءٍ أحقُّ به مني ففعلت ذلك . وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين .

وروى بالإسناد إلى ابن عون عن أنس قال -يعني ابن سيرين - : قال الحسن ابن علي عليهما السلام يوم كلم معاوية : ما بين جابرس وجابلق رجل جده نبيٌ غيري ، وإنني رأيت أن أصلح بين أمة محمد ﷺ وكنت أحقهم بذلك ، ألا وإنا قد بايعنا معاوية ، وما أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين .

ولمَّا استقر الصلح بين الحسن بن علي عليهما السلام ومعاوية على ما تقدم وأن يكون الأمر بعده للحسن ﷺ غرة شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ، لآمة جماعة من أصحابه على ذلك .

فروينا عن عمارة بن ربيعة قال : قال الحسين للحسن عليهما السلام : أجاد أنت فيما أرى من موادة معاوية ؟ قال : نعم . قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ثلاثاً ، ثم قال : لو لم تكن إلا في ألف رجل لكان ينبغي لنا أن نقاتل عن حقنا حتى ندركه أو نموت وقد أعذرنا . فقال الحسن : وكيف لنا بألف رجل مسلمين ! إنني أذكرك الله يا أخي أن تفسد علي ما أريد ، أو ترد علي أمري ، فوالله ما ألك ونفسي وأمة محمد خيراً ، إنك ترى ما أقاسي من الناس ، وما كان يقاسي منهم أبوك من قبلنا حتى كان يرغب إلى الله في فراقهم كل صباح ومساءً ، ثم قد ترى ما صنعوا بي ، فبهؤلاء ترجو أن ندرك حقنا ! أنا اليوم يا أخي في سعة وعذر حيث قبض نبينا ، قال : فكف الحسين وسكت .

وروي بالإسناد عن سفيان بن الليل قال : دخلت على الحسن بن علي فقلت : السلام عليك يا مذل رقاب المسلمين ، أنت والله بأبي وأمي أذللت رقابنا حين سلّمت الأمر إلى معاوية اللعين ابن اللعين ، ابن آكالة الأكباد ، ومعك مائة ألف كلهم يموتون دونك ، فقال : يا سفيان بن الليل ، إنني سمعت

أبي يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «يلى هذه الأمة أو أمتي رجل واسع البلعوم ، رحب الضرس ، يأكل ولا يشبع ، لا ينظر الله إليه» ، ثم قال : ما جاء بك يا سفيان؟ قال : حبكم أهل البيت ، قال : إذا والله تكون معنا هكذا وألصق بين أصبعيه السبابتين .

وروينا بالإسناد عن القاسم بن المفضل ، قال حدثنا يوسف بن مازن الراسي قال : قام رجل إلى الحسن بن علي عليهما السلام قال : سوذت وجوه المؤمنين ، وفعلت وفعلت ، دخلت مع معاوية ، قال : لا تؤذني يرحمك الله ، فإن رسول الله ﷺ قد رأى بني أمية يصعدون على منبره رجلاً رجلاً فسأه ذلك ، فأنزل الله عز وجل : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ [القدر-١-٣] يملكها بنو أمية . قال القاسم : فحسبنا ذلك فإذا هو ألف شهر لا يزيد ولا ينقص ! .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام بإسناده : أن مدة خلافته عليه السلام كانت خمسة أشهر وأياماً ، وهذا إنما حكاه على أن اعتزاله كان في غرة شهر ربيع الأول ، قال : وروي أن اعتزاله كان في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين . فعلى هذا القول تكون مدة الخلافة ستة أشهر وأياماً .

أولاده عليه السلام :

الحسن بن الحسن ، وأمه : خولة بنت منظور الفزارية ، وكان وصي أبيه ووالي صدقته . وزيد بن الحسن ، وأمه : أم بشير بنت أبي مسعود من ولد الحارث ابن الخزرج . وعمر ، والقاسم ، وأبو بكر ، قتلوا بالطف مع عمهم ، وعبدالله قتل بالطف ، وعبدالرحمن ، وحسين الأثرم ، وطلحة وهو طلحة الجود ، ذكره محمد ابن حبيب في الطلحات المعدودين في الأجواد ، وأمه : أم إسحاق ابنة طلحة بن عبدالله التيمي . وإسماعيل ، ويعقوب ، ومحمد ، وجعفر ، وحمزة ، لأمهات أولاد ، فهؤلاء الأربعة عشر ابناً العقب منهم لاثنين وهما : الحسن بن الحسن ،

وزيد بن الحسن . وانقرض اثنان منهم وهما : عمر بن الحسن ، وحسين الأثرم ، وقد كان اتصل عقبهما إلى أوائل أيام بني العباس ثم انقرض ، والباقون درجوا .
والبنات ثمان : فاطمة ، وأم عبدالله ، وزينب ، وأم الحسن ، وأم الحسين ، وأم سلمة ، ورقية ، وفاطمة الصغرى . أعقبت منهن أم عبدالله لأم ولد ، وكانت عند علي بن الحسين سلام الله عليه فولدت له حسناً وحسيناً الأكبر ودرجا ، ومحمد الباقر ، وعبدالله بن علي بن الحسين عليهم السلام .

عماله عليه السلام :

عمال أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ، وكاتبه كاتب أبيه عليه السلام عبدالله بن أبي رافع ، والنافذ علي مقدمته عند خروجه في حرب معاوية عبيدالله بن العباس ، وعقد لقيس بن سعد لوآء وضمه إليه ، وقال : لعبيدالله إن أصبت فقيس على الجيش ، وإن أصيب قيس فسعيد بن قيس الهمداني ، والذين أنفذهم لاستنفار الناس معقل بن قيس الرياحي ، وشريح بن هانئ الحارثي ، وعبدالرحمن بن أبي ليلى . وخليفته على الكوفة حين خرج عنها الحرب معاوية : المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب ، وأمره حين خرج باستحثاث الناس وإشخاصهم إليه .

ذِكْرُ وِفَاتِهِ وَمَبْلَغِ عُمُرِهِ وَمَوْضِعِ قَبْرِهِ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ :

لما استثقل معاوية حياة الحسن بن علي عليه السلام مع ما كان ينطوي عليه من العدوّة الشديدة له عليه السلام احتال في سَمِّه على يدي امرأته أم الحسن جعدة ابنة الأشعث ، وبذل لها مائة ألف درهم ، ووعدّها بزواج يزيد ، فسقته عليه السلام فوفى لها دون التزويج بيزيد فزوجت بعده في أولاد طلحة وأولدت أولاداً ، فكان أولادها إذا جرى بينهم وبين غيرهم شيء قالوا : يا بني مُسَمَّةَ الأزواج . ولما احتضر الحسن عليه السلام قال : لقد سُقِيت السمَّ ثلاث مرات ما منهن بلغت مني ما بلغت هذه ، لقد تقطعت كبدي .

وروي أنه لما احتضر ﷺ بكى، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال : أقدم على سيد
لم أره، وأسلك طريقاً لم أسلكها، أخرجوا سريري إلى صحن الدار حتى أنظر
في ملكوت السموات والأرض .

وتوفى ﷺ بالمدينة، وله سبع وأربعون سنة، وقيل : ست، وقيل : خمس .
وقيل : سنة اثنتين وخمسين، وقيل : سنة خمسين، وقيل : سنة تسع وأربعين،
اختلفوا في تاريخ موته حسب اختلافهم في مبلغ عمره .

وكان ﷺ قد أوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله ﷺ إلا أن يخاف
أن يراق محجمة من دم، فلما سمعت عائشة بذلك، ركبت بغلاً واستنشرت بني
أمية، وفيها يقول القائل :

فيسوماً على بغل ويوماً على جمل

فجمع مروان من هناك من بني أمية وأتباعهم الأوغاد الطغاة، وبلغ ذلك الحسين
ابن علي عليهما السلام فجاء هو ومن معه في السلاح ليدفنوا حسناً في بيت
النبي ﷺ، وأقبل مروان وأصحابه وذويه، وهو يقول : يارب هيجاهي خير
من دعة، أيدفن عثمان في البقيع، ويدفن الحسن بن علي في بيت النبي ﷺ؟
والله لا يكون ذلك وأنا أحمل السيف، فلما كادت الفتنة تستعر والحسين ﷺ
يأبى أن يدفنه إلا مع النبي ﷺ، فكلمه عبدالله بن جعفر، ومسور بن
مخرمة؛ ليدفنه في البقيع، وقال له عبدالله بن جعفر : إنه عهد إلي أن أدفنه في
البقيع، بحقي عليك عزمت ألا تكلمني بكلمة فمضى هنالك، واتصل الخبر
بمعاوية بن أبي سفيان، فاستحمد مروان على ذلك، فقال مرتين : إيها مروان
أنت ! وحكي عنه أنه قال : إن يك ظني بمروان صادقاً لن يصلوا إلي ذلك أبداً،
فدفن ﷺ في البقيع، وقبره هنالك ظاهر مشهور، وقال الحسين بن علي عليهما
السلام يرثي أخاه الحسن بن علي عليهم السلام :

أدهن رأسي أم تطيب مجالسي
 أم استمتع الدنيا بشيءٍ أحبه
 أم أشرب ماء المزن أم غير مائه
 فلا زلت أبكي ما تغنت حمامة
 وليس حريباً من أصيب بماله
 وما قطرت عين من الماء قطرة
 بكائي طويل، والدموع غزيرة
 ولما مضى عني أخي ذقت حرقة
 وخدك مَعفورٍ وأنت سليب
 ألا كلما أدنى إليك حبيب
 وإلا لدمعي في الأثناء غروب
 عليك وما هبت صباً وجنوب
 ولكن من وارى أخاه حريب
 وما أخضر في دوح الحجاز قضيب
 وأنت بعيد والمزار قريب
 له لم يُدقنيها سواء غريب

ولما نعي الحسن عليه السلام إلى معاوية، وعبدالله بن العباس بباب معاوية، فحُجِبَ ابن عباس حتى أخذ الناس مجالسهم، ثم أذن له فقال: أعظم الله أجرك يا ابن عباس قال: فيمن؟ قال: في الحسن بن علي قال: إذا لا يزيد موته في عمرك، ولا يدخل عمله عليك في قبرك، فقد فقدنا من هو أعظم منه قدراً، وأجل منه أمراً، فأعقب الله عقبى صالحة فخرج ابن عباس وهو يقول:

أصبح اليوم ابن هند شامئاً
 ولقد كان عليه عمره
 فارتع اليوم ابن هند أمناً
 واتق الله وأظهر توبة
 ظاهر النخوة أن مات الحسن
 مثل رضوى وثبير وحضن
 إنما يقمص^(١) بالعيير السمّن
 إنما كان كشيء لم يكن

وروي عن الزهري من طريق السيد الإمام المرشد بالله يحيى ابن الإمام الموفق بالله أبي عبدالله الحسين بن إسماعيل الحسني الجرجاني عليهم السلام رواه بإسناده مع ما تقدم آنفاً قال: قدم ابن عباس على معاوية فمكث أياماً لا يؤذن، ثم

(١) القمص: هو أن يرفع رجليه وينكس رأسه.

أذن له ذات يوم فدخل فإذا معاوية مستبشر ومن يطيف به ، فقال : يا ابن عباس أتدري ما حدث في أهل بيتك؟ فقال : والله لا أدري ما حدث في أهل بيتي غير أنني أراك مستبشراً ومن يطيف بك ، قال : مات الحسن بن علي . قال : إنا لله وإنا إليه راجعون يكررها مراراً ، ثم قال : أما والله يا معاوية لا يزيد موته في عمرك ، ولا تسد حفرته حفرتك ، ولقد أصبنا بمن كان أعظم منه رسول الله ﷺ فكفانا الله ، ثم خرج من عنده ، قال : فمكث أياماً لا يصل إليه ، ثم وصل إليه ذات يوم فقال معاوية : يا ابن عباس أتدري ما حدث في أهل بيتك؟ قال : وما حدث في أهل بيتي؟ قال : مات أسامة بن زيد . قال ابن عباس : إنا لله وإنا إليه راجعون ، رحم الله أسامة بن زيد ، ثم خرج من عنده ، وقد كان ابن عباس تقشف وكره أن ينزياً بزياً ، فيشهره أهل الشام فيضرب به ذلك عند معاوية ، فلما رجع إلى منزله قال : يا غلام هات ثيابي فوالله إن جلست أنا لهذا المناق ينعي إليّ أهل بيتي^(١) واحداً واحداً إنني إذا أحرق . قال : فقال عليّ بالمقطعات فلبسها ، قال : ثم قال : بعمامة له اسمها : تجوية^(٢) فلبسها ، وكان من أجمل الناس ، أمدهم جسماً ، وأحسنهم شعراً ، وأحسنهم وجهاً ، قال : ثم أتى مسجد دمشق فدخل ، فلما نظر إليه أهل الشام قالوا : من هذا؟ ما يشبه هذا إلا الملائكة ، ما رأينا مثل هذا! قالوا : هذا ابن عباس ، هذا ابن عم رسول الله ﷺ ، فجلس إلى سارية ، وتقوض إليه الخلق ، فما سئل عن شيء إلا أجابهم به من تفسير من كتاب الله ، ولا حلال ولا حرام ، ولا وقعة كانت في جاهلية ولا إسلام ، ولا شعر كان في جاهلية ولا إسلام إلا أجابهم به . قال : ومعاوية لا يشعر بشيء من هذا ، فانتبه فقال للأذن : ائذن لمن بالباب ، قال : أو بالباب أحد؟ قال : فأين الناس؟ قال :

(١) في (أ) : أصحابي .

(٢) نسبة إلى تجوب وهي : قبيلة من حمير . القاموس ص ٩٠ .

ذهبوا إلى ابن عباس ، قال : هاه قد فعلوها ! نحن والله أظلم منه ، وأقطع للرحم ، اذهب يا غلام ، وقل له : أجب أمير المؤمنين . فأتاه الرسول ، قال : فقال ابن عباس : إنا بنو عبد مناف لانقوم عن جليسننا حتى يكون هو الذي يقوم ، لكن قد تقاربت الصلاة فإذا صلينا أتينا أمير المؤمنين ، قال : فأتاه الرسول فأخبره . فقال : صدق ، دعه حتى يصلي ، قال : فلماً صلى جاء ابن عباس حتى دخل عليه ، فقال له معاوية : ما حاجتك يا ابن عباس ؟ قال : دينٌ عليّ ، قال : قد أداه الله عنك ، قال : وما أستعين به على الزمان . قال وذلك لك . أبقيت لك حاجة ؟ قال : لا . قال : ادخل بيت المال ، فأحمل ما بدا لك ، قال : إنا بنو عبدالمطلب لا نأخذ من مال المسلمين إلا ما احتجنا إليه ، قال : عزمت عليك إلا ما فعلت ، قال : فدخل ابن عباس بيت المال ، فتلفت يميناً وشمالاً فرأى برنساً من خزٍّ أدكن فتدرّعه ثم خرج به ، قال : قد أخذت حاجتك ؟ قال : نعم ، قال : الحق ببلادك ، قال : يا أمير المؤمنين إنك حيث نعت إليّ الحسن بن عليّ آليت على نفسي أن لا أسكن المدينة بعده أبداً ، ولا أجد مكاناً أجعل من جوار أمير المؤمنين . قال : هيهات ليس إلى ذلك سبيل ، قال : فبقيت لي حاجة هي أهم الحوائج إليّ ، وهي لك دوني ، قال : فإن حاجة لك هي لنا دونك إنا نخاف أن نسارع إليها . قال : علي بن أبي طالب قد كفّك الله مؤنته ، ومضى لسبيله ، وقد عرفت منزلته وقرابته فكفّ عن شتمه على المنابر ، قال : هيهات ليس إلى ذلك سبيل يا ابن عباس ، هذا موضع دين ، إنه غش رسول الله ﷺ ، وسمّ أبا بكر ، وذم عمر ، وقتل عثمان ، فليس إلى الكفّ عنه سبيل ، فقال له ابن عباس : الله حسبك فيما قلت ، ثم خرج فلم يلتقيا .

وروينا بالإسناد أنه لما دفن الحسن بن عليّ عليهما السلام ، قام أخوه محمد ابن الحنفية عليه السلام على قبره وقال : يرحمك الله أبا محمد ، لئن عزّت حياتك لقد

هدت وفاتك، ولنعم الروح رُوحٌ عُمَرَبه جسدك، وتضمنه كفنك، وكيف
لا يكون كذلك! وأنت سليل الهدى، وحليف أهل التقى، غذتك كَفُ الإيمان،
ورضعت ثدي التقوى، فطبت حياً وطبت ميتاً، وإن كانت أنفسنا غير طيبة
بفراقك، فإنها غير شاكة بأن الله قد اختار لك، ثم بكى وأبكى من حوله.

وقال النجاشي الحارثي رحمه الله يرثي الحسن بن علي عليهما السلام:

يا جمعد بكيه ولا نسامي	بكاء حق ليس بالباطل
على ابن بنت الطاهر المصطفى	وابن ابن عم المرسل الفاضل
كان إذا شُبِّت له نارة	يرفعها ^(١) بالشرف القابل
لكي يراها بائس مرملاً	أو فردحي ^١ ليس بالآهل
يغلي بني اللحم حتى إذا	أنضج لم يغل على الأكل
لن تغلقي باباً على مثله	من حافيء يمشي ولا ناعل
أعني فتى أسلمه قسومته	للمزمن المستخرج الماحل
نعم فتى الهيجاء يوم الوغى	والسيد القائل والفاعل



(١) في هامش (أ، ج): يوقدها نسخة.

الحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ^(١)

هو أبو عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام .

وأمه : فاطمة ابنة رسول الله ﷺ ، وكان بين ولادتها للحسن ابن علي وعلوقها بالحسين خمسون ليلة وولد ﷺ لخمس ليال خلون من شهر شعبان سنة أربع من الهجرة ، وأذن رسول الله ﷺ في أذنه عند ولادته بالصلاة ، وعق عنه في اليوم السابع ، وحلقت أمه عليها السلام رأسه ، وتصدقت بوزنه فضة على المساكين ، وسمّاه رسول الله ﷺ حسينا^(٢) .

وروينا عن أم الفضل ابنة الحسارث : أنها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله إنني رأيت حلمًا منكرًا الليلة . قال : وما هو؟ قالت : إنه شديد! قال : وما هو؟ قالت : رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري . فقال رسول الله ﷺ : خيرا رأيت ، تلد فاطمة غلامًا فيكون في حجرك [قالت] ، فولدت فاطمة الحسين ، [و] كان في حجري كما قال رسول الله ﷺ ، فدخلت يوماً على رسول الله ﷺ فوضعت في حجره ، ثم كانت مني التفاتة ، فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان بالدموع ، فقلت : بأبي وأمي أنت يا رسول الله مالك؟ قال : أتاني جبريل ﷺ وأخبر بأن أمي ستقتل

(١) أنظر الإفادة ٤٢ ، ومقاتل الطالبين ٧٨ ، ونسب قريش ٥٧ ، والتاريخ الكبير ٨٤٦ ، والجرح والتعديل ٣٤٩/٣ ، وتاريخ الطبري ٣٤٧/٥ ، ومروج الذهب ٣٤٨/٣ ، والمستدرک ١٧٦/٣ ، وجمهرة أنساب العرب ٥٢ ، والاستيعاب ٣٩٢ ، وتاريخ بغداد ١٤١/١ ، وتاريخ ابن عساکر ٦/٥ ، وأسد الغابة ١٨/٢ ، والكامل ٤٦/٤ ، وتاريخ الإسلام ٣٤٠/٢ ، والبداية والنهاية ١٤٩/٨ ، وشذرات الذهب ٦٦/١ ، والتحف شرح الزلف ٥٧ ، وسير أعلام النبلاء ٢٨٠/٢ ، ومناقب آل أبي طالب ٣٦٧/٣ ، وأعيان الشيعة ٥٧٨/١ ، الأعلام ٢٤٣/٢ ، والمصابيح ٣٥٣ ، وصفوة الصفوة ١/٣٤٣ ، ومناقب أمير المؤمنين ٨٩/٣ .

(٢) لإفادة تاريخ الأئمة السادة ص ٤٢ ، وأبو داود ٢٨٤١ ، والنسائي ١٦٦/٧ ، وذخائر العقبى ١١٩ ، ومجموع الإمام زيد بن علي ٤٦٨ .

ابني هذا، وأتاني بتربة من تربة حمراء! (١).

وروي أن فاطمة عليها السلام لما ولدت الحسن عليه السلام قالت لعلي عليه السلام: سمّه، قال علي عليه السلام: وكنت رجلاً محرّاباً أحب أن أسميه حرباً، ثم قلت ما كنت لأسبق باسمه رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ، فقليل له: سمّه. فقال: وما كنت لأسبق باسمه ربي جلّ وعزّ، فأوحى الله تعالى إلى جبريل: إنه ولد لمحمد ابن، فاهبط فأقره السلام، وهنّه وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون، فهبط جبريل فهناه من الله تعالى، ثم قال: إن الله يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون، فقال: وما كان اسمه؟ قال: شبّر. قال: لساني عربي: قال: فسمه الحسن. فسمّاه الحسن.

فلما ولد الحسين أوحى الله إلى جبريل: قد ولد لمحمد ابن، فاهبط إليه وهنه وقل له: إن علياً منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون. فلما نزل جبريل وهناه وبلغه الرسالة، قال: وما كان اسم ابن هارون؟ قال: شبير. قال: لساني عربي. قال: فسمه الحسين. قال: فسمّاه الحسين (٢).

صفته عليه السلام:

كان يشبه رسول الله ﷺ من سرّته إلى قدمه، وروي أنه كان شديد البياض حتى كان يهتدى إلى موضعه في الليل المدلهم؛ لشدة بياض وجهه ونعوره (٣).

ذكر طرف من مناقبه عليه السلام:

هو عليه السلام ابن محمد المصطفى، وعلي المرتضى، وفاطمة الزهراء، وخامس

(١) المستدرک ١٧٦/٣ رقم ٤٨١٨، في أمالي أبي طالب ٩٠.

(٢) بلفظ مقارب لأمالي أبي طالب ٩٥.

(٣) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ٤٢.

أهل الكساء، الذين شهد بتطهيرهم التنزيل، وأثنى عليهم الملك الجليل، قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١) [الأحزاب: ٣٣] فهم المطهرون من الأدناس، المفضلون على جميع الأجنّة والناس، ولله القائل:

س كرامٌ وطُهِرُوا تطهيراً	بأبي خمسة هم جُنُبُوا الرجـ
وعليّاً وشبّيراً وشبّيراً	أحمد المصطفى وفاطم أعني
ش ولقاه نضرة وسروراً	من تولاهم تولاه ذو العر
ه وأصلاهم المليك سعيراً	وعلى مبغضيهم لعنة اللـ

وفي الرواية أن النبي ﷺ حمل الحسن والحسين عليهما السلام ذات يوم على عاتقه، وهو يقول: « نعم المطي مطيكما، ونعم الراكبان أنتما، وأبوكما خير منكما »^(٢)، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

أتى حسناً والحسينَ الرسولَ	لُوقد برزا ضحوة يلعبان
فضمّهما وتفندأهما	وكانا لديه بذاك المكان
ومرّ وتحتهما منكبا	فنعم المطيعة والراكبان

وروينا عن عبدالله بن عمرو الخزاعي عن هند ابنة الجون قالت: نزل رسول الله ﷺ خيمة أم معبد، ومعه أصحاب له وكان من أمره في الشاة ما قد علمه الناس، فقَالَ في الخيمة هو وأصحابه حتى أبردوا، وكان يوماً قائظاً شديداً حره، فلما قام من رقدته دعا بماء فغسل يديه فأنقاها، ثم مضمض فاه ومجّه إلى عوسجة كانت إلى جانب خيمة خالية، فلما كان من الغد أصبحنا وقد غلظت

(١) مسلم ج ٤/ ص ١٨٨٢ رقم الحديث ٢٤٢٤.

(٢) مجمع الزوائد ١٨٢/٩، والمعجم الأوسط ٢٠٥/٤ رقم ٣٩٨٧، وابن عساكر ٢١٦/١٣، وكنز العمال ٦٦٢/١٣ رقم ٣٧٦٨٥، والكبير ٦٥/٣ رقم ٢٦٧٧، وذخائر العقبى ١٣٠.

تلك العوسجة حتى صارت أعظم دوحة عادية رأيتها، وقد شذب الله شوكتها، وساخت عروقها واخضر ساقها وورقها، ثم أثمرت بعد ذلك وأينعت بشمر أعظم ما يكون من الكمئة في لون الورس المسحوق، ورائحة العنبر، وطعم الشهد، والله ما أكل منها جائع إلا شبع، ولا ظمآن إلا روي، ولا سقيم إلا بري، ولا أكل من ورقها بغير ولا ناقة ولا شاة إلا درّ لبنها، ورأينا النما والبركة في أموالنا منذ نزل رسول الله ﷺ، وأخصبت بلادنا وأمرعت، فكنا نسمي تلك الشجرة: المباركة، وكان من ينتابنا من حولنا من البوادي يستشفون بها، ويتزودون من ورقها، ويحملونها معهم^(١) في الأرض و^(٢) القفار، فيقوم لهم مقام الطعام والشراب، فلم نزل كذلك وعلى ذلك حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها، واصفر ورقها، فحزنا لذلك وفزعنا له فما كان إلا قليلاً حتى جاء نعي رسول الله ﷺ، فإذا هو قد قبض في ذلك اليوم، فكانت بعد ذلك تثمر دونه في الطعم^(٣) والعظم والرائحة، وأقامت على ذلك ثلاثين سنة، فلما كان ذات يوم أصبحنا فإذا بها قد أشوكت من أولها إلى آخرها، وذهبت نضارة عيدانها، وتساقط جميع ثمرها، فما كان إلا يسيراً حتى وافانا مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، فما أثمرت بعد ذلك قليلاً ولا كثيراً، وانقطع ثمرها، ولم نزل ومن حولنا نأخذ من ورقها ونداوي به مرضانا، ونستشفي به من أسقامنا، فأقامت على ذلك مدة وبرهة طويلة، ثم أصبحنا وإذا بها يوماً قد انبعث من ساقها دم عبيط جار، وورقها ذابل يقطر ماء كماء اللحم، فعلمنا أن قد حدث حدث عظيم، فبتنا فزعين مهمومين نتوقع الداهية، فأتانا بعد ذلك قتل الحسين بن علي عليهما السلام، ويبست الشجرة

(١) في (أ): ساقطة معهم .

(٢) في (ج): بدون واو .

(٣) في (ج): ساقطة الطعم .

وجفت وكسرتها الرياح والأمطار بعد ذلك، فذهبت واندرس أصلها. قال محمد ابن سهل - وهو من رواة الحديث: فلقيت دعبل بن علي الخزاعي بمدينة الرسول ﷺ فحدثته بهذا الحديث، فقال حدثني أبي عن جده عن أمه سعدة بنت مالك الخزاعية أنها أدركت تلك الشجرة، وأكلت من ثمرها على عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال دعبل: فقلت قصيدتي:

زر خير قبر بالعراق يزار واعص الحمار فمن نهاك حمار
لَمْ لا أزورك يا حسين لك الفدا نفسي ومن عطقت عليه يزار
ولك المودة في قلوب ذوي النهي وعلى عدوك مقتاة ودمار^(١)

وروينا عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة كنت وولداك على خيل بلقي، متوجة بالدر والياقوت، فيأمر الله تعالى بكم إلى الجنة والناس ينظرون»^(٢).

وروينا عنه عليه السلام أنه قال: «حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب

حسينا، حسين سبط من الأسباط»^(٣)

وروينا بالإسناد عن عمرو بن مسعدة قال: دخلت على المأمون وبين يديه كتاب ينظر فيه، وعيناه تجريان بالدموع، قال عمرو: فقلت: يا أمير المؤمنين ما في هذا الكتاب الذي أبكاك لا أبكى الله عينك؟ قال: يا عمرو، هذا مقتل أمير المؤمنين علي، والحسين بن علي صلوات الله عليهما. فقلت: يا أمير المؤمنين إن الخاصة والعامة قد كثرت في أمرهما، فما يقول أمير المؤمنين في أهل الكساء؟ قال: فتنفس الصعداء، ثم قال: هيه يا عمرو، هم والله آل الله، وعثرة المرسل

(١) الديوان ١١٥، وأمالى أبي طالب ٣١.

(٢) الجامع الكبير المخطوط ٢/٢٠٦، وذخائر العقبى ١٣٥.

(٣) ابن ماجه رقم ١٤٤، والطبراني في الكبير رقم ٢٥٨٩، ورقم ٧٠٢، وصحيح ابن حبان رقم ٦٩٧١، والمستدرک رقم ٤٨٣٠، ومسنَد الإمام أحمد بن حنبل ١٤٥٩٧.

الأوآء- يعني إبراهيم عليه السلام، وسفينة النجاة، وبدور^(١) ظلام الدجى، وبحور بغاة
الندى، وغيث كل الورى، وأشبال ليث الدين، ومبيد المشركين، وقاصم
المعتدين، وأمير المؤمنين، وأخي رسول رب العالمين، صلوات الله عليه وعليهم
أجمعين، هم والله المعلنو التقى، والمسرو الهدى، والمعلمو الجدوى، والناكبون عن
الردى، لا لحظ ولا جحظ، ولا فظظ غلظ، وفي كل موطن يقظ، هامات
هامات، وسادات سادات، غيوث جارات، وليوث غابات، أولو الأحساب
الوافرة، والوجوه الزاهرة^(٢) الناضرة، ما في عودهم خور، ولا في زندهم قصر،
ولا في صفوهم كدر، ثم ذكر الحسن والحسين عليهما السلام، فهمل منه دمع
العين، في حلبة الخدين، كفيض الغرتين، ونظم السمطين^(٣)، وهي من
القرطين، ثم قال: هما والله كبدرى دجى، وشمسى ضحى، وسيفى
لقاء، ورمحي لواء، وطودي حجى، وكهفى تقى، وبحري ندى، وهما ريحانتا
رسول الله صلى الله عليه وآله، وثمرتا فؤاده، والناصر ادين الله تعالى، ولدا بين التحريم
والتحليل، ودرجا بين التأويل والتنزيل، رضيعا لبان الدين والإيمان، والفقہ
والبرهان، وحكمة الرحمن، سيدا شباب أهل الجنة، ولدتهما البتول الصادقة بنت
خير الشباب والكهول، وسماهما الجليل، ورياهما الرسول، وناغاهما جبريل،
فهل لهؤلاء من عديل؟ بررة أتقياء، ورثة الأنبياء، وخزنة الأوصياء، قتلهم
الأدعياء وخذلتهم الأشقياء، ولم ترعو الأمة من قتل الأئمة، ولم تحفظ الحرمه،
ولم تحذر النقمه، ويل لها ماذا أتت! بسخط من تعرضت! في رضى من سعت!
طلبت دنيا قليل عظيمها، حقير جسيمها، ورد المعاد أغفلت، إذا الجنة أزلقت،
وإذا الجحيم سعرت، وإذا القبور بعثرت، ولحسابها جمعت، ويل لها ماذا

(١) في (أ): وبدور .

(٢) في (ج): ساقطة الزاهرة .

(٣) في (أ): السبطين وأظنه تصحيف .

حُرمت، عن روح الجنان ونعيمها صُرقت، وعن الولدان والخور غُيِّبت، وإلى الجَحِيم صُيرت، ومن الضريع والزقوم أطعمت، ومن المهل والصديد والغسلين سُقيت، ومع الشياطين والمنافقين قُرنت، وفي الأغلال والحديد صُقِّدت، ويل لها ماذا أتت، ثم هملت عيناه، وكثر نحيبه^(١) وشهيقه، فقلت: يا أمير المؤمنين يشفيك ما إليه صار القوم، فقال: نعم إنه لشفاء، ولكنني أبكي لأشجان وأحزان تحركها الأرحام وقال:

لا تقبل التوبة من تائب	إلا بحب ابن أبي طالب
حبُّ علي واجبٌ لازم	في عنق الشاهد والغائب
أخو رسول الله حلفُ الهدى	والأخ لا يُعدل بالصاحب
لو جمعنا في الفضل يوماً لقد	نال أخوه رغبة الراغب
بعد علي حبُّ أصحابه	ميا أنا بالمزري ولا العائب
إن مال عنه الناس في جانب	ملت إليه الدهر في جانب
جاءت به السنة مقبولة	فلعنة الله على الناصب
حبهم فرض علينا لهم	كم مثل حج لازم واجب

وروينا عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه، والبيت غاصُّ بمن فيه قال: ادعوا لي الحسن والحسين قال: فجعل يلثمهما حتى أغمي عليه، قال: فجعل علي عليه السلام يرفعهما عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ففتح عينيه، فقال: دعهما يتمتعان مني وأتمتع منهما، فإنه سيصيبهما بعدي أثرٌ، ثم قال: أيها الناس، إني خلفت فيكم كتاب الله وسنتي وعترتي أهل بيتي، فالمضيع لكتاب الله كالمضيع لسنتي، والمضيع لسنتي كالمضيع لعترتي، أما إن ذلك لن يفترقا حتى اللقاء على الخوض^(٢).

(١) في (أ): بزيادة ونشيجه .

(٢) أخرجه الإمام مسلم برقم ٢٤٠٨، والطبراني في الأوسط ٣/٣٧٤ برقم ٣٤٣٨، ومسنده =

بيعته ﷺ ومدة ظهوره وانتصابه بالأمر

خرج ﷺ من المدينة حين ورد نعي معاوية ، وطلب بالبيعة ليزيد ، وامتنع من ذلك يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين إلى مكة ، ودخلها ليلة الجمعة لثلاث خلون من شعبان ، ووردت عليه كتب أهل الكوفة كتاب بعد كتاب - وهو بمكة - بالبيعة في ذي الحجة من هذه السنة ، ولما وافته بيعة أهل الكوفة خرج من مكة سائراً إليها ثمان خلون من ذي الحجة .

وروي أنه لما أراد الخروج إلى العراق خطب أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : إن هذه الدنيا قد تنكرت وأدبر معروفها ، فلم يبق إلا صباية كصباية الإناء ، وخسيس عيش كالمرعى ، ألا ترون أن الحق لا يعمل به ، وأن الباطل لا يُنهى عنه ، ليرغب المرؤ في لقاء ربه ، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا شقاوة . فقام إليه زهير من القين العجلي فقال : قد سمعت مقالتك هديت ، ولو كانت الدنيا باقية وكنا فيها مخلدين ، وكان في الخروج مواساتك ونصرتك ، لا اخترنا الخروج منها معك على الإقامة فيها ، فجزاه الحسين بن علي عليهما السلام خيراً ثم قال :

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مشبوراً ، وحارب مجرماً
فإن عشت لم أندم ، وإن مت لم ألم كفى بك داءً أن تعيش وترغماً^(١)

فلما نزل بستان بني عامر كتب إلى محمد أخيه وأهل بيته : من الحسين بن

= الإمام زيد ٤٠٤ ، والشجري ١٤٣/١ - ٣٣١ ، والبيهقي في السنن ١٤٨/٢ ، وابن حنبل ٣٧/٤ برقم ١١١٣١ ، والترمذي ٦٢٢ برقم ٣٧٨٨ ، وكنز العمال ٣٨٠/١ - ٣٨١ ، ومجمع الزوائد ٩/١٦٢ والدارمي ٤٣٢/٢ .

(١) الطبري في تاريخه ٤٠٤/٥ ، ومجمع الزوائد ١٩٣/٩ ، والطبراني في الكبير ١١٤/٣ برقم ٢٨٣٢ ، وذخائر العقبى ١٤٩ ، والكامل لابن الأثير ٢٨١/٣ ، وأمثالي أبي طالب ص ٩١ .

علي إلى محمد بن علي وأهل بيته أما بعد :
فإنكم إن لحقتم بي استشهدتم ، وإن تخلفتم عني لم تلحقوا النصر ،
والسلام .

فلما وافى زُبالة^(١) استقبله الطرمّاح الطائي الشاعر ، فقال له الحسين عليه السلام :
من أين خرجت؟ قال : من الكوفة ، قال : كيف وجدت أهل الكوفة؟ قال :
يا ابن رسول الله قلوبهم معك ، وسيوفهم عليك^(٢) .

فقال له الحسين عليه السلام : صدقت ، الناس عبيد الدنيا ، والدين لغوٌ على
ألسنتهم يحوطونه ما درت معائشهم فإذا امتحنوا بالبلاء قلّ الديّانون .
فلما وافى كربلاء قال : في أي موضع نحن؟ قالوا : بكربلاء ، قال : كرب
والله وبلاء ، هاهنا مناخ ركابنا ، ومهراق دمائنا ، ثم أقبل في جوف الليل يتمثل
ويقول :

يا دهر أف لك من خليلٍ كم لك بالإشراق والأصيلِ
من مسيتٍ وصاحب قتييلٍ والدهر لا يقنع بالبيديلِ
وكل حيّ سالك السبيلِ

فقالت له أخته زينب : لعلك تخبرنا بأنك تغصب نفسك؟ فقال عليه السلام : لو
ترك القطا لنام^(٣) .

وفي بعض أخباره عليه السلام أنه لما بلغ بستان بني عامر لقي الفرزدق بن غالب -
الشاعر ، فقال : أين تريد يا ابن رسول الله؟ ما أعجلك عن الموسم؟ وذلك يوم
التروية ، فقال : لو لم أعجل لأخذتُ أخذًا ، فأخبرني يا فرزدق الخبر؟ قال :

(١) اسم موضع بالكوفة .
(٢) الطبري في تاريخه ٤٠٥/٥ ، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٢٨١/٣ وأمالي أبي طالب ٩١
٩٢ .
(٣) البداية والنهاية ١٩١-١٩٢/٨ ، والطبري في تاريخه ٤٢٠/٥ ، ومقاتل الطالبين ١١٣ ،
والكامل لابن الأثير ٢٨٥-٢٨٦/٣ ، وأمالي أبي طالب ٩٢ .

تركت الناس قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية، قال : صدقني الخبر . ثم مرّ الحسين عليه السلام حتى إذا كان مكانه الذي كان فيه من بستان بني عامر بمرحلة أو مرحلتين لقي عبدالله بن مطيع العدوي ، فقال له : أين تريد يا ابن رسول الله؟ قال : أريد الكوفة فإن أهلها كتبوا إليّ ، قال : فإني أنشدك يا ابن رسول الله بالبيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام أن تعرض نفسك لبني مروان^(١)؛ فوالله لئن عرضت نفسك لهم ليقتلنك ، قال : فمضى على وجهه عليه السلام^(٢) .

وروينا عن زيد بن علي عن أبيه عليهم السلام : أن الحسين بن علي عليهما السلام خطب أصحابه فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، خطأ الموت على بني آدم كخط القلادة على جيد الفتاة ، ما أولعني بالشوق إلى أسلافي اشتياق يعقوب عليه السلام إلى يوسف عليه السلام وأخيه ، وإن لي مصرعاً أنا لاقية كأنني أنظر إلى أوصالي تقطعها وحوش الفلوات غبراً وغفراً ، قد ملأت مني أكراشها ، رضى الله رضانا أهل البيت نصبر على بلائه ؛ ليوطينا أجور الصابرين ، لن تشذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله حرمة وعترته ، ولن تفارقه أعضاؤه وهي مجموعة في حظيرة القدس ، تقر بهم عينه ، وتنجز لهم عدته ، من كان فينا باذلاً مهجته فليرحل فإني راحلٌ غداً إن شاء الله تعالى ، ثم نهض إلى عدوه^(٣) .

وقد كان عليه السلام لما أتته رسل أهل الكوفة ، وقالوا : قد حبسنا أنفسنا عليك ، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي ، فأقدم إلينا ، فبعث عليه السلام إلى مسلم بن عقيل ابن عمه فقال له : سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إليّ فإن كان حقاً خرجت إليهم ، فخرج مسلم حتى أتى المدينة ، فأخذ منها دليلين فمرّأ به في البرية فأصابهم عطش

(١) هكذا ورد في النسخ . . . والأولى لبني أمية ؛ لأن الملك ما يزال في البيت السفيفاني الأموي ، وما انتقل إلى البيت مرواني الأموي إلا فيما بعد .
(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣ / ٢٧٦ .
(٣) المصابيح ٣٧٢ ، وأمالى أبي طالب ١٩٩ .

فمات أحد الدليلين، فكتب مسلم إلى الحسين عليه السلام يستعفيه، فكتب إليه الحسين عليه السلام أن امض إلى الكوفة، فخرج حتى قدمها، فنزل على رجل من أهلها يقال له عوسجة، فلما تحدث أهل الكوفة بمقدمه دنوا إليه، فبايعه منهم اثنا عشر ألفاً، فقام رجل ممن يهوى يزيد إلى النعمان، فقال له: إنك لضعيف أو متضعف قد فسّد البلاد، فقال النعمان: أكون ضعيفاً في طاعة الله عز وجل أحبّ إليّ من أن أكون قوياً في معصية الله، وما كنت لأهتك ستراً ستره الله عز وجل، فكتب بقوله إلى يزيد بن معاوية، فدعى يزيد مولى له يقال له: سرجون^(١)، قد كان يستشيريه فأخبره الخبر، فقال له: أكنتَ قابلاً من معاوية لو كان حياً قال: نعم، قال: فاقبل مني إنه ليس للكوفة إلا عبيدالله بن زياد فولها إياه^(٢)، وكان يزيد عليه ساخطاً، وقد كان همّ بعزله، وكان على البصرة^(٣) فكتب إليه برضاه^(٤) وأنه قد ولاه الكوفة مع البصرة، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجده، فأقبل عبيدالله في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة^(٥) متلثماً، فلا يمر على مجلس من مجالسهم فيسلم عليهم إلا وقالوا: وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله، وهم يظنون أنه الحسين بن علي عليهما السلام حتى نزل بالقصر، فدعى مولى له فأعطاه ثلاثة آلاف درهم، فقال له: اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبايع أهل الكوفة فأعلمه أنك رجل من أهل حمص جئت لهذا الأمر، وهذا مال فادفعه إليه ليقوى به، فخرج الرجل فلم يزل يتلطف ويرفق حتى دلّ على شيخ يلي البيعة، فلقيه فأخبره الخبر، فقال له الشيخ: لقد سرّني لقاءك إياي، ولقد

(١) غلام أبيه معاوية.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ١٦٤/٨.

(٣) في (أ): ساقطة وكان على البصرة.

(٤) في (ج): ترضاه.

(٥) في (ج): المدينة.

سأني: فأما ما سرنني من ذلك فما هداك الله عز وجل له، وأما ما سأني فإن أمرنا لم يستحكم بعد، فأدخله على مسلم فأخذ منه المال وباعه، ورجع إلى عبيدالله فأخبره، وتحول مسلم بن عقيل حين قدم عبيدالله من الدار التي كان فيها إلى منزل هانئ بن عروة المرادي.

وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين عليه السلام يخبره بببيعة اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة ويأمره بالقدوم، قال: وقال عبيدالله لوجوه أهل الكوفة: ما بال هانئ بن عروة لم يأتني فيمن أتاني؟! قال: فخرج إليه محمد بن الأشعث، وأناس منهم، فأتوه وهو على باب داره، فقال له: إن الأمير قد استبطأك فانطلق إليه، فلم يزلوا به حتى ركب معهم فدخلوا به على عبيدالله، وعنده شريح القاضي، فلما نظر إليه قال لشريح: أتتك بحائن رجلاه^(١)، فلما سلم عليه قال له: يا هانئ، أين مسلم؟ قال: ما أدري، فأمر عبيدالله صاحب الدراهم فخرج إليه، فلما رآه قطع به، قال: أصلح الله الأمير، والله ما دعوته إلى منزلي، ولكنه جاء فطرح نفسه علي، قال: اتنتي به، قال: والله لو كان تحت قدمي مارفعتهما عنه، قال: أدنوه إليّ، فأدنوه فضربه بالقضيب فشجّه على حاجبه، وأهوى هانئ إلى سيف شرطي ليستلّه فدفع عن ذلك، وقال له: قد أحلّ الله دمك، وأمر به فحبس في جانب القصر، وخرج الخبر إلى مدحج فإذا على باب القصر جلبة سمعها عبيدالله ابن زياد، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مدحج، فقال لشريح: اخرج إليهم فأعلمهم أنني إنما حبسته لأسائله، وبعث عينا إليه من مواليه يسمع ما يقول: فمر شريح بهانئ، فقال هانئ: يا شريح اتق الله فإنه قاتلي، فخرج شريح حتى قام على باب القصر فقال: لا بأس عليه، إنما حبسه الأمير ليسائله، فقالوا: صدق ليس على صاحبكم بأس، فتفرقوا، وأتى مسلم الخبر فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة آلاف من أهل الكوفة، فقدم مقدّمه، وهياً ميمنة وميسرة، وسار في القلب

(١) مثل يقال: للساعي على نفسه بالحين. المستقصى في أمثال العرب ١/ ٣٨.

إلى عبيدالله، وبعث عبيدالله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فلما سار إليه مسلم، فأنتهى إلى باب القصر أشرفوا من فوقه على عشائهم، فجعلوا يكلمونهم ويردونهم، فجعل أصحاب مسلم يتسللون حتى أمسى في خمسمائة، فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضاً، فلما رأى مسلم أنه قد بقي وحده تردّد في الطرق، فأتى باباً فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني ماء؛ فسقته ثم دخلت فمكثت ما شاء الله ثم خرجت فإذا هو على الباب، قالت: يا عبدالله إن مجلسك مجلس ريبة فقم، فقال: أنا مسلم بن عقيل فهل عندك مأوى؟ قالت: نعم ادخل، وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث، فلما علم به الغلام انطلق فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيدالله فأخبره، فبعث عبيدالله عمرو بن حريث المخزومي صاحب شرطته إليه ومعه محمد، فلم يعلم مسلم حتى أحيط بالدار، فلما رأى ذلك مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم فأعطاه محمد الأمان فأمكن من يده، فجاء به إلى عبيدالله بن زياد فأمر به فأصعد إلى أعلى القصر فضربت عنقه وألقى جثته إلى الناس، وأمر بهائئ فسحب إلى الكناسة فصلب هناك، وقال شاعرهم^(١):

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظري إلى هائئ بالسوق وابن عقيل
أصابهما أمر الأمير فأصبحا أحاديث من يسعى بكل سبيل
أتركب أسماء الهماليج أمنا وقد طلبته مذحج بقتيل^(٢)

وأقبل الحسين عليه السلام بكتاب مسلم إليه حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال لقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له: أين تريد؟ قال: أريد هذا المصر، قال له: ارجع فإنني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه، فهم أن يرجع، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل، فقال: لا خير

(١) البداية والنهاية ١٦٥-١٦٦.

(٢) البداية والنهاية ٨ / ١٦٩، والكامل لابن الأثير ٣ / ٢٧٤-٢٧٥.

في الحياة بعدكم فسار، فلقية أول خيل عبيدالله بن زياد، فلما رأى ذلك عدل إلى كربلاء وأسند ظهره إلى قصب أو خلاف لا يقاتل إلا من وجه واحد، فنزل وضرب أبيته، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارساً، ونحواً من مائة راجل، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاء عبيدالله بن زياد وعهد إليه عهداً، فقال: اكفني هذا الرجل، فقال: اعفني، فأبى أن يعفيه، قال: فأنظرني الليلة، فأخره فنظر في أمره، فلما أصبح غدا عليه راضياً بما أمره به، فتوجه عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليه السلام، فلما أتاه^(١)، قال له الحسين عليه السلام: اختر واحدة من ثلاث: إما أن تدعوني فألحق بالثغور، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد، وإما أن تدعوني فأصرف من حيث جئت، فقبل ذلك عمر بن سعد، فكتب إلى عبيدالله ابن زياد، فكتب إليه عبيدالله: لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي، فقال الحسين ابن علي عليهما السلام: لا والله لا يكون ذلك أبداً^(٢).

أولاده عليهم السلام:

علي الأكبر في قول العقيقي، وكثير من الطالبية، وهو الأصغر في قول الكلبي ومصعب بن الزبير، وكثير من أهل النسب. وله العقب، ولد لستين بقيتا من خلافة عثمان. وروى عن جده أمير المؤمنين عليهما السلام. وعبيدالله بن الحسين. قتل مع أبيه بالطف جاءته نشابة وهو في حجر أبيه فقتلته، وأمهما واحدة. وعلي الأصغر في قول العقيقي وكثير من الطالبية لا عقب له، قتل مع أبيه، وهو الأكبر في قول من ذكرنا من أهل النسب، وأمها: ليلي ابنة أبي مرة ابن عروة بن مسعود الثقفية، وأمها: ميمونة ابنة أبي سفيان بن حرب بن أمية بن

(١) في (ج): أراه .

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/٣٠٨، والبداية والنهاية ٨/١٨٣، ورد بلفظ آخر في الكامل لابن الأثير ٣/٢٨٧-٢٨٨، وتهذيب التهذيب ٢/٣١٩. هذه الرواية تناقض شجاعة الإمام الحسين عليه السلام ورفضه للذل.

عبد شمس ، ولهذا ناداه رجل من أهل الشام حين برز للقتال بين يدي أبيه صلوات الله عليه ، وقال له : إن لك رحماً بأمر المؤمنين يعني يزيد ، وهو يريد رحم ميمونة ابنة أبي سفيان ، فإن شئت أمناك ! فقال له : ويلكم لقراءة رسول الله ﷺ أحق أن ترعى ! وقاتل حتى قُتل^(١) .

وجعفر دَرَجَ صغيراً ، وأمه بلوية من بلي بن قضاة ، وذكر بعض أهل النسب إبراهيم ، ومحمداً ، وليس يعرفهما الطالبون^(٢) .

والعقب من ولد الحسين عليه السلام لواحد وهو : علي بن الحسين الأكبر في قول الطالبية ، والأصغر في قول كثير من أهل النسب .

ومن البنات : فاطمة وأمها أم إسحاق ابنة طلحة بن عبيدالله عقبها في ولد الحسن بن الحسن عليهما السلام ، وفي ولد عبدالله بن عمرو بن عثمان الملقب بالمطرف^(٣) ، وأمها الجريا ، وسميت الجريا ؛ لأنه كان لا يجلس معها أحد لجمالها وحسنها فلما تحامى النساء الجلوس معها شُبِّهت بالناقاة الجريا التي يحمي^(٤) صاحب الإبل إبله عنها ، وهي الجريا ابنة قسامة بن رومان من طي .

وسكينة واسمها : آمنة ، وأمها : الرباب ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس ، وسكينة انقرض عقبها إلا من ولد عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم ابن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى ، فإنها ولدت له عثمان الملقب بقرين ، وحكيماً ، وربيعة^(٥) .

(١) الإفادة في تاريخ الأئمة السادة ٤٣٠ ، ومقاتل الطالبين ٨٠ ، ٨١ .

(٢) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ٤٤ .

(٣) المطرف : لقب به لحسنه .

(٤) في (أ) : تمنع .

(٥) الإفادة ٤٤ .

مقتله ﷺ وموضع قبره وما يتصل بذلك

روينا عن النبي ﷺ أنه قال : « يقتل ابني الحسين بظهر الكوفة ، الويل لقاتله وخاذله ، ومن ترك نصرته » وعنه ﷺ أنه قال : « تحشر ابنتي فاطمة ومعها ثياب مصبوغة بدم ، فتعلق بقائمة من قوائم العرش وتقول : يا عدل يا جبار احكم بيني وبين قاتل ولدي ، قال ﷺ : فيحكم لابنتي ورب الكعبة »^(١).

وروينا من أمالي السيد المرشد بالله أبي عبدالله يحيى بن الحسين الحسيني ﷺ يرفعه إلى عبدالله بن عمرو بن العاص أن معاذ بن جبل أخبره ، قال : خرج علينا رسول الله ﷺ متغير اللون فقال : « أنا محمد أوتيت فوائح الكلام وخواتمه فأطيعوني ما دمت بين أظهركم ، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله عز وجل أحلوا حلاله وحرموا حرامه ، أتكم الموتة ، أتكم الروح والراحة ، كتاب من الله سبق ، أتكم فتن كقطع الليل المظلم ، كلما ذهب رسلٌ جاء رسلٌ ، تناسخت النبوة فصارت ملكاً ، رحم الله من أخذها بحقها ، وخرج منها كما دخلها . أمسك يا معاذ وأحص » قال : فلما بلغت خمسة قال : يزيد لا بارك الله في يزيد ، ثم ذرفت عيناه ﷺ ، ثم قال : نعي إلي الحسين وأتيت بتربته ، وأخبرت بقاتله ، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهрани قوم لا يمنعونه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم ، وسلط عليهم شرارهم ، وألبسهم شيعاً ، ثم قال : واهاً لفراخ آل محمد من خليفة مستخلف مترف يقتل خلفي وخلف الخلف »^(٢) أمسك يا معاذ ، فلما بلغت عشرة ، قال : الوليد اسم فرعون هادم شرائع الإسلام ، يبوء بدمه رجل

(١) مسند علي بن موسى الرضى ص ٤٦٠ ، وأورده السمهودي في جواهر العقدين ، وشمس الأخبار ١١٨ .

(٢) روي في درر الأحاديث النبوية للإمام الهادي ص ٢١ : « ويح الفراخ ، فراخ آل محمد ﷺ ، من خليفة مستخلف وعترت مترف يقتل خلفي وخلف الخلف » ، والمصابيح ٣٥٤ .

من أهل بيته، يسأل الله سيفه فلا غماد له، واختلف الناس فكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه، ثم قال: بعد العشرين ومائة موتٌ سريع، وقتل ذريع، وفيه هلاكهم، ويلى عليهم رجل من ولد العباس^(١).

وروينا عنه عليه السلام أنه قال: «قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل النار، قد شدت يداه ورجلاه بسلاسل من نار، منكس في النار، حتى يقع في قعر جهنم، وله ريح يتعوذ أهل النار إلى ربهم من شدة ريح ننته، وفيها خالدٌ ذائق العذاب الأليم، لا يفتر عنهم ساعة، ويسقى من حميم جهنم، الويل لهم من عذاب الله عز وجل»^(٢).

وروينا عن عائشة رحمها الله قالت: دخل الحسين بن علي عليهما السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يوحى إليه، فنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وهو منكبٌ ولعب على ظهره، فقال جبريل لرسول الله صلى الله عليه وآله: أتجبه يا محمد؟ قال: يا جبريل ومالي لأحب ابني! قال: فإن أمتك ستقتله من بعدك، فمدَّ جبريل يده فأتاه بترية بيضاء، فقال: في هذه الأرض يقتل ابنك، واسمها الطف، فلما ذهب جبريل عليه السلام من عند رسول الله صلى الله عليه وآله، خرج رسول الله صلى الله عليه وآله والترية في يده وهو يبكي فقال: يا عائشة إن جبريل أخبرني أن الحسين ابني مقتول في أرض الطف، وأن أمتي ستفتن بعدي، ثم خرج إلى أصحابه ومنهم عليٌّ وأبو بكر، وعمر، وحذيفة، وعمار، وأبو ذر، وهو يبكي فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجاءني بهذه الترية، فأخبرني جبريل عليه السلام أن فيها مضجعه^(٣).

(١) مجمع الزوائد ٩/١٩٠، والمعجم الكبير للطبراني ٣/١٢٠ رقم ٢٨٦١.

(٢) مسند علي بن موسى الرضا ص ٤٧٠ بلفظ: من شدة ننته، وأورده المناوي في فيض القدير وغيره بألفاظ قريبة.

(٣) في البداية والنهاية بلفظ مقارب ٨/٢١٦-٢١٧، وذخائر العقبى ١٤٧، وأحمد في مسنده ١٨٠/١٠ برقم ٢٦٥٨٦، والطبراني في الكبير ٣/١٠٦ برقم ٢٨١٣، ومجمع الزوائد ٩/١٨٧.

ولما اضطر عليه السلام إلى محاربة القوم وعباً عمر بن سعد أصحابه لمحاربة الحسين عليه السلام، ورتبهم مراتبهم، وأقام الرايات في مواضعها، وعباً أصحاب الميمنة والميسرة، وقال لأصحاب القلب: اثبتوا، وأحاطوا بالحسين عليه السلام من كل جانب حتى جعلوه في مثل الحلقة، فخرج عليه السلام حتى أتى الناس، فاستنصتهم فأبوا أن ينصتوا حتى قال لهم: ويلكم ما عليكم أن تنصتوا لي فتسمعوا قولي:، فإنني إنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المهتدين والمرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين، وكلكم عاص لأمري، غير مستمع قولي، فقد انجزلت^(١) عطياتكم من الحرام، وملئت بطونكم من الحرام، فطبع على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون؟ ألا تستمعون؟ فتلاوم أصحاب عمر بن سعد بينهم وقالوا: أنصتوا له، فأنصتوا، فقام الحسين عليه السلام فيهم: فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال: تبا لكم أيتها الجماعة وترحاً، أفحين استصرختمونا وكهين متحيرين، فأصرخناكم موجزين مستعدين، سللتم علينا سيفاً في رقابنا! وحششتم علينا نار الفتن، جناها عدوكم وعدونا، فأصبحتم إلباً على أوليائكم، وبدأ عليهم لأعدائكم، لغير عدل أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، إلا الحرام من الدنيا أنالوكم، وخسيس عيش طعمتم فيه، من غير حدث كان منا، ولا رأي تفيل^(٢)، فهلا لكم الويلات تجهتمونا والسيف لم يشهر، والجأش طامن، والرأي لم يستخف، ولكن أسرعتم إلينا كطيرة الذباب، وتداعيتم كتداعى الفراش، فقبحاً لكم فإنما أنتم من طواغيت الأمة، وشذاذ الأحزاب، وتبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرفي الكتاب، ومطفئي السنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراح أئمة المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين، وأنتم ابن حرب وأشياعه تعمدون، وإيانا تحاربون.

(١) أي عظمت، المعجم الوسيط ١٢١.

(٢) تفيل رأيه: أخطأ وضعف. (القاموس ص ١٣٥٠).

أجل والله خذل فيكم معروف، وشجبت عليه عروقتكم، وتوارثته أصولكم وفروعكم، وثبتت عليه قلوبكم، وغشيت صدوركم، فكنتم أخبث شيء: سخي للناصب، وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الناكثين، الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، وأنتم والله هم، ألا إن الدعوي ابن الدعوي قد ركز بين اثنتين: بين القتلة والذلة، وهيهات منا أخذ الدنية، أبا الله ذلك ورسوله والمؤمنون، وجدود طابت، وحجور طهّرت، وأنوف حمية، ونفوس أبية، لا تؤثر مصارع اللثام على مصارع الكرام، ألا قد أعذرت وأندرت، ألا إني زاحف بهذه الأسيرة، على قلة العتاد، وخذلة الأصحاب، ثم أنشأ يقول:

فإن نَهَزَمَ فَهَزَامُونَ قَدَمًا وَإِنْ نُهَزِمَ فَنُغِيرُ مُهَزَمِينَ
ألا ثم لا تلبثون بعدها إلا كرشما تركب الفرس حتى تدور بكم الرحي،
عهداً عهدته إليّ أباي، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدون جميعاً ولا تنظرون،
إني توكلت على الله ربي وربكم، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على
صراط مستقيم. اللهم احبس عنهم قطر السماء، وابعث عليهم سنين كسني
يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأساً مرة، فلا يدع فيهم أحداً إلا قتله
بقتلة، وضربه بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم؛ فإنهم
غرؤونا وكذبونا وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. ثم
قال: أين عمر بن سعد؟ ادعوا لي عمر. فدعني له، وكان كارهاً لا يحب أن
يأتيه، فقال: يا عمر، أنت تقتلني؟ تزعم أن يوليئك الدعوي ابن الدعوي بلادي الرّي
وجرجان، والله لاتهنأ بذلك أبداً، عهداً معهوداً، فاصنع ما أنت صانع، فإنك لا
تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، ولكأني برأسك على قصبة قد نصبت بالكوفة ترا ماه
الصبيان، ويتخذونه غرضاً بينهم، فاغتاظ عمر بن سعد من كلامه، ثم صرف
بوجهه عنه، ونادى بأصحابه: ما تنتظرون به، احملوا بأجمعكم إنما هي أكلة

واحدة^(١). ثم إن الحسين عليه السلام دعا بفرس رسول الله صلى الله عليه وآله المرتجز، فركبه وعبأ أصحابه، وزحف إليهم عمر بن سعد لعنه الله، ونادى غلامه دريداً: قدم رايتك، ثم وضع سهمه في كبد قوسه، ثم رمى وقال: اشهدوا لي عند الأمير - يعني عبيدالله بن زياد لعنه الله وإياهم - أنني أول من رماه، فرمى أصحابه كلهم بأجمعهم في أثره رشقة واحدة، فما بقي أحد من أصحاب الحسين عليه السلام إلا أصابه من رميهم سهم، ثم قاتل عليه السلام هو وأهل بيته وأصحابه حتى قُتلوا كلهم، وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته، فقتل الحسين بن علي عليهما السلام سنان بن أنس النخعي، وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصبحي من حمير. والعباس بن علي بن أبي طالب، وأمه: أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد العامري قُتله زيد بن رقاد الجنبى بسهم، ولما ظفر به الشيعة بالكوفة نصبوه غرضاً ورموه حتى لم يبق قدر الدرهم من جسده إلا وفيه سهم، وحكيم بن طفيل الطائي السنبسي، وكلاهما ابتلي في بدنه. وجعفر بن علي بن أبي طالب، وأمه أيضاً أم البنين بنت حزام، قتله هانئ بن ثبيت الحضرمي. وعبدالله بن علي، وأمه أيضاً أم البنين رماه خولي بن يزيد الأصبحي بسهم، وأجهز عليه رجل من بني تميم بن أبان بن دارم. ومحمد بن علي بن أبي طالب الأصغر، قتله رجل من بني أبان بن دارم وليس بقاتل عبدالله بن علي، وأمه أم ولد. وأبو بكر بن علي بن أبي طالب، وأمه: ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ريعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم التميمي. وعثمان بن علي، وأمه أم البنين بنت حزام أخو العباس وجعفر وعلي ابني^(٢) علي لأمههم. وعلي بن الحسين الأكبر، وأمه: ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود بن معتب الثقفي، وأمها: ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب، قتله مرة بن منقذ بن النعمان الكندي، وكان يحمل عليهم ويقول:

(١) ابن عساكر ٢١٨/١٤، وأمالى أبي طالب ٩٦.

(٢) في (أ): بن علي.

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي
حتى قُتل صلى الله عليه . وعبدالله بن الحسين ، وأمه : الرباب بنت امرئ
القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عكيم^(١) الكلبي ، قتله حرملة بن
الكاهن الأسدي الوالبي ، وُلدَ والحسين بن علي في الحرب ، فأُتيَ به وهو قاعد ،
فأخذه في حجره ولبأه بريقه ، وسماه عبدالله ، فبينما هو كذلك إذ رماه حرملة بن
الكاهن بسهم فنحره ، فأخذ الحسين دمه فجمعه ورمى به نحو السماء ، فما وقعت
منه قطرة إلى الأرض . قال فضيل : وحدثني أبو الورد أنه سمع أبا جعفر يقول :
لو وقعت منه إلى الأرض قطرة لنزل العذاب ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :
وعند غني قطرة من دمائنا وفي أسد أخرى تُعدُّ وتذكر
وكان علي بن الحسين عليه السلام عليلاً ، وارثاً^(٢) يومئذ وقد حضر بعض القتال
فدفع الله عنه ، وأخذ مع النساء هو ومحمد بن عمرو بن الحسن ، والحسن بن
الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام . وقتل أبو بكر بن الحسن بن علي ،
وأمه : أم ولد ، قتله عبدالله بن عقبة الغنوي . وعبدالله بن الحسن بن علي ، وأمه
أم ولد رماه حرملة بن الكاهن الأسدي بسهم فقتله . والقاسم بن الحسن بن علي ،
وأمه : أم ولد قتله عمرو بن سعيد بن نفيل الأزدي . وعون بن عبدالله بن جعفر
ابن أبي طالب ، وأمه : جمانة بنت المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رباح الفزاري ، قتله
عبدالله بن قطن الطائي النهساني^(٣) . ومحمد بن عبدالله بن جعفر بن أبي
طالب ، وأمه : الخوصاء بنت حفصة^(٤) بن ثقيف بن ربيعة بن عابد بن الحارث بن

(١) في (أ) : حكيم .

(٢) يقال للرجل إذا ضُرب في الحرب فأُتخن وحُمِلَ وبه رمق ، ثم مات : قد ارتث فلان ، وهو أفتعل
على المجهول أي : حُمِلَ من المعركة رثيثاً ، أي : جريحاً ، وبه رمق .

(٣) هذا عون الأصغر وقتل يوم الحرة ، أما الذي قتل مع الحسين فهو عون الأكبر وأمه زينب بنت
علي عليه السلام . مقاتل الطالبين ص ١٢٤ .

(٤) في (ب) : (حفصة) كما في المقاتل ص ٩١ .

تيم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل، قتله عامر بن نهشل التميمي^(١).
 قال: ولما أتى أهل المدينة مصابهم، دخل الناس على عبدالله بن جعفر
 يعزونه، فدخل عليه بعض مواليه فقال: هذا ما لقينا ودخل علينا من حسين!
 قال: فخذفه عبدالله بن جعفر بنعله! وقال: يا ابن اللخنا، أألحسين تقول هذا؟!
 والله لو شهدته ما فارقتة حتى أقتل معه، والله ما شحني بنفسي عنهما، وعزاني
 عن المصاب إلا أنهما أصيبا مع أخي، وكبيري، وابن عمي، مواسين له،
 ومضارين^(٢) معه، ثم أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله على كل محبوب
 ومكروه، أعزز علي بمصرع أبي عبدالله، ثم أعزز علي أن لا أكون آسيته بنفسي،
 الحمد لله على كل حال قد آساه وكدي.

وجعفر بن عقيل بن أبي طالب، أمه: أم البنين بنت الثغر بن عامر بن
 هيسان^(٣) الكلابي، قتله عبدالله بن عروة الخثعمي. وعبدالرحمن بن عقيل بن
 أبي طالب، أمه: أم ولد، قتله عثمان بن خالد بن أسير^(٤) الجهني، وبشير^(٥) بن
 حوط الهمداني القايضي، اشتركا في قتله. وعبدالله بن عقيل بن أبي طالب،
 وأمّه: أم ولد، رماه عمرو بن صبيح الصدائي فقتله. ومسلم بن عقيل بن أبي
 طالب قُتل بالكوفة، وأمّه: جبلة أم ولد^(٦). وعبدالله بن مسلم بن عقيل، وأمّه:
 رقية بنت علي بن أبي طالب، وأمها: أم ولد، قتله عمرو بن صبيح الصدائي،
 ويقال: بل قتله أسيد بن مالك الحضرمي. ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي

(١) الطبري ٤٦٨/٥، ومقاتل الطالبين ٨٤-٩٢، والبداية والنهاية ١٩٥/٨.

(٢) في (أ): مصابين.

(٣) في (ج): هيسان. وفي مقاتل الطالبين ص ٦١، الهضاب، وفي وسيلة الدارين في أنصار
 الحسين ص ٢٢٩ «الهيسان»، والطبري ٤٦٩/٥.

(٤) في (ج): أشتر.

(٥) هكذا في مقاتل الطالبين ص ٦١، وفي وسيلة الدارين في أنصار الحسين ص ٢٣٠ بشر.

(٦) (ويقال لها حلية). مقاتل الطالبين ٨٠.

طالب، وأمه: أم ولد، قتله أبو زهير الأزدي ولقيط بن ياسر الجهني اشتركا فيه،
وقُتل سليمان مولى الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، قتله سليمان بن
عوف الحضرمي، وقتل منجج مولى الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما
السلام، قتله حسان بن بكر الحنظلي، وقتل قارب الدثلي مولى الحسين بن علي
عليهما السلام، وقتل الحارث بن نبهان مولى جمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد
رسوله ﷺ، وقتل عبدالله بن يقطر رضيع الحسين بن علي عليهما السلام
بالكوفة، رُمي به من فوق القصر فتكسر، فقام إليه عبدالملك بن عمير اللخمي
فقتله واحتز رأسه، وقتل من بني أسد بن خزيمية: حبيب بن مظاهر، قتله بديل بن
صرم العقفاني، وكان يأخذ البيعة للحسين بن علي، وأنس بن الحارث، وكانت
له صحبة من رسول الله ﷺ، وقيس بن مسهر الصيداوي، وسليمان بن
ربيعة، ومسلم بن عوسجة السعدي من بني سعد بن ثعلبة، قتله مسلم بن
عبدالله وعبيدالله بن أبي خشكاره^(١)، وقتل من بني غفار: مسلم بن مكيل بن
ضمرة، وعبدالله وعبدالرحمن ابنا قيس بن أبي غرزة، وجون مولى لأبي ذر
الغفاري، وقتل من بني تميم: الحر بن يزيد، وكان لحق بالحسين بن علي بن أبي
طالب عليهما السلام بعد، وشبيب بن عبدالله من بني نقيل بن دارم، وقتل من
بني سعد بن بكر: الحجاج بن بدر، وقتل من بني تغلب: قاسط وكردوس ابنا
زهير بن الحارث، وكنانة بن عتيق، والضرغامة بن مالك، وقتل من بني قيس بن
ثعلبة: خولي بن مالك، وعمرو بن ضبيعة، وقتل من بني عبد القيس - من
أهل البصرة - : يزيد بن بشيط، وابناه عبدالله وعبيدالله^(٢)، وعامر بن مسلم،
وسالم مولا، وسيف بن مالك، والأدهم بن أمية، وقتل من الأنصار: عمرو بن

(١) ذكر في وسيلة الدارين في أنصار الحسين أن الذي قتله هو مسلم بن عبدالله الضبائي
وعبدالرحمن بن أبي خشكاره وعبدالله الضبائي ص ١٨٨ .

(٢) في (ج): بزيادة (ابنا يزيد).

قرظة ، وعبدالرحمن بن عبد رب من بني سالم بن الخزرج ، وكان أمير المؤمنين عليه السلام ربه وعلمه القرآن ، ونعيم بن العجلان الأنصاري ، وعمران بن كعب الأنصاري ، وسعد بن الحارث ، وأخوه الحتوف بن الحارث ، وكانا من المحكّمة ، فلما سَعَمَا أصوات النساء والصبيان من آل رسول الله صلى الله عليه وآله حكما ، ثم حملا بأسيا فهما ، فقاتلا مع الحسين عليه السلام حتى قُتِلَا ، وقد أصابا في أصحاب عمر بن سعد ثلاثة نفر ، وقُتِل من بني الحارث بن كعب : الضباب بن عامر ، وقُتِل من خثعم : عبدالله بن بشير^(١) الأكلة ، وسويد بن عمرو بن أبي المطاوع ، قتله هاني بن ثابت الحضرمي ، وقُتِل بكر بن حي التيمي من بني تيم الله بن ثعلبة ، وجابر ابن الحجاج مولى عامر بن نهشل من بني تيم الله ، ومسعود بن الحجاج ، وابنه عبد الرحمن بن مسعود ، وقُتِل من عبيد الله^(٢) : مجمع بن عبدالله ، وعائذ بن مجمع ، وقُتِل من طي عمار بن حسان بن شريح بن سعد بن حارثة بن لام ، وأمّية ابن سعد ، وقُتِل من مراد نافع بن هلال الجملي ، وكان من أصحاب أمير المؤمنين صلوات الله عليه ، وجنادة بن الحارث السلماني وغلّامه ابن واضح الرومي ، وقُتِل من بني شيبان بن ثعلبة : جبلة بن علي ، وقُتِل من بني حنيفة : سعيد بن عبيدالله ، وقُتِل من جوان : جندب بن حجير بن جندب ، وقتل من صداء : عمر بن خالد الصدائي ، وسعد مولاة ، وقُتِل من كلب : عبدالله بن عمرو بن عياش بن عبد قيس ، وأسلم مولى لهم ، وقُتِل من كندة : الحارث بن امرئ القيس ، ويزيد بن بدر بن المهاصر ، وزاهر صاحب عمرو بن الحمق ، وكان صحبه حين طلبه معاوية ، وقتل من قيس بجيلة كثير بن عبدالله الشعبي ، ومهاجر بن أوس ، وابن عمه سلمان بن مضارب ، وقُتِل النعمان بن عمرو والجلال بن عمرو الراسبين ، وقُتِل من حرقة جهينة : مجمع بن زياد ، وعباد بن أبي المهاجر

(١) في (ج) : بسر.

(٢) عبيد الله : حي من اليمن . القاموس ص ٤٢٨ .

الجهني، وعقبة بن الصلت، وقُتل من الأزد: مسلم بن كثير، والقاسم بن بشر، وزهير بن سليم، ومولى لأهل شنوءة يدعى: رافعاً، وقُتل من همدان: أبو ثمامة عمر بن عبدالله الصائدي، وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، قتله قيس بن عبدالله، ويزيد بن حضير المشرفي، وحنظلة بن أسعد الشبامي، وعبدالرحمن ابن عبدالله الأرحبي، وعمار بن أبي سلامة الدالاني، وعابس بن أبي شبيب الشاكري الدالاني، وهم يسمون: فتیان الصبّاح من وادعة، وشوذب مولى شاكرا، كان متقدماً في الشيعة، وسيف بن الحارث بن سريع، ومالك بن عبدالله ابن سريع، وهمام بن سلمة القانصي، وأرثُت من همدان: سوار بن حمير الجابري، فمات لستة أشهر من جراحته، وعمرو بن عبدالله الجندعي مات من جراحة كانت به على رأس سنة، وقتل هانئ بن عروة المرادي بالكوفة، قتله عبيدالله بن زياد، وقتل من حضرموت: بشير بن عمرو.

وخرج الهفهاف بن المهند الراسبي من البصرة حين سمع بخروج الحسين، فسار حتى انتهى إلى العسكر بعد قتله، فدخل عسكر عمر بن سعد، ثم انتضى سيفه، وقال:

يا أيها الجند المجند أنا الهفهاف بن المهند

أبغي عيال محمد

ثم شدّ فيهم. قال علي بن الحسين: فما رأى الناس منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله فارساً بعد علي بن أبي طالب عليه السلام مثله قتل بيده ما قتل، فتداعوا عليه فأقبل خمسة نفر فاحتوشوه حتى قتلوه رحمه الله^(١).

وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه وجد في الحسين بن علي عليهما السلام: ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وأربعون ضربة، ووجد في جبة خز

(١) تسمية من قتل مع الإمام الحسين للفضيل بن الزبير الكوفي الأسدي ١٥٢-١٥٦، والطبري ٤٦٩/٥، ومقاتل الطالبين ٩٤.

دكناء كانت على الحسين عليه السلام: مائة خرق، وبضعة عشر خرقاً ما بين رمية وطعنة وضربة^(١). وعن الشعبي: وجد في ثوب الحسين عليه السلام: مائة خرق، وبضعة عشر خرقاً من الضرب والطعن والرماح والسهام. وروي عن بعضهم أنه قال: لم يُضرب أحدٌ في الإسلام منذ كان أكثر من ضرب الحسين عليه السلام وجد به: مائة وعشرون ضربة بسيف ورمية، وخذف بحجر.

ولما فرغوا من قتله عليه السلام احتزوا رأسه، وكان الذي احتزّه خولي بن أنس ابن يزيد^(٢)، وأجروا الخيل بعد ذلك على جثته الكريمة حتى تقطعت، وقال عمر بن سعد: هكذا أمرنا عبيدالله بن زياد أن نضنع به، فانظر إلى عظيم ما أتوه، وفحش ما ارتكبوه، فقاتلهم الله أنى يؤفكون، والبهيمة تحرم المثلثة بها عند جميع المسلمين، فكيف بسبب النبوة وثمر الوصية، وسيد شباب أهل الجنة، سلام الله عليه وصلواته ورضوانه؟!

وأخذ سراويل الحسين عليه السلام يحيى بن كعب، فكانتا يدها تقطران دمًا إذا أشتى، وإذا أصاف يبستًا، وعادتا كأنهما عود يابس. وأخذ قطيفته قيس بن الأشعث بن قيس، وكان يقال له: قيس القطيفة. وأخذ برنسه مالك بن بشير الكندي، وكان من خز، فأتى به أهله، فقالت امرأته بنت عبدالله بن الحارث: أسكب الحسين يدخل بيتي؟ أخرجني، فلم يزل محتاجًا حتى مات. وأخذ عمامته جابر بن يزيد الأودي، فاعتم بها فصار مجذومًا. وأخذ درعه مالك بن بشر الكندي، فلبسه فصار معتومًا، وارتفعت غبرة شديدة سوداء فظن القوم أن العذاب قد أتاهم، ثم انجلت عنهم. وأقبل شمر بن ذي الجوشن إلى الخيام، وأمر بسلب كل ما مع النساء، فأخذوا كل ما في الخيمة حتى أخذوا قرطًا في أذن أم

(١) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ٤٤، والبداية والنهاية ٢٠٥/٨.

(٢) المشهور والمعتمد عن أصحاب المقاتل الذي احتز رأسه هو سنان بن أنس النخعي، وقيل: شمر ابن ذي الجوشن، والذي حملة إلى عبيد الله بن زياد خولي بن يزيد. أنظر: مقاتل الطالبين ٧٩.

كلثوم، وخرموا أذنها، وفرغ القوم من القسمة وضربوا فيها بالنار.

وعن ابن قتيبة: انتهب الناس ورساً من عسكر الحسين عليه السلام يوم قتل، فما طلّت به امرأة إلا برصت، وكذلك رواه سيّار. وأرسل عمر بن سعد بالرأس مع رجل يقال له: بشر بن مالك إلى ابن زياد، فوضعه بين يديه، وهو يقول:

أوقر ركابي فضةً وذهباً أنا قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أمّا وأباً

فغضب ابن زياد فقدمه وضرب عنقه، وقال: إن كان كما قلت، فلم

قتلته؟^(١).

ولما جيء برأس الحسين بن علي عليهما السلام إلى ابن زياد جعل يقول: بقضيب في أنفه ما رأيت مثل هذا حسناً، فقال أنس: أما إنه كان أشبههم برسول الله. وروي أن ابن زياد أرسل إلى أبي برزة فجرى بينهما كلام، ثم قال عبيدالله ابن زياد: كيف ترى شأني وشأن الحسين يوم القيامة؟ فقال: الله أعلم، وما علمي بذلك! قال: إنما أسألك عن رأيك، قال: إن سألتني عن رأيي فإن حسينا يشفع له محمد يوم القيامة، ويشفع لك زياد، قال: اخرج فلولا ما فعلت لك لضربت عنقك، حتى إذ بلغ باب الدار قال: ردوه، فقال: لئن لم تغدُ عليّ وتروح لأضربن عنقك^(٢).

وروي عن حاجب عبيدالله قال: دخلت القصر خلف عبيدالله بن زياد حين قُتل الحسين عليه السلام، فاضطرم وجهه ناراً! فقال: هكذا بكّمه على وجهه، فقال: هل رأيت؟ قلت: نعم. فأمرني أن أكتّم.

وروي السيد أبو الحسين يحيى بن الحسين الحسيني عليهم السلام بإسناده

(١) المصاييح ٣٧٦، الطبراني ١١٧/٣ برقم ١٨٥٢، مجمع الزوائد ٩/١٩٤، سير أعلام النبلاء ٣/٣٠٩.

(٢) البداية والنهاية ٢٠٨-٢٠٩، سير أعلام النبلاء ٣/٣٠٩.

عن خالد بن يزيد عن أم سليم خالة له ، قالت : لما قتل الحسين بن علي عليهما السلام مطرت السماء مطراً كالدم على البيوت والحيطان ، فبلغني أنه كان بالبصرة والكوفة والشام وخراسان حتى كنا لا نشك أنه سينزل العذاب^(١) .

وروى أيضاً عن عمرو بن زياد قال : أصبحت جبانتنا^(٢) يوم قتل الحسين عليه السلام ملائمة دماً . وروى أيضاً بإسناده عن محمد بن سيرين قال : لم تُر هذه الحمرة في أفق السماء حتى قتل الحسين عليه السلام !^(٣) .

وروى أيضاً بإسناده عن الأسود بن قيس قال : كنت ليالي قتل الحسين بن علي عليهما السلام ابن عشرين سنة ، فارتفعت حمرة من قبل المشرق ، وحمرة من قبل المغرب ، فكانتا تلتقيان في كبد السماء شهراً .

ولما فرغ القوم من قتل الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم ، ساقوا حرم رسول الله ﷺ ، كما تساق السبايا حتى بلغوا الكوفة ، وخرج الناس ليكون ، وجعل علي بن الحسين وهو مريض يقول : هؤلاء سيكون من أجلنا ، فمن قتلنا؟! فلما دخلوا على ابن زياد قعدت زينب ناحية ، فسأل من هي؟ قيل : زينب بنت علي ، فقال ابن زياد : الحمد لله الذي فضحككم ، وكذب أحدوثكم ، فقالت زينب : الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد ﷺ ، وطهرنا تطهيراً ، وإنما يفتضح الفاسق الفاجر ، فقال ابن زياد : كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت : ما رأيت إلا جميلاً ، وسيجمع الله بينك وبينهم فتخاصمون ، فانظر لمن الفلج يومئذ - هيلتك أمك يا ابن مرجانة . فغضب وهم بها ، فنهاء عمرو بن حريث وقال : إنها امرأة .

(١) ذخائر العقبى ١٤٥ ، وفي مجمع الزوائد بلفظ مقارب ١٩٦/٩-١٩٧ والسيعوطي في الدر المنثور في تفسير سورة مريم ٤/٤٧٥ ، ٥/٤٤٩ ، وابن عساكر ١٤/٢٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ٣/٣١٢ .

(٢) في (ج) : جنا بنا .

(٣) ابن عساكر ١٤/٢٢٨ ، والبداية والنهاية ٦/٢٥٩ .

ثم التفت إلى علي بن الحسين فقال: من أنت؟ قال: علي بن الحسين، قال: أو لم يقتل الله علي بن الحسين؟ قال ذلك أخي أكبر مني قتلتموه، وإن له منكم مطلباً يوم القيامة. قال ابن زياد: نحن لم نقتله ولكن الله قتله، فقال علي بن الحسين: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾... الآية [الزمر: ٤٢]، ثم أمر ليُنظر هل أدرك؟ فقيل: نعم، فأمر أن تضرب عنقه، فتعلقت به زينب عمته، وقالت: يا ابن زياد، لم يبق لنا غيره، فإن كنت تقتله فاقتلنا معه، فقال علي بن الحسين: يا ابن زياد، أباقتل تهددني؟! أما علمت أن القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة؟، ثم قال: أخرجوهم^(١)، وخرج إلى المسجد، فخطب وأبلغ في ذم آل أبي طالب، ومدح آل أبي سفيان، وكان من كلامه: الحمد لله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين وأشياعه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي، فوثب عبدالله بن عفيف الأزدي، وكان من خيار الشيعة، وكانت ذهبت إحدى عينيه يوم الجمل، والأخرى يوم صفين، وكان يلزم المسجد، فقال: يا ابن مرجانة، إن الكذاب وابن الكذاب أنت وأبوك، ومن استعملك وأبوه، يا عدو الله، أتقتل أولاد النبيين، وتتكلم بمثل هذا على منابر المسلمين، تقتل الذرية الطاهرة، وتزعم أنك مسلم؟! واغوثاه! أين أولاد المهاجرين والأنصار؟ ألا يتقمون من اللعين ابن اللعين؟. فغضب ابن زياد، وأمر بأخذه، فتخلصه أشراف الأزد وهرب، ورجع ابن زياد إلى منزله وبعث بجماعة حتى أخذوا عبدالله بن عفيف، وقتلوه^(٢).

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسين الحسيني بإسناده عن أبي جرثومة العكلي عن أبيه قال: لَمَّا قُتِلَ الحسين بن علي عليهما السلام، سمعت منادياً ينادي في الجبانة:

(١) الطبري ٥/٤٥٧-٤٥٨، والبداية والنهاية ٨/٢١٠-٢١١، ومقاتل الطالبين ١٢٠.

(٢) الطبري ٥/٤٥٨-٤٥٩ بلفظ مقارب، والبداية والنهاية ٨/٢١٠.

أيها القوم قاتلون حسيناً
كل أهل السماء يدعو عليكم
أبشروا بالعذاب والتنكيل
من نبيٍّ وملكٍ ورسولٍ
وقد لعنتم على لسان ابن دا
وود وموسى وحامل الإنجيل^(١)

وبعث ابن زياد لعنه الله بالحرم والرؤوس مع زحر بن قيس، وشمر بن ذي الجوشن إلى يزيد لعنه الله، فدخلوا عليه، وبلغوا الكتاب، فأطرق ساعة، ثم قال: لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما والله لو سار إليّ لعفوت عنه، ولكن قبّح الله ابن مرجانة، وكان عبدالرحمن بن الحكم قاعداً في مجلسه، فجعل يقول:

لَهَامٌ بجنب الطف أدنى قرابة
من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل
سميةٌ أمسى نسلها عددَ الحصى
وبنتُ رسول الله ليس لها نسل^(٢)
وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه، فجعل ينظر إليه ويقول:

نُفِّقُ هَامًا من أناسٍ أعزةٍ علينا وهم كانوا أعقّ وأظلمًا^(٣)
وروي أنه لما جهزهم ابن زياد إلى يزيد، فخرجوا بهم، اجتمع أهل الكوفة ونساء همدان حين خرج بهم، فجعلوا يبكون، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: هذا أنتم تبكون! فأخبروني من قتلنا؟! فلما أتى بهم دمشق، وقدموا على يزيد لعنه الله جمع من كان بحضرته من أهل الشام، ثم دخلوا عليه فهتوه بالفتح، فقام رجل منهم أزرق أحمر، ونظر إلى وصيفة من بناتهم، فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه، فقالت زينب: لا والله ولا كرامة لك ولا له إلا أن تخرج من دين الله عز وجل، فأعادها الأزرق، فقال له يزيد: كُفَّ^(٤).

(١) الطبري ٥/٤٦٧، والبداية والنهاية ٨/٢١٩ و ٨/٢١٦، وابن عساكر ١٤/٢٤٠.

(٢) لأغاني ١٣/١٧٨.

(٣) الطبري ٥/٤٦٠، البداية والنهاية ٢٠٨-٢٠٩، والمصايح ٣٧٧، ومقاتل الطالبين ١١٩، ومجمع الزوائد ٩/١٩٥.

(٤) مقاتل الطالبين ب ١٢٠ بلفظ مقارب، والطبري ٥/٤٦١-٤٦٢، وسير أعلام النبلاء ٣/٣٠٩-

ولما وضع رأس الحسين بن علي عليهما السلام، في طست جعل ينكت ثناياه
بمخصرة في يده وهو يقول :

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
فأهلُّوا واستهلُّوا فرحاً ثم قالوا : يا يزيد لا تشل
لست من شيخي إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^(١)

ولما رآه أبو برزة ينكت بالقضيب، قال له : ارفع قضيبك فوالله لربما رأيت فإ
رسول الله ﷺ على فيه يلثمه^(٢). ثم قامت زينب ابنة علي عليهم السلام، وأمها
فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقالت : الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على
سيد المرسلين، صدق الله العظيم كذلك يقول : ﴿ تُمْ كَان عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا
السُّوْأَى أَنْ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الروم: ١٠].
أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، وأصبحنا نساق
كما تُساق الأسرى، أن بنا على الله هواناً، وبك عليه كرامة؟! وأن ذلك لعظم
خطرك عنده، فشمخت بأنفك، ونظرت في عطفك جذلان مسروراً، حين رأيت
الدنيا مستوسقة، والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً
أنسيت قول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ
إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٨]. أمن العدل
يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائتك، وسوقك بنات رسول الله ﷺ
سبايا؟! قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، يحدى بهن من بلد إلى
بلد، يستشرفهن أهل المنازل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والذني
والشريف، وليس معهن من رجالهم ولي، ولا من حماتهم حي؟! وكيف يترجى
مراقبة من لفظ فوه أكباد السعداء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟! وكيف يُستبطن

(١) البداية والنهاية ٢٢٢/٨، ومقاتل الطالبين ١٢٠.

(٢) أنظر البداية والنهاية ٢٠٩/٨، والمصابيح ٣٧٧، سيرة أعلام النبلاء ٣/٣٠٩.

في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالسيف والسنان، والإحن والأضغان، ثم يقول غير متأثم ولا مستعظم:

فأهلُّوا واستهلُّوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا شلل متحياً على ثنايا أبي عبدالله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأت القرحة، واستأصلت الشأفة، يارقتك دمآء ذرية آل محمد ﷺ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت تناديهم، وَكَتَرِدَنَّ وشيكاً موردهم، وَكَتَوَدَنَّ أنك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت. اللهم خذ بحقنا، وانتقم من ظالمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دمائنا، وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، وستردُّ على رسول الله ﷺ بما تحمَّلت من سفك دمآء ذريته، وانتهكت من عترته في حرمة لحمته، وليخاصمك حيث يجمع الله شملهم، ويلم شعثهم، ويأخذ لهم بحقهم، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ * فرحين ﴿الآية [آل عمران: ١٦٩-١٧٠] وحسبك بالله حاكماً، ومحمد خصيماً، وجبريل ظهيراً، وسيعلم من بؤاً لك وأمكنك من رقاب المسلمين أن بس للظالمين بدلاً، وأنكم شرُّ مكاناً وأضعف جنداً، ولئن جرَّت عليّ الدواهي مخاطبتك، على أنني أستصغر قدرك، لكن العيون عبّرى، والصدور حرّى. ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقا، فتلك الأيدي تنطف من دمائنا، والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تتابها العواسل، وتعفوها الذئاب، ولئن اتخذتنا مغنماً لتجدننا^(١) وشيكاً مغرماً، حيث لا تجد إلا ما قدّمت يداك، وما ريك بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى، وعليه المعول، فكد كيدك، واسع سعيك، وناصر جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تُميت وحيناً، ولا تدرك أمرنا، ولا

(١) في (أ): لتجدنا.

ترحض عنك عارنا، وهل رأيك إلا قنْدٌ، وأيامك إلا عدد، وشمْلُك إلا بَدَدٌ، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين، والحمد لله الذي ختم لأوليائه بالسعادة والمغفرة، وأسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل^(١). فقال يزيد لعنه الله:

يا صيحة تلعن من صوائح ما أهون الموت على النوائح
وفي الأخبار: أنهم لما أقيموا على باب المسجد بدمشق، فإذا شيخ قال:
الحمد لله الذي قتلكم وأراح البلاد من رجالكم، فقال علي بن الحسين عليه السلام:
يا شيخ هل قرأت القرآن؟، قال: نعم، قال: هل تعرف هذه الآية: ﴿قُلْ لَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ [الشورى: ٢٣] فنحن القربى يا
شيخ، هل قرأت: ﴿وَأَتَا ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ [الإسراء: ٢٦] فنحن ذاك. هل قرأت:
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾؟ [الأحزاب: ٣٣] فنحن
أهل البيت الذي خصنا بالطهارة. قال: فبقي الشيخ ساعة ساكتاً، ثم بكى،
وقال: اللهم إني أتوب إليك من بعض هؤلاء، اللهم إني أبرأ إليك من بغض عليٍّ
ومحمد وآل محمد. وأدخلوا على يزيد وبين يديه جبراً من اليهود، فقال- بعد ما
تكلم علي بن الحسين: من هذا؟ قال: هو ابن صاحب هذا الرأس، قال: ومن
صاحب هذا الرأس؟ قال: الحسين بن علي، وأمه فاطمة بنت محمد.

قال الجبر: يا سبحان الله! فهذا ابن بنت نبيكم قتلتموه بهذه السرعة! بس
ما خلفتموه في ذريته، والله لو ترك فينا موسى بن عمران سبطاً لظننا أننا كنا
نعبده، وأنتم فارقكم نبيكم بالأمس، فوثبتم على ابن بنته فقتلتموه! فأمر يزيد
فأخرج وهرب، فقام وهو يقول: إن شئتم فاضربوني أو فاقتلوني، إني أجد في
التوراة: أنه من قتل ذرية نبي لا يزال ملعوناً أبداً ما بقي، فإذا مات يصلية الله نار
جهنم، ثم استأذن علي بن الحسين عليهما السلام في الخطبة فأبى، فما زالوا به

(١) ذكره في أعيان الشيعة ٧/ ١٣٩، نقلاً عن اللهوف في قتلى الطفوف.

حتى أذن ، فصعد المنبر فحمد الله ، وأبكى الناس ، ثم قال : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني أعرفه بنفسي ، أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن زمزم والصفاء ، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردى ، أنا ابن خير من انتعل واحتفى ، أنا ابن خير من طاف وسعى ، أنا ابن خير من حجّ ولبى ، أنا ابن من حمل على البراق في الهوا ، أنا ابن من أسري به إلى المسجد الأقصى ، أنا ابن من بلغ به جبريل إلى السدرة المنتهى ، أنا ابن محمد المصطفى ، أنا ابن علي المرتضى ، أنا ابن فاطمة الزهراء ، فلم يزل يقول حتى ضجّ المسجد بالبكاء ، وأمر يزيد لعنه الله فأقام المؤذن وقطع عليه ، فلما قال المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله ، قال علي بن الحسين : شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي ، فلما قال : أشهد أن محمداً رسول الله التفت إلى يزيد وقال : هذا جدي أو جدك ؟ فإن زعمت أنه جدك كذبت وكفرت ، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت عترته^(١) !

ثم جهّزهم وحملهم إلى المدينة ، فلما دخلوها خرجت امرأة من بنات عبدالمطلب ناشرة شعرها ، واضعة كمها على رأسها فتلقّتهم وهي تقول :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم : ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بعترتي وبأهلي ؟ بعد مفتقدي منهم أسارى وقتلى ضُرّجوا بدم
ما كان هذا جزائي إن نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي^(٢)

وروينا في الأخبار بالإسناد الصحيح : أنه لما أخذ رأس الحسين بن علي عليهما السلام ، ورؤوس أهل بيته وأصحابه رحمهم الله أقبلت الخيل شماطيطة^(٣) معها الرؤوس ، وأقبل رجل من أنضر الناس لونا ، وأحسنهم وجهاً على فرس

(١) مقاتل الطالبين ١٢١ باختلاف يسير .

(٢) مجمع الزوائد ونسبه لزينب بنت عقيل بن ابي طالب ١٩٩ / ٩ ، تهذيب التهذيب ٣١٩ / ٢ - ٣٢٠ .

(٣) شماطيطة : متفرقة أرسالاً . القاموس ص ٨٧٠ .

أدهم ، قد علّق في لباب فرسه رأس غلام أمرد ، كأن وجهه قمر ليلة البدر ، فإذا هو قد أطال الخيط الذي فيه الرأس ، والفرس تمرح ، فإذا رفع رأسه لحق الرأس بحرانه^(١) ، فإذا طأطأ رأسه صكّ الرأس الأرض ، فسألت فقيل : هذا حرملة بن كاهل الأسدي لعنه الله ، وهذا رأس العباس بن علي عليهما السلام ، فمكث بعد ذلك ما شاء الله ، ثم رأيت حرملة ووجهه أسود كأنما أدخل النار ثم أخرج ، فقلت له : يا عماء ، لقد رأيتك في اليوم الذي جئت فيه برأس العباس وإنك لأنضر العرب وجهاً ! فقال : يا ابن أخي ، ورأيتني ؟ قلت : نعم ، قال : فإني والله منذ جئت بذلك الرأس ما من ليلة آوي فيها إلى فراشي إلا وملكان يأتیان فيأخذان بضبعي ثم ينتهيان^(٢) بي إلى نار تأجج فيدفعاني فيها وأنا أنكص عنها فتسفعني كما ترى . قال : وكانت عنده امرأة من بني تميم ، فسألته عن ذلك^(٣) ، فقالت : أما إذا أفشى على نفسه فلا يبعد الله غيره ، والله ما يوقظني إلا صياحه كأنه مجنون .

ولما قامت الشيعة بطلب نأر الحسين عليه السلام مع المختار بن أبي عبيد وأوعبت في قتل من حضر الواقعة ، وكان في جملتهم عمرو بن الحجاج الزبيدي ، فهرب خوفاً على نفسه ، فلما توسط البادية ابتلعت الأرض هو وراحلته .

وروينا عن قرّة قال : سمعت أبا رجاء يقول : لا تسبوا علياً ولا أهل هذا البيت ؛ إن جاراً لنا من بني الهجيم قدم من الكوفة فقال : ألم تروا إلى هذا الفاسق ابن الفاسق ، إن الله قد قتله - يعني الحسين بن علي عليهما السلام ، فرماه الله بكوكبين في عينيه فطمس الله بصره . وعن الزهري قال : لما قُتل الحسين بن علي عليهما السلام لم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط^(٤) .

(١) حُرنت الدابة أي : وقفت بعد الجري ، وهو خاص بذات الحافر . القاموس ص ١٥٣٤ .

(٢) في (ج) : يأتیان .

(٣) في (ج) : ساقطة (فسألته عن ذلك) .

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر ٢ / ٣٢٠-٣٢١ .

وروينا عن قطنة بن العكي^(١) قال : كنا في قرية قريباً من قبر الحسين بن علي عليهما السلام ، فقلنا ما بقي ممن أعان على قتل الحسين أحدٌ إلا قد أصابته بلية ، فقال رجل : أنا والله ممن أعان على قتله ما أصابني شيء ، فسوى السراج فأخذت النار في إصبغه فأدخلها في فيه وخرج هارباً إلى الفرات فطرح نفسه ، فجعل يرمس والنار فوق رأسه فإذا خرج أخذته النار حتى مات^(٢) .

وروينا بالإسناد عن ابن المغازلي الشافعي يرفعه بإسناده عن أبي النضر الحضرمي ، قال : رأيت رجلاً سمج العمى ، فسألته عن سبب ذهاب بصره؟ فقال : كنت فيمن حضر عسكر عمر بن سعد ، فلما جاء الليل رقدت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وبين يديه طست فيها دم ، وريشة في الدم ، وهو يؤتى بأصحاب عمر بن سعد فيأخذ الريشة فيخط بها أعينهم ، وأتى بي ، فقلت : يا رسول الله : والله^(٣) ما ضربت بسيف ، ولا طعنت برمح ، ولا رميت بسهم . فقال : أفلم تكثر عدونا؟ فأدخل إصبغيه في الدم : السبابة والوسطى وأهوى بها إلى عيني ، فأصبحت وقد ذهب بصري^(٤) .

وكان قتل الحسين بن علي عليهما السلام في يوم عاشوراء وهو يوم الجمعة من المحرم سنة إحدى وستين ، وهو ابن ست وخمسين ، وكانت مدة ظهوره وانتصابه للأمر إلى قتله ﷺ شهراً واحداً ويومين ، ودفن جسده في كربلاء ، ورأسه في الشام ، وعليهما مشهدان مزوران^(٥) .

وترك بنو أمية رأسه ﷺ في خزائهم ، فأقام فيها إلى أيام سليمان بن عبد الملك ، فأمر بإخراجه وتكفينه وتعظيمه ، فرأى النبي ﷺ في منامه يبره

(١) في (أ) : العلا .

(٢) تهذيب التهذيب ابن حجر ٢ / ٣٢١ .

(٣) في (أ) : غير موجودة (والله) .

(٤) مناقب الإمام علي لابن المغازلي الشافعي ٣١٩-٣٢٠ .

(٥) البداية والنهاية ٨ / ٢١٦ ، وأسد الغابة ٢ / ٢٧ باب الحسين بن علي .

ويلاطفه ، فسأل الحسن «يعني البصري» فقال : لعلك فعلت إلى أهله معروفًا ، فأخبره بما كان منه^(١) .

وروينا عن عطية العوفي قال : خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري ، زائري قبر الحسين عليه السلام ، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ، ثم ائتزر بإزار ، ثم ارتدى بأخر ، ثم فتح صرةً فيها سَعْدٌ^(٢) فنثره على بدنه ، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى دنا من القبر ، قال : أَلْمَسْنِيهِ فَأَلْمَسْتَهُ فخرَّ مغشياً على القبر ، فرششت عليه شيئاً من الماء ، فلما أفاق قال : يَا حَسِينَ ، يَا حَسِينَ . يا حسين ، ثلاثاً ، ثم قال : حبيبٌ لا يجيب حبيبه ، ثم قال : أنى لك بالجواب؟ وقد شخبت أوداجك على أشباحك ، وفُرق بين بدنك ورأسك ، فأشهد أنك ابن خير النبيين ، وابن سيد الوصيين ، وابن حليف التقوى ، وسليل الهدى ، وخامس أصحاب الكساء ، وابن سيد النقباء ، وابن فاطمة سيدة النساء ، وما بالك ألا تكون هكذا؟ وقد غذتكَ كَف محمد سيد النبيين ، ورُبيت في حجور المتقين ، وأرضعت من ثدي الإيمان ، وقُطمت بالإسلام ، فطبت حياً وطبت ميتاً ، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك ، ولا شاكّة في الخير لك ، فعليك سلام الله ورضوانه ، فأشهد أنك مضيت على ماضى عليه يحيى بن زكريا .

قال عطية : ثم جال يبصره حول القبر ، ثم قال : السلام عليكم أيتها الأرواح الطيبة التي بفاء الحسين عليه السلام ، وأناخت برحله ، أشهد أنكم أقمت الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأمرتم بالمعروف ، ونهيتم عن المنكر ، وعبدتم الله حق عبادته حتى أتاكم اليقين . والذي بعث محمداً بالحق ﷺ والله لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه ، قال عطية : فقلت لجابر بن عبد الله : وكيف ولم تهبط وادياً ، ولم تعل جبلاً ، ولم تضرب بسيف؟ والقوم قد فُرق^(٣) بين رؤوسهم وأبدانهم ، فأوتمت

(١) البداية والنهاية ٨ / ٢٢٢ .

(٢) السعد : طيب . قاموس ، مادة : سعد ٣٦٨ .

(٣) في (أ) : بينهم وبين رؤوسهم .

الأولاد، وأرملت الأزواج، فقال لي: يا عطية، سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «من أحبَّ قومًا حُشِرَ معهم، ومن أحبَّ عمل قومٍ أشرك في عملهم»^(١) أحدرني نحو أبيات كوفان، قال: فلما صرنا في بعض الطريق، قال لي يا عطية: هل أوصيك وما أظنني بعد هذه السفرة الأقيك؟ أحبَّ محب آل محمد ﷺ ما أحبَّهم، وابغض مبغض آل محمد ﷺ ما أبغضهم، وإن كان صوامًا قوامًا.

وروينا عن هشام بن محمد قال: لما أجري الماء على قبر الحسين بن علي عليهما السلام، نضب بعد الأربعين يومًا وامتحنى أثر القبر، جاء أعرابي من بني أسد فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمه حتى وقع على قبر الحسين ﷺ فشمه ويكى، وقال: بأبي وأمي ما كان أطيبك وأطيب تربتك ميتًا! ثم أنشأ وجعل يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن عداوة فطيب تراب القبر دلَّ على القبر^(٢)

وكان إجراء الماء على قبر الحسين بن علي عليهما السلام أولًا في أيام بني أمية، ثم أجرى الماء عليه المتوكل العباسي، وكان السبب في ذلك على ما رواه أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين: أنه بعث إلى مغنية فعُرِّفَ أنها غائبة، وكانت قد زارت قبر الحسين ﷺ، وبلغها خبره، فأسرعت الرجوع وبعثت إليه بجارية من جواربها كان يألفها، فقال لها: أين كنتم؟ قالت: حجَّت مولاتي وأخرجتنا معها وكان ذلك في شعبان فقال: إلى أين حججتم في شعبان؟ فقالت: إلى قبر الحسين ﷺ، فاستطير غضبًا، وأمر بمولاتها فحبست واصطفى أملاكها، وبعث برجل من أصحابه كان يهوديًا يقال له: الديزج، فأسلمه إلى قبر الحسين فأمر بكرب قبره ومحوه وإخراجه كلما حوله فمضى لذلك وهدم البناء وكرب حوله نحوًا من مائتي جريب، فلما بلغ القبر لم يتقدم إليه، فأحضر قومًا من

(١) في (أ): أشرك معهم.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/٣١٧.

اليهود فكربوه، وأجروا الماء حوله، ووكل به مسالح بين كل مسلحتين ميل، لايوره زائر إلا أخذ، ووجه به إليه^(١).

قال الشيخ أبو الفرج: فحدثني محمد بن الحسين الأشناني، قال: بعد عهدي بالزيارة في تلك الأيام خوفاً، ثم عملت على المخاطرة بنفسي فيها، فساعدني رجل من العطارين على ذلك، فخرجنا زائرين نكمن النهار ونسير الليل، حتى أتينا نواحي الغاضرية^(٢)، وخرجنا منها نصف الليل فصرنا بين مسلحتين وقد ناموا حتى أتينا القبر فخفي علينا، فجعلنا نشمه ونحري جهته، حتى أتينا وقد قلع الصندوق الذي كان حوله وأحرق، وأجرى عليه الماء فانخسف موضع اللبن فصار كالحندق، فزرناه وأكببنا عليه، فشممت منه رائحة ما شممت مثلها لشيء من الطيب، فقلت للعطار الذي كان معي: أي رائحة هذه؟ فقال: ^(٣)والله ما شممت مثلها قط من الطيب، فودعناه، وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع، فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبين والشيعة حتى صرنا إلى القبر، فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه^(٤).

ثم لما قام داعي إلى الله محمد بن زيد الحسيني عليه السلام أمر بعمارة المشهدين: مشهد أمير المؤمنين عليه السلام، ومشهد الحسين عليهما السلام، وقيل: إنه أنفق في عمارتهما عشرين ألف درهم، وبلغ عضد الدولة الغاية في تعظيمهما وعمارتهما والأوقاف عليهما، وكان يزور كل سنة ولقد عير بني العباس، ونعى عليهم قبيح أفعالهم في تخريب قبر الحسين بن علي عليهما السلام مولاهم أبو الحسين

(١) مقاتل الطالبين ٥٩٨.

(٢) في (ج): الغضارية.

(٣) في (ج): لا والله ما شممت مثلها لشيء من الطيب.

(٤) المقاتل ص ٥٩٧.

علي بن العباس الرومي حيث يقول :

فلم يقنعوا حتى استثارت قبورهم كلابهم منها بهيم وديزج

وهي قصيدة طويلة يذكر فيها فضل أهل البيت ومثالب بني العباس ، ونحن نذكرها كاملة إنشاء الله تعالى في آخر هذا الكتاب ، ولسليمان بن قتيبة يرثي الحسين ابن علي عليهما السلام :

فإن قَتِيلَ الطِّفْلِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ أذَلَّ رِقَابًا مِنْ قَرِيشٍ فَذَلَّتْ
فإن تبعوه عائد البيت تصبحوا كعاد تعمت عن هداها فضلت
مررت على أبيات آل محمد فألفيتها أمثالها حيث حلت
وكانوا لنا غنمًا فأمسوا رزية^(١) لقد عظمت تلك الرزايا وجلت
فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت منهم برغمي تخلت
إذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها وتقتلنا قيس إذا النعل زلت
وعند غني قطرة من دمائنا سنجزئهم يومًا بها حيث حلت
ألم تر أن الأرض أضحت مريضة لفقد حسين والبلاد أقشعرت^(٢)

ولأبي الأسود الدؤلي :

أقول وزادني جزعًا وغيظًا أزال الله ملك بني زياد
وأبعدهم كما غدروا وخانوا كما بعدت ثمود وقوم عاد
ولا رجعت ركائبهم إليهم إذا قسقت إلى يوم التناد
وأنشد عوف بن عبدالله بن الأحمر قصيدة طويلة يُحرِّض فيها الشيعة على القيام على قتلة الحسين بن علي عليهما السلام ويرثيه فيها ، أولها :

صحوت وودعت الصبا والغوانيا وقلت لأصحابي : أجيئوا المناديا
وقولوا له إذ قام يدعو إلى الهدى وقتل العدا : لبيك لبيك داعيا

(١) الرزية : المصيبة والجمع ، المختار ص ٢٤٠ .

(٢) البداية والنهاية ٨ / ٢٣٠ ، سيرة أعلام النبلاء ٣ / ٣١٨ .

وقودوا إلى الأعداء كل طمرة^(١)
وسيروا إلى القوم المخلين حَسْبَةَ
ألسنا بأصحاب الخريبة والأولى
ونحن سمونا لابن هند بجحفل
فلما التقينا بين الضرب أينا
دلغنا فأفلينا صدورهم بها
وملنا رجالاً بالسيوف عليهم
فدذناهم من كل وجه وجانب
زويناهم حتى أزلنا صفوفهم
وحتى ظللت ما أرى من معقل
وحتى أعادوا بالمصاحف واتقوا
فدع ذكر ذا لا تياسن من ثوابه
ألا وانع خير الناس جداً ووالدأ
لَيْبِكَ حَسِينًا كل ما ذرَّ شارق
لَيْبِكَ حَسِينًا من رعى الدين والتقى
لَيْبِكَ حَسِينًا كل غان ويائس
لَيْبِكَ حَسِينًا مملق ذو خصاصة
لحا الله قوماً أشخصوه وغرروا
ولا موفياً بالوعد إذ حمس الوغى

عيوف وقودوا السابحات المذاكيا
وهزّوا الحراب نحوهم والعوالييا
قتلنا بها التيمي حران^(٢) باغيا
كركن دبا ترجى إليه الدواهييا
بصفين كان الأضرع المتفاديا
غداة إذ زرقاً ظمأء صواديا
نشق بها هاماتهم والتراقيا^(٣)
وحزناهم حوز الرعاء المتالييا
فلم نر إلا مستخفا وكايا^(٤)
وأصبحت القتلى جميعاً ورائيا
بها وقعات يختطفن المحاميا
وتب واعن للرحمن إن كنت عانيا
حسيناً لأهل الدين إن كنت ناعيا
وعند غسوق الليل من كان باكيا
وكان لتضعيف المشوبة راجيا
وأرملة لم تعدم الدهر لاحيا
عذيم وأيتام تشكى المواليا
فلم ير يوم البأس منهم محاميا
ولا زاجراً عنه المضلين ناهيا

(١)الظمر: هو المستفز للوثب والعدو، لسان العرب ٤/ ٥٠٣ .

(٢)حران: اسم بلد، المختار ١٣٣ .

(٣)هو العظم الذي بين ثغرة النحر والعائق، المختار ١١٧ .

(٤)الكابة: سوء الحال والانكسار من الحزن، القاموس ١٦٤ .

ولا قائلاً لا تقتلوه فتسحتوا
فلم يك إلا ناكثاً أو مقاتلاً
سوى عصابة لم يعظم القتل عندهم
وقوه بأيديهم وحر وجوههم
وأضحى حسين للرماح درية
قتيلاً كان لم يغن بالناس ليلة
فيا ليتني إذ ذاك كنت شهدته
ودافعت عنه ما استطعت مجاهداً
ولكن قعدت في معاشر بُطوا
فما تنسني الأيام من نكباتها
ويا ليتني غودرت فيمن أجابه
وباليتني أخطرت عنه بأسرتي
سقى الله قبراً ضمّن المجد والتقى
فتى حين سيم الخسف لم يقبل التي
ولكن مضى لم يملاً الموت نحره
ولو أن صديقاً تزيل وفاته
لزالت جبال الأرض من عظم فقده
وقد كسفت شمس الضحى لمصابه
فيا أمة تاهت وضلت عن الهدى
وتوبوا إلى التواب من سوء صنعكم
وكونوا شراً بالسيوف وبالقنا
وفتيان صدق دون آل نبيزم
وإخواننا الأولى إذا الليل جنهم

ومن يقتل الزاكين يلقي المخازيا
وذا فجرة يسعى عليه معاديا
يُشَبِّهها الراؤن أسداً ضواريا
وباعوا الذي يفنى بما كان باقيا
فغُودر مسلوباً لدى الطف ثاويا
جزى الله قوماً أسلموه الجوازيا
فضارت عنه الشانئين الأعاديا
وأعملت سيفي فيهم وسنايا
وكان قعودي ضلة من ضلاليا
فإني لن ألقى له الدهر ناسيا
وكنيت له من مفظع القتل فاديا
وأهلي وخالني جميعاً وماليا
بغريبة الطف الغمام الغواديا
تذل العزيز أو تجرُّ المخازيا
فبورك مهدياً شهيداً وهاديا
حصون البلاد والجبال الرواسيا
وأضحى له الحصن المخصص خاويا
وأضحت له الأفاق حمراً بواديا
أنيبوا فأرضوا الواحد المتعاليا
وإلا تتوبوا تلقوا الله عاتيا
تفوزوا وقدمًا فاز من كان شاريا
أصيبوا وهم كانوا الولاة الأدانيا
تلوا طوَّلَ الفرقان ثم المشانيسيا

أصابهم أهل الشنأة والعدى فحتى متى لانبعث الجيش غازيا
وحتى متى لا أعتلي بمهند قذال ابن وقاص وأدرك ثأريا
وإني زعيم إن تراخت منيتي بيوم لهم منّا يُشيب النواصيا

وذلك أيام التوابين من الشيعة على خذلان الحسين، وهم عشرة آلاف رجل تقدموا من البصرة والكوفة والمدائن حتى لقوا جنود بني أمية، وقتلوا منهم ألفاً كثيرة، وقتلوا رحمهم الله بعين الوردة. وجميع من أُحصي من القتلى بسبب الحسين بن علي عليهما السلام في الأيام الروائية إلى سبعين ألفاً مع التوابين والمختار وابن الأشعث.

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن العقيقي الحسيني رحمة الله عليه بإسناده عن ابن عباس قال: «أوحى الله إلى نبيه ﷺ فيما أوحى إليه إنني قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً، وأني أقتل بدم الحسين بن بنتك سبعين ألفاً وسبعين ألفاً».

وروى بإسناده أيضاً عن بعضهم: أنه سمع جنية تنوح على الحسين ﷺ وهي تقول:

أبكي ابن فاطمة الذي من موته شاب الشعر
ولقستله زلزلتم ولقتله كسف القممر

وكان أهل المدينة يسمعون نوح الجن على الحسين بن علي عليهما السلام حين أصيب، وجنية تقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهدي ومن يبكي على الشهداء بعدي
على رهط تقودهم المنايا إلى متجبر في ملك عبد
وكان من نوحهم عليه ﷺ:

مسح الرسول جبينه فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قري ش جدّه خير الجدود

زحفوا إليه بجمعهم
قتلوا تقيًا زاكيا
وأولئكم شرُّ الجنود
لا أسكنوا دار الخلود^(١)
ومن ذلك قول بعضهم :

ستبكيك نساء الجن
ويخمشن وجوها كالد
يبكين شجيات
نانير نقيات
د بعد العصيات

وللكميت بن زيد من قصيدة، ذكر فيها الحسين عليه السلام فقال :

ومن أعظم الأحداث كانت مصيبة
قتيلٌ بجنب الطف من آل هاشم
علينا قتيل الأدياء الملحّب^(٢)
فيالك لحمٌ ليس عنه مُذِيبٌ
ألا حبّذا ذاك الجبين المترّب^(٣)
صريعٌ كأن الوكّه النكدَ حوله
يُطفن به شَمَّ العرانيين^(٤) ريرب^(٥)

وله من أخرى وذكر فيها الحسين بن علي عليهما السلام وأهله فقال :

وشجو لنفسي لم أنسه
كأن خدودهم الواضحا
بمركة الطف فالجنب
ت بين المجر إلى المسحب
ن^(٦) مما تخيرون من يشرب
صفائح بيض جلتها القيو

وله قصائد الهاشميات خمسمائة وبضعة وسبعون بيتًا يذكر فيها الحسين عليه السلام، وقتله، ولم يجسر أحد من شعراء الشيعة يرثيه خيفة من بني أمية

(١) سير أعلام النبلاء ٣/٣١٧، والمعجم الكبير للطبراني ٣/١٢٢ رقم الحديث ٢٨٦٦.

(٢) المقطع. لسان العرب ١/٧٣٦.

(٣) عرنين الأنف: تحت مجتمع الحاجبين وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشمم يقال هم شم العرانيين، لسان العرب ١٣/٢٨٢.

(٤) القصائد الهاشميات ص ٤٢.

(٥) القيون: جمع قين وهو الحداد الصانع، لسان العرب ١٣/٣٥٠.

إلا الكميت، وأبو ذهيل وهب الجمحي، وكثير بن كثير السهمي، ولأبي طالب محمد بن عبدالله الجعفري :

لي نفس تحب في الله والله
يا ابن أكلة الكبود لقد ان
أي هول ركبت عذبك الرح
لهف نفسي على يزيد وأشيا
يا أبا عبدالله يا بن رسوب ال
ليتني كنت يوم كنت فأمسي
ولنصور بن سلمة بن الزبرقان النمري :

شَاء من الناس راتع هامل
تقتل ذرية النبي وير
ويلك يا قاتل الحسين لقد
أي حياءً حبوت أحمد في
بأي وجه تلقى النبي وقد
تعال فاطلب غداً شفاعته
ما الشك عندي في حال قاتله
نفسي فداء الحسين حين غدا
ذلك يوم أنحى بشفرته
يا عساذلي إنني أحب بني أح
كم ميّت منهمو بغصته
يعللون الناس بالباطل
جون دخول الجنان للقاتل
بوت^(١) بحمل يميل بالحامل
خفرتة من حرارة الشاكل
دخلت في قتله مع القاتل
أولا قرد حوضه مع الناهل
ولا أراني أشك في الخاذل
إلى المنايا غدو لا قافل
على سنام الإسلام والكاهل
مدفالترب في فم العاذل
مغترب القبر بالعرا نازل

(١) في الأصل : قمت ، والمعنى الصحيح ما ذكرناه .

(٢) الحياء : العطاء . المختار ص ١٢١ .

ما انتحبت حوله قرابته
 أذكر منهم ومن أصابهم
 مظلومة والنبي والدها
 ألا مصاليت يغضبون لها
 قد ذقت ما أتم عليه فما
 من دينكم جفوة النبي وما الـ
 وقال الشريف الرضي محمد بن الحسين الحسيني عليه السلام :

ولقد حبست على الديار عصابة
 حسرى تجاذب^(١) بالبكاء عيونها
 وقفوا بها حتى كأن مطيهم
 هل تطلبون من النواظر بعدكم
 شغل العيون عن البكاء بكاؤنا
 أتري درت أن الحسين طريدة
 كانت مآتم بالعراق تعدها
 ما راقبت غضب النبي وقد غدا
 جعلت رسول الله من خصمائها
 نسل النبي على صعاب مطيها
 والهفتاه لعصبة علوية
 مضمومة الأيدي إلى أكبادها
 وتعط^(٢) بالزفرات من أبرادها
 كسانت قوائمه من أوتادها
 شيئاً سوى عبراتها وسهادها
 لبكاء فاطمة على أولادها
 لقنا بني الطرداء عند ولادها
 أموية بالشام من أعيادها
 زرع النبي مظنة لخصمها
 فلبئس ما ذخرت ليوم معادها
 ودم النبي على رأس صعادها
 تبعت أمية بعد عز قيادها

(١) في (أ) : جادت .

(٢) أي تشق . تاج العروس ٣٣٨/١٠ .

جعلت عران^(١) الذل في آنافها
 استأثرت بالأمر من غيَابها
 طلبت تراث الجاهلية عندها
 زعمت بأن الدين سوَّغ قتلها
 الله سابقكم إلى أرواحها
 أخذتُ بأطراف الفخار فعاذرُ
 تروي مناقب فضلها أعداؤها
 قف بي ولو كوثُ الإزار وإنما
 القفر من أوراقها والطير من
 يا عترة الله اغضبي لنبيه
 بالطف حيث غدا مُراق دمائها
 هذا المقال وما بلغت وإنما
 أقول جادكم الربيع وأنتمُ
 أغنى ضياء الشمس عن أوصافها
 وعلاط^(٢) وَسَمِ الضيم في أجيادها^(٣)
 وقضت بما شاءت على شهادها
 وشفت قديم الغل من أحقادها
 أوليس هذا الدين عن أجدادها
 وكسبتم الآثام في أجسادها
 أن يصبح الثقلان من حُسادها
 أبداً وتسنده إلى أضدادها
 هي مهجة علق الهوى^(٤) بفؤادها
 طرأها والوحش من عوادها
 وتزحزحي بالبيض عن أغمادها
 ومناخ أينقها ليوم جلادها
 هي حلبة خلعوا عذار جوادها
 في كل منزلة ربيع بلادها
 بضيائها وحلالها وبعادها



(١) عود يجعل في أنف البعير .

(٢) جبل يجعل في عنق البعير .

(٣) من هنا سقط في المخطوطة (أ) .

(٤) في نسخة : الجوى .

الحسنُ بن الحسن الرضى عليه السلام^(١)

هو أبو محمد الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وأمه : خولة بنت منظور بن سيّار الفزاري ، وكان عبدالله بن الزبير عقد للحسن عليه السلام بأمه خولة دون استثمار منظور بن سيّار^(٢) ؛ لأنه كان أعرابياً جافياً ما كمل إسلامه ؛ لأنه نكح امرأة أبيه في الإسلام فهمّ عمر بضرب عنقه ، فأقسم ما علم بتحريم ذلك في دين الإسلام ؛ فدرأ عنه عمر الحد من القتل ، ولما أنكحها ابن الزبير نادى منظور فركز رايته بين فزارة فلم يبق قيسي إلا دخل تحتها ، وقال : أمثلي يفتأت^(٣) عليه في ابنته ؟ فردها له الحسن عليه السلام وسار بها ، فقالت له ابنته : ويلك : الحسن بن علي عليهما السلام ، وابن رسول الله صلى الله عليه وآله ، مثله يُرد؟ فندم ووقف وقال : إن كان له رغبة فهو يلحقنا ، فلحقه عليه السلام وردها ، وأوكدت له الحسن عليه السلام^(٤) .

وكان عليه السلام مشهوراً فضله ، ظاهراً نبهه ، يحكي في أفعاله مناسبه العالية ، وكانت له مواقف عظيمة بين يدي عمه الحسين بن علي عليهما السلام في كربلاء ، وكان فارساً وله يومئذ عشرون سنة ، وقُتِلَ تسعة عشر من جنود الضلال ، وأصابته ثمانني عشرة جراحة حتى ارتث ووقع في وسط القتلى ، فحمله خاله أسامة بن خارجة الفزاري ورده إلى الكوفة وداوى جراحه وبقي عنده ثلاثة أشهر

-
- (١) انظر طبقات ابن سعد ٣١٩/٥ ، وسير أعلام النبلاء ٤٨٣/٤ ، نسب قريش لمصعب ٤٦ ، وتاريخ البخاري ٢٨٩/٢ ، والمعارف ٢١٢ ، والأعلام ١٨٧/٢ ، والجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الأول ٥ ، وتهذيب ابن عساكر ١٦٥/٤ ، وتاريخ الإسلام ٣٥٦/٣ ، والعبر ١٩٦/١ ، والبداية والنهاية ١٧٠/٩ ، والتحف شرح الزلف ٦٢ .
- (٢) الخبير أورده ابن عساكر في تاريخه ١٦٦/٤ نقلاً عن خليفة ابن خياط .
- (٢) فتأت برأيه : استبد . القاموس ص ٢٠٠ .
- (٤) أنظر المصابيح ٣٨٣ .

حتى عوفي وسلم وانصرف إلى المدينة^(١).

وكان السبب في قيامه وبيعته أن عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي، ولأه الحجاج سجستان، فسار إليه في جيش عظيم حتى اجتمع له ثلاثون ألفاً، فخلع عبدالملك والحجاج، وهم أن يدعو لنفسه، فقال له من معه من علماء الكوفة والبصرة: هذا أمر لا يلتئم إلا برجل من قريش، فراسلوا علي ابن الحسين زين العابدين، والحسن بن الحسن، فأما علي بن الحسين فامتنع، وأما الحسن بن الحسن فقال: ما بي رغبة عن القيام بأمر الله، ولا زهد في إحياء دين الله، ولكن لا وفاء لكم تبايعوني ثم تخذلوني، فلم يزالوا به حتى أجابهم، وورد عليه كتاب عبدالرحمن بن محمد بن [الأشعث والذين معه بالبيعة وأيمانهم المغلظة، وأنهم لا يخالفونه، فبايعهم، وخرج إليه منهم عبدالرحمن] ^(٢) بن أبي ليلى، وأبو البحتري الطائي، والشعبي، وأبو وائل وشقيق، وعاصم بن ضمرة السلولي، ومن أهل البصرة محمد بن سيرين، وعبدالله بن الشخير، والحسن البصري، وحاتمة بن مضرب، وحرش ^(٣) بن قدامة، ولقبوا الحسن بن الحسن بالرضي^(٤).

وفي بيعته ﷺ يقول بعضهم :

أبلغ أبا ذبَّانَ مخلوع الرِّسَن^(٥) أن قد مضت بيعتنا لابن الحسن

إبن الرسول المصطفى والمؤمن من خير فتیان قريش ويمن

والحجة القائم في هذا الزمن^(٦)

(١) المصاييح ٣٧٩ .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في (ب) .

(٣) من هنا انتهى السقط في (أ) .

(٤) المصاييح ٣٨٠ .

(٥) الرسن : ما كان من الأزمة على الأنف . لسان العرب ١٣/١٠٨ .

(٦) المصاييح ٣٨٢ .

ثم خرج عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث حتى وافى فارس ، وجمع الناس من العرب والعجم والموالي حتى اجتمع إليه مائة ألف ، ووافى البصرة ، واستقبله الحجاج بن يوسف ، واشتد القتال بينهم ثلاث سنين ، حتى كان بينهم سبعون وقعة أو خمس وسبعون ، كل ذلك على الحجاج سوى وقعتين ، وقتل بينهما خلق كثير ، وتقوى أمر ابن الأشعث ، ودخل الكوفة فاجتمع إليه حمزة بن المغيرة بن شعبة ، وقدامة الضبي وابن مصقلة الشيباني في جماعة الفقهاء والقرآء ، فقالوا له : أظهر اسم الرجل ، فقد بايعناه ورضينا به إماماً ورضى ، فلما كان يوم الجمعة خطب له عليه السلام ، حتى إذا كان يوم الجمعة الثانية أسقط اسمه من الخطبة^(١) . قال : وقدم الحجاج بن يوسف ، وكانت حرب الجماجم الملحمة الكبرى التي انهزم فيها ابن الأشعث ، ومضى في جماعة أصحابه فثبت عبدالله بن العباس ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب ، وكان على خيل ابن الأشعث داعية للحسن ابن الحسن عليهما السلام ، وهو حديث السن فقاتل الحجاج حتى هُزم ، ولحق بابن الأشعث بفارس ، ثم مضيا جميعاً إلى سجستان ، وتوارى الحسن بن الحسن عليهما السلام بأرض الحجاز وتهامة ، حتى مات عبد الملك بن مروان^(٢) .

وروى السيد أبو الحسين * يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين ابن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في كتاب نسب آل أبي طالب ، بإسناده عن الفضل بن مروان ، قال : سمعت الحسن بن الحسن يقول لرجل يغلو فيه : ويحكم أحبونا ؛ فإن أطعنا الله فأحبونا ، وإن عصينا الله فأبغضونا ، فإن الله لو كان نافعاً أحداً بقرابته من رسول الله ﷺ بغير طاعة

(١) انظر المصايح ٣٨١ .

(٢) المصايح ٣٨٢ .

❖ ولد سنة ٢١٤ هـ ، أول من صنف في أنساب الطالبين ، وله أخبار مكة والمسائل إلى القاسم بن إبراهيم ، توفي ٢٧٧ هـ . ينظر الأعلام ١٤١/٨

لنفع بذلك أباه وأمه ، فقولوا فينا الحق فإنه أبلغ فيما تريدون ، ونحن نرضى به منكم .

وكان عليه السلام يلي صدقات رسول الله ﷺ ، وأوقاف أمير المؤمنين عليه السلام ،

فلما مات وليها ابنه عبدالله بن الحسن حتى حازها أبو جعفر المنصور لما حبسه .

وروى السيد رحمه الله أن الحجاج بن يوسف قال له يوماً ، وهو يسايره في موكبه بالمدينة - وحجاج يومئذ أميرها : أدخل عمك عمر بن علي معك في صدقة علي ، فإنه عمك وبقية أهلك ، قال : لا أغير شرط علي ، ولا أدخل فيها من لم يدخل ، قال : إذا أدخله معك ، فنكص عنه الحسن حين غفل الحجاج ، ثم كان وجهه إلى عبدالملك حتى قدم عليه فوقف ببابه يطلب الإذن ، فمر به يحيى بن الحكم ، فلما رآه عدل إليه وسلم عليه ، وسأل عن مقدمه فأخبره ، فقال له يحيى : إنني سأنفعك عند عبدالملك ، فدخل الحسن بن الحسن عليه السلام على عبدالملك فرحب به وأحسن مسألته ، وكان الحسن قد أسرع إليه الشيب ، فقال له عبدالملك : لقد أسرع إليك الشيب ، فقال له يحيى : وما يمنعه يا أمير المؤمنين شيبه أمانني أهل العراق ، كل عام يقدم عليه منه ركب يمنونه الخلافة ، فأقبل عليه الحسن بن الحسن عليه السلام : بئس والله الرفد رفدت ، وليس كما ذكرت ، ولكننا أهل بيت يسرع إلينا الشيب - وعبدالملك يسمع ، فأقبل إليه عبدالملك فقال : هلم ما قدمت له ، فأخبره بقول الحجاج ، فقال : ليس له ذلك ، اكتب إليه كتاباً لا يجاوزه . ووصله وكتب له ^(١) .

فلما خرج من عنده لقي يحيى بن الحكم وعاتبه على سوء محضره ، وقال : ما هذا الذي وعدتني ؟ ، فقال له يحيى : إبهأ عنك والله لا يزال يهابك ، ولولا هييته إياك ما قضى لك حاجة ، وما ألوتك رفاً أي : ما قصرت في معاونتك ^(٢) .

(١) المصاييح ٣٨٤ .

(٢) المصاييح ٣٨٤ .

ذكر وفاته عليه السلام ومبلغ عمره وموضع قبره

لما ولي الوليد بن عبد الملك اشتد طلبه للحسن بن الحسن عليهما السلام حتى دس إليه من سقاء السم فمات وحُمِلَ إلى المدينة ميتاً على أعناق الرجال، وتوفي وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وقيل: سبع وثلاثين، ودفن عليه السلام بالبقيع. وفي الرواية أن امرأته فاطمة بنت الحسين عليهم السلام ضربت فسطاطاً على قبره، وأقامت سنة، وكانت تقوم الليل، وتصوم النهار، وكانت تُشَبِّه بالخور العين من جمالها، فلما كان رأس السنة قوَّضت الفسطاط وقالت لمواليها: اذهبوا حتى يظلم الليل قليلاً، فلما أظلم سمعت صوتاً بالبقيع: هل وجدوا ما فقدوا؟^(١)، فأجابه آخر: بل يئسوا فانقلبوا^(٢).

روى ذلك السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني، وفي رواية أخرى: أنها لما قوَّضت الفسطاط تمثلت بقول الشاعر:
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن ييك حولاً كاملاً فقد اعتذر

ذكر أولاده عليهم السلام

محمد، وبه كان يُكْتَبَى، وأمه: رملة بنت سعيد بن عمرو بن نفيل، وعبدالله، وإبراهيم، وحسن، وزينب، وأم كلثوم، وهؤلاء أهمهم: فاطمة بنت الحسين بن علي أبي طالب عليهم السلام، وفي الرواية أن الحسن بن الحسن لما خطب إلى عمه الحسين، وسأله أن يزوجه إحدى ابنتيه، فقال له الحسين: اختر أحبهما إليك؟ فاستحى من عمه الحسين عليه السلام ولم يُحر جواباً، فقال له الحسين عليه السلام: قد اخترت لك ابنتي فاطمة، فهي أكثرهما شبيهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله ﷺ فزوجها إياها^(٣).

(١) في (ج): ما طلبوا.

(٢) المصاييح ٣٨٢.

(٣) المصاييح ٣٨٢.

وكان يقال : إنَّ امرأةً سَكِينَةَ من ذولتها^(١) لَمَنْقَطَعَةَ الحَسَنِ ، ذَكَرَ ذَلِكَ السَّيِّدُ أَبُو الحَسَنِ يَحْيَى بنَ الحَسَنِ الحَسِينِيِّ ، وَرَوَى بِإِسْنَادِهِ قَالَ : جَاءَ [مَنْظُورُ بنِ رِيَّانِ ابْنِ سِيَّارٍ ، وَيُقَالُ : أَبُو مَنْظُورٍ]^(٢) إِلَى الحَسَنِ بنِ الحَسَنِ ، فَقَالَ : لَعَلَّكَ أَحَدُتْ أَهْلًا ؟ قَالَ : نَعَمْ . تَزَوَّجْتَ بِنْتَ عَمِّي الحَسَنِ بنِ عَلِيِّ ، فَقَالَ : بِئْسَ مَا صَنَعْتَ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الأَرْحَامَ إِذَا التَّقَّتْ أَضُوتُ ؟ كَانَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ فِي العَرَبِ ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ رَزَقَنِي مِنْهَا وَلَدًا ، قَالَ : فَأَرْنِيهِ ؟ قَالَ : فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ عَبْدَ اللَّهِ بنَ الحَسَنِ ، فَسَرَّبَهُ وَفَرَّحَ ، وَقَالَ : أَنْجَبْتَ وَاللَّهِ ! هَذَا اللَّيْثُ عَادِيٌّ وَمَعْدُوٌّ عَلَيْهِ ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ رَزَقَنِي مِنْهَا وَلَدًا آخَرَ ، قَالَ : فَأَرْنِيهِ ؟ فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ الحَسَنَ بنَ الحَسَنِ ، فَسَرَّبَهُ وَقَالَ : أَنْجَبْتَ وَاللَّهِ وَهُوَ دُونَ الأَوَّلِ ، قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ رَزَقَنِي مِنْهَا ثَلَاثًا ، قَالَ : فَأَرْنِيهِ ؟ فَأَرَاهُ إِبرَاهِيمَ بنَ الحَسَنِ بنِ الحَسَنِ ، فَقَالَ لَا تَعُدْ إِلَيْهَا بَعْدَ هَذَا .

وَمِنْ أَوْلَادِهِ عليه السلام : جَعْفَرٌ ، وَدَاوُدُ ، وَفَاطِمَةُ ، وَمَلِيكَةُ ، وَأُمُّ القَاسِمِ ، أَمَّهُم : أُمُّ وَلَدٍ .

مركز تحقيق التراث
بمكتبة جامعة الإمام
محمد بن سعود

(١) في العبارة غموض وقد جاء في أعيان الشيعة ٥ / ٤٤ (يقولون : إن امرأة سَكِينَةَ مردودتها لَمَنْقَطَعَةَ القرين في الجمال . . .) والرواية الثانية بسنده (وكان يقال : إن امرأة تختار على سَكِينَةَ لَمَنْقَطَعَةَ القرين في الحسن) .
(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في (١) .

الإمام زيد بن علي عليهما السلام^(١)

هو: زيد بن علي سيد العابدين بن الحسين الشهيد سيد شباب أهل الجنة بن سيد العرب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، ودون نسبه فلق الصباح الأنور، بل شعاع الشمس والقمر، أبأوه سادة كلهم بنص الرسول ﷺ .

أما أبوه: علي بن الحسين عليهما السلام، فروينا فيه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيد العابدين، فيقوم علي بن الحسين»^(٢).

وأما جده الحسين فهو سيد شباب أهل الجنة، كما ورد به الأثر عن سيد البشر ﷺ .

وأما علي بن أبي طالب ﷺ، فهو سيد العرب؛ لما روينا عن النبي ﷺ أن رجلاً قال له: يا سيد العرب، فقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب»^(٣). وهذا هو النسب العالي، والجوهر الفائق الغالي، ول بعضهم:

أمل أن يعطيني ربي أقصى أملي بحب زيد بن علي بن الحسين بن علي
وأمه: أم ولد اسمها: (جيدا)، سراها المختار بن أبي عبيد بثلاثين ألف

(١) الإفادة ٤٥، ومقاتل الطالبين ١٢٧، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٥٧٢/٤، وطبقات ابن سعد ٢٢٩/٥، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٥١/١، وتاريخ الطبري ٤٨١/٥، والبداية والنهاية ٣٢٩/٩، مروج الذهب ١٢٩/٢، والامام زيد لأبي زهرة، والأعلام ٥٩/٣، وتاريخ الكوفة ٣٢٧، والجرح والتعديل ٥٦٨/٣، وتاريخ الإسلام ٧٤/٥، وشذرات الذهب ١٥٨/١، وطبقات الزيدية (خ)، والشافعي ١٨٨/١، وكتاب الفتوح ١١٠/٨.

(٢) أخرجه في شمس الأخبار ١١٨/١.

(٣) الحاكم ١٢٤/٣، والطبراني في الأوسط ١٢٧/٢ رقم ١٤٦٨، وكنز العمال ١٤٣/١٣ رقم ٣٦٤٤٨ بأكثر من رواية.

درهم، فقال: ما أرى أحداً أحق بك من علي بن الحسين عليهما السلام، فبعث بها إليه، فلما وصلت إليه عرضها على بعض ولده، وكان إذا ترعرع أحد منهم شرى لهم الجوارى، فلما أحسّت بذلك قالت: أريد الشيخ، فاستخلصها عليه السلام لنفسه. وفي الرواية عنه عليه السلام أنه أصبح ذات يوم فقال لأصحابه: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في ليلتي هذه فأخذ بيدي فأدخلني الجنة فزوجني حوراء فواقعتهما فعلقت، فصاح بي رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي: سَمِّ المولود منها زيدا، فما قمنا حتى أرسل المختار بأم زيد شراؤها ثلاثون ألفاً.

وروي أن علي بن الحسين عليهما السلام كان إذا صلى الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس، فجاءوه يوم ولد زيد، فبُشِّرَ به بعد صلاة الفجر، قال: فالتفت إلى أصحابه، فقال: أي شيء ترون أن أسمى هذا المولود؟ قال: فقال كلُّ منهم: سَمِّه كذا، سمه كذا، فقال: يا غلام عليّ بالمصحف، قال: فجاءوا بالمصحف فوضعه في حجره، ثم فتحه فنظر إلى أول حرف في الورقة، فإذا فيه ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]، ثم أطبقه، ثم فتحه ثانية فنظر في أول الورقة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] قال: هو والله زيدٌ فسُمِّيَ: زيدا... وكانت ولادته عليه السلام سنة خمس وسبعين.

صفته عليه السلام :

قال السيد أبو طالب^(١): كان عليه السلام أبيض اللون، أعين، مقرون الحاجبين، تام الخلق، طويل القامة، كث اللحية، عريض الصدر، أفنى الأنف، أسود الرأس واللحية، إلا أن الشيب خالطه في عارضيه.

(١) الإفادة ٤٥.

وكان يُشبهه بأمر المؤمنين ﷺ في الفصاحة والبلاغة والبراعة، ويعرف في المدينة بحليف القرآن. قال خالد بن صفوان: انتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة من بني هاشم إلى زيد بن علي عليهما السلام، لقد شهدته عند هشام بن عبد الملك وهو يخاطبه، وقد تضايق به مجلسه.

وروينا عن بعض أصحاب زيد بن علي قال: كنت إذا رأيت زيد بن علي رأيت أسارير النور في وجهه، ووصفه بعضهم فقال: كان وسيماً جميلاً أديباً، وكان قد أثر السجود في جبينه.

ذكر طرف من مناقبه وأحواله ﷺ

نشأ ﷺ على العلم والعبادة والفضل والزهادة، وكان يعرف بالمدينة بحليف القرآن، وكان يسمع الشيء من ذكر الله فيغشى عليه.

وقد وردت فيه آثار كثيرة عن الرسول ﷺ، فمن ذلك ما رويناه بالإسناد الموثوق به إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: لما أخبرني رسول الله ﷺ بقتل الحسين بن علي وصلب ابنه زيد بن علي عليهم السلام، قلت: يا رسول الله، أترضى أن يقتل ولدك؟ قال: يا علي أرضى بحكم الله فيّ وفي ولدي، ولي دعوتان: أما دعوة فاليوم، وأما الثانية فإذا عرضوا على الله عز وجل وعرضت عليّ أعمالهم، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: يا علي أمنّ على دعائي: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بدداً، وسلط بعضهم على بعض، وامنعهم الشرب من حوضي ومرافقتي، قال: فأتاني جبريل ﷺ وأنا أدعو عليهم وأنت تؤمن، فقال: «قد أجيبت دعوتكما».

وبالإسناد إلى يحيى بن ميمون يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «يصلب رجل من أهل بيتي بالكوفة عريان، لا ينظر أحدٌ إلى عورته متعمداً إلا أعماه الله عز وجل يوم القيامة»^(١).

(١) بلفظ مقارب في مسند شمس الأخبار ١/١١٨، ومقاتل الطالبين ١٣٠.

وبالإسناد إلى أبي ذر الغفاري قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو يبكي فبكيت لبكائه، فقلت: فذاك أبي وأمي قد قطعت أنياط قلبي ببكائك، قال: لا قطع الله أنياط قلبك، يا أبا ذر، إن ابني الحسين يولد له ابن يُسمى عليًا، أخبرني حبيبي جبريل عليه السلام أنه يعرف في السماء بأنه سيد العابدين، وأنه يولد له ابن يُقال له: زيد، وأن شيعة زيد هم فرسان الله في الأرض، وأن فرسان الله في السماء هم الملائكة، وأن الخلق يوم القيامة يحاسبون، وأن شيعة زيد في أرض بيضاء كالفضة أو كلون الفضة يأكلون ويشربون ويتمتعون، ويقول بعضهم لبعض: امضوا إلى مولاكم أمير المؤمنين حتى ننظر إليه كيف يسقي شيعته، قال: فيركبون على نجائب من الياقوت والزبرجد مكللة بالجواهر، أزمتها اللؤلؤ الرطب، رحالها من السندس والإستبرق، قال: فبينما هم يركبون إذ يقول بعضهم لبعض: والله إنا لنرى أقوامًا ما كانوا معنا في المعركة، قال: فيسمع زيد عليه السلام فيقول: والله لقد شارككم هؤلاء في ما كنتم من الدنيا، كما شارك أقوام أتوا من بعد وقعة صفين، وإنهم لإخوانكم اليوم وشركاؤكم.

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى النبي ﷺ أنه قال: «خير الأولين والآخريين المقتول في الله، المصلوب في أمتي (المظلوم من أهل بيتي سمي هذا، ثم ضم زيد بن حارثة إليه، ثم قال: يا زيد لقد زادك اسمك عندي حبًا، سمي الحبيب من أهل بيتي)»^(١).

وروينا عنه عليه السلام أنه قال: «يقتل رجل من ولدي يدعى: زيد بموضع يعرف بالكناسة، يدعو إلى الحق يتبعه كل مؤمن»^(٢).

(١) رواه ابن عساکر ج ١٩ ص ٤٥٨، وشمس الأخبار ١/ ١١٩، وروى معناه في مقاتل الطالبين ١٣١، وكنز العمال ١٣/ ٣٩٧ رقم ٣٧٠٦٨.

(٢) شمس الأخبار ١/ ١٢٠، ومقاتل الطالبين ١٣١.

وروينا عن حية العرنبي قال : كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام أنا والأصبغ بن نباتة في الكناسة في موضع الجزارين والمسجد والحناطين ، وهي يومئذ صحراء فما زال يلتفت إلى ذلك الموضع ، ويبكي بكاءً شديداً ، ويقول : بأبي وأمي ، فقال الأصبغ : يا أمير المؤمنين لقد بكيتَ والتفتتَ حتى بكت قلوبنا وأعيننا ، والتفت فلم أر أحداً ، قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله : «أنه يولد لي مولودٌ ، ما ولد أبوه بعد يلقي الله غضباناً وراضياً له على الحق حقاً على دين جبريل وميكائيل ومحمد صلى الله عليهم ، وأنه يُمثل به في هذا الموضع مثلاً ما مثل بأحد قبله ، ولا يمثل بأحد بعده صلوات الله على روحه ، وعلى الأرواح التي تتوفى معه»^(١).

وروينا عن ابن عباس قال : بينما علي عليه السلام بين أصحابه ، إذ بكى بكاءً شديداً حتى لثقت^(٢) لحيته ، فقال له الحسن عليه السلام : يا أبت ما لك تبكي ؟ قال : يا بني لأمر خفيت عنك أنبأني بها رسول الله صلى الله عليه وآله ، قال : وما أنبأك به رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : يا بني لولا أنك سألتني ما أخبرتك ؛ لثلاث تحزن ويطول همك ، أنبأني رسول الله صلى الله عليه وآله فذكر حديثاً طويلاً قال فيه : يا علي كيف أنت إذا وليها الأحول الذميم ، الكافر اللثيم ، فيخرج عليه خير أهل الأرض من طولها والعرض ، قلت : يا رسول الله من هو ؟ قال : يا علي رجل أيده الله بالإيمان ، وألبسه الله قميص البر والإحسان ، فيخرج في عصابة يدعون إلى الرحمن ، أعوانه من خير أعوان ، فيقتله الأحول ذو الشنتآن ، ثم يصلبه على جذع رمان ، ثم يحرقه بالنيران ، ثم يضربه بالعسبان حتى يكون رماداً كرماد النيران ، ثم تصير إلى الله عز وجل روحه وأوراح شيعته إلى الجنان^(٣).

(١) مستند شمس الأخبار ١٢٠ .

(٢) معناها اللثق : التكل ، اللسان ٣٢٦/١٠ .

(٣) مستند شمس الأخبار ١/١٢٠ .

وروينا بالإسناد إلى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم السلام : أن علياً أمير المؤمنين صلوات الله عليه خطب خطبةً على منبر الكوفة ، فذكر أشياء وفتنا حتى ذكر أنه قال : ثم يملك هشام تسعة عشر سنة ، وتواريه أرض رصافة رصفت عليه النار ، مالي ولهشام جبار عنيد ، قاتل ولدي الطيب المطيب ، لا تأخذه رافة ولا رحمة ، يصلب ولدي بالكناسة من الكوفة ، زيد في الذروة الكبرى من الدرجات العلى ، فإن يُقتل زيد فعلى سنة أبيه .

ثم الوليد فرعونٌ خبيثٌ شقيٌ غير سعيد ، ياله من مخلوع قتييل ، فاسقها وليد ، وكافرها يزيد ، وطاغوتها أزيق ، متقدمها ابن آكلة الأكباد ، ذرٌّ يأكل ويتمتع ويلهه الأمل ، فسوف يعلم غداً من الكذاب الأشر .

وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : يخرج مني بظهر الكوفة رجل يقال له : زيد في أبهة سلطان ، والأبهة : الملك ، لم يسبقه الأولون ، ولا يدركه الآخرون إلا من عمل بمثل ما عمله ، يخرج يوم القيامة هو وأصحابه معهم الطوامير^(١) ، ثم يخطوا أعناق الخلائق قال : فتلقاهم الملائكة فيقولون : هؤلاء خلف الخلف ، ودعاة الحق ، ويستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول : قد عملتم بما أمرتم ، ادخلوا الجنة بغير حساب^(٢) .

وروينا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : الشهيد من ذريتي والقائم بالحق من ولدي المصلوب بكناسة كوفان ، إمام المجاهدين ، وقائد الغر المحجلين ، يأتي يوم القيامة هو وأصحابه تتلقاهم الملائكة المقربون ، ينادونهم : ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون .

وروينا عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أريت في منامي رجلاً من أهل بيتي دعا إلى الله وعمل صالحاً ، غير المنكر وأنكر الجور ،

(١) الطوامير : الصحائف . القاموس ٥٥٤ .

(٢) مقاتل الطالبين ١٣١ ، ومسنند شمس الأخبار ١٢١/٢ .

فقتل فعلى قاتله لعنة الله «وفي خبر آخر: «فعلى صالبه لعنة الله»^(١).

وروينا عن أبي غسان الأزدي قال : قدم علينا زيد بن علي إلى الشام أيام هشام بن عبد الملك ، فما رأيت رجلاً كان أعلم بكتاب الله منه ، ولقد حبسه هشام خمسة أشهر يقص علينا ونحن معه في الحبس بتفسير الحمد وسورة البقرة يهذو ذلك هذا ، وذكر الكتاب قال فيه : واعلموا رحمكم الله أن القرآن والعمل به يهدي للتي هي أقوم ؛ لأن الله شرفه وكرمه ورفعته وعظمته وسماءه : روحاً ، ورحمةً ، وهدىً ، وشفاءً ، ونوراً ، وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين ، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين ، وجعله متلواً لا يُمل ، ومسموعاً لا تمجه الأذان ، وغضاً لا يخلق عن كثرة الرد ، وعجيباً لا تنقضي عجائبه ، ومفيداً لا تنفد فوائده ، والقرآن على أربعة أوجه : حلال وحرام لا يسع الناس جهالته ، وتفسير يعلمه العلماء ، وعربية يعرفها العرب ، وتأويل لا يعلمه إلا الله ، وهو ما يكون مما لم يكن .

واعلموا رحمكم الله أن للقرآن : ظهراً ، وبطناً ، وهدىً ، ومطلعاً ، فظهره : تنزيله ، وبطنه : تأويله ، وحده : فرائضه وأحكامه ، ومطلعه : ثوابه وعقابه .
وروينا بالإسناد الموثوق به أيضاً أن زيد بن علي عليهما السلام سأل محمد ابن علي الباقر عليهما السلام كتاباً كان لأبيه قال : فقال له محمد بن علي : نعم ، ثم نسسي فلم يبعث به إليه فمكث سنة ثم ذكر ، فلقي زيدا فقال : أي أخي ألم تسأل كتاب أبيك ؟ قال : بلى ، قال : والله ما منعتني أن أبعث به إلا النسيان . قال : فقال له زيد : قد استغنيت عنه ، قال : تستغني عن كتاب أبيك ؟ قال : نعم ، استغنيت عنه بكتاب الله ، قال : فأسلك عمّا فيه ؟ قال له زيد : نعم ، قال : فبعث محمد إلى الكتاب ثم أقبل يسأله عن حرف حرف ، وأقبل زيد يجيبه حتى فرغ من آخر الكتاب ، فقال له محمد : والله ما حرمت منه حرفاً واحداً .

(١) تاريخ ابن عساکر ١٩ / ٤٨٠ .

وروينا عن بشر بن عبدالله^(١) قال: صحبت علي بن الحسين، وأبا جعفر، وزيد بن علي، وعبدالله بن الحسن، وجعفر بن محمد، فما رأيت منهم أحداً كان أحضر جواباً من زيد بن علي عليهما السلام. وروينا عن سعيد بن خثيم قال: كان زيد بن علي عليهما السلام إذا كلمه الرجل أو ناظره، لم يعجله عن كلامه حتى يأتي على آخره، ثم يرجع عليه فيجيبه عن كلمة كلمة حتى يستوفي عليه الحجة.

وروينا عن أبي السدير قال: دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام فأصبنا منه خلوة، فقلنا اليوم نسأله عن حوائجنا كما نريد، فبينما نحن كذلك إذ دخل زيد بن علي عليهما السلام، وقد لثقت عليه ثيابه، فقال له أبو جعفر بنفسه أنت، ادخل فأفض عليك من الماء ثم اخرج إلينا، قال: فخرج إلينا متفضلاً، فأقبل أبو جعفر يسأله، وأقبل زيد يخبره بما يحتج عليه والذي يحتج به، قال: فنظروا إلى وجه أبي جعفر يتهلل، قال: ثم التفت إلينا أبو جعفر فقال: يا أبا السدير هذا والله سيد بني هاشم، إن دعاكم فأجيبوه، وإن استنصركم فانصروه.

وبالإسناد الموثوق به إلى أبي الجارود أن زيد بن علي عليهما السلام خطب أصحابه حين ظهر فقال: الحمد لله الذي من علينا بالبصيرة، وجعل لنا قلوباً عاقلة، وأسماعاً واعية، وقد أفلح من جعل الخير شعاره، والحق دثاره، وصلى الله على خير خلقه الذي جاء بالصدق من عند ربه وصدق به، الصادق محمد ﷺ، وعلى الطاهرين من عترته وأسرته، والمنتجبين من أهل بيته وأهل ولايته. أيها الناس: العجل العجل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل، فوراءكم طالب لا يفوته هارب، إلا هارب هرب منه إليه، ففروا إلى الله بطاعته، واستجيروا بشوابه من عقابه، فقد أسمعكم وبصركم، ودعاكم إليه وأنذركم، وأنتم اليوم حجة

(١) في (أ): وروينا بالإسناد إلى.

على من بعدكم ، إن الله تعالى يقول : ﴿ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٢] ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ [الأنفال: ٢١] ، ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] .

عباد الله إننا ندعوكم إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، إن الله دمر قوماً اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله .

عباد الله كأن الدنيا إذا انقطعت وتقصت لم تكن ، وكأن ما هو كائن قد نزل ، وكأن ما هو زائل عنا قد رحل ، فسارعوا في الخير ، واكتسبوا المعروف ؛ كونوا من الله بسبيل ؛ فإنه من سارع في الشر ، واكتسب المنكر ليس من الله في شيء ، أنا اليوم أتكلّم وتسمعون ولا تبصرون ، وغداً بين أظهركم هامة فتندمون ، ولكن الله ينصرنى إذا ردّني إليه ، وهو الحاكم بيننا وبين قومنا بالحق ، فمن سمع دعوتنا هذه الجامعة غير المفرقة ، العادلة غير الجائرة ، فأجاب دعوتنا ، وأجاب إلى سبيلنا ، وجاهد بنفسه نفسه ، ومن يليه من أهل الباطل ودعائم النفاق ، فله مالنا وعليه ما علينا ، ومن ردّ علينا دعوتنا وأبى إجابتنا ، واختار الدنيا الزائلة الآفلة على الآخرة الباقية ، فالله من أولئك بريء ، وهو يحكم بيننا وبينهم .

إذا لقيتم القوم فادعوهم إلى أمركم ، فليئن يستجيب لكم رجل واحد خير لكم مما طلعت عليه الشمس من ذهب وفضة ، وعليكم بسيرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بالبصرة والشام : لا تتبعوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تفتحوا باباً مغلقاً ، والله على ما أقول وكيل .

عباد الله لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضلوا عن سبيل الله ، ولكن البصيرة ثم القتال ، فإن الله يجازي عن اليقين أفضل جزاءً يجزي به على حق . إنه من قتل نفساً يشك في ضلالتها كمن قتل نفساً بغير حق . عباد الله البصيرة البصيرة .

قال أبو الجارود فقلت له : يا ابن رسول الله ، يبذل الرجل نفسه على غير بصيرة؟ قال : نعم ، إن أكثر من ترى عشقت نفوسهم الدنيا ، فالطمع أرداهم إلا القليل الذين لا تخطر على قلوبهم الدنيا ، ولا لها يسعون ؛ فأولئك مني وأنا منهم .

وروينا بالإسناد عن عمر بن صالح العجلي قال : سمعت زيد بن علي عليهما السلام يقول في خطبته : الحمد لله مدعناً له بالاستكانة ، مقرأ له بالوحدانية ، وأتوكل عليه توكل من لجأ إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ، ورسوله المرتضى ، الأمين على وحيه ، المأمون على خلقه ، المؤدي إليهم ما استرعاه من حقه حتى قبضه إليه ﷺ .

أيها الناس : أوصيكم بتقوى الله ؛ فإن الموصي بتقوى الله لم يدخر نصيحة ، ولم يقصر عن إبلاغ عظة ، فاتقوا الله في الأمر الذي لا يصل إلى الله تعالى إن أطمعتموه ، ولا ينتقص من ملكه شيئاً إن عصيتموه ، ولا تستعينوا بنعمته على معصيته ، وأجملوا في طلب مباحي أموركم ، وتفكروا وانظروا .

وروينا عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : كان لعمي زيد بن علي عليهما السلام ابن فتوفى ، فكتب إليه بعض إخوانه يعزيه ، فلما قرأ الكتاب قلبه وكتب على ظهره ، أما بعد : فإنا أموات ، أبناء أموات ، آباء أموات ، فيا عجبا من ميت يعزي ميتاً عن ميت ، والسلام .

وبالإسناد الموثوق به عن بعضهم قال : أخبرني أبو خالد الواسطي ، وأبو حمزة الثمالي قالا : حبرنا رسالة رداً على الناس ، ثم إنا خرجنا إلى المدينة ، فدخلنا على محمد بن علي فقلنا له : جُعِلنا لك الفدا ، إنا حبرنا رسالة رداً على الناس فانظر إليها قال : فاقروها ، قال : فقرأناها ، فقال : لقد أجدتم واجتهدتم ، فهل أقرأتموها زيدا؟ قلنا : لا . قال : فأقروها زيدا ، وانظروا ما يرد عليكم .

قال فدخلنا على زيد فقلنا له : جُعلنا لك الفدا ، رسالةً حبرناها رداً على الناس جثنالك بها ، قال : إقرؤها ، فقرأناها عليه حتى إذا فرغنا منها ، قال : يا أبا حمزة وأنت يا أبا خالد لقد اجتهدتم ، ولكنها تكسر عليكم : أما الحرف الأول فالرد فيه كذا ، فما زال يرددها حتى فرغ من آخرها حرفاً حرفاً ، فوالله ما ندري من أي شيء نعجب من حفظه لها أو من كسرهما؟ ثم أعطانا جملةً من الكلام نعرف به الرد على الناس ، قال : فرجعنا إلى محمد بن علي فأخبرناه ما كان من زيد ، قال : يا أبا خالد ، وأنت يا أبا حمزة ، إن أبي دعا زيدا ، فاستقرأه القرآن فقرأ ، وسأله عن العضلات فأجاب ، ثم دعا له وقبّل بين عينيه ، ثم قال : يا أبا خالد ، وأنت يا أبا حمزة ، إن زيدا أُعطي من العلم علينا بسطة .

وروينا عن خالد بن صفوان اليمامي قال : أتينا زيد بن علي وهو يومئذ بالرصافة ؛ رصافة هشام بن عبد الملك ، فدخلنا عليه في نفر من أهل الشام وعلمائهم ، وجاءوا معهم برجل قد انقاد له أهل الشام في البلاغة والبصر بالحجج ، وكلمنا زيد بن علي في الجماعة ، وقلنا : إن الله مع الجماعة ، وإن أهل الجماعة حجة الله على خلقه ، وإن أهل القلة هم أهل البدعة والضلالة .

قال : فحمد الله زيد بن علي وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ ، ثم تكلم بكلام ما سمعت قرشياً ولا عربياً أبلغ في موعظة ، ولا أظهر حجة ، ولا أفصح لهجة منه ، قال : ثم أخرج إلينا كتاباً قاله في الجماعة والقلة ، ذكره من كتاب الله فلم يذكر كثيراً إلا ذمّه ، ولم يذكر قليلاً إلا مدحه ، والقليل في الطاعة هم أهل الجماعة ، والكثير في المعصية هم أهل البدع .

قال خالد بن صفوان : فيس الشامي فما أحلى ولا أمر ، وسكت الشاميون فما يجيبون بقليل ولا كثير ، ثم قاموا من عنده فخرجوا ، وقالوا لصاحبهم : فعل الله بك وفعل غررتنا وفعلت وزعمت أنك لا تدع له حجة إلا كسرتها ، فخرست فلم تنطق ، فقال لهم : ويلكم كيف أكلم رجلاً إنما حاجني بكتاب الله؟

أفأستطيع أن أردَّ كلام الله ، فكان خالد بن صفوان يقول بعد ذلك : ما رأيت في الدنيا رجلاً قرشياً ولا عربياً يزيد في العقل والحجج على زيد بن علي عليهما السلام .

وروينا عن عبدالله بن محمد بن الحنفية قال : لو نزل عيسى بن مريم لأخبركم أن زيد بن علي خير من وطىء على عفر التراب ، ولقد علم زيد بن علي القرآن من حيث لم يعلمه أبو جعفر قال قلت : وكيف ذلك؟ قال : لأن أبا جعفر أخذه من أفواه الرجال ، وإن زيد بن علي أُعطي فهمه .

مناقبه عليه السلام :

أكثر من أن نأتي عليها في مثل هذا الموضع ، ومن شعره عليه السلام قوله :

يقولون زيدا لا يزكي بماله وكيف يزكي المال من هو باذله
إذا حال حول لم يكن في ديارنا من المال إلا رسمه وفضائله
وقال عليه السلام :

السيف يعرف عزمي عند هبته والرمح بي خبر والله لي وزر
إننا لنأمل ما كانت أوائلنا من قبل تأمله إن ساعد القدر
وله عليه السلام يخاطب ابنه يحيى ويوصيه :

أبني إما أهلكن فلا تكن دنس الفعال مبيض الأثواب
واحذر مصاحبة اللئيم فإنما شينُ الكريم فسولة الأصحاب
ولقد بلوت الناس ثم خبرتهم وخبرت ما وصلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً وإذا المودة أقرب الأنساب

وله عليه السلام في ندبة أخيه الباقر محمد بن علي عليهم السلام :

يا موت أنت سلبتني إلفاً قدمته وتركتني خلفاً
واحسرتا لا نلتقي أبداً حتى نقوم لربنا صففاً

ذكر بيعته ﷺ ومدة ظهوره^(١) :

كان أول أمره ﷺ أن خالد بن عبدالله القسري ، ادعى مالا قبل زيد بن علي ، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب ، وداود بن علي بن عبدالله بن العباس ، وسعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف ، وأيوب بن سلمة بن عبدالله ابن الوليد بن المغيرة المخزومي ، فكتب فيهم يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم عامل هشام على العراق إلى هشام . وزيد بن علي ومحمد بن عمر يومئذ بالرضافة ، فلما قدمت كتب يوسف على هشام بعث إليهم فذكر ما كتب به يوسف فانكروا ، فقال لهم هشام : إنا باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينه ، فقال زيد : أنشدك الله وبالرحم أن تبعث بنا إلى يوسف ، قال له هشام : وما الذي تخاف من يوسف ؟ قال : أخاف أن يتعدى علينا ، فدعا هشام كاتبه ، فكتب إلى يوسف أما بعد : فإذا قدم عليك زيد وفلان وفلان فاجمع بينهم وبينه ، فإن هم أقرؤا بما ادعى عليهم فسرّح بهم إلي ، وإن هم أنكروا فاسأله البيعة فإن لم يقمها فاستحلفهم بعد صلاة العصر بالله الذي لا إله إلا هو ما استودعهم وديعة ، ولا له قبلهم شيء ، ثم خلّ سبيلهم ، فقالوا لهشام : إنا نخاف أن يتعدى كتابك ، قال : كلا أنا باعث معكم رجلاً من الحرس يأخذه بذلك حتى يفرغ ويعجل ، قالوا : جزاك الله عن الرحم خيراً ، فسرّح بهم إلى يوسف وهو يومئذ بالحيرة فاجتنبوا أيوب بن سلمة لخشولته من هشام ولم يؤخذ بشيء من ذلك ، فلما قدموا على يوسف دخلوا عليه فسلموا ، فأجلس زيداً قريباً منه وألطفه في المسألة ، ثم سألهم عن المال فأنكروا ، فأخرجه يوسف إليهم ، وقال هذا زيد بن علي ، ومحمد بن عمر بن علي اللذان ادّعت قبلهما ما ادّعت قال : مالي قبلهما قليل ولا كثير ، قال له يوسف : أبي كنت تهزأ وبأمرير المؤمنين ؟ فعذّب عذاباً ظن أنه قد قتله ، ثم

(١) ينظر مقاتل الطالبين ١٣٣ وما بعدها ، والإفادة ٤٥-٤٧ ، والمصايح ٣٨٩ .

أخرج زيدا وأصحابه بعد صلاة العصر إلى المسجد فاستحلفوا، فكتب يوسف إلى هشام يعلمه بذلك، فكتب إليه هشام خل سبيلهم، فخلّى يوسف سبيلهم^(١)، فأقام زيد بعد خروجه من عند يوسف بالكوفة أياماً، وجعل يوسف يستحثه بالخروج فيعتل عليه بالشغل، وبأشياء يبتاعها، فألح عليه حتى خرج فأتى القادسية.

ثم إن الشيعة التقوا به فقالوا: أين تخرج عنا رحمك الله ومعك مائة ألف سيف من أهل الكوفة والبصرة وخراسان يضربون بها بني أمية دونك، وليس قبلنا من أهل الشام إلا عدة يسيرة؟ فأبى عليهم، فلم يزالوا يناشدونه حتى رجع بعد أن أعطوه العهود والمواثيق، فقال له محمد بن عمر بن علي: أذكرك الله يا أبا الحسين لما لحقت بأهلك ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك؛ فإنهم لا يفون لك، أليسوا أصحاب جدك الحسين بن علي؟ قال: أجل، وأبى أن يرجع، وأقبلت الشيعة وغيرهم تختلف إليه يبايعونه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة خاصة سوى أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان، وأقام بالكوفة بضعة عشر شهراً، وأرسل دعائه إلى الآفاق والكور يدعون الناس إلى بيعته، وأرسل الفضيل بن الزبير إلى أبي حنيفة، قال فضيل: فأتيته فأبلغته رسالة زيد، فخرس لا يدري ما يرد علي، ثم قال: ويحك ما تقول أنت؟ قلت: لو نصرته فالجهاد معه حق. قال: فمن يأتيه في هذا الباب من فقهاء الناس؟ قلت: سلمة بن كهيل، ويزيد بن أبي زياد، وهارون بن سعد، وأبو هاشم الرماني، وحجاج بن دينار وغيرهم، فعرفهم فقال لي: اذهب اليوم فإذا كان الغد فأتني ولا تكلمني بكلمة إلا أن تجيء فتجلس في ناحية، فإني سأقوم معك فإذا قمت فاقف أثري، فأتيته من الغد فلما رأني قام فتبعته فقال: اقره مني السلام وقل له أما الخروج معك فلست أقوى عليه. وذكر

(١) في (١): سقطت: فخلّى يوسف سبيلهم.

مرضاً كان به - ولكن لك عندي معونة وقوة على جهاد عدوك فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح ، وبعث بها إلى زيد فقوى بها أصحابه ، ويقال : إنه كان ثلاثين ألف درهم ، ويقال : دينار .

قال السيد أبو العباس رحمه الله تعالى وبأيعه ابن شبرمة ، ومسعرة بن كدام ، والأعمش ، والحسن بن عمارة ، وأبو حصين ، وقيس بن الربيع . وحضر معه من أهله الوقعة : محمد بن عبدالله بن الحسن الحسن (النفس الزكية) ، وعبدالله بن علي بن الحسين عليهم السلام ، وابنه يحيى بن زيد ، والعباس بن ربيعة من بني عبدالمطلب .

ولما دنا خروج زيد بن علي عليهما السلام أمر أصحابه بالاستعداد والتهيؤ ، فجعل من يريد أن يفي يستعد وشاع ذلك ، وانطلق سراقه البارقي إلى يوسف بن عمر فأخبره خبر زيد عليه السلام ، فبعث يوسف فطلب زيدا ليلاً فلم يوجد عند الرجلين الذي سعى إليه أنه عندهما ، فأتى بهما يوسف فلما كلمهما استبان له أمر زيد وأصحابه ، وأمر بهما يوسف فضربت أعناقهما ، وبلغ الخبر زيدا وأصحابه فتخوف أن تؤخذ عليه الطريق ؛ فتعجل الخروج قبل الأجل الذي ضرب بينه وبين أهل الأمصار ، واستتب لزيد خروجه ، وكان قد وعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة ، فخرج قبل الأجل ، وبلغ ذلك يوسف بن عمر فبعث الحكم بن الصلت يأمره أن يجمع أهل الكوفة إلى المسجد الأعظم يحضرهم فيه ، فبعث الحكم إلى العرفاء والشرط والمناكب والمقاتلة فأدخلوهم المسجد ، ثم نادى مناديه : أيما رجل من العرب والموالي أدركناه في رحلة الليلة فقد برأت منه الذمة ، إئتوا المسجد الأعظم ، فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد ، وطلبوا زيدا في دار معاوية بن إسحاق ، فخرج ليلاً ، وذلك ليلة الأربعاء لسبع بقين من المحرم في ليلة شديدة البرد من دار معاوية بن إسحاق ، فرفعوا الهراذي فيها النيران ، فنادوا بشعارهم شعار رسول الله ﷺ :

(يا منصور أمت)، فما زالوا كذلك حتى أصبحوا، فلما أصبحوا بعث زيد القاسم ابن فلان التبعي ورجلاً آخر يناديان بشعارهما، وقال يحيى بن صالح ابن يحيى بن عزيز بن عمر بن مالك بن خزيمه التبعي، وسمى الآخر وذكر أنه صدام، قال سعيد: ولقيني أيضاً وكنت رجلاً صيماً أنادي بشعاره قال ورفع بن الجارود زياد بن المنذر الهمداني هردياً من مئذنتهم ونادى بشعار زيد، فلما كانوا في صحاري عبد القيس لقيهما جعفر بن العباس الكندي فشد عليه وعلى أصحابه فقتل الرجل الذي كان مع القاسم وارث القاسم، فأتي به الحكم بن الصلت، فكلمه فلم يرد عليه، وضربت عنقه على باب القصر، فكان أول قتيل منهم، وقالت بنته تبكيه:

عين جودي لقاسم بن كثير يذرور من الدموع غزير

أدر كته سيوف قوم لثام من أولي الشرك والردى والثبور

سوف أبكيك ما تغنى حمام فوق غصن من الغصون نضير

وقال يوسف بن عمر وهو بالحيرة: من يأتي الكوفة فيقرب من هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم؟ فقال عبدالله بن عياش المنتوف الهمداني^(١): أنا أتيك بخبرهم، فركب في خمسين فارساً، ثم أقبل حتى أتى جبانة سالم فاستخبر، ثم رجع إلى يوسف فأخبره، فلما أصبح يوسف خرج إلى تل قريب من الحيرة، فنزل معه قريش وأشرف الناس، وأمير شرطته يومئذ العباس بن سعد المزني.

قال: وبعث الريان بن سلمة البلوي في نحو من ألفي فارس وثلاث مائة من القيقانية رجالة ناشبة، وأصبح زيد بن علي وجميع من وافاه تلك الليلة مائتين وثمانية عشر رجالة، فقال زيد بن علي: سبحان الله! فأين الناس؟ قيل: هم محصورون في المسجد. قال: لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر. قال: وأقبل نصر ابن خزيمه إلى زيد فتلقاء عمر بن عبدالرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصلت في خيل من جهينة عند دار الزبير بن أبي حكيمه في الطريق الذي يخرج إلى

(١) في (ج): بدون: الهمداني.

مسجد بني عدي، فقال: يا منصور أمت، فلم يرد عليه عُمر شيئاً، فشد نصر عليه وعلى أصحابه فقتله وانهزم من كان معه، وأقبل زيد حتى انتهى إلى جبانة الصائدين وبها خمسمائة من أهل الشام، فحمل عليهم زيد في أصحابه فهزمهم، ثم مضى حتى انتهى إلى الكناسة فحمل على جماعة من أهل الشام فهزمهم، ثم شلهم حتى ظهر^(١) إلى المقبرة ويوسف بن عمر على التل ينظر إلى زيد وأصحابه وهم يكردون الناس ولو شاء زيد أن يقتل يوسف لقتله، ثم إن زيدا أخذ ذات اليمين على مصلى خالد بن عبدالله حتى دخل الكوفة.

فقال بعض أصحابه لبعض: ألا ننتقل إلى جبانة كندة، قال وما زاد الرجل أن تكلم بهذا! إذ طلع أهل الشام عليهم، فلما رأوهم دخلوا زقاقاً ضيقاً، فمضوا فيه وتخلف^(٢) رجل منهم فدخل المسجد فصلى ركعتين، ثم خرج إليهم فضاربههم بسيفه وجعلوا يضربونه بأسيا ففهم، ثم نادى رجل منهم فارس مقنع في الحديد: اكشفوا المغفر عن رأسه واضربوا رأسه بالعمود، ففعلوا فقتل الرجل، وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه، واقتطع أهل الشام رجلاً منهم فذهب ذلك الرجل حتى دخل على عبدالله بن عوف بن الأحمر، فأسروه وذهبوا به إلى يوسف بن عمر فقتله، وأقبل زيد بن علي على نصر، فقال: يا نصر بن خزيمه أتخاف على أهل الكوفة أن يكونوا فعلوها حسينية؟ قال: جعلني الله فداك أما أنا فوالله لأضربن بسيفي هذا معك حتى أموت، ثم خرج بهم زيد بن علي عليهما السلام يقودهم نحو المسجد فخرج إليه عبيدالله بن العباس الكندي في أهل الشام فالتقوا على باب عمر بن سعد، فانهزم عبيدالله بن العباس وأصحابه حتى انتهوا إلى باب الفيل، وجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الأبواب، ويقولون: يا أهل المسجد اخرجوا، وجعل نصر بن خزيمه يناديهم: يا أهل الكوفة اخرجوا

(١) في (ج): انتهى.

(٢) في (أ): ودخل.

من الذل إلى العز، وإلى الدين والدنيا، قال : وجعل أهل الشام يرمونهم من فوق المسجد بالحجارة، وكانت يومئذ مناوشة بالكوفة ونواحيها، وقيل : في جبانة سالم .

وبعث يوسف بنُ عمر الريان بن سلمة في خيل إلى دار الرزق فقاتلوا زيدا قتالاً شديداً، وجرح من أهل الشام جرحى كثير، وشلهم أصحاب زيد من دار الرزق حتى انتهوا إلى المسجد الأعظم، فرجع أهل الشام مساء يوم الأربعاء وهم أسوأ شيء ظناً .

فلما كان غداة يوم الخميس دعا يوسف بن عمر الريان بن سلمة فأقف به فقال له : أف لك من صاحب خيل ، ودعا العباس بن سعد المزني صاحب شرطته فبعثه إلى أهل الشام ، فسار بهم حتى انتهوا إلى زيد بن علي عليه السلام في دار الرزق ، وخرج إليه زيد بن علي وعلي ميمنته نصر بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق ، فلما رأهم العباس نادى : يا أهل الشام (الأرض) فنزل ناس كثير واقتلوا قتالاً شديداً في المعركة ، وكان من أهل الشام رجل من بني عيسى يقال له : نائل بن فروة قال ليوسف : والله لئن ملأت عيني من نصر بن خزيمة لأقتلنه أو ليقتلني ، فقال له يوسف : خذ هذا السيف فدفع إليه سيفاً لا يمر بشيء إلا قطعه ، قال : فلما التقى أصحاب العباس بن سعد وأصحاب زيد أبصر نائل نصر بن خزيمة فضربه فقطع فخذه ، وضربه نصر فقتله ، ومات نصر رحمه الله .

ثم إن زيدا عليه السلام هزمهم ، وانصرفوا يومئذ بشر حال ، ولما كان العشي عبأهم يوسف ، ثم سرَّحهم نحو زيد ، فأقبلوا حتى التقوا فحمل عليهم زيد عليه السلام ، فكشفهم ثم تبعهم حتى أخرجهم إلى السيخة ثم شد عليهم حتى أخرجهم من بني سليم ، ثم أخذوا على المسنات ، ثم ظهر بهم زيد عليه السلام فيما بين بارق وبني رواس وقاتلهم قتالاً شديداً ، وصاحب لوائه رجل من بني سعد بن بكر يقال له : عبد الصمد . قال سعيد بن خثيم فكنا مع زيد بن علي في خمسمائة ، وأهل الشام

اثنا عشر ألفاً ، وقد كان بايع زيدا عليه السلام أكثر من اثني عشر ألفاً فغدروا به - إذ فصل رجل من أهل الشام من كلب على فرس له رائع فلم يألُ شتماً لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، فجعل زيد عليه السلام يبكي حتى لثقت لحيته ، وجعل يقول : أما أحد يغضب لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، أما أحد يغضب لله تعالى ، قال : ثم تحول الشامي عن فرسه فركب بغلة ، قال : وكان الناس فرقتين^(١) نظارة ومقاتلة ، قال سعيد : فجئت إلى مولى لي فأخذت منه مشتملاً كان معي ، ثم استترت من خلف نظارة حتى إذا صرت من ورائه ضربت عنقه ، وأنا مستمكن منه للمشمبل فوق رأسه بين يدي بغلته ، ثم رميت جيفته من السرج ، وشد أصحابه عليّ حتى كادوا يرهقوني فكبر^(٢) أصحاب زيد ، وحملوا عليهم فاستنقذوني ، فأتيت زيدا عليه السلام وجعل يقبل بين عيني ، ويقول : أدركت والله ثأرنا ، أدركت والله شرف الدنيا والآخرة وذخرهما ، اذهب بالبعلة فقد نفلتكها ، قال : وجعلت خيل الشام لا تثبت لخييل زيد عليه السلام فبعث العباس بن سعد إلى يوسف يعلمه ما يلقي من الزيدية ويسأله أن يبعث إليه بالناشبة ، فبعث إليه سليمان بن كيسان في القيقانية وهم بخارية ، وكانوا رماة فجعلوا يرمون أصحاب زيد ، وقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري يومئذ قتالاً شديداً فقتل بين يدي زيد عليه السلام وثبت زيد في أصحابه حتى إذا كان عند جنح الليل رمي زيد بسهم فأصاب جبهته اليسرى فنزا السهم في الدماغ ، فرجع ورجع أصحابه ولا نظن أهل الشام رجعوا إلا للمساء والليل .

أولاده عليه السلام :

ذكر السيد أبو طالب عليه السلام يحيى بن زيد ، أمه : رايطة ، ويقال : ريطه بنت

(١) في (أ) : فريقين .

(٢) في (ج) : فكتر .

(٣) الافادة ٤٨ .

أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية لا عقب له ، وعيسى ، ومحمد ،
والحسين ، أمهم واحدة وهي : أم ولد أعقب هؤلاء الثلاثة من ولده عليه السلام .

مقتله ومبلغ عمره عليه السلام (١) :

رماه داود بن كيسان من أصحاب يوسف بن عمر بنشابة فأصاب جبينه ،
فأمر للطبيب فعرفه أنه إن نزعها مات من ساعته ، فقال عليه السلام : الموت أهون عليّ مما
أنا فيه ، فعهد عليه السلام عهده وأوصى وصيته ، وكان من وصيته إلى ابنه يحيى عليه السلام أن
قال : يا بني جاهدهم فوالله إنك لعلى الحق وإنهم لعلى الباطل ، وإن قتلك لفي
الجنة وإن قتلاهم لفي النار ، ثم نُزعت النشابة منه فقضى من حينه سلام الله عليه ،
وكان ذلك في عشية الجمعة لخمس بقين من المحرم سنة اثنتين وعشرين ومائة على
أصح الروايات ، وقيل : سنة إحدى وعشرين ، وهو الذي ذكره العقيقي ، حكى
ذلك كله السيد أبو طالب عليه السلام (٢) .

فلما توفي عليه السلام اختلف أصحابه في دفنه ، ثم اتفقوا على أن عدلوا نهراً عن
مجراه ، ثم حفروا له ودفنوه وأجروا الماء على ذلك الموضع ، وكان معهم في تلك
الحال غلام سندي ، فلما أصبح نادى منادي يوسف بن عمر من دلّ على قبر زيد
ابن علي كان له من المال كذا وكذا ، فدلهم عليه ذلك الغلام فاستخرجوه عليه السلام من
قبره ثم احتزوا رأسه فوجهوا به إلى هشام بن عبدالملك وصلبوا جثته بالكناسة .

وكان له في صلبه من الكرامات ما يدل على علو منزلته عند الله عز وجل
فمن ذلك ما روي أن العنكبوت كانت تنسج على عورته ليلاً ، فكانوا لعنهم الله
إذا أصبحوا يهتكون نسجها بالرماح . ومنها أن امرأة مؤمنة مرت فطرحت عليه
خمارها فالتاث بمشيئة الله عز وجل فصعدوا فحلوه ، فاسترخت سرته حتى غطت

(١) الإفادة ٤٩ .

(٢) الإفادة ص ٦٥ .

عورته، ومرَّ به رجل فأشار إليه بأصبعه وهو يقول : هذا الفاسق ابن الفاسق فغابت إصبعه في كفه . ومنها ما روي أن طائرين أبيضين جاءا فوق أحدهما على قصر والثاني على قصر آخر، فقال أحدهما للآخر :

تنعى زيدا أو أنعاه ❖ قاتل زيد لانجاء

فأجابه الآخر: يا ويحه باع آخرته بدنياه . وروي أن رجلين من بني ضبة أقبلا ويد كل واحد في يد صاحبه حتى قاما بحذاء خشبة زيد بن علي عليهما السلام، فضرب أحدهما بيده على الخشبة وهو يقول : ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ [البقرة: ٢١٧]. قال : فذهب ليحني يده فانثرت بالأكلة، ووقع شقه فمات إلى النار .

ولما وجه برأس زيد بن علي عليهما السلام إلى هشام بن عبد الملك بعث به إلى مدينة الرسول ﷺ إلى إبراهيم بن هاشم المخزومي، فنصب رأسه فتكلم أناس من أهل المدينة وقالوا لإبراهيم: لا تنصب رأسه فأبى، وضجت المدينة بالبكاء من دور بني هاشم كيوم الحسين ﷺ فلما نظر كثير بن كثير بن المطلب السهمي إلى رأس زيد بن علي عليهما السلام بكى وقال : نضر الله وجهك أبا الحسين وفعل بقاتلك، فبلغ ذلك إبراهيم بن هشام، وكانت أم المطلب أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب، وكان كثير الميل إلى بني هاشم، فقال له إبراهيم بلغني عنك كذا وكذا فقال: هو ما بلغك، فحبسه وكتب إلى هشام فقال وهو محبوس :

إن امرءاً كانت مساوياًه	حبُّ النبي كَغَيْرُ ذِي ذَنْبٍ
وكذا بني حسن فوالدهم	من طاب في الأرحام والصلب
ويرون دُنْبًا أن أحببتم	بل حبكم كفارة الذنب

فكتب فيه إبراهيم إلى هشام فكتب إليه هشام: أن أقمه على المنبر حتى يلعن

عليًا وزيدًا فإن فعل وإلا فاضربه مائة سوط على مائة، فأمره أن يلعن عليًا فصعد المنبر فقال :

لعن الله من يسب عليًا	وبنيه من سوقة وإمام
تأمن الطير والحمام ولا يأ	من آل النبي عند المقام
طبت بيتًا وطاب أهلك أهلاً	أهل بيت النبي والإسلام
مرحبًا بالمطيبين من النا	س وأهل الإحلال والإحرام
رحمة الله والسلام عليكم	كلما قام قائم بسلام

وروينا عن عيسى بن سودة قال : كنت بالمدينة عند القبر عند رأس النبي ﷺ وقد جيء برأس زيد بن علي عليهما السلام في رهط من أصحابه فنصب في مؤخر المسجد على الرمح ونودي في أهل المدينة : برئت الذمة من رجل بلغ الحلم لم يحضر المسجد، فحشر الناس الغرباء وغيرهم، فلبثنا سبعة أيام يخرج الوالي محمد بن هشام المخزومي فيقوم الخطباء الذين قاموا بالرؤس فيخطبون فيلعنون عليًا والحسين وزيدًا وأشياعهم، فإذا فرغ قام القبائل عربيهم وعجميهم وكان بنو عثمان أول من قام فيلعنون، ثم بطون قريش والأنصار وسائر الناس حتى إذا صلى الظهر انصرف ثم عاد في الغد مثلها سبعة أيام، فقام رجل من قريش في بعض تلك الأيام وهو محمد بن صفوان الجمحي وهو أبو هذا القاضي قاضي أبي جعفر فقال له محمد بن هشام : اقعد، ثم عاد فقام من غير أن يدعى، فقال له محمد بن هشام : اقعد، فقال : إن هذا مقام لا يقدر عليه كل ساعة، قال : فتكلم، فأخذ في خطبته، ثم تناول يلعن عليًا ﷺ وأهل بيته والحسين بن علي وزيد بن علي عليهم جميعاً السلام ومن كان يحبهم، فبينما هو إذ وضع يده على رأسه، ووقع على الأرض، فظننت أن خطبته قد انقضت فلم أعلم حتى إذا كان من الليل انتشر خبره، فرماه الله عز وجل في رأسه بصداع لا يتمالك من الصداع حتى ذهب بصره في تلك الساعة، وكان رجل مستند إلى القبر فضرب بيده إلى

فزعاً! قلت: ما رأيت^(١)؟ قال: رأيت القبر انشق فخرج منه رجل عليه ثياب بيض فاستقبل المنبر فقال: كذبت لعنك الله .

وعن شبيب بن غرقد قال: قدمنا حجاجاً من مكة فدخلنا الكناسة ليلاً، فلما أن كنا بالقرب من خشبة زيد] بن علي عليهما السلام أضاء لنا الليل، فلم نزل نسير قريباً من خشبته فنفحت^(٢) رائحة المسك قال: فقلت لصاحبي: هكذا توجد رائحة المصلين؟! قال: فهتف بي هاتف وهو يقول: هكذا توجد رائحة أولاد النبيين الذين يقضون بالحق وبه يعدلون .

وروينا عن حفص بن عاصم السلولي قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل بن اليسع العامري، وكان في دار اللؤلؤ قال: رأيت عزيمة أخا كناسة الأسدي، وكان من أبهى الرجال وأحسنهم عيناً، وكان في كل يوم ينطلق إلى الكناسة فيقعد عند الذين يحرسون خشبة زيد بن علي عليهما السلام، وكان هناك مجمع الأسديين فكان يلتقط في طريقه سبع حصيات، ثم يجئ فيجلس في القوم، ثم يقول: هاكم في عينه فيخذف زيد بن علي عليهما السلام بتلك السبع الحصيات^(٣) في كل يوم، قال إسماعيل بن اليسع: فوالذي لا إله غيره ما مات حتى رأيت عينيه مرفودتين كأنهما زجاجتان خضراوان .

ثم أقام زيد بن علي عليهما السلام مصلوباً على الخشبة سنة وأشهرًا، وقيل: أياماً وقيل: سنتين، ذكره السيد أبو طالب^(٤).

وروينا من طريق المرشد بالله^(٥) يرفعه إلى رجاله: أنه مكث مصلوباً إلى أيام الوليد بن يزيد، فلما ظهر يحيى بن زيد كتب الوليد إلى يوسف أما بعد : فإذا أتاك كتابي هذا فانظر عجل أهل العراق فاحرقه وانسفه في اليم نسفاً،

(١) في (أ): سقط: قلت: ما رأيت؟ قال: رأيت انشق القمر .

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في (أ) .

(٣) في (ج): السبع حصيات، في (أ): بتلك الحصيات .

(٤) الإفادة ص ٦٦ .

فأمر به يوسف عند ذلك : خراش بن حوشب فأنزله من جذعه فأحرقه بالنار، ثم جعله في قواصر، ثم حمّله في سفينة، ثم ذراه في الفرات، سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين . وروى الشيعة أن رماده اجتمع في الفرات حتى صار مثل هالة القمر يضيء ضياءً شديداً وموضع ذلك معروف يستشفى به .

وكان هشام العنزة الله لما أتى إليه برأسه ألقاه بين الدجاج، فقال بعض أهل الشام: اطرّدوا الديك عن ذؤابة زيد، فلقد كان لا تطأه الدجاج، وافتخر شاعر بني أمية بقتله وصلبه فقال:

صلبنا لكم زبداً على جذع نخلة ولم نر مهدياً على الجذع يصلب
ولقد مكن الله تعالى وزير آل محمد أبا حفص الخلال النسبي من صلب
هشام بن عبد الملك وضربه وتحريقه، وذلك أنه لما مات طلّوه بالصبر لثلاثا يبلى،
فوجدته الشيعة لما نبشته مثلما دفن، فقال بعض شعراء أهل العصر في كلمة يمدح
فيها الإمام المنصور بالله عليه السلام:

وكم صون جسم كان فيه هلاكه كما ضُرُّ بالتصبيرِ جسمُ هشام
ولأبي ثميلة الأنباري يرثي زيد بن علي عليهما السلام :

يا أبا الحسين أعار فقدك لوعة من يلق ما لاقيت منها يكمد
فعر^(١) السهاد^(٢) ولو سواك رمت به الأقدار حيث رمت به لم يشهد
فصعرت^(٣) بعدك كالسليم وتارة أحكى إذا أمسيت فعل الأرمد
ونقول: لا تبعد، وبعدك داؤنا وكذلك من يلقى المنية يبعد
كنت المؤمن للعضائم والنهي ترجى لأمر الأمة المتأود^(٤)
فقتلت حين نضلت كل مناضل وصعدت في العلياء كل مُصعد

(١) في المقاتل: فغدا .

(٢) السهاد: تقيض الرقاد . لسان العرب ٣/ ٢٢٤ .

(٣) في (ج): فمئرت .

(٤) أن تأوده : الأمر تؤده، وتأداه: أي ثقل عليه . تاج العروس ٤/ ٣٣٩ .

وطلبت غاية سابقين فنلتها
وأبى إلهك أن تموت ولم تسر
والقتل في ذات الإله سجية
وألوحشُ أمانةً وآلُ محمد
نصبًا إذا ألقى الظلام ستوره
يا ليت شعري والخطوب كثيرة
ما حجة المستبشرين بقتله

بالله في سنن كـريم المورد
فيهم بسيرة صادق مستجد
منكم وأخذُ بالفعال الأجد
من بين مقتول وبين مطرد
رقد الحمام ، وليله لم يرقد
أسباب موردها وما لم تورد
بالأمس أو ما عذر أهل المسجد^(١)

وزوى السيد المرشد بالله أبو الحسين يحيى بن الحسين الجرجاني
الحسيني عليه السلام للفضل بن عبدالرحمن بن العباس يرثي زيد بن علي عليهما
السلام:

ألا يا عين فاحتفلي وجودي
ولا حين التجلُد فاستهلي
أبعد ابن النبي أبي حسين
يظل على عمودهم ويمسني
تعدى الكافر الجبار فيه
فظلوا ينبشون أبا حسين
فطال تلعبهم عتوا
فجاور في الجنان بني أبيه
وكائن من أب لأبي حسين
ومن أبناء أعمام سيلقى
ورود الخوض يوم يذب عنه
ويصرف حربه معه جميعاً
دعاه معشرٌ نكثوا أباه

بدمعك ليس ذا حين الجمود
وكيف بقاء دمعك بعد زيد
صليب بالكناسة فوق عود
بنفسي أعظمًا فوق العمود
فأخرجه من القبر اللحيد
خضيبًا بينهم بدم جسيد
وما قدروا على الروح الصعيد
وأجداداً هم خير الجدود
من الشهداء أو عم شهيد
هم أولى به عند الورود
فيمنعه من الطاغى الجحود
ظمأ يبعثون إلى الصيد
حسيناً بعد توكيد العهود

(١) مقاتل الطالبين ١٥٠ .

فما التفتوا على تلك العقود
 وكانوا فيهما شبه اليهود
 وأصحاب العقيرة من ثمود
 وتطمع في الغموض مع الرقود
 تسير الخيل تضبح بالأسود^(١)
 وقحطان كتائب في الحديد
 تنادت أن على الأعداء عودي
 صوارم أخلصت من عهد هود
 ونقتل كل جبار عنيد
 وفي آل الدعي بني عبيد
 بأمر الفاسق الطاغي يزيد
 ونجعلهم بها مثل الحصيد
 تبيدهم الأسود بنو الأسود
 عمارة فيهم وبني الوليد
 بني الرومي أولاد العبيد
 وهم من بين قتلى أو شريد
 وما يأتي من الملك الجديدي
 قصاصاً أو نزيد على المزيدي
 كأمثال الذبائح يوم عيد
 وكل الطير من بُقُع وسود
 ونسقيهم أمراً من الهبيد^(٥)

فسار إليهم حتى أتاهم
 وغرُّوه كما غسروا أباه
 كما هلكوا به من أمر عيسى
 فكيف تظن بالعبرات عيني
 ألا لا غمض في عيني ولما
 بجمع في قبائل من معد
 كتائب كلما أفنت قتيلاً
 بأيديهم صفائح مرهفات
 بها نشفى النفوس إذا التقينا
 ونقضني حاجة في آل حرب
 عبيد بني علاج قتلونا
 ونحكم في بني حَكَم المواضي
 ونقتل في بني مروان حتى
 وننزل بالمعيطيين حرباً
 ونترك آل قنطوراً هشيماً
 ونتركهم بينغيهم علينا
 فإن تمكن صروف الدهر منكم
 نحاربكم بما أبليتُمونا^(٢)
 ونترككم بأرض الشام صرعى
 تنوبهم خوامعها^(٣) وطلس^(٤)
 ونقتل حزبهم من كل حي

(١) تضبح: أي تنحم، وهو أصوات أنفاسها إذا عدون، وقيل: هو السير. لسان العرب ٥٢٣/٢.

(٢) في (ج): أنكثمونا.

(٣) الخوامع: الضباع اسم لازم لها لأنها تجمع: خماعاً وخمعاناً وخموعاً. لسان العرب ٧٩/٨.

(٤) الطلس: جمع أطلس، وهو الذئب الذي في لونه غبرة.

(٥) الهبيد: الحنظل. لسان العرب ٤٣١/٣.

أثقلتنا وتحبسنا عقوقاً
وتطمع في مسودتنا ألا لا
وقالوا : لا نصدقهم بقول
وساوى بعضهم فيه لبعض
فنحن كمن مضى منا وأنتم
فقد منع الرقاد مصاب زيد
فقد لهجوا بقتل بني علي
وكائن من شهيد يوم ذاكم
من انفسكم إذا تطلقت بحق
ولست بأيس من أن تصيروا
وللصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد نفعه الله بصالح عمله :

وحان للهو تمحيض وتطبيق
بيوم زيد وبعض الهم تعويق
وقد تقسمه نهب وتمحيق
يزداد شراً وأن الرجس زنديق
محبة الدين إن الدين موموق
إليه وهو بعين الله مرموق
فليس يعسره في الخلق مخلوق^(١)
وابن الشهيد نعم والقول تحقيق
قتل وصلب وإحراق وتفريق

بدا من الشيب في رأسي تفريق
هذا فلا لهو مع هم يعوقني
لما رأى أن حق الدين مطرح
وأن أمر هشام في تفرعنه
قام الإمام بحق الله تنهضه
يدعو إلى ما دعا أبأؤه زمنا
لما تردت حراراتي عليه ولم
ابن النبي نعم وابن الوصي نعم
لم يشفهم قتله حتى تعاوره



(١) الهجود المصلى بالليل . لسان العرب ٤٣١/٣ .

(٢) مقاتل الطالبين ١٤٩ .

(٣) في (أ) : ساقط هذا البيت .

الإمام يحيى بن زيد عليهما السلام^(١)

هو: أبو عبدالله، وقيل: أبو طالب يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام، وأمّه: ربيعة بنت عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

صفته عليه السلام:

قال السيد أبو طالب عليه السلام كتب يوسف بن عمر إلى عامله نصر بن سيار على خراسان يطلبه، فذكر له حليته، وقال: (هو قَطَطُ الشَّعْر، حسن اللحية حين استوت لحيته) وكان عليه السلام مثل أبيه صلوات الله عليه في الشجاعة وقوة القلب في مبارزة الأبطال، وله مقامات مشهورة بخراسان أيام ظهوره بها في حروبه من قتل الشجعان الذين بارزوه والنكاية على الأعداء الذين قاتلوه^(٢).

مدة ظهوره عليه السلام وذكر بيعته:

لما استشهد أبوه عليه السلام خرج من الكوفة متكرراً مستتراً مع نفر من أصحابه، فدخل خراسان، وانتهى إلى (بلخ) ونزل على الحريش بن عبدالرحمن الشيباني. وكتب يوسف بن عمر يطلبه إلى نصر بن سيار فكتب نصر إلى عامله عقيل بن معقل الليثي عامله على بلخ يطلبه، فذكر له أنه في دار الحريش، فطالبه بتسليمه منه، فأنكر أن يكون عارفاً بمكانه، فضرب ستمائة سوط فلم يعترف، فقال: والله لا أرفع الضرب عنك إلا أن تسلمه أو تموت، فقال له حريش رحمه الله: (والله لو كان تحت قدمي هاتين ما رفعتهما، فاصنع ما بدا لك)!! فلما خشي ابن

(١) الإفادة ٥١، ومقاتل الطالبين ١٥٢، ومروج الذهب ١٣٣/٢، وتاريخ الطبري ٢٩٩١٨، والكامل لابن الأثير ٩٩/٥، وطبقات ابن سعد ٢٣٩، والأعلام ١٤٦/٨، والبداية والنهاية ٥/١٠، وجمهرة أنساب العرب ٢٠١، وابن خلدون ١٠٤/٣، وتاريخ الإسلام ١٨١/٥، والفتوح لابن أعثم ١٢٨/٨، والفلك الدوار ٢٦، وأنساب العرب الاشراف ٢٦١، وعمدة الطالب ٢٨٩، والزيدية لمحمود صبحي ص ٧٢.

(٢) الإفادة ٥١.

الحرش على أبيه دس إليه بأنه يدل عليه إن أفرج عن أبيه، فدل عليه، وأخذ وحمله إلى نصر بن سيار فقيده وحسبه، وكتب بخبره إلى يوسف بن عمر، فكتب يوسف إلى الوليد بن يزيد بذلك، فكتب إليه الوليد يأمره بالإفراج عنه، وترك التعرض له ولأصحابه، فكتب يوسف إلى نصر بما أمره به، فدعاه نصر وحل قيده، فقال له: لا تثر الفتنة فقال له عليه السلام: وهل فتنة في أمة محمد صلى الله عليه وآله أعظم من فتنتكم التي أنتم فيها من سفك الدماء والشروع فيما لستم له بأهل، فسكت نصر وخلي سبيله، فخرج من عنده وجاء إلى (بيهق) وأظهر الدعوة هناك وبايعه فيها سبعون رجلاً واجتمع إليه نفر، فكتب نصر إلى عمرو بن زرارة بقتاله، وكتب إلى قيس بن عباد عامل (سرخس)، وإلى الحسن بن زيد عامل (طوس) بالانضمام إليه، فاجتمعوا وبلغ القوم زهاء عشرة آلاف، وخرج يحيى بن زيد عليهما السلام فقاتلهم وهزمهم، وقتل عمرو بن زرارة واستباح عسكره وأصاب منهم دواب كثيرة^(١).

وروي عن بعض أصحاب يحيى عليه السلام قال: كنا مع يحيى بن زيد عليهما السلام والرضوان بخراسان قال: فقدمنا سبعون أو ثمانون رجلاً يوم لقي عمرو ابن زرارة قال: وكان لقيه بخراسان في مقدمته ونحن سبعة عشر فارساً أو ثمانية عشر قال: فلقينا عمرو بن زرارة في أربعة آلاف أو خمسة آلاف قال: فتلقانا حرب بن محربة أو نصر بن حرب، قال: فكأنني أنظر إلى شيخ ضخم قد جاء براية فركزها، ثم نادى: يا أيها الناس، إن فريق عمرو بن زرارة يدعوكم إلى الأمان، وهذه راية الأمان فمن جاءه فهو آمن، قال: فكنت في آخرهم فأضطر^(٢) به الذي كان بين أيدينا قال: فوالله ما أعلم إلا أنني قد سمعتها، قال: ثم لحقنا يحيى بن زيد عليهما السلام، وأرسل إلى عمرو بن زرارة: انصرف عني فإني لست أريدك ولا أريد شيئاً من عملك، وإنما أريد بلخ وناحيتها، ولا أريد (مرو) ففتح

(١) أنظر المصابيح ٤١٥-٤١٨، ومقاتل الطالبين ١٥٤.

(٢) وأضطر به: عمل بغية الضراط وهزئ به. القاموس ٨٧٢.

عني، قال: فقال عمرو بن زرارة: والله لا يكون ذلك أبداً إلا أن تعطني بيدك وتدخل في الأمان وإلا قاتلتك، قال: فكأنني أنظر إلى يحيى بن زيد عليهما السلام، وأسمع صوته من خلفي وهو ينادي الجنة الجنة يا معشر المسلمين، الحقوا بسلفكم الشهداء المرزوقين رحمكم الله، قال: ثم حمل عليهم حملة رجل واحد فانكشفوا، قال: واستقبلنا عمرو بن زرارة يصيح بأصحابه، قال: فما كانت إلا إياها حتى قتل عمرو بن زرارة، وانكشف أصحابه وأخذوا الطريق حتى أتى يحيى ابن زيد عليهما السلام (الجوزجان)، قال: ثم لحق بعد قوم من الزيدية بيحيى بن زيد عليه السلام قال: وكانوا قريباً من خمسين ومائة رجل، ونزل عليه السلام قرية من قرى الجوزجان يقال لها: (أرعوي) ولحق به جماعة من عساكر خراسان وبايعوه، وبقي أمره مديدة يسيرة^(١).

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني رحمة الله عليه بإسناده إلى يعقوب بن عدي، قال: خرج رجل من أهل الشام فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل من أصحاب يحيى فقتله، ثم خرج إليه آخر فقتله، ثم خرج إليه يحيى فقال: يا بن اللخناء إنك لشديد المجاحشة عن سلطان بني أمية، فضربه يحيى فقتله.

وروى بإسناده أيضاً عن بعضهم قال: رأيت يحيى بن زيد عليهما السلام حمل على رجل من أهل الشام فضربه على فخذه فقطع درعه وفخذه البتة^(٢) حتى وصل إلى جنب الدابة. وكان من كلامه عليه السلام لأصحابه في بعض مواقفه أن قال: يا عباد الله، إن الأجل محضره الموت، وإن الموت طالب حثيث لا يفوته الهارب، ولا يعجزه المقيم، فاقدموا رحمكم الله إلى عدوكم، والحقوا بسلفكم الجنة، أقدموا ولا تتكلموا، فإنه لا شرف أشرف من الشهادة، فإن أشرف الموت قتيل في سبيل الجنة، فلتَقَرَّ بالشهادة أعينكم، وكتشرح للقاء الله

(١) المصايح ٤١٨-٤١٩، ومقاتل الطالبين ١٥٧.

(٢) في (ج): مصحفة: إليه، والصواب: ما أثبتناه كما في هامش (ج).

صدوركم . قال الراوي : ثم نهدي ، فكان والله أرغب أصحابه في القتل في سبيل
الله جل ثناؤه^(١) . ومن شعره عليه السلام :

خليلي عناً بالمدينة بلغنا
فحتى متى مروان يقتل منكم
لكل قتيل معشر يطلبونه
وقال عليه السلام يخاطب نفسه :
يا ابن زيد أليس قد قال زيد :
من أحب الحياة عاش ذليلاً ؟
كن كزيد فأنت مهجة زيد
تتخذ في الجنان ظلاً ظليلاً^(٢)

أراد عليه السلام بقوله : أليس قد قال زيد : ما روي أن زيد بن علي عليهما السلام
قال : لما خرج من عند هشام بن عبد الملك «من أحب البقاء استدر الذل إلى
الفناء» .

أولاده عليه السلام :

قال السيد أبو طالب عليه السلام : الذي أجمع عليه أصحاب الأنساب من الطالبين
وغيرهم أنه وكَدَ : أم الحسن ، وهي حسنة ، وأمها : محبة بنت عمر بن علي بن
الحسين ، وقال غيرهم : له أحمد ، والحسن ، والحسين ، درجوا وهم صفار^(٤) ، وأم
الحسين درجت صغيرة ، وأجمعوا على أن لابقية ليحيى عليه السلام وأن ولده
انقرضوا^(٥) .

ذكر مقتله ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام :

اجتمع على حربه عليه السلام الجيوش الذين أنفذهم نصر بن سيار بالجوزجان ،
فقاتلهم عليه السلام ثلاثة أيام بلياليها أشد قتال ، حتى قُتل أصحابه وأنته نشابة

(١) المصابيح ٤٢١ .

(٢) الإفادة ٥٣ .

(٣) الإفادة ٥٣ .

(٤) في (أ) : درجوا صفاراً .

(٥) الإفادة للسيد أبي طالب ٥٣ .

في جبهته ، رماه رجل من موالي عنزة يقال له : عيسى ، ووجده سورة بن محمد الكندي ، فحز رأسه وحمل رأسه إلى مروان الحمار^(١) .

وكان قتله في شهر رمضان عشية الجمعة بعد الصلاة سنة ست وعشرين ومائة ، وقيل : سنة خمس ، وصلب بدنه على باب مدينة الجوزجان^(٢) .

وكان له يوم قتل ثمان وعشرون سنة ، وعرض عليه أن يتزوج فكان يقول : هيهات وأبو الحسين مصلوب بكناسة الكوفة ولم أطلب بثاره ، ولم يزل مصلوباً إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني^(٣) ، فأنزله وغسله وكفنه ، ودُفن (بأنبير) ومشهده معروف بالجوزجان مزور .

وتتبع أبو مسلم قتلته فقيل له : إن أردت ذلك فعليك بالديوان فدعى أبو مسلم بالجرائد ، فنظر من شهد قتل يحيى عليه السلام ، فلم يدع أحداً منهم إلا قتله ، وأخذ الرجلين اللذين رماه أحدهما وأخذ الآخر رأسه ، فقطع أيديهما وأرجلها وصلبهما وأمر بتسويد الثياب ، وأن يناح عليه سبعة أيام ، وروي أن في تلك السنة لم يولد مولود ذكر في خراسان إلا سمي بيحيى إعظاماً له عليه السلام . ذكر ذلك كله السيد أبو طالب عليه السلام^(٤) .

وروى الإمام المنصور بالله عليه السلام أن قاتل يحيى عليه السلام كان قد رأى في منامه قبل قتله ليحيى عليه السلام : أنه رمى نبياً فقتله ، فلما أصبح أخبر من أخبر بذلك من أصحابه ، ثم غل يده إلى عنقه ، وأقام كذلك مدة من الزمان حتى خرج يحيى عليه السلام ، واجتمعت الجنود الظالمة لحربه ، فقال له بعضهم : قد قام هذا الخارجي ولا غناء لنا عن رميك فاخرج معنا فإذا انقضت الحرب عدت لحالك ، فخرج فكان هو القاتل ليحيى بن زيد عليهما السلام .

(١) المصابيح ٤٢٢ ومقاتل الطالبين ١٥٨ .

(٢) أنظر المصابيح ٤٢٢ ، والإفادة ٥٤ .

(٣) في (ج) : بخراسان .

(٤) الإفادة ص ٥٤ .

الإمام محمد بن عبدالله النفس الزكية عليه السلام

هو: أبو عبدالله، وقيل: أبو القاسم محمد بن عبدالله الكامل بن الحسن الرضى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكان أبوه عبدالله يسمى: الكامل، كان يقال: مَنْ أجمل الناس؟ من أفضل الناس؟ من كذا؟ من كذا؟ فيقال: عبدالله بن الحسن فسُمِّي الكامل لذلك.

وروي أنه صلى الفجر بوضوء المغرب والعشاء الآخرة ستين سنة، فإذا كان آخر الليل سجد سجدة يقول فيها: سبحانك لم أعبدك حق عبادتك، غير أنني لم أشرك بك شيئاً. وأما الحسن الرضى فقد كان من أفاضل العترة عليهم السلام، وكان قد قام للجهاد في سبيل الله، وجرت بينه وبين الحجاج وقعات كثيرة كان في أكثرها له عليه السلام الظفر على ما تقدم ذكره. وأما الحسن السبط فهو سيد شباب أهل الجنة. وأما أمير المؤمنين عليه السلام فناهيك به شرقاً وفضلاً وهو سيد العرب كما تقدم.

أولئك قومٌ بارك الله فيهم عليهم السلام فما صاعهم من مجدهم بطيف
ولله القائل:

أضأت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وكان عليه السلام يسمى المهدي، ويسمى صريح قریش؛ لأنه لم يكن في أبائه من أمه أم ولد إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك جداته من قبل أمه، وكان يسمى: النفس الزكية؛ لورود الأثر أن النفس الزكية يقتل فيسيل دمه إلى أحجار الزيت، وقد كان كذلك عليه السلام.

(١) الإفادة ٥٥، ومقاتل الطالبين ٢٣٢، والشافي ١٩٢، وطبقات الزيدية «خ» وتهذيب التهذيب ٢٥٢/٩، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٢١/٦، وشذرات الذهب ٢١٣/١، وسير أعلام النبلاء ٦/٢١٠، والأعلام ٢٢٠، وطبقات ابن سعد ٤٣٨/٥، والمصابيح ٤٢٤، وشرح النهج لابن أبي الحديد ٣٢٣/١، ومروج الذهب ١٦٩/٢، والبداية والنهاية ٨٢/١٠، وأخبار فخر فهارس ٣٧١، وابن خلدون ١٩٠/٣، وجمهرة الأنساب ٤٠.

وأمه: هند بنت أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، وحملت به أمه عليه السلام أربع سنين، قال السيد أبو طالب عليه السلام ^(١): وولد في سنة مائة في بعض الروايات، قال وروي غير ذلك .

صفته عليه السلام:

كان عليه السلام آدم ^(٢) شديد الأدمة، قد خالطه الشيب في عارضيه، وكانت له شامة في كتفه تشبه شامة رسول الله صلى الله عليه وآله، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام وفيه يقول الشاعر:

إن الذي تروي الرواة لبينٌ إذا ما ابن عبدالله فيهم تجردا
له خاتم لم يعطه الله غيره وفيه علامات من البر والهدى
قال السيد أبو طالب عليه السلام: وكان شجاعاً فارساً خطيباً بارعاً في الخطبة على
تمتمة كانت تعتربه إذا تكلم، فإذا عرضت له ضرب بيده صدره فيفتح لسانه، وهو
أول من ظهر من آل رسول الله صلى الله عليه وآله فخطب بأمر المؤمنين، وبعده محمد بن
جعفر بن محمد عليهم السلام ^(٣).

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

كان عليه السلام غزير العلم، وافر الفهم، قد سمع من آبائه عليهم السلام
الحديث، وسمع من نافع وابن طاووس، وله كتاب «السير» المشهور، قال السيد
أبو طالب عليه السلام: وسمعت جماعة من فقهاء أصحاب أبي حنيفة وغيرهم
يقولون: إن محمد بن الحسن نقل أكثر مسائل السير من هذا الكتاب، وفيه من
غرائب الفقه ما يدل على علو منزلته، ويكشف عن عالي مرتبته.

(١) الإفادة ص ٧٣.

(٢) في (١): ساقطة: آدم. والأدمة: في الناس شربة من سواد. لسان العرب ١٢/١١.

(٣) الإفادة ٥٥.

وروى الشيخ أبو الفرج : في مقاتل الطالبية^(١) بأسانيده عن عيسى بن زيد عليهما السلام ، قال : لو أنزل الله سبحانه على محمد ﷺ : أنه باعث نبياً بعده لكان ذلك النبي محمد بن عبدالله بن الحسن .

فهذا كلام عيسى بن زيد عليهما السلام وهو من أقمار الهدى ، ومن لا يتمارى في فضله ، ولا يشك في شدة ورعه ونبله ، وهو الذي يُعرف بمؤتم الأشبال ، وذلك أنه ﷺ لما انصرف من وقعة باخمرا ، وقد شهدها مع إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام ؛ خرجت لبوة مع أشبالها فعرضت في الطريق وجعلت تحمل على الناس ، فنزل عيسى بن زيد عليهما السلام ، فأخذ سيفه وترسه ثم برز إليها فقتلها ، فقال له مولى له : أيتمت أشبالها يا سيدي ، قال : فضحك وقال نعم أنا مؤتم الأشبال ، قال : فلزمه هذا الاسم ، فكان بعد ذلك إذا أراد أصحابه أن يذكروه كنوا عنه ، فقالوا : قال : مؤتم الأشبال كذا ، وفعل مؤتم الأشبال كذا ، فيخفى أمره وذلك ؛ لأنه ﷺ لحقه من المحنة بالاستتار من أعداء الله المارقين ما عظمت عليه بسببه البلوى .

وقد روى الشيخ أبو الفرج في مقاتل الطالبية^(٢) عن محمد بن منصور المرادي قال : قال يحيى بن الحسين بن زيد : قلت لأبي : يا أبة ، إني أشتهي أن أرى عمي عيسى ، فإنه يقبح بمثلي أن لا يلقي مثله من أشياخه ، فدافعني عن ذلك مدة ، وقال : إن هذا أمرٌ يثقل عليه ، وأخشى أن ينتقل عن منزله كراهة للقائك إياه فتزعجه ، فلم أزل به أداريه وألطف به حتى طابت نفسه لي بذلك ، فجهزني إلى الكوفة ، ثم قال لي : إذا صرت إليها فاسأل عن دور بني حي ، فإذا دلت عليها فاقصده في السكة الفلانية ، وسترى في وسط السكة داراً لها باب صفته كذا وكذا ، فاعرفه واجلس بعيداً منه في أول السكة ، فإنه سيقبل عليك أول المغرب

(١) مقاتل الطالبين ٢٥٣ .

(٢) مقاتل الطالبين ٤٠٨ .

كهل طوال مصفر مستور الوجه، قد أثر السجود في جبهته، عليه جبة صوف يستقي الماء على جمل، وقد انصرف يسوق الجمل، لا يضع قدمًا ولا يرفعها إلا ذكر الله عز وجل ودموعه تنحدر، فقم فسلم عليه وعانقه، فإنه سيدعرك منك، فعرفه بنفسك، وانتسب له، فإنه يسكن إليك ويحدثك طويلًا، ويسألك عنا جميعًا، ويخبرك بشأنه ولا تضجر من جلوسك معه، فلا تطل ودعه فإنه سوف يستعفيك من العودة إليه، فافعل ما يأمرك به من ذلك، فإنك إن عدت إليه توارى منك واستوحش وانتقل من موضعه، وعليه في ذلك مشقة. فقلت له: أفعَل كلما أمرتني به، ثم جهزني إلى الكوفة وودعته وخرجت، ولما وردت الكوفة قصدت سكة بني حي بعد العصر، فجلست خارجها بعد أن تعرفت الباب الذي نعته لي، فلما غربت الشمس إذا أنا به يسوق الجمل، وهو كما وصف لي أبي، لا يرفع قدمًا ولا يضعها إلا وحرك شفتيه بذكر الله^(١)، ودموعه تترقق من عينيه، وتذرف أحيانًا، فقامت فعانقته، فذعر مني كما يذعر الوحش من الإنس، فقلت: يا عم أنا يحيى بن الحسين بن زيد بن أخيك، فضمني إليه وبكى حتى قلت: قد جاءت نفسه، فأناخ جملة وجلس معي، وجعل يسألني عن أهله رجلاً رجلاً، وامرأة امرأة، وصبيًا صبيًا، وأنا أشرح له أخبارهم وهو يبكي، ثم قال: يا بني أنا أستقي على هذا الجمل الماء، فأصرف مما اكتسبته أجرة الجمل إلى صاحبه، وأتقوت بياقيه، وربما عاقني عائق عن استقاء الماء، فأخرج إلى البرية -يعني بظهر الكوفة- فألقط ما يرمي الناس به من البقول وأتقوته، وقد تزوجت إلى هذا الرجل ابنته، فهي لا تعلم من أنا إلى وقتي هذا، فولدت مني بنتًا، فنشأت وبلغت وهي أيضًا لا تعرفني ولا تدري من أنا، فقالت لي أمها: زوج ابنتك بابن فلان السقاء لرجل من جيراننا يستقي الماء فإنه أيسر منها وقد خطبها، وألحت علي، فلم أقدر على إخبارها أن ذلك غير جائز، ولا هو بكفء لها فيشيع

(١) في (أ): إلا ذاكر الله.

خبري ، فجعلت تلح عليّ فلم أزل استكفي الله أمرها ، حتى ماتت بعد أيام ، فما أجدني آسى على شيء من الدنيا آسى على أنها ماتت ولم تعلم بموضعها من رسول الله ﷺ ، قال : ثم أقسم عليّ أن أنصرف فودعني ، فلما كان بعد ذلك صرت إلى الموضع الذي انتظرت فيه لأره فلم أره ، وكان آخر عهدي به .

هذا ما حكاه الشيخ أبو الفرج ، وإنما حكينا من قصة عيسى بن زيد عليهما السلام ذلك ؛ لأنه تمهيد لما قاله في محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام ؛ ليعرف المنصف أنه إذا قال فيه ما حكيناه على علمه وفضله وورعه وثقته كان صادقاً في قوله فتظهر الحال وتنجلي في محمد بن عبدالله عليهما السلام وإن كان ظاهراً جلياً غير أن ذلك زيادة في اليقين .

وروى الشيخ أبو الفرج^(١) : أيضاً بإسناده إلى حيث انتهى قال : سمعت عبدالله بن حفص العامري يقول في حديث حدث به عن محمد : حدثني من لم تر عيني والله ممن خلق الله خيراً منه ولا أراه أبداً ، محمد بن عبدالله عليهما السلام ، فقال له ابنه : إنما أفلتت من يد أبي جعفر أمس في ضرب عنقك ، وهذا ابنه فقال : يا بني [هذا] والله [أمر] لا يبالي أبوك لو ضربت [عليه] عنقه .

وروينا بالإسناد الموثوق به عن عمير بن الفضل الخثعمي قال : رأيت أبا جعفر الذي لقب من بعد بالمنصور يوماً ، وذلك في زمان بني أمية ، وقد خرج محمد بن عبدالله من دار أبيه وله فرس واقف على الباب مع عبد له أسود ، فلما خرج وثب أبو جعفر فأخذ بركابه حتى ركب ، ثم سوى عليه ثيابه على السرج ، ومضى محمد فقلت له - وكنت حينئذ أعرفه ولا أعرف مجمداً : من هذا الذي عظمته هذا الإعظام حتى أخذت بركابه وسويت عليه ثيابه ؟ فقال : أو ما تعرفه ؟ قلت : لا ، قال : هذا محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ، مهدينا أهل

(١) المقاتل ٢٥٠ .

البيت^(١) . وانظر إلى أبي جعفر الملقب بالمنصور في صنيعه لمحمد بن عبد الله عليهما السلام وإقراره بفضله وما انتهى إليه حاله بعد ذلك من سفك دمه في حرم رسول الله ﷺ الذي حَرَّمَ فيه عَصَدَ شجره ؛ فكيف ببعض من أبعاضه^(٢) فإننا لله وإنا إليه راجعون .

وروينا عن إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام : أنه سئل عن أخيه محمد ﷺ أهو المهدي الذي يذكر؟ فقال : المهدي عدَّة من الله تعالى لنبيه ﷺ وَعَدَهُ أَنْ يجعل من أهله مهدياً لم يسمه بعينه ولم يوقَّت زمانه ، وقد قام أخي بفريضته عليه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكره فإن أراد الله أن يجعله المهدي الذي يذكر فهو فضل الله يمن به على من يشاء من عباده ، وإلا فلم يترك أخي فريضة الله عليه لانتظار ميعاد لم يؤمر بانتظاره .

وروينا عن أبي خالد الواسطي قال : لقيت محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام قبل ظهوره بمدين فقلت : يا سيدي ، متى يكون هذا الأمر؟ فقال لي : وما يسرك منه يا أبا خالد؟ فقلت : يا سيدي ، وكيف لا أسر بأمر يخزي الله به أعداءه ، وينصر به أوليائه؟ فقال : يا أبا خالد أنا خارج وأنا والله مقتول ، والله ما يسرنني أن الدنيا بأسرها لي عوض عن جهادهم ، يا أبا خالد إن امرءاً مؤمناً لا يصبح حزينا ويمسى حزينا مما يعاين من أعمالهم إنه لمغبون مفتون . قال : قلت : يا سيدي والله إن المؤمن لكذلك ، ولكن كيف بنا ونحن مقهورون مستضعفون خائفون لا نستطيع لهم تغييراً فقال : يا أبا خالد إذا كنتم كذلك فلا تكونوا لهم جمعاً وانفذوا من أرضهم .

وروى الشيخ أبو الفرج^(٣) : بإسناده عن سعيد بن عقبة قال : كنا مع عبد الله

(١) المقاتل ص ٢٣٩ .

(٢) في (ج) : فكيف بغصن من أغصانه .

(٣) المقاتل ٢٥١ .

ابن الحسن بسويقة وبين يديه صخرة ، فقام محمد يعالجها ليرفعها ، فأقلها حتى بلغ ركبتيه ، فنهاه أبوه فانتهى ، فلما دخل عبدالله عاد إليها فاستقلها حتى طلع بها على منكبيه ثم ألقاها فحزرت^(١) ألف رطل . قال وحدثنا : موسى بن عبدالله عن أبيه عن سعيد بن عقبة بهذا ، قال أبو زيد : ووقف موسى على الصخرة بسويقة ، وذكر لي أنه ورجل من أصحابه عالجها وهي على حرفها فكان جهدهما أنهما حركاها . وله عليه السلام :

متى نرى للعدل نوراً وقد أسلمني ظلم إلى ظلم
أمنية طال عذابي بها كأنني فيها أخو حلم ؛
وخطب عليه السلام على منبر رسول الله ﷺ ، فقال : والله لقد أحيا زيد بن علي ما دثر من سنن المرسلين ، وأقام عمود الدين إذا عوج ، ولن ننحو إلا أثره ، ولن نقبس إلا من نوره ، وزيدٌ إمام الأئمة ، وأولى من دعا إلى الله بعد الحسين بن علي عليهما السلام .

ذكر بيعته ومدة ظهوره عليه السلام : عليه السلام

كان ظهوره عليه السلام بالمدينة بعد أن أقام مستتراً مدة طويلة ، واشتد الطلب عليه من أبي جعفر الملقب بالمنصور فلم يقف له على خير ، وكتب كتاب الدعوة إلى الناس وأمر بإذاعته ، وهو هذا على اختصار : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : فإن الله جل ثناؤه جعل في كل زمان خيرة ، وجعل من كل خيرة منتجبا ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ، فلم تزل الخيرة من خلقه تناسخ أحوالاً بعد أحوال ، حتى كان منها صفوة الله محمد ﷺ سيد المرسلين وخاتم النبيين ، اختصه بكرامته ، وأخرجه من خير خلقه قرناً فقرناً ، وحالاً بعد حال ، محفوظاً مجنباً سوء

(١) في (ج) : فحسبت .

(٢) أنظر مقاتل الطالبين ٢٥٧ ، وما بعدها والإفادة ٥٦ .

الولادات ، متسقاً بأكرم الآباء والأمهات ، فلو أن أحدنا في مثل منزلته ، وعند الله في مثل حاله ؛ لاصطفاه ولأخرجه من مخرجه تبارك وتعالى ، ولكن نظر إليه برحمته ، واختاره لرسالته ، واستحفظه مكنون حكيمته ، وأرسله بشيراً ونذيراً ، وقائداً إليه وسراجاً منيراً ، ثم قبضه الله إليه حميداً ﷺ ، فخلف كتابه الذي كان به هدى واهتدى ، وأمر بالعمل بما فيه ، وقد نجم الجور ، وخولف الكتاب الذي به هدى واهتدى ، وأميتت السنة ، وأحييت البدعة ، ونحن ندعوكم أيها الناس إلى الحكم بكتاب الله وإلى العمل بما فيه ، وإلى إنكار المنكر ، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونستعينكم على ما أمر به في كتابه من المعاونة على البر والتقوى .

واعلموا أيها الناس أنكم غير مصيبي الرشد بخلافكم لذريته ﷺ ، ووضع الأمر في غير محله ، فغارت أجدكم بعد جماعها^(١) ، وتفرقت جماعتكم بعد اتساقها ، وشركتم الظالمين في أوزارها لترككم التغيير على أمرائها ، ودفع الحق من الأمر إلى أوليائه ، فلا سهمنا أوفيناها ، ولا تراثنا أعطيناها ، وما زال يولد مولودنا في الخوف ، وينشأ ناشئنا في القهر والغلبة ، ويموت ميتنا بالذل والقتل ، بمنزلة بني إسرائيل يُذبح أبناؤهم ويُستحيى نساؤهم ، ويولد مولودهم في المخافة ، وينشأ ناشئهم في العبودية ، وإنما فخرت قريش على سائر الأحياء بمحمد ﷺ ، ودانت العجم للعرب بادعائها لحقنا بأينا ﷺ ، ثم مُنعنا حقه ، ودُفَعنا عن مقامه ، أما والله لو رجوا التمكين في البلاد ، والظهور على الأديان ، وتناول الملك بخلاف إظهار التوحيد ، وبخلاف الدعوة إلى محمد ﷺ ، والإذعان منهم بالقرآن ، لتخذوا أساطير مختلفة بأهوائهم ، ولعبدوا الأوثان بأرائهم ، ولتخذوا من أنفسهم زعيماً ، فاتقوا الله عباد الله ، وأجيبوا إلى الحق ، وكونوا عليه أعواناً لمن

(١) في (أ) : فغارت أحلامكم بعد جماعها . والجد : الناقة القوية الموثقة الخلق . لسان العرب ٣ / ٧٠ . والجماع : المهزومون من الحرب . لسان العرب ٢ / ٤٢٧ .

دعاكم إليه ، ولا تأخذوا بسنة بني إسرائيل إذ كذبوا أنبياءهم ، وقتلوا ذريتهم ، على أنها سنة لسنة تتركبونها ، وعروة بعد عروة تنكثونها ، وقد قال الله جل ثناؤه في كتابه : ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ [الانشقاق: ١٩] فاعرفوا فضل ما هداكم به ، وتمسكوا بوثائقه ، واعتصموا بعروته ، من قبل هرج الأهواء ، واختلاف الأحزاب ، وتنكب الصواب ، فإن كتابي حجة على من بلغه ، ورحمة على من قبله ، والسلام .

وكتب ﷺ كتاباً إلى خواص أصحابه ، وأمر بقراءته عليهم : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : فإن الله جل ثناؤه بعظمته ألزم نفسه علم الغيوب عن خلقه ؛ لعلمه أنها لا تصلح إلا له ، ثم أنشأ خلقه بلا عون ، ودبر أمره بلا ظهير ، بدأ ما أنشأ على غير مثال من معبود كان قبله ، ثم اختار لتفضيله بعلمه من ملائكته ورسله من أئمنه على أسرار غيوبه ، لم يلاحظه في الملكوت عين ناظرة ، ولا يد لأمسة ، متفرد بما دبر ، ذلكم الله رب العالمين إلى أن أخرج محمداً ﷺ من خير نسل ذوي العزم من الرسل ، تناسخه دوارج الأصلاب ، إلى مطهرات الأرحام ، حتى استخرجه خير جنين ، وأصحابه خير قرين ، أرسله بنور الضياء إلى أهل الظلم والكفر ، قد نسكوا وذبحوا للأصنام ، واستقسموا بالأزلام ، مترددين في حيرة الضلالة ، كلما ازدادوا في عبادتهم جهلاً ازدادوا من الله بها بعداً ، حتى تصرمت عنهم مدة البلاء بقيام محمد ﷺ فيهم يدعوهم إلى النجاة ، ويضمن لهم الظفر في الدنيا ، وحسن المشوية في الآخرة ، ويخبرهم عن القرون الماضية ، كيف نجي من نجي منهم بالاستجابة لرسولهم ، وكيف بعث العذاب على من تولّى منهم وأمثالهم ، وانظر إلى آثارهم وديارهم خاوية على عروشها كيف تركوها وما فيها ، فقال : يا قوم احذروا مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود ، فأبوا إلا التكذيب بالتوحيد ، واستعظموا أن يجعلوا الآلهة إلهاً واحداً ، فلما أمر أن يجاهد بمن أطاعه من عصاه ، كبر عليه مجاهدة الكثير من المشركين بالقليل من المسلمين ،

ضمن الله له عاقبة الأمر والظفر، وشد له أزره وأعان به ابن عمه وابن صنو أبيه، وشريكه في نسبه، ومؤنسه في وحدته، من الشجرة المباركة، استجاب له على ضراعة من سنه، حتى سيطر الإسلام بلحمه ودمه، لم يخشع بين يدي آلهتهم وعزائمهم، إذ هي تدعى وغيره خاشع لها، عاكف عليها هي له منسك، إلى أن اشتد على الضرع الصغير على التوحيد عظمه، وعظمت في اتخاذ الخير هممه إليه يستريح رسول الله ﷺ بأسراره، فكان هو ﷺ الصديق الأكبر، والفرس المشهر، سابق العرب إلى الغاية، ليس أمامه فيها إلا الرسول ﷺ والمرسل، بالكتاب المنزل، يصلي بصلاته، ويتلو معه آياته، تفتح لعمليهما أبواب السموات السبع، تهوى جبهته مع نبيه ﷺ إلى القبلة المجهولة عند قومه، ليست إصبع يدها متوسلاً إلى الله جل ثناؤه غير إصبعه، ولا ظهر يحنو لله في طاعته قبل ظهره، إن ساماهم بشرفه في أوليته سبق عليهم بفارغ غصون مجده، وعواطف شرف من قام عنه من أمهاته، ثم نشأ في حجر من نشأ، يؤدبه بالكتاب، إذ غيره يباكر عبادة اللات والعزى، شهد له القلم الجاري بعلمه في حال الفردانية، إذ هو يسارق الصلوات أهله، إذ لا قلم جار، ولا شهيد على مطيع ولا عاصي غيره، يكاثف النبي ﷺ في مواطنه، ويستريح إليه بأسراره، ويستعديه بهممهم، إذا النبي ﷺ هو المستوحش من جماعتهم، والخائف على دمه منهم، أين زال النبي ﷺ زال معه، وإن غال النبي ﷺ أمر وقاه بنفسه، فمن يساويه وهذه حاله صلوات الله عليه؟، والحال هذه حال القوم في كفرهم بربهم، وإنكارهم رسوله، واختيارهم عبادة أوثانهم، وعلي بن أبي طالب ﷺ يُعظَّم ما صغروا، ويكرم ما أهانوا، حتى دخل من دخل في دين الله رغبة ورهبة، فلما طال على رسول الله ﷺ تكذيب قومه إياه استشار علياً صلوات الله عليه فقال: ما ترى؟ قال: يا رسول الله: ها سيفي، وكان بالضرب به دونه جواداً، قال رسول الله ﷺ: إنني لم أؤمر بالسيف فتم على فراشي،

وق بنفسك نفسي حتى أخرج فإني قد أمرت بذلك ، فنام على فراشه ووقاه بنفسه
باذلاً لمهجته ، واثقاً بأن الله تعالى غير خاذله ، ومن يدعي الفضل له عليه : إما
راصد لرسول الله ﷺ أو معين عليه ، أو جالس عندهم في ذبائح الغنم على
الأصنام ، والإستقسام بالأزلام ، وأقلام الملائكة عليهم السلام تصعد بعمل
رسول الله ﷺ ، فلما استقرت به الدار ، وحل في الأنصار ، أمره الله جل ثناؤه أن
يشهر سيف التوحيد ، وضمن له التأيد ، فجاءت حال المنايذة ، وتدانت الزحوف ،
أيده الله جل ثناؤه بعلي بن أبي طالب عليه السلام ، فقام إليهم وله خطرات بسيفه ذي
الفرار ، فسألوه عن النسبة ، فانتهى إلى محل اليفاع^(١) الذي لا لأحد عنهم
مرغب ، وأوجل الله قلوبهم من مخافته حتى اجتنبوا ناحيته ، فما زالت تلك
لشاهد مع رسول الله ﷺ حتى سمته رجال قريش ، وحتى تشاغلن نساؤهم
بلمآتم ، فكم من باكية أو داعية ، أو موتور قد احتشى غلته بفقدانه أباه أو أخاه أو
عمه أو خاله أو حميمه ، يخوض مهاول الغمرات بين أسنة الرماح ، لا يثنيه عن
نصرة رسول الله ﷺ بنوة حدائه ، ولا ظن بمهجته ، حتى استولى على الفضل
في الجهاد في سبيل الله ، وكان أحب الأعمال إلى الله ، وزرع إبليس عدو الله
بغضه في قلوبهم ، فلاحظوه بالنظر الشزر ، وكسروا دونه حواجبهم ، وراسوا
بالقول فيه ، والطعن عليه ، فلم يزد الله بقولهم فيه إلا ارتفاعاً كما نالوا منه ، نزل
القرآن بجميل الثناء عليه في أي كثير من كتاب الله ، قد غمهم مكانه في
المصاحف ، ومن قبل ما أثبتته الله جل ثناؤه في وحي الزبور : أنه وصي الأوصياء ،
وأول من فتح بعمله أبواب السماء .

فلما قبض رسول الله ﷺ كان أولاهم بمقامه ، ليس لأحد مثله في
نصرته لرسول الله ﷺ ، وأخ ليس لهم مثله له جناحان يطير بهما في

(١) معجم البلدان ٤٣٩/٥ : اليفاع : المشرف من الأرض والجبل ، وقيل : هو قطعة منها فيها
غلظ ، لسان العرب ٤١٤/٨ .

الجنة، وعمُّ له سيد الشهداء في جميع الأمم، وابنان هما سيدا شباب أهل الجنة، وله سيدة نساء العالمين، ثم قبض. ولما قبض رسول الله ﷺ أخذ أهله في جهازه إلى ربه، واختلفوا فيمن يلي الأمر بعده، فقالت الأنصار: نحن الذين آوينا ونصرنا، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فأتى أبا بكر وهو يباب رسول الله ﷺ، ينتظر جهازهم له والصلاة عليه، فقال له: إنك لغافل عما أسست الأنصار وأجمعوا عليه من الصفة على يد سعد بن عباد، ثم تناول يده عمر فجذبه فأقامه حتى انتهى إلى سعد، وقد عكفوا عليه وازدحموا حوله، وتكلم أبو بكر فقال: يا معشر الأنصار، أنتم الجيران والإخوان، وقد سمعتم قول رسول الله ﷺ: «إن هذا الأمر لا يصلح إلا في قريش»^(١)، وقد علمت العرب أنني أوسطها داراً، وأصبحها وجهاً، وأبسطها لساناً، وأن العرب لا تستقيم إلا علينا، فقال عمر: هات يدك يا أبا بكر أبايعك، فمدَّ يده أبو بكر فضرب عليها بشير بن سعد، ثم ثلث أبو عبيدة بن الجراح، ثم تتابعت الأنصار، فبلغ ذلك علياً ﷺ فشغله المصاب برسول الله ﷺ، عن القول لهم في ذلك، واغتموا تشاغله برسول الله ﷺ، فنظر علي ﷺ لدين الله قبل نظره لنفسه فوجد حقه لا ينال إلا بالسيف المشهور، وتذكر ما هم به من حديث عهد بجاهلية فكره أن يضرب بعضهم ببعض فيكون في ذلك ترك الألفة، فأوصى بها أبو بكر إلى عمر من غير شورى، فقام بها عمر وعمل على الولاية بغير عمل صاحبه، ليس بها عهد من رسول الله ﷺ، ولا تأول من كتاب الله إلا رأي توخاه هو فيه مفارق لرأي صاحبه، جعلها بين ستة نفر، وضع عليهم أمراءهم إن اختلفوا أن يقتلوا الأقل من الفئتين^(٢)، فصغروا ما عظم الله وصاروا ولاية السوء، سُدَّت عليهم أبواب التوبة، واشتملت عليهم النار بما فيها والله جل ثناؤه بالمرصاد ولا حول ولا قوة

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٨/١٤٢-١٤٣، ومسنَد ابن حنبل ٦ رقم ١٦٨٥٢، فتح الباري ١٣/

١١٤، وكنز العمال ٣٣٧٩٩.

(٢) في هامش (ج): فصغروا - بالفاء - وهو من هاهنا للمصنف أمر المصنف أن يروى عنه إلى

قوله: ثم انتشرت دعوته.

إلا بالله العلي العظيم .

ثم انتشرت دعوته ﷺ ، فلما بلغت إلى أهل الفضل والدين تلقوها بالقبول والإجابة لمعرفتهم بفضله وزهده وعلمه ، وانتشرت في الآفاق ، وظهرت بخراسان ، وبايعه الجمهور من أهلها ، واضطرب أهل خراسان على أبي الدوانيق اضطراباً شديداً ، حتى هموا بطرد ولاته ودعاته ، فقتل محمد بن عبدالله بن عمرو ابن عثمان ، وأمه : فاطمة بنت الحسين ، وأمر برأسه مع عدة من الناس يحلفون لأهل خراسان أن هذا رأس محمد بن عبدالله بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ ، فسكتوا بعد أن كانوا هموا بخلع أبي الدوانيق ، وصار أبو جعفر شديد^(١) الشغل به ؛ لما يعرف من شهامته وفضله وعلمه ، وجرت بينه ﷺ وبين أبي جعفر الدوانيقي مكاتبات كان ابتداءها من أبي جعفر كتب إليه أولاً من عبدالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبدالله ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافِ ﴾ الآية (المائدة: ٣٢) ولك عهد الله وميثاقه ، وذمته وذمة رسول الله إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أني أومنك وجميع ولدك وإخوانك وأهل بيتك على دمائهم وأموالهم ، وأستودعكم ما أصبتم من دم وأموال ، وأعطيك ألف ألف درهم وما سألت من الخوائج ، وأنزلك من البلاد بحيث شئت ، وأخلي من في محبسي من أهل بيتك ، وأومن كل من آواك أو بايعك ودخل في شيء من أمرك ثم لا أتبع أحداً منهم بشيء كان منهم أبداً ، وإن أحببت أن توثق لنفسك فوجه إلي من أحببت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق وما تثق به وتطمئن إليه إن شاء الله ، والسلام .

فكتب إليه النفس الزكية : من عبدالله محمد بن عبدالله أمير المؤمنين

(١) في (أ) : كثير .

إلى عبد الله بن محمد ﴿ طَسَمَ * تَلَّكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتَلَّوْا عَلَيْكَ مِنْ نُبِيٍّ مُوسَى وَفِرْعَوْنُ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾ [التصحر: ١-٦] وأنا أعرض عليك من الأمان ما عرضت علي، وأنت تعلم أن الحق حقنا، وأنكم ادعيتكم هذا الأمر بنا، وخرجتم بشيعتنا، وأن أبانا علياً كان الإمام فكيف ورثتم ولايته دون ولده؟ ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرف أيينا، وأنا لسنا من أبناء الطلقاء، ولا العتقاء، ولا اللعناء، ولا الطرداء، وأنه لا يمت أحد من بني هاشم بمثل ما نمت به من القرابة والسابقة والفضل، فإننا بنو أم رسول الله ﷺ في الجاهلية، وفي الإسلام بنو ابنته دونكم، وأن الله اختارنا واختار لنا، فولدنا من النبيين أفضلهم محمد ﷺ، ومن السلف أولهم إسلاماً علي بن أبي طالب ﷺ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة أول من صلى القبلة - رحمة الله عليها، ومن البنات فاطمة سيدة نساء العالمين - رحمة الله عليها، ومن المولودين في الإسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن هاشماً ولد علياً مرتين، وأن عبدالمطلب ولده مرتين، وأن النبي ﷺ ولدني مرتين وإني من أوسط هاشم نسباً، وأصرحهم أمماً وأباً، وأنه لم يعرف في سجحهم^(١)، ولم يتنازع في أمهات الأولاد، وما زال الله تعالى يختار لي الأباء والأمهات في الجاهلية والإسلام، حتى اختار لي في الثأر^(٢)، فأنا ابن أرفع الناس درجة في الجنة، وأنا ابن أهون الناس عذاباً، وأنا ابن خير الأخيار، وابن خير أهل الجنة والنار^(٣)، ولك إن دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي أن أومنك

(١) أي: عجمة.

(٢) أي: (أ) : غير منقطوعة، ونظنها: في النار.

(٣) هذه العبارة تشير إلى كفر أبي طالب، وهي تصادم رأي أهل البيت في إسلامه، ثم إن الافتخار بأهل النار لا يليق بإمام بحجم النفس الزكية! فما أراها إلا مقحمة من صنع خيال النساخ، فمن دخل النار فلا خير فيه. ومن فضائل المذهب الزيدي أنه يعرض النصوص على العقل والقرآن ليرد ما صادمهما ... والله أعلم.

على نفسك ومالك ودمك وعلى كل أمر أحدثته إلا حداً من حدود الله، أوحقاً
لمسلم أو معاهد، وقد علمت ما يلزمك في ذلك ومن ذلك، وأنا أولى بالأمر
منك، وأوفى بالعهد والعقد؛ لأنك تعطيني من عهدك ما أعطيته رجلاً من قبلي،
فأي أمانك تعطيني: أمان ابن هبيرة؟ أم أمان عمك عبدالله بن علي؟ أم أمان أبي
مسلم؟ والسلام.

فأجابه أبو جعفر: من عبدالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبدالله أما
بعد: فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه، فجلُّ فخرك بقرابة النساء، ولم
يجعل الله النساء كالعمومة والآباء، ولا كالعصبة والأولياء؛ لأن الله تعالى جعل
العم أباً، وبدأ به على الولد الأدنى، ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن
لكانت آمنة أقربهن رحماً، وأعظمهن حقاً، وأول من يدخل الجنة غداً، ولكن
اختار الله لخلقته على قدر علمه الماضي منهم، فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي
النبي ﷺ، وولادتها فإن الله لم يرزق من ولدها ذكراً ولا أنثى الإسلام، ولو
كان أحد من ولدها رزق الإسلام بالقرابة لكان عبدالله بن عبد المطلب أولاهم
بكل خير في الدنيا والآخرة، ولكن الأمر إلى الله يختار لدينه من يشاء، قال الله
تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [النصر: ٥٦] ولقد بعث الله نبيه محمداً وله عمومة أربعة، وأنزل
عليه: ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فدعاهم فأنذرهم، فأجابه
اثنان: أحدهما أبي، وأبي اثنان: أحدهما أبوك، فقطع الله ولايتهما، ولم يجعل
بينه وبينهما إلا ولائمة ولا ميراثاً، وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذاباً، وابن
خير الأشرار، وليس في الكفر بالله صغير، ولا في عذاب الله خفيف ولا
قليل، ولا في الشر خيار، ولا ينبغي لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر
بالشر، وسترد فتعلم ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ
يَنْقَلِبُونَ ﴾ [النمر: ٢٢٧] وأما ما فخرت به من أن فاطمة أم علي، وأن

هاشماً ولده مرتين ، وأن عبدالمطلب ولده مرتين ، فخير الأولين والآخرين رسول الله ﷺ ، لم يلد هاشم إلا مرة ، ولا عبدالمطلب إلا مرة ، وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسباً ، وأصرحهم أمماً وأباً إلى آخر ما ذكره .

فأجابه محمد بن عبدالله ﷺ بهذه الرسالة وهي التي يقال لها : الدامغة . قال مؤلف كتاب المصاييح : وهو الذي روينا منه هذه الكتب وما قبلها من كتبه ﷺ بعد سماعنا له ، وأنا أريد أن أختصر منها ، فإنني لو أثبتته على الوجه لطال الكتاب : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴾ [طه: ٩٨-١٠١] أما بعد : فإنك ذكرت أن فخري بالنساء ، فرأيت أن أوضح من أمرهن ما جهلته ، ومن حق العم لأب وأم خلاف ما وهمته ، أو ليس قرابتهن أقرب القرابة ؟ ، أوليس قد ذكر الله الأمهات ، والأخوات ، والبنات ، ولم يجعل بينهن وبين الأباء والقرابة فرقاً ؟ فقال : ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴾ [النساء: ٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ... الآية ﴾^(١) [النساء: ١٢٧] فقد ذكر الأمهات والأخوات والبنات ، ولم يذكر العم ، ثم فرض على عباده البر بالنساء والرجال إذ قال : ﴿ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ [النساء: ١٤] ، وقوله : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ﴾ [الاحقاف: ١٥] ثم ذكر فضل الأم على الأب فقال : ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ [الاحقاف: ١٥] وكذلك في ثواب ما عنده إذ يقول : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ﴾

(١) وردت في النسخ : ﴿ يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ ، وهو جمع بين آيتين .

إلى قوله تعالى: ﴿أَعِدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ﴾ [النور: ٦١] وقال: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يس: ١٠٠] وإنما كانت خالته، وقال النبي ﷺ: «الخاله والدة، والخال والد يرث ماله ويفك عانيه» .

وأما قولك: لو كان الله اختار لهن لكانت آمنة أم النبي ﷺ وأمه أقربهن رحماً، فهل أنباتك أن الله اختار لهن أو لأحد من خلقه ذكراً أو أنثى على قرابته فتحتج عليّ به؟ ما اختار الله أحداً من خلقه، ولا اختار له إلا على السابقة والطاعة، وكانت هذه حالة أبي علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمي فاطمة بنت محمد، لم تكفر بالله قط؛ ولذلك قال لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا...﴾ [البقرة: ١٢٤] إلى آخره، وأما فاطمة بنت عمرو^(١) أم أبي طالب وعبدالله والزيير وولادتها إياي، فكيف أنكرت ذلك وأنت تحتج بالعصبة والعمومة ولم يجعل الله للعباس من قرابة العمومة شيئاً لم يجعله لأبي طالب .

وأما قولك: إنكم حزتم بأبيكم وراثه^(٢) رسول الله ﷺ، دوننا فأخبرني أي الميراث حازه العباس لكم دوننا؟ الخلافة دون المال ! أو المال دون الخلافة ! أو الخلافة والمال معاً، فإن قلت: الخلافة دون المال ! فيجب على القياس أن تقسم الخلافة على قسم الموارث للذكر مثل حظ الأنثيين، فالولد^(٣) أحق بها من العم، والأخ أولى من العم، فإن جاز ذلك فلم ورثتها دون عمومتك، وهم أولى بالكبر منك ومن أخيك، ولم ورثت أخاك دون ولده إلى كلام طويل .

وذكر في آخر هذا الجواب: ولست أراه يسعني إلا مجاهدتك، فإن

(١) في (أ): عمر .

(٢) في (ج): ورتة .

(٣) في (أ): فالوالد .

موعذك الساعة والساعة أدهى وأمر، وأنا على بصيرة من أمري، وماض على ما مضى عليه سلفي وأشياهم الذين ذكرهم الله تعالى، فقال: ﴿مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] إلى آخره، وعلى الله فليتوكل المتوكلون.

ولما عقدت البيعة له في أعناق أهل الفضل، وانتشر ذكره في الآفاق، اضطر عليه السلام إلى الخروج قبل أوامه، وكان سبب ذلك أن أبا جعفر لما حبس أباه عبدالله بن الحسن وإخوته عليهم السلام، وشدد عليهم بسبب محمد بن عبدالله، وأمر بضرب موسى بن عبدالله فضرب ستمائة سوط، ثم أمره أبو جعفر بزعمه ليكون له عيناً، فتقدم موسى بن عبدالله عليهما السلام على أنه يكون عيناً له على محمد بن عبدالله عليهما السلام، فأقام مدة بالمدينة حتى أمر واليها إلى أبي جعفر: إنك بعثت موسى ليكون لك عيناً على محمد بن عبدالله وإنه عين لهم علينا، فأمر أبو جعفر بإحضار موسى إليه فلما خرجوا بموسى بن عبدالله عليه السلام خشي محمد بن عبدالله عليهما السلام القتل على أخيه فشهّر نفسه في الحال.

وكان ظهوره عليه السلام: لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة، وروي في غرة رجب، وخرج وعليه قلنسوة صفراء وعمامة فوقها متوشحاً سيفاً، وانضاف إليه في تلك الحال مائتان وخمسون رجلاً، فتقدم حتى وقف على سجن المدينة وأرسل من فيه، ودخل المسجد قبل الفجر فخطب الناس، وقال في خطبته بعد حمد الله والثناء عليه :

أما بعد : يا أهل المدينة فإني والله ما خرجت فيكم وبين أظهركم لأتعزز بكم، ولغيركم كان أعز لي منكم ولكني حبوتكم بنفسي، مع أنه لم يبق مصر من الأمصار يعبد الله فيه إلا وقد أخذت لي فيه البيعة، وما بقي أحد من شرق ولا غرب إلا وقد أتني بيعته، وإن أحق الناس بالقيام بهذا الأمر لأبناء المهاجرين والأنصار، مع ما قد علمتم من سوء مذهب هذا الطاغية الذي قد بلغ في عتوه

وطغيانه أن اتخذ لنفسه بيتاً وبوّه بالذهب - يعني : أبا الدوانيق ، ثم بالغ في ذمّه ، ولما حضرت الصلاة صلى وبايعه الناس طوعاً إلا شزيمة ، وهرب رباح بن عثمان المري عامل أبي جعفر على المدينة وصعد سطح دار مروان ، وأمر بهدم الدرجة ، فصعد إليه من أخذه من هناك ، فسأله عن موسى عليه السلام ، فقال : قد أنفذته إلى أبي جعفر ، فبعث جماعة من الفرسان خلفه حتى ردوه ، ثم خرج عليه السلام إلى مكة فبويع هناك ، ووجّه أخاه إبراهيم عليه السلام إلى البصرة ، وعاد من مكة إلى المدينة ، وكان شعاره : أحدٌ أحدٌ .

قال السيد أبو طالب عليه السلام : "وروي عن حسين بن زيد بن علي عليهم السلام ، قال : شهد مع محمد بن عبدالله من ولد الحسين أربعة : أنا وأخي عيسى وموسى وعبدالله ابنا جعفر بن محمد الباقر .

وروي أن أوّل قتييل من المسودة اشترك في قتله بين يديه عليه السلام موسى وعبدالله ابنا جعفر بن محمد عليه السلام ، وكانا حاضرين معه في جميع جهاده ، حتى قُتل وأعطياه بيعتهما مختارين متقربين إلى الله تبارك وتعالى بذلك ، واستأذنه أبو عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام ؛ لسنّه وضعفه في الرجوع إلى منزله بعد أن خرج معه فأذن له ، وكانت رايته مع الأفضس الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وخرج معه المنذر بن محمد بن المنذر ابن عبدالله بن الزبير ، وابن أبي ذؤيب ، وابن عجلان ، وخرج معه مصعب بن عبدالله بن الزبير ، وابنه عبدالله بن مصعب ، وأبو بكر بن أبي سبرة - الفقيه الذي يروي عنه الواقدي ، وقد كان عمرو بن عبيد ونفر من أعيان المتكلمين من معتزلة البصرة اختبروه ووقفوا على غزارة علمه ودعائه إلى القول بالعدل فبايعوه ، ومن الناس من أنكر أن يكون عمرو بايعه والصحيح هو الأول ، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام .^(٢)

(١) الإفادة : ٥٤ .

(٢) الإفادة ٥٨ . والأصفهاني في المقاتل ٢٩٣ - ٢٩٤ .

واستفتي مالك بن أنس في بيعته ، فأمر الناس بذلك ، فقبل : إن في أعناقنا بيعة أبي جعفر ، فقال : إنكم بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين^(١) .

وذكر الشيخ أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني^(٢) في تسمية من خرج مع النفس الزكية عليه السلام من الفقهاء : عبدالواحد بن أبي عون ، ومحمد بن عجلان ، وعبدالله بن عامر الأسلمي ، وعبدالعزیز بن محمد الدراوردي ، وإسحاق بن إبراهيم بن دينار ، وعبد الحميد بن جعفر ، وعبدالله بن عطاء مولى ابن سباع ، وبنوه وهم : إبراهيم ، وإسحاق ، وربيعة ، وجبير ، وعبدالله ، وعطاء ، ويعقوب ، وعثمان ، وعبدالعزیز ، بنو عبدالله .

وروى بإسناده عن بعضهم أن أبا جعفر كان يقول : العجب لعبدالله بن عطاء إنه بالأمس على بساطي ثم يضرني بعشرة أسياف ، ثم تَغَيَّبَ عبدالله بن عطاء حتى مات في إمارة جعفر بن سليمان الأول فخرج به بنوه ليدفنوه ، فأخبر جعفر ابن سليمان ، فأمر به فأنزل من نعشه ثم صلب ، وعبدالله بن عطاء من ثقات أهل الحديث ، قد روى عن أبي جعفر محمد بن علي وعن عبدالله بن بريدة وغيرهما من وجوه التابعين .

وروى عنه الثقات مثل : مالك بن أنس ونظرآئه ، وعبدالله بن عامر الذي ذكرناه هو : الأسلمي القاري ويكنى أبا عامر وهو ثقة روى عنه وكيع وأبو نعيم وعبيدالله بن موسى وأبو ضمرة ، وروى هو عن الزهري ونافع ، ووثقه يحيى بن معين ورووه في الحديث ، وإياه يعني : إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بقوله :

أبو عامر فيها رئيس^(٣) كأنها كراديس تغشى حجرة المتكبر^(٤)
قال : وخرج إبراهيم^(٤) بن هرم مع محمد في محفة ، وقال : ما في قتال ولكن

(١) الافادة ٥٩ . والمقاتل ٢٨٣ .

(٢) المقاتل ٢٨٦ .

(٣) المقاتل ص ٢٩٧ .

(٤) إبراهيم ساقط من الأصل .

أحبت أن تتأسى بي الناس، وخرج معه من المنظورين المعروفين بالزهد والعلم والعمل مطر الوراق رحمة الله عليه، ولما قتل إبراهيم عليه السلام أسر مطر رحمه الله وقدم على المنصور وقال له : يا مطر، أنت القاتل : إن في قلبي لحر لا يطفئه إلا بردٌ عدل أو حرٌّ سنان، قال : أنا القاتل ذلك، فقال أبو جعفر : لأذيقنك اليوم حرَّ سنان يشيب منه رأسك، قال مطر : إذا لأصبرن صبراً يذل الله فيه سلطانك، فأمر بقطع يديه فمدوا يديه فقبضهما، فقال : يا مطر هذا خلاف ما وعدت، فقال : كلا ولكن لا أعينك على معصيتك، فقطعوا يديه فما قطب، ثم قتل رحمة الله عليه .

أولاده عليهم السلام :

قال السيد أبو طالب عليه السلام ^(١) عبدالله الأشتر قتل (بكايل) وله عقب، وعلي أخذ (بمصر) فمات في حبس محمد بن أبي جعفر الملقب بالمهدي، والحسن قتل (بفخ) ولم يذكر الطالبيون غير هؤلاء، وذكر غيرهم حسينا. وأجمعوا أنه وكَد ابنتين : فاطمة، وزينب درجتا، وأمههم جميعاً : أم سلمة بنت محمد بن الحسن الثاني بن الحسن بن علي عليهم السلام ^(٢) .

وروينا عن بعضهم أنه عليه السلام كان في بعض الجبال وقد اشتد به الطلب، ومعه ولد صغير من أم ولد فسقط الولد فمات فأنشأ عليه السلام يقول :

منخرق الخفين يشكو الوجا	تنكبه أطراف مرو حداد
شرده الخوف وأزرى به	كذاك من يكره حرَّ الجداد
قد كان في الموت له راحة	والموت حتم في رقاب العباد

عماله عليهم السلام :

أنفذ قبل ظهوره إبراهيم بن عبدالله عليهما السلام على خلافة البصرة،

(١) الإفادة : ٥٩ .

(٢) الإفادة ص ٧٨ .

وولى قضاء المدينة عبدالعزیز بن المطلب المخزومي ، وكان على أبواب العطاء
عبدالله بن جعفر بن عبدالرحمن بن المسور بن مخرمة ، وعلى شرطته عبدالحميد
ابن جعفر ، ثم وجهه في وجهه ، فولأها عمرو بن محمد بن خالد بن الزبير ذكره
السيد أبو طالب عليه السلام ^(١) .

ذكر مقتله ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام ^(٢) :

لما اشتهر أمره عليه السلام في المدينة وغيرها ، جهز أبو جعفر إليه الجنود يقودهم
عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس في أربعة آلاف رجل
وقال : إنك سترد على حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وجيران قبره فإن قتل محمد أو
أخذ أسيراً فلا تقتل أحداً وارفع السيف ، فإن طلب محمد الأمان فأعطه ، وإن
فاتك فاستمل عليه أهل المدينة ، فاقتل من ظفرت به منهم ، فلما بلغ محمداً
مسيره خندق على المدينة خندقاً على أفواه السكك ، فقاتلهم عيسى بن زيد بن
علي عليهم السلام ، ومحمد جالس على المصلى ثم جاء هو فباشروهم القتال
بنفسه ، فلما اقتتلوا ساعة انهزم أصحاب محمد وتفرقوا عنه فلما رأى ذلك رجع
إلى دار مروان فصرى الظهر واغتسل وتحنط ، وذكر الشيخ أبو الفرج أن القتال كان
يوم الاثنين للنصف من شهر رمضان ^(٣) .

وروى بإسناده عن أبي الحجاج قال : رأيت محمداً وإن أشبه ما خلق الله به
لما ذكر من حمزة بن عبدالمطلب يهد الناس بسيفه ما يقاربه أحد إلا قتله ، لا والله
ما يليق ^(٤) شيئاً ، حتى رماه إنسان كأنني أنظر إليه أحمر أزرق بسهم ، ودهمتنا
الخيل فوقف إلى ناحية جدار وتحماه الناس .

(١) الإفادة ٥٩ .

(٢) أنظر المقاتل ٢٧٥ ، والإفادة ٥٩ ، والمصايح ٤٤٣ .

(٣) المقاتل ص ٢٧٥ .

(٤) أي لم يلق شيئاً إلا قطعه حسامه . لسان العرب ١٠ / ٣٣٤ . ومن ذلك قول أبي العيال :

خضم لم يلق شيئاً . . . كان حسامه اللهب .

وروى أنه قتل يوم ذاك اثني عشر رجلاً من جنود الظالمين، ثم كان انهزام
 عسكره عليه السلام، على ما رواه الإمام المنصور بالله عليه السلام بحيلة امرأة عباسية كانت في
 المدينة، وذلك أنها أمرت خادماً بقناع أسود رفعه في منارة مسجد رسول الله
صلى الله عليه وآله، وأمرت خداماً لها آخرين صاحوا في العسكر: الهزيمة الهزيمة، إن المسودة قد
 جاؤا من خلفكم فدخلوا المدينة، فالتفت الناس فأبصروا الراية السوداء على المنارة
 فلم يشكوا في ذلك، فانهزم الناس وبقي وحده عليه السلام يقاتل حتى عرض له رجل
 فضربه على ذقنه فسقطت لحيته على صدره فرفعها بيده وشدها، ثم رمى بنشابة
 في صدره، فحملوا عليه من كل جانب فقتل، وكان الذي تولى الإجهاز عليه
 حميد بن قحطبة، وفي بعض أخباره عليه السلام أنه لما حمى الوطيس خرج في قباء طاق
 وهو يقول :

قاتل فما بك إن حبست بدومة في ظل غرفتها إذا لم تخلد
 إن امرءاً يرضى بأهون سعيه قصرت مرؤته إذا لم يزد

وروى أبو الفرج بإسناده عن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن
 حسن قال: لما كان اليوم الذي قتل فيه محمد قال لأخته: إني في هذا اليوم على
 قتال هؤلاء فإن زالت الشمس ومطرت السماء فإني مقتول، وإن زالت الشمس
 ولم تمطر السماء وهبت الريح فإني أظفر بالقوم، فإن زالت الشمس فأججني
 التناير وهيئي هذه الكتب، فإن زالت الشمس ومطرت السماء، فاطرحي هذه
 الكتب في التناير، فإن قدرتم على بدني فخذوه، ولن تقدرُوا على رأسي، فأتوا
 به ظلة بني نُبَيْه على مقدار أربعة أذرع أو خمسة، فاحفروا لي حفرة فادفنوني
 فيها، فلما مطرت السماء فعلوا ما أمرهم به، وقالوا: آية قتل النفس الزكية أن
 يسيل الدم حتى يدخل بيت عاتكة قال: فكانوا يعجبون كيف يسيل الدم حتى
 يدخل بيت عاتكة، فكان يوماً مطيراً، فسال الدم حتى دخل بيت عاتكة، قال:
 وأخذ جسده فحفروا له حفرة فوقعوا على صخرة، فدلوا الحبال فأخرجوها فإذا

فيها مكتوب ، هذا قبر الحسن بن علي بن أبي طالب ، فقالت زينب : رحم الله أخي كان والله أعلم حيث أوصى أن يدفن في هذا الموضع^(١) !! .

وقد ورد الأثر في النفس الزكية : « أنه يقتل فيسيل دمه إلى أحجار الزيت ، لسقائه ثلث عذاب أهل جهنم » ، رواه الإمام المنصور بالله عليه السلام . وروى أبو الفرج بإسناده^(٢) : أن زينب بنت عبدالله ، وفاطمة بنت محمد بن عبدالله بعثتا إلى عيسى : إنكم قد قتلتم هذا الرجل وقضيتم منه حوائجكم فلو أذنتم لنا لواريناه . فأرسل إليهما : أما ما ذكرتما يا بنتي عمي أني نلت منه ، فوالله ما أمرت ولا علمت فوارياه راشدين ، فبعثتا إليه فاحتمل ، فقيل : إنه حُسي في مقطع عنقه عديلة من قطن .

وروى بإسناده عن أم سلمة بنت محمد بن طلحة قالت : سمعت زينب بنت عبدالله تقول : كان أخي رجل آدم ، فلما أدخل وجدته قد تغير لونه وحال حتى رأيت بقية من لحيته فعرفتها ، فأمرت بفراش فجعل تحته ، وقد أقام في مصرعه يومه وليلته وإلى غد ، فسال دمه حتى استتقع تحت الفراش فأمرت بفراش ثان ، فسال دمه حتى وقع بالأرض ، فحولت تحته فراشاً ثالثاً فسال دمه وخلص من فوقها جيمعاً .

وحمل رأسه إلى أبي جعفر مع ابن أبي الكرام الجعفري ، وكان قتله بعد العصر يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان ، ذكره أبو الفرج من سنة خمس وأربعين ومائة ، وقيل : سنة ست ، وقيل : إنه قتل عن اثنتين وخمسين سنة .

(١)المقاتل ص٢٧١ .

(٢)المقاتل ٢٧٥ .

قال السيد أبو طالب عليه السلام - وقد ذكر ذلك - : وهذا كله مخالف لما ذكرناه من تأريخ مولده ويجب أن يكون أحدهما غير صحيح والله أعلم بالحقيقة .
 وكانت مدة قيامه عليه السلام بالأمر وانتصابه : شهرين تزيد أياماً .
 ولما قتل عليه السلام ودخل الجند الظالم لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقف حميد ابن قحطبة على الباب ولم يدخل ، فقال له ^(١) بعضهم : ما رأيت أعجب من أمرك يا حميد يضرب الناس أباط الإبل لزيارة قبر رسول صلى الله عليه وآله ، وتصل إلى باب مسجده ثم لا تزوره ! فقال : والله إنني لأستحيي منه ، الآن قتلت ولده ثم أدخل لزيارته ، فقال عيسى بن موسى : اسكت .

ولإبراهيم بن عبدالله يرثي أخاه النفس الزكية عليهما السلام :

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا فإن بها ما يدرك الطالب الوترًا
 وأنا أناسٌ لا تفيض دموعنا على هالك منّا وإن قصم الظهرًا
 ولست كمن يبكي أخاه بعبرة يعصرها من جفن مقلته عصرا
 ولكنتني أشفي فؤادي بغارة تلهب في قطري كتائبها ^(٢) الجمرًا
 وقال غالب بن عثمان الهمداني من آل ذي المشعار :

يا دار هيّجت البكاء فأعولي حبيت منزلة دثرت ودارا
 بالجزع من كنفى سويقة أصبحت كالبرد بعد بني النبي قفارا
 الحاملين إذا الحمالة أعجزت والأكرمين أرومة ونجارا
 والمطرين إذا المحول تتابعت دررًا تداولها المحول غزارا
 والذائدين إذا المخافة أبرزت سوق الكواعب يتدرن حضارا
 وثبت نتيلة ^(٣) وثبة بعلوجها كانت على سلفي نتيلة عارا

(١) المقاتل ص ٢٧٦ .

(٢) في (أ) : جوانبها .

(٣) نتيلة : هي أم العباس بن عبدالمطلب وهي بنت حبان بن كلب من الخزرج .

فتثلمت ساداتها وتنهكت
ولغت دمآ بني النبي فأصبحت
لا تسقني بيديك إن لم أنبعث
لجبا يضيق به الفضاء عمرمرما
فيه بنيات الصريح ولاحق
يخرجن من حلل الغبار عوابسا
فننال في سلفي نتييلة نارنا
وقال أبو الحجاج الجهني :

بكر النعي بخير من وطئ الحصى
بالخاشع البر الذي من هاشم
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه
وقال عبدالله بن مصعب :

سالت دموعك ضلة قد هجت
هلا على المهدي وابني مصعب
والله ما ولد الحواضن مثلهم
وأشد ناهضة وأقول للتي
رزء لعمرك لو يصاب بمثله
ولبعضهم :

رحم الله شيبابا
قاتلوا عنه بنيابا
ترحبا ووجدا يبعث الأحزانا
أذريت دمك ساكبا تهتانا
أمضى وأرفع محتدا ومكانا
تبغي مصادر عدلها العدوانا
ميطان^(٣) صدع رزءه ميطاننا
قتلوا يوم الشنيه
ت وأحساب نقيه

(١) في (أ) : مخضبة الحدود .

(٢) في (أ) : أن .

(٣) ميطان : كميزان من جبال المدينة (القاموس) ٨٨٩ .

فَرَّ عَنْهُ النَّاسُ طَرًّا غَيْرَ خَيْلِ أَسَدِيَّةٍ
قَتَلَ الرَّحْمَنُ عَيْسَى قَاتَلَ النَّفْسَ الزَّكِيَّةَ
رَوَى ذَلِكَ كُلَّهُ الشَّيْخُ أَبُو الْفَرَجِ فِي مَقَاتِلِ الطَّالِبِيِّينَ^(١).

إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

هو: أبو الحسن، إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكل إبراهيم في آل أبي طالب فإن كنيته: أبو الحسن؛ ولهذا كان الإمام المنتصور بالله عَلَيْهِ السَّلَامُ في ولده إبراهيم:

أَبَا حَسَنٍ وَإِبْرَاهِيمَ يُكْنَى أَبَا حَسَنٍ بِقَوْمِكَ أَجْمَعِينَا

صِفَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

قال السيد أبو طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ : روي أنه كان سائل الخدين ، خفيف العارضين ، ألقى الأنف ، حسن الوجه ، قد أثر السجود في جبهته^(٣) .

ذِكْرُ طَرَفٍ مِنْ مَنَاقِبِهِ وَأَحْوَالِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

كان عَلَيْهِ السَّلَامُ قد نشأ على الديانة والعفاف والعلم والعمل حتى بلغ أشرف خطة وأسنى درجة .

روينا أن إبراهيم بن أبي يحيى المدني : سئل فقيل : قد رأيت محمداً وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام ، فأيهما كان أفضل؟ قال :

(١) المقاتل ٣٠٤ - ٣٠٩ .

(٢) أنظر الإفادة ٦١ ، ومقاتل الطالبين ٤٥٠ ، وسير أعلام النبلاء ٢١٨/٦ ، الأعلام ٤٨/١ ، البدء والتاريخ ٨٤/٢ ، والشافي ٢٣٧/١ ، وطبقات الزيدية «خ» وعمدة الطالب في أنساب أبي طالب ١٢٩ ، ودول الإسلام للذهبي ٧٤/١ ، والمصابيح ٤٤٥ ، ومروج الذهب ٣٠٦/٣ ، الطبري ، والكمال والبداية والنهاية في حوادث سنة ١٤٥ هـ .

(٣) الإفادة ص ٦١ ، ومقاتل الطالبين ٤٥٠ .

إبراهيم بن أبي يحيى: والله لقد كانا فاضلين، شريفين، كريمين، عابدين، عالمين، زاهدين، وقد كان إبراهيم يقدم أخاه محمداً ﷺ ويفضله، وكان محمد ﷺ يعرف لإبراهيم فضله، وقد مضيا شهيدين صلوات الله عليهما^(١).

وروينا عن عمرو بن النضر قال: لَمَّا قَتَلَ إِبراهيمَ بنَ عبدِاللهِ وأنا بالكوفة فأتيت الأعمش بعد قتله فقال^(٢): ها هنا أحد تنكرونه؟ قلنا: لا، قال: أما والله لو أصبح أهل الكوفة على مثل رأيي لسرنا حتى نزل بعقوته- يعني أبا جعفر- فإذا قال لي: ما جاء بك يا أعمش؟ قلت: جئت لأبيد خضراءك أو تبيد خضرائي بما فعلت بآبِنِ رَسولِ اللهِ ﷺ^(٣).

وروينا أن إبراهيم ﷺ كان جالساً مع أصحابه ذات يوم فسأل عن رجل من أصحابه؟ فقال له بعض من حضر: هو عليل، والساعة تركته يريد أن يموت، فضحك القوم منه، فقال إبراهيم بن عبد الله عليهما السلام: لقد ضحكتم منها وهي عريية، قال الله عز وجل: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٧] بمعنى: يكاد أن ينقض، قال: فوثب أبو عمرو بن العلاء فقبل رأسه وقال: لا نزال بخير ما كان مثلك فينا^(٤).

وروينا عن المفضل الضبي قال: كان إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام متوارياً عندي بالبصرة، قال: إنك تخرج وتتركني ويضيق صدري فأخرج إلي شيئاً من كتبك، فأخرجت إليه شيئاً من الشعر، فاختر منه سبعين قصيدة، ثم أتبعتها أنا بسائر اختياري، فالسبعون من أول الاختيارات اختياريه والباقي اختياري^(٥).

(١) المصايح ٤٤٧.

(٢) في (أ): وأنا بالكوفة، فقال الأعمش: ها هنا.

(٣) مقاتل الطالبين ٣٨٣.

(٤) المقاتل ص ٣٣٨.

(٥) أنظر الإفادة ٦٢، ومقاتل الطالبين ٣٣٨.

وروى الشيخ أبو الفرج في مقاتل الطالبية بإسناده: أن محمداً وإبراهيم كانا عند أبيهما، فوردت إبل محمد فيها ناقة شرود لا يُرد رأسها، فجعل إبراهيم يحد النظر إليها، فقال له محمد: كأن نفسك تحدثك بأنك رادّها، قال: فإن فعلت؟ قال: فهي لك، فقال إبراهيم: فجعل ينظر إليها ويستتر بالإبل حتى إذا أمكنته جاءها وأخذ بذنبها فاحتملته وأدبرت تمحص حتى^(١) غابت عن عين أبيه، فأقبل على محمد وقال له: عرضت أخاك، فمكث هوناً ثم أقبل مشتتلاً بإزاره حتى وقف عليهما فقال له محمد: كيف رأيت؟ زعمت أنك حابسها؟ قال: فألقى ذنبها وقد انقطع في يده، وقال: ما أعذر من جاء بهذا^(٢).

وروى له في مقاتل الطالبية يذكر أباه وأهله وحملهم وحبسهم عليهم السلام من المدينة إلى أبي جعفر الملقب بالنصور:

ما ذكرك الدمنة القفار وأهل الدار إمّا ناؤوك أو قرّبوا
 إلا سفاها وقد تفرعك الـ شيب بلون كأنه العُطْبُ
 ومرّ خمسون من سنّيك كما عدّ ذلك الحاسبون إذ^(٣) حسبوا
 فعَدّ ذكر الشباب لست له ولا إليك الشباب ينقلب
 إنني عرّنتي الهموم واحتضن الهم وسادي فالقلب منشعب
 واستمرح الناس للشقاء وخلف تُلدهر بظهوره حذب
 أعرج يستعذب اللثام به ويحتويه الكرام إن شربوا
 نفسي فدت شيبة هناك وظنّبو با به من قيودهم تُدب
 والسادة الغر من بنيه فما روقب فيهم إلّ ولا نسب
 يا حلّق القيد ما تضمنت من حلم وبريزينه حَسَب

(١) في (أ): حتى إذا .

(٢) مقاتل الطالبين ٣١٦ .

(٣) في (أ): أو .

وأمهات من الفواطم أخلص
 كيف اعتذاري عند الإله ولم
 ولم أقد غارة مملمة
 والسابقات الجياد والأسل ال
 حتى توفى بني نتيلة بالقس
 بالقتل قتلاً وبالأسير الذي
 أصبح آل الرسول أحمد في النا
 بؤساً لهم ما جنت أكفهم
 وأي عهد خانوا المليك به

وروي له أيضاً في مقاتل الطالبية قوله في زوجته :

ألم تعلمي يا بنت بكر تشوقي
 وعلقت ما لو نيظ بالصخر من جوى
 إيلك وأنت الشخص ينعم صاحبه
 لهد من الصخر المنيف ذوائبه
 رأيت رجلاً بين الركاب ضجيعه
 سلاح ويعبوب فباتت تجانبه
 تصد وتستحيي وتعلم أنه
 كريم فتدنو نحوه وتلاعبه
 فسلانا عنها ولم نقل قريها
 ولم يقلنا خطب شديد تكالبه
 عجاري ف فيها عن هوى النفس زاجر
 إذا اشتبكت أنيابه ومخالبه^(٣)

بيعتة ﷺ ومدة انتصابه للأمر :

كان ﷺ في البصرة قد خرج إليها داعياً إلى أخيه النفس الزكية عليهما
 السلام ، فأقام متوارياً فيها حتى ظهرت دعوة أخيه بالمدينة فأظهر هو الدعاء إليه ،

(١) في (أ) : تشنهر .

(٢) المقاتل ص ٢٢٨ .

(٣) المقاتل ٣١٦ .

وذلك ليلة الإثنين غرة شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة، وأخذ البيعة لأخيه واستولى على البصرة، وقام بالأمر هناك على خلافته حتى ورد عليه نعيه أول يوم من شوال سنة خمس وأربعين ومائة، وهو يريد أن يصلي بالناس صلاة العيد فصلى بهم ثم رقى المنبر واختطب ونعى إلى الناس أخاه محمداً ﷺ، ثم أنشأ يقول متمثلاً :

أبا المُنازل يا خير الفوارس مَنْ يفجع بمثلك في الدنيا فقد فُجعا
الله يعلم أنني لو خشيتهم أو أوجس القلب من خوف لهم جزعا
لم يقتلوه ولم أُسَلِّمْ أخِي لَهُمْ حتى ثموت جميعاً أو نعيش معاً^(١)
وكان من كلامه ﷺ على المنبر أن قال : اللهم إن كنت تعلم أن محمداً إنما
خرج غضباً لدينك، ونفياً لهذه النكتة السوداء، وإثارةً لحقك، فارحمه واغفر
له، واجعل الآخرة خيراً مرداً ومنقلباً في الدنيا، ثم جَرِضَ بريقه وتردد الكلام في
فيه فانتحب باكياً وبكى الناس^(٢).

ولمَّا نزل بايعه علمناء البصرة وعبادها وزهادها، واختصت المعتزلة به مع
الزيدية ولازموا مجلسه، وتولوا أعماله، فاستولى على واسط
وأعمالها، والأهواز وكورها، وعلى أعمال فارس، وكان أبو حنيفة يدعو إليه سرّاً
ويكاتبه، وكتب إليه : إذا أظفرك الله بآل عيسى بن موسى وأصحابه فلا تسر فيهم
سيرة أبيك في أهل الجمل فإنه لم يقتل المدبر ولم يجهز على الجريح ولم يغنم
الأموال ؛ لأن القوم لم تكن لهم فئة، ولكن سرّ فيهم سيرته يوم صفين، فإنه ذفف
على الجريح وقسم الغنيمة ؛ لأن أهل الشام كان لهم فئة . فظفر أبو جعفر بكتابه،
فكتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى وهو على الكوفة يأمره بحمل أبي حنيفة إلى
بغداد، قال أبو نُعيم : وهو راوي هذه القصة فغدوت إليه أريده ولقيته راكباً يريد

(١) الإفادة ٦٢، ومقاتل الطالبيين ٣٤٢.

(٢) المقاتل ص ٣٤٢، والإفادة ٦٣.

وداع عيسى بن موسى ، فقدم بغداد فسُقي بها شربة فمات وهو ابن سبعين سنة وكان مولده سنة ثمانين^(١) .

وروينا أن قوماً جاؤا إلى شعبة فسألوه عن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام ، فقال شعبة : تسألونني عن إبراهيم وعن القيام معه ، وتسألونني عن أمر قام به إبراهيم بن رسول الله ﷺ ، والله لهو عندي بدر الصغرى^(٢) ، وروي عنه أيضاً رحمه الله : أنه لما جاءه قتل إبراهيم عليه السلام قال : لقد بكى أهل السماء على قتل إبراهيم بن عبدالله عليهما السلام ؛ إن كان من الدين ليمكان^(٣) .

وروينا عن إبراهيم بن سويد الحنفي قال : سألت أبا حنيفة - وكان لي مكرماً أيام إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام - فقلت : أيهما أحب إليك بعد حجة الإسلام : الخروج إلى هذا الرجل ، أو الحج ؟ فقال غزوة بعد حجة الإسلام أفضل من خمسين حجة^(٤) .

وروي أنه عليه السلام : أخذ عاملاً لأبي جعفر فقال له بعض أصحابه : سلمه إلي ، قال له : وما تصنع به ؟ قال : أعذبه ليخرج المال الذي عنده ، فقال : لا حاجة لي في مال لا يستخرج إلا بالعذاب^(٥) .

وكان يقول : متى أراد أن ينزل عن المنبر : ﴿ وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨١] ، وقال يوماً وهو على المنبر بعد ما خطب : « اللهم إن ذكرت اليوم أبناء بأبائهم وأبَاء بأبنائهم ، فاذكرنا عندك بمحمد ﷺ يا حافظ الأبَاء في الأبناء والأبناء في

(١) الإفادة ٦٣ .

(٢) المصاييح ٤٥٣ .

(٣) المصاييح ٤٥٣ .

(٤) مقاتل الطالبين ٣٧٨ .

(٥) الإفادة ٦٦ ، ومقاتل الطالبين ٣٣٤ .

الأبَاء ، احفظ ذرية نبيك» فارتج المصلى بالبكاء^(١) .

وكان محمد بن عطية مولى باهلة وكى بعض أعمال فارس لأبي جعفر؛ فظفر به أصحابه عليهم السلام وحملوه إليه ، فقال له : هل عندك مال؟ قال : لا ، قال : آله ، قال : آله ، فقال : خلوا سبيله ؛ فخرج ابن عطية وهو يقول بالفارسية : ليس هذا من رجال أبي جعفر يعني أنه كان ينبغي أن لا يقتصر منه على اليمين وأن يستخرج منه المال ، وأن المحق الذي يراعي أمر الدين لا يقاوم المبطل الذي لا يبالي بما يقدم عليه^(٢) .

وأناه قوم من أصحاب الضياع فقالوا : يا ابن رسول الله إنا قوم من غير العرب ، وليس لأحد علينا عقد ولا ولاء ، وقد أتيناك بمال فاستعن به ، فقال : من كان عنده مال فليعن أخاه فأما أن أخذه فلا ! وكان يقول : إن هي إلا سيرة علي أو النار^(٣) .

وخطب يوماً على المنبر فقال : أيها الناس إني وجدت جميع ما يطلب العباد من جسيم الخير عند الله في ثلاث : في المنطق ، والنظر ، والسكوت ، فكل منطق ليس فيه ذكر فهو لغو ، وكل سكوت ليس فيه فكر فهو سهو ، وكل نظر ليس فيه اعتبار فهو غفلة ، فطوبى لمن كان منطقته ذكراً ، ونظره اعتباراً ، وسكوته تفكيراً ، ووسعته بيته ، وبكى على خطيئته ، وسلم المسلمون منه ، فعجب الناس من كلامه^(٤) .

وروي أنه أرسل إلى عبد الحميد بن لاحق بأنه بلغني أن عندك مالا لهؤلاء الظلمة ، فقال : ما لهم عندي مال ، قال : آله ، قال : آله فخلوا سبيله ، وقال : إن ظهر أن لهم عندك مالا عددتك كذاباً^(٥) .

(١) الإفادة ٦٧ ، ومقاتل الطالبين ٣٣٧ .

(٢) الإفادة ٦٧ ، ومقاتل الطالبين ٣٣٢ .

(٣) الإفادة ٦٧ ، ومقاتل الطالبين ٣٣٣ .

(٤) الإفادة ٦٨ ، ومقاتل الطالبين ٣٣٦ .

(٥) الإفادة ٦٧ ، ومقاتل الطالبين ٣٣٣ .

وحكى شيبه كاتب مسعود المرزباني أن جماعة من الزيدية دخلوا عليه فقالوا منه ، وقالوا : هات ما عندك من مال الظلمة ، وأدخلوني إلى إبراهيم فرأيت الكراهة في وجهه ، فاستحلفني فحلفت فخلى سبيلي فكنت أسأل عنه بعد ذلك وأدعوه حتى نهاني مسعود عن ذلك^(١) .

وروي أنه خطب ﷺ الناس ، ونعى على أبي جعفر أفعاله وقتله آل الرسول صلى الله عليهم ، وظلمه الناس وأخذه الأموال ووضعها في غير مواضعها ، فأبلغ في القول حتى أبكى الناس ، وركت لكلامه قلوبهم فاتبعه عباد بن العوام ، ويزيد بن هارون ، وهشيم بن بشير ، وشعبة بن الحجاج وبايعوه .

قال أبو إسحاق الفزاري : جئت إلى أبي حنيفة فقلت له : ما اتقيت الله حيث أفتيت أخي في الخروج مع إبراهيم بن عبدالله بن حسن حتى قُتل ! فقال لي : قُتل أخيك حيث قُتل يعادل قتله لو قتل يوم بدر ، وشهادته مع إبراهيم خير له من الحياة ! قلت : فما منعك أنت من ذلك ؟ قال : ودائع كانت للناس عندي^(٢) .

وكان الأعمش يدعو إليه ويقول : ما يُععدك ؟ أما إنني لو كنت بصيراً لخرجت^(٣) . وخرج معه ﷺ نفر كثير من أهل العلم ، ونقله الأحاديث ، ونحن نذكر منهم بعض من ذكره الشيخ أبو الفرج في مقاتل الطالبين^(٤) فمنهم : هارون ابن سعد ، وكان قد ولّاه واسطاً ، ومنهم : معاذ بن معاذ بن نصر العبدي ، ومنهم : مسلم بن سعيد ، والأصبغ بن زيد ، ومنهم : العوام بن حوشب . قال : رميت في هؤلاء القوم - يعني : المسودة - بثمانية عشر سهماً ما سرنني أني رميت بها أهل بدر مكانهم ! وأسامة بن زيد البجلي ، ومنهم : هشيم ، قال بعضهم : رأيت هشيماً

(١) الإفادة ٦٧-٦٨ ، ومقاتل الطالبين ٣٣٤ .

(٢) الإفادة ٦٦ ، ومقاتل الطالبين ٣٦٤ .

(٣) مقاتل الطالبين ٣٦٦ .

(٤) مقاتل الطالبين ٣٥٤ .

واقفاً موقفاً في وقعة واقعتها القوم لا والله ما وقفه قط إلا شجاع مجتمع القلب ،
ومنهم : الحجاج أخو هشيم ، وابنه معاوية وقتلا في المعركة .
وروى الشيخ أبو الفرج بإسناده عن بعضهم قال : سمعت أبا حنيفة وهو قائم
على درجته ورجلآن يستفتيانه في الخروج مع إبراهيم ، فقال : اخرجاً^(١) .
وروى أيضاً بإسناده عن زُفر بن الهذيل قال : كان أبو حنيفة يجهر في أمر
إبراهيم جهراً شديداً ، فقلت له : والله ما أنت بمنته حتى تؤتى فتوضع في أعناقنا
الخيال .

ومنهم : عباد بن منصور واستقضاه إبراهيم على البصرة ، ومنهم :
أبو العوام القطان واسمه : عمران من أصحاب الحسن البصري .
وروي عن بعضهم قال : قلت لعثمان الطويل خرج هذا الرجل وقعدتم عنه ،
فقال : وهل أخرجه غيرنا؟ فلما قتل إبراهيم قال لي : يا أبا صالح أحب أن
لاتفشي علي ذلك الحديث ، ومنهم : أبو داود الطهوي ، وفطر بن خليفة ، وعيسى
ابن يونس بن أبي إسحاق الهمداني ، وابن جنادة ، وابن سويد قوذه^(٢) على
ثلاثمائة وشهد معه باخراً^(٣) ، وشهد معه من أصحاب زيد بن علي عليهما السلام
ثلاثة : سلم الحذاء ، وحمزة بن عطاء التركي ، وخليفة بن حسان ، وكان حمزة من
أفرس الناس ، وقد روى عن زيد بن علي وجعفر بن محمد ، وهو أحد الرواة عن
أهل البيت عليهم السلام ، وكذلك سلم الحذاء ، وخليفة بن حسان ، ومنهم : بريدة
الأسدي ، ومنهم : عبدالله بن جعفر المدني ، ومن أصحاب سفيان : مؤمل بن
إسماعيل ، وحنبص ، وكان حنبص هذا جليل القدر ، وفيه يقول الشاعر :

يا ليت قومي كلهم حنابصة^(٤)

فهؤلاء من وجوه أهل العلم ونقل الحديث الذين شهرروا بذلك ، وقد ذكر

(١) مقال الطالبين ٣٦٥ .

(٢) أي جعله قائداً .

(٣) با خمرأ : موضع بين الكوفة وواسط بينهما ١٧ فرسخاً . معجم البلدان ص ٣١٦ .

(٤) مقال الطالبين ٣٨٢-٣٨٣ .

سواهم أيضاً . وروي أن ديوانه انطوى من البصرة على مائة ألف .
وروى السيد أبو طالب عليه السلام ^(١) قال : بعث أبو جعفر إلى البصرة المعروف
بأبي سيف مولى الجعفري ليتحسس له ويعرفه أحوال إبراهيم عليه السلام ، فلما رجع
إليه قال له أبو جعفر : كيف رأيت بشير الرّحال ، ومَطَرُ الورّاق ؟ فقال : رأيتهما
يدخلان إلى إبراهيم وعليهما السلاح . فقال ما كنت أرى أن الصوم أبقى منهما ما
يُحْمَلُ به السلاح .

وروي أنه وجد في بيت مال البصرة ألف ألف درهم ، ففرق ذلك في
عسكره ، فأصاب كل رجل منهم خمسين درهماً ، فكانوا إذا قال لهم أصحاب أبي
جعفر : عطاءؤنا ألفان وعطاءؤكم خمسون درهماً فكانوا يقولون : خمسون
والجنة ^(٢) .

عماله عليه السلام :

وُلّي قضاء البصرة عباد بن منصور ، وبيت المال سفيان بن أبي واصل ، وولى
هارون بن سعد واسطاً وأعمالها ، وولى المغيرة بن الفزع الأهواز ، فخرج إليها
وطرد أصحاب أبي جعفر عنها وتمكن منها . وأنفذ أبو جعفر بخازم بن خزيمة مع
أربعة آلاف رجل فحاربه المغيرة وهزمه ذكره السيد أبو طالب عليه السلام ^(٣) .

مقتله وموضع قبره عليه السلام :

لما انتظم أمره وقويت شوكته وعلا في الآفاق صيته ، جهّز أبو جعفر عيسى
ابن موسى وغيره من القواد في ^(٤) العساكر الكثيفة الظالمة ، فلما بلغ إبراهيم عليه السلام
انفصالهم أجمع للمسير إليهم ، فأشار عليه بعض أصحابه بالوقوف في البصرة ،

(١) الإفادة ٦٤ .

(٢) الإفادة ٦٨ ، ومقاتل الطالبين ٣٢٤ .

(٣) الإفادة ٦٩ .

(٤) في (أ) : والعساكر .

فأبى وسار نحوهم، واستخلف على البصرة: ابنه الحسن بن إبراهيم عليهما السلام، فالتقوا بباخمرا وجاء إلى إبراهيم عليه السلام بعض قواده، فقال جرد لنا عسكرياً لنبيت أبا جعفر فنقتله في خلف عسكريه ونقض هذه الجموع، فقال: إني أكره البيات، فخرج بعضهم وهو يقول: تريد الملك وتكره البيات.

وقال بعض شعرائه يخاطب أبا جعفر:

أبرز فقد لاقته زكياً ❖ أبيض يدعو جده علياً ❖ وجده من أمه النبيا

ورتب عليه السلام بباخمرا عسكريه فجعل على ميمنته عيسى بن زيد بن علي عليهم السلام وعلى يسرته لييد بن برد اليشكري، وكان حمائل سيفه من ليف تشبهاً بعمار بن ياسر رحمه الله، وكان تحته فرس أبلق، فقال إبراهيم عليه السلام يمازحه:

أما القتال فلا أراك مقاتلاً ولئن هربت ليعرفن الأبلق وهو عليه السلام في القلب في الفقهاء والعلماء وأهل البصائر، وكان جملة عسكريه عليه السلام أحد عشر ألف راجل وسبع مائة فارس، فوقع القتال فكانت الهزيمة أولاً في أصحاب أبي جعفر حتى بلغه العلم فقرب نجائبه للهرب وحمل امرأته على النجائب وما بقي دون الفتح طائل، وانهزم حميد بن قحطبة فيمن انهزم، فمر بابني سليمان من كبار القواد وقد نزلا عن فرسيهما مستسلمين للموت، فقالا: ليس هذا من عادتك يا حميد، فقال: انجوا ما بقي قتال، فلما رأى إبراهيم عليه السلام ما نزل بهم من القتل؛ أمر برد الرايات، فلما رأوا أعلام الميمنة رافعة ظنوها هزيمة، فعطفوا عليها وحققوا فكانت الهزيمة، فانهزمت الميمنة ونجى عيسى بن زيد عليهما السلام لما أفرده الناس، وثبت إبراهيم عليه السلام في القلب وثبتت الميسرة، واشتد القتال حتى إذا كان آخر النهار؛ رفع عليه السلام المغفر من شدة الحر فجاء سهم فوقه في رأسه، فاعتنق فرسه واحتوشته الزيدية وأنزلوه، وأخذ به بشير الرحال إلى حجره وهو يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مُّقْدُورًا﴾ [الاحزاب: ٢٨]، وأحاط به أصحابه

حتى كانوا سوراً مثل سور الحديد، فقال عيسى: ويحكم على ما هؤلاء؟ وجمعوا الجيش وصدموهم به صدمة واحدة ففضوهم وإذا هو في أوساطهم فحزوا رأسه وقتلوا عنده بشير الرّحال رحمه الله، واحتزوا رأسه وأمروا به إلى أبي جعفر، ودفن بدنه بباخرا.

وروى الشيخ أبو الفرج: قال صَبَّرَ مع إبراهيم أربعمائة، فجعلوا يضاربون دونه حتى قتل، فجعلوا يقولون أردنا أن نجعلك مَلِكًا فأبى الله إلا أن جعلك شهيداً حتى قتلوا معه.

وروي أيضاً عن بعضهم لما سئل: كيف فعل إبراهيم؟ فقال: إني لأنظر إليه واقفاً على دابة محمد بن يزيد ينظر إلى أصحاب عيسى، وقد وُلّوه ومنحوه أكتافهم، ونكص عيسى برأيته القَهْقَرى وأصحابه يقتلونهم، وعلى إبراهيم عليه السلام قباء زرد، فأتاه الحين؛ فحلّ أضرار القباء فسال الزرد حتى صار^(١) على ثديه، وحسّر عن لبتة، فأتته نشابة عائرة، فأصيب في لبتة، فرأيته اعتنق فرسه وكرّ راجعاً فأطافت به الزيدية^(٢).

وروي في خبر عن المفضل الضبي قال: لما كان يوم خروجه يعني: إبراهيم عليه السلام خرجت معه فأتى دار جعفر بن سليمان فأمنهم وخرج إليه صبيان من صبيانهم فقال: هؤلاء منّا وإلينا غير أن آباءهم قطعوا أرحامنا وابتزوا أمرنا، وسفكوا بغير حق دماءنا، ثم أنشد:

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا ظَلَامَتَنَا	إِنَّ بِنَا سَوْرَةً مِّنَ الْعَلَقِ
لِثَلَكُم تَحْمِلُ السِّيُوفَ وَلَا	تُغَمَّرُ أَنْسَابُنَا مِنَ الرَّنَقِ ^(٣)
إِنِّي لِأُنْمِي إِذَا انْتَمَيْتُ إِلَى	عِزِّ عَزِيزٍ وَمِعْشَرِ صُدُقِ
بَيْضِ سِبَاطِ كَأَنَّ أَعْيُنَهُمْ	تَكْحُلُ يَوْمَ الْهَيْجِاجِ بِالزَّرَقِ

(١) في (ج): سال .

(٢) لمقاتل ص ٣٤٧، ٣٤٨ .

(٣) الرنق: تراب في الماد من القذى ونحوه . لسان العرب ١٠/١٢٦ .

فقلت : يا بن رسول الله ، ما أفحل هذه الأبيات وأحسنها ! فمن قائلها؟
قال : هذه الأبيات قالها ضرار بن الخطاب الفهري يوم الخندق ، وتمثل بها علي
عليه السلام أيام صفين ، والحسين يوم الطف ، وزيد يوم السبخة ، ويحيى بن زيد يوم
الجوزجان ، ونحن اليوم ، قال : فتطيرت له من تمثله بأبيات ما تمثل بها إلا قتيل^(١) .

وفي أخباره عليه السلام أنه لما انتهى بالقرب من باخرا أنشأ يقول متمثلاً^(٢) :

نُبئتُ أن بني ربيعة أزمعوا أمراً كسلاهم لنقتل خالدًا
إن يقتلونني لا تُصبِ أرماحهم ثأري ويسعى القوم سعيًا جاهداً
أرمي الطريق وإن رصدت بضيقه وأنزل البطل الكمي الحارداً ؛
قال المفضل الضبي راوي الحديث : فقلت له : جعلني الله فداك ، لمن هذه
الأبيات؟ قال : للأحوص بن كلاب ، تمثل بها يوم شعب جبلة ، وهو اليوم الذي
لقيت فيه قيساً تميمياً .

قال المفضل : وأقبلت عساكر أبي جعفر ، فقتل من أصحابه وقتل من القوم ،
وكاد أن يكون له الظفر ، وكشفت ميمنته والقلب فتمثل :

أبى كلُّ ذي وترٍ بيت بوتره^(٣) وتمنع منه النوم إذ أنت نائم
أقول لفتيان كرام تروحووا على الجرد في أفواههن الشكائم :
قفوا وثقة من يحيى لا خزي بعدها ومن يُخترم لا تتبعه اللوائمُ
قال : ثم كرّ ، فطعن رجلاً وطعنه آخر ، فقلت له : جعلت فداك - تباشر الحرب
بنفسك والعسكر منوطٌ بك ! فقال لي : إليك عني يا أخا بني ضبة ، كأن عويقاً أخا
بني فزارة ينظر في يومنا هذا ، فأنشد :

آلمتُ سعاداً وإمامها أحاديثُ نفس وأسقامها

(١) المقاتل ص ٣٧٣ .

(٢) ينظر المصابيح ٤٤٨-٤٥٠ .

(٣) في (أ) : لوتره .

يمانية من بني مالك تطاول في المجد أعمامها
نردُّ الكتيبة مفلولة بها أفنها وبها ذامها
وإن لنا أصل جرثومة ترد الحوادث أيامها
قال: وجاءه سهم عائر فشغله عني.

وروى المفضل أيضاً، قال: كنت مع إبراهيم عليه السلام واقفاً يوم قتل، فقال لي: حركني بشيء، فأنشدته:

ألا أيها الناهي فزارة بعدما أجدت بسير إنما أنت حالم
أبى كل ذي وتر يبست بوتره وتمنع منه النوم إذ أنت نائم
[أقول لفتيان كرام تروحووا على الجرد في أفواههن الشكائم]
قفوا وقفه من يحيى لا خزي بعده ومن يُحترم لا تتبعه اللوائم
قال: فقال لي: أعدّه، فانتبهت وندمت على إنشادي إياها، فقلت: أو غير ذلك؟ فقال: لا. بل أعد، فأعدت، فكان آخر العهد به صلوات الله عليه.

وروي عن جعفر بن إبراهيم الجعفري قال: كان إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام يقاتل الطغاة (ببا خمرا) فسمع رجلاً من الزيدية - وقد ضرب رجلاً من القوم على رأسه، وقال: خذها إليك وأنا الغلام الحداد، فقال له إبراهيم عليه السلام: لم قلت: أنا الغلام الحداد؟ قل: أنا الغلام العلوي، فإن [نبي الله] إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦]، فأنتم منا ونحن منكم، لكم ما لنا وعليكم ما علينا^(١).

وروى الشيخ أبو الفرج بإسناده عن أبي الكرام الجعفري أنه شهد الأقطع مولى عيسى بن موسى وقد أتاه، فقال: هذا وحياتك رأس إبراهيم في مخلاتي. فقال له: اذهب فانظر فإن كان رأسه فاحلف لي بالطلاق حتى أصدقك، وإن لم

(١) أمالي أبي طالب ص ١٢٢.

يكن رأسه فاسكت، فأتيته فقلت: أرنيه، فأخرجه يختلج خده، فقلت: ويلك كيف وصلت إليه؟ قال أته نشابة فأصابته فصُرع، فأكبَّ عليه أصحابه يقبلون يديه ورجليه، فعلمت أنه هو فعلمت مكانه، وجعل أصحابه يُقتلون حوله لا يباليون، فلما قتلوا أتيته فاحتزرت رأسه، قال: فأتيت عيسى فأخبرته فنادى بالأمان، ثم أمر برأسه عليه السلام إلى أبي جعفر الدوانيقي، ولما وضع رأسه بين يدي أبي جعفر تمثل:

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عيننا بالإياب المسافر^(١)
وروى أبو الفرج أيضاً عن الحسن بن حفص قال: كنت بالكوفة فرأيت فلان عيسى بن موسى وقد دخل نهراً، فلما كان الليل رأيت فيما يرى النائم كأن نعشاً يحمله رجال يصعدونه إلى السماء ويقولون: من لنا من بعدك يا إبراهيم؟ قال: وأيقظني أخي من نومي فقلت: مالك؟ فقال: اسمع التكبير على باب أبي جعفر، فلا والله ما كبروا باطلاً، وإذا الخبر قد جاء بقتل إبراهيم^(٢).
وروى أيضاً بإسناده قال: خرج إبراهيم عليه السلام في رمضان سنة خمس وأربعين ومائة فكانوا رمضان وشوال وذا القعدة وقتل في ذي الحجة، وكان شعارهم: (أحد . . . أحد)^(٣).

وروي عن أبي نعيم قال: قتل إبراهيم يوم الاثنين ارتفاع النهار خمس بقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائة، وأتى أبو جعفر برأسه ليلة الثلاثاء، وبين مقتله ثمانية عشر ميلاً، فلما أصبح من يوم الثلاثاء أمر برأس إبراهيم فنُصب في السوق فرأيته منصوباً مخضوباً بالحناء^(٤).

(١) المقاتل ص ٣٥٣.

(٢) المقاتل ص ٣٥٣.

(٣) المقاتل ص ٣٤٩.

(٤) ينظر الإفادة ٦٩ ومقاتل الطالبين ٣٤٩.

وروينا بالإسناد أن أبا جعفر المنصور لما قتل محمداً وإبراهيم عليهما السلام وجه شيبة بن عقال إلى الموسم لينال من آل أبي طالب ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن علي بن أبي طالب شقّ عصى المسلمين وخالف أمير المؤمنين ، وأراد هذا الأمر لنفسه فحرمه الله أمنيته ، وأماته بغصته^(١) ، ثم هؤلاء ولده يقتلون ، وبالدماء يخضبون ، فقام إليه رجل فقال : نحمد الله رب العالمين ، ونصلي على محمد وأنبيائه المرسلين ، أما ما قلت من خير فنحن أهله ، وأما ما قلت من شر فأنت به أولى وصاحبك به أحرى ، يا من ركب غير راحلته ، وأكل غير زاده ، ارجع مأزوراً . ثم أقبل على الناس فقال : أخبركم بأبخس من ذلك ميزاناً ، وأبين منه خسراناً ، من باع آخرته بدنياه غيره وهو : هذا ثم جلس ، فقال الناس : من هذا ؟ فقيل : هذا جعفر بن محمد عليهما السلام .

ومما رثي به محمد وإبراهيم عليهما السلام : قول غالب بن عثمان الهمداني المشعاري الناعطي :

كيف بعد المهدي أوبعد إبراهيم	هيم نومي على الفراش الوثير
وهم الذائدون عن حرم الإس	لام والجابرون عظم ^(٢) الكسير
حاكموهم لما تولوا إلى اللد	ه بمصقولة الشفار الذكور
وأشاحوا للموت مُحْتَسِبي الأند	فس لله ذي الجلال الكبير
أفردوني أمشي بأعضب مجبو	بأ سنامي والحرب ذات زفير
غيلَ فيها فوارسي ورجالي	بعد عزٌ وذلٌ فيها نصيري
ليتني كنت قبل ^(٣) وقعة باخم	را توفيتُ عدتي وشهوري
وليالي من سني البواقي	وتكملت عدة التعمير
كنت فيمن ثوى ثويت تعود الط	ير لحمي مبين التعفير

(١) في (أ) : بغيضه .

(٢) في (أ) : العظم .

(٣) في (أ) : بعد .

ومجال الخيلين^(١) منا ومنهم
حول مستبسل يرى الموت في اللد
قد تلبثت بالمقادير عنهم
إذ هم يعشرون في علق الأو
وقال أيضاً في إبراهيم عليه السلام :

وقتل باخمر الذي
قباد الجنود إلى الجنو
بالرهفات وبالقنا
فدعا لدين محمد
فرماههم بلبان أب
بالسيف يفري مصلتنا
فأتيح سهم قاصد
فهوى صريعاً للجب
وتبددت أنصاره
نفسى فداؤك من صري
وفدتك نفسى من غري
أي امرئ ظفرت به
فأولئك الشهداء والص
ونجار يثرب والأبا
أقوت منازل ذي طوى
فأخيف منهم فالجما

وأكف تطير كل مطير
به رياحاً ربال غاب عقىر
كبت الرائحين عن ذي البكور
داج حولي في قسطل مستدير^(٢)

نادى فاسمع كل شاهد
دزحف الأسد الحوارد
والمبرقات وبالرواعد
ودعوا إلى دين ابن صائد
لق سابق للخيل قائد
هوماتهم بأشد ساعد
لفؤاده بيمين جاحد
بين وليس مخلوق بخالد
وثوى بأكرم دار واحد
ع غير مهود الوسائد
ب الدار في القوم الأباعد
أبناء أبناء البولائد
ب الكرام لدى الشدائد
طح حيث معتلج العقائد
فنبطاح مكة فالمشاهد
رفموقف الظعن الرواشد

(١) في (أ): الخيل .

(٢) المقاتل ص ٣٨٥ .

فحياض زمزم فالمقا
فسويقتان فينبع
أمست بلاقع من بني
م فبصادر عنها ووارد
فبقيع يشرب ذي اللحاءد
حسن بن فاطمة الأراشد^(١)

وكان هذا الشاعر من الرثاسة والعلم بموضع ليس أحد بمثله، وجدَّ به الطلب
بعد قتل محمد وإبراهيم عليهما السلام حتى ظفر به أبو الدوانيق فلم يقله العثرة،
فلما قُدِّمَ للقتل رحمه الله تعالى قال:

هل كان يرتحل البراق أبوكم
أم من يقول الله إذ يختاره
بدأ المؤذن في الصلاة بذكره
مع ذكره لله حين يهللُ

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني في كتاب نسب آل أبي
طالب لعبد الله بن مصعب يرثي إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن عليهم
السلام:

يا صاحبي دعا الملامة واعلمنا
وقفا بقبر ابن النبي وسلما
قبر تضمّن خير أهل زمانه
رجلاً نفى بالعدل جور بلادنا
لم يجتذب قصد السبيل ولم يحد
لو عظم الحدّان شيئاً قبله
أو لو تمتع بالسلامة قبله
ولقد أصيب كزیده وحسينه
ضحوا بإبراهيم خير ضحية
بطل يخوض بنفسه غمراتها

أن لست في هذا بألوم منكما
لا بأس أن تقفابه وتسلما
حسباً وطيب سجيّة وتكرماً
وعفى عظيمات الذنوب وأنعما
عنه ولم يفتح بفاحشة فما
بعد النبي إذا لكان معظماً
أحد لكان قصاره أن يسلمنا
رزة أذل المسلمين وأرغما
فتصرمت أيامه وتصرما
لا طائشاً رعشاً ولا مستسلما

(١) المقاتل ص ٣٨٤.

حتى مضت فيه السيوف وربما
أضحت بنو حسن أبيح حریمها
إن ابن فاطمة المنوة باسمه
عظمت مصيبتة وعم هلاكه
يا قبح يشرب بعد عز تهامة
والله لو شهد النبي محمد
إشراع أمته الأسنة لابنه
حقاً لأيقن أنهم قد ضيعوا

كانت حتوفهم السيوف وربما
فيها وأصبح نهبها متقسماً
عزّ الرواحل والخيول السوّمَا
بالذلّ من سكّن النجود وأتھما
وفناء مكة والحطيم وزمزمَا
-صلى الإله على النبي وسلمَا-
حتى كسوه من حديدته دما
تلك القرابة واستحلّوا المحرما

الحسين بن علي الفخّي عليهما السلام^(١)

هو أبو عبدالله الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام . وأمه : زينب بنت عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام ، وأمها هند بنت أبي عبيدة ، وكان يعرف أبوه وأمه : بالزوج الصالح لصلاحهما وفضلهما ، وكان أبوه أيضاً يسمى : عليّ الخير ، وعليّ الأغرّ ، وهو الذي كان في جملة المحبوسين في حبس أبي الدوانيق لا يعرفون أوقات الصلوات إلا بتلاوته للقرآن ، ووظائف عبادته التي كان قد وظّفها ؛ لأن أبا الدوانيق حبسهم في موضع لا يُميّزون فيه بين ليل ونهار ، فكانوا لا يهتدون لأوقات الصلاة إلا بتلاوته لأجزاء القرآن التي كان قد اعتادها قبل الحبس^(٢) .

وروى بعض من صنّف أخبارهم : أنه قال له عمه عبدالله بن الحسن عليهما السلام : يا بني قد ترى ما نحن فيه فادع الله تعالى أن يخفّف عنا ، فقال له : يا عم

(١) انظر الإفادة ٧٠ ، ومقاتل الطالبين ٤٣١ ، والطبري ٤١٠ / ٦ ، وابن الأثير ٧٤ / ٥ ، ومروج الذهب ١٨٣ / ٢ ، وتاريخ اليعقوبي ٤٨٨ / ٢ ، والشافي ٢١٣ / ١ ، وأخبار فخ ١٣١ ، والأعلام ٢ / ٢٤٤ ، وابن خلدون ٢١٥ / ٣ ، و خلاصة الوفاء ٣٩٦ ، والتحف شرح الزلف ١٠٨ ، والمصابيح ٤٦٣ .

(٢) أنظر الإفادة ٧٠ ومقاتل الطالبين ٤٣١ .

إن لأبي الدوانيق منزلة في النار لا ينالها إلا بما فعل بنا، وإن لنا منزلة في الجنة لا ننالها إلا بالصبر على ما نحن فيه، فإن شئت أن أدعو الله أن يخفف عن أبي جعفر ويقصر بنا عن منزلتنا فعلت؟ فقال له عمه عليه السلام: بل نصبر، وكانت حلق أقيادهم قد اتسعت فكانوا يُحلُّونها فإذا أحسوا بالحرس ردُّوها وامتنع هو عن مثل ذلك، فقال له بعضهم في هذا، فقال: لا أحله حتى أحضر أنا وأبو جعفر بين يدي الله تعالى فيسأله فيم قيدني؟ إلى غير ذلك من طرائقه الشريفة. وكل آياته عليهم السلام نُجباء بررة أذكيا، فروع شجرة طيبة مباركة.

صفته عليه السلام :

ذكر السيد أبو طالب عليه السلام أنه كان أسود الرأس واللحية لم يخالطه الشيب، وكان بطلاً شجاعاً، سخياً لا يكثرث بالأموال^(١).

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام

كان عليه السلام قد نشأ على السداد وطرق الرشاد، جامعاً بين العلم والعمل حتى اعتلى ذروة الشرف، جارياً على طريقة آبائه الأخيار السادة الأبرار عليهم السلام. وقد روى العلماء فيه من الأثر عن رسول الله ﷺ ما يقضي بفضله، فمن ذلك ما رواه الشيخ أبو الفرج في مقاتل الطالبية [٤٣٦] بإسناده عن زيد ابن علي عليهما السلام قال: انتهى رسول الله ﷺ إلى موضع فخّ فصلى بأصحابه صلاة الجنائز، ثم قال: «يقتلها هنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، يُنزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة، تسبق أرواحهم إلى الجنة قبل أجسادهم»^(٢).

وروى أيضاً بإسناده عن محمد بن علي قال: مرَّ النبي ﷺ بفخ فنزل

(١) الإفادة ص ٩٢.

(٢) المصايح ٤٦٤.

فصلى ركعة فلما صلى الثانية بكى وهو في الصلاة، فلما رأى الناس النبي ﷺ وابى
بيكي بكوا، فلما انصرف قال: ما يبكيكم؟ قالوا: رأيناك تبكي فبكيينا يا رسول
الله، قال ﷺ: نزل عليّ جبريل لما صليت الركعة الأولى فقال لي: (يا محمد
إن رجلاً من ولدك يقتل في هذا المكان وأجر الشهيد معه أجر شهيدين)^(١).

وكان قد اشتهر من الكرم والجود بما لم يشتهر به عربي ولا عجمي في
عصره، والروايات في هذا المعنى كثيرة إلا أنا نذكر رواية تجمع.

روى الشيخ أبو الفرج^(٢) رحمه الله بإسناده، قال: ركب الحسين صاحب فخ
دين كثير، فقال لغرمائه: الحقوني إلى باب المهدي، وخرج فخرجوا إلى باب
المهدي فقال لأذنه: قل له: هذا ابن عمك الينبعي على الباب، قال: وكان على
جمل فقال له: ويلك أدخله على جملة فأدخله حتى أناخه في وسط الدار،
فوثب المهدي فسلم عليه وعانقه وأجلسه إلى جنبه وجعل يسأله عن أهله، ثم قال
له: يا ابن عم ما جاء بك؟ قال: ما جئتك وورائي أحد يعطيني درهماً، قال:
أفلا كتبت إلينا؟ قال أحببت أن أحدث بك عهداً، فدعى المهدي ببدرة من دنانير،
وبدرة من دراهم، وتخت من ثياب حتى دعا له بعشر بدر دنانير، وعشر بدر
دراهم، وعشرة تخوت فدفعها إليه، وخرج فطرح في دار بيغداد، وجاءه
غرماءه، فكان يقول للواحد: كم لك علينا؟ فيقول: كذا وكذا، فيزن له، ثم
يدخل يده في بيت الدنانير والدراهم فيقول: هذا صلة منا لك فلم يزل حتى لم
يبق من ذلك المال إلا شيء يسير، ثم انحدر إلى الكوفة يريد المدينة فنزل قصر ابن
هبيرة في خان، فقيل لصاحب الخان: هذا رجل من ولد رسول الله ﷺ،
فأخذ له سمكاً فشواه وجاء به ومعه رقاق، وقال له: لم أعرفك يا ابن رسول
الله، قال لغلامه: ما بقي معك من ذلك المال؟ قال: شيء يسير، والطريق بعيد،

(١) المقاتل ص ٤٣٦.

(٢) المقاتل ٤٤٣-٤٥٠.

قال : ادفعه إليه^(١) .

وروينا عن الإمام القاسم بن إبراهيم عن أبيه عن جده عليهم السلام قال :
عوتب الحسين بن علي عليهما السلام صاحب فخ فيما كان يعطي ، وكان من
أسخى العرب والعجم فقال : والله ما أظن أن لي فيما أُعطي أجراً ، فقيل له :
وكيف ذاك؟ قال : إن الله يقول : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾
[آل عمران: ٩٢] والله ما هو عندي وهذه الحصاة إلا بمنزلة ؛ يعني المال .

والحكايات في هذا المعنى كثيرة ، وما أقمنه بقول القائل :

وما مُزِيدٌ من خليج البحر ريعلو الأكام ويعلو الجسورا
بأجود منه بما عنده فيعطي المثين ويعطي البدورا

بيعته ﷺ والسبب في قيامه :

روى الشيخ أبو الفرج^(٢) أن موسى الملقب بالهادي ، ولى على المدينة إسحاق
ابن عيسى فاستخلف عليها رجلاً من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز بن
عبدالله فحمل على الطالبين وأساء إليهم وأفرط في التحامل عليهم ، وطالبهم
بالعرض في كل يوم ، وكانوا يعرضون في المقصورة ، وأخذ كل واحد منهم
بكفالة قريبه ونسبه ، فضمن الحسين بن علي ، ويحيى بن عبدالله بن الحسن ،
والحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن ، ووافى أوائل الحاج ، وقدم من الشيعة
نحو من سبعين رجلاً فنزلوا في دار ابن أفلح بالبقيع وأقاموا بها ، وغلظ العُمري
أمر العرض ، وولّى على عرض الطالبين رجلاً يعرف بأبي بكر بن عيسى بن
الحائك مولى للأنصار ، فعرضهم يوم الجمعة فلم يأذن لهم في الانصراف حتى بدأ
أوائل^(٣) الناس يجيئون إلى المسجد ، ثم أذن لهم ، فكان قصارى أحدهم أن تغدّى
وتوضأ للصلاة وراح إلى المسجد فلما صلوا حبسهم في المقصورة إلى العصر ثم

(١) المقاتل ص ٤٤٠ .

(٢) المقاتل ٤٤٣ - ٤٥٠ .

(٣) في (ج) : أول .

عرضهم فدعا باسم حسن بن محمد فلم يحضر، فقال ليحيى بن عبدالله، والحسين بن علي: لتأتياي به أو لأحبسكما؛ فإن له ثلاثة أيام لم يحضر العرض، ولقد خرج أو تغيب، فرادة بعض المرادة، وشتمه يحيى فخرج، ومضى ابن الحائك هذا ودخل على العمري فأخبره، فدعا بهما فوبخهما وتهددهما، فتصاحك حسين في وجهه، وقال: أنت مغضب يا أباحفص، فقال له العمري: أتهزأ بي وتخاطبني بكنيتي؟ فقال له: قد كان أبو بكر وعمر وهما خير منك يخاطبان بالكنى فلا ينكران ذلك وأنت تكره الكنية وتريد المخاطبة بالولاية، فقال له: آخر قولك شر من أوله، فقال معاذ الله: يأبى الله لي ذلك ومن^(١) أنا منه، فقال له: أفإنما أدخلتك لتفاخرني وتؤذيني! فغضب يحيى بن عبدالله وقال له: فما تريد منا؟ فقال: أريد أن تأتيا بحسن بن محمد، فقال: لا تقدر عليه وهو في بعض ما يكون فيه الناس، فابعث إلى آل عمر بن الخطاب فاجمعهم كما جمعنا، ثم اعرضهم رجلاً رجلاً فإن لم تجد فيهم من غاب أكثر من غيبة حسن عنك فقد أنصفتنا، فحلف على الحسين بطلاق امرأته وحرية ممالئكه أنه لا يخلّي عنه أو يجيء به في باقي يومه وليلته، وأنه إن لم يجيء به ليركبّن إلى سويقه فيخربها ويحرقها، وليضرب الحسن ألف سوط، وحلف بهذه اليمين أن عينه إن وقعت على حسن بن محمد ليقتلنه من ساعته، فوثب يحيى مغضباً فقال له: أنا أعطي الله عهداً، وكل مملوك لي حر إن ذقت الليلة نوماً حتى آتاك بحسن أو لا أجده، فأضرب عليك بابك حتى تعلم أنني قد جئتك، وخرجا من عنده وهما مغضبان، وهو مغضب، فقال حسين ليحيى: بش لعمر الله ما صنعت حين تحلف لتأتينه به، وأين تجد حسناً؟ قال: لم أرد أن آتبه بحسن والله وإلا فأنا نفي من رسول الله ﷺ ومن علي ﷺ إن دخل عيني نوم حتى أضرب عليه بابه ومعني السيف، إن قدرت عليه قتلته، فقال له حسين: بش ما تصنع، تكسر علينا أمرنا؟ قال له يحيى: وكيف أكسر عليك أمرك، وإنما بينك وبين ذلك عشرة أيام حتى تسير إلى

(١) في (أ): وما أنا منه .

مكة؟ فوجه الحسين إلى حسن بن محمد فقال له: يا ابن عم، قد بلغك ما كان بيني وبين هذا الفاسق، فامض حيث أحببت، فقال له الحسن: لا والله يا ابن عم، بل أجيئ معك الساعة حتى أضع يدي في يده، فقال الحسين: ما كان الله ليطلع عليّ وأنا جاء إلى محمد ﷺ وهو خصيمي وحجيجي في دمك، ولكنني أفيك بنفسني لعل الله أن يقيني من النار.

فجاءه يحيى وسليمان وإدريس بنو عبدالله بن الحسن، وعبدالله بن الحسن الأفتس، وإبراهيم بن إسماعيل طباطبا، وعمر بن الحسن بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن، وعبدالله بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ووجهوا إلى فتیان من فتیانهم ومواليهم، فاجتمعوا ستة وعشرين رجلاً من ولد علي ﷺ وعشرة من الحاج، ونفر من الموالي، فلما أذن المؤذن الصبح دخلوا المسجد ثم نادوا (أحدٌ . . . أحدٌ). وصعد عبدالله بن الحسن الأفتس المنارة التي عند رأس النبي ﷺ عند موضع الجنائز فقال للمؤذن: أذن (حي علي خير العمل) فلما نظر السيف في يده أذن بها، وسمعه العمري فأحس بالشر ودهش، وصاح: أغلقوا^(١) البغلة بالباب، وأطعموني حبتي ماء، قال علي بن إبراهيم في حديثه^(٢): فَوَلَدَهُ إِلَى الْآنَ يَعْرِفُونَ بَيْنِي حَبْتِي مَاءً. قالوا: ثم اقتحم إلى دار عمر بن الخطاب، وخرج في الزقاق المعروف بزقاق عاصم بن عمر^(٣)، ثم مضى هارباً على وجهه يسعى حتى نجا، وصلى الحسين بالناس الصبح، ودعا بالشهود العدول الذين كان العمري أشهدهم عليه أن يأتي بالحسن إليه، ودعا بالحسن وقال للشهود: هذا حسن قد جئت به فهاتوا العمري وإلا قد خرجت من يميني وما عليّ.

(١) في (أ): غلقوا .

(٢) في (أ): لا توجد: في حديثه .

(٣) في (أ): بدون: بن عمر .

ولم يتخلف عنه أحد من الطالبين إلا الحسن بن جعفر بن حسن بن حسن^(١) فإنه استعفى فلم يكره . وموسى بن جعفر، وكان من حديث موسى أنه^(٢) قال للحسين : إنك مقتول فأجد الضراب فإن القوم فساق يظهرون إيماناً ويُضَمرون شركاً، فإننا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسبكم من عصابة.^(٣)

وخطب الحسين بن علي عليهما السلام بعد فراغه من الصلاة فحمد الله وأثنى عليه، وقال : أنا ابن رسول الله، على منبر رسول الله ﷺ في حرم رسول الله، أدعوكم إلى سنة رسول الله ﷺ .

أيها الناس : أتطلبون آثار رسول الله في الحَجَر والعود وتتمسحون بذلك وتضيعون بضعة منه؟^(٤) وأقبل خالد البربري^(٥) - وكان مسلحة للسلطان بالمدينة- في السلاح ومعه أصحابه حتى وافوا باب المسجد الذي يقال له : باب جبريل، قال الراوي : فنظرت إلى يحيى بن عبدالله قد قصده في يده السيف، فأراد خالد أن ينزل فبدره يحيى فضربه على جبينه، وعليه البيضة والمغفر والقلنسوة، فقطع ذلك كله وأطار قحف رأسه وسقط عن دابته، وحمل على أصحابه ففرقوا وانهمزوا .

ثم استخلف الحسين بن علي عليهما السلام درياس الخراعي، وخرج قاصداً إلى مكة معه من تبعه من أهله ومواليه وهم زهاء ثلاثمائة، فلما قربوا من مكة وصاروا (بفخّ وبلدح) تلقتهم الجيوش، فعرض العباس بن محمد على الحسين الأمان والعفو والصلة فأبى ذلك أشد الإباء .

وكما لقي الحسين ﷺ المسودة أقعد رجلاً على جمل معه سيف يلوح،

(١) في (أ) : ساقطة : حسن .

(٢) في (أ) : أن قال .

(٣) المقاتل ص ٤٤٦-٤٤٧ .

(٤) مقاتل الطالبين ٤٤٨ .

(٥) في (ج) : البربري .

والحسين يملئ عليه حرفاً حرفاً ويقول: ناد، فنادى: يا معشر الناس، يا معشر المسودة، هذا حسين ابن رسول الله وابن عمه يدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآله^(١).

وروينا عن أبي العرجاء جمال موسى بن عيسى، قال: لما وصلنا بستان بني عامر فنزل فقال: اذهب إلى عسكر الحسين حتى تراه وتخبرني بكلماتي، قال: فمضيت فدرت فما رأيت خللاً ولا فللاً، ولا رأيت إلا مصلياً أو مبتهلاً، أو ناظراً في مصحف، أو معداً لسلاح، قال: فجنّته فقلت: ما أظن القوم إلا منصورين. فقال: كيف ذلك يا ابن الفاعلة؟ فأخبرته فضرب يداً على يد ويكى حتى ظننت أنه سينصرف، ثم قال: هم والله أكرم عند الله، وأحق بما في أيدينا منا، ولكن الملك عقيم، ولو أن صاحب القبر - يعني: النبي ﷺ وآله نازعنا الملك ضربنا خيشومه بالسيف، يا غلام، اضرب بطبلك ثم سار إليهم، فوالله ما انثنى عن قتلهم^(٢) حتى قتلهم^(٣).

ذكر مقتله ﷺ وموضع قبره^(٤):

لما انتهى عليه ﷺ إلى فخ وبلدح لقيتهم الجنود الظالمة وكان قوادهم العباس بن محمد، وموسى بن عيسى، وجعفر ومحمد ابنا سليمان، ومبارك التركي وغيرهم، فالتقوا يوم التروية وقت صلاة الصبح، فأمر موسى بن عيسى بالتعبئة، فصار محمد بن سليمان في الميمنة، وموسى في الميسرة، وسليمان بن أبي جعفر والعباس بن محمد في القلب، فكان أول من بدأهم موسى فحملوا عليه فاستطرد لهم شيئاً حتى انحذورا في الوادي، وحمل عليهم محمد بن سليمان من

(١) ينظر مقاتل الطالبين ٤٤٤ - ٤٤٩، وأخبار فخ ١٣٢ وما بعدها، والمصابيح ٤٧٢ - ٤٨٦.

(٢) في (ج): بسقط: عن قتلهم.

(٣) لمقاتل ص ٤٥٢ - ٤٥٣.

(٤) ينظر مقاتل الطالبين ٤٥٠ وما بعدها، وأخبار فخ ١٥٠ - ١٦٢.

خلفهم فطحنهم طحنة واحدة حتى قتل أكثر أصحاب الحسين وجعلت المسودة تصيح بالحسين: ^(١) يا حسين لك الأمان فيقول: الأمان أريد! ويحمل عليهم، فقتل معه سليمان بن عبدالله بن حسن، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن، وأصابته الحسن بن محمد بن عبدالله نشابة في عينه فتركها في عينه ^(٢) وجعل يقاتل أشد القتال، فناداه محمد بن سليمان: يا ابن خال اتق الله في نفسك، لك الأمان، فقال: والله ما لك أمان ولكني أقبل منك، ثم كسر سيفاً هندياً كان في يده ودخل إليهم، فصاح العباس بن محمد بابته: قتلك الله إن لم تقتله، أبعده تسع جراحات ينظر هذا! فقال له موسى بن عيسى: إي والله عاجلوه، فحمل عليه عبيدالله فطعنه، وضرب محمد بن العباس عنقه بيده صبراً، وتنشبت ^(٣) الحرب بين العباس بن محمد ومحمد بن سليمان، وقال: أمنتُ خالي فقتلتموه! قالوا: نحن نعطيك رجلاً من العشيرة فتقتله مكانه .

وروي أن موسى بن عيسى هو الذي ضرب عنق الحسن بن محمد .

وروينا بالإسناد عن الإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام قال: حدثني أبي قال: بايعنا الحسين بن علي الفخري عليهما السلام على أنه هو الإمام، قال: وأصابته جراحة والدم لا يرقأ، فقلنا له: أنت في هذه الحال، لو تنحيت . فقال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليبغض العبد يستأسر إلا من جراحة مشخنة» .

وروينا أنه تأخر جماعة ممن بايع الحسين بن علي الفخري ^(٤) عليهما السلام فلما فقدهم عند المعركة أنشأ يقول:

وإني لأنوي الخير سرّاً وجهرة
وأعرف معروفاً وأنكر منكراً
ويعجبني المرؤ الكريم نجاره
ومن حين أدعوه إلى الخير شمراً

(١) الخي (١): بحسين .

(٢) الخي (١): لا توجد: في عينه .

(٣) في (١): وتسبب .

(٤) في (ج): بحذف: الفخري .

يعين على الأمر الجميل وإن يرى فواحش لا يصبر عليها وغيرا
 وروى الشيخ أبو الفرج بإسناده عن القاسم بن إبراهيم عليهما السلام عمن
 ذكره قال: رأيت الحسين صاحب فخ، وقد دفن شيئاً فظننت أنه شيء له مقدار،
 فلما كان من أمره ما كان نظرنا فإذا هو قطعة^(١) من جانب وجهه قد قطع فدفنه ثم
 عاد فكّر عليهم. وروى أيضاً أن حماداً التركي وكان ممن حضر وقعة فخ، فقال
 للقوم: أروني حسيناً فأروه إياه، فرماه بسهم فقتله، فوهب له محمد بن سليمان
 مائة ألف درهم ومائة ثوب^(٢)، وقتل أكثر أصحابه عليه السلام.

وروى الشيخ أبو الفرج بإسناده عن نصر الخفاف قال: أصابتنى ضربة وأنا
 مع الحسين صاحب فخ فبرّت اللحم والعظم، فبت ليلتي أعوي منها، وأنا أخاف
 أن يجيئونني فيأخذوني إذا سمعوا الصوت، فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وقد
 جاء، فأخذ عظمًا فوضعه على عضدي فأصبحت وما أجد من الوجع قليلاً ولا
 كثيراً^(٣)!

ولما قتل عليه السلام أخذ رأسه وحمل إلى موسى الملقب بالهادي، ودفن بدنه
 (بفخ) ومشهده مشهور مزور، ولا عقب له عليه السلام.

قال السيد أبو طالب عليه السلام^(٤): وكان له يوم قُتل إحدى وأربعون سنة، ولما
 قتلوه نفذوا إلى المدينة، فلما دخلوها وجلس موسى بن عيسى وأقبل الناس إليه،
 وأقبل موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسين عليهم السلام على أثر ذلك وعليه
 مدرعة صوف غليظ، وفي رجليه نعلان من جلود الإبل فقعد في طرف، فقال
 السري بن عبدالله: يا موسى كيف رأيت مصارع البغي الذي لا تدعونه لبني عمنا
 المنعمين عليكم؟ فقال موسى أقول في ذلك:

(١) في (ج): بقطعه.

(٢) المقاتل ص ٤٥١ - ٤٥٢.

(٣) المقاتل ص ٤٥٧.

(٤) الإفادة ٧٣.

بني عمنا ردوا فضول دماننا
 ينم ليئلكم أولا يلمن اللوائم
 فإنا وإياكم وما كان بيننا
 كذي الدين يقضي دينه وهو راغم
 فقال السري : والله ما يزيدكم البغي إلا ذلة ، ولو كنتم مثل بني عمكم يعني
 موسى بن جعفر - فقد عرف حق بني عمه وفضلهم عليه فهو لا يطلب ما ليس
 له ، فقال موسى بن عبدالله عليه السلام :

فإن الأولى تُثني عليهم بقيتي ^(١)
 أولاك بنو عمي وعمهم أبي
 فإنك إن تمدحهم بمديحة
 تُصدّق وإن تمدح أباك تُكذّب
 وروي أن محمد بن سليمان لما حضرته الوفاة كانوا يلقنونه الشهادة وهو
 يقول :

ألا ليت أمي لم تلدني ولم أكنُ
 شهدتُ حسيناً يوم فُخّ ولا الحسنُ
 ولبعضهم يرثي الحسين بن علي عليهما السلام :

يا عين بكي بدمع منك منهن
 فقد رأيت الذي لاقى بنو حسن
 صرعى بفتح تجرُّ الريح فوقهم
 أذبالها وغوادي الدلح ^(٢) المزن
 حتى عفت ^(٣) أعظم لو كان شاهدا
 محمد ذب عنها ثم لم يهن
 ماذا يقولون إذ قال النبي لهم :
 لا الناس من مضر حاموا ولا عصموا
 ولا رييفة والأذواء من يمن
 يا ويحهم كيف لم يرغوا لهم حرماً
 وقد رأى الفيل حق البيت ذي الركن
 ولبعضهم يرثيه أيضاً :

فلأبكين على الحسين
 وعلى ابن عاتكة الذي
 بعوكة وعلى الحسن
 أنووه ليس بذئ كفن

(١) في المصادر: تعيني ، وأظنه تصحيف .

(٢) الدلح : كثير الماء . القاموس ص ٢٧٧ .

(٣) في (أ) : غدت .

نزلوا بفتح غـدوة في غير منزلة الوطن
كانوا كراماً فانقضوا لاطائشين ولا جُبن
غسلوا المذلة عنهم غسل الثياب من الدرن
هُدي العباد بجدّهم فلهم على الناس المنن
رواه الشيخ أبو الفرج لعيسى بن عبدالله^(١).

وروى عن بعضهم قال: رأيت في النوم رجلاً يسألني أن أنشده هذه
الآيات، فأنشدته إياه، فقال لي: زد فيها:
قَوْمٌ كَرَامٌ سَادَةٌ مَنْ هُمْ وَمَنْ هُمْ ثُمَّ مَنْ
وروى بإسناده قال: سُمِعَ عَلَى مِيَاهِ غَطْفَانَ كُلِّهَا لَيْلَةَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ صَاحِبِ
فَخِ هَاتِفًا يَهْتَفُ وَيَقُولُ:

أَيَا لِقَوْمٍ لِلسَّوَادِ الْمَصْبُوحِ وَمَقْتَلِ أَوْلَادِ النَّبِيِّ بِبَلَدِ
لَبِيكِ حَسِينًا كُلَّ كَهْلٍ وَأَمْرَدٍ مِنْ الْجَنِّ إِذْ لَمْ يَبِكْ لِلْإِنْسِ مَتْرَحِ
فَإِنِّي لَجَنِّي وَإِنْ مَعَرَسِي لَبِيَّ الْبُرُقَةِ السَّوْدَاءِ مِنْ دُونَ رَحْرَحِ
فسمعها الناس فلا يدرون ما الخبر حتى أتاهم قتل الحسين عليه السلام.
وروي أن عدة الجيش الظالم كانت أربعين ألفاً.

وروى الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام عن عمه سليمان بن
القاسم بن يحيى بن حمزة بن أبي هاشم أن الجيش الذين حضروا لقتال الحسين بن
علي الفخري عليهما السلام اسودت وجوههم قاطبة فكانوا يعرفون من بين
الناس، فيقال: هذا من الجيش الذين قتلوا الفخري.
وقبره بفتح عند بستان الديلمي في الزاهر. أمر الإمام المنصور بالله عبدالله
ابن حمزة عليه السلام إلى السيد أبي الحسن قتادة بن إدريس بعمارته فعمر عليه، وعلى
الحسن بن محمد قبة حسنة سنة إحدى وستمئة.

(١) المقاتل ص ٤٥٨.

الإمام يحيى بن عبدالله عليهما السلام^(١)

هو: أبو الحسين وقيل : أبو عبدالله يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأمّه: قُرَيْبَةُ ابنة عبدالله ويعرف بربيع بن أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهي ابنة أخ هند أم محمد وإبراهيم وموسى أولاد عبدالله عليهم السلام^(٢).

صفته عليه السلام :

قال السيد أبو طالب عليه السلام^(٣) : كان عليه السلام آدم، حسن الوجه إلى القصر، ما هو عظيم البطن، فارساً شجاعاً، وكانت له مقامات مشهورة في مبارزة الأعداء، وقتل الأبطال مع الإمام الحسين بن علي صاحب فخر عليهما السلام. وفي كتاب مقاتل الطالبية [٤٦٥] رواه بالإسناد عن بعضهم: كان قصيراً آدم، حسن الوجه والجسم، تعرف سلالة الأنبياء في وجهه.

ذكر طرف من أخباره وبيعته عليه السلام :

كان عليه السلام من عيون العترة عليهم السلام وفضلائها، قد نشأ على طريقة آبائه الأظهر السادة الأبرار سلام الله عليهم أجمعين، جامعاً بين العلم والعمل، قد روى الحديث عن أهله وغيرهم من الرواة، قال الشيخ أبو الفرج^(٤): وأكثر

(١) أنظر الإفادة ٧٤، ومقاتل الطالبين ٤٦٣، والطبري ٤٤٩/٦، وتاريخ بغداد ١٣/١٤، مروج الذهب ٣/٣٥٣، الاستقصاء ٦٧/١، ابن الأثير ٧٤/٦، ابن أبي الحديد ٣٥٢/٤، الفخري ١٧٤، التحف شرح الزلف ١١٢، الشافعي ٢٢٤/١، الأعلام ١٥٤/٨، البداية والنهاية ٥٤/١٠، ابن خلدون ٣/٣١٥، عمدة الطالب ١٧٦، المصابيح ٤٩٠.
(٢) المصابيح ٤٩٠، والإفادة ٧٤، ومقاتل الطالبين ٤٦٣.
(٣) الإفادة ص ٧٦.
(٤) مقاتل الطالبين ص ٤٦٣.

الرواية عن جعفر بن محمد، وروى عن أبيه وأخيه محمد، وعن أبان بن تغلب، وروى عنه مخلول بن إبراهيم، وبكار بن زياد، ويحيى بن مساور، وعمرو^(١) بن حماد، وكان قد حضر ﷺ القتال مع الحسين بن علي الفخي عليهم السلام، وقاتل قتالاً عظيماً، وأصيب بنشاب كثير، قال الراوي: حتى صار كالقنفذ لكثرة لزومه فيه. ولما انفصلوا من الواقعة أقام مستتراً مدة طويلة يطوف في الآفاق خوفاً على نفسه، ووصل صنعاء وأقام بها شهوراً، وأخذ علماء صنعاء عنه علماً كثيراً مثل يحيى بن زكرياء الصنعاني، ويحيى بن إبراهيم، ثم دخل بلاد الحبشة وخرج منها، وصار إلى بلاد الترك فتلقاتها ملكها بالإكرام، وقدم له التحف العظيمة، ودعاه إلى الإسلام فأسلم على يديه سرّاً^(٢).

ويث يحيى ﷺ دعائه في الآفاق فجاءته كتبهم بيعة مائة ألف فيهم العلماء والفقهاء، فقال يحيى ﷺ: لا بد من الخروج إلى دار الإسلام، فنهاه ملك الترك عن ذلك، وقال: إنهم يخذعونك فلا تغترن، فقال يحيى: لا أستخير فيما بيني وبين الله تعالى أن أقيم في بلاد الشرك ومعني مائة ألف مقاتل من المسلمين فخرج إلى بلاد الديلم وقال: إن للديلم معنا خرجة وأرجو أن تكون معي فلم تكن معه ﷺ، وإنما كانت مع الناصر للحق ﷺ. فلما استقر يحيى ﷺ في بلاد الديلم وأتاه سبعون رجلاً ممن كان قد استجاب له، وبلغ الخبر إلى هارون المسمى بالرشيد فتبلبل باله، وتغيرت أحواله، وقطع الخمر، ولبس الصوف، وافترش اللبود، وتحلى بغير ما يعتاده من العبادة والصلاح لما علا صوت يحيى ﷺ في الآفاق، وانتشر ذكره. وكان في الذين بايعوه من عيون^(٣) أهل العلم المشهورين: عبد ربه ابن علقمة، ومحمد بن إدريس الشافعي، ومحمد بن عامر، ومخلول بن إبراهيم،

(١) في النسخ: عمر.

(٢) الإفادة ٧٦، وأخبار فخ ١٩٠.

(٣) في (أ): ساقطة: عيون.

والحسن بن الحسن العُرني، وإبراهيم بن إسحاق، وسليمان بن جرير، وعبدالعزیز ابن يحيى الكنانى، وبشر بن المعتمر، وفُلَيْت بن إسماعيل، ومحمد بن أبي نعيم، ويونس بن إبراهيم، ويونس البجلي، وسعيد بن خثيم. وجرت على الشافعي رحمه الله نوبة، وذلك أن الرشيد كما بلغه أنه يدعو ليحيى بن عبدالله عليهما السلام أنفذ إليه من أتى به على حمار مُقَيِّداً مكشوف الرأس، فأدخل بغداد على تلك الهيئة^(١).

وذكر بعض من صنف في أخباره ﷺ أن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الذي يقال له: أستاذ محمد بن إدريس الشافعي كان من دعاة يحيى ﷺ، ومن أجله أصحابه وأهل زمانه، فكتب إلى أبي محمد الحضرمي كتاباً وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم، سلامٌ عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى المستوجبين الصلاة من أهله أما بعد :

فقد بلغني حبك أهل بيت نبيك عامة، ويحيى بن عبدالله خاصة؛ لمكان النبي ﷺ، منهم، ولموضعهم الذي فضلهم الله به من بيننا، فلقد وفقت لرشدك بمودتك لهم؛ لأنهم أحق الناس بذلك منك ومن الأمة، وأقمنهم أن يُقربك جبههم إلى ربك؛ لأنهم أهل بيت الرحمة، وموضع العصمة، وقرار الرسالة، وإليهم كان مختلف الملائكة، وأهل رسول الله وعترته، فهم معدن العلم وغاية الحكم^(٢)، فتمسك بصاحبك، واستظل بظله، وأعنه على أمره، وارض به محلاً، ولا تبغ به بدلاً، فإنه من شجرة باسقة الفرع، طيبة النبع، ثابتة الأصل، دائمة الأكل، قد ساخت عروقها فهي طيبة الثرى، واهتزت غصونها فهي تنطف الندى، وأورقت مُنضرة، ونورت مزهرة، وأثمرت مُورقة، لا يُنقص ثمارها

(١) الإفادة ٦٧ .

(٢) في (١) : الحلم .

الجناة، ولا ينتزعها^(١) السقاة، فمن نزل بها وأوى إليها ورد حياضاً تفيض، ورعى رياضاً لا تفيض، وشرب شرباً رويًا هنيئًا مريئًا متللاً غريضاً فضيضاً، فروى وارتوى من رواء بدلاء ملأى، مبذولة غير ممنوعة، معروضة غير مقطوعة، فاستميسك بالعروة الوثقى من معرفة حق الله عليك في نصره يحيى، وتحريم حرمة، واستغنم الظفر بما يلزمك من حفظه لمكان النبي ﷺ ومكان الوصي بعده الإمام، ومكان أهله منه، وحفظ دين الله خاصة، وفي أهل البيت عامة، وأحببهم جميعاً حباً نافعاً، واجعل حبك إياهم حباً دائماً بغير تقصير ولا إفراط، ولا احتراف ولا اختلاف، تجمعهم إذا تفرقوا، ولا تفرق بينهم إذا اجتمعوا، ولا تُصدّق عليهم أهل الفرية من الرافضية الغلاة، فإنهم العداة للقائمين بالحق من عترة الرسول، وسيئوا النية فيهم والجرأة على الله بالإفك والشنآن، وهم أهل الخلافة وقلّة المهابة للعواقب، واعلم أن من اعتقد ترك ما نهى عنه في السر الباطن، وأظهر الحق في المواطن، ولزم التقوى وحفظ حق ذي القربى، وتجنب في حبهم الجور والحزونة، وسلك الطريقة الوسطى، وسار فيهم بالقصد والسهولة، وأقر بالفضل لأهله، وفضل ذا الفضل بفضله، ودعا إلى الله تعالى وإلى كتابه وسنة نبيه، ولم ير الإغماض في دينه، ولم ينقض مبرماً، ولم يستحل محرماً، فمن كانت هذه صفته لحق بالصالحين من سلفه وبخير آبائه الطاهرين، فتدبر ما وصفت لك، وميزه بقلبك، فإن كنت كذلك لحقت بأهل الولاية الباطنة والمودة الراتبة، التي لم تغيرها فتنة ولم تصبها أبنة^(٢)، فأسكن خير دار عند أكرم جار بأهناً راحة وأفضل قرار، في مكان لا يشوبه المكاره والغل، ولا يعاب أهله بسوء الأخوة والبخل، يتلاقون بأحسن تحية، بصدق بركة، وأخلاق سنية، لا تمازجها الريبة، ولا تنساع فيها الغيبة، قد وصلهم الله بحبله

(١) في (أ): ولا شرعها .

(٢) الأبنة: العيب . القاموس ص ١٥١٥ .

فاتصلوا به ، وجمعهم في جواره فاستبشروا به ، فعلى ذلك يتواخون وبه يتواصلون ، يتحابون بالولاية ، ويتوادون بحسن الرعاية ، فهم كما قال الله : ﴿ كَزَرَ عَ أَخْرَجَ شَطَنَهُ فَآزَرَهُ ﴾ الآية [الفتح: ٢٩] ، فهم كمثل من خلا من قبلهم ، مستهم البأساء والضراء ونالهم المكروه والأواء ، والشدة والأذى ، امتحنوا بعظيم المحن والبلوى ، فصبروا لله على ما امتحنهم به ، وأخلصوا لله ما أرادوا منه ، فحباهم^(١) على ما أسلفوا ، وكافأهم بجميل ما اكتسبوا ، وأحبهم لعظيم ما صبروا ، والله يحب الصابرين . رزقنا الله تراحم الأبرار وتواصل الأخيار الذين لهم عقبى الدار ، وفتح لنا ولك أبواب الحكمة ، وعصمنا وإياك بحبل العصمة ، وشملنا بجميل النعمة ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

ولما علم هارون المسمى بالرشيد بكثرة من استجاب ليحيى عليه السلام ، وكونه في الديلم عند جُستان وحيث لا طاقة له في أخذه قهراً أعمل الحيلة في ذلك ، فوجه الفضل بن يحيى بن خالد في خمسين ألف مقاتل ، وألزمه التوصل إلى استخراج يحيى عليه السلام بما يمكن من الحيل فتشدد الفضل في ذلك إزالة للتهمة عن نفسه ، فقد كان سعي به إلى هارون وقيل : إنه يعرف مكان يحيى عليه السلام ، وإنه كتب له منشوراً يعرضه على أصحاب المسالحي حتى لا يعترضوا له بحال . فلما جهز الفضل بن يحيى بالجند والأموال الجليلة أمره أن يبذل لجستان ما يحبه من الأموال ، وأوصاه أن يعرض على يحيى عليه السلام كل أمر يوافق خاطره ، وأن يعظم القطائع الجليلة على احترامه واحترام شيعته ، وأن يسكن حيث أحب من البلاد . وشيع هارون الجيش إلى النهروان ، فلما عرضوا عليه رأى ما أعجبه من كراع وسلاح ورجال ، وكان ذلك سنة ست وسبعين ومائة ، ونهض الفضل بن يحيى يطوي البلاد حتى حط بطالقان الري ، فكاتب ملك الديلم وبذل له ألف ألف درهم على خروج يحيى عليه السلام ، فامتنع ملك الديلم من ذلك ، فأرسل إليه الفضل بالأموال ، وأنواع التحف

(١) في (أ) : فحباهم .

والهدايا فلم يؤثر فيه ذلك بل استمر على الامتناع . وقد كان هارون أودع الفضل كتاباً إلى يحيى عليه السلام إن امتنع ملك الديلم فيه الأمان والوثائق ، وأن يبذل له من المال ألف ألف وألف ألف وألف ألف وما أحب من القطائع ، وينزله من البلاد حيث شاء^(١) . فكتب يحيى عليه السلام إلى هارون جواب كتابه :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فقد فهمت كتابك ، وما عرضت عليّ فيه من الأمان على أن تبذل لي أموال المسلمين ، وتقطعني ضياعهم التي جعلها الله لهم دوني ودونك ، ولم يجعل لنا فيها نقيراً ولا فتيلاً ، فاستعظمت الاستماع له فضلاً عن الركون إليه ، واستوحشت منه تنزهاً عن قبوله ، فاحبس عني أيها الإنسان مالك وإقطاعك وقضاك حوائجي ، فقد أدبتني إذا خالف ناقصاً^(٢) ، وولدتني عاقاً قاطعاً ، فوالله لو أن من قتلته من أهلي ترك وديّالماً عليّ بعد أنسابهم مني وانقطاع رحمهم عني لوجبّت عليّ نصرتهم ، والطلب بدمائهم ، إذ كان منكم قتلهم ظلماً وعدواناً ، والله لكم بالمرصاد لما ارتكبتم من ذلك ، وعلى الميعاد لما سبق فيه من قوله ووعيده ، وكفى بالله جازياً ومعاقباً ، وناصرراً لأولياته ومنتقماً من أعدائه ، وكيف لا أطلب بدمائهم وأنام عن ثأرهم ، والمقتول بالجوع والعطش والنكال ، وضيق المحابس وثقل الأغلال ، وعدو العذاب وترادف الأثقال - أبي عبدالله بن الحسن ذو الشيبة الزكية ، والهمة السنية ، والديانة المرضية ، والخشية والتقية ، شيخ الفواطم ، وسيد أبناء هاشم طراً ، وأرفع أهل عصره قدراً ، وأكرم أهل بلاد الله فعلاً ، ثم يتلوه إخوته وبنو أبيه ، ثم إخوتي وبنو عمومتي نجوم السماء ، وأوتاد الدنيا ، وزينة الأرض ، وأمان الخلق ومعدن الحكمة ، وينبوع العلم ، وكهف المظلوم ، وماوى المهوف ، ما منهم أحد إلا من لو أقسم على الله لبرّ قسمه ،

(١) مقاتل الطالبين ٤٦٥ ، والإفادة ٧٦ .

(٢) في (أ) : ناقصاً .

فما أنسَ من الأشياء فلا أنسى مصارعهم ، وما حلَّ بهم من سوء مقدرتكم ، ولؤم ظفركم ، وعظيم إقدامكم ، وقسوة قلوبكم ، إذ جاوزتم قتلة من كفر بالله إفراطاً ، وعذاب من عاند الله إسرافاً ، ومثله من جحد الله عتواً . وكيف أنساه؟ وما أذكره ليلاً إلا أقضَّ عليّ مضجعي وأقلقني عن موضعي ، ولا نهاراً إلا أمرَّ عليّ عيشي ، وقصر إليّ نفسي حتى لوددت أني أجد السبيل إلى الاستعانة بالسباع عليكم فضلاً عن الناس ، وأخذ منكم حق الله الذي أوجب عليكم ، وأنتصف من ظالمكم ، وأشفي غليل صدر قد كثرت بلائله ، وأسكن قلباً جمًا وساوسه من المؤمنين ، وأذهب غيظ قلوبهم ولو يوماً واحداً ، ثم يقضي الله في ما أحب ، وإن أعش فمدرك ثأري داعياً إلى الله سبحانه على سبيل الرشاد أنا ومن اتبعني نسلك قصد من سلف من آبائي وإخواني وإخوتي القائمين بالقسط الدعاة إلى الحق ، وإن أمت فعلى سنن ما ماتوا غير راهب لمصرعهم ، ولا راغب عن مذهبهم ، فلي بهم أسوة حسنة ، وقدوة هادية ؛ فأول قدوتي منهم أمير المؤمنين رضوان الله عليه ؛ إذ كان ما زال قائماً وقت القيام مع الإمكان حتماً ، والنهوض لمجاهدة الجبارين فرضاً ، فاعترض عليه من كان كالظلف مع الخف ، ونازعه من كان كالظلمة مع الشمس ، فوجدوا لعمر الله من حزب الشيطان مثل من وجدت ، وظاهرهم من أعداء الله مثل من ظاهرك ، وهم لمكان الحق عارفون ، وبمواضع الرشد عالمون ، فباعوا عظيم أجر الآخرة بحقير عاجل الدنيا ، ولذيد الصدق بغليظ مرارة الإفك ، ولو شاء أمير المؤمنين لهدأت له ، وركنت إليه بمحابة الناكثين ، واتخاذ المضلين ، وموالة المارقين ، ولكن أبى الله أن يكون للخائنين متخذاً ، وللظالمين موالياً ، ولم يكن أمره عندهم مشكلاً ، فبدلوا نعمة الله كفرًا ، واتخذوا آيات الله هزواً ، وجحدوا كرامة الله ، وأنكروا فضيلة الله ، فقال رابعهم : أنى تكون لهم الخلافة والنبوة ، حسداً وبغيًا ، فقد يمسد النبيثون وأبناء النبيين الذين اختصهم الله بمثل ما اختصنا ، فأخبر عنهم تبارك وتعالى فقال : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى

مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿النساء: ٥٤﴾، فجمع لهم المكارم والفضائل، والكتاب والحكمة والنبوة والملك العظيم، فلما أبوا إلا تمادياً في الغي وإصراراً على الضلال، جاهدهم أمير المؤمنين حتى لقي الله شهيداً رضوان الله عليه. ثم تلاه الحسن سليل رسول الله ﷺ وشبيهه، وسيد شباب أهل الجنة، إذ كل أهلها سادة فكيف بسيد السادة، فجاهد من كان أمير المؤمنين جاهده، وسكن إليه من المسلمين من كان شايعه من ذوي السابقة وأهل المأثرة، فكان ممن نقض ما عقد له ونكث عما عاهده عمك عبيد الله بن العباس حين اطمأن إليه، وظن أن سريرته لله مثل علانيته. وجهه على مقدمته في نحو عشرين ألف مقاتل من المسلمين، فلما نزل مسكناً من سواد العراق باع دينه وأمانته من ابن آكلة الأكباد بمائة ألف درهم وفارق عسكره ليلاً ولحق بمعاوية، فدلّه على عورات عسكر ابن رسول الله، وأطمعه في مبارزته بعد أن كانت نفسه قد أحيط بها وضاق عليه مورده ومصدره، وظن أن لا مطمع له حين استدرج وأمهل له فارتحل الحسن بنفسه باذلاً لها في ذات الله ومحتسباً ثواب الله، حتى إذا كان بالمدائن وثب عليه أخو أسد، فوجأه في فخذه فسقط لما به، وأيس الناس من إفاقته، فتبددوا شيعاً، وتفرقوا قطعاً، فلما قصرت طاقته، وعجزت قوته، وخذله أعوانه سالم هو وأخوه معذورين مظلومين موتورين، فاستثقل اللعين ابن اللعين حياتهما، واستطال مدتهما، فاحتال بالاغتيال لابن رسول الله ﷺ حتى نال مراده وظفر بقتله، فمضى مسموماً شهيداً، مغموماً فقيداً. وغبر شقيقه وأخوه وابن أمه وأبيه شريكة في فضله، ونظيره في سؤده، على مثل ما انقرض عليه أبوه وأخوه، حتى إذا ظن أن قد أمكنته محنة الله من بوارهم، ونصرة الله من اخترامهم، دافعه عنها أبناء الدنيا، واستدرج بها أبناء الطلقاء، فبعداً للقوم الظالمين، وسحقاً لمن آثر على سليل النبيين وبقية المهتدين الخبيث ابن الخبيثين، والخائن ابن الخائنين، فقتلوه ومنعوه ماء

الفرات، وهو مبذول لسائر السباع، وأعطشوه وأعطشوا أهله وقتلوهم ظمأً، يناشدونهم فلا يجابون، ويستعطفونهم فلا يرحمون، ثم تهادوا رأسه إلى يزيد الخمر والفجور تقريباً إليه، فبعداً للقوم الظالمين!!

ثم توجهت جماعة من أهل العلم والفضل إلى سجستان في جيش، فتذاكروا ما حل بهم من ابن مروان فخلعوه وبايعوا الحسن بن الحسن ورأسوا عليهم ابن الأشعث إلى أن يأتيهم أمره، وكان رأسهم غير طائل ولا رشيد، نصب العدو للحسن قبل موافاته، ففرقت عند ذلك كلمتهم وفلَّ حدهم، فمزقوا كل ممزق، فلما هُزم جيش الطواويس احتالوا بجدي الحسن بن الحسن فمضى مسموماً يتحسَّى الحسرة، ويتجرع الغيظ رضوان الله عليه، حتى إذا ظهر الفساد في البر والبحر شرى زيد بن علي عليهما السلام لله نفسه، فما لبث أن قُتل ثم صُلب ثم أحرق فأكرم بمصرعه مصرعاً. ثم ما كان إلا طلوع ابنه يحيى عليه السلام نائراً بخراسان فمضى نحوه وقد أعذر رضوان الله عليهما، وقد كان أخي محمد بن عبد الله دعا قبل زيد وابنه عليهما السلام فكان أول من أجابه كوسارح إليه جدك محمد بن علي ابن عبد الله بن عباس وإخوته وأولاده، فخرج ابن عمه يقوم بدعوته، حتى خدع بالدعاء إليه طوائف، ومعلوم عند الأمة أنكم كنتم لنا تدعون، وإلينا ترجعون، وقد أخذ الله عليكم منكم ميثاقاً لنا، وأخذنا عليكم ميثاقاً لمهدينا محمد بن عبد الله النفس الزكية الخائفة التقية المرضية، فنكثتم عند ذلك، وادعيتم من إرث الخلافة ما لم تكونوا تدعونه قديماً ولا حديثاً، ولا ادعاه أحدكم من الأمة إلا تقولاً كاذباً، فها أنتم الآن تبغون دين الله عوجاً، وذرية رسول الله ﷺ قتلاً واجتياحاً، والأميرين بالمعروف صلِّباً واستباحاً، فمتى ترجعون، وأنى تؤفكون؟ أو لم يكن لكم خاصة وللأمة عامة في محمد بن عبد الله فضلاً، إذ لا فضل يعدل فضله في الناس، ولا زهد يشبه زهده، حتى ما يتراجع فيه اثنان، ولا يترادُّ فيه

مؤمنان، ولقد أجمع عليه أهل الأمصار من أهل الفقه والعلم في كل البلاد لا يتخالجهم فيه الشك، ولا تفهم عنه الظنون، فما ذكر عند خاصة ولا عامة إلا اعتقدوا محبته، وأوجبوا طاعته، وأقروا بفضله وسارعوا إلى دعوته، إلا من كان من عتاة أهل الإلحاد الذين غلبت عليهم الشقوة، فغمصوا النعمة، وتوقعوا النقمة من شيع أعداء الدين وأفئدة المضلين وجنود الضالين، وقادة الفاسقين، وأعوان الظالمين، وحزب الخائنين، وقد كان الدعاء إليه منكم ظاهراً، والطلب له قاهراً، بإعلان اسمه وكتاب إمامته على أعلامكم: محمدنا منصور، يُعرف ذلك ولا يُنكر، ويسمع ولا يجهل، حتى صرفتموها إليكم وهي تخطب عليه، وكفحتموها عنه وهي مقبلة إليه، حين حضرتم وغاب، وشهدتم إبرامها، ورأى قلة رغبة ممن حضر، وعظيم جرأة ممن اعترض، حتى إذا حصلت لكم بدعوتنا، وهدأت لكم بخطبتنا، وقرت لكم بنسبتنا، قالت لكم إجرامكم إلينا، وجنايتكم علينا: إنها لا توطأ لكم إلا بإبادة خضرائنا، ولا تطمئن لكم دون استئصالنا، فأغري بنا جدك المتفرعن فقتلنا، ولا يخفى أثره فينا عند المسلمين، لؤم مقدرة، وضراعة مملكة، حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، قبل بلوغ شفاء قلبه من فتأنا، وهيهات أن يدرك الناس ذلك، ولله فينا خبيثة لا بد من إظهارها، وإرادة لا بد من بلوغها، فالويل له، فكم من عين طالما غمضت عن محارم الله، وسهرت متهجدة لله، وبكت في ظلم الليل خوفاً من الله، قد أسحها بالعبرات باكية، وسمرها بالمسامير المحماة، وألصقها بالحدرات المرصوفة قائمة، وكم من وجه طالما ناجى الله مجتهداً، وعنى لله متخشعاً، مشوهاً بالعمد مغلولاً مقتولاً، ممثولاً به معنوفاً، وبالله أن لو لم يلق الله إلا بقتل النفس الزكية أخي محمد بن عبدالله رحمه الله للقيه يائماً عظيم وخطب كبير، فكيف وقد قتل أبا^(١) النفس

(١) في (ج): قبل .

الزكية التقية، أبي عبدالله بن الحسن وإخوته وبنو أخيه، ومنعهم روح الحياة في
 مطابقه، وحال بينهم وبين خروج النفس في مطاميره، لا يعرفون الليل من النهار،
 ولا مواقيت الصلاة إلا بقراءة أجزاء القرآن تجزئة قد عرفوه لما غابوا في أثناء الليل
 والنهار حين الشتاء والصيف حال أوقات الصلاة، قرماً منه إلى قتلهم، وقطعاً منه
 لأرحامهم، وترة لرسول الله ﷺ، فيهم، فولغ فيهم ولغان الكلاب، وضري
 بقتل صغيرهم وكبيرهم ضراوة الذناب، ونهم بهم نهم الخنزير، والله له ولمن
 عمل بعمله بالمرصاد. فلما أهلكه الله قابلتنا أنت وأخوك الجبار الفظ الغليظ
 العنيد، بأضعاف فتنته، واحتذاء سيرته، قتلاً وعذاباً وتشريداً وتطريداً، فأكلتانا
 أكل الربا، حتى لفظتنا الأرض خوفاً منكما، وتأبدنا في القلوات هرباً عنكما،
 فأنست بنا الوحوش وأنسنا بها، وألفتنا البهائم وأفناها، ولو لم يجترم أخوك إلا
 قتل الحسين بن علي وأسرته بفتح لكفى بذلك عند الله وزراً عظيماً وسيعلم وقد
 علم ما اقترف، والله مجازيه وهو المنتقم لأوليائه من أعدائه. ثم امتحننا الله بك
 من بعده، فحرصت على قتلنا، وظلمت الأول والأخر منا، لا يؤمنك منهم بعد
 دار، ولا نأي جبار، تتبعهم حيلك وكيدك حيث ستروا من بلاد الترك والديلم،
 لا تسكن نفسك ولا يطمأن قلبك دون أن تأتي على آخرنا، ولا تدع صغيرنا،
 ولا ترثي لكبيرنا؛ لثلا يبقى داع إلى حق، ولا قائل بصدق، ولا أحد من أهله،
 حتى أخرجك الطغيان، وحملك الشنآن أن أظهرت بغضة أمير المؤمنين، وأعلنت
 بنقصه، وقربت مبغضيه، وآويت شائئيه، حتى أريبت على بني أمية في عداوته،
 وأشفيت غلتهم في تناوله، وأمرت بكرم قبر الحسين بن علي صلوات الله عليه،
 وتعمية موضعه، وقتل زواره، واستئصال محبيه، وأوعدت فيه وأرعدت
 وأبرقت على ذكره، فوالله لقد كانت بنو أمية الذين وضعنا آثارهم مثلاً لكم،
 وعددنا مساويهم احتجاجاً عليكم على بعد أرحامهم أرأف بنا منكم، وأعطف

علينا قلوباً من جميعكم، وأحسن استيفاءً لنا ورعاية من قرابتكم، فوالله ما
 بأمركم خفاء، ولا بشأنكم امتراء، ولم لا تُجاهدُ؟ وأنت معتكف على معاصي الله
 صباحاً ومساءً، مغترّاً بالمهلة، آمناً من النقمة، واثقاً بالسلامة، تارة تغري بين البهائم
 بمناطحة كبش، أو مناقرة ديك، أو مخارشة كلب، وتارة تفترش الخصيان، وتأتي
 الذُّكرانَ، وتترك الصلاة صاحبياً وسكران، ثم لا يشغلك ذلك عن قتل أولياء
 الله، وانتهاك محارم الله، فسبحان الله ما أعظم حلمه، وأكثر أناته عنك وعن
 أمثالك، ولكنه تبارك وتعالى لا يعجل بالعقوبة، وكيف يعجل وهو لا يخاف
 الفوت وهو شديد العقاب. فأما ما دعوتني إليه من الأمان، وبذلت لي من
 الأموال، فمثلي لا تشي الرغائب عزمته، ولا تنحلُّ لخطير همته، ولا تبطلُ سعياً
 باقياً على الأيام أثره، ولا يترك جزيلاً عند الله أجره بمالٍ فان، وعارٍ باق، هذه
 صفقة خاسرة، وتجارة بائرة، وأستعصم الله منها، وأسأله أن يجيرني من مثلها
 بمنه وطوله. أفابيع المسلمين وقد سمت إلي أبصارهم، وانبسبت نحوي آمالهم
 بدعوتي، واشرايت أعناقهم نحوي؟ إني إذا لدني الهمة، لثيم الرغبة، ضيق
 العطن، هذا والأحكام مهملة، والحدود معطلة، والمعاصي مستعملة، والمحارم
 متهكة، ودين الله محقور، وبصيرتي مشحوذة، وحجة الله قائمة في إنكار
 المنكر. أفابيع خطيري بمالكم، وشرف موقفي بdraهمكم، وألبس إعار والشنار
 بمقامكم؟! لقد ضللت إذا وما أنا من المهتدين، والله ما أكلي إلا الجشب،
 ولا لباسي إلا الخشن، ولا شعاري إلا الدرع، ولا صاحبي إلا السيف،
 ولا فراشي إلا الأرض، ولا شهوتي من الدنيا إلا لقاءكم، والرغبة في
 مجاهدتكم، ولو موقفاً واحداً لا انتظار إحدى الحسينين في ذلك كله في ظفر أو
 شهادة. وبعد فإن لنا على الله وعداً لا يخلفه، وضمناً سوف نجزه حيث يقول:
 ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ

كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
 وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
 شَيْئًا ﴿النور: ٥٥﴾ وهو الذي يقول عز قائلًا: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ
 اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصر: ٥٠] (١).

فلما ورد جواب يحيى عليه السلام على هارون أثناء وساده، وشاور أهل الرأي من
 خاصته فاستبهم عليهم الأمر، فقال أبو البختري وهب بن وهب، وكان من
 قضاته بل جعله قاضي القضاة: يا أمير المؤمنين عليّ أن أحتال لك حتى تَسَلِّمَ
 يحيى من جستان، فقال: وكيف ويحك تعمل؟ قال: أجمع من وجوه أهل
 قزوين وزنجان والري وأبهر وهمذان وعلماؤها من قدرت عليه، ويشهدون عند
 جستان أنني قاضي القضاة، وأشهد أن يحيى لك عبدٌ، ويشهدون وأنا لك
 بالخلافة، فانجلى كرب هارون وأمر لأبي البختري بجائزة ثلاثمائة ألف، ووجه
 من فوره إلى الفضل بن يحيى، وأمره أن من امتنع من الشهادة ضُربت عنقه،
 واصطُفي ماله، ومن شهد أكرم وأسقط عنه الخراج، فجمع من العلماء من أهل
 الجهات والنواحي التي سميناها بمن يعرفهم جستان ألف رجل وثلاثمائة رجل، ثم
 تقدموا إلى جستان فشهدوا بأن أبا البختري قاضي القضاة، وشهدوا لجستان بأن
 يحيى عبدٌ لهارون، وليس بابن بنت النبي ﷺ. وقد كان الفضل عرف أن امرأة
 جستان غالبية عليه فطمع فيه من جهتها، فأنفذ إليها من الألف والجواهر والطيب
 والثياب حتى أرضاها، فأشارت على جستان بتسليمه إليهم (٢)، فلما اجتمع هذان
 السببان، قال جستان ليحيى عليه السلام: يا يحيى ما وجدت أحداً تخدعه بدعوتك
 غيري؟ فقال له عليه السلام: أيها الرجل إن لك عقلاً فاجعله حكماً دون هواك، لو أنني
 كنت كما قالوا ما وجهوا إليك بهذا المال، ولا وجهوا هذا الجند العظيم وأنفقوا

(١) أنظر الشافي ١/ ٢٢٥ وما بعدها.

(٢) الإفادة ٤٩٤.

هذا المال الجسيم لأجل عبد هرب، ولا جمعوا من وجوه هذه الأمصار من ترى؛
 ليشهدوا عندك بالزور، فابعث من تثق به يسأل عني في هذه الأمصار وفي غيرها
 من أنا حتى تكون على يقين من أمرك، فقال جنستان وكانت نيته قد فسدت بهذه
 الأسباب: هذا يطول، ما كان هؤلاء ليشهدوا عندي بالزور، فقال: إنهم
 مكرهون على الشهادة، وإن من أبي منهم قُتل، فاجمع بيني وبينهم، فقال: أفعل
 هذا، فلما اجتمعوا عليه قام فقال: الحمد لله على ما أولانا من نعمة وأبلانا من
 محنة، وأكرمنا بولادة نبيته ﷺ والله محمد، وعلى جزيل ما أولى، وجميل ما
 ابتلى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده
 ورسوله انتخبه واصطفاه، واختاره واجتبه صلوات الله عليه وآله أجمعين أما
 بعد: معاشر العرب فإنكم كنتم من الدنيا بشر دار، وضمنك قرار، ماؤكم أجاج،
 وأكلكم لماج^(١)، من العلهز^(٢) والهبيد^(٣)، الأعاجم لكم قاهرة، وجنودهم عليكم
 ظاهرة، لم يمنعهم من تحويلكم من بلدكم إلا قلة خير بلدكم، أنتم مع الدنيا بمنزلة
 السقب^(٤) مع الناب الصعبة الضروس متى دنا إليها لينال من درها منعتة، إن أتاها
 من أمامها خبطته، أو من ورائها رمحته، أو من عرضها عضته، فما عسى أن
 يصيب منها هذا على تفرق شملكم، واختلاف كلمتكم، لا تحلّون حلالاً، ولا
 تحرمون حراماً، ولا تخافون آثاماً، قد ران الباطل على قلوبكم فلا تعقلون،
 وغطت الحيرة على أبصاركم فما تبصرون، وأسكت الغفلة على أسماعكم فما
 تسمعون، على أن عودكم نضار، وأنتم ذو الأخطار، ثم من الله عليكم
 وخصكم دون غيركم، فبعث فيكم محمداً ﷺ والله منكم خاصة، وأرسله للناس
 كافة، وجعله بين أظهركم ليميز به بينكم، وهو تعالى أعلم بكم منكم بأنفسكم،

(١) اللّمج: الأكل بأطراف الفم. القاموس ص ٢٦١.

(٢) العلهز: طعام من الدوم والويز. القاموس ص ٦٦٦.

(٣) الهبيد: الحنظل. القاموس ص ٤١٨.

(٤) السقب: ولد الناقة. القاموس ص ١٢٤.

فاستنقذكم من ظلمة الضلال إلى نور الهدى، وجلا غشاوة العمى عن أبصاركم بضيآء مصابيح الحق، واستخرجكم من عمى بحور الكفر إلى جدد أرض الإيمان، وجمّل برفقه^(١) ما انفتق من رتقكم، ورأب بيمنه ما انصدع من شعبيكم، ولمّ بإصلاحه ما فرقت الأحقاد والجهل من قلوبكم، ثم اقتضب برمحه لكم الدنيا الصعبة، فذلت بعد عنّت، وأبسها فأرزمت^(٢)، وتفاجت واجترت بعد ضرس، ودرت ضرعها يمين كفه، فأحفلت أخلافها، وانبعثت أحاليبها، فرأمتكم كما ترأم الناب المقلاة طلاها، فشربتم عللاً بعد نهّل، وملاّتم أسقيتكم فضلاً بعد التظاظ^(٣)، وتركها ﷺ تدور حولكم وتلوذ بكم كما تلوذ الزحور بسقبها.

فلما أقام أود قناتكم بثقاف الحق، ورحض بظهور الإسلام عن أبدانكم درن الشرك، ولحب لكم الطريق، وسن لكم السنن، وشرع لكم الشرائع خافضاً في ذلك جناحه، يشاوركم في أمره ويواسيكم^(٤) بنفسه، ولم يبغ منكم على ما جاءكم به أجراً إلا أن تودّوه في قرباه، وما فعل ﷺ ذلك حتى أنزل الله فيه قرآنا، فقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] فلما بلغ رسالة ربه، وأنجز له ما وعده من طاعة العباد والتمكن في البلاد، دُعِيَ ﷺ فأجاب، فصار إلى جوار ربه وكرامته، وقدم على البهجة والسرور، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فوعده الشفاعة عنده، والمقام المحمود لديه، فخلف بين أظهركم ذريته، فأخرتموهم وقدمتم عليهم غيرهم، ووليتم أموركم سواهم، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى جعلتم مال ولده حوزاً، وظلمت ابنته فدُفنت ليلاً، وقُتل فيكم وصيه وأخوه وابن

(١) في (أ): برتقه.

(٢) حقرها فاشتدت.

(٣) في (أ): اكتظاظ.

(٤) في (أ): ويساويكم.

عمه وزوج ابنته، ثم خُذِلَ وجُرحَ وسُمَّ سبطه الأكبر أبو محمد، ثم قُتِلَ سبطه الأصغر أبو عبدالله مع ثمانية عشر من أهل بيته الأذنين في مقام واحد، ثم على أثر ذلك نبش وصلب وأحرق بالنار ولد ولده^(١)، ثم هم بعد ذلك يُقتلون ويُطرَدون ويشردون في البلاد إلى هذه الغاية، قُتِلَ كبارهم، وأوتم صغارهم، وأرملت نساؤهم، سبحان الله! ما لقي عدو من عدوه ما لقي أهل بيت نبيكم منكم من القتل والخوف والصلب، وليس فيكم من يغضب لهم إلا هزواً بالقول، وإن غضبتهم زعمتم وقمتهم معهم كي تنصروهم لم تلبثوا إلا يسيراً حتى تخذلوهم وتفرقوا عنهم، فلو كان محمد ﷺ من السودان البعيدة أنسابهم، المنقطعة أسبابهم إلا أنه قد جاوركهم لوجب عليكم حفظه في ذريته، فكيف وأنتم شجرة هو أصلها، وأغصان هو فرعها، تفخرون على العجم، وتصولون على سائر الأمم، وقد عاقدتموه وعاهدتموه أن تمنعوه وذريته مما تمنعون من أنفسكم وذرائعكم، فسوءة لكم ثم سوءة، بأي وجه تلقونه غداً، وبأي عذر تعتذرون إليه؟ أبقلة؟ فما أنتم بقليل، أفتجحدون؟ فذلك يوم لا ينفع جحد، ذلك يوم تبلى فيه السرائر، أم تقولون: قتلناهم فمصدقون، فيأخذكم الجليل أخذ عزيز مقتدر، لقد هدمتم ما شيد الله من بنيانكم، وأطفأتم ما أنار من ذكركم، فلو فعلت السماء ما فعلتم لتطأطأ إذلالاً، أو الجبال لصارت دكاً، أو الأرض لما رت موراً، إني لأعجب من أحدكم يقتل نفسه في معصية الله ولا ينهزم، يقول بزعمه لا تحدثن نساء العرب بأني فررت، وقد تحدثت نساء العرب بأنكم خفرتن أمانتكم ونقضتم عهودكم، ونكصتم على أعقابكم، وفررتن بأجمعكم عن أهل بيت نبيكم، فلا أنتم تنصرونهم للديانة وما افترض الله عليكم، ولا من طريق العصبية والحمية، ولا لقرب جوارهم وتلاصق دارهم منكم، ولا أنتم تعزلونهم فلا

(١) في (أ): ولده وولد ولده .

تنصرونهم ولا تنصرون عليهم عدوهم، بل صيرتموهم لُحمة لسيوفكم، ونُهزأ
 لتشفي غيظكم من قتلهم واستئصالهم وطلبهم في مظانهم ودارهم وفي غير
 دارهم، فصرنا طريدة لكم من دار إلى دار، ومن جبل إلى جبل، ومن شاهق إلى
 شاهق، ثم لم يقنعكم ذلك حتى أخرجتمونا من دار الإسلام إلى دار الشرك، ثم
 لم ترضوا بذلك من حالنا حتى تداعيتم علينا معشر العرب خاصة من دون العجم
 من جميع الأمصار والمدائن والبلدان، فخرجتم إلى دار الشرك، طلباً لدمائنا دون
 دمآء أهل الشرك تلذذاً منكم بقتلنا، وتقرباً إلى ربكم باجتياحنا، زعمتم أن لا يبقى
 بين أظهركم من ذرية نبيكم عين تطرف ولا نفس تعرف، ثم لم يقم بذلك منكم
 إلا أعلامكم، ووجوهكم، وعلماءكم، وفقهاؤكم، والله المستعان^(١).

قال الراوي : فلما سمعنا كلامه وخطبته بكينا حتى كادت أنفسنا أن تخرج ،
 قال : فقمنا وتشاورنا فقلنا : هل بقي لكم حجة أو علة لو قتلتم عن آخركم ،
 وسبيت ذراريكم ، واصطفيت أموالكم كان خيراً لكم من أن تشهدوا على ابن
 بنت نبيكم بالعبودية ، وتنفونه عن نسبه ، قال : فعزمنا على أن لا نشهد ، قال :
 فقال البختري إن هذا يحيى قد دخل بلاد الديلم ، ويريد أن يقاتل بأهل الشرك
 أهل الإسلام ، ويخرج به من طاعة أمير المؤمنين ، وقد جاءت الرخصة في الكذب ،
 والحدیعة في الحرب ، وقد رأينا أنه عبد لأمير المؤمنين نطلب بذلك الثواب عند الله
 تعالى لترجع ألفة المسلمين ، وتسكن الثائرة^(٢) ، ولا غنى بكم عن حسن جزاء أمير
 المؤمنين ، وهذا كتابه ، فقرأه عليهم بما فيه من الإيعاد لمن امتنع ، والأطماع لمن
 أجاب ، وكان معه سليمان بن قليح فشفع كلامه ، قال : وصاح بنا أبو البختري :
 ما تنتظرون؟ خدعكم فانخدعتم ، وملتم مع علي أمير المؤمنين ، والله لئن امتنعتم
 من الشهادة عليه لتقتلن عن آخركم ، ولتُسبين ذراريكم ، ولتؤخذن أموالكم ؛

(١) الشافي ١/ ٢٢٩ وما بعدها .

(٢) في (أ) : الثائرة .

فتقدموا فشهدوا بأجمعهم أنه عبد لهارون وليس بابن بنت النبي ﷺ وكانوا من أهل قزوين ، وزنجان وأبهر وشهر برد^(١) وهمذان والري ودنباوند والرؤايان تسمعاة رجل ، ومن أهل طبرستان أربعمائة . وكل هؤلاء من أهل الشرف والقدر والعرب المتمكنين في البلاد ، ليس فيهم وضيع إلا اليسير ، وكان أكثر أولئك اليهود ؛ لأنهم من العلماء قد بايع^(٢) ليحيى عليه السلام ، قال جستان : هل بقيت لك علة تعتل بها؟ قال يحيى عليه السلام : بكأؤهم وترددهم ، إنهم مكرهون ، فإن أبيت إلا غدرًا فأنظرنني آخذ لي ولأصحابي الأمان على نسخة أنسخها وأوجه بها إلى هارون حتى أكتب إقراره بخطه وجميع الفقهاء والمعدلين من بني هاشم ففعله وكتب إلى الفضل بذلك ، وكتب الفضل إلى الرشيد فامتأ الرشيد سروراً وفرحاً ، وأجاب إلى العقد ليحيى عليه السلام ، وأشهد على نفسه من ذكره يحيى من العلماء والهاشميين ، وأتى كتاب هارون وخطه بيده^(٣) .

ثم انفصل يحيى عليه السلام من ملك الديلم ، فلما دنا من الفضل بن يحيى تلقاه - وترجل له وقبل ركابه ، وذلك بمرأى من جستان ، فندم جستان وحينئذ أخذ ينتف لحيته ويحشوا التراب على رأسه تلهقاً وتحسراً ، وعلم أنه قد خُدع ، وإن كان قد وضع له الحال لكنه مال إلى الطمع ومساعدة زوجته الكافرة ، فوثب عليه بنو عمه فقتلوه وملكوا سواه .

وكان قد أسلم على يدي يحيى عليه السلام جماعة من الديلم ونوا مسجداً ، وقدم يحيى عليه السلام مع الفضل بن يحيى بغداد فتلقيه الرشيد بكل ما أحب وأمر له بأربعمائة ألف دينار ، وأجرى له الرواتب السنية وأنزله منزلاً سنياً بعد أن أقام في منزل يحيى بن خالد أياماً ، وكان يتولى أمره بنفسه تعظيماً له ، وأمر الناس بإتيانه

(١) في (ج) : وسهر برد .

(٢) في (أ) : بايعوا .

(٣) في (أ) : بزيادة : بن عبدالله .

(٤) للإفادة ٧٧ ، ومقاتل الطالبين ٤٦٩ ، والمصابيح ٤٩٤ .

بعد انتقاله من منزل يحيى والسلام عليه ، فأقام يحيى عليه السلام في بغداد مدة ، ثم استأذن هارون في النهوض إلى المدينة فأذن له فوصلها فقضى ديون الإمام الحسين ابن علي الفخري عليهما السلام ، ووصل فقراء آل أبي طالب عليهم السلام وأشياعهم وعمامة المسلمين ، وأقام عليه السلام على ذلك مديدة ثم أزعجه هارون من المدينة إلى بغداد^(١) .

أولاده عليه السلام :

محمد ، وله العقب من أولاده جماعة بالمغرب ، أمه : خديجة بنت إبراهيم ابن محمد بن طلحة . وعيسى مثنث ، وإبراهيم درج ، وعبدالله درج ، وصالح درج ، وقريبة . ذكره السيد أبو طالب عليه السلام .^(٢)

ذكر مقتله عليه السلام والسبب فيه :

روى الشيخ أبو الفرج رحمه الله في مقاتل الطالبية [٤٧٢] في أخبار يحيى بن عبدالله عليه السلام أن نفرًا من أهل الحجاز تحالفوا على السّعاية بيحيى والشهادة عليه ، وأنه يدعو إلى نفسه ، وأن أمانه منتقض ، فوافق ذلك ما كان في نفس الرشيد ، وهم : عبدالله بن مصعب الزبيري ، وأبو البخترى وهب بن وهب ، ورجل من بني زهرة ، ورجل من بني مخزوم ، وافوا الرشيد بذلك ، واحتالوا إلى أن أمكنهم ذكره له ، فأشخصه الرشيد إليه وحسنه عند مسرور الكبير في سرداب ، فكان في أكثر الأيام يدعو فيناظره .

وروى أيضًا بإسناده [٤٧٣] أنه دعا يحيى عليه السلام يومًا فجعل يذكر له ما رفع^(٣) إليه في أمره ، وهو يخرج كتبًا كانت في يده حججًا فيقرأها الرشيد وأطراف الكتب في يد يحيى ، فتمثل بعض من حضر :

(١) الإفادة ٧٩ ، ومقاتل الطالبين ٤٧١ .

(٢) الإفادة ٧٦ .

(٣) في (أ) : ما وقع .

أنى أتبيح له حرباء تنضبه^(١) لا يرسل الساق إلا ممسكاً ساقاً
فغضب الرشيد من ذلك وقال للمتمثل : أتؤيده وتنصره؟ قال : لا والله ،
ولكنني شبهته في مناظرته واحتجاجه بقول هذا الشاعر ، ثم أقبل عليه قال :
دعني من هذا يا يحيى ، أينما أحسن وجهاً أنا أو أنت؟ قال : بل أنت يا أمير المؤمنين
إنك لأنصح لوئناً وأحسن وجهاً ، قال : فأينما أسخى أنا أو أنت؟ قال : وما هذا يا
أمير المؤمنين مما تسألني عنه؟ أنت تجبى لك خزائن الأرض وكنوزها ، وأنا أمحل
معاشي من سنة إلى سنة . فأينما أقرب من رسول الله ﷺ؟ قال : قد أجبتك عن
خصلتين فاعفني من هذه ، قال : لا والله ، قال : بلى فاعفني ، فحلف بالطلاق
والعتاق أن لا يعفيه . فقال : يا أمير المؤمنين ، لو عاش رسول الله ﷺ ، فخطب
إليك ابنتك أكنت تزوجه؟ قال : إي والله ، قال : فلو عاش فخطب إلي أكان يحل
لي أن أزوجه؟ قال : لا ، قال : فهذا جواب ما سألت . فغضب الرشيد وقام من
مجلسه ، وخرج الفضل بن الربيع وهو يقول : والله لو ددت أني فديت هذا المجلس
بشطر ما أملكه ، قالوا : ثم رده إلي محبسه في يومه ذلك^(٢) .

ثم دعا به وجمع بينه وبين عبدالله بن مصعب الزبيرى ؛ ليناظره فيما رفع إليه
فجبهه ابن مصعب بحضرة الرشيد ، وقال : نعم يا أمير المؤمنين إن هذا دعاني إلى
بيعته ، فقال له يحيى عليه السلام يا أمير المؤمنين : أتصدق هذا علي وتستنصحه وهو ابن
عبدالله بن الزبير الذي أدخل أباك وولده الشعب وأضرم عليهم بالنار حتى
تخلَّصه أبو عبدالله الجدلي صاحب علي بن أبي طالب منه ، وهو الذي بقي أربعين
جمعة لا يصلي على النبي ﷺ وفي خطبته حتى التاث عليه الناس ، فقال : إن
له أهل بيت سوء ، إذا ذكرته اشرابت نفوسهم إليه وفرحوا بذلك ، فلا أحب أن أقرَّ

(١) في اللسان : «قال أبو عبيد» ومن الأشجار التنضب ، واحدها تنضب ، شجرة ضخمة تقطع
منها العمدة .

(٢) مقاتل الطالبين ٤٧٣ ، والمصايح ٤٩٥ ، وابن أبي الحديد ٤/٣٥٢ .

أعينهم بذكره ، وهو الذي فعل بعبدالله بن عباس ما لا خفاء به عليك ، حتى لقد ذبحت له يوماً بقرة فوجدت كبدها قد تفتت ، فقال له ابنه علي بن عبدالله : يا أبا ما ترى كبد هذه البقرة؟ قال : يا بني هكذا ترك ابن الزبير كبد أبيك ، ثم نفاه إلى الطائف ، فلما حضرته الوفاة قال لعلي ابنه : يا بني الحق بقومك من بني عبد مناف بالشام ، فاختر له صحبة يزيد بن معاوية على صحبة عبدالله بن الزبير ، والله إن عدواة هذا لنا جميعاً بمنزلة سوء لكنه قويّ عليّ بك وضعف عنك ، فتقرب بي إليك ليظفر منك فيّ بما يريد؛ إذ لم يقدر على مثله منك ، وما ينبغي لك أن تسوغه ذلك فيّ ، فإن معاوية بن أبي سفيان وهو أبعد نسباً منك إلينا ذكر يوماً الحسن بن علي فسفّهه فساعده عبدالله بن الزبير على ذلك فزجره معاوية ، فقال : إنما ساعدتك يا أمير المؤمنين ، فقال : إن الحسن لحمي أكله ولا أوكله ، فقال عبدالله بن مصعب : إن عبدالله بن الزبير طلب أمراً فأدركه ، وإن الحسن باع الخلافة بالدرهم ، أتقول هذا في عبدالله بن الزبير وهو ابن صفية بنت عبدالمطلب؟ فقال يحيى : يا أمير المؤمنين ما أنصفنا إذ يفخر علينا بامرأة من نساتنا وامرأة منا ، هلاً فخر بهذا على قومه من التوبيات والأسامات والحميدات ، فقال عبدالله بن مصعب : ما تدعون بغيكم علينا وتوثبكم في سلطاننا؟ فرفع يحيى رأسه إليه ولم يكن يكلمه قبل ذلك إنما كان يخاطب الرشيد بجوابه لكلام عبدالله ، فقال له : أتوثبنا في سلطانكم؟ ومن أنتم أصلحك الله؟ عرّفني فلست أعرفكم ، فرفع الرشيد رأسه إلى السقف يجيله فيه ليستر ما عراه من الضحك ، ثم غلبه الضحك ساعة وخجل ابن مصعب ، ثم التفت يحيى فقال : يا أمير المؤمنين ، ومع هذا فهو الخارج مع أخي عليّ أيبك والقائل له :

هاجت فؤاد محبّ دائم الحزن
بعد التدابر والبغضاء والإحن
ويأمن الخائف المأخوذ بالدمن

إن الحمامة يوم الشعب من دئن
إننا لنأمل أن ترتد ألفتنا
حتى يثاب على الإحسان محسننا

وتنقضي دولة أحكام قاداتها
فطال ما قد برّوا بالجور أعظمتنا
قوموا ببيعتكم نهض بطاعتنا
لا عزّ ركنا نزار عند سطوتها
أست أكرمها عوداً إذا نسبوا
وأعظم الناس عند الناس منزلة
فينا كأحكام قوم عابدي وكن
بري الصنّاع قداح النبع بالسفن
إن الخلافة فيكم يا بني حسن
إن أسلمتكم ولا ركنا ذوي يمن
يوماً وأطهرهم ثوباً من الدرّن
وأبعد الناس من عيب ومن وهن

قال فتغير وجه الرشيد عند سماع هذا الشعر، فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله الذي لا إله إلا هو وبأيمان البيعة أن هذا الشعر ليس له، فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين ما قال هذا الشعر غيره، وما حلفت كاذباً ولا صادقاً بالله قبل هذا، وإن الله إذا مجده العبد في يمينه بقوله الرحمن الرحيم الطالب الغالب استحى أن يعاقبه فدعني أحلفه بيمين ما حلف بها أحد قط كاذباً إلا عوجل، قال : حلفه، قال : قل برئت من حول الله وقوته، واعتصمت بحولي وقوتي، وتقلدت الحول والقوة من دون الله استكباراً على الله واستغناءً عنه، واستعلاءً عليه إن كنت قلت هذا الشعر، فامتنع عبدالله من الحلف بذلك، فغضب الرشيد وقال : للفضل ابن الربيع : يا عباسي ما له لا يحلف إن كان صادقاً؟ هذا طليسانني عليّ، وهذه ثيابي لو حلفني أنها لي لحلفت، فرفس الفضل عبدالله بن مصعب برجله وصاح به : احلف ويحك - وكان له هوى - فحلف باليمين ووجهه متغير وهو يرعد، فضرب يحيى بين كتفيه، ثم قال : يا ابن مصعب قطعت والله عمرك، والله لا تفلح بعدها، فما برح من موضعه حتى أصابه الجذام فتقطع ومات من اليوم الثالث، فحضر الفضل جنازته ومشى معها ومشى الناس معه، فلما جاءوا به إلى القبر ووضعوه في حده، وجعل اللين فوقه انخسف القبر فهوى به حتى غاب عن أعين الناس فلم يروا قرار القبر وخرجت منه غبرة عظيمة فصاح الفضل : التراب التراب، فجعل يطرح التراب وهو يهوي، ودعا باحمال شوك فطرحها فهوت فأمر

حينئذ بالقبر فسقف بخشب وأصلحه وانصرف منكسراً . وكان الرشيد بعد ذلك يقول للفضل : رأيتَ يا عباسي ما أسرع ما أديل يحيى من ابن مصعب^(١) . وفيه يقول أبو فراس الحرث بن سعيد :

يا جاهداً في مساويهم لتكتمها غدر الرشيد ليحيى كيف ينكتمُ
ذاق الزيري غب الحنث وانكشفت عن ابن فاطمة الأقوال والتهمُ

قال السيد أبو طالب عليه السلام [الإفادة: ٨١] : وكان يحيى عليه السلام إذا فرغ من صلاة العشاء الآخرة سجد سجدة إلى قرب السحر ثم يقوم فيصلي وكان هارون يطلع عليه من قصره فقال ليلة ليحيى بن خالد وهو عنده : انظر هل ترى في ذلك الصحن شيئاً؟ وأشار إلى الموضع الذي كان يسجد فيه ، فقام ونظر وقال : أرى بياضاً ، ثم قال له : قرب طلوع الفجر انظر هل ترى ذلك البياض؟ فنظر ، فقال : لست أراه . فقال : ذلك يحيى بن عبدالله إذا فرغ من صلاة العتمة سجد سجدة يبقى فيها إلى آخر الليل ، قال يحيى : فقلت في نفسي انظر ويلك أن لا تكون الميتلى به ، ثم سلمه إلى يحيى بن خالد .

قال الشيخ أبو الفرج^(٢) : ثم جمع الرشيد الفقهاء وفيهم محمد بن الحسن صاحب أبي يوسف القاضي ، والحسن بن زياد اللؤلؤي ، وأبو البختري وهب بن وهب ، فجمعوا في مجلس ، فخرج إليهم مسرور الكبير بالأمان ، فبدأ محمد بن الحسن فنظر فيه فقال : هذا أمان مؤكد لا حيلة في نقضه ، وكان يحيى قد عرضه بالمدينة على مالك وابن الدراوردي وغيرهم فعرفوه أنه مؤكد لا علة به ، فصاح عليه مسرور وقال : هاته ، فدفعه إلى الحسن بن زياد ، فقال : بصوت ضعيف هو أمان .

وروى غير الشيخ أبو الفرج من علمائنا رحمهم الله تعالى : أن محمد بن الحسن قال : فمن نقضه فعليه لعنة الله ، فسمعه الرشيد فأخذ الدواة فرماه بها

(١) مقاتل الطالبين ٧٥ وما بعدها .

(٢) المقاتل ٤٧٩ .

فشجّه ، فانصرف إلى منزله وهو يبكي فقال له صاحبه : أتبكي من شجة في سبيل الله؟ قال : لا والله ولكنني أخاف أن أكون قصرت في أمر يحيى فأكون قد شركت في دمه .

رجعنا إلى رواية الشيخ أبو الفرج قال رحمه الله^(١) : واستلبه أبو البختري وهب بن وهب فقال : هذا باطل منتقض ، قد شق العصا ، وسفك الدم ، فاقتله ودمه في عنقي فدخل مسرور إلى الرشيد فأخبره ، فقال له : اذهب فقل له : خزّقه إن كان باطلاً بيدك ، فجاءه مسرور ، فقال له ذلك ، فقال : شقه يا أبا هاشم ، فقال له مسرور : بل شقه إن كان منتقضاً ، فأخذ سكيناً فجعل يشقه ويده ترعد حتى صيره سيوراً ، فأدخله مسرور على الرشيد فوثب فأخذه من يده وهو فرح وهو يقول له : يا مبارك يا مبارك ، ووَهَبَ لأبي البختري ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ، وولاه قضاء القضاة ، وصرف الآخرين ، ومنع محمد بن الحسن من الفتيا مدة طويلة ، وأجمع على إنفاذ ما أراد في يحيى عليه السلام .

وقد اختلف في قتله كيف كان ، فروى بإسناده^(٢) عن رجل كان مع يحيى في المطبق قال : كنت قريباً منه ، وكان في أضيق البيوت وأظلمها ، فبينما نحن ذات ليلة كذلك إذ سمعنا صوت الأقفال وقد مضت من الليل هجعة فإذا هارون قد أقبل على بردون له ، ثم وقف فقال : أين هذا؟ يعني يحيى بن عبدالله ، قالوا : في هذا البيت ، قال عليّ به ، فأدنى إليه فجعل هارون يكلمه بشيء لم أفهمه ، فقال : خذوه ، فأخذه فضربه مائة عصى ، ويحيى يناشده الله والرحم والقرابة من رسول الله ﷺ ويقول : بقرابتي منك ، فيقول : ما بيني وبينك قرابة .

ثم حمل فردّ إلى موضعه ، فقال : كم أجرتم عليه؟ فقالوا : أربعة أرغفة ، وثمانية أرطال ماء ، قال اجعلوه على النصف من ذلك ، ثم خرج فمكثنا ليالي ،

(١) المقاتل ٤٨٠ .

(٢) مقاتل الطالبين ٤٨٢ .

ثم سمعنا وقعاً فإذا نحن به حتى دخل فوقف موقفه ، فقال عليّ به ، فأخرج ففعل به مثل فعله ذلك ، وضربه مائة عصي أخرى ، ويحيى يناشده الله ، فقال : كم أجريتم عليه ؟ فقالوا : رغيفين وأربعة أرطال ماء ، قال اجعلوه على النصف . ثم خرج وعاد الثالثة وقد مرض يحيى عليه السلام وثقل ، فلما دخل قال : عليّ به ، قالوا : هو عليل مدنف لما به ، قال : كم أجريتم عليه ؟ قالوا : رغيفاً ورطلين ، قال فاجعلوه على النصف ، ثم خرج ، فلم يلبث يحيى أن مات فأخرج للناس ودفن . وقال ابن عمار في روايته وإبراهيم بن رباح أنه بنى عليه اسطوانة بالرافقة وهو حي . وذكر غيره من علمائنا أنه كان للرشيد بركة فيها أسود يرمي فيها من سخط عليه فتشط لحمه ، فجوعها ثم رمى يحيى عليه السلام إليها فتلقته وبصبت له وماضرته وأطلع منهن . وذكر الشيخ أبو الفرج بإسناده عن عبدالرحمن بن عبدالله ابن عمر بن حفص العمري قال : دعينا لمناظرة يحيى بحضرة الرشيد ، فجعل يقول له : يا يحيى اتق الله وعرّفني أصحابك السبعين لثلاثا ينتقض أمانك ، وأقبل علينا فقال : إن هذا لم يسم أصحابه فكلما أردت أخذ إنساناً يبلغني عنه شيء أكرهه ذكر أنه ممن أمنتته ، فقال يحيى : يا أمير المؤمنين أنا رجل من السبعين فما الذي نفعي من الأمان ؟ أفتريد أن أدفع إليك قوماً تقتلهم معي ؟ لا يحل لي هذا . قال : ثم خرجنا ذلك اليوم ودعانا يوماً آخر فرأيت أنه أصفر الوجه متغير اللون ، فجعل الرشيد يكلمه فلا يجيبه ، فقال : ألا ترون إليه لا يجيبني ، فأخرج للرشيد لسانه وقد صار أسود مثل الحممة يرنا أنه لا يقدر على الكلام ، فتغيظ الرشيد وقال : إنه يريكم أنني سقيته السم ، ووالله لو رأيت عليه القتل لضربت عنقه صبراً ، قال : ثم خرجنا من عنده فلما صرنا في وسط الدار فخرّ علي وجهه لآخر ما به .

وروي أنه عليه السلام دفع إلى يحيى بن خالد ورقة ثم أمره بأن يسلمها إلى هارون بعد وفاته ، وحرّج عليه ألا يسلمها إلا بعد ذلك فدفعها إلى هارون ففتحها فإذا فيها :

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

یا هارون المستعدي قد تقدم، والخصم على الأثر، والحاكم لا يحتاج إلى
بینة، فقال هارون : ما منعك أن تدفعها إليّ في حياته، قال : إنه حرج عليّ في
ذلك^(١).

ولبعضهم يرثي يحيى عليه السلام :

يا بقعة مات بها سيّدٌ ما مثله في الأرض من سيّد
مات السدى من بعده والندى وسُمِّي الموت به معتيدي
لا زال غيث الله يا قبره عليك منه رائح المغتدي
فكم حياءً حزت من وجهه وكم ندى يحيى به المجتدي
كان لنا غيثاً به نرتوي وكان كالنجم به نهتدي
فإن رمانا الدهرُ عن قوسه وخاننا في منتهى السؤددِ
فمن قريب نبتغي تارة بالجسني الثائر المهتدي
إنَّ ابن عبدالله يحيى ثوى والمجدُ والسؤددُ في ملحد^(٢)



(١) الإفادة ٨٢ .

(٢) مقاتل الطالبين ٤٨٦ .

الإمام إدريس بن عبدالله عليهما السلام^(١)

هو إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وأمه عاتكة بنت الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي. وكان عليه السلام قد نشأ على طريقة أهله الغر الميامين السادة الأكرمين فأحرز قصبات سبق في ميدان الشرف، وأحسن خلافة من غبر من السلف، وجمع خصال الإمامة، وكان قد صار إلى الغرب فعرفه جماعة من أهل الناحية كانوا قد حجّوا في السنة التي قُتل فيها الحسين بن علي الفخري عليهما السلام وشاهدوه يقاتل، وقد اصطبغ قميصه دمًا^(٢).

فلما شهر نفسه في نواحي الغرب^(٣) ودعا إلى الله والجهاد في سبيله كتب دعوته عليه السلام وهي هذه: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعل النصر لمن أطاعه، وعاقبة السوء لمن عَدَّ عنه، ولا إله إلا الله المتفرد بالوحدانية، الدال على ذلك بما أظهر من عجيب حكمته ولطيف تدييره، الذي لا يُدرك إلا بأعلامه وبياناته، سبحانه منزهاً عن ظلم العباد، وعن السوء والفحشاء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وصلى الله وسلم على محمد عبده ورسوله وخيرته من خلقه، انتجبه واصطفاه، واختاره وارتضاه، صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين.

أمّا بعد: فإنني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، وإلى العدل في الرعية، والقسم بالسوية، ورفع المظالم، والأخذ بيد المظلوم، وإحياء السنة

(١) أنظر مقاتل الطالبين ٤٨٧، والطبري ٤١٦/٦، وأخبار فتح ١٨١، وانظر الفهرسة ٣٥٨، والأعلام ٢٧٩/١ والاستقصاء ٦٧/١، وابن خلدون ١٢/٤، وأعيان الشعية ٢٣٠/٣، ونسب قرش ٥٥ والفلك الدوار ٣١ والشافي ٢٣٧/١.

(٢) مقاتل الطالبين ٤٨٧، وأخبار فتح ١٨١.

(٣) غرب أفريقيا.

وإماتة البدعة ، وإنفاذ حكم الكتاب والسنة على القريب والبعيد ، واذكروا الله في
 ملوك تجبروا ، وفي الأمانات خفروا ، وعهود الله وميثاقه نقضوا ، وولد نبيه ﷺ
 قتلوا ، وأذركم الله في أرامل افتقرت ، ویتامی ضیعت ، وحدود عطلت ، وفي
 دمآء بغير حق سفكت ، فقد نبذ الكتاب والإسلام ، فلم يبق من الإسلام إلا
 اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه ، واعلموا عباد الله أن مما أوجب الله سبحانه على
 أهل طاعته المجاهدة لأهل عداوته ومعصيته باليد واللسان ، فباللسان الدعاء إلى
 الله بالموعظة الحسنة والنصيحة والتذكرة والحض على طاعة الله تعالى ، والتوبة
 عن الذنوب ، والإنابة والإقلاع والنزوع عما يكره الله ، والتواصي بالحق والصدق
 والصبر والرحمة والرفق ، والتناهي عن معاصي الله كلها ، والتعليم والتقويم لمن
 استجاب لله ولرسوله حتى تنفذ بصائرهم ، وتكمل نحلتهم ، وتجتمع كلمتهم
 وتتنظم ألفتهم ، فإذا اجتمع منهم من يكون للفساد دافعاً ، وللظالمين مقاوماً وعلى
 البغي والعدوان قاهراً ، أظهروا دعوتهم ، وندبوا العباد إلى طاعة ربهم ، ودافعوا
 أهل الجور عن ارتكاب ما حرم الله عليهم ، وحالوا بين أهل المعاصي وبين العمل
 بها ، فإن في معصية الله تلقاً لمن ارتكبها ، وهلاكاً لمن عمل بها ، ولا يشيكم من
 علو الحق وإظهاره قلة أنصاره ، فإن فيما بدئ به من وحدة النبي ﷺ والأنبياء
 الداعين إلى الله قبله ، وتكثيره إياهم بعد القلة ، وإعزازهم بعد الذلة ، دليل بين
 وبرهان واضح ، قال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ ﴾ [البقره : ٢٥١]
 [المع : ٤٠] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾
 [المع : ٤٠] فنصر الله نبيه ﷺ وكثر جنده ، وأظهر حزبه . وأنجز وعده ، جزاء من الله
 سبحانه ، وثواباً لفعله وصبره وإيثاره طاعة ربه ، ورأفته بعباده ورحمته ، وحسن
 قيامه بالعدل والقسط في بريته ، ومجاهدة أعدائه وزهده فيما زهده فيه ، ورغبته
 فيما ندبه إليه ، ومواساته أصحابه ، وسعة أخلاقه ، كما أدبه الله وأمره ، وأمر
 العباد باتباعه وسلوك سبيله والاقتراء بهديه وإقتفاء أثره ، فإذا فعلوا ذلك أنجز لهم

ما وعدهم كما قال عز وجل: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾
 [محمد: ٧] وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ
 وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي
 الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النحل: ٩٠] وكما مدحهم وأثنى
 عليهم إذ يقول: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، وقال عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ
 وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، وفرض الله تعالى الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر، وأضافه إلى الإيمان والإقرار بمعرفته، وأمر بالجهاد
 عليه والدعاء إليه، قال عز وجل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ
 الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ
 الْحَقِّ﴾ [التوبة: ٢٩] وفرض قتال المعاندين عن الحق والباغين عليه ممن آمن به
 وصدق بكتابه حتى يعود إليه ويفيء، كما فرض قتال من كفر به وصدَّ عنه، حتى
 يؤمن بالله ويعترف بدينه وشرائعه، فقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا
 فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتَ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ
 أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩] فهذا عهد الله إليكم وميثاقه عليكم بالتعاون على البر
 والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فرضاً من الله واجباً وحكماً
 لازماً، فأين عن الله تذهبون؟ وأتى تؤفكون؟ وقد جابت الجبابرة في الآفاق شرقاً
 وغرباً، وأظهروا الفساد وامتلات الأرض ظلماً وجوراً، فليس للناس ملجأ، ولا
 لهم عند أعدائهم حسن رجاء، فعسى أن تكونوا معاشر إخواننا من البربر اليد
 الحاصدة للجرور والظلم، وأنصار الكتاب والسنة، القائمين بحق المظلومين من
 ذرية النبيين وآل النبيين، فكونوا رحمكم الله عند الله بمنزلة من جاهد مع
 المرسلين، ونصر مع النبيين، واعلموا معاشر البربر أنكم أوتيتم. وأنا المظلوم
 الملهوف، الطريد الشريد، الخائف الموتور، الذي كثر واتروه، وقلَّ ناصره، وقُتِل

إخوته وأبوه وجدته وأهلوه، فأجيبوا داعي الله فقد دعاكم إلى الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحزاب: ٣٢] أعاذنا الله وإياكم من الضلال، وهدانا وإياكم إلى سبيل الرشاد.

وأنا إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. رسول الله ﷺ وأبي علي بن أبي طالب عليه السلام جدائي، وحمزة سيد الشهداء وجعفر الطيار في الجنة عمائي، وخديجة الصديقة وفاطمة ابنة أسد الشفيقة برسول الله ﷺ جدتاي، وفاطمة ابنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليهما سيدة نساء العالمين وفاطمة ابنة الحسين سيدة بنات ذراري النبيين أماي، والحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ أبواي، ومحمد وإبراهيم ابنا عبدالله المهدي والزاكي إخواني، فهذه دعوتي العادلة غير الجائرة، فمن أجابني فله مالي وعليه ما علي، ومن أبي فحظه أخطأ، وسيرى ذلك عالم الغيب والشهادة أني لم أسفك له دمًا، ولا استحلت له محرماً ولا مالاً، واستشهدك يا أكبر الشاهدين شهادة، واستشهد جبريل وميكائيل أني أول من أجاب وأتاب، فلبيك اللهم ليك مزجي السحاب وهازم الأحزاب، مصير الجبال سراباً بعد أن كانت صمماً صلاباً، أسألك النصر لولد نبيك إنك على ذلك قادر^(١).

فهذه دعوته عليه السلام وقد أجابه خلق كثير عندها، وكانت له مواقف كثيرة ومحاربات جمّة ظهر فيها على الجنود العباسية وكذلك الخوراج، وروى محمد ابن جرير أن هارون لما بلغه من عامله بأفريقية ظهور إدريس عليه السلام وقوة جانبه قلق حتى هابته حاشيته، واجتنبوا كلامه خوفاً من سطوته، فجاء يحيى بن خالد فأخبروه فجلس من تلقاء رأسه فقال: يا أمير المؤمنين مالي أراك كثيباً؟ فإن كان ذلك لحدث أو فتق فلم يزل ذلك يقع على الملوك ثم تؤول الأمور إلى المحبوب،

(١) ينظر أخبار فتح ١٧٥-١٨١.

وإن كان لأمر تفديك فيه نفوسنا وأموالنا فهي لك الفداء، وإن كان لأمر لا تكفي فيه نفوسنا وأموالنا فنسأل الله كفايته، فقال: إن عاملي بأفريقية أطف إلي في كتابه - وقص قصة إدريس عليه السلام - وقد علمت ما بيننا وبين الطالبية، والله ما هو إلا ظهورهم وكان الفناء، فقال: ليطب عيش أمير المؤمنين فإني أكفيه أمر إدريس ولا يعرف هلاكه إلا مني فطابت نفس هارون، واستعمل سماً وأمر به قيل: مع سليمان بن جرير، وقيل: مع رجل أمره أن يتزياً بزي اليهود إذا صار في المغرب، وقيل: مع المزين، وعلى اختلاف الروايات قد صح سمه عليه السلام.

وقال بعض الشعراء من المواليين لبني العباس:

أتظن يا إدريس أنك مفلتٌ كيد الخليفة أو يقيك فرارٌ
فليُدركنك أو تحل ببلدة لا يهتدي فيها إليك نهارٌ
إن السيوف إذا انتضاها شخصه طالت وتقصر دونها الأعمارُ
ملكٌ كأن الموت يتبع أمره حتى يقال تطيعه الأقدار^(١)
وَوَلَدَ إدريس عليه السلام إدريس بن إدريس، وكان من سادات العترة عليهم السلام، وولده إدريس المثلث عليه السلام، وله عقبٌ بالمغرب.



(١) مقاتل الطالبين ٤٩٠ والمصابيح ٥١١.

الإمام محمد بن إبراهيم عليه السلام^(١)

هو: أبو عبدالله، وقيل: أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. مناسبٌ ضياؤها يظفي ضياء الكواكب، فأما أبوه إبراهيم عليه السلام فكان يلقب (طباطبا) ويلقب (بالغمر) لجوده، وكان قد حبسه الملقب بالمهدي حتى توفي، ثم أقام في حبس موسى وهارون، وقيل: إنه مات في الحبس، وأما إسماعيل فهو الملقب بالدياج، وكان من جملة المسجونين في حبس أبي جعفر، قال بعض من صنف أخبارهم: كان فينا غلام مثل سبيكة الذهب كلما اشتد الوقيد عليها ازدادت حسنا، وهو إسماعيل بن إبراهيم، وذكر عالم الشيعة محمد بن منصور أنه أتى له من مصر بألفي دينار، ورزمتي ثياب مصرية فسأيره رجل من المسجد إلى البيت، فقال: ألك حاجة؟ قال: لا، إنما أحببت أن أصل جناحك فأمر له بأحد الرزمتين وبعض المال.

وأبوه إبراهيم بن الحسن يعرف بالشَّبه؛ لأنه كان يشبه رسول الله ﷺ، وكذا إذا وصل المدينة من أمواله المعروفة بالفرش خرجت العواتق من البيوت لبصره، وأبوه الحسن الرضوي وأبوه الحسن السبط سيد شباب أهل الجنة ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام. وأما أمه فهي: أم الزبير بنت عبدالله بن أبي بكر بن عياش بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم.

(١) الإفادة ٨٣، ومقاتل الطالبين ٥١٨، والطبري ١١٧/٧، ومروج الذهب ٦/٤، وابن الأثير ٥/١٧٤، والأعلام ٥/٢٩٣، والشافي ١/٢٤٧، والبداية والنهاية ١٠/٢٤٤، وبلوغ المرام ٣١، وابن خلدون ٣/٢٤٢، والتحف ١٤٤، وطبقات الزيدية ٥٥، وعمدة الطالب ١٩٩، والمصابيح ٥١٤، والفلك الدوار ٢٧.

ذكر طرف من مناقبه ﷺ :

كان ﷺ من العيون الذين انتهى إليهم الفضل من العترة عليهم السلام مشهوراً بالفضل الظاهر، فائزاً بالقدح القاهر، قد جمع إلى الأحساب السامية محاسن الأفعال الزاكية. روى الشيخ أبو الفرج رحمه الله في مقاتل الطالبية [٥٢٤] عن بعضهم قال : سمعت زيد بن علي عليهما السلام يقول : يبائع لرجل مناً عند قصر الضرتين بالكوفة سنة تسع وتسعين ومائة في عشر من جمادى الأولى ، يباهي الله به الملائكة . قال حسن بن حسين فحدثت به محمد بن إبراهيم فبكى .

وروى أيضاً بإسناده [٥٢٤] عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال يخطب على أعوادكم يا أهل الكوفة سنة تسع وتسعين ومائة في جمادى الأولى رجل مناً أهل البيت يباهي الله به الملائكة ، فكان ﷺ هو المختص بهذه المنقبة الشريفة ، والفائز بهذه الرتبة الزليفة . وما ظنك بإمام القاسم بن إبراهيم الذي انتهت إليه السيادة والشرف في عصره أحد دعاة وأتباعه ، وكان محمد بن إبراهيم من أشجع أهل عصره .

أولاده ﷺ : إسماعيل ، وجعفر ، وعبدالله ، وفاطمة . أمهم : أم جعفر بنت إسحاق بن إبراهيم بن جعفر بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة . ولهم عقب ذكره السيد أبو طالب ﷺ^(١) .

بيعته ﷺ والسبب فيها ونبذ من سيرته :

روى الشيخ أبو الفرج^(٢) : أن نصر بن شبيب كان قدم حاجاً وكان متشيعاً حسن المذهب وكان ينزل الجزيرة فلما ورد المدينة سأل عن بقايا أهل البيت ومن له

(١) الإفادة ٨٣ .

(٢) المقاتل : ٥١٩ .

ذكر منهم ، فذكر له علي بن عبيدالله بن الحسن بن علي بن الحسين ، وعبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ، ومحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن ، فأما علي بن عبيدالله فإنه كان مشغولاً بالعبادة لا يصل إليه أحد ولا يأذن له .

وأما عبدالله بن موسى فكان خائفاً مطلوباً لا يلقاه أحد ، وأما محمد بن إبراهيم فإنه كان يقارب الناس ويكلمهم في هذا الشأن فاتاه نصر بن شبيب فدخل إليه ، وذاكره مقتل أهل بيته وغضب الناس إياهم حقوقهم ، وقال : حتى متى توطؤون بالخسف وتهتضم شيعتكم وينزى على حقكم ؟ فأكثر من القول في هذا المعنى إلى أن أجابه محمد بن إبراهيم وأوعده لقاؤه بالجزيرة وانصرف الحاج ، ثم خرج محمد بن إبراهيم إلى الجزيرة ومعه نفر من أصحابه وشيعته حتى قدم على نصر بن شبيب للموعد فجمع نصر إليه أهله وعشيرته وعرض عليهم ذلك ، فأجابه بعضهم وامتنع عليه بعض ، وكثر القول فيهم والاختلاف حتى توابوا وتضاربوا بالنعال والعصي ، وانصرفوا على ذلك ، ثم خلا بنصر بعض بني عمه وأهله فقالوا له : ماذا صنعت بنفسك وأهلك ؟ أتراك إذا فعلت هذا الأمر ونابذت السلطان يدعك وما تريد ؟ لا والله بل يصرف همه إليك وكيده فإن ظفرك فلا بقاء بعدها ، وإن ظفرك صاحبك وكان عادلاً كنت عنده بمنزلة رجل من أفناء أصحابه ، وإن كان على غير ذلك فما حاجتك إلى تعريض نفسك وأهلك وأهل بلدك لما لا قوام لهم به ، وأخرى إن أهل هذا البلد جميعاً أعداء لآل أبي طالب فإن أجابوك الآن طائعين قرأوا عنك غداً منهزمين إذا احتجت إلى نصرتهم على أنك إلى خلافهم أقرب منك إلى إجابتهم ثم تمثل :

وأبذل لابن العم نصحي ورافتي إذا كان لي بالجهر في الناس مكرماً
فإن راغ عن نصحي وخالف مذهبي قلبت له ظهر المجن ليندماً

فثنى نصر عن رأيه وفتر نيته وعاد على محمد بن إبراهيم معتذراً بما كان من
 خلاف الناس عليه ورغبتهم عن أهل هذا البيت ، وأنه لو ظن ذلك بهم لم يعده
 نصرهم ، وأومى له إلى أن يحمل إليه مالاً ويقويه بخمسة آلاف دينار فانصرف
 محمد عنه مفضياً وأنشأ يقول والشعر له :

سنغنى بحمدالله عنك بعصبة يهشون للداعي إلى واضح الحق
 طلبنا^(١) لك الحسنى فقصرت دونها فأصبحت مذموماً وفاز ذوو الصدق
 جروا فلهم سبق وصرت مقصراً ذميماً بما قصرت عن غاية السبق
 وما كل شيء سابق أو مقصر يؤل به التقصير إلا إلى العرق ؛
 ثم مضى محمد بن إبراهيم عليه السلام راجعاً إلى الحجاز فلقى في طريقه
 أبا السرايا السريّ بن منصور أحد بني ربيعة بن زهل بن شيان^(٢) ، وكان قد خالف
 السلطان ونازده وعاث في نواحي السواد ، ثم صار إلى تلك الناحية فأقام بها خوفاً
 على نفسه ومعه غلمان له فيهم أبو الشوك ويسار وأبو الهرماس غلماناه ، وكان
 علوي الرأي ذا مذهب في التشيع ، فدعاه إلى نفسه فأجابه وسرّب ذلك ، وقال له :
 انحدر في الفرات حتى أوافي على الظهر وموعدك الكوفة ففعل ذلك .

ووافى محمد بن إبراهيم الكوفة يسأل عن أخبار الناس ويتجسسها ويتأهب
 لأمره ويدعو من يثق به إلى ما يريد حتى اجتمع له بشر كثير ، وهم في ذلك
 ينتظرون أبا السرايا وموافاته ، فبينما هو في بعض الأيام يمشي في بعض طرق الكوفة
 إذ نظر إلى عجوز تتبع أحمال الرطب فتلقط ما سقط منها فتجمعه في كساء عليها
 رث ، فسألها عما تصنع بذلك ؟ فقالت : إني امرأة لا رجل لي يقوم بمؤنتي ولي
 بُنَيَات لا يعدن على أنفسهن بشيء ، فأنا أتبع مثل هذا من الطريق فأتقوته أنا وولدي

(١) في المقاتل ٥٢٠ :

طلبت لك الحسنى فقصرت دونها ❖ فأصبحت مذموماً وزلت عن الصدق .

(٢) ينظر الإفادة ٨٣ .

فبكى بكاءً شديداً وقال : أنت والله وأشباهك يخرجوني غداً حتى يسفك دمي
ونفذت بصيرته في الخروج .

وأقبل أبو السرايا لموعده على طريق البر حتى ورد عين التمر في فوارس معه
جريدة لا راجل فيهم ، وأخذ النهرين حتى ورد نينوى ، فجاء إلى قبر الحسين
صلوات الله عليه ، قال نصر بن مزاحم : فحدثني رجل من أهل المدائن ، قال :
إني لعند قبر الحسين بن علي عليهما السلام في تلك الليلة ، وكانت ليلة ذات ريح
ورعد ومطر إذا بفرسان قد أقبلوا فترجلوا ودخلوا إلى القبر فسلموا وأطال رجل
منهم الزيارة ثم جعل يتمثل بأبيات منصور النمري :

نفسى فداءً الحسين يوم غداً إلى المنايا غدو لا قافل
ذلك يوم أنحى بشفرته على سنام الإسلام والكاهل
كأنما أنت تعجبين ألا ينزل بالقوم نقمة العاجل
لا يعجل الله إن عجلت وما ريك عمّا ترين بالغافل
مظلومة والنبي والدها تدير أرجاء مقلة حافل
ألا مساعير يغضبون لها بسلة البيض والقنا الذابل

قال : ثم أقبل عليّ وقال : عن الرجل ؟ قال : قلت رجل من الدهاقين من
أهل المدائن ، فقال : سبحان الله ! يحن الولي إلى وليه كما تحن الناقة إلى حوارها ،
يا شيخ أما إن هذا موقف يكثرك عند الله شكره ويعظم أجره ، ثم وثب فقال :
من كان ها هنا من الزيدية فليقم إليّ ، فوثبت إليه جماعات من الناس فدنوا منه ،
فخطبهم خطبة طويلة ذكر فيها أهل البيت وفضلهم وما خصوا به ، وذكر فعل
الامة وظلمها لهم ، وذكر الحسين عليه السلام فقال : أيها الناس هبكم لم تحضروا
الحسين فتنصروه ، فما يقعدكم عن أدركتموه ولحقتموه ، وهو غداً خارج طالب
بشأره وحقه وتراث آبائه وإقامة دين الله ، وما يمنعكم من نصرته ومؤازرته ، إني
خارج من وجهي هذا إلى الكوفة ، والقيام بأمر الله والذب عن دينه والنصر لأهل

بيت نبيكم ﷺ، فمن كانت له نية في ذلك فليلحق بي، ثم مضى من فوره عامداً للكوفة ومعه أصحابه.

قالوا: وخرج محمد بن إبراهيم في اليوم الذي واعد فيه أبا السرايا للاجتماع بالكوفة، وأظهر نفسه وبرز إلى ظهر الكوفة ومعه علي بن عبيدالله بن الحسين بن علي بن حسين وأهل الكوفة منبثون مثل الجراد إلا أنهم على غير نظام، وغير قوة ولا سلاح إلا العصي والسكاكين والآجر، ولم يزل محمد ومن معه ينتظرون أبا السرايا ويتوقعونه فلا يرون له أثراً حتى يئسوا منه وشتمه بعضهم ولا موا محمد بن إبراهيم على الإستعانة به، واغتم محمد بتأخره فيينما هم كذلك إذ طلع عليهم من نحو الجوف علكمان أصفران وخيل، فتنادى الناس بالبشارة وكبروا وتبصروا فإذا هو أبو السرايا ومن معه، فلما أبصر محمد بن إبراهيم ترجل فأقبل إليه فأكبّ عليه واعتنقه محمد، ثم قال له: يا ابن رسول الله: ما يقيمك ها هنا؟ ادخل البلد فما يمنعك منه أحد، فدخله فخطب الناس ودعاهم إلى البيعة على الرضى من آل محمد والدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسيرة بحكم الكتاب، فبايعه الناس جميعاً حتى تكابسوا وازدحموا عليه وذلك في موضع بالكوفة يعرف بقصر الضرتين.

قال السيد أبو طالب عليه السلام^(١): وبعث الدعاء في سائر النواحي، وأنفذ أخاه القاسم بن إبراهيم عليه السلام إلى مصر للدعاء إليه وأخذ البيعة له، والقاسم عليه السلام ابن سبع أو ست وعشرين سنة، وبايعه من الأشراف محمد بن محمد بن زيد، ومحمد بن جعفر بن محمد، وعلي بن عبيدالله وغيرهم ممن يطول ذكرهم، ومن الفقهاء يحيى بن آدم، وكان محمد بن إبراهيم عليه السلام يشرط عليه شرائط البيعة وهو يقول: ما استطعت ما استطعت فقال له محمد بن إبراهيم عليه السلام: هذا قد استثناه

(١) الإفادة ص ٨٤.

لك القرآن قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وأبو بكر، وعثمان ابنا أبي شيبة، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وعبدالله بن علقمة .
قال أبو الفرج^(١): ووجه محمد بن إبراهيم إلى الفضل بن العباس بن عيسى ابن موسى رسولا يدعو إلى بيعته ويستعين به في سلاح وقوة، فوجد الفضل بن العباس قد خرج عن البلد، وخذق حول داره وأقام مواليه في السلاح للحرب، فأخبر الرسول محمداً بذلك وأنفذ محمد أبا السرايا إليهم، وأمره أن يدعوهم ولا يبدأهم بقتال، فلما صار إليهم تبعه أهل الكوفة كالجراد المنتشر، فدعاهم فلم يصغوا إلى قوله، ولم يجيبوا إلى دعوته، ورموا بالنشاب من خلف الستور فقتل رجل من أصحابه أو جرح، فوجه به إلى محمد بن إبراهيم فأمره بقتالهم فقاتلهم، وكان على السور خادم أسود واقف بين شرفتين يرمي لا يسقط له سهم، فأمر أبو السرايا غلامه أن يرميه فرماه بسهم فأثبته بين عينيه فسقط الخادم على أم رأسه، إلى أسفل وفر موالى الفضل بن العباس كلهم فلم يبق منهم أحد وفتح الباب فدخل أصحاب أبي السرايا يتتبعونها ويخرجون خير المتاع منها، فلما رأى ذلك أبو السرايا حضره ومنع أحدا من الخروج أو يأخذ ما معه ويفتشه، فأمسك الناس عن النهب قال: فسمعت أعرابياً يرتجز ومعه تخت فيه ثياب ويقول^(٢):

ما كان إلا ريثَ زَجْر الزّاجرة حتى انتضيناها سيوفاً باتره
حتى علونا في القصور القاهرة ثم انقلبنا بالثياب الفاخرة
قالوا: ومضى الفضل بن العباس، فدخل على^(٣) الحسن بن سهل فشكا إليه ما انتهك منه فوعده النصر والغرم والخلف، ثم دعا بزهير بن المسيب فضم إليه الرجال، وأمدّه بالأموال، وندبه إلى المسير نحو أبي السرايا، وأن يودعه من وقته

(١) المقاتل: ٥٢٤ .

(٢) في (ج): وهو يقول .

(٣) في (أ): حتى دخل .

ويعضي لوجهه ولا ينزل إلا بالكوفة، وكان محمد عليلاً علته التي مات فيها^(١)، وكان الحسن بن سهل لانتحاله النجوم ونظره فيها ينظر في نجم محمد فيراه محترقاً، فيبادر في طلبه ويحرض على ترويحه، ويشغله ذلك عن النظر في أمر عسكره. فسار زهير بن المسيب حتى ورد قصر ابن هبيرة فأقام به، ووجه ابنه أزهري بن زهير على مقدمته فنزل سوق أسد.

وسار أبو السرايا من الكوفة وقت العصر وأغد السير حتى أتى معسكر أزهري بن زهير بسوق أسد وهم قارون وبيته فطحن العسكر وأكثر القتل فيهم، وغنم دوابهم وأسلحتهم وتقطع الباقون في الليل منهزمين حتى وافوا زهيراً بالقصن فتغيظ من ذلك.

ورجع أبو السرايا إلى الكوفة فزحف زهير حتى نزل ووافت خريطة من الحسن بن سهل فأمره أن لا ينزل إلا الكوفة، فمضى حتى نزل عند القنطرة، ونادى أبو السرايا في الناس بالخروج، فخرجوا حتى صافوا زهيراً على قنطرة الكوفة في عشية صردة باردة فهم يوقدون النار يستدفئون بها ويذكرون الله ويقرأون القرآن، وأبو السرايا يسكن منهم ويحثهم. وأقبل أهل بغداد يصيحون: يا أهل الكوفة زينوا نساءكم وأخواتكم وبناتكم للفجور، والله لنفعلن بهن كذا وكذا. لا يكتنون، وأبو السرايا يقول لهم: اذكروا الله وتوبوا إليه واستغفروه واستعينوه، فلم يزل الناس في تلك الليلة يتحارسون طول ليلتهم حتى إذا أصبح نهد إليهم زهير في عسكره، وقد غشيت أبصار الناس من الدروع والجواش وهم على تعبئة حسنة، وأصوات الطبول والبوقات مثل الرعد القاصف، وأبو السرايا يقول: يا أهل الكوفة صححوا لله نياتكم، وأخلصوا له ضمائركم، واستنصروه على عدوكم، وابرأوا إليه من حولكم وقوتكم، وقرأوا القرآن، ومن كان يروي الشعر فليشد شعر عنتره العبسي. قال: ومر بنا الحسن بن الهذيل يعترض الناس

(١) في (ج): منها.

ناحية ناحية ويقول : يا معشر الزيدية ، هذا موقف تشترك فيه الأقدام ، وتزابل فيه الأفعال ، والسعيد من حاط دينه ، والرشيد من وقى لله بعهدده ، وحفظ محمداً في عترته . إن الآجال موقوفة ، والأيام معدودة ، ومن هرب بنفسه من الموت كان الموت محيطاً به :

من لم يميت عبطة يميت هرماً الموت كأس والمرؤ ذائقها
قال أبو الفرج الأصبهاني^(١) : الحسن بن هذيل هذا صاحب حسين المقتول
بفخ ، وقد روى عنه الحديث قالوا : وأطلع رجل من أهل بغداد مستلثماً شاكلي
السلاح ، فجعل يشتم أهل الكوفة ويقول لهم : لنفجرن بنسائكم ولنفعلن بكم
ولنصنعن ، فانتدب له رجل من أهل الازار^(٢) عليه إزار أحمر وفي يده سكين ،
فألقي نفسه في الفرات وخرج سباحة حتى صار إليه فدنا منه فأدخل يده في جيب
درعه وجذبه إليه فصرعه ، وضرب بالسكين حلقه فقتله وجرد برجله يطفو مرة
ويغوص أخرى حتى أخرجه إلى أهل الكوفة ، فكبر الناس وارتفعت أصواتهم
بحمد الله والثناء عليه والدعاء ، وخرج رجل من ولد الأشعث بن قيس فعبر إلى
البغداديين ، ودعا للبراز فبرز له رجل فقتله ، وبرز إليه آخر فقتله ، وبرز إليه ثالث
فقتله حتى قتل نفرًا ، وأقبل أبو السرايا فلما رآه شتمه ، وقال : من أمرك بهذا ؟
ارجع فرجع الرجل يمسح سيفه بالتراب وردده في غمده وقنع فرسه^(٣) ، ومضى نحو
الكوفة فلم يشهد حرباً بعدها معهم ، ووقف أبو السرايا بالقنطرة معهم طويلاً
وخرج رجل من أهل بغداد ، فجعل يشتمه بالزاني لا يكتفى ، وأبو السرايا واقف لا
يتحرك ، ثم إنه تغافل ساعة حتى هم بأن ينصرف ، ثم حمل عليه فقتله ، وحمل في
عسكرهم حتى خرج من خلفهم ، ثم حمل عليهم من خلف العسكر حتى رجع

(١) المقاتل ص ٥٢٧ .

(٢) حمرة باب الكوفة .

(٣) في (أ) : رأسه .

من حيث جاء، ووقف في موقفه وهو ينفخ وينفض علق الدم من درعه .
ثم دعا غلاماً له فوجهه في نفر من أصحابه وأمره أن يمضي حتى يصير من
وراء العسكر . ثم يحمل عليهم لا يكذب ، فمضى الغلام لوجهه مع من هو معه
قاصداً لما أمره ، ووقف أبو السرايا على القنطرة على فرس أدهم محذوف ، وقد
اتكأ على رمحه فنام على ظهر الفرس حتى غط وأهل الكوفة جزعون مما يرونه
من عسكر زهير ويسمعونه من تهددهم ووعيدهم وهم يصيحون ويضجون
بالتكبير والتهليل حتى يسمع أبو السرايا فينتبه من نومه فلم ينتبه حتى ظن أن
الكمين الذي بعثه قد انتهى إلى حيث أمره فصاح بفرسه فبال^(١) ، ثم قنعه حتى
رضى تحفزه ، ثم أومى بيده نحو الكمين الذي بعثه وصاح بأهل الكوفة : احملوا ،
بحمل وتبعوه فلم يبق من أصحاب زهير أحد إلا التفت نحو الإشارة . وخالط أبو
السرايا وغلامه سيار العسكر وتبعه أهل الكوفة وصاح بغلامه : ويلك يا سيار ألا
تزار ، فحمل سيار على صاحب العلم فقتله وسقط العلم ، وانهمزمت
المسودة ، وتبعهم أبو السرايا وأصحابه ونادى من نزل عن فرسه فهو آمن ، فجعلوا
يترجلون وأصحاب أبي السرايا يركبون ويتبعونهم حتى جاوزوا شاهي ، ثم التفت
زهير إلى أبي السرايا فقال له : ويحك أتريد هزيمة أكبر من هذه ؟ إلى أين تتبعني ؟
فرجع وتركه . وغنم أهل الكوفة غنيمة لم يغنم أحد مثلها ، وصار إلى عسكر زهير
ومطابخة قد أعدت وأقيمت ، وكان قد حلف أن لا يتغدى إلا في مسجد الكوفة ،
فجعلوا يأكلون الطعام وينتهبون الأسلحة والآلة ، وكانوا قد أصابهم جوع وجهد
شديد ، ومضى زهير لوجهه حتى دخل بغداد مستتراً ، وبلغ خبره الحسن بن سهل
فأمر بإحضاره فأحضر ، فلما رآه رماه بعمود حديد كان في يده فشر إحدى
عينيه ، وقال لبعض من كان بحضرته : أخرج فاضرب عنقه ، فلم يزل يكلم فيه
حتى عفى عنه .

(١) في المقاتل : فصاح بفرسه : قتال . وفي (أ) : قال .

ودخل أبو السرايا الكوفة ومعه خلق من الأسارى، ورؤس كثيرة على الرماح مرفوعة، وفي صدور الخيل مشدودة، ومن معه من أهل الكوفة قد ركبوا الخيل ولبسوا السلاح، فهم في حالة واسعة وأنفسهم بما رزقوه من النصر قوية.

واشتد غم الحسن بن سهل ومن بحضرته من العباسيين لما جرى على عسكر زهير وطال اهتمامهم به، فدعا الحسن بعبدوس بن عبد الصمد، وضم إليه ثلاثة آلاف فارس وثلاثة آلاف راجل، وأزاح علقته في الإعطاء، وقال له: إنما أريد أن أتوه باسمك وأرفع منزلتك فانظر كيف تكون، وأوصاه بما يحتاج إليه وأمره أن لا يلبث، فخرج من بين يديه وهو يحلف أن يبيع الكوفة، ويقتل مقاتلة أهلها ويسبي ذراريهم، ثلاثاً. ومضى لا يلوي على شيء حتى صار إلى الجامع، وكان الحسن ابن سهل تقدم إليه بذلك، وأمره ألا يأخذ على الطريق الذي انهزم فيه زهير؛ لئلا يرى أصحابه بقايا قتلى عسكره فيجبنوا من ذلك، فأخذ على طريق الجامع، فلما وافاها وبلغ أبا السرايا خبره صلى الظهر بالكوفة، ثم جرد فرسان أصحابه، من يثق به منهم، وأغذ السير حتى إذا قرب من الجامع فرّق أصحابه ثلاث فرق، وقال: يكون شعاركم (يا فاطمي يا منصور)، وأخذ هو في جانب السوق وأخذ سيار في سيره الجامع، وقال لأبي الهرماس: خذ بأصحابك على القرية لا يفوتك أحد، ثم حملوا دفعة واحدة من جوانب عسكر عبدوس، ففعلوا ذلك وأوقعوا به وقتلوا فيه مقتلة عظيمة، وجعل الجند يتهافتون في الفرات طلب النجاة حتى غرق منهم خلق كثير. ولقي أبو السرايا عبدوساً في رحبة الجامع وكشف خوذته عن رأسه وصاح أبو السرايا: أنا أسد بني شيبان، ثم حمل عليه وولى عبدوس من بين يديه، وتبعه أبو السرايا فضربه على رأسه ضربة فلق هامته، وخرّ صريعاً عن فرسه، وانتهب الناس من أصحاب أبي السرايا وأهل الجامع عسكر عبدوس، وأصابوا منه غنيمة عظيمة، وانصرفوا إلى الكوفة بقوة وأسلحة.

ودخل أبو السرايا إلى محمد بن إبراهيم وهو عليلٌ يجود بنفسه فلامه على

تبييته العسكر، وقال له : أنا بريء إلى الله مما فعلت فما كان لك أن تبيتهم ولا تقاتلهم حتى تدعوهم ، وما كان لك أن تأخذ من عسكرهم إلا ما أجلبوا به علينا من السلاح ، قال له : يا ابن رسول الله ، كان هذا تديير الحرب ، ولست أعاود مثله ، ثم رأى في وجه محمد الموت فقال له : يا ابن رسول الله ، كل حي ميت ، وكل جديد بال فاعهد إليَّ عهدك . فقال له : أوصيك بتقوى الله ، والمقام على الذب عن دينك ، ونصرة أهل بيت نبيك ، فإن نفوسهم موصولة بنفسك ، وول الناس الخيرة فيمن يقوم مقامى من آل علي ، فإن اختلفوا فالأمر إلى علي بن عبيدالله فإنني قد بلوت طريقته ورضيت دينه ، ثم اعتقل لسانه ، وهدأت جوارحه فغمضه أبو السرايا وسجّاه وكتّم موته ، فلما كان الليل أخرجّه في نفر من الزيدية إلى الغري فدفنه ، فلما كان من الغد جمع الناس فخطبهم ، ونعى إليهم محمداً وعزاهم عنه ، فارتفعت الأصوات بالبكاء إعظاماً لوفاته ثم قال : وقد أوصى أبو عبدالله رحمة الله عليه إلى شبيهه ومن اختاره وهو أبو الحسن علي بن عبيدالله فإن رضيتم به فهو الرضى ، وإلا فاختاروا لأنفسكم ، فتواكلوا وانتظر بعضهم بعضاً فلم ينطق أحد منهم ، فوثب محمد بن محمد بن زيد وهو غلام حدث السن فقال : يا آل علي فات الهالك فنجا ، وبقي الباقي بكرمه ، إن دين الله لا يُنصر بالفشل ، وليست يد هذا الرجل -يعني أبا السرايا- عندنا بسيئة قد شفى الغليل ، وأدرك الثأر ، ثم التفت إلى علي بن عبيدالله فقال : ما تقول يا أبا الحسن رضي الله عنك؟ فقد وصانا بك ، امدد يدك بنايعك ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن أبا عبدالله رحمه الله قد اختار فلم يعد الثقة في نفسه ، ولم يأل جهداً في حق الله تعالى الذي قلده ، وما أردُ وصيته تهاوناً بأمره ، ولا أدع هذا نكولاً عنه ، ولكن أتخوف أن أشتغل به عن غيره مما هو أحمد وأفضل عاقبة ، فامض رحمك الله لأمرك ، واجمع شمل بني عمك فقد قلدناك الرئاسة علينا ، وأنت الرضا عندنا ، والثقة في أنفسنا . ثم قال لأبي السرايا : ما ترى؟ أرضيت به؟ قال : رضاي

في رضاك، وقولي مع قولك، فاجذبوا يد محمد بن محمد فبايعوه، وفرق عماله .
 فولى إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد خلافته على
 الكوفة، وولى روح بن الحجاج شرطته، وولى أحمد بن السري الأنصاري
 رسائله، وولى عاصم بن عامر القضاء، وولى نصر بن مزاحم السوق، وعقد
 لإبراهيم بن موسى بن جعفر على اليمن، وولى زيد بن موسى بن جعفر
 الأهواز، وولى العباس بن محمد بن عيسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن
 جعفر البصرة، وولى الحسن بن الحسن الأفطس مكة، وعقد لجعفر بن محمد بن
 زيد بن علي والحسن بن إبراهيم بن الحسن على واسط، فخرجوا إلى أعمالهم،
 فأما ابن الأفطس فلم يمنع أحد مما وجه له، فأقام الحج في تلك السنة وهي سنة
 تسع وتسعين ومائة، وأما إبراهيم بن موسى فأذعن له أهل اليمن بالطاعة بعد وقعة
 كانت منهم^(١).

وروى غير أبي الفرج أنه قتل فيها من الجنود العباسية خمسة عشر ألفاً حتى
 سمي إبراهيم الجزار، وكان ينزل والشيعية بالقطيع من صنعاء، وكانت سكتة تُدعى
 بشارع المبيضة، وخرّب سد الخائق بصعدة، وقتل البطون التي تبغض أهل البيت
 باليمن وهم: بنو الحارث بنجران، والسلمانيون بعيان، واللعويون بريدة،
 والكباريون باثافت، والإبارة بظهر، والحواليون ببيت ذخار، وبنو يافع بالسر وسرو
 حمير، قال أبو الفرج^(٢): وأما صاحباً واسط فإن النضر البجلي صاحب واسط
 خرج إليهما فقاتلها قتالاً شديداً فثبتا له، ثم انهزم ودخلا واسط وجبياً الخراج
 وتآلفا الناس، وأما الجعفري صاحب البصرة فإنه خرج إليه علي بن محمد بن
 جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فاجتمعا، ووافاهما زيد
 بن موسى ابن جعفر ماضياً إلى الأهواز فاجتمعوا ولقيهم الحسن بن علي المعروف

(١) ينظر مقاتل الطالبين ٥٢٧-٥٣٤ . والإفادة ٨٤-٨٧ .

(٢) المقاتل ص ٥٣٤ .

بالمأموني - رجل من أهل باذغيس - وكان على البصرة، فقاتلوه فهزموا
عسكره، وحرق زيد بن موسى دور بني العباس بالبصرة، فلُقِّب لذلك زيد النار،
وفي هزيمتهم يقول دعبل بن علي في إسماعيل بن علي بن سليمان بن علي :

لقد خَلَفَ الأهواز من خلف ظهره وزيد وراء الرأب من أرض كسكر
يهوِّلُ إسماعيل بالبيض والقنا وقد فرَّ من زيد بن موسى بن جعفر^(١)

وتواترت الكتب على محمد بن محمد بالفتوح من كل ناحية، وكتب إليه
أهل الشام والجزيرة أنهم ينتظرونه أن يوجِّه إليهم رسولاً يسمعون له ويطيعون
وعظم أمر أبي السرايا على الحسن بن سهل فكتب إلى هرثمة بن أعين يأمره
بالقدوم عليه، وكانت بينه وبينه شحنة، ودعا بالسندي بن شاهك فسأله اللحاق
به، وسأله التعجيل وترك التلوم، وكانت بين الحسن بن سهل وبين هرثمة شحنة
فخشي أن لا يجيبه إلى ما يريد ففعل ذلك السندي ومضى إلى هرثمة فلحقه
بحلوان فأوصل إليه الكتاب، فلما قرأه تغيط وقال: نوطئ لهم نحن
الخلافة، ونعهد لهم أكنافها ثم يستبدون بالأمور، ويستأثرون بالتدبير علينا، فإذا
انفتق عليهم فتق بسوء تدبيرهم وإضاعتهم الأمور أرادوا أن يصلحوه بنا، لا والله
ولا كرامة حتى يعرف أمير المؤمنين سوء آثارهم، وقبيح أفعالهم.

قال السندي : وباعدني مباحدة آيسني منها من نفسه، فبينما أنا كذلك إذ
جاءه كتاب من منصور بن المهدي فقرأه، وجعل يبكي بكاءً طويلاً، ثم قال : فعل
الله بالحسن بن سهل وصنع فإنه عرض هذه الدولة للذهاب، وأفسد ما صلح
منها، ثم أمر فضرب الطبل، وانكفاً راجعاً إلى بغداد وأتى منزله.

وأتى الحسن بن سهل بدواوين الجيش فنقلت إليه؛ ليختار الرجال منها
وينتخبهم، وأطلق له بيوت الأموال فانتخب من أراد، وأزاح العلة في الأعطيات

(١) في ديوان دعبل بن علي يهجو إسماعيل بن جعفر بن سليمان العباسي، وفيها :
وعاينته في يوم خلَّى حريمه فيا قبحها منه وبأحسن منظرٍ

والنفقات ، وخرج إلى الياسرية فعسكر بها فكان في نحو من ثلاثين ألف فارس ورجال ، ثم نادى بالرحيل إلى الكوفة ، فرحل الناس وأبو السرايا بالقصر ، ثم عسكر هرثمة في شرقي صرصر ، وعسكر أبو السرايا في غربيه ، ووجه الحسن بن سهل إلى المدائن علي بن أبي سعيد^(١) وحماد التركي وجماعة ، فقاتلوا محمد بن إسماعيل الأرقط بن علي بن الحسين ، وكان قد عقد لهم أبو السرايا على البلد واستولى عليها ، فهزموه واستولوا عليها ومضى أبو السرايا من فوره بالليل ولم يعلم هرثمة ، - وكان جسر صرصر مقطوعاً بينهما - يريد المدائن ، فوجد أصحابه قد أخرجوا منها واستولى عليها المسودة فكانت بينهم مناوشة ، وقُتل غلامه أبو الهرماس أصابه حجر عرّادة فدفنه بها ومضى نحو القصر ، فلما صار بالرحب سار هرثمة إليه فلحقه هناك فقاتله قتالاً شديداً فهزم أبو السرايا وقُتل أخوه ومضى لوجهه حتى نزل الجارية ، وأتبعه هرثمة وأجمع رأيه على سد الفرات عليهم ومنعهم الماء ، وصبّه في الآجام والمغائط التي في شرقي الكوفة ، ففعل ذلك وانقطع الماء من الفرات ، فتعاطم ذلك الكوفيون وسقط في أيديهم ، وأزمعوا معاجلتهم فبينما هم كذلك إذا انبثق السكر الذي سكرّوه ، وأقبل الماء يجر الخشب فكبروا وحمدوا الله كثيراً وسروا بما وهب الله لهم من الكفاية ، ثم إن هرثمة نهد إلى الكوفة مما يلي الرصافة ، وخرج أبو السرايا إليه في الناس فعبأهم ، وجعل على الميمنة الحسن بن هذيل ، وعلى الميسرة جرير بن الحصين ، ووقف في القلب ، وعبأ هرثمة خيلاً نحو البر فبعث أبو السرايا عدتهم يسيرون بإزائهم لئلا يكونوا كميناً ، ثم إن أبا السرايا حمل حملة فيمن معه فانهزم أصحاب هرثمة هزيمة رقيقة ، ثم عطفوا وجوه دوابهم فانهزموا ، فنادى أبو السرايا : لا تتبعوهم فإنها خديعة ومكر فوقفوا وتبعهم أبو كتلة فأنفذ ، ثم رجع فأعلم أبا السرايا أنهم عبروا الفرات ، فرجع بالناس إلى الكوفة ، ثم خرج في يوم الإثنين لسبع خلون من ذي القعدة ،

(١) في (١) : علي بن سعيد .

وخرج الناس معه وقد كان جاسوسه أخبره أن هرثمة يريد مواقعه في ذلك اليوم، فعبأ الناس مما يلي الرصافة، ومضى هو نحو القنطرة فلم يبعد حتى أقبلت خيل هرثمة، فرجع أبو السرايا كالجمل الهائج إلى الناس فقال: أقيموا صفوفكم، وأقبل هرثمة فاقتتلوا قتالاً شديداً، فنظر أبو السرايا إلى روح بن الحجاج قد رجع فقال له: والله لئن مضيت لأضربن عنقك، فرجع فقاتل حتى قُتل، وقُتل يومئذ الحسن بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين، وقُتل أبو كتلة غلام أبي السرايا، واشتدت الحرب وكشف أبو السرايا رأسه وجعل يقول: أيها الناس صبر ساعة وثبات قليل، فقد والله فشل القوم ولم يبق إلا هزيمتهم، ثم حمل وخرج إليه قائد من قواد هرثمة وعليه الدرع والمغفر، فتناوشا ساعة ثم ضربه أبو السرايا ضربة على بيضته ففقدته حتى خالط سيفه قربوس سرجه، وانهمزت المسودة هزيمة قبيحة، وتبعهم أهل الكوفة يقتلونهم حتى بلغوا صعبياً، فنادى أبو السرايا: يا أهل الكوفة، احذروا كرتهم بعد الفرّة فإن العجم قوم دهاة، فلم يُصغوا إلى قوله وتبعوهم، وكان هرثمة قد أسرف في ذلك الوقت - ولم يعلم أبو السرايا بأسره، أسره عبد سندي، وقبل ذلك خلف في معسكره زهاء خمسة آلاف فارس يكونون رداءً له إن انهزم أصحابه، وخلف عليهم عبيدالله بن الوضاح، فلما وقعت الهزيمة ونادى أبو السرايا: لا تتبعوهم، كشف عبيدالله بن الوضاح رأسه وأصحابه يقولون: قُتل الأمير، قتل الأمير، فناداهم فما يكون إذا قتل الأمير يا أهل خراسان؟ إليّ أنا يا عبيدالله بن الوضاح، اثبتوا فوالله ما القوم إلا غوغاء ورعاع وثابت إليه طائفة، وحمل على أهل الكوفة فقتل منهم مقتلة عظيمة، وتبعوهم حتى جازوا صعبياً، وتبعوا ووجدوا هرثمة أسيراً في يد عبد أسود فقتلوا العبد وحلّوا وثاق هرثمة، وعاد إلى معسكره ولم تزل الحرب بينهم مدة متراخية في كل يوم أو يومين تكون بينهم سجالات، ثم إن أبا السرايا بعث علي بن محمد بن جعفر المعروف بالبصري في خيل وأمره أن يأتي هرثمة من ورائه

فمضى لوجهه ولم يشعر هرثمة حتى قرب منه ، وحمل أبو السرايا عليه ، فصاح هرثمة : يا أهل الكوفة ، علام تسفكون دماءنا ودماءكم؟ إن كان قتالكم إيانا كراهة لإمامنا فهذا المنصور بن المهدي رضا لنا ولكم نبايعه ، وإن أحببتم إخراج الأمر من ولد العباس فانصبوا إمامكم ، واتفقوا معنا ليوم الإثنين نتناظر فيه ، ولا تقتلوا أنفسكم ، فأمسك أهل الكوفة عن الحملة ، وناداهم أبو السرايا : ويحكم إن هذه خديعة من هؤلاء الأعاجم ، وإنما أيقنوا بالهلاك فاحملوا عليهم ، فامتنعوا وقالوا : لا يحل لنا قتالهم وقد أجابوا ، فغضب أبو السرايا وانصرف معهم وقد أراد قبل ذلك إجابة هرثمة ، وأن يمضي إليه مع محمد بن محمد بن زيد فيستأمن ، ثم خشى الغدر به ، فلما كان في يوم الجمعة خطب أهل الكوفة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أهل الكوفة ، يا قتلة علي ، ويا خذلة الحسين ، إن المغتر بكم لمغرور ، وإن المعتمد على نصركم لمخذول ، وإن الدليل لمن أعززتموه ، والله ما حمد علي أمركم فنحمده ، ولا رضى مذهبكم فنرضى به ، ولقد حكمكم عليه ، واثمنتكم فخنتم أمانته ، ووثق بكم فحلتم عن ثقته ، ثم لم تنفكوا عليه مختلفين ، ولطاعته ناكثين ، إن قام قعدتم ، وإن قعدتمتم ، وإن تقدم تأخرتم ، وإن تأخر تقدمتم ، خلافاً عليه وعصياناً لأمره ، حتى سبقت فيكم دعوته ، وخذلكم الله بخذلانكم إياه ، أي عذر لكم في الهرب عن عدوكم ، والنكول عمن لقيتم؟ وقد عبروا خندقكم وعلوا قبائلكم ، ينتهبون أموالكم ، ويجتاحون حريمكم ، هيهات لا عذر إلا العجز والمهانة ، والرضا بالصفار والذلة ، إنما أنتم كفيء الظل تهزمكم الطبول بأصواتها ، وتملأ قلوبكم الخرق بسوادها ، أما والله لأستبدلن بكم قومًا يعرفون الله حق معرفته ، ويحفظون محمدًا في عترته ، ثم قال :

وما رست أقطار البلاد فلم أجد	لكم شبهًا فيما وطئت من الأرض
خلافاً وجهلاً وانتشار عزيمة	ووهناً وعجزاً في الشدائد والخفض
لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوة	فلا عنكم راضٍ ولا فيكم مرضي

سأبعد داري عن قلى من دياركم فذوقوا إذا وليت عاقبة البغض
فقامت إليه جماعة من أهل الكوفة فقالوا له : ما أنصفتنا في قولك : ما
أقدمت فأحجمنا ، ولا كررت وفررنا^(١) ، ولا وفيت وغدرنا ، ولقد صبرنا تحت
ركابك ، وثبتنا تحت لوائك حتى أفتتنا الوقائع واجتاحتنا ، وما بعد ما فعلنا غاية إلا
الموت ، فامدد يدك نبائعك على الموت ، فوالله لا نرجع حتى يفتح الله علينا أو
يقضي قضاءه فينا .

فأعرض عنهم ونادى في الناس بالخروج لحفر الخندق ، فخرجوا فحفروا
وأبو السرايا يحفر معهم عامة يومه ، فلما كان الليل خرج الناس إلى الخندق ، وأقام
إلى الثلث الأول من الليل ثم عبأ أثقاله وأسرج خيله وارتحل هو ومحمد بن محمد
ونفر من العلويين والأعراب ، وقوم من أهل الكوفة وذلك في ليلة الأحد لثلاث
عشرة ليلة مضت من المحرم ، فأقام بالقادسية ثلاثاً حتى تمام إليه أصحابه ، ثم مضى
على خفان وأسفل الفرات حتى صار على طريق البر ، ووثب بالكوفة أشعث بن
عبدالرحمن الأشعثي فدعا إلى هرثمة ، وخرج أشراف أهل الكوفة إلى هرثمة
فسألوه الأمان للناس فأجابهم إلى ذلك .

ودخل منصور بن المهدي الكوفة وأقام هرثمة خارجها ، وفرق عسكره حوالي
خندقها ، وأبوابها خوفاً من حيلته ، وخطب منصور بن المهدي الناس وصلى بهم ،
وولى هرثمة غسان^(٢) بن الفرغ الكوفة ، وأقام هو أياماً بظهر البلد ، حتى أمن الناس
وهدأت قلوبهم وارتحل إلى بغداد ، ومضى أبو السرايا يريد البصرة فلقية أعرابي
من أهل البلد ، فسأله عن الخبر فأعلمه غلبة السلطان عليه وإخراج عماله عنه ،
وأن المسودة في خلق كثير لا يمكنه مقاومتهم ، فعدل عنها وأراد المضي نحو واسط ،
فأعلمه الرجل أن صورة أمرها مثل ما ذكره له عن البصرة ، فقال له : فأين ترى ؟
فقال : أرى تعبر دجلة فتكون بين خوخي والجبل ، فتجتمع معك أكرادها ،

(١) في (١) : متى أقدمت فأحجمنا ، أو كررت . . .

(٢) في (ج) : حسان .

ويلحق بك من أراد صحبتك من أعراب السواد وأكراده، ومن رأى رأيك من أهل
الأمصار والطرسان، فقبل أبو السرايا مشورته وسلك ذلك الطريق، فجعل لا يمر
بناحية إلا جبا خراجها وباع غلاتها. ثم عمد إلى الأهواز حتى صار إلى السوس
فأغلقوا دونه فنادى ففتحوا له فدخلها، وكان على كور الأهواز الحسن بن علي
المأموني، فوجه إلى أبي السرايا يعلمه كراهته لقتاله ويسأله الانصراف عنه إلى
حيث أحب فلم يقبل ذلك وأبى إلا قتاله، فخرج إليه المأموني فقاتله قتالاً شديداً،
وثبتت الزيدية تحت ركاب محمد بن محمد، وثبت العلويون معه فقتلت منهم
عدة، وخرج أهل السوس فأتوهم من خلفهم، فخرج إليهم غلام أبي السرايا
لقتالهم فظن القوم أنها هزيمة فانهزموا، وجعل أصحاب المأموني يقتلونهم حتى
أجنهم الليل ففرقوا وتقطعت دوابهم. ومضى أبو السرايا حتى أخذوا على طريق
خراسان، فنزلوا قرية يقال لها: نوقانا، وبلغ حماد الكندغوش خبرهم وكان
يتقلد تلك الناحية، فوجه إليهم خيلاً، ثم ركب بنفسه حتى لقيهم فأمنهم على أن
يُنْفذ بهم إلى الحسن بن سهل فقبلوا ذلك منه وأعطى الذي أعلمه خبرهم عشرة
الآف درهم، وحملهم إلى الحسن بن سهل. وبادر محمد بن محمد إلى الحسن
بكتاب يسأله أن يأمنه ويستعطفه، فقال الحسن بن سهل: لا بد من ضرب عنقه،
فقال له بعض من كان يستنصحه: لا تفعل أيها الأمير، فإن الرشيد لما نقم على
البرامكة احتج عليهم بقتل ابن الأفطس فقتلهم به، ولكن أحمله إلى أمير المؤمنين
فعمل على ذلك، وحلف أنه يقتل أبا السرايا، فلما أتته الرسل بهم وهو نازل
بالمدائن معسكرًا، قال لأبي السرايا: من أنت؟ قال السري ابن منصور، قال: بل
أنت النذل بن النذل، المخدول بن المخدول، قم يا هارون بن أبي خالد فاضرب عنقه
بأخيك عبدوس، فقام إليه فقدمه وضرب عنقه، ثم أمر برأسه فصلب في الجانب
الشرقي من بغداد، وصلب بدنه في الجانب الغربي، وقتل غلامه أبو الشوك وصلب
معه.

وحمل محمد بن محمد إلى خراسان فأقيم بين يدي المأمون وهو جالس في
مستشرف له، ثم صاح الفضل بن سهل: اكشفوا رأسه فكشفوا رأسه فجعل
المأمون يتعجب من حداثة سنه، ثم أمر له بدار فأسكنها وجعل له فيها فرش
وخادم، فكان فيها على سبيل الاعتقال والتوكيل، فأقام على ذلك مدة يسيرة
يقال: إن مقدارها أربعون يوماً، ثم دست إليه شربة، فكان يختلف كبده وحشوته
حتى مات، وتوفى رحمه الله وهو ابن ثماني عشرة سنة، وقبره بمرو.

ونظر في الدواوين فوجد من قتل من أصحاب السلطان في وقائع أبي السرايا
مأتي ألف رجل. وروى الشيخ أبو الفرج بإسناده عن إبراهيم بن سلمة المقرئ
قال: كنت واقفاً مع أبي السرايا على القنطرة ومحمد بن محمد بصحراء إنبر،
فجاءه رجل دسه هرثمة، فقال له: إن المسودة قد دخلت في جانب الجسر، وأخذ
محمد بن محمد، وإنما أراد أن يتنحى عن موضعه، فلما سمع بذلك ولَّى بوجه
فرسه نحو صحراء إنبر، وأقبل هرثمة حتى دخل الكوفة، وبلغ إلى موضع يعرف
بدار الحسن، وصار أبو السرايا إلى الموضع فوجد محمداً قائماً على المنبر
يخطب، فعلم أنها حيلة فكرراً رجلاً ومعه رجل يقال له: مسافر الطائي وكان من
بني شيبان إلا أنه نزل في قبائل طي فنسب إليهم، فحمل على المسودة فهزمهم
حتى ردهم إلى مواقعهم، وجاءه رجل فقال له: إن جماعة منهم قد كمنوا لك
في خرابة ها هنا، فقال: أرنيهم، فأراه الخرابة فدخل إليهم فأقام طويلاً، ثم خرج
يمسح سيفه، وينفض علق الدم عن نفسه، ومضى لوجهه نحو هرثمة، فدخلت
فإذا القوم صرعى، وخيلهم يشب بعضها على بعض، فعددتهم فإذا هم مائة رجل
أو مائة رجل إلا رجلاً^(١).

وللقاسم بن إبراهيم يرثي أخاه محمد بن إبراهيم (عليهما السلام) رواه
الشيخ أبو الفرج^(٢):

(١) ينظر مقاتل الطالبين ٥٣٤-٥٣٦، ٥٤٢-٥٥٠.

(٢) المقاتل ص ٥٥٣.

حيث الحوادث بالمكروه تستبق
 لمشرع شره التصريد والرنق
 يصبي ومرءاً تسامى نحوه الحدق
 وأي شملك إلا سوف يفترق
 بعين من لم يخنه الخدع والملق
 ماهولة حشوها الأشلاء والخرق^(١)
 وهل يزار تراب البلقع الخلق؟
 لم يحمه عنك عقيان ولا ورق
 وجد ويحدو به الترجيع والخرق
 قد خط في عرضه منها له نفق
 ومن ثراها له وثر وممرتفق
 بر الشفيق فحبل الوصل منحقد
 منك القرائن والأسباب والعلق
 ما ضاق مني بها ذرع ولا خلق
 يغبر منك جبين واضح يقق
 حتى عليك لما يحشى به طبق
 فقل مني^(٢) عليك الحزن والأرق
 من بعد هلك يغنيني به الشفق
 روى السيد أبو طالب^(٣) له أيضاً هذه المرثية في أخيه محمد (ع) :

يا دار دار غرور لا وفاء لها
 أبرحت أهلك من كد ومن أسف
 فإن يكن فيك للأذان مستمع
 فأبي عيشك إلا وهو منتقل
 من سره أن يرى الدنيا معطلة
 فليات داراً جفاها الأنس موحشة
 قل للقبور إذا ماجئت زايرها
 ماذا تضمّت ياذا اللحد من ملك
 بل أيها النازح المرموس يصحبه
 يهدي لدار البلى عن غير مقلية
 فبات فرداً وبطن الأرض مضجعه
 داني المحل بعيد الأنس أسلمه
 قد أعقب الوصل حبل البأس فانقطعت
 يا شخص من لو تكون الأرض فديته
 بينا أرجيك تأميلاً وأشفق أن
 أصبحت يحشى عليك التراب في جدث
 أما تفيني بك الأيام مسرعة
 وإنما حدث تخشى غوائله
 روى السيد أبو طالب^(٣) له أيضاً هذه المرثية في أخيه محمد (ع) :

(١) في (ج) : الأسي والخرق .

(٢) في (أ) : شبيء .

(٣) الإفادة ص ٩٢ .

صَرَمَ الكرى وصلَ الجفون
مما يهـيـجُ بك الأسي
بعثت سواكب عبـرة
وأخ يعين على الحـوا
ختر الزمان بعهدـه
فنعى إليّ مصـابـه
علق المنون تصبـرـمي
عفتُ المنى وطويت عن
مأفاز بالخلفض امرؤ
لهفان يتبع نفسه الـ
غمم الرجاء فؤادـه
يسمو إلى كُرب المنى
لم يقض من حاجاته
نصباً لكل مهمـة
لله درُّ عـصـابة
فسمت بهم همم العـلا
فتأثروا^(١) عزّ التقى

وقال محمد بن علي الأنصاري يذكر محمد بن إبراهيم عليه السلام وأبا السرايا

ومن كان معهم رضي الله عنهم :

أبت السكون فما تجف مدامعي
عبري تفيض بدمعها المتتابع

(١) في الافادة «فتأثروا» .

لَمَّا تَذَكَّرْتُ الْحُسَيْنَ وَبَعْدَهُ
صَلَّى إِلَهَ عَلَى الْحُسَيْنِ وَصَحْبِهِ
وَعَلَى قَتِيلِ بِالْكَنَاسَةِ مَفْرَدٍ
وَجَزَى ابْنَ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَشْيَاعِهِ
نَعَمَ الْخَلِيفَةَ وَالْإِمَامَ الْمُرْتَضَى
وَجَزَى إِلَهَ أبا السَّرَايَا خَيْرَ مَا
حَاطَ الْإِمَامَ بِسَيْفِهِ وَبِنَفْسِهِ
فِي فِتْيَةٍ جَعَلُوا السُّيُوفَ حِصُونَهُمْ
فَلْتَلْقَيْنِ بَابِنَ النَّبِيِّ فَمَالِهَا
فَلَقَدْ رَأَيْتُ بِهَا عَلَيْكَ طَلَاوَةَ
زَيْدًا تَحْرُكُ حُزْنَ قَلْبِ جَزَاعٍ
فِي كَرْبَلَاءَ تَتَابَعُوا بِمِصْرَاعٍ
نَائِي الْمَحَلِّ عَنِ الْأَحْبَابِ شَاسِعٍ
خَيْرًا وَأَكْرَمَهُ بِصَنْعِ الصَّانِعِ
ذِي الدِّينِ كَانَ وَمُسْتَقَرِّ وَدَائِعِ
يَجْزِي وَصَوْلًا مِنْ مَطِيْعِ سَامِعِ
بِلِسَانِ ذِي صَدَقٍ وَقَلْبِ خَاشِعِ
مَعَ كُلِّ سَلْهَبَةٍ وَطَرْفِ رَائِعِ
أَحَدٌ سَوَاكَ بِرَغْمِ أَنْفِ الطَّامِعِ
وَضِيَاءِ نُورِ فِي جَبِينِكَ سَاطِعِ
[يعني بذلك محمد بن محمد بن زيد بن علي عليهم السلام] (١)،
ولبعضهم وهو الهيثم بن عبدالله الخثعمي يرثي أبا السرايا:

سَائِلٌ عَنِ الظَّاعِنِينَ مَا فَعَلُوا
يَا لَيْتَ شَعْرِي وَاللَّيْتِ عَصْمَةَ مِنْ
أَيْنَ اسْتَقَرَّتْ نُوقُ الْأَحْبَابِ أَمْ
رَكِبَ أَلْحَتَ يَدِ الزَّمَانِ عَلَى
بَنِي الرَّسُولِ الْبَشِيرِ وَالظَّاهِرِ
خَانَهُمُ الدَّهْرَ بَعْدَ عَزُّهُمْ
بَانُوا فَظَلَّتْ عَيُونَ شِيَعَتِهِمْ
وَاسْتَبَدَلُوا بَعْدَهُمْ عَدُوَّهُمْ
وَأَيْنَ بَعْدَ ارْتِحَالِهِمْ نَزَلُوا
يَأْمَلُ مَا حَالَ دُونَهُ الْأَجَلَ
هَلْ يَرْتَجِي لِلْأَحْبَابِ الْقَقْلُ
إِزْعَانِجَهُمْ فِي الْبِلَادِ فَانْتَقَلُوا
الطَّهْرَ أَقْرَتْ بِفَضْلِهِ الرُّسُلُ
وَالدَّهْرَ بِالنَّاسِ خَائِنِ خَتَلُ
عَلَيْهِمْ لَا تَزَالُ تَنْهَمِلُ
بِئْسَ لِعَمْرٍ الْمَبْدَلُ الْبَدَلُ

(١) ما بين القوسين غير موجودة في (١).

يا عسكرياً ما أقل ناصره
فابكهم بالدماء إن نفذ الدم
لا تبك من بعدهم على أحد
أتهم تهتدي صفوفهم
في فيلق يملأ الفضاء به
رماهم الشيخ من كنانته
بالخيل تردي وهي سائمة
والسابغات الجياد فوقهم
والرَّجُلُ يمشون في أظلتها
واليزنيات في أكفهم
حتى إذا ما التقوا على قدر
شدوا على عترة الرسول ولم
فما رعوا حقه وحرمته
والله أملى لهم وأمهلم
بل أيها الراكب الخبِر والنا
ما فعل الفارس المحامي إذا ما ال
أأنت أبصرته على شرف
من فوق جذع أناف شائلة
إن كنت أبصرته كذاك فما

لم تشفه من عدوِّه الدُّول
ع فقد خان^(١) فيهم الأمل
فكل خطب سواهم جلال
زحفاً إليهم وما بها خلل
كانما فيه عارض وبل
والشيخ لا عاجز ولا وكلُ
تحت رجال كأنها الإبل
والبيضُ والبَيْضُ والقنا الذُّبُلُ
كما تمشى المصاعب البزل
كانما في رؤسها الشعل
والقسوم في هبوة لهم زجل
تثنهم رهبة ولا وهل
ولا استرابوا في نفس من قتلوا
والله في أمره له مهل
عي ابن لي لأمك الهُـبَلُ
حرب بدت^(٢) أنيابها العضل
لله عيناك أيها الرجل؟
ترمي إليه بلحظها المقل
أسلمه ضعفه ولا الفشل

(١) في (ج) : خاب .

(٢) في (أ) : أبدت .

ولو تراه عليه شكته
 في موطن والحتوف مسرعة
 والقوم منهم مخرج بدم
 وفائض نفسه وذو رفق
 في صدره كالوجار مزيدة
 يميل منها والموت يحفزه
 في كفه عضة مضاربه
 لخلت أن القضاء في يده
 يا رب يوم حمى فوارسه
 كأنه آمن منيبتته
 في موطن لا يقال عاثره
 أبا السرايا نفسي مفعجة
 من كان يغضي^(١) عليك مصطبراً
 هلا وقاك الردى الجبان إذا
 أم كيف لم تخشك المنون ولم
 فاذهب حميداً فكل ذي أكل
 والموت مبسوطة حباته
 من تعلقه تعث به أبداً

والموت دان والحرب تشتعل
 فيه قسي المنون تنتضل
 وموثق أسسره ومنجدل
 تطمع فيه الضباع والحجل
 تغيب فيه السبار والفستل
 كما يميل المرشح الثمل
 وذابل كالرشاء معتدل
 أو المنايا من كفه رسل
 وهو فلا مرهق ولا عجل
 في الروح كما تشاجر الأسل
 يغص فيه بريقه البطل
 عليك والعين دمعها خضل
 فإن صبري عليك مختزل
 ضاقت عليه بنفسه الحيل
 ترهبك إذ حان يومك الأجل
 يموت يوماً إذا انقضى الأكل
 والناس ناج منهم ومحتبل
 ومن نجا يومه فلا يبيل^(٢)



(١) في (أ): أغضى .

(٢) مقاتل الطالبين ٥٥٦-٥٥٩ .

فهرس الجزء الأول

المقدمة مع الترجمة	١-٣
مقدمة المؤلف	١
فصل في: [فضل أهل البيت]	٥
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام	٣١
صفته ورحلته	٣٤
صفة إسلامه وزواجه بفاطمة عليها السلام	٣٥
ذكر طرف من مناقبه وأحواله	٣٩
ذكر بيعته ونبذ من سيرته	٥٨
وقعة الجمل	٥٩
مدّة خلافته بعد البيعة	٨٩
عماله	٩٠
ذكر مقتله ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام	٩١
ذكر نكت من كلامه وسيرته	١٠٣
الإمام الحسن بن علي عليهما السلام	١٥١
ذكر طرف من مناقبه ومقاماته عليه السلام	١٥٢
ذكر بيعته	١٦٥
أولاده	١٨١
ذكر وفاته ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام	١٨٢
الحسين بن علي عليه السلام	١٨٨
ذكر طرف من مناقبه	١٨٩

- بيعته عليه السلام ومدة ظهوره وانتصابه للأمر ١٩٥
- أولاده ٢٠١
- مقتله عليه السلام وموضع قبره وما يتصل بذلك ٢٠٣
- الحسن بن الحسن الرضى عليه السلام ٢٣٥
- ذكر وفاته ومبلغ عمره وموضع قبره ٢٣٩
- ذكر أولاده ٢٣٩
- الإمام زيد بن علي عليهما السلام ٢٤١
- صفته ٢٤٢
- ذكر طرف من مناقبه وأحواله ٢٤٣
- مناقبه ٢٥٢
- ذكر بيعته ومدة ظهوره ٢٥٣
- أولاده ٢٥٩
- مقتله ومبلغ عمره ٢٦٠
- الإمام يحيى بن زيد عليهما السلام ٢٦٨
- صفته ومدة ظهوره وذكر بيعته ٢٦٨
- أولاده ٢٧١
- ذكر مقتله ومبلغ عمره وموضع قبره ٢٧١
- الإمام محمد بن عبدالله النفس الزكية ٢٧٣
- صفته وذكر طرف من مناقبه وأحواله ٢٧٤
- ذكر بيعته ومدة ظهوره عليه السلام ٢٧٩
- أولاده وعماله ٢٩٣

- ٢٩٤..... ذكر مقتله ومبلغ عمره وموضع قبره
- ٢٩٩..... الإمام إبراهيم بن عبدالله عليه السلام
- ٢٩٩..... صفته وذكر طرف من مناقبه وأحواله
- ٣٠٢..... بيعته عليه السلام ومدة انتسابه للأمر
- ٣٠٨..... عمّاله
- ٣٠٨..... مقتله وموضع قبره
- ٣١٧..... الإمام الحسين بن علي الفخري عليهما السلام
- ٣١٨..... صفته وذكر طرف من مناقبه وأحواله
- ٣٢٠..... بيعته عليه السلام والسبب في قيامه
- ٣٢٤..... ذكر مقتله عليه السلام وموضع قبره
- ٣٢٩..... الإمام يحيى بن عبدالله عليهما السلام
- ٣٢٩..... صفته وذكر طرف من أخباره وبيعته
- ٣٤٧..... أولاده وذكر مقتله عليه السلام والسبب فيه
- ٣٥٥..... الإمام إدريس بن عبدالله عليهما السلام
- ٣٦٠..... الإمام محمد بن إبراهيم عليه السلام
- ٣٦١..... ذكر طرف من مناقبه
- ٣٦١..... أولاده
- ٣٦١..... بيعته عليه السلام والسبب فيها ونُيذ من سيرته

الحدائق الورقية

في مناقب أئمة الزيدية



مركز تحقيقات كليات علوم إسلامية
تأليف شيخ الإسلام العلامة
حميد الشهيد بن أحمد بن محمد المحلي
ت: ٦٥٢هـ

الجزء الثاني



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

الإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام^(١)

هو: أبو محمد القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. فرعُ دوحه بسقت في أرض الفخار، ونور شجرة زيتونة متوقدة لذوي الأبصار. ما في آبائه عليهم السلام إلا من فاق وراق، وانتشر فضله في الآفاق.

وقد تقدم ذكر آبائه عليهم السلام وهم عبير المشتاق، وصفوة أهل الأعراق.

وأمه عليها السلام: هند ابنة عبد الملك بن سهل بن مسلم بن عبد الرحمن بن عمرو بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نضر بن مالك بن حسيل بن عامر بن لؤي.

صفته عليه السلام: كان عليه السلام تامَّ الخلق، أبيض اللون، كث اللحية، وكانت لحيته كالقطننة الشديدة البياض، حكاه السيد أبو طالب عليه السلام^(٢).

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

كان عليه السلام من أعمار العترة الرضية، ويواقيتها المشرقة المضية، انتهت إليه الرئاسة في عصره، وتميز بالفضل على أبناء دهره. وقد أخبرنا الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين أبو محمد عبد الله بن حمزة بن سليمان سلام الله عليه وعلى آبائه الأكرمين قال: روى القاضي العالم ابن عمّار قال: أخبرني فقيه آل رسول الله

(١) لإفادة ٨٨، أعيان الشيعة ٨/ ٤٣٥، وطبقات الزيدية «خ»، وعمدة الطالب ٢٠١ الشافعي ١/ ٢٦٢، والزيدية لمحمود صبحي ١١٥، الأعلام للزركلي ١٧١/ ٥، والكامل لابن الأثير ٥/ ٢١٣، والفلك الدوار ١٥، ٢٧، ٥٦، والتحف شرح الزلف ١٤٥، جمهرة أنساب العرب ٤٣، والمصابيح ٥٥٥، ومجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم.

(٢) لإفادة ٨٨.

ﷺ في عصرنا الحسين بن حمزة، قال: أخبرني أبو النفس الزكية والشيبة المرضية حمزة بن أبي هاشم الإمام الرضى، يرفعه عن آبائه إلى شيخ من شيوخ آل الحسن كان يدرس عليه فتیان آل الحسن، وكانوا إذا جاءوا قام في وجوههم وعظمتهم، فأقسموا عليه لا فعل. وكان القاسم ﷺ من شباب ذلك العصر، وكان إذا أتى قام في وجهه وعظمه، فقالوا له: أيها السيد، إننا قد عذرناك وهذا الفتى لك أعذر، فقال: لو تعلمون من حق هذا ما أعلم لاستصغرت ما أصنع في حقه، فقالوا: وما تعلم؟ قال: هذا الفتى قال فيه رسول الله ﷺ: لا يخرج من ذريتي رجل مسروق الرباعيتين، لو كان بعدي نبي لكان هو^(١). وفيه يقول الشاعر:

ولو أنه نادى المنادي بمكة ببطن منى فيمن تضم المواسم
من السيد السباق في كل غاية؟ لقال جميع الناس: لا شك قاسم
إمام من أبناء الأئمة قدمت له الشرف المعروف والمجد هاشم^(٢)
أبوه عليُّ ذو الفضائل والنهي وآباؤه والأمهات الفواطم
بنات رسول الله أكرم نسوة على الأرض والآباء شم خضارم^(٣)

وله ﷺ العلم العجيب، والتصانيف الرائقة في علم الكلام وغيره من

(١) روى السيد العلامة الأمير الحسين بدر الدين في كتابه بتاييع النصيحة ص ٤٦٣ ما ورد من أخبار عن الإمام القاسم بن إبراهيم (ع) ما لفظه: «فأما ما ورد فيه من الأخبار فمما هو في أفواه الناس، ويروونه عن رسول الله ﷺ أنه قال لفاطمة عليها السلام: «يا فاطمة منك هاديتها ومهديها ومستلب الرباعتين» يعني القاسم بن إبراهيم، هكذا يروونه مفسراً، ولم تصح لي فيه الرواية عن من أثق به إلى رسول الله ﷺ ونعوذ بالله أن نقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل ثم روى لي من أثق به بإسناده إلى رسول ﷺ أنه قال لفاطمة عليها السلام يا فاطمة منك هاديتها ومهديها ومسترق الرباعتين، لو كان بعدي نبي لكان نبيا».

(٢) هذا البيت ساقط من (أ).

(٣) المصاييح ٥٦٣.

الفنون . فمنها : كتاب الدليل الكبير فإنه بالغ في الكلام على الفلاسفة مبالغة حسنة ، وأشار فيه من لطيف الكلام إلا ما لا ينتهي إليه إلا المبرزون ، ولا يبلغه إلا المحصلون . ومنها : كتاب الدليل الصغير ، وكتاب العدل والتوحيد الصغير ، وكتاب العدل والتوحيد الكبير ، وفيه من أصول العدل والتوحيد وتصديق الوعد والوعيد ، والمبالغة في الكلام على الجبرية على لطافة حجمه ما يشهد بغزارة علمه ووفور فهمه . ومنها : كتاب الرد على ابن المقفع الذي نصر فيه القول بالتشبيه . ومنها : كتاب الرد على النصارى وهو من نفائس الكتب . ومنها : كتاب المسترشد ، وكتاب الرد على المجبرة ، وكتاب تأويل العرش والكرسي على المشبهة . ومنها : كتاب المسألة التي نقلت عنه في محاورة الملحد وهو : رجل من أرباب النظر من الملحدة ، كان يغشى مجامع المسلمين ويورد عليهم الأسئلة الصعبة في قدم العالم وغير ذلك حتى وافاه عليه السلام ، وأورد ما عنده من المشكلات ، فوضح له الحق فتاب إلى الله تعالى ، ثم قال : تَعَسَّتْ أُمَّةٌ ضَلَّتْ عَنْ مِثْلِكَ ، وَفِيهَا ^(١) مِنْ غَرَائِبِ الْعِلْمِ وَعَجَائِبِهِ مَا يَشْهَدُ بَعْلُو مَنْزِلَتِهِ وَارْتِفَاعِ دَرَجَتِهِ ^(٢) .

وروينا عن السيد أبي طالب عليه السلام ^(٣) ، رواه بإسناده إلى أبي القاسم البلخي عن مشائخه : أن جعفر بن حرب الهمداني دخل على القاسم بن إبراهيم فجراه في دقائق علم الكلام ، فلما خرج من عنده قال لأصحابه : أين كنا من هذا الرجل ؟ فوالله ما رأيت مثله ، هذا وجعفر بن حرب من عيون المتكلمين والمتبحرين في الكلام .

(١) أي في المسألة .

(٢) انظر الافادة ٨٨ .

(٣) الإفادة ٨٨ .

ومن تصانيفه عليه السلام: كتاب تثبيت الإمامة، فإنه أحسن فيه كل الإحسان في نصرته مذهب الزيدية في تقديم أمير المؤمنين عليه السلام على المشائخ، وأورد من الأسئلة العجيبة في هذا المعنى على المتقدمين عليه ما يشهد بأنه البحر الزخار، والقمر النوار، والغمام المدرار.

وله في الفقه التصانيف العجيبة التي تشهد بتدقيقه وحسن تحقيقه، ومعرفته بالاختلاف بين الفقهاء، وجودة غوصه على استنباط الغرائب نحو: كتاب الفرائض والسنن، وكتاب الطهارة، وكتاب صلاة اليوم والليلة، ومسائل علي ابن جهشيار، وغير ذلك من تصانيفه. وكذلك كلامه عليه السلام في علوم القرآن فإنه إذا أخذ يتكلم فيها؛ فكأنه فنه الذي عليه نشأ. وله كتاب الناسخ والمنسوخ.

فأما زهده عليه السلام وورعه فمما لا يتمارى فيه اثنان، ولا يترادُّ فيه رجلان. شهد العداء بفضله كالأولياء والفضل ما شهدت به الأعداء

وله عليه السلام كتاب سياسة النفس؛ الذي من شاهده علم أنه خرج من قلب خاشع، وكذلك غيره من رسائله في الوعظ والتذكير.

وروى السيد أبو طالب عليه السلام ^(١) بإسناده عن أبي عبدالله الفارسي قال: حججنا مع القاسم عليه السلام، فاستيقظت في بعض الليل فافتقدته، فخرجت وأتيت المسجد الحرام فإذا أنا به وراء المقام لاطياً بالأرض ساجداً، وقد بَلَ الثرى بدموعه، وهو يقول: إلهي من أنا فتعذبني، فوالله ما تشينُ ملكك معصيتي، ولا تزين ملكك طاعتي. قال السيد أبو طالب: وحكي عن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهما السلام عن أبيه: أن المأمون كلف بعض العلوية أن يتوسط بينه وبين القاسم عليه السلام ويصل ما بينهما على أنه يبذل له مالاً عظيماً، فخاطبه في

(١) الإفادة ٩٩.

أن يبدأ بكتاب أويجيب عن كتابه، فقال عليه السلام: لا يراني الله أفعل ذلك أبدا .

قال السيد أبو طالب^(١): ومن فحول أشعاره قوله عليه السلام:

وَنَى التَّهْجِيرَ وَالدَّلْجَ ^(٢)	وَأَقْصَرَ فِي الْمَنَى لِحِجِّ
وَطَافَ بِحَالِكِي وَضَحَّ	عَلَيْهِ مِنْ الْبَلَى نَهْجُ
فَقَلَّتْ لِنَفْسٍ مَكْتَثِبٍ	عَلَاءَ مَنْ الرَّدَى ثَبَجُ
قَطَى مَا دَمَتْ فِي مَهْلٍ	فَبَانَ الْحَبْلُ مُنْدَمِجُ
وَلَا تَسْتَوْقِرِي شُبَهَاءَ	فَوَجَّهَ الْحَقُّ مُنْبَلِجُ
وَزُورَ الْقَوْلِ مُمَّحَقُّ	إِذَا ضَاقَتْ بِهِ الْحُجُجُ
فَهَبِكِ رَتَعْتُ فِي مَهْلٍ	أَلَيْسَ وَرَاءَكَ اللَّجْجُ
وَعَسَاذِلَةَ تُورِقُنِي	وَجَنَحَ اللَّيْلِ مُعْتَلِجُ
فَقَلَّتْ: رَوِيْدَ عَاتِبَةٍ	لِكُلِّ مَهْمَةٍ فَرَجُ
أَسْرَكَ أَنْ أَكُونَ رَتَعُ	بِتُ حَيْثُ الْمَالُ وَالْبَهْجُ؟
وَأَنِي بَتُّ بِصَهْرِنِي	لِحَرِّ فَرَاقِهِ وَهَجُ
فَأَسْلُبُ مَا كَلَّفْتُ بِهِ	وَيَبْقَى الْوِزْرُ وَالْحَرْجُ
ذَرِنِي خَلْفَ قَاصِيَةِ	تَضَايِقِ بِي وَتَنْفَرِجُ
وَلَا تَرْمِنِي بِي غَرَضًا	تَطَايِرَ دُونَهُ الْمَهْجُ
إِذَا أَكْدَى حَيَا وَطَنَ	فَلِي فِي الْأَرْضِ مُنْفَرِجُ

وله عليه السلام في الرصايا والحكم والآداب الجامعة للدين والدنيا كتاب المكنون .
وكان عليه السلام مستجاب الدعوة . روى الشيخ أبو الفرج في كتابه الصغير في أخبار
الطالبين [٥٥٦]: أن القاسم عليه السلام دعا إلى الله في مخمصة فقال: اللَّهُمَّ

(١) الإفادة ٩٠ .

(٢) الدلج: السير في أول الليل .

إني أسألك بالاسم الذي دعاك به سليمان بن داوود فجاءه العرش قبل ارتداد الطرف ، فتهدل البيت عليه رطبا . وروى بإسناده : أنه عليه السلام دعى مرة في ليلة مظلمة فقال : اللهم إني أسألك بالاسم الذي إذا دعيت به أجبت ، فامتلا البيت عليه نوراً . وروى الإمام المنصور بالله عليه السلام : أن المأمون توصل بمن قدر عليه في أن يضافه ويأمن جانبه ، فأبى ذلك أشد الإباء ، وبعث الحروري بوقر سبعة أبغل دنائير على أن يأخذها ويجيب عن كتابه أو يبتدئه بكتاب ، فكره ذلك ورد المال ، وكان قد مال إلى حي في البادية يقال لهم : حرب ، فحاربوا دونه ، وكما رد المال لأمه أهله ، فقال :

تقول التي أنارد لها	وقاء الحوادث دون الردى
أست ترى المال منهلة	مخارم أفواهاها باللهي؟
فقلت لها وهي لوأمة	وفي عيشها لو صحت ما كفى
كفاف امرء قانع قوته	ومن يرض بالقوت نال الغنى
فإني وما رمت من نيله	وقيلك حب الغنى ما ازدهى
كذي الداء هاجت له شهوة	فخاف عواقبها فاحتى ^(١)

وكان له عليه السلام أصحاب أخذوا العلم عنه ؛ كأولاده النجباء : محمد ، والحسن ، والحسين ، وسليمان ، ومحمد بن منصور المرادي ، والحسن بن يحيى ابن الحسين بن زيد بن علي عم يحيى بن عمر الخارج بالكوفة ، ويحيى بن الحسين ابن جعفر بن عبيدالله صاحب كتاب الأنساب ، وله إليه مسائل . ومنهم : عبدالله ابن يحيى القومسي العلوي الذي أكثر الناصر للحق الحسن بن علي عليه السلام الرواية عنه ، ومنهم : محمد بن موسى الخوارزمي العابد قد روى عنه فقها كثيرا ، وعلي ابن جهشيار ، وأبو عبدالله أحمد بن محمد بن الحسن بن سلام الكوفي صاحب فقه كثير وروايات غزيرة . ذكر ذلك السيد أبو طالب عليه السلام ^(٢) .

(١) المصاييح : ٥٥٦ .

(٢) الإفادة : ٨٩ .

ذكر بيعته عليه السلام ونبذ من سيرته واستتاره^(١)

لما استشهد أخوه محمد بن إبراهيم عليه السلام وهو بمصر دعا إلى نفسه، وبث الدعاة وهو على حال الاستتار، فأجابه عالم من الناس من بلدان مختلفة، وجاءته بيعة أهل مكة والمدينة والكوفة، وأهل الري وقزوين وطبرستان وتخوم الديلم، وكاتبه أهل العدل من البصرة والأهواز، وحشوه على الظهور وإظهار الدعوة، وأقام عليه السلام بمصر نحو عشر سنين، واشتد الطلب له هناك من عبدالله بن طاهر فلم يمكنه المقام، فعاد إلى بلاد الحجاز وتهامة، وخرج جماعة من دعائه من بني عمه وغيرهم إلى بلخ والطالقان والجوزجان؛ فبايعه كثير من أهلها، وسأله أن ينفذ إليهم بولد له ليظهروا الدعوة، فانتشر خبره قبل التمكن من ذلك، فوجهت الجيوش في طلبه، فأنحاز إلى حي من البدو واستخفى فيهم، وأراد الخروج بالمدينة في وقت من الأوقات، فأشار عليه أصحابه بأن لا يفعل ذلك، وقالوا: إن المدينة والحجاز تسرع إليهما العساكر ولا يتمكن فيها من الميرة^(٢)، ولم يزل على هذه الطريقة مثابراً على الدعوة، صابراً على التغرب والتردد في النواحي والبلدان، متحملاً للشدة مجتهداً في إظهار دين الله .

ولما اجتمع أمره وقت خروجه بعد وفاة المأمون وتولي محمد بن هارون الملقب بالمتعصم شدد محمد هذا في طلبه، وأنفذ عساكر كثيفة في تتبع أثره، وأحوج إلى الانفراد عن أصحابه، وانتقض أمر ظهوره. ذكره السيد أبو طالب عليه السلام قال: وله بيعات كثيرة في أوقات مختلفة أولها سنة تسع وتسعين ومائة، والبيعة الجامعة لفضلاء أهل البيت عليهم السلام كانت سنة عشرين ومائتين في منزل محمد بن منصور المرادي بالكوفة، فإنه بايعه هناك أحمد بن عيسى بن زيد فقيه

(١) ينظر الإفادة : ٩٤، والمصابيح ٥٦٣-٥٦٤ .

(٢) وهي جلب الطعام .

آل رسول الله ﷺ وعابدهم، وعبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن الفاضل الزاهد، والحسن بن يحيى بن الحسين بن زيد، وكانت فضيلة السبق إلى منابذة الظالمين انتهت إلى هؤلاء، فاتفقوا على بيعة القاسم عليه السلام، وكانوا قد امتحنوا على فضلهم المشهور بالاستتار الشديد.

روينا عن السيد أبي طالب عليه السلام في أماليه [١٢٧-١٢٨] قال: روى أبو عبدالله محمد بن يزيد المهلبى قال: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي قال: صرت إلى أحمد ابن عيسى وهو متوار بالبصرة فقال لي: لما طلبنا هارون - يعني الملقب بالرشيد - خرجت أنا والقاسم بن إبراهيم وعبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ففرقنا في البلاد، فوقعنا إلى ناحية الري، ووقع عبدالله بن موسى إلى الشام، وخرج القاسم بن إبراهيم إلى اليمن، فلما توفي هارون اجتمعنا في الموسم فتشاكينا ما مر علينا، فقال القاسم عليه السلام: أشد ما مر بي أني لما خرجت من مكة أريد اليمن في مفازة لا ماء فيها ومعى بنت عمي وهي زوجتي وبها جبل، فجاءها المخاض في ذلك الوقت، فحفرت لها حفرة لتتولى أمر نفسها، وضربت في الأرض أطلب لها ماءً، فرجعت وقد ولدت غلاماً وأجهدتها العطش فألححت في طلب الماء فرجعت إليها وقد ماتت والصبي حي، فكان بقاء الغلام أشد علي من وفاة أمه، فصليت ركعتين ودعوت الله أن يقبضه فما فرغت من دعائي حتى مات.

وشكى عبدالله بن موسى: أنه خرج من بعض قرى الشام وقد حُتَّ عليه الطلب وأنه صار إلى بعض المسالح^(١) وقد تزيأ بزبي الأكرة^(٢) والفلاحين، فسخره بعض الجند وحمل على ظهره شيئاً، وكان إذا أعيأ ووضع ما على ظهره للاستراحة ضربه ضرباً شديداً وقال: لعنك الله ولعن من أنت منه!

(١) أي الثغور.

(٢) الحراثين المزارعين.

وقال أحمد بن عيسى : وكان من غليظ ما نالني أنني صرت إلى ورزتين ومعني ابني محمد ، وتزوجت إلى بعض الحاكة هناك ، وتكنيت بأبي حفص الجصاص ، فكنت أغدو وأقعد مع بعض من أنس به من الشيعة ، ثم أروح إلى منزلي كأنني قد عملت يومي ، وولدت المرأة بنتا . وتزوج ابني محمد إلى بعض موالي عبد القيس هناك ، فأظهر مثلما أظهرته ، فلما صار لابنتي نحو عشر سنين طالبني أخوالها بتزويجها من رجل من الحاكة له فيهم قدرٌ ، فضقت ذرعا بما دفعت إليه ، وخفت من إظهار نسبي ، وألح القوم عليّ في تزويجها ؛ ففرغت إلى الله تعالى وتضرعت إليه في أن يختار لها ويقبضها ويحسن عليّ الخلف ، فأصبحت الصبية عليلة ثم ماتت من يومها ، فخرجت مبادرا إلى ابني محمد أبشُرهُ فلقيني في الطريق ، وأعلمني أنه ولد له ولد فسميته علياً ، وهو بناحية ورزتين لا أعرف له خبراً للاستتار^(١) الذي أنا فيه^(٢) .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام بإسناده عن أبي عبد الله الفارسي قال : ضاق بالإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام المسالك ، واشتد الطلب ونحن مختلفون معه خلف حانوت إسكاف من خلّص الزيدية ، فنودي نداءً يبلغنا صوته : برئت الذمة ممن أوى القاسم بن إبراهيم ومن لا يدل عليه ، ومن دلّ عليه فله ألف دينار وكذا وكذا من البزّ ، والإسكاف مطرق يسمع ويعمل لا يرفع رأسه ، فلما جاءنا قلنا : ما ارتعت؟ قال : ومن لي بارتياحي ، ولو قرّضت بالمقاريض بعد رضي رسول الله صلى الله عليه وآله عني في وقاية ولده بنفسي . فأقام عليه السلام طول مدته مخيفاً للظالمين ، شجى في حلوق الفاسقين غير أن المقادير لم تساعد إلى كل ما أراد من رخص أدران الفساد .

(١) في (أ) إلا الاستتار .

(٢) الأما لي ١٢٨ .

(٣) الإفادة ٩٩ .

قال السيد أبو طالب عليه السلام^(١) : وكان القاسم عليه السلام انتقل إلى الرّس في آخر أيامه ، وهي أرض اشتراها عليه السلام ورآه جبل أسود بالقرب من ذي الحليفة ، وبنى هناك لنفسه ولولده وتوفي بها - وقد حصل له ثوابُ المجاهدين من الأئمة السابقين - سنة ست وأربعين ومائتين ، وله سبع وسبعون سنة ، ودفن فيها ومشهده معروف يزوره من يريد زيارته فيخرج من المدينة إليه .

ذكر نكت من كلامه عليه السلام :

قال عليه السلام في صدر كتاب المكنون : أستعصم الله بعصمته التي لا تهتك ، وأسترشد به إلى السبيل الذي ينجو به من الردى من هلك ، وأستوهبه التوفيق لهدايته ، واحظ الوافر من طاعته ، وأرغب إليه في إلهام حكمته ، واجتنب معصيته^(٢) .

وقال عليه السلام فيه : يا بني وأخيراً خصال المرء أن يكون على خلاله مستشرفاً ، ولا وده مثقفاً ، وبما يكون له من غيره متعرفاً من جميل يومئذ به إليه ، أو مذموم خليفة يطعن من أجلها عليه ، يا بني فكل من لم يفصل بالتمييز ما يعنيه من زمنه ، ويحذر مضلات فتنه ، ويدخر لنفسه في جدته ما يحمدُ غبه في عاقبته ، ويختر الزيادة على النقصان ، والريح على الخسران ، فهو كالماصٍ لثدي أمه ، المخدوج قبل تمه^(٣) .

ومن كلامه عليه السلام فيه : ومن أعجب العجائب ذو شيبة مُرّ تد بالنوائب ، متسرّبل بالمصائب ، يستنكر رتب التصاريف ، ويفجرُ أمامه بالتسويق ، وذلك لضعف نحيزته^(٤) ، ونسيانه لما يتصرف فيه من أزمته ، وكثرة سهوه وغفلته عما

(١) الإفادة ١٠٠ .

(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم ٢/ ٢٩٣ .

(٣) المجموع ٢/ ٢٩٦ .

(٤) نحيزة الرجل : طبيعته .

قد أفهمته خبرته ، وانتظمته تجربته ، فلو غُيِبَ عن العاقل اللبيب كل أمر عجيب مما فُطر عليه المفطورون ، وقَصُرَ عن الإحاطة بخبره العالمون ؛ لكان فيما طبع عليه في ذات نفسه ، وما يمر به في يومه وأمسه : من الفقر والغنى ، والسراء والضراء ، والأخذ والعطاء ، والبذل والإكداء ، وكثرة السكوت وطول الصموت ، والإكثار في المنطق والهذر ، وسرعة القلق ، والجد والهزل ، وغلبة الجهل على العقل ؛ له أشغل شاغل عن الفكرة في خلأئق الإنسان ، وتضاد ما يختلف فيه من الجهل والعرفان ، والموثوق منها معروف ، والمعلّى منها مشغوف ، فمن جنح إلى الأقل كبح واستوجل^(١) ، وذمّ غب المصدر ، وكان من أمره على خطر ، وأندمته آخرته لما قد دنته على علمه أوليته ، وليس بحكيم من مال إلى الأمر المذموم . والخيلاء بالفضل بجانب لسبيل العقل ، ومن جعل غيره لعينه نصبا ، وأظهر على من سواه في سيء أفعاله عتبا ، وكان الذي فيه لطالب عثرته أعتب^(٢) ، كان الواجب عليه أن يكون على نفسه أعتب ؛ لأن من استنكر أمراً من غيره يرضى في نفسه بمثله فقد دل على جهله ، ومن سهى عما يعنيه كان ما لا يعنيه أجدر أن لا يؤاياه^(٣) .

وقال عليه السلام : وإن من المنكرات في من يسم نفسه بميسم الخيرات أن يضرب بطرفه صاعدا ، ويكون على غيره واجدا ، ولزناده زاندا ، كأنه قد تهذب من الأدناس ، وأمن معتبة^(٤) الناس ، واستقام على سوق الريادة للمستريد ، أو ما عرف المعدوم من الموجود ، والخير من الشر ، والنفع من الضر ، والحر من القُر ، حيث سلك في أحشائه ، واتصل بحواسه وأجزائه ، ثم أدته الأركان إلى الأركان ، والروح إلى الجثمان ، ثم صرفته تلك العوارض الخاطرة ، والنوازل السائرة

(١) في (أ) فاستوجل .

(٢) في (أ) أعيب .

(٣) مجموع رسائل الإمام القاسم ٢ / ٢٩٧ - ٢٩٨ .

(٤) في (أ) مغيبة .

فاستنفرته إلى السخط مرة وإلى الرضى أخرى؛ فأسرف في الخلتين^(١) ومال عن النجدين، فأين مستقر القديم منه^(٢)؟ حيث لم يدرأ عنه النوازل الممضنة، والآفات العارضة، ويستدعي لنفسه بدراته لذلك عاجل السلوة، وينفي عنها نواذر الشقوة، ويعاود ما يديم له السرور، ويدفع عنه المحذور، ولو ألهم نفسه أحسن ما يلهم لزاح عنه خاطر الهم، ولم يعدم محمود العاقبة وعلو الذكر في القيام، والصوت الرفيع في محافل الأقسام، ولا قصر عن شقشقتة وشهد بالفضل المزائل^(٣) طريقته، ولكنه لم يحم أنفه، وقل عن مزائلة ما تهواه نفسه إلفه، فامتشجت^(٤) الادواء في آرابه، واستلبته رصين آدابه؛ فابتغى السلامة من غير جهتها، والراحة بعد فوتها، كلا لن يكون فرع من غير أصل، ولا جود إلا ببذل، ولا زكا مخلوق إلا بفضل يُجسَّم فيه نفسه المجهود، ويستدعي لها^(٥) الثناء المحمود، ويجنبها الموبقات والشهوات المرديات، وليس من نفس إلا وهي تراود صاحبها على الهوى، وتدعوه إلى موارد الردى، فمن أعطاها زمامه أركبته ردعه^(٦). ومن منعها ما تهوى فاز بالرعيا، ففي هذا لكم يا بني بيان ومعتبر. ومن لم يستظهر بالحزم على مذاق الأخلاق ودناءتها، ويزجر النفس عن شهواتها، قصر دون رميته، ولم يدرك الثناء الذي سما إليه بأمنيته.

ومن أحب أن تخضع له غلب الرقاب، ويقل في طاعته الارتباب، وينتهي عن أمره ونهيه، ويقتدى برأيه، فليأصر^(٧) نفسه من ذلك على ما يريد من غيره؛

(١) في (أ) في الخلين .

(٢) في (أ) فيه .

(٣) في (أ) لمزائل .

(٤) أي : اختلطت .

(٥) اللهاب : اشتعال النار، إذا خلص من الدخان . قاموس ١٧٣ .

(٦) الردع : بمعنى الكف أو المنع .

(٧) الأصر : الحبس . قاموس ٤٣٨ .

فإن انقادت لأمره، وازدجرت عند زجره؛ فليضمم كفه من غيره على إنفاذ أمره؛ لأن تهذيب المرء لطريقته يدعو إلى طاعته، والمقصر عن طلب منفعته تزل موعظته عن القلوب زلول القطر عن الصفوان الصليب، فأوقعوا يا بني الموعظة بقلوبكم، فيا أيها المبتغي الدرك في العاجل، والفوز في الآجل، اجعل لك من نفسك موعداً تحظ به اليوم، وتفز به غداً، بصدق لا يُشاب بالتفنيدي، ورجاء الموعود وخوف الوعيد، واسمُ لما أحببت من ذلك بالعقل العتيد، والرأي السديد، والفعل الحميد، وأنا سفيرك فيه بالدرك لما تريد، وإنما أعجز الطلاب ما إليه يسمون تعسفهم السبيل^(١) التي فيها عن القصد يجورون، فلم يُدركوا ما طلبوا، ولم ينالوا ما أحبوا^(٢).

وقال عليه السلام: والعقل آمنٌ أمين، وأفضل قرين، فاستأمنه على أحوالك وجميع خلالك، واعرف ما عرفك، وإذا أحمدت من أحد مذهباً فكن لمثله متسبباً^(٣)، ولكل ما تستكره من غيرك مجتنباً، ولتكثر من مستتر عيوبك وحشتك، وليقل بخفياتها أنسك، فإن اكتتاماها كالمحرض على أمثالها، وإذا امتلأ الإناء انكفاً، وإذا تنوسخ السرفشا.

وقال عليه السلام: عليك بالحلم، فإنه ليس يسمي الرجل حليماً حتى يملك نفسه عند الغضب، ولا جواداً حتى يفيد إذا ازلام الأذب^(٤)، وإنما يوصف بالنجدة من باشر أهل البأس والشدة، (وللمحاسن والمحامد نواد معتمدة، تطلع إليها الأفتدة)^(٥)، ثم يُبذل فيها الغالي من الأثمان، وتنضى لها العيس إلى البلدان،

(١) سقط من (أ) السبيل.

(٢) مجموع رسائل الإمام القاسم ٣٠١/٢.

(٣) في (أ) مسيباً.

(٤) ازلام: ازلام الضحى: انبسط. تاج العروس ٣٢٤/١٦. وأذب: الأذبة لغة في الأزمة وهي الشدة والقحط. تاج العروس ٣٠٢/١.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ).

فمن سره أن يشهد بالجميل والإحسان فليشهد التي منها يتناقلان، ثم ليظهر منها ما يسير في الآفاق خبره، ويعظم بها في الناس خطره، ثم ليُقوم من نفسه بحسن التعاهد لها أو دها، وليأخذ منها لها ما تزين به غدها، فإن الأخلاق إذا سمحت، والعلانية والسريرة إذا ضحت، كانت غنائم يرتحل إليها المرتحلون، وأحاديث حسنة ينقلها الناقلون، وتبجيلا لصاحبها في العالمين، وغبطة^(١) يغبط بها يوم الدين.

والواجب في الأخلاق أكثر من الواجب في الأموال، وأفضل في جميع الأحوال، وإنما يُعظم ذو المال ما كان موثلاً، فإذا تخرم ماله عاد دحيراً قليلاً، والأخلاق لا يبلى جديدها، ولا يطيش سديدها، وفضل صاحبها باق في حياته وبعد وفاته، والمال ثوب تخلق جدته، وتسلم سداه وحمته. وأحق الأشياء بالصون العرض^(٢) الصحيح، والحسب الصريح. ومن آتاه الله قلباً ذكياً وزناداً ورياً وخلقا مرضياً، وسخى مذكوراً، وعقلاً زكياً، وفهماً رضيعاً، وعلماً بتقلب الأحوال وتصرف الأيام والليالي، ولساناً يؤدي إليهما معرفة خلف الأزمان، ويمتتهن فيما يعود على نفعه كل الامتهان، ثم زم نفسه عن الكبرة، واعتاض من التجبر حسن العشرة، وقل افتخاره عند مناظرته، ولم يستدع نظيره إلى مباحثته، ولم يجار المجاري^(٣) له من طبقاته في طريق مساواته، ولم يخرج من القول إلى ما لا يعلم ولا من الفعل إلى ما يُستعظم، فقد شرى لنفسه محمداً الحاضر والباد، واجتهد لنفسه في مصلحته أشد الاجتهاد، واستحق التعظيم من جميع من ضمنته أقطار البلاد، واجتمعت له الطرائق السمحة، وراحت عنه المذاهب المستقبحة، وجرى عليه اسم الخيرة، ونظرت به بالنواظر المبجلة كل عين مبصرة، وحاز حد

(١) سقط من (أ) وغبطة. والغبطة بالكسر: حسن الحال والمسرة. قاموس.

(٢) في (أ) العريض.

(٣) في (أ) ولم يجاز المجاري.

الأكفاء، واعترف له بالفضل كل النظراء^(١).

ومن كلامه ﷺ: من عجز إدراك الحواس باريها ثبت له التوحيد، وباستحقاق التوحيد ثبت العدل؛ لأن المتفرد بالوحدانية لا يجوز لوجود الجور فيمن ليس بواحد. ولما ثبت العدل وجب الوعد على المطيع، والوعيد على العاصي، ولما صح الوعد والوعيد وجب التحايز بين المتظالمين، وهو بالرسول الأمر الناهي بما آتاه الله بعد استحقاقه منه الرسالة^(٢) بالطاعة والاتصال به، فأظهر عليه علامة الاتصال بالمعجزات والدلالات فرقا بين المتصل والمنقطع عن الله، ليصح خبر رسوله عنه، ولما لم تجر في العقل مشافهة الباري وخطابه لخلقه خاطبهم منهم بجنسهم ومثلهم؛ إذ ليس في فطرهم غير ذلك^(٣).

ومن كلامه ﷺ: من لم يعلم في دين الإسلام خمسة من الأصول فهو ضال جهول: أولهن: أن الله سبحانه واحد ليس كمثله شيء، وهو خالق كل شيء، يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير. والثاني من الأصول: أن الله سبحانه عدل حكيم، غير جائر لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولا يعذبها إلا بذنبها. لم يمنع أحدا من طاعته بل أمره بها، ولم يدخل أحدا في معصيته بل نهاه عنها. والثالث من الأصول: أن الله سبحانه صادق الوعد والوعيد، يجزي بمثقال ذرة خيرا، ويجزي بمثقال ذرة شرا. من صيره إلى العذاب فهو فيه أبدا خالد مخلد كخلود من صيره إلى الثواب الذي لا ينفد. والرابع من الأصول: أن القرآن المجيد فصل محكم وصراط مستقيم، لا خلاف فيه ولا اختلاف، وأن سنة رسول الله ﷺ ما كان لها ذكر في القرآن ومعنى.

(١) مجموع الرسائل ٢/٣٠٨-٣٠٩.

(٢) في (أ) للرسالة.

(٣) مجموع الرسائل ١/٦٥١.

والخامس من الأصول: أن التقلب بالأموال والتجارات في المكاسب في وقت ما تُعطلُ فيه الأحكام، وينتهب ما جعل الله للأرامل والأيتام والمكافيف والزمنى وسائر الضعفاء - ليس من الحل والإطلاق كمثلته في وقت ولاية العدل والإحسان والقائمين بحدود الرحمن، فجميع هذه الأصول الخمسة لا يسع أحدا من المكلفين جهلها، بل يجب عليهم معرفتها^(١).

وقال عليه السلام في بعض مواعظه: أما بعد، فإن الدنيا دار غرور، لا يدوم فيها سرور، ولا يؤمن فيها محذور. جديدها يبلى، وخيرها يفنى. من وثق بها خدعته، ومن اطمأن إليها صرعته، ومن أكرمها أهانته. أفراحها تعقب أحزانها، ولذاتها تورث أشجانها. أما بعد: فإن أعمار الدنيا قصيرة، ورحاها مديرة، وسهاماتها قاصدة، وحتوفها راصدة. المغرور من اغتربها، والمخدوع من ركن إليها. من زهد فيها كُفيها، ومن رغب عنها وُطيها قد غرت القرون الماضية، وهي على الباقيين آتية؛ فيا بؤسا للباقيين لا يعتبرون بالماضين، يجمعون للوارثين، ويقيمون في محلة المتحيرين.

أما بعد: فاقنع باليسير، وبادر في التشمير^(٢)، وإياك والتغريب، وانظر إلى ما تصير، فليس الأمر بصغير، وهين زادك للمسير، فقد أتاك النذير. أما بعد: فقد وضع لك الطريق؛ فلا تحيدن عن إبطاره إلى المضيق، فقد مضت الأيام وذهبت الأعوام، وفنيت الأعمار وأحصيت الآثار، وعن قليل تدعى فتجيب، وتظعن فتغيب؛ فعجب لقلبك كيف لا يتصدع، وعجب لركنك كيف لا يتضعض، وعجب لجسمك كيف لا يتزعزع؟! أما بعد: فإنه ليس لحي في الدنيا مقام، وعن قليل يأتيك الحمام، وكل خلق تغنيه الأيام، فلا تكن كالغافل النائم، فإنما

(١) مجموع الرسائل ١/٦٤٧-٦٤٨.

(٢) سقط من (أ) وبادر في التشمير.

الدنيا إلى انصرام، ولن يرى فيها دوام .

أما بعد : فاتقوا الله عباد الله فيما تقدم^(١) إليكم واحتج به عليكم، من قبل اللّهُف والندم، ومن قبل أخذ بالكظم وانقطاع المدة، واستكمال العدة، ومن قبل التلاقي واللزام، وأخذ بالنواصي والأقدام، فكأن قد نزلت بكم نازلة الفناء، وأخرجتم إلى دار البقاء، وكشف عنكم الغطاء، وتجرعتم سكرات الموت، وخضتم غمرات الآخرة، وأتاكم ما كنتم توعدون، وعايتم ما كنتم تحذرون .

أما بعد : فإنه لا عذر لمن هلك بعد المعرفة والبيان، ولا حجة لمن ركن إلى دار الفناء والحدثان، ولا ندم يغني عند وقوع العيان، ولا حيلة تنفع عند فوت الزمان، وعند السياق وكلول اللسان، ولا ولد ينفع، ولا أهل يمنع، في مصرع هائل، وشغل شاغل، يدعا فلا يسمع، وينادي فلا يجيب، في غصص الموت وسكراته، وتجرع زفراته، وغمومه وحسراته، قد علاك الأنين، وأتاك الأمر اليقين، فلا عذر فتعتذر، ولا ردة فتزدرج، قد عاينت نفسك حقائق الأمور، وحللت في مساكن أهل القبور، في ملحد محذور، قد افترشت اللبّين بعد لين الوطاء، وسكنت بين الموتى بعد مساكنة الأحياء، فالنجاه النجاه، قبل حضور الفناء .

أما بعد : فإن الدنيا أيام قلائل، وكل ما فيها ذاهب زائل، فتعز بالصبر عن الشهوات، وتناء بالحذر عن اللذات، وفكر فيما اقترفت على نفسك من الذنوب، وفيما قد ستر الله عليك من العيوب .

أما علمت حين عصيته أنه^(٢) لم يكن بينك وبينه ستر يواريك منه، أما استحيت من مولاك؟! وقد علمت أنه يراك، أما خفت العقوبة حين آثرت على تقواه هوأك؟! .

(١) في (أ) قدم .

(٢) في (أ) ساقطة (أما علمت) و (أنه) .

أما بعد: فيا بؤسا من مخالف خاسر، وخائن غادر!!، أما إنك عن قليل، تهجم على البلاء الطويل، فتدرك نفسك إذا عرّضتها للمهالك، واسلك^(١) الطريق الواضح من المسالك، ولا تطعمها^(٢) في راحتها أيام حياتها، واستطرف لها النصب، واحملها على التعب؛ لما ترجو أن تصير إليه من الراحة غدا، فكأنك قد دعيت فأجبت، فاعمل لنفسك ما دمت في مهلة، وفقنا الله وإياك لما يحب ويرضى.

أما بعد: فاحذر على نفسك خثر الدنيا ومكرها، وخذعها وغدرها؛ فإنها متبرجة لطلابها فاحذرها، لا تكن لها قتيلا، والتمس لنفسك^(٣) للنجاة منها سبيلا، وانظر لنفسك أيام مكثك فيها، واعلم أنها مرحلة سكانها، وأن متاعها قليل، وخطبها جليل، ونعيمها زائل، وخيرها مائل.

أما بعد: فكن في سفرك مرتادا، وهين عدة وزادا؛ فكأنك قد خرجت من روح الدنيا إلى ضيق اللحد وخشونة متكنه^(٤)، فتيقظ من نومة الغافلين، وانتبه من وسنة الجاهلين، وانظر بعينك إلى مصارع المغترين، ومضاجع المستكبرين، أليس ديارهم خالية، وأجسادهم بالية، ومساكنهم مقفرة، وعظامهم نخرة، وعروقهم بالية، وأيامهم فانية؟

أما بعد: فإنك لو رأيت يسير ما بقي من عمرك وأجلك لزهدت في طول ما ترجو من أملك، ورغبت في الزيادة من عملك؛ فإنك إنما تلقى غدا في حفرتك، وتُخلى في هدتك^(٥)، وتبرأ منك القريب، ويتسلى منك الحبيب، فلا

(١) في المجموع «واسلك بها».

(٢) في (أ) تطعمها.

(٣) سقط من (أ) والتمس لنفسك.

(٤) في المجموع «المتكأ».

(٥) الوهدة: الهوة تكون في الأرض.

أنت إلى أهلك راجع، ولا في عمالك زائد شارع، فاعمل ليوم القيامة ليوم^(١)
الحسرة والندامة.

أما بعد: فلا يمل بك الأمل الكاذب، ولا تكن كالشاهد الغائب؛ فإنك
والقوم على بساط واحد، والموت يأتي على كل صادر ووارد، فلا يذهبن قولي
لك^(٢) صفحا، فإنني لم آلك حضاً ونصحا؛ فإن تقبل نصيحتي فأنت لذلك
أسعد، وبه أعلى عينا وأرشد، وعن قليل يأتيك الخبر، فالحذر الحذر، فإنه يأتي
أسرع من ملح البصر.

أما بعد: فإن الدنيا بحر عميق، ولنيرانها لهب وحريق، ولطرقها مفاوز
ومضيق، فاتخذ زادا^(٣) لبعدها مفاوزها ومضيقها، فأعد عدة السير تزحزح به عن
لهبها وحريقها، واتخذ سفينة تنجو بها من بحر عميقها، وقرب عليك الأجل، لا
تخدعك بآمالها ومكرها، وقد عرفتك نفسها، وأوضحت لك لبسها، فلا تعم
وأنت بصير، ولا تأمن وأنت بتحذير، فإن الذي بقي من عمرك قليل، فإما الثواب
الجزيل، وإما البلاء الطويل، فكن بعملك متفعا، وللموت متوقعا، فإنك لا
تدري على أي حال يأتيك، وفي أي وقت يفاجيك، فعجبا لك يا مكنون الأجل،
كيف تغتر بطول الأمل! فأبك على نفسك إن كنت باكيا، وتيقظ من غفلتك إن
كنت لاهيا.

أما بعد: فإنك قد أخرجت من روح الدنيا ومساكنها، وأبدت أهلك
لغيرك^(٤) سكنها ومحاسنها، ونسيت ما كان لها من كدك، وتغيرت عما كانت
لك عليه من بعدك، فتمتعوا بمالك، ولم يعبوا بحالك، لمن لا يرثي لك غدا من

(١) في (أ) ومجموع الرسائل: قبل.

(٢) في مجموع رسائل الإمام «عك».

(٣) في المجموع: فالحذر إذا.

(٤) في (أ) وأبدت أهلك بغيرك.

صرعتك، ولا يؤنسك غدا في وحشتك، فلا تبع يا مسكين بدنياك آخرتك، ولا تتخذ لها فتركب رقبتك، وعليك بنفسك أكرم الأنفس عليك، وأحب الأنفس إليك، واعلم أنك مسئول ومحاسب ومعاقب، فارغب في الثواب، وارهب من العقاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم^(١).

وقال عليه السلام في كتاب سياسة النفس: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم، ونسأل الله ولي نعمته الابتداء، ومسهل سبيل قصد الاهتداء، أن يمن علينا وعليكم بشكر نعمه في ابتدائه، ويحسن إلينا وإليكم بعونه على سلوك سبيل أوليائه، التي أرجو أن تكون أنفسكم لها وفيها، ولما أتم عليه لله من التمسك بها، والقصد إليها من الأنفس التي أذن الله بعمارتها، ورمى إليها بأسباب حياتها، فقد عقد الله لكم بذلك لدينا عقد الخلة والإخاء، ووكد بذلك لكم علينا أخوة الخاصة والأولياء، فأيقنوا أنه لم يوصل سبب من الأسباب بين المتواصلين، ولم يعقد خلة من الخلل بين المتخالفين من الأولين من خلق الله لا ولا من الآخرين بغير ما يرضي الله سبحانه من التقوى، ويستحقه جل ثناؤه من الطاعة له والرضى، إلا كانت وصلة حسرة وانقطاع، وخلة ندم غدا واسترجاع، يدعوا أهلها فيها بالويل والعيول، ويصيرون بها في الآخرة إلى خزي طويل، ذلك قوله جل ثناؤه: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]. وقوله تعالى عن القائلين: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٨-٢٩]. ونحن نرجو وليكم الله أن يكون وصلة ما بيننا، وما عقد الله - فله الحمد - عليه خلتنا، سببا عقده الله بالإيمان، وأسس منه على رضوان، فمن أحق بالتعظيم منا له؟ لما كانت الأبرار تعظمه،

(١) أنظر مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم ٢/٤٧٧ - ٤٨٠.

ومن خير ما قدمنا فيه ما كانت الأتقياء^(١) تقدمه ، من كل ما كان لهم على بغيتهم من النجاة دليلا ، وإلى ما يلتمسون من فوز حياة الخلد عند الله سيلا ، من التذكير في بقاء الآخرة ، وفناء الدنيا بما ذكر ، والائتمار في عاجل هذه الدنيا من التقوى بما به^(٢) أمر ، فافهموا ذلك فهما الله وإياكم سبيل الخير ، ونفعنا ونفعكم فيها بمنافع التذكير ، فإنه يقول سبحانه : ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ يَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥] ، والدنيا وإن كان عمرها قصيرا وبقاء أهلها فيها قليلا يسيرا ، فاعلموا رحمكم الله أنها - وإن كانت كذلك - متجر لأرباح فوائد التقوى ، ومكسب غنم لمن تكسب فيها ، ومحل مخصب لمن تزود إليها منها^(٣) ، وذلك أنه خلقها سبحانه لعبادته ، وأمر خلقه فيها بطاعته ، ونعاها إليهم قبل فنائها ، وأخبرهم جل ثناؤه بقصر مدتها وبقائتها ، فقلل بأحق الحقائق في أعينهم ما يستكثرونه من كثيرها ، وقصر في كتابه الناطق عندهم ما يستطيلونه من تعمييرها فقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا * أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكَكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَا لَهُمْ لَوْلَا الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ [النساء: ٧٧-٧٨] . وقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا * كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبِسُوا إِلَّا

(١) في (أ) الأيقينا .

(٢) في (أ) غاية .

(٣) في مجموع رسائل الإمام القاسم ٢ / ٣٣٤ زيادة : «ومعبر لمن تبلغ بما عند ظفريه بكسبها وإلى دار مقام ومحل دوام ليس عنها لمن نزلها انتقال ، ولا منها بعد طولها زوال» .

عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿ [النازعات: ٤٥-٤٦]. وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَيَوْمَ
يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿ [يونس: ٤٥] ^(١).

وقال عليه السلام في موضع آخر من هذا الكتاب: واعلموا أن القلوب كالآنية
المصدوعة، لما تنازع إليه من غرائزها المطبوعة؛ فإن لم ترهم صدوعها لم يصح
مطبوعها، على بنية اعتداله فيما فطرها الله عليه من كماله، فزموها بالعلم بكتاب
الله وترتيله، والوقوف على محكم تأويله، ففي ذلك لها تقويم وتعديل، وهداية
ونور ودليل، على منهاج خالص الطريق المسابير لها في حب الله وطاعته، وما
أوجب الله على العباد من أثرته وعبادته، وبكتاب الله تنجلي عن القلب ظلم
الخير، وبلطف النظر فيه يدرك حقائق العلم أهل البصيرة، وبسبيل الله فيه
المطرقة تكون هدايات المتقين في الثقة في نيل الغايات القصوى، وبلوغ الدرجات
العلی، وقد زعم بعض أهل الخيرة والنقص، ومن لا يعرف عين النجاة والتخلص
أن الألفاظ في النظر، يدعو صاحبه إلى الخيلاء والبطر، وإنما يكون ذلك كذلك
عند من يريده للترؤس لا لما فيه، وما جعله الله عليه من حياة الأنفس، فانفوا مثل
هذا عن ضمائرکم، وسدوا ثلثة عيبه في سرائرکم، واعلموا أن البحر لا يجاز
يقيناً بئناً إلا بمعبر، وأنه قد يحتاج الشجاع المحارب إلى السلاح في الحرب فكيف
بالغبي المغتر؟، فلا يتعاط أحد سبيل التقوى، وما قرن الله بها من التمحيص
والبلوى، إلا وقد تحصن ^(٢) بالعلم والبصر، الذي ميز الله به بين أهل الخير والشر،
فلا تدعوا- رحمكم الله- حسن النظر في الأمور، والاستضاءة في ظلمها بما جعل

(١) ينظر مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم ٢/ ٢٣٣ - ٢٣٥.

(٢) في (أ) محص.

الله في العلم من النور. واعلموا أن من أبواب ذلك ومفاتيحه، وأضواء ضياء نوره ومصاييحه، إخلاص العمل لله، وصدق التوكل على الله، وسبب الطريق إليها وعون من أراد ما فيها حسن الفكر في الدنيا وفنائها، وتقلب سرائها وضرائها، وفي حال جميع ما فيها من ملوك الأمم خاصة، ومن دونهم من الخلق جميعا عامة، فإنكم إن تفكرتم فتروا بعين الفكرة، وتبصروا أنهم جميعا منهاه وإن اختلفت حالهم فيها من السعادة والشقاء قد غشيهم من همومها كأمثال الجبال، ورمت بهم من غمومها في مثل لجج البحار، فالملك في شغل من ملكه، والمملوك في سطوة مالكة، والمكثر من إكثاره، والمقل من إقلاله، ولن يحاط بوصف أحزانها وأوجاع غموم سكانها^(١).

وقال عليه السلام: فكم بالدنيا من غريق في لجج البحار، وكم فيها ولها من مبتلى بقتل أو أسار، وكم لطالبها، وإفراطه في حبها من ميت غريب ناء عن الولد والأوطان، بين غتم^(٢) لا يعرفونه، وطماطم^(٣) من السودان ينكرونه، لم ييكة هناك ولده ولا أقاربه، ولم تأسف عليه - كما أسف عليها - دنياه، بل تخلوا جميعا منه، وأعرضوا سريعا عنه، فورثوه غير حامدين له فيما جمع، وأسلموه إذ مات لما عمل وصنع، ولعل قائلًا منهم أن يقول: ما كان أفحش حرصه وإبعائه^(٤)! أو قائلًا منهم يقول: ما أقل أو ما أكثر تراثه! تلعبًا بذكره، وتفكها في أمره؛ فاعرضوا هذا رحمكم الله على قلوبكم؛ لأن ينجلي لكم إن شاء الله ما فيها عن الدنيا من العسى، وانظروا إلى من زالت عنه القدرة من أبناء الملوك

(١) انظر مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم ٢/ ٣٤٧-٣٤٨.

(٢) في (أ) عتم. الأغم: البليد. ينظر مختار الصحاح ص ٤٦٩.

(٣) الطماطم: جمع طمطم وهو الذي في لسانه عجمة.

(٤) بمعنى الحبس والصرف. القاموس ٢٢٧.

والعظماء ، كيف صاروا إلى الضعة بعد الرفعة ، والضيق بعد مضطربهم من السعة ، بل انظروا بعد هذا كله إلى من كان هذا أكثر^(١) شغله ، ألم تروا غلظهم في مسالكهم ، ومرتطمهم في مهالكهم ، واعتبروا بهم قبل أن تغرقوا في بحرهم ، وتقعوا في مهالك أمرهم ، وآثروا سبيل أحياء الله على كل سبيل ، (واستدلوا بما كان لهم على سبيلهم)^(٢) من دليل ؛ فإن دليلهم فيه وعونهم عليه ما خالط فكرهم ، وأحيوا به في الفكر ذكرهم من نعيم الآخرة الدائم المقيم ، وما أعد الله لمن حادّه في الآخرة من العذاب الأليم^(٣) . وكلامه عليه السلام كثير في هذا المعنى ، وهو يخرج من قلب خاشع ، وجنان خاضع .



(١) في (أ) أكبر .

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

(٣) أنظر مجموع كتب رسائل الإمام القاسم ٢ / ٣٤٩ .

الإمام الهادي إلى الحق ﷺ^(١)

هو: أبو الحسين يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. نسبٌ يحكي بتلاليه إشراق النهار، وجوهر تغشى أنواره^(٢) الأبصار، وما ظنك بنسب يُردد بين النبي والوصي، وهما خيرتا الملك العلي. وأمه ﷺ: أم الحسن بنت الحسن بن محمد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن.

وُلِدَ بالمدينة سنة خمس وأربعين ومائتي سنة، وحمل حين ولد إلى جده القاسم ﷺ؛ فوضعه في حجره المبارك، وعوده ودعاه له، ثم قال لابنه: بم سميته؟ قال: يحيى، وقد كان للحسين أخ لأبيه وأمه يسمى: يحيى، توفي قبل ذلك؛ فبسكى القاسم ﷺ حين ذكره، وقال: هو والله يحيى صاحب اليمن، وإنما قال ذلك ﷺ لأخبار رويت بذكره وظهوره باليمن، وكان بين ولادة الهادي ﷺ وبين موت جده القاسم ﷺ سنة واحدة^(٣).

صفته ﷺ: قال السيد أبو طالب^(٤): حكى أنه ﷺ كان أسدياً، أنجل العينين، واسع الساعدين غليظهما، بعيد ما بين المنكبين والصدر، خفيف الساقين والعجز كالأسد. وكان ﷺ في حال صباه يدخل السوق، ويقول:

(١) الإفادة ١٠١، والتحف شرح الزلف ١٦٧، وأئمة اليمن لزياره ٥/١، وفتح الباري ١٣/١٠٠، وسيرة الإمام الهادي تحقيق سهيل زكار، وطبقات الزيدية «خ»، وعمدة الطالب (٢٠٤)، سر السلسلة العلوية (٢٨)، وتاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي (١/٢٦٢)، ودرر الأحاديث النبوية ١٩١، الفلك الدوار ٣٣، والأعلام ٨/١٤١، بلوغ المرام ١٤٦، وتاريخ اليمن للواسمي ٢١، ٢٣، وهدية العارفين ٢/٥١٧، وبلوغ المرام في شرح مسك الختام ٣١.

(٢) في (أ) يغشى أنوار الأبصار.

(٣) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ١٠١.

(٤) الإفادة ١٠٢.

ما طعامكم هذا؟ فيقال: الخنطة، فيدخل يده في الوعاء فيأخذ منها في كفه ويطحنه بيده، ثم يخرجها فيقول: هذا دقيق.

وكان يأخذ الدينار فيؤثر في سكته ياصبعه ويمحوها. وكان على رجل له حق قبل قيامه؛ فامتنع من قضائه، فأهوى إلى عمود حديد فلواه في عنقه ثم سواه وأخرج عنقه منه.

وروى السيد أبو طالب عليه السلام^(١) بإسناده: أن يحيى عليه السلام كان غلاماً حَزَوْرًا^(٢) بالمدينة، وكان طبيب نصراني^(٣) يختلف إلى أبيه الحسين بن القاسم على حمار له يعالجه من مرض أصابه، فنزل عن الحمار يوماً وتركه على الباب، فأخذ يحيى عليه السلام الحمار وأصعده السطح، فلما خرج الطبيب لم يجد الحمار، فقبل له: صعد به يحيى السطح، فسأله أن ينزله، فمن المثل السائر: (أنه إنما ينزل الحمار من صعد به) فأنزله وقد دميت بنانه، فبلغ ذلك أباه فزجره وخاف عليه أن ترمقه العيون. وكان يأخذ قوائم البعير المسن القوي فلا يقدر البعير - وإن جهد - على النهوض. وكان يضرب بسيفه عنق البعير البازل الغليظ فيبينه من جسده.

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

فضله عليه السلام لا يخفى، ونور مجده لا يطفى، وظهور حاله يغني عن ذكر محاسن خلاله^(٤)، إلا أنا نذكر من أحواله طرفاً رعاية لحقه الواجب، وهو الذي فقاً عين الضلال، وأجرى معين العلم السلسال، وضارب عن الدين كافة الجاحدين حتى عرف الله من أنكره. ومناقبه أكثر من أن تنظم في سلك المدائح.

(١) الافادة ١٠٢.

(٢) في (أ) حَزَوْر كعلمس: الغلام القوي، ينظر القاموس ٤٧٩.

(٣) في (أ) سرياني.

(٤) الحفلة: الحفلة. القاموس ١٢٨٥.

وقد روينا عن بعض علماءنا رحمهم الله تعالى عن النبي ﷺ أنه قال :
« يخرج في هذا النهج - وأشار بيده إلى اليمن - رجل من ولدي اسمه : يحيى
الهادي ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، يُحيي الله به الحق ، ويميت به الباطل »^(١)
فكان ﷺ هو الذي نشر الإسلام في أرض اليمن بعد أن كانت ظلمات الكفر
فيه متراكمة ، وموجات الإلحاد متلاطمة حتى أنهل من نحورهم الأسل الناهلة ،
وأنقع من هامهم السيوف الظامئة ، فانتعش الحق بعد عثاره ، وعلا بحميد سعيه
من مناره ، فسلام الله على شخصه الكريم .

وروى مصنف سيرته ﷺ قال : بلغنا عن عبدالله بن موسى قال : حدثني
أبي عن بشر بن رافع ورفع الحديث إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه
قال : يا أيها الناس ، سلوني قبل أن تفقدوني ، أيها الناس ، أنا أحلم الناس
صغارا ، وأعلمهم كبارا ، أيها الناس ، إن الله تبارك وتعالى بنا فتح وبنا ختم ، أيها
الناس ، ما تمر فتنة إلا وأنا أعرف سائقها وناعقها - ثم ذكر فتنة بين الثمانين
ومائتين - فيخرج رجل من عترتي اسمه اسم نبي يملأ الأرض عدلا كما ملئت
جورا ، يميز بين الحق والباطل ، ويؤلف الله قلوب المؤمنين على يديه كما يتألف
قزع الخريف ، انتظروه في الأربع والثمانين ومائتين في أول سنة واردة وأخرى
صادرة^(٢) .

ومن نظر في الأمور علم أنه ﷺ المراد بالخبر ؛ لأن مصنف سيرته حكى : أن
وصوله كان إلى صعدة في المرة الأخيرة التي استقر فيها في الجهات لستة أيام
ماضية من شهر صفر ، سنة أربع وثمانين ومائتين في أول سنة واردة وعقيب سنة
صادرة ، وكانت الشرور قد عظمت جدا بين أهل صعدة على كثرتهم وقوتهم في

(١) التحف شرح الزلف ١٠٠ ، وسيرة الهادي ٣٣ .

(٢) المصاييح ٥٨٣ .

ذلك الأوان واشتجر القتل بينهم ، فلما وصل عليه السلام حط بالقرب من المدينة ، ثم خرجوا إليه فوعظهم وذكرهم ، وانتظم الصلح بينهم في الحال ببركته بعد أن كانت فتنهم قد عظمت جدا ، حتى إن قائدا لآل يعفر وصل إلى ناحيتهم يريد الصلح فيما بينهم معه ألوف فما ساعده إلى ذلك ، حتى إنهم يقتتلون وهو واقف في ناحيتهم ، فقتل عشرون قتيلا ، وانتظم أمرهم ببركة الهادي إلى الحق عليه السلام ، واسمه : يحيى اسم نبي وهو يحيى بن زكريا عليه السلام ، فامتلا اليمن ببركته عدلا بعد أن كان فيه بالوقت الذي وافاه من القبائح ما يعظم فيه من مذهب القرامطة والجبرية وسائر الأفعال الزرية^(١) ، وطار فقهه في الآفاق ، حتى صارت أقواله في أقصى بلاد العجم يأنسون بها أكثر من أنس أهل اليمن بها ، وعليها يعتمدون ، وبها يفتون ويقضون^(٢) .

وكان عليه السلام قد نشأ على العلم والعبادة ، حتى صار بمنزلة الطبع له ، ونال من العلم^(٣) من لا يعلم أن أحدا من المشهورين أدركه في وقت إدراكه .

روى السيد أبو طالب عليه السلام^(٤) بإسناده : عن المرتضى محمد بن الهادي عليهما السلام ، قال : إن يحيى بن الحسين بلغ من العلم مبلغا يختار عنده ويصنف وله سبع عشرة سنة ، وهذه من عجائب الروايات (التي تضمنت خرق العادات)^(٥) ، ولا عجب فيمن كانت أعراقه تنتهي إلى الذروة العالية النبوية أن يبلغ هذا الكمال ، ويفوز بمحاسن الخلال ، وقد قال عليه السلام : « اللهم اجعل العلم والفقه

(١) في (أ) الردية .

(٢) سيرة الإمام الهادي ٤١ ، والمصابيح ٥٧٨ .

(٣) في (أ) بمنزلة الطبع ونال في العلم .

(٤) الافادة ١٠٣ .

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ) .

في عقبي وعقب عقبي ، وفي زرعي وزرع زرعي^(١) ؛ فتناوله هذا الدعاء الشريف الموثوق بإجابته ، فارتوى من سلسال العلم المعين ، وتفيأ في ظلال العرفان اليقين ، حتى تفجر العلم من جوانبه ، ونطق من الحكم بغرائبه .

وصنف التصانيف الفائقة ، والكتب البديعة الرائقة ، نحو : كتاب الأحكام وهو مجلدان في الفقه متضمنا من تفصيل الأدلة من الآثار والسنن النبوية والأقيسة القوية - ما يشهد له بالنظر الصائب والفكر الثاقب وحسن المعرفة . ومنها : كتاب المنتخب في الفقه أيضا ، وهو من جلائل الكتب ، وفيه فقه واسع وعلم رائع . ومنها : كتاب الفنون في الفقه مهذب ملخص . وكتاب المسائل^(٢) . مسائل محمد بن سعيد . وكتاب الرضاع . وكتاب المزارعة . وكتاب أمهات الأولاد . وكتاب الولاء . وكتاب القياس . ومنها في التوحيد كتب جليلة القدر ، نحو : كتاب التوحيد . وكتاب المسترشد . وكتاب الرد على أهل الزيغ . وكتاب الإرادة والمشية . ومنها : كتاب الرد على ابن الحنفية في الكلام على الجبرية ، وفيه من الأدلة القاطعة والإلزامات النافعة ما يقضي بأنه السابق في الميدان ، المبرز على الأقران . وكتاب بوار القرامطة . وكتاب أصول الدين . وكتاب الإمامة وإثبات النبوة والوصية . وكتاب الرد على الإمامية . وكتاب البالغ المدرك : وهو قطعة لطيفة ، فيها كلام كأنه الروض ملاحه ونضارة ، والسحر لطفة . وكتاب المنزلة بين المنزلتين .

ومنها : كتاب الجملة . وكتاب الديانة . وكتاب الخشية . وكتاب تفسير خطايا الأنبياء . وكتاب الرد على ابن جرير . وكتاب تفسير ستة أجزاء . ومعاني القرآن تسعة أجزاء ، وكتاب الفوائد جزءان . وكتب سوى ذلك كثيرة ما يقرب من

(١) الشافعي للإمام عبدالله بن حمزة ج ١ ص ٦٩ ، لوامع الأنوار للعلامة / مجد الدين ج ١ ص ١٣ .

(٢) في (أ) ومسائل محمد بن سعيد .

عشرين كتاباً تركناها، وهي ظاهرة مشهورة قد شحنت من محاسن العلم ودرر الفهم ما يشهد بأنه عليه السلام في العلم القمر الباهر والبحر الزاخر، وله الحكايات العجيبة في هذا المعنى التي يتجلى فيها، ويظهر خضوع المخالف وتسليمه، وهي كثيرة ظاهرة، وإنما نذكر منها اليسير فإن القليل يدل على الكثير، وضوء البارق يشير بالنوء المطير، وهل تفتقر الشمس إلى برهان وإنما التفصيل يثمر الجلالة والعرفان^(١).

روى السيد أبو طالب عليه السلام^(٢) عن علي بن العباس الحسيني عليه السلام: أنه سمع أبا بكر بن يعقوب عالم أهل الري وحافظهم - حين ورد عليه باليمن يقول: قد ضل فكري في هذا الرجل - يعني يحيى بن الحسين عليه السلام، فإني كنت لا أعترف لأحد بمثل حفظي لأصول أصحابنا، وأنا الآن إلى جنبه جذع، بينا أجاره في الفقه وأحكي عن أصحابنا قولاً إذ يقول: ليس هذا يا أبا بكر قولكم فأراده، فيخرج إليّ المسألة من كتبنا على ما حكى وادعى، فقد صرت إذا ادعى شيئاً عنا أو عن غيرنا لا أطلب معه أثراً.

قال السيد أبو طالب عليه السلام^(٣): وحدثني رحمه الله تعالى قال: دخلت الري سنة اثنتين وعشرين وثلاث مائة، وكنت ارتحلت إلى شيخ العلوية وعالمهم أبي زيد عيسى بن محمد العلوي رحمه الله - من ولد زيد بن علي عليهما السلام - وإلى غيره من أبي حاتم وآخرين، وحضرت مجلس النظر لأبي بكر الخطاب فقيه الكوفيين وحافظهم، فجزيت في مسائل النظر مع من حضر، فقالوا: ما قرابة ما بينكم وبين أصحاب اليمن من أولاد يحيى بن الحسين وأولئك الأشراف؟ فقلت له: كان يحيى بن الحسين من أولاد إبراهيم بن الحسن بن الحسن، ونحن من أولاد

(١) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ١٠٣.

(٢) الإفادة ١٠٤.

(٣) الإفادة ١٠٤.

داود بن الحسن بن الحسن، وداود وإبراهيم أخوان، فنحن وهم بنو الأعمام،
ولكن أم يحيى بن الحسين كانت عمّة جدي، قال: علمت أن هذا عن أصل،
وكان يعجبه كلامي .

ثم أنشا يحدث قال: كنا عند علي بن موسى القمي، فذكر له خروج علوي
باليمن يدعي الإمامة فقال: أحسن أم حسيني؟ فقيل: بل حسني، ويقال: إنه
دون أربعين سنة، فقال: هو ذاك الفتى . . مرتين، فقلنا: من هو؟ فقال: كنا في
مجلس أبي حازم القاضي يوم الجمعة، فدخل شاب له رواء ومنظر، فأخذته
العيون فمكنوه، فجلس في غمار الناس، فما جرت مسألة إلا خاض فيها وذكر
ما يختاره منها، ويحتج وينظر، فجعلوا يعتذرون إليه من التقصير، ثم أسرع
النهوض، فقيل لأبي حازم: هذا رجل من أهل الشرف من ولد الحسن بن علي
عليهما السلام، فقال الناس: قد علمنا أننا خالط قلوبنا من هيئته لمنزله، فاجتهدنا
أن نعرف مكانه وسألنا عنه فلم نقدر عليه .

فلما كانت الجمعة الثانية اجتمع الناس وكثروا شوقا إلى كلامه ورجاه أن
يعاودهم، فلم يحضر، فتعرفنا حاله فإذا ذلك لخوف داخله من السلطان، وكان
أبو حازم يقول: إن يكن في هؤلاء أحد يكون منه أمر فهذا. ثم عاودنا علي بن
موسى، فقال: ألم أقل: إن العلوي هو ذاك الفتى؟ قد استعلمت فإذا هو ذاك
بعينه .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام^(١) عن بعضهم: أنهم كانوا مع الناصر عليه السلام
بالجيل قبل خروجه، فنُعي إليهم يحيى بن الحسين عليه السلام، فبكى بنحيب ونشيج
وقال: اليوم انهد ركن الإسلام. فقلت: ترى أنهما تلاقيا لما قدم يحيى بن الحسين
طبرستان، قال: لا .

(١) الافادة ١٠٦ .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام^(١) أيضا بإسناده عن بعضهم قال: حضرنا إملاء الناصر الحسن بن علي عليهما السلام في مصلى أمل فجري ذكر يحيى بن الحسين عليه السلام، فقال بعض أهل الري - وأكثر ظني أنه أبو عبدالله محمد بن عمرو الفقيه: كان والله فقيها، قال: فضحك الناصر، وقال: ذلك والله من أئمة الهدى. وكان عليه السلام بالورع والزهد والعبادة إلى حد تقصر العبارة دونه، والفهم عن الإحاطة به، وظهور ذلك يغني عن تكلف بيانه، إلا أنا نحكي قليلا من كثير مما يشلج قلوب ذوي الإيمان العارفين بحق العترة عليهم السلام. روى مصنف سيرته عليه السلام^(٢) عن سمعه يقول: والله الذي لا إله إلا هو ما أكلت مما جبيت من اليمن شيئا، ولا شربت منه الماء.

وروى عن سمعه يقول: ما أنفق إلا من شيء جئت به معي من الحجاز، وهذا ورع شحيح؛ لأنه عليه السلام عفا عن الحلال، إذ كان يجوز له أن يتناول من الجزية وأخماس الغنائم وسوى ذلك من كثير من الأمور المباحة لمثله في الشرع النبوي عظمه الله^(٣).

وروى أيضا عن ابنه محمد بن عبيدالله عليه السلام قال: وجهت غلاما إلى يحيى ابن الحسين عليه السلام أطلب منه قرطاسا أكتب فيه كتابا، فقال: يحيى بن الحسين (لرسول)^(٤): القرطاس لا يحل له، فدفعت إلى الغلام ورقة قطن^(٥).

وروى أيضا عن بعضهم أنه عليه السلام قال له: اشتري لي قرطاسا على حدة مما يحل لي أكتب فيه، فاشتريته له.

(١) الافادة ١٠٥.

(٢) سيرة الهادي ٥٨.

(٣) سيرة الهادي ٥٨.

(٤) ساقطة من الأصل.

(٥) سيرة الهادي ٦٠.

وروى مصنف سيرته عليه السلام ^(١) عن عبيدالله بن حذيف وكان يقوم للهادي عليه السلام بأمره قال: قال لي يحيى بن الحسين: اشتر لي تبنا أعلفه دوابي، قال: فقلت: ليس نجد إلا تبنا الأعشار، فقال: لا تشتري لنا منه شيئا وأنت تقدر على غيره، قال عبيدالله: فلم أجد غيره، فأمرت بعض الغلمان الذي يقوم على الخيل يأخذ منه كيلا معروفا حتى نشترني ونرد مثل ما أخذنا، فعلم يحيى بن الحسين، فوجه إلى عبيدالله فكلمه بكلام غليظ، وقال له عبيدالله: إنا أخذنا منه كيلا معروفا حتى نرد مكانه، فقال: لست أريد منه شيئا، ما لنا وللعشر، خذوا هذا التبنا فاعزلوه حتى يعلفه من يحل له، ولم يعلف خيله تلك الليلة شيئا منه، وأمر أن يطرح للخيل قصب بلا تبنا ليلتين، ثم قال: اللهم إني أشهدك أنني قد أخرجت هذا من عنقي وجعلته في أعناقهم.

وروى مصنف سيرته أنه عليه السلام ^(٢) صاح للغلام له فسأله عن خرقة، فقال له الغلام: قد رفعتها، فقال للغلام: أخرجها إلي، فأخرجها من بين ثياب يحيى بن الحسين، فلما أخرجها قال للغلام: ويلك أنت قليل الدين ليس لك دين، تضع خرقة من الأعشار بين ثيابي.

ودخل يوما وقد تطهر للصلاة فأخذ خرقة فمسح بها وجهه، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذه الخرقة من العشر، فذكرت له ذلك، فقال: ما يحل لنا أن نمسح به وجوهنا، ولا نستظل به من الشمس ^(٣).

وروى السيد أبو طالب عليه السلام أيضا بإسناده أن ^(٤) يحيى بن الحسين: قدم أمل قبل ظهور الناصر عليه السلام مع محمد بن زيد بجرجان، ومعه أبوه وبعض عمومته

(١) سيرة الهادي ٦٠ - ٦١ .

(٢) سيرة الهادي ٦٢ .

(٣) سيرة الهادي ٦٢ .

(٤) في (أ) بإسناده إلى يحيى .

والموالي، فنزلوا حجرة بخان العلاء قال: وأشار لي إليها ونحن نجتاز الخان يوما، قال: ولم أسمع بأنه بلغ من تعظيم بشر لإنسان ما كان من تعظيم أبيه وعمومته له^(١) ولم يكونوا يخاطبونه إلا بالإمام. قال: وامتأ الخان بالناس حتى كاد السطح يسقط وعلا صيته، وكتب إليه الحسن بن هشام من سارية^(٢)، وكان على وزارة محمد بن زيد: بأن ما يجري يوحش ابن عمك، قال: ما جئنا ننازعكم أمركم، ولكن ذكر لنا أن في هذه البلد شيعة وأهلا فقلنا: عسى الله أن يفيدهم منا وخرجوا مسرعين وثيابهم عند القصار، وخفافهم^(٣) عند الأسكاف ما استرجعوها. قال: وحملنا إليهم من منازلنا حملاً وودجاجاً وشيئاً مما نصطبغ به من حصرم وغيره، فتناولوا إلا اللحامات^(٤) فإنها ردت إلينا كهيئتها، فسألنا الموالي عن سبب ردها، فقالوا: إنه يقول: بلغني أن الغالب على هذا البلد التشبيه والجبر فلم آمن أن يكون من ذبائحهم فقد سمعت أن أهلنا بهذا البلد لا يتوقون ذبائحهم^(٥). وكان عليه السلام صواماً قواماً يصوم أكثر أيامه، ويحيي أكثر لياليه تهجداً وصلاة^(٦).

مركز تحقيق ودراسات إسلامية

روينا عن السيد أبي طالب عليه السلام^(٧) بإسناده عن سليم، وكان يلي خدمة الهادي عليه السلام في داره فقال: كنت أتبعه^(٨) حين يأخذ الناس فرشهم في أكثر لياليه بالمصاييح إلى بيت صغير في الدار، كان يأوي إليه فإذا دخله صرفني

(١) في الأصل: بحذف له.

(٢) مدينة بطبرستان. معجم البلدان ج ٣ ص ٧٢.

(٣) في (أ) وأخفافهم.

(٤) في (أ) فتناولوا الحملان. والظاهر فتناولوا إلا الحملان . . الخ.

(٥) الإفادة ١٠٦-١٠٧.

(٦) المصاييح ٥٨١.

(٧) الإفادة ١١٠.

(٨) في (أ) أتبعه حتى حين.

فأنصرف، فهجس^(١) ليلة قلبي أن أحتبس وأثبت على باب البيت أنظر ما يصنع، قال: فسهر ﷺ الليل أجمع ركوعاً وسجوداً، وكنت أسمع وقوع دموعه صلى الله عليه ونشيجاً في حلقه، فلما كان الصبح قمت فسمع حسبي، قال: من هذا؟ فقلت: أنا، فقال: سليم؟ ما عجل بك في غير حينك؟ فقلت: ما برحت البارحة جعلت فداك، قال: فرأيتك اشتد عليه ذلك، وحرّج عليّ أن لا أحدث به في حياته أبداً^(٢)، قال: فما حدثنا به سليم إلا بعد وفاة الهادي إلى الحق ﷺ أيام المرتضى.

وكان ﷺ إذا التقت الأبطال، وتداعت نزال أفيته القطب الذي تدور عليه رحى القتال، يحطم الوشيع في النحور، ويثلم الهندي المشهور، وكم له من يوم أغر عاود فيه الكر، واستحى من الفر، إذا حمي الوطيس كان أمام جنوده يُغصبُ كبش الكتبية، ويشاهد له كل حملة عجيبة، ولقد صدق ﷺ حيث يقول:

أنا ابن رسول الله وابن وصيه ومن ليس يحصى فضله ووقائعه
وقدماً ليوث الحرب فاقدت بينها بطعن وضرب ما يُغيب وعاعوه

وكان ﷺ يضرب ضرب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، ففي الرواية: أنه ضرب رجلاً على باب میناس فخذف السيف من بين رجله، فلما نظر إليه ابن حميد قال: استروا ضربة هذا العلوي، والله لئن رآها الناس لا تناصروا^(٣). وفيه يقول الشاعر الخيواني وهو ابن أبي البلس:

لو كان سيفك قبل سجدة آدم قد كان جُرد ما عصني إبليس
وطعن ﷺ رجلاً فأمرقه، فتثنى قضيب الرمح وانكسر^(٤). وبرز له رجل

(١) الهاجس: الخاطر.

(٢) في (أ): أحداً.

(٣) الشافعي ١/٣٠٥.

(٤) المصابيح ٥٧٣.

ذات يوم في بعض حروبه فرفع الرجل يده بالسيف ليضربه فأهوى عليه السلام بيده فقبض بها على يد الرجل على مقبض السيف، فهشم أصابعه^(١). ولما هزم جيشه عليه السلام يوم أتوه^(٢) بأسباب خيانة جرت من بعض من كان معه بقي في آخر الليل ولحقت به فرسانهم، وكان من عرفه قل طمعه فيه، فجعلوا يطعنونه وهو يُنحي الرماح بسوطه، فقال بعض أصحابه: يا سيدي سل سيفك، قال: ما كنت لأسله إلا أن أضرب به، فعاجله رجل برمحه، فلما ثبت فيه ثنى يده وكسر السنان ورمى به في وجه الرجل، وكان ذلك دأبه عليه السلام في جميع المواطن يصطلي شرر النار، ولا يقهر عن مناطحة الشفار، بل يخوضها قدما قدما، ويجرع أضداده صابا وعلقما.

وكان له عليه السلام خصائص وكرامات تكشف عن علو منزلته عند الله عز وجل. فمن ذلك ما رواه مصنف سيرته عن بعضهم، قال: كان لي ابن صغير لم يتكلم، فطلبت الدواء له بكل حيلة فأعياني؛ فعزمت على حمله إلى مكة وكنت على ذلك حتى أتاني كتاب الهادي عليه السلام، فأخذنا خاتمه فوضعناه في ماء وسقناه الصبي فأفصح بالكلام، فحدثت بذلك الناس وشاهدوا الغلام وهو يتكلم، وشاهده بعضهم وهو لا يتكلم.

وروى أيضا عن بعضهم، قال: سمعت رجلا يقع في الهادي عليه السلام وينتقصه في أصله، فما مكث إلا أياما حتى أخذه بلاء فانقطعت رجله قبل أن يموت ثم مات بعد ذلك. قال: وسمعت أيضا أن امرأة تكلمت بكلام سوء فقامت سحرا فأخذتها النار فاحترقت.

وروى أيضا أنه عليه السلام كان في نجران، فأتي بصبي قد ذهب بصره من الجدري، فأمر يده على بصره ودعا له فأبصر. وروى أنه عليه السلام كان في أرض لا ظلال فيها

(١) المصاييح ٥٧٣.

(٢) بلدة حميرية في بلاد أرحب.

ولا شجر، وكان يوماً شديداً الحر كثير السموم، فأنشأ الله تعالى سبحانه حتى ركبت فوق رأس الهادي عليه السلام وجميع أصحابه، وأظلم الله بها في ذلك اليوم الشديد الحر قال: فوالله ما زالت تلك السحابة مظلة له حتى راح، وكانت السماء مصحبة ما فيها سحابة غيرها، وإن الناس ليتعجبون مما رأوا.

وروى أيضاً أن رجلاً من ربيعة كان يكثر الرمي لأصحاب الهادي عليه السلام في يوم مينا؛ فدعى عليه الهادي أن يقطع الله يده، فتناصلت أصابعه إلى الرسغين، ومات مما نزل به لا رحمه الله.

بيعتة عليه السلام ونبذ من سيرته^(١) في ولايته ومدة ظهوره

لما انتشر ذكره عليه السلام في الآفاق وعلا صيته في الأقطار، خرج إلى اليمن مرتين، فأما المرة الأولى فكان خروجه سنة ثمانين ومائتين حتى بلغ موضعاً يقال له: الشَّرْقَة^(٢) بالقرب من صنعاء وأذعن له الناس بالطاعة، وأقام مديدة يسيرة حتى خذله أهل البلاد وغلب عليهم العصيان لله والخذلان له عليه السلام، فعاود عليه السلام إلى الحجاز، وعم أهل اليمن بعده البلاء، وشملتهم الفتن، فلما عضهم البلاء، كتبوا إلى الهادي عليه السلام يستنهضونه إلى اليمن ويخبرونه بتوبتهم إلى الله تعالى، فوصلت كتبهم إليه عليه السلام في ذي القعدة سنة ثلاث وثمانين ومائتين فأزمع عليه السلام إلى إجابتهم^(٣) إلى ما طلبوه رغبة في إحياء الدين، وطمس آثار الضلال، وخرج يشيعه سادات أهله وأكابرهم، فيهم العالم النحرير عمه محمد بن القاسم عليه السلام، فقال له عند وداعه: يا أبا الحسين، لو حَمَلْتَنِي ركبتي لجاهدت معك، يا بني أشركنا الله في كل ما أنت فيه في كل مشهد تشهده وكل موقف تقفه. وقال

(١) في (أ): ساقطة: ونبذ من سيرته.

(٢) قرية من قرى بني حشيش.

(٣) في (أ): وأزمع إلى إجابتهم في ذي القعدة سنة ثلاث وثمانين.

أيضا للهادي عليه السلام: يا أبا الحسين، أتراني أعيش إلى وقت توجهي إليّ مما تغنمه ولو بمقدار عشرة دراهم أتبارك بها^(١). وفي بعض الحكايات: أنه لما حضر وقت الصلاة، قال الهادي عليه السلام: تقدم يا عم فصل بنا، فتقدم محمد بن القاسم عليه السلام فصلى بهم، ثم قال: يا أبا الحسين، استغفر لي ما كان لي أن أتقدمك! فقال: يغفر الله لك يا عم، فزاد ذلك بصيرة من حضر في أمر الهادي عليه السلام لما كانوا يعلمون من فضل عمه محمد بن القاسم وعلمه وورعه^(٢).

ثم سار الهادي إلى الحق عليه السلام حتى انتهى إلى صعدة لستة أيام خلون من صفر سنة أربع وثمانين ومائتين، وبينهم الفتن العظيمة، فعمهم الصلح ببركته وصاروا إخوانا، وأقام عليه السلام أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، وولى ولاته في الجهات، ورسم لهم الرسوم، ثم افتتح نجران وأقام فيه مدة، وعاود إلى صعدة ونشر من محاسن العدل ما يليق بمثله عليه السلام، وكان يتولى تفقد كثير من الأمور بنفسه سالكا في ذلك طريقة المتواضعين^(٣).

روى السيد أبو طالب عليه السلام^(٤) بإسناده عن أبي الحسن الهمداني المعروف بالحروري، وكان رجلا فقيها على مذهب الشافعي - يجمع ما بين الفقه والتجارة، قال: قصدت اليمن في بعض الأوقات وحملت ما أتجر فيه إلى هناك ابتغاء لرؤية يحيى بن الحسين لما كان يتصل بي من آثاره، فلما حصلت بصعدة، قلت لمن لقيته من أهلها: كيف أصل إليه؟ ومتى أصل؟ وبمن أتوسل في هذا الباب؟ فقل لي: إن الأمر أهون مما تقدر، تراه الساعة إذا دخل الجامع للصلاة بالناس، فإنه يصلي بالناس الصلوات كلها، فانتظرت حتى خرج للصلاة فصلى

(١) سيرة الهادي ٣٦.

(٢) سيرة الهادي ٣٧.

(٣) سيرة الهادي ٤١.

(٤) الافادة ١١٤.

بالناس وصليت خلفه ، فلما فرغ من صلاته تأملته فإذا هو قد مشى في المسجد إلى قوم أعلاء في ناحية منه فعادهم وتفقد أحوالهم بنفسه ، ثم مشى في السوق وأنا أتبعه فغير شيئاً أنكره ووعظ قوما وزجرهم عن بعض المناكير ، ثم عاد إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه من داره للناس فتقدمت إليه وسلمت فرحب بي وأجلسني وسألني عن حالي ومقدمي ، فعرفته أنني تاجر وأني وردت ذلك المكان تبركا بالنظر إليه ، وعرف أنني من أهل العلم فأنس بي وكان يكرمني إذا دخلت إليه إلى أن قيل لي في يومٍ من الأيام : إنَّ غداً يوم المظالم وإنه يقعد فيه للنظر بين الناس ، فحضرت غداً هذا اليوم فشاهدت هيبة عظيمة ، ورأيت الأمراء والقواد والرجالة وقوفا بين يديه على مراتبهم وهو ينظر في القمص ويسمع الظلامات ، ويفصل الأمور ، فكأنني شاهدت رجلا غير من كنت شاهدته وبهرتني هيئته ، فادعى رجل على رجل حقاً ، وأنكره المدعى عليه ، وسأله البينة فأتى بها فحلف الشهود فعجبت من ذلك ، فلما تفرق الناس دنوت منه ، فقلت : أيها الإمام رأيتك حلفت الشهود ! فقال : هذا رأيي ، أنا أرى تحليف الشهود احتياطاً عند بعض التهمة ، وما ينكر من هذا؟ هذا قول طاووس من التابعين وقد قال الله تعالى : ﴿ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتَيْهِمَا ﴾ [المائدة: ١٠٧] . قال : فاستفدت في تلك الحال منه مذهبه ، وقول من قال به من التابعين والدلالة عليه ، ولم أكن عرفت شيئاً منه قبل ذلك .

وأنفذ إلي يوماً من الأيام يقول : إن كان في مالك لله ^(١) حق زكاة فأخرجه إلينا ، فقلت : سمعاً وطاعة من لي بأن أخرج زكاتي إليه وحسبت حسابي فإذا علي من الزكاة عشرة دنانير فأنفذتها إليه ، فلما كان بعد يومين ^(٢) بعث إلي

(١) في (أ) لا توجد: (الله).

(٢) في (أ) : يوم .

فاستدعاني وإذا هو يوم العطاء، (قد جلس لذلك)^(١) والمال يوزن ويخرج إلى الناس، فقال: أحضرتك لتشهد إخراج زكاتك إلى المستحقين، فقلت: الله الله أيها الإمام كأي أرتاب بشيء من فعلك، فتبسم وقال: ما ذهبت إلى ما ظننت ولكن أردت أن تشهد إخراج زكاتك. وقلت له يوماً من الأيام: رأيتك أيها الإمام أول ما رأيتك وأنت تطوف على المرضى في المسجد تعودهم وتمشي في السوق، فقال: هكذا كان آبائي، كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وأنت إنما عهدت الجبابة والظلمة.

وكانت له عليه السلام مواقف مشهورة في الجهاد في سبيل الله عز وجل، فمن ذلك ما رواه مصنف سيرته^(٢): أنه كان في بعض أيامه مع بني الحارث، فانتقوا من خيلهم ما يدنو من أربعين فارساً مدججة في السلاح، وأمرهم أن لا يقاتلوا وأن يقفوا حتى إذا رأوا الهادي عليه السلام حملوا عليه، فوقفوا، وبلغ إلى الهادي عليه السلام خبرهم فلم يعبا بهم، ولما رآهم حمل عليهم بنفسه فما وقف له منهم فارس واحد، فأدرك منهم فارساً واحداً فطعنه وألقاه وفرسه في أراكة، وانهزم القوم وعطف عسكره وقتل منهم عليه السلام بيده جماعات كثيرة لم يثبت عددها هو ولا غيره، غير أنه كسر ثلاثة رماح، وضرب بسيفه حتى امتلأ قائم سيفه علقاً، ولصقت أنامله على قائم سيفه بالدم، وفي ذلك يقول عليه السلام:

طرقت لعمرك زاهر مولاها	والحرب مسعرة يُشب لهاها
طرقت تبختر في الحلبي وفي الكسا	إن الخريدة همها وهواها
تكسو مناكب زانها أعجازها	عند التعانق حلة ورداها
أقنى حياك فحلتي يوم الوغا	درع أعانق جيبها وعُراها

(١) في (أ): ما بين القوسين ساقط.

(٢) سيرة الهادي ١٦٩ - ١٧٠.

نحن الفواطم لهونا طعن القنا
 هلا سألت فتخبري إن لم تري
 لاح الصباح وأبرقوا بكتيبة
 والجيش في أيديه كل عقيقة
 والمشرفية في أكف حماتنا
 والخيل تنحط بالفوارس والقنا
 ومنها:

غربت أنامل راحتني بصفيحتي
 ما كان إلا نطحة فتراكبت
 وانفض جمع خميسهم عن وقعة
 وفي أخباره عليه السلام أنه انهزم أصحابه عليه السلام عنه في ريدة، فثبت في
 وجه عدوه في عدة يسيرة حتى عاد أصحابه فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقال
عليه السلام في ذلك اليوم:

الخيل تشهد لي وكل مثقف
 حقاً ويشهد ذو الفقار بأنني
 عللاً ونهلاً في المواقف كلها
 حتى تذكر ذو الفقار مواقفاً
 جدي عليّ ذو الفضائل والنهي
 صنو الرسول وخير من وارى الثرى
 بالصبر والإبلاء والإقدام
 أرويت حديه نجيع طعام
 طلباً بشأر الدين والإسلام
 من ذي الآياد السيد القمقام
 سيف الإله وكاسر الأصنام
 بعد النبي إمام كل إمام^(٢)

(١) «خبثن»: الأسد. القاموس ص ١٥٤٠.

(٢) سيرة الهادي ٢٢٣-٢٢٤.

وقال ﷺ وأمر بها إلى بني الحارث بنجران مع كتاب :

خذوا حذرکم مني فإنني مسير
يسیرون للباغین حزب محمد
على شزب^(١) تعدوا بكل سمیدع
وخطیة زرق العوالي جنابها
بأيدي رجال أهل بأس لخوفهم
وما حبسها إلا فواق عن أرضکم^(٢)
وتلقونني مستبصرًا في جهادکم
فلم أر مثل الحرب أوقد نارها
قوي على تأجيجها بدء أمره
يعتف من يأبى عليه احتلابها
يضرّمها حتى إذا ما تأججت
فيطلب سلمي حين لا سلم والذي
أراد خلاصًا بعد ما غص بالذي
فلا تحسدنه أكلة إن غدا بها
فويل لمن أضحى بهم بحرنا
يحارب ضرغامًا يحامي عن اشبل
فروس لما داناه حتف لقاؤه
يدانيه جهال الرجال بأمره

إليکم جيوش الله والله غالب
عساكر تملأ الأرض منها المقانب
بأيديهم البيض الرقاق القواضب
مخوف لدى الأبطال ما إن تقارب
تشيب لدى الحرب العوان الذوائب
وتجلب حولي للمسير الكتائب
وعندکم مني لعمرى التجارب
أخو غرة دارت عليه المصائب
ضعيف إذا اشتدت عليه العواقب
ويسلبه إن كان يومًا يقارب
وعاينني ضاقت عليه المذاهب
إلى بيته بالركب تهوي الذعالب^(٣)
جنت كفه فهو الشقي المطالب
تقيسه إياها الرماح الزواغب
وويل لمن لم يدر من ذا يحارب
له صولة مخشية ومخالب
أخو حملاات قرنه منه خائب
ومن كان ذا علم به فهو هائب

(١) الشازب: الحشن. القاموس ص ١٢٩.

(٢) هكذا في النسخ، في سيرة الهادي ع: ، ما حبسها إلا فراق عن أرضکم.

(٣) أي النوق السريعة.

يخوض غمار الموت نحو عدوه له سطوة معروفة ومناقبُ

جريء على الهول العظيم مصمم حليف اللقا قد كدحته النوائب^(١)

وفي الحكاية: أنه عليه السلام لما بايعه أبو العتاهية واستقر في صنعاء، وكره الجفاتم وغيرهم دخوله صنعاء، واصطفوا قدام داره وهو في مجلسه مشرف عليهم، فأتاه أبو العتاهية فقال: يا ابن رسول الله لا تعجل فإني أرجو أن تؤول الأمور إلى المحبوب، فقال له: أنفذ إليهم فاصرفهم عن موضعهم فوالله لئن برزت إليهم لأنظمتهم في رمحي كما ينظم الجراد في العود، فرجع أبو العتاهية إليهم فنأشدهم الله فلم يقبلوه ورموه بالحجارة والنبل، واجتمع معهم من الغوغاء وأهل الباطل عشرة آلاف رجل وستمائة فارس بالجفاتم، ثم وقع القتال بالقرب من دار الهادي، جعلوا يرمون كوا في مجلس الهادي بالنشاب والنبل، فأتى أبو العتاهية إلى الهادي عليه السلام فقال: اركب جعلت فداك، فركب الهادي عليه السلام وأمر ابنه أبا القاسم فركب وأمر أصحابه بالركوب فخرج الهادي من داره فلما عاينه القوم وكانوا قد هزموا أصحابه حتى أدخلوهم الدار ورجعوا إلى موضعهم وحقق عليهم الهادي، وحمل عليهم وحده ومعه رجل من أصحابه، فلما قاربا القوم وقف عنه صاحبه، ومضى الهادي فطعن أول من لقيه من القوم فقتله، ثم طعن آخر، ثم طعن آخر، حتى طرح منهم ثلاثة رجال من خيارهم، ثم لحق الخيل فطعن فارسا منهم فطرحه، وكان طعنه لهؤلاء القوم في حملته التي حمل عليهم، وصدق قوله فتظمتهم في رمحه كما وعدهم^(٢).

قال الراوي: فسمعت عليه السلام يقول بعد ذلك: والله ما ندمت على شيء قلته إلا قولي لأبي العتاهية: إن خرجت إلى هؤلاء الكلاب نظمتهم في رمحي كما

(١) سيرة الهادي ٢٧٩.

(٢) سيرة الهادي ٢٠٩.

تنظم الجراد في العود، فندمت على هذه الكلمة حتى أعطى الله عليهم الظفر فكان ما علمتم، فأليت على نفسي أن لا أتكلم بمثل ذلك أبداً، وانهمز أعداؤه عليه السلام حتى خرجوا من صنعاء وهو في آثارهم يطردهم، وقتل عسكره منهم جماعة في الجبابة، ثم عاد مظفراً منصوراً^(١).

ومن شعره عليه السلام قوله من قصيدة:

فما العز إلا الصبر في حومة الوغى	إذا برقت فيها السيوف اللوامع
هل الملك إلا العز والأمر والغنى	وأفضلهم من هذبتسه الطبائع
ومن لم يزل يحمي وينقم ثأره	ومن هو في الحالات يقظان هاجع
يقلب بطن الرأي فيه لظهره	ويعضى إذا ما أمكنته المقاطع
ونحن بقايا المرهفات وسورها	إذا كان يوماً ثاير النقع ساطع
يموت الفتى منا بكل مهند	وأسمر مسنون الشبا وهو دارع
فتلك منايانا وإنا لمعشر	من الناس في الدنيا النجوم الطوالع
أبونا أمير المؤمنين وجدنا	رسول الذي منه تتم الصنائع
نهضت ولم أعجز وقلت مواعظا	ذخائر علم إن وعاهن سامع
فكم قائل في نفسه وضميره	أيا واعظاً في ذا كلامك ضائع
فكيف غناء الكف عند اجتهادها	إذا لم تُعنها بالفعال الأصابع
بنيت لهم بيتاً من المجد سمكه	دوين الثريا فخره متتابع
فأضحى لهم عزبه ومفاخر	وذكر ومجد شامخ الفضل يافع
نعشت كتاب الله بعد هلاكه	فليس بغير الحق يزعم زامع

وقال عليه السلام في بعض وقائعه:

(١) سيرة الهادي ٢٠٩-٢١٠.

وأشبه الكلاب لدى القتال
 مظفـرة تـزيف^(١) إلى النزال
 تزاح بهن أقحاف القلال
 أطاع لحكمها غلبُ الرجال
 فحل الموت في روس العوالي
 على أكبادها زرق النصال
 بهم من وقعها أنكى النكال
 ويذهب وقعها كذب المقال
 ترامى في الأعنة كالسعال
 فبالت منهم كل المنال
 تسربل سابغ الحلق المذال
 وخيرناهم كل الخصال
 وإن لا تحقنوها لأبالي
 إذا ما كُفر كافرکم بدا لي
 وإخرب السوافل والعوالي^(٢)

وجدي خير منتعل وخالي
 كما يحذو المثال على المثال
 على من رام خدعي واغتيالي

آلا لله عين من رأنا
 وقد سرنا إليهم في جيوش
 بأيديهم بواتر قاطعات
 إذا ما حُكمت في القوم يوماً
 وسمر رُكبت فيها المنايا
 وزور عكفت للحرب صفر
 إذا ما قابلت جيشاً أحلت
 ترنم في الصفوف إذا تدانت
 فصبحناهم بالخيل قباً^(٣)
 مجعفة بثأر الحق قامت
 عليها كل أروع مصرخي
 فأعذرنا ولم نعجل عليهم
 وقلت ألا احقنوا عني دماكم
 ولست بمسرع في ذلك حتى
 وحلت لي دماءؤكم بحق
 ومنها قوله عليه السلام:

أنا ابن محمد وأبي علي
 يحذوهم لعمرکم إحتذائي
 أنا الموت الذي لا بد منه

(١) في (أ): ترمن .

(٢) مصدر وقب وهو حكاية وقع . القاموس ١٥٧ .

(٣) سيرة الهادي ٣٠٦-٣٠٧ .

وغـيـث للولـي إذا وكي^١ أتاني يبتغي مني نوالي
أخوض إلى عدوي كل هول وأصبر عند معترك النزال^(١)
وكان عليه السلام شديد^(٢) التفقد لأحوال المسلمين، حسن الإنصاف للمظلومين
من الظالمين. قال مصنف سيرته رحمه الله تعالى^(٣): رأيت ليلة وقد جاءه رجل
ضعيف يستعدي على قوم، فدق الباب فقال: من هذا يدق الباب في هذا الوقت؟
فقال له رجل - كان على الباب: هذا رجل يستعدي، فقال: أدخله، فاستعدي
ووجه معه في ذلك الوقت ثلاثة رجال يحضرون معه خصماءه، وقال لي:
أبا جعفر، الحمد لله الذي خصنا من نعمه، وجعلنا رحمة على خلقه، هذا رجل
يستعدي إلينا في هذا الوقت لو كان واحدا من هؤلاء الظلمة ما دنا إلى بابه في هذا
الوقت مستعد، ثم قال: ليس الإمام منا من احتجب عن الضعيف في وقت حاجة
ملظة.

وروى السيد أبو طالب عليه السلام^(٤) بإسناده عن بعضهم، قال: سمعت علي بن
العباس، يقول: كنا عنده يوما وقد حمي النهار وتعالى، وهو يخفق رأسه فقمنا
فقال: أدخل وأغفو غفوة، وخرجت لحاجتي وانصرفت سريعا وكان اجتيازي
على الموضع الذي يجلس فيه للناس، فإذا أنا به في ذلك الموضع، فقلت له في
ذلك: فقال: لم أجسر على أن أنام، وقلت: عسى أن ينتاب الباب مظلوم
فيؤاخذني الله بحقه فوليت راجعا كما دخلت.

وقد كان علي بن الفضل القرمطي - لعنه الله ظهر في اليمن، وتقوت
شوكته وأعلن بالكفر، حتى روي عن بعضهم: أنه كان عنوان كُتبه إلى أسعد

(١) المصاييح ٥٨٥.

(٢) في (أ): كثير.

(٣) سيرة الهادي ٦٢.

(٤) الافادة ١١٣.

ابن أبي يعفر: من باسط الأرض وداحيها، ومزلزل الجبال ومرسيها، علي بن الفضل إلى عبده أسعد بن أبي يعفر.

وتظاهر بمذهب المجوس، وأمرهم بنكاح الأمهات والأخوات وشرب الخمر، وأمر من كان معه أن يسلموا الأموال والحرم ويخرجوا إليه من جميع ما في أيديهم، فشد منهم جماعة ولحقوا ببلدانهم، وثبت هو ومن أقام معه على كفرهم، فكان يجمع من عنده من النساء في دار، فإذا كان ليلة الجمعة جمع الرجال فأرسلهم على النساء، فتقع الأم للابن والأخت مع الأخ فيفجروا بهن في ليلتهن فمن امتنع من ذلك قتله وأباح حرمة.

وروي أنه تسمى: برب العالمين. وروي أنه كان يؤذن المؤذن في عسكره: أشهد أن علي بن الفضل رسول الله، وكان ذلك في المذيخرة، وتقوت أمورهم واستحكمت في كثير من نواحي اليمن، وغلبوا على صنعاء، فلما كان كذلك بعث الهادي عليه السلام جماعة من قواده وعسكره فقصدوا صنعاء فحاربوا الباطنية، وأخرجوهم منها ودخلوها يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة باقية من رجب سنة سبع وتسعين ومائتين، فأقاموا بها أياما وآمن أهلها، ثم بعث الهادي ابنه أبا القاسم عليهما السلام إلى صنعاء في عسكر، فدخل يوم الاثنين لعشر ليال خلت من شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين، فأقام بصنعاء وبعث إلى مقرا وألهان وحراز وهوزن فدخلت جميعا، وقتل من دعاة القرامطة جماعة^(١).

وروي السيد أبو طالب عليه السلام^(٢) بإسناده عن علي بن العباس رحمه الله قال: دخلت على يحيى بن الحسين عليه السلام بُعيد السحر والشموع بين يديه وقد تدرع وتسلح لقتال القرامطة، وقد هجموا بجموعهم وقضهم وقضيضهم، فوجدته

(١) المصابيح ٥٧١، والإفادة ١٠٨.

(٢) الإفادة ١١١.

مفكرا ومطرقا، فقلت: يظفرك الله بهم أيها الإمام ويكفيكمهم فطالما كفى، فقال: لست أفكر فيهم فإني أود أن لي يوما كيوم زيد بن علي عليه السلام، ولكن بلغني عن فلان- وذكر بعض الطالبية- كذا وكذا من المنكر فغممني، فقال بعض من حضر: ويفعل أيضا كذا وكذا من المنكر، فقال: سؤة لذلك الشيخ.

وروي أنه كان له عليه السلام مع الباطنية نيف وسبعون وقعة التي حضرها بنفسه^(١)، وروى السيد أبو طالب عليه السلام^(٢): أن القرامطة لما غلبوا على صنعاء، ورئيسهم رجل من تجار الكوفة يعرف: بعلي بن الفضل وادعى النبوة، وسمع من عسكره التأذين: بأشهد أن علي بن الفضل رسول الله، واجتمع إلى هذا الرجل عدد كثير من أهل اليمن وغيرهم، وهم بأن يقصد الكعبة ويخربها، فبلغ ذلك يحيى بن الحسين عليه السلام، فجمع أصحابه وقال: قد لزمنا الغرض في قتال هذا الرجل، فجهن أصحابه عن قتالهم، واعتذروا بقلة عددهم وكثرة عدد أولئك، وكان أصحابه في ذلك الوقت المقاتلة منهم ألف رجل، فقال لهم الهادي: أتفرون وأنتم ألفا رجل؟ فقالوا: إنما نحن ألف، فقال: أنتم ألف وأنا أقوم مقام ألف وأكفي كفايتهم، فقال له أبو العشائر من أصحابه- وكان يقاتل راجلا: ما في الرجالة أشجع مني، ولا في الفرسان أشجع منك، فانتخب من الجميع ثلاث مائة رجل، وسلّحهم بأسلحة الباقين حتى بُسيتهم، فإنا لا نفي بهم إلا هكذا، فاستصوب عليه السلام رأيه، فأوقعوا بهم ليلاً وهم ينادون بشعاره عليه السلام: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].، فمناحوه أكتافهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وغنم منهم شيئا كثيرا.

وله عليه السلام ليلة تشبه ليلة الهرير لأمير المؤمنين عليه السلام في وادي المغمة. سمعت الفقيه الفاضل بهاء الدين علي بن أحمد الأكواع رحمته الله، يحكى أنه قتل فيها مائة

(١) الإفادة ١٠٩، والمصاييح ٥٧١، والشافي ٣٠٣/١.

(٢) الإفادة ١٠٨.

قتيل من أعداء الله بنفسه هو ، وقتل ولده المرتضى عليه السلام ما يدنو من ذلك ^(١) .

وقام عليه السلام يقرر الدين ، وينشر العدل في العالمين على موافقة السنة النبوية ، والشريعة الحنيفية ، واستولى على ذمار وحيشان ، وبعث عماله إلى عدن ، ودوخ ملوك اليمن ، وطرد جند بني العباس من الجفاتم ، وأنصارهم من صنعاء ومخاليف اليمن ، ونزل إلى تهامة بعد أن حلف له رؤساؤها على طاعته ، فغدروا به وقتلوا طائفة من جنده ، وبقي في عدة يسيرة في مقاتلتهم ، ثم قتل منهم مقتلة عظيمة ، ودان له كثير من البلاد على كثرة المعارض له من الرؤساء والأكابر وقوتهم . وكان عليه السلام يُمرض أصحابه ، ويداوي جرحاهم بيده ، ويعود مريضهم حتى مضى عليه السلام محمود الأثر ، زكي العمل ، قد أحيا السنن الدائرة ، وأمات المذاهب الخاسرة .

وفاته عليه السلام :

وتوفي عليه السلام بصعدة يوم الأحد لعشر باقية من ذي الحجة آخر سنة ثمانين وتسعين ومائتين ، ودفن يوم الاثنين قبل الزوال ، ومضى عن ثلاث وخمسين سنة ، وقد كان اعتلّ علة شديدة ، إلا أنه مضى وهو جالس لم تتغير جلسته ^(٢) .

ذكره السيد أبو طالب عليه السلام . ودفن عليه السلام ورحمة الله عليه في عدني المسجد الجامع بصعدة ، وقبره مشهور مزور ، وفيه يقول بعض الشعراء :

عرج على قبر بصعدة وابك مرموسا بأمل
واعلم بأن المقستدي بهما سيبلغ حيث يأمل

أولاده عليهم السلام : محمد المرتضى ، وأحمد الناصر ، وفاطمة ، وزينب . أمهم : فاطمة ابنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم والحسن أمه : صنعانية ^(٣) .

(١) الشافي ١/ ٣٠٣ .

(٢) المصاييح ص ٥٨٢ ، والإفادة ص ١١٥ ، ١١٦ .

(٣) الإفادة ص ١٥٧ .

ذكر نكت من كلامه ﷺ:

قال ﷺ: أصل الخشية لله العلم، وفرع الخشية لله الورع، وفرع الورع الدين، ونظام الدين محاسبة المرء نفسه، وآفة الورع تجويز المرء لنفسه الصغيرة من فعله، وأصل التدبير هو التمييز، وأصل التمييز هو الفكر، ومن لم يجد فكره لم يجد تمييزه، ومن لم يجد تمييزه لم يستحكم تدبيره، والعقل كمال الإنسان، والتجربة لقاح العقل، ومن لم ينتفع بتجربته لم ينتفع بما ركب فيه من عقله، وشكر المنّة زيادة في النعمة، والنعمة لا تتم لمن رزقها إلا بشكر مؤتيها، ومن أغفل شكر الإحسان فقد استدعى لنفسه الحرمان، ومن أراد أن لا تفارقه نعم الله فلا يفارق شكر الله، وحصن الرأي التأمني، وآفته العجلة إلا عند بيان الفرصة، ومن علم ما لله عنده لم يكذب يهلك، ومن أراد أن ينظر ماله عند الله فلينظر ما لله عنده، ثم ليعلم أن له عند الله مثل ما لله عنده، قال الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وجودة اللسان زين الإنسان، وحياة القلب أصل البيان، ومن فكر في عواقب فعله نجح من موبات عمله، وصاحب الدين مرهوب، وصاحب السخاء محبوب، وصاحب العلم مرغوب إليه، وذو النصفة مثني عليه، ومن كفى الناس مؤونة نفسه كفاه الله مؤونة غيره، ومن خضع وتذلل لله فقد لبس ثوب الإيمان، ومن لبس ثوب الإيمان فقد تتوج بتاج العزة من الرحمن، فالله سبحانه يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ومن رزق^(١) نزاهة النفس فقد أعطي عوضاً من العبادة، ومن وفق للصبر عند البلاء فقد خفت عليه المحنة العظمى، ومن أراد من الله التسديد والتوفيق، فليعمل لله بالإخلاص والتحقيق، والعلم والحكمة لا

(١) في (أ) : فمن رزقه الله .

ينموان مع المعصية، والجهل والحيرة لا يقيمان مع الطاعة، ومن وفق أمن من الزلل، ومن خذل لم يتم له عمل، ولم يبلغ غاية من الأمل، ومن قوّيَ ناظرُ قلبه لم يضره ضعف بصره، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [المع: ٤٦]، ومن نظر إلى نفسه بغير ما هو فيه فقد أمكن الناس من الطعن عليه، ودوّآء العي قلة الكلام، ودوّآء الجهل التعلم، ودوّآء الخوف من عذاب الله العمل بطاعة الله والترك لمعاصيه وحسن الأوبة إليه عز وجل، ومن رغب في الله اتصل به وانقطع على الحقيقة إليه، ومن لم يهتد إلى أفضل العبادة وأسناها فليقصد لمخالفة النفس في هواها، والعلم مصباح في صدور العلماء؛ زينته الورع، وذبالته الزهد في الدنيا، ولا يصلح الورع إلا لمن صلح له الزهد في الدنيا، والورع والمكالبة على الدنيا لا يجتمعان أبداً، كما لا يجتمع في إناء واحد النار والماء، ومن اشتدت رغبته في الدنيا طلب لنفسه التأويلات، وتقحم بلاشك في المهلكات، وكان عند الله من أهل الخطيئات، وصاحب الدنيا الراغب فيها كالحسود لا يستريح قلبه من الغم أبداً، ولا يخلو فكره من الهم أصلاً، ولو أعطي منها كل العطاء والحلم مع الصبر، ولا حلم لمن لا صبر له، وعروق الحكمة التي تضرب في الصدور هي طاعة الله، ولا تثبت الحكمة إلا مع الطاعة، ومن عدم الحكمة عدم النعمة، والحكمة كالشجرة: عروقها الطاعة، وثمرتها البلاغة، وأصل البر اللطف، وفروعه النصفة، وأصل العقوق قلة النصفة، وفرعه الجفاء، وأصل الحمق قلة العقل، وفرعه العجب بالنفس.

وقال عليه السلام في بعض مواعظه: فاستعدوا أيها الغافلون لمناقشة العدل الجبار، ومحاسبة الواحد القهار، في يوم تظهر فيه أسرار قلوب العالمين، وتتضح فيه أخبار المعتدين، وتبطل فيه تأويلات المتأولين، ويحكم فيه بالحق أحكم الحاكمين، فيفوز الصادقون، ويعطب المبطلون، ويتجلى الحق للناظرين، ويبطل كذب

الكاذبين، وتشهد الملائكة عليهم بالحق اليقين، وتبين ما في ضمائرهم آلات جوارحهم عند ختم أفواههم، وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم عليهم بفضائحهم، وما هم من قبل دين نبيهم، والإعراض عن فرض ربهم، والجهاد في سبيل الله، وفي ذلك ما يقول الرحمن، فيما نزل بواضح النور والفرقان، حين يقول: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥]، يا أبناء الدنيا، وإخوان الشقاء، التَّعَمُّ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ خَلْفًا مِنْ ضُرُوعِ دُنْيَاهُ، وترك طريق رشدته وهداه، وأعرض عن طريق^(١) النصيب من آخرته وتقواه ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٣-٨]. وقال ﷺ: يا عبيد الدنيا، ويا ألاف الشقاء، ويا أتباع الهوى ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَىٰ * أَزِفَتِ الْأَرْفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ [النجم: ٥٦-٥٨]، وأنتم ساهون، لاهون، تلعبون، ولطول الأمان تركضون، وفي ميدان^(٢) الغرور تقلبون، ولغاية لا تبلغونها تستبقون، وفيما نهيتم عنه تنافسون، حال والله الأجل دون ما أنتم فيه من طول الأمل، أفنيتم أعماركم في هلاك أنفسكم، وغررتموها بكاذب تأويلكم، وخذعتموها بزخاريف أقاويلكم، فخرزكم يوم تبدو بفضائحكم، ويا شماتة أعدائكم عند مجازاتكم بسين أفعالكم، ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ رُجُوهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠].

ومن ذلك قوله ﷺ: يا عبيد الدنيا وعبيد ما يفنى أحيط بكم وأنتم لا

(١) في (أ) : طلب .

(٢) في (أ) : ميادين .

تعقلون ، وذهبتم وأنتم لا تفقهون ، وزلزل بكم وأنتم لا تعلمون ، ونزل بساحتكم وأنتم ساهون غافلون ، وفي جميع الذنوب على أنفسكم معترفون ، وعن التوبة والأوبة نائمون ، وفي هلكة أنفسكم تسرعون ، ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ ﴾ [الصافات: ١٧٤-١٧٧] . يا أبناء الدنيا ويا عبيد المنى ، كيف بكم إذا دُعيتم إلى الحساب ، وخفت موازينكم في كل الأسباب ، وعظمت أوزاركم عند رب الأرباب ، فحللتكم باكتسابكم في أشد العذاب ، وحُرمتكم باجترامكم جزيل الثواب ، كيف بكم إذا جرعتم الحميم فقطع أمعاءكم ، وأطعمتم الزقوم فصدع أكبادكم ، كيف بكم إذا أحمي على ما تجمعون وتكنزون به ، فتكوى بها جباهكم وجنوبكم وظهوركم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون .

كيف بكم يا أبناء الدنيا وخدمها ، وألأفها وعبيدها ، إذا سجتتم في الحميم ، وخلفتتم في العذاب الأليم ، تستغيثون فلا تغاثون ، وتتوبون فلا تقبلون ، وتسترحمون فلا ترحمون ، وتستقبلون فلا تقالون ، وتطلبون فلا تطلبون ، ﴿ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴾ * تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالْحُحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٣-١٠٥] ، ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: ٥٦] ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ * سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [ابراهيم: ٤٩-٥١] .

يا أبناء الدنيا ، وحلفاء الشقاء ، كيف بكم إذا وقعت الحسرة والندامة ، كيف بكم إذا حُشرتتم إلى عذاب الله يوم القيامة ، كيف بكم إذا كنتم فيها أنتم والغاؤون

وجنود إبليس أجمعون، كيف بكم إذا التفت الساق بالساق، إلى ربك يومئذ المساق، كيف بكم إذا خليتم عن الأزواج والأموال والأولاد، وسكنتم مساكن الموتى، وصرتم إلى محل الفناء والبلاء، وفارقتم ما غرکم من الحياة الدنيا، وصرتم بالتبعات مطلوبين، وبالمظالم مأخوذین، وبالاشتغال عن الله معذبین، وعن التقصير مسائلین نادمین سادمین باکین معولین^(١)، ﴿يُودُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَأُظَى * نَزَاعَةٌ لِلشَّوَى * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى * وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ [المعارج: ١١-١٨]. يارعاع الدنيا المحافظين عليها المثابرين على خدمتها، حفظتموها فضيعتكم، وأكرمتموها فأهانتمكم، وأثرتموها فرفضتكم، وتقرتتم منها فأبعدتكم، وعمرتموها فأخربتكم، واستحلتموها فقتلتكم، وأحبتتموها فأبغضتكم. يا أبناء الدنيا، وعمار الدنيا الفانية، ويا أعداء الآخرة، والدار الباقية، اشترتتم اليسير الفاني بالكثير الخطير الباقي، أهونوا يا مساكين بما اشترتتم، وأكرموا يا أهل الشقاء بما بعتم، وأعظموا خطراً ما خلفتم وتركتم، فلا يبعد الله إلا من أطاع الشيطان وعصى الرحمن.

وكلامه ﷺ في هذا المعنى كثير جم غزير، وإنما حكينا اليسير، وفيه كفاية.



(١) في (أ) : ناكسين مغلولين.

الإمام الناصر للحق عليه السلام^(١)

هو: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

أحسابٌ وافرةٌ ووجوهٌ ناضرة، وآباءٌ أختار أفاضل أبرار، يستشفى يمين بركتهم من عوارض الأسقام، ويستدفع بهم طوارق الليالي والأيام، ولم لا!! وقد قال عليه السلام: «عند ذكر الصالحين تنزل البركة»^(٢) فإذا كان هذا في الصالحين عموماً فكيف بسفن النجاة، وماء الحياة من عترة النبي الأواه، ولله القائل:

قوم بهم ويجدهم نرجوا النجاة مع النجاح
وصلوا السيوف بخطوهم فإذا الممنع كالبحاح
جبريل خادماً جدهم أولاد حيٍّ على الفلاح
وأمه عليها السلام: حبيب أم ولد مجلوبة من خراسان، ولد بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام^(٣).

صفته عليه السلام، قال السيد أبو طالب عليه السلام^(٤): كان عليه السلام طويل القامة، يضرب إلى الأدمة، به طرش من ضربة أصابت أذنه بحادثة اتفقت عليه بنيسابور أو بناحية

(١) الإفادة ١١٧، والتحف شرح الزلف ١٨٤، وتاريخ الطبري «حوادث سنة ٥٣٠٢هـ»، وجمهرة أنساب العرب ٤٥، والشافي ٣٠٨/١، والكامل لابن الأثير ١٤٤/٦، والأعلام ٢٠٠/٢، والفلک الدور ١٥، وعمدة الطالب ٣٤٠، وأعيان الشيعة ١٧٩/٥، وشهداء الفضيلة ١-٦، وتاريخ ابن خلدون ٢٥/٤، الدور الفاخر ٢٤٦، ومروج الذهب ٣٧٣/٤، وتأسيس الشيعة ٣٣٧، وتاريخ اليمن للواسعي ٢٣.

(٢) كشف الحفاء ٧٠/٢ بلفظ: «وتترك الرحمة».

(٣) الإفادة ١١٧.

(٤) الافادة ١١٧.

جرجان فقد اختلفت الرواية^(١)، ف قيل : إنه خرج إلى نيسابور في أيام المعروف
بمحمد بن عبدالله السجستاني طامعا في أن يتمكن بها من الدعاء إلى نفسه ،
فتوفر عليه السجستاني وأكرمه .

وشرع في الدعوة سرا ، وأجابه مع كثير من قواده وغيرهم . وذكر بعض من
صنف أخباره أن ذلك في ناحية جرجان لما وردها الخجستاني وانحاز عنها الحسن
ابن زيد ، أحوج عليه السلام إلى الإقامة هناك ، فسعى به بعض من كان وقف على أمره ،
فأخذه واعتقله وضربه بالسياط ضربا عظيما ، ووقع سوط في أذنيه ؛ فأصابه منه
طرش ، واستقصى عليه في أن يعترف بما كان منه ، ويعرفه أسامي أصحابه فثبت
على الإنكار ، ثم أفرج عنه . وقيل : إن محمد بن زيد كاتبه في معناه ، والتمس منه
تخلية سبيله فعاد إلى جرجان . وقيل : إنه تخلص بخروج الخجستاني من جرجان
وهذا قول من ذكر أن النكبة انفقت عليه بناحية جرجان ، وكان الخجستاني حين
ضربه حبسه في بيت الشراب ، وفيه زقاق فيها خمر ؛ لأنه علم أنه يشتد عليه
مقاربة موضع فيه خمر ، وكان الناصر عليه السلام يقول : قويت برائحة تلك الخمر ،
فقيل له : أيها الإمام لو أكرهت على شربها ما الذي كنت تصنع ؟ فقال : كنت
أنتفع بذلك ويكون الوزر على المكره ! وهذا من مליح نوادره ومزاحه الذي لا
يجاوز الحق^(٢) .

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام :

كان عليه السلام جامعاً لحصال الكمال ، فائزاً بمحاسن الخلال ، قد تسنم ذروة
الشرف العلية ، وخيم في عوالي رتب المجد السنية ، وفيه ورد الأثر عن النبي
صلى الله عليه وآله رواه بعض علمائنا رحمهم الله تعالى أنه صلى الله عليه وآله لما سأله أنس عن علامات

(١) الإفادة ١٤٧ .

(٢) الإفادة ١١٨ .

الساعة قال: «من علاماتها خروج الشيخ الأصم من ولد أخي مع قوم شعورهم كشعور النساء بأيديهم المزاريق» وهذه كانت صفته عليه السلام وصفة أصحابه .

وفيه ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته أنه قال: يخرج من نحو الديلم من جبال طبرستان فتى صبيح الوجه يسمى باسم فرخ النبي صلى الله عليه وآله الأكبر، يعني الحسن بن عليّ عليهما السلام^(١).

وفي الخبر لما أغرق الله تعالى الأرض لم يصب جبال الديلم الغرق، فسألت الملائكة عليهم السلام ربها عن ذلك؟ فقال: إنه يخرج فيها رجل من ولد النبي الأمي.

وكان عليه السلام قد نشأ على طريقة^(٢) سلفه الأكرمين سلام الله عليهم أجمعين، جامعاً بين العلم والعمل، وبرز في فنون العلم حتى كان في كل واحد منها سابقاً لا يجارى، وفاضلاً لا يبارى.

قال السيد أبو طالب^(٣): وكان له عليه السلام مجلس للنظر، ومجلس لإملاء الحديث، وكان يركب إلى طرف البلد، ويضرب بالصولجان للرياضة، فإذا ركب اجتمع فقهاء البلد وأهل العلم كلهم إلى المصلى وجلسوا فيه، فإذا فرغ من ذلك عدل إليهم عليه السلام وجلس وأملى الحديث، وكان يحضر جنائز الأشراف وكبار الفقهاء بنفسه.

وحكي أنه عليه السلام حضر لمعزى بعض الأشراف، فلما سمع البكاء من داره قال: هذا الميت الذي يبكى عليه مات حتف أنفه على فراشه وبين أهله وعشيرته، وإنما الأسف على أولئك النفوس الطاهرة التي قُتلت تحت أديم السماء، وفرق بين

(١) أنظر المصابيح ٦٠٥ .

(٢) في (أ) : على ما نشأ عليه .

(٣) الافادة ١٢٥ .

الأجساد والرؤوس وعلى الذين قتلوا في الجبوس ، وفي القيود والكبول . وخطب في هذا المعنى خطبة حسنة ، وقال : آه آه في النفس حزازات لم يشفها قتلى بورود . يعني : الخراسانية الذين قُتِلُوا في ذلك المكان حين هزمهم^(١) .

وكان القاضي أبو عبدالله الوليدي يلزم مجلسه ويعلق جميع ما يسمعه ، مما يتصل بالعلم والأدب ويتعلق بضرب من الفائدة فجمع كتابا سماه ألفاظ الناصر .

وله عليه السلام تصانيف مفيدة في أنواع العلم ، منها : كتاب البساط ، وكتاب في التفسير احتج فيه بألف بيت من الشعر ، وله كتاب الحجج الواضحة بالدلائل الراجحة في الإمامة على طريقة الزيدية ، وفيه دلائل حسنة على إمامة أمير المؤمنين ، وله كتاب الأمالي في الأخبار ضمنه من فضائل العترة عليهم السلام كثيراً ، وعدة كُتِبَ أربعة عشر كتابا وكل ذلك معروف مشهور .

وله عليه السلام فقه واسع ، وفي فقهه كتاب الحاضر لفقهِ الناصر للسيد المؤيد بالله قدس الله روحه ، وكتاب الناظم للسيد أبي طالب عليه السلام ، وكتاب الموجز للشيخ أبي القاسم البستي رحمه الله ، وكتاب الإبانة في فقهه مشروح بأربعة كتب مجلدة كبار للشيخ العالم أبي جعفر محمد بن يعقوب الهوسمي رحمته الله ، وجميع أهل الجيل من الزيدية كلهم على مذهبه عليه السلام في الفروع .

وكان عليه السلام جامعاً لفنون العلم من أصول الدين وفروعه ومعقوله ومسموعه ، رواية للأثار ، عارفاً بالأخبار ، ضاربا في علم الأدب بأقوى سبب .

وكان عليه السلام قد قرأ من كتب الله عز وجل ستة عشر كتابا ، منها : التوراة والإنجيل والزيور والفرقان ، وباقيها من الصحف .

(١) الإفادة : ١٢٦ .

وكان ﷺ يقول: حفظتُ من كتب الله عز وجل ثلاثة عشر كتاباً، فما انتفعت منها كانتفاعي بكتابين، أحدهما: الفرقان لما فيه من التسلية لنبينا محمد ﷺ بما كابده السلف الصالحون من الأنبياء المتقدمين والرسل الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، والثاني: كتاب دانيال النبي ﷺ؛ لما فيه أن الشيخ الأصم يخرج في بلد يقال لها: ديلمان، ويكابد من أصحابه وأعدائه جميعاً ما لا يقدر قدره ولكن عاقبته محمودة^(١). وهذا يشهد بشرفه ﷺ العظيم وفضله الجسيم، حدث ذكره الله تعالى في كتاب دانيال صلى الله عليه وعلى سائر أنبيائه، ويحق له ﷺ أن يكون كذلك، فإنه انتشر على يديه من الإسلام في تلك الجهات ما شهرته تغني عن ذكره، وقد قيل: ^(٢) «إن الذي أسلم على يديه مائتا ألف، وقيل: ألف ألف نسمة. وروى الشيخ أبو القاسم البستي^(٣): أنه أسلم على يديه في يوم واحد أربعة عشر ألف نسمة، وقد قال ﷺ: «من أسلم على يديه رجل وجبت له الجنة»، وقال ﷺ: «يا علي لئن يهدي الله على يديك رجلاً خيراً لك مما طلعت عليه الشمس»، فاستقر الإسلام ببركته في تلك الديار، وطُمست رسوم الكفر والضلال، وكان أكثر تلك النواحي لا يعرف فيها اسم الله، بل هي باقية على الشرك والجاهلية الجوسية. وأتاها ﷺ وملكها جستان متزوج بجدة فرحض الله ببركته تلك الأدران، ولبست تلك الأراضي ثياب الإيمان، وصارت مستقراً للحق ومأوى للأئمة السابقين عليهم السلام، وكان ذلك بحميد سعيه وحسن دعائه ﷺ فقد كان في نهاية الرفق واللين، حتى عظم تأثيره في الدعاء إلى الله تعالى، وقد شهد لذلك ما روينا عنه ﷺ أنه قال

(١) الشافعي ٣٠٩ .

(٢) في (أ) : وقد نقل الراوي .

(٣) المراتب : ١٦٣ .

في بعض مقاماته وقد دخل أمل وازدحم عليه طبقات الرعية في مجلسه ، فقال :
أيها الناس إنني دخلت بلاد الديلم وهم مشركون يعبدون الشجر والحجر
ولا يعرفون خالقًا ، ولا يدينون دينًا ، فلم أزل أدعوهم إلى الإسلام وأتلف في
العطف بهم حتى دخلوا فيه أرسالًا ، وأقبلوا إلي إقبالًا ، وظهر لهم الحق وعرفوا
التوحيد والعدل ، فهدى الله بي منهم زهاء مائتي ألف رجل وامرأة ، فهم الآن
يتكلمون في التوحيد والعدل مستبصرين ، ويناظرون عليهما مجتهدين ، ويدعون
إليهما محتسبين ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويطيعون حدود الصلوات
المكتوبات والفرائض المفروضات ، وفيهم من لو وجد ألف دينار ملقى على
الطريق لم يأخذ ذلك لنفسه ، وينصبه على رأس مرزاقه ينشده ويعرفه ، ثم قاموا
بنصرتي وناصروا آباءهم وأبناءهم وأكابرهم للحرب في هواي واتباع أمري في
نصرة الحق وأهله ، لا يولي أحد منهم من عدوه ولا يعرف غير الإقدام ، فلو لقيت
منهم ألف جريح لم تر مجروحًا في قفاه وظهره ، وإنما جراحاتهم في وجوههم
وأقدامهم ، يرون الفرار من الزحف إذا كانوا معي كفراء ، والقتل شهادة وغنما .

ثم قال ﷺ في آخر خطبته : وأنتم أيضا معاشر الرعية ، فليس عليكم دوني
حُجاب ، ولا على بابي بواب ، ولا على رأسي خُلُق من الزبانية ، ولا أحد من
أعوان الظلمة ، كبيركم أخي وشابكم ولدي ، لا أنس إلا بأهل العلم منكم ، ولا
أستريح إلا إلى مفاوضتكم ، فسلوني عن أمر دينكم وما يعينكم من العلم وتفسير
القرآن ، فإننا نحن تراجمته وأولى الخلق به ، وهو الذي قرّن بنا وقرّنا به ، فقال
أبي رسول الله ﷺ : « إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي
كتاب الله وعترتي أهل بيتي »^(١) والله ولي توفيقكم لرشدكم ، وحسبي الله وحده
وعليه توكلت وإليه أنيب .

(١) سبق تخريجه .

ومن كلامه عليه السلام وقد كتب إلى بعضهم: ولقد بلغك - أعزك الله ما أدعو وأهدي إليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إحياء لما أميت من كتاب الله تعالى، ودُفن من سنة رسول الله ﷺ، بعد أن مَحَضْتُ آي التنزيل عارفاً بها، منها تفصيل وتوصيل، ومحكم ومتشابه، ووعد ووعيد، وقصص وأمثال، أخذنا باللغة العربية التي بمعرفتها يكون الكمال، مستنبطاً للسنن من معادنها، مستخرجاً للمتكمنات من مكانها، منيراً لما أدلهم من ظلمها، معلناً لما كتم من مستورها.

وكان عليه السلام في أرفع منزلة من منازل الحلم، فروى مصنف كتاب المُسفر: أنه نادى غلاماً له يسمى: حسيناً^(١) ثلاث مرات فلم يجبه، فلما أطال عليه، قال مجيباً: مزّة، أي لا تعش، فقال عليه السلام: مسكين أضجرناه. ونظير ذلك ما روي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه دعا غلاماً مراراً فلم يجبه، فلما خرج وجده قاعداً على الباب، فقال: ما منعك أن تجيبني فقال: أمنتك، قال: فخر ساجداً لله يحمد الله تعالى ويشكره، وقال: الحمد لله الذي أمّن عباده من شري. ثم قال: اذهب فأنت حر لوجه الله.

وكان عليه السلام خشياً زاهداً ورعاً عابداً مقبلاً بالليل والنهار على طاعة الله وعبادته، وكان ذلك دأبه عليه السلام حتى توفاه الله إلى رضوانه وشريف جنّانه. ومن شعره عليه السلام قوله:

واهاً لنفسي من خياري واها	كَلَفْتُهَا الصَّبْرَ عَلَى بِلَواها
وسَوْعٌ مرَّ الحقُّ مُذْ صباها	ولا أرى إعطاءها هَبَواها
أريد تبليغاً بها عليها	في هذه الدنيا وفي أخراها

بكل ما أعلم يرضي الله^(٢)

(١) في (أ) : حسير.

(٢) ذكره السيد أبو طالب في أماليه ١٢٧.

وروي أنه ﷺ قال : ليس لي شبر أرض ولا يكون إن شاء الله ، ومهما رأيتموني أقتني ذلك ، فاعلموا أنني قد ختكم فيما دعوتكم إليه .

وروي عنه ﷺ أن بعض عماله ممن رضيه من عمال آل طاهر حمل إليه ذكر أقاليم الأموال المستخرجة من كل واد ، فامتنع من أخذها وأمر بإخراجها من البيت ، فقال له الرافع : كان آل طاهر عدولا ، والناس بذلك راضون فما عليك في أخذها؟ ومبْلَغُها في غير هذه الرواية ستمائة ألف درهم ، فقال : أنا ابن رسول الله ﷺ ، لا ابن طاهر .

ومن كلامه ﷺ : أيها الناس اتقوا الله ، وكونوا قوامين بالقسط كما أمركم الله ، وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وجاهدوا - رحمكم الله - في الله حق جهاده ، وعادوا الآباء والأبناء والإخوان في الله ، فإن هذه الدار دار قُلعة ، ودار بلغة ، ونحن سفر والدار التي خُلِقنا لها أماننا ، وكان قد بُلِّغنا إليها ووردناها ، فتزودوا من العمل الصالح فإن طريق الجنة خشن ، وبالاجتهاد يبلغ إليها ، إنني لا أغر نفسي ولا أخدعها بالأمانى ، ولا أطمع أن أنال الجنة بغير عمل ، ولا أشك في أن من أساء وظلم منا ضوعف له العذاب ، وأنا ولد الرجل الذي دل على الهدى ، وأشار إلى أبواب الخير ، وشرع هذه الشرائع ، وسن هذه السنن والأحكام ، فنحن أولى الخلق باتباعه واقفاء أثره واحتذاء أمثاله والافتداء به .

وقال ﷺ :

أرثني أهوال المعاد بصيرتي	وتصديق وعد الغيب رأي عيان
فأيقنتُ أنني بالذي قد كسبته	مدين قلبي دائم الخفقان
وأنَّ وعيدَ الله حقٌ ووعدَه	فمن موبق أو فائز بجنان
فأعلنتُ بالتَّوحيدِ والعدلِ قائلًا	وأظهرتُ أحكام الهدى بيان

وكان ﷺ في الشجاعة وثبات القلب ، بحيث لا تهوله الجنود ، ولا يروعه

العسكر المحشود، يخوض الغمرات ويصرع الكماة ويحطم الوشيخ^(١)، ويثلم الصفائح، وكم له من مقام هائل فاز فيه بالشرف الطائل، وكان يرد بين الصفيين متقلدا مصحفه وسيفه ويقول: قال أبي رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، ثم يقول: فهذا كتاب الله، وأنا عترة رسول الله ﷺ، فمن أجاب إلى هذا، وإلا فهذا ومن شعره عليه السلام:

شيخ شري مهجته بالجنه واستن ما كان أبوه سنه
ولم يزل علم الكتاب فنه يجاهد الكفار والأظنه
بالمشريات وبالأسنه

وقال عليه السلام:

فخشيت أن ألقى الإله وما أبليت في أعدائه عذري
أو أن أموت على الفراش ضني موت النساء أجن في القبر
وعلمت أنني لا أزد بما آتي وينقص من مدى عمري
فشريت للرحمن محتسبا نفسا لدي عزيمة القدر
أجري إلى غايات كل علا مثلي إلى أمثالها يجري
لأنال رضوان الإله وما فيه الشفاء لغلة الصدر
في فتية باعوا نفوسهم لله بالباقي من الأجر
صبروا على عقر الخدود وما لاقوا من البأساء والضر
يا رب فاحشر أعظمي ودمي من بطن أم فراغل غثر^(٢)
أو ثعلب أو جوف ثعلبية أو قصب ذئب أو معانسر

(١) شجر الرماح.

(٢) الفرغل: ولد الضبع. القاموس ص ١٣٤٦. غثر: الضبع. القاموس. ص ٥٧٦.

وقال عليه السلام متوجعاً لمصائب العترة عليهم السلام:

وبي لأحوال بني المصطفى	همُّ له شَفٌّ وتبـريحُ
عاداهم الخلق فذوا نُسكهم	بالهمِّ مغبوق ومصبوحُ
في كل أرض منهم طاهرٌ	له دمٌ في الناس مسفوحُ
وميتٌ في الحبس ذو حسرة	وموثق بالقييد مذبوح
وهالكٌ يُندبُ في أهله	أفلت منه وهو مجروح
لم ينقموا منهم سوى أنهم	السادة الطهر المراجيح
دعوا إلى الله فنجسواهم	في الليل تقديس وتسبيح

وكان عليه السلام معظماً قبل قيامه عند عيون العترة عليهم السلام وأفاضل العلماء رضي الله عنهم لما يعرفونه من سعة علمه وغزارة فهمه ، فقد كانت عيون العلماء من أهل كل فن يُفضُّه كل واحد منهم في فنه .

قال السيد أبو طالب عليه السلام ^(١): ورد طبرستان أيام الداعي الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، وبقي عنده إلى أن توفي ، وولي أخوه محمد بن زيد رضي الله عنهما ، وأقام معه ، وكانا معظمين له عارفين بفضله وعلمه ، ولم يكن يتلبس لهما بعمل ولا يلي من جهتهما شيئاً ، وربما كانا يفوضان إليه تفرقة مال العلوية فيهم فيفعل ذلك .

قال عليه السلام ^(٢): وكان محمد بن زيد يتهمه بأنه منطو على طلب الأمر والدعاء إلى نفسه ، مستشعراً للفرع منه لمعرفته بفضله وعلمه ، إلا أنه لا يعدل به عن طريقة الإكرام والاحتشام .

(١) الإفادة ١١٧ .

(٢) السيد أبو طالب في الإفادة ص ١١٨ - ١١٩ .

ورويانا عن الشيخ أبي القاسم البلخي قال: كنا في مجلس الداعي محمد ابن زيد بجرجان، وأبو مسلم بن بحر حاضر، وكنا جميعاً ممن يذب عن الناصر الحسن بن عليّ في تكذيب من ينسب إليه طلبه الأمر، فدخل والتفت إلى أبي مسلم وقال يا أبا مسلم من القائل:

وفتيان صدق كالأسنة عرسوا على مثلها والليل تغشى^(١) غياهبه
لأمر عليهم أن يتم صدوره وليس عليهم أن تتم عواقبه

قال: فعلم أبو مسلم أنه قد أخطأ في إنشاد ذلك؛ لأنه يستدل به على أنه معتقد للخروج، وإظهار الدعوة، فأطرق كالخجل، وعلمت أنا مثل ما علمه فأطرقت، ففطن الناصر لخطأه فخجل وأطرق ساعة وانصرف. فلما انصرف التفت الداعي محمد بن زيد إلى أبي مسلم، فقال: يا أبا مسلم، ما الذي أنشده أبو محمد؟ فقال: أنشد - أطال الله بقاء الداعي^(٢):

إذا نحن أبنا سسالين بأنفس كرام رجت أمراً فخاب رجاؤها
فأنفسنا خير الغنيمة أنها تؤوب وفيها مأوها وحيائها

فقال الداعي محمد بن زيد: أو غير ذلك، إنه يتنسم رائحة الخلافة من جبينه^(٣).

وكانت مناقبه عليه السلام الشاهدة بفضله جمّة كثيرة. من ذلك ما أخبرني من أثق به من الإخوان - كثرهم الله عز وعلأ - وهو الفقيه الفاضل حمزة بن محمود الجيلاني أيده الله يرويه عن الفقيه نظام الدين أبي الفضل بن فيروز شاه الجيلي رحمته الله: أنه عليه السلام قصد ذات يوم من الأيام إلى بعض المساجد، وكان منفرداً من

(١) في الإفادة «ترمي» .

(٢) في الإفادة «فقال أبو مسلم: أنشد أيها الداعي» .

(٣) أنظر الإفادة ١١٩-١٢٠ .

الأصحاب ، ولم يكن معه شيء من السلاح ، فرآه بعض أعدائه فطمع فيه ، فعمده فلم يجد عليه السلام شيئا يدافع به عن نفسه ، فعمد إلى صخرة صماء فسخرها الله له فقبض منها شيئا ، ورمى به في وجه عدوه وبقيت آثار يده عليه السلام وأصابه يزار ذلك ويتبرك به . وأخبرني أنه شاهد ذلك ، وقد قصده في صحبة من ذكره من العلماء رضي الله عنهم .

وأخبرني من أثق به أيضا وهو الفقيه الفاضل الحسن بن علي بن الحسن الديلمي البخاري رحمه الله ، أن رجلا كان يحترب في الطرقات ، وكان معه كلب قد عودّه أنه إذا شاهد من يطمع فيه أرسله فيعمد الكلب إلى موضع العورة من الرجل ، ثم يأتي صاحبه وقد كفاه المؤنة فيأخذ ماله ، فأقبل الناصر عليه السلام ذات يوم منفردا ، وقعد على غيضة يأكل شيئا من الطعام ، فأرسل الرجل كلبه عليه - على جاري العادة - فلما وصل الناصر عليه السلام قعد بالقرب منه ولم يتعرض له ، ورمى له بشيء من الطعام ، وأقبل الرجل فدعا الناصر عليه السلام الله عز وجل أن يسلط عليه الكلب ، فسلط عليه فقتله بما جرت العادة بأن يقتل به الناس ، وانصرف الكلب مع الناصر عليه السلام وأقام مدة . وكان ربما يحضر في شيء من الحروب فيؤثر في أعدائه ، حتى كان في بعض الأيام ، وعمل رجل مأدبة للناصر عليه السلام ، فتقدم والكلب خلفه ، فلما استقر الطعام بين يدي الناصر عليه السلام نبح الكلب نباحا عظيما بخلاف العادة وهم بالطلوع فمنعوه من ذلك ، وكانوا قد طلوعوا إلى الموضع بسلم ، فأمرهم الناصر عليه السلام بأن يخلوا بين الكلب وبين الطلوع ، فطلع ووقف بين يدي الناصر عليه السلام وأكل شيئا من الطعام قبل أكل الناصر عليه السلام فمات من حينه ، وكان الطعام مسموما فسلم الناصر عليه السلام وأصحابه .

وأخبرني رحمه الله أيضا : أن الناصر عليه السلام وقف ذات يوم بالقرب من ماء وفيه ضفادع كثيرة وحيات ، فخرجت منها ضفدع فقصدتها حية ، فدخلت

الضفدع خلف الناصر عليه السلام كالمستجيرة به، فدعا الله عز وجل أن يسלט الضفدع على الحية، (فاستجاب دعاءه، وعادت الضفدع على الحية)^(١) فقتلتها. وحكى لي هذه الحكاية الفقيه الفاضل حمزة بن محمود الجيلاني أيده الله، وقال: وأظن أيضا أن الفقيه الحسن رحمه الله قال لي: إن ذلك مستمر إلى الآن في ذلك الموضع أن الضفادع تقتل الحيات. وهذه مناقب شريفة تقضي بأنه عليه السلام ذو فضل كثير وحظ وافر عند الله جل وعلا.

أولاده عليه السلام: أبو الحسن عليّ الأديب الشاعر، أمه: أم عليّ بنت عمه. وأبو القاسم جعفر، وأبو الحسين أحمد أمهما: نقش، وكانت نقش هذه جارية أهدتها امرأة جستان إلى الناصر للحق عليه السلام، وأم الحسن وهي فاطمة، وأم محمد، ومباركة، وأم إبراهيم، وميمونة. ذكره السيد أبو طالب عليه السلام ^(٢).

ذكر قيامه، ونبذ من سيرته، ومدّة ولايته، وموضع حفرته عليه السلام
كان عليه السلام مع محمد بن زيد إلى أن قُتل محمد بن زيد رحمه الله بجرجان، وقد كان حضر معه الوقعة، فانهزم في جملة المنهزمين، وامتد إلى الري على طريق الدامغان وحصل بها في دار محمد بن الحسن بن محمد بن جعفر الحسيني واتصل بجستان ملك الديلم خبره، وكانت بينهما مودة من أيام محمد بن زيد رحمه الله، وكاتبه وسأله الخروج إليه لبياعه، ووعدّه بأنه يتوب ويقطع عن المعاصي ولا يخالفه في شيء، فامتنع أولا، وكاتبه بأنه لا يثق بوعدّه وليس يأمن أن لا يفيء بما يعدُّ به، فجعله على ثقة من ذلك بأيمان بذلها له، فخرج إليه ومعه أولاده: ابنه الأكبر أبو الحسن عليّ الأديب الشاعر، وأبو القاسم وأبو الحسين، فأكرمه إلا أنه أخلف ما بذل له على لسانه من ترك المعاصي وتقديم أمره في

(١) في (أ) : ساقط ما بين القوسين .

(٢) الافادة ١٢٣ .

الخروج ، وكان يدافعه ويمنيّه ، وطال مقامه إلى أن تهيأ له الخروج من عنده ، فخرج إلى سهل الديلم وعرض الإسلام على من بقي منهم على الكفر ، ثم خرج إلى جيلان ، وابتدأ يعرض الإسلام على الجيل الذين هم على جانب الديلم من طرف الوادي المعروف (بأسفندروا) وهم كفار ، فأسلموا كلهم على يديه وطهروا ، وذلك في سنة سبع وثمانين بعد ظهور الهادي باليمن لسبع سنين ، وأقام على هذه الجملة بالجيل والديلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وأزال الرسوم الجائرة التي وضعها (آل وهسوزان) على الديلم ، واستنقذهم مما كانوا فيه من الضيم في الأنفس والأولاد والأموال ، ووقعت له حروب مرة بعد أخرى مع جستان ، فكانت الدائرة على جستان ، وزال سلطان جستان عن سهل الديلم جملة وانحسم طمعه عنها ، وتخلص المسلمون من قبيح ظلمه لهم وحكمه في أهاليهم وأولادهم واسترقاقه لهم ببركة دعوته عليه السلام ، وقد كان قبل مفارقتة له أحوج إلى مساعدته على ورود باب (أمل) لحرب الخراسانية ، وقد كان جستان أظهر أن الأمر له وسار تحت رايته فزعا من الخراسانية وقصدتهم إياه ، ولم يكن الناصر رضي الله عنه يثق بوفائه ، ويعلم أنه إن ظهر عاد إلى عادته فلم يتشدد في الحرب ، ولم يثبت ثبات مثله . وصارت الغلبة للخراسانية ، وانهزم الناصر عليه السلام وجستان وعاد الناصر إلى موضعه . وكان يقيم تارة (بهوسم) فيراعي أمر الجيل ، وتارة (بكيلاكجان) فيراعي أمر الديلم ، وأحوج جستان آخرأ إلى أن بايعه ، وحلف له بالأيمان المغلظة أنه لا يخالفه ، ووفى بذلك وصار من أتباعه ، وامتد مقامه هناك أربع عشرة سنة ، واتصل بأحمد بن إسماعيل خبره في قوته ^(١) وظهوره ، واجتماع الجيل والديلم على طاعته ، وأنه يريد قصد طبرستان ، فوجه إلى أمل عساكر جمعة ، وكتب إلى محمد بن عليّ المعروف بصعلوك بورود أمل من الري ومحاربتة ، فورد وبلغ عدد

(١) في (أ) : وقته .

الجماعة أكثر من ثلاثين ألفاً، وانضم إليهم من أهل أمل وحشومهم^(١) وطغامهم^(٢) عدد كثير وكانوا في كل يوم يركبون في المراكب على طريقة الغزاة، ويستنفرون إلى حربه عليه السلام، وكثير من قُصَّاصِهِم يفتون بذلك^(٣).

وروينا عن السيد أبي طالب عليه السلام من أماليه [١٣٣]، رواه عن المعروف بأبي بكر محمد بن موسى البخاري قال: دخلت على الحسين^(٤) بن علي الآملي المحدث، وكان في الوقت الذي كان الناصر للحق الحسن بن علي عليه السلام في بلاد الديلم بعد، وقد احتشد لفتح أمل وورودها، والحسين بن علي هذا يفتي العوام بأنه يلزمهم قتال الناصر للحق عليه السلام، ويستنفروهم لحربه، ومعاونة الخراسانية على قصده، وزعم أنه جهاد ويأمرهم بالتجهيز وعقد المراكب كما تفعل الغزاة. قال: فوجدته مغتما، فقلت له: أيها الأستاذ، مالي أراك مغتما حزينا؟ فألقى إلي كتاباً ورد عليه وقال: اقرأه، فإذا هو كتاب الناصر للحق عليه السلام، وفيه:

يا أبا علي، نحن وإياكم خلف لسلف، ومن سبيل الخلف اتباع السلف والافتداء بهم، ومن سلفكم الذين تقتدون بهم من الصحابة عبدالله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد، وهؤلاء لم يقاتلوا معاوية مع علي بن أبي طالب عليه السلام مع تفضيلهم علياً عليه السلام تأولاً منهم أنهم لا يقاتلون أهل الشهادتين، فأنت يا أبا علي على سبيلك أن تقتدي بهم ولا تخالفهم وتنزلي منزلة معاوية على رأيك، وتنزل عدوي هذا ابن نوح منزلة علي بن أبي طالب، فلا تقاتلني كما لم يقاتل سلفك معاوية، وتخل بيني وبينه كما خلى سلفك بينهما، فتكف عن قتال أهل الشهادتين كما كف سلفك، وتجنب مخالفة أئمتك الذين يقتدي بهم، ولا سيما فيما يتعلق

(١) أحشامه الذين يفضون له من أهل وعبيد أو جيرة. قاموس

(٢) الطغام: أوغاد الناس. قاموس

(٣) أنظر المصابيح ٦٠٣-٦٠٤، والإفادة ١٢٠-١٢١.

(٤) في (أ): محمد بن عيسى الحسين بن علي . . .

بإراقة الدماء فافهم يا أبا عليّ ما ذكرت لك فإنه محض الإنصاف .

قال : فقلت له : لقد أنصفك الرجل أيها الأستاذ فلم تكرهه ؟ فقال : نكرهه ؛ لأنه يحسن أن يورد مثل هذه الحجة ، ولأنه لا يرد إلا متقلداً مصحفه وسيفه ، ويقول : قال أبي رسول الله ﷺ : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي »^(١) ، فهذا هو كتاب الله أكبر الثقلين ، وأنا عترة رسول الله ﷺ وأحد الثقلين ، ثم يفتي وينظر ولا يحتاج إلى أحد ، أما سمعت ما قاله في قصيدة له ؟ قال - وأنشد هذا البيت من القصيدة - :

تداعا لقتل بني المصطفى ذوو الحشو منها ومراقها

رجعنا إلى تمام الرواية المتقدمة عن السيد أبي طالب ﷺ^(٢) ، قال ﷺ : وخرجوا بأجمعهم إلى (شالوس) ، وأقبل الناصر ﷺ بعسكره من الجبل والديلم ، ولم يكن لهم من آلات الحرب ما كان للخراسانية ، والتقوا في موضع بين (وارفوا) و(شالوس) يعرف (بتورود) على ساحل البحر ، ووقع القتال هنالك فأوقع ﷺ بالخراسانية ، ومنحه الله أكتافهم ونصره عليهم ، فانهزموا أقبح هزيمة وقُتلوا شر قتل ، فبلغ عدد المقتولين نحو عشرين ألفاً من بين مقتول بالأسلحة وغريق في البحر ، كانوا إذا أقبلوا إلى الظهر أخذتهم الرايات ، وإذا ولوا واقتحموا البحر غرقوا ، وتحصن منهم نحو خمسة آلاف رجل في قلعة شالوس مع أمير لهم يعرف بأبي الوفاء ، واستأمنوا منه ﷺ فأمنهم ، وكان الظفر يوم الأحد

(١) مجموع الإمام زيد بن علي ٤٥٤ ٤٥٤ ، وصحيفة علي بن موسى الرضى ٤٦٤ ، والبزار ٣ / ٨٩ رقم ٨٦٤ ، ومسلم ١٥ / ١٣٩ ، والترمذي ٥ / ٦٢٢ رقم ٣٧٨٨ ، وابن خزيمة ٤ / ٦٢ رقم ٢٣٥٧ ، وابن أبي شيبة في المصنف ٧ / ٤١٨ وابن عساكر ٥ / ٣٦٩ ، وذخائر العقبى ١٦ والبيهقي في السنن الكبرى ٧ / ٣٠ ، والطبري في الكبير ٥ / ١٦٦ ، والنسائي في الخصائص رقم ٧٦ ومسند أحمد ٤٣٦٧ والحاكم في المستدرک ٣ / ١٤٨ .

(٢) الافادة ١٢٢ .

في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثمائة، ورحل بجيشه متوجها إلى أمل، وقد كان استقبله مشائخها وفقهاؤها^(١) وأماثلها إلى شالوس وهم على فزع منه لما كانوا أقدموا عليه، واعتذروا إليه من فعل عوامهم فقبل عليه السلام عذرهم، وقرب الفقهاء منهم وأدنى مجلسهم وتوفر عليهم، ورحل من هناك إلى أمل، فدخلها سنة إحدى وثلاثمائة. وكان الداعي الحسن بن القاسم رضي الله عنه صاحب جيشه، وكان يقدم في وقت القتال وبعد عنه متتبعا آثار المنهزمين وجاوز شالوس، ثم عاد ليلحق الناصر عليه السلام فلما انتهى إلى قلعة شالوس رأى هؤلاء المستأمنين وقد نزلوا من القلعة، فسأل عنهم ف قيل: إن الناصر أمتهم، فقال: لم أسمع من الناصر ذلك ولم يصح عندي، وأمر بوضع الرايات فيهم، فقتلوا عن آخرهم. وذكر بعضهم أن القتل كان يدنو من أربعين ألفا. وفي الرواية أنه في ذلك اليوم لما اشتد القتال نزل بين الصفيين بحيث كانت تصله النبل ودونها، قيل: إنه قيد رمحين، فصلى ركعتين وأخذ من موضع سجوده ترابا ثم ركب فرسه ورمى بالتراب الذي في يده في وجوه أعدائه، (وقال: شأنت الوجوه)، فانهزموا عند ذلك، فأعجب من ثباته ومن كرامته على الله في إجابة دعائه.

ولما دخل الناصر عليه السلام أمل امتد إلى الجامع وصعد إلى المنبر، وخطب خطبة بليغة ووعظ الناس فيها، ثم عنف أهل البلد على ما كان منهم من مطابقتهم لأعدائه ومعاونتهم وخبر وجههم عليه ووبخهم، ثم عرفهم أنه قد عفا عنهم وأضرب عن جنايتهم، وأمن كبيرهم وصغيرهم، ثم نزل دار الإمارة التي كانت لمحمد بن زيد الداعي رحمة الله عليه. وبأيعه فقهاء البلد ومشائخها ومنهم من بايعه بشالوس، وتمكن من طبرستان كلها من شالوس إلى ساربه وأعمالها، ومن (الرؤيان وكلار) وما يتصل بها، ورتب العمال في هذه البلدان والنواحي، وولى

(١) الإفادة بزيادة «وتناؤها» ١٢٢.

القضاء زيد بن صالح الحسني ، وكان ينظر في الأمور بنفسه ، ويسط العدل ورفع رسوم الجور وعقد مجالس النظر ، وكان الفقهاء يحضرونه ويكلمونه في المسائل ويكلمهم ويناظرهم . وكان الداعي الحسن بن القاسم بن الحسن بن عليّ ابن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام صاحب جيشه ، والمستولي على الأمر ؛ لشهامته وحسن بلائه بين يديه وورعه ودينه ، ولأنه لم يكن في أولاده من يعتمد للولاية ؛ لأن أبا الحسن كان مع فضله في الأدب على غير طريقة السداد .

وكان الناصر عليه السلام معرضاً عنه منكرأ عليه ، وأبو القاسم وأبو الحسين كانا صغيرين ، فلما ترعرعا كان يستعين بهما فيما يجوز أن يستعان فيه الشباب ، فينفذهما في بعض السرايا ويوليهم بعض الجيوش ، ولما فتح آمل ودخلها وولى أبا القاسم سارية ووقع بينه وبين الداعي تنافر ونزاع ، وطال الخطب في ذلك .

ولما أوقع الناصر عليه السلام وأنفذ على مقدمته ابنه أبا القاسم إلى آمل ، وكان الداعي عليه السلام يطمع في أن يختار للتقدم ، فاستوحش من ذلك ولم يظهره ، وكان هذا أول نفور عنه سرّاً ، فقد كان منه عليه السلام أثر ظاهر جميل في تحمل المبارزة بنفسه ، والتقدم إلى حيث لم يتقدم أحد . وكان أصحاب الناصر الذين هم أهل الدين والورع مثل أبي محمد عبدالله بن أحمد بن سلام رحمه الله ، ومن دونه يميلون إلى الداعي عليه السلام ؛ لدينه وورعه واستقامة طريقته ، وينحرفون عن أولاد الناصر عليه السلام ؛ لسلوكلهم لطريقة غير مرضية في الباطن . واستوحش الداعي ونفر عن الناصر لمكان أولاده فأدى ذلك النفار إلى الهفوة التي اتفقت منه في القبض عليه ، وإنفاذه إلى قلعة اللارز ، وقد ذكر من اعتذر عنه أنه كان كارها لما جرى ، وأن الإقدام على ذلك بدر من سفهاء الجليل والديلم الذين كانوا وردوا في صحبة الداعي عليه السلام ، وكان ليلى بن النعمان قدمه الناصر عليه السلام إلى ناحية جرجان مع عسكر كثيف ، فاتصل الخبر به وهو بسارية فانصرف بجيشه ، ودخل على الداعي

في مضربه ، وقال : ماذا صنعتن بأيننا ؟ يعني الناصر ، أهذا حقه عليك وعلى الجماعة ؟ فقال : إنه لم يفرج عن المال ولم يطعم العساكر مالا بد لهم من الخبز ، فقال له : والأب إذا لم يطعم الخبز يحبس ؟ ثم ركب وعدل برأيته إلى جانب وصاح من كان متبعا للحق مريدا له فليعدل إلى هذه الراية ، وكان أصحاب الداعي قد ندموا على ما بدر منهم إلا عدد يسير هم خواصه ، فعدل الجيش كلهم إلا هذه الطائفة ، ففزع الداعي حينئذ فقال له : هات خاتمك ، فأخرجه من يده وسلمه إليه ، فأنفذه للوقت مع جماعة من الثقات لإخراجه من القلعة ورده ، وهرب الداعي في الوقت مع نفر من أصحابه إلى الديلم .

قال السيد أبو طالب عليه السلام^(١) : حدثني أبي رحمه الله بهذه الجملة ، قال : وحدثني بأنه شاهده عليه السلام حين رد من القلعة يوم دخوله آمل ، وقد استقبله أهل البلد صغيرهم وكبيرهم وكان على بغلة ، فكاد الناس يقلعون بغلته من الأرض لاذحامهم عليه وخدمتهم له ، ورأيت وهو يدفع الناس عنه بطرف مقرعته إذا تكابسوا عليه تمسحاه به وتقبيلاً لرجله حتى كادوا يزيلونه عن المركوب يشير بها وينحيهم عنه .

ثم اتصل به بعد ذلك عليه السلام ما عزم عليه أحمد بن إسماعيل والي خراسان من بروزه من بخارى بجيشه وقضه وقضيضه قاصداً طبرستان ، ومتوجهاً إلى حربه وأظهر أنه يخربها ولا يبقى في الديلم شجرة إلا قلعها لما جرى على عسكره ، واشتغل قلبه وقلوب أوليائه بذلك اشتغالاً عظيماً ، فلما كان ذات يوم من الأيام خرج إلى مجلسه ، وقال : قد كفيتم أمر هذا الرجل فقد وجهت إليه جيشاً يكتفى بهم في دفعه ، فقالوا : أيها الإمام ومن أين هذا الجيش ؟ ومتى أنفذته ؟ فقال : صليت البارحة ركعتين ودعوت الله عليه ، فلما كان بعد

(١) الافادة ١٢٨ .

أيام ورد الخبر بأن غلماناه قتلوه، وكفي رضي الله عنه أمره.

قال السيد أبو طالب عليه السلام ^(١): هذه حكاية معروفة مشهورة قد حدثني بها غير

واحد من الثقات.

وللناصر عليه السلام أشعار كثيرة منها قوله في قصيدة أولها:

لهفان جم وساوس الفكر	بين الغياض فساحل البحر
يدعو العباد لرشدهم وكان	ما ضربوا على الآذان بالوقر
مترادف الأحزان ذو جرع	مرمذاقتهن كالصبر
متنفس كالكير ألهبه	نفخ القيون وواقد الجمر
أضحى العدو عليه مجتهداً	ووليه متخاذل النصر
متبرم بحياته قلق	قد ملّ صحبة أهل ذا الدهر ^(٢)

وقال عليه السلام أيام ترشحه للقيام ودعائه سرا:

عهد الصبا سقيا لکن عهدودا	وإن كان إسعافي لکن زهيدا
لقد حل مغناكُن حلم وشيبة	يرى هديها عن عهدكُن بعيدا
فتى غادرت منه الخطوب بغشمها	طبيبا لأدواء الخطوب جليدا
إذا ساورته الفاتنات من الهوى	تبلج غلابا لهن حميدا
ترى الناس يُخفون الكلام تحفظا	إذا ما رأوه أو يكون رشيدا
تباعده منه المخلصون ذوا التقى	وأصبح بين المفسدين فريدا
عجبت لمن كان النبي وصهره	وقاطم أباء له وجدودا
يرى من خلاف الناس لله ما يرى	فيُفضي عليه أو يطيق قعودا
محلين لا يرعون لله حرمة	صدودا ولا يخشون منه صدودا

(١) الإفادة ١٢٩.

(٢) الإفادة ١٣١.

مسمعَ وعداً صادقاً ووعيدا
خيولاً إلى أعدائنا وجنودا
وأترك منه في القلوب فصيدا
وإن كان في ذات الإله مجيدا
وفخرأً وأجرأً أن يموت شهيدا
وقائم زرع القاسطين حصيدا^(١)

وحبل عمرك بالإمهال موصول
فيها لنور إله الخلق تمثيل
أضحى لها فيه تفسيق وتأفيل
له لدى علمساء الحق تأويل
بذكر أوصافه موسى وحزقيل
قد كان يأتيهم بالوحي جبريل
الطاهرون المقاديس البهاليل
بين العباد وأن الشر مقبول
وحكم من خالف القرآن معمول
بمزجر الكلب مبهول ومعتول
وأن من نصر الرحمن مخذول
أن خصنا من عطاء الله تفضيل
صاروا كأنهم من غيظهم حول

لقد أسمع الآي المفصل من له
أمخترمي ريب المنون ولم أقد
ولم أخضب المران من قاني الكلى
بكل فتى كالسيف أخرق في العدى
يرى الموت حتف الأنف عاراً وسبة
إلى أن أرى إثر المحلن قد عفا
وله عليه السلام من قصيدة طويلة قوله :

فاجهد لكل الذي يرضى الإله به
فأنت من دوحه زيتونة وقدت
نور إذا غشي الأنوار مشرقه
نور يقل بهذا الناس عارفه
أتى لشعيانه^(٢) في سفره وأتى
محمد وعليّ والبتول ومن
وعترة المصطفى بالرس عنصرنا
أشكو إلى الله أن الحق مُتَّرك
وأن حكم كتاب الله مطرح
وأن ذا اليتيم والمسكين بينهم
وأن من نصر الشيطان متبع
وأن أمتنا أبدت عداوتنا
إذا ذكرنا بعلم أو بعارفة

(١) الشافي ١/ ٣١٢ .

(٢) شعيبانه : اسم نبي .

ومنها قوله :

مبغضون فمطروود ومقتول
وسابح من دمآء الطهر مطلول
فقد فشى الشرك فيهم والأضاليل^(١)

وأن عترة خير الخلق بينهم
في كل يوم لهم وثر ومظلمة
فاجهد وجاهد ولالة الجور محتسبا
ومنها قوله :

يزينه غرة منه وتحجيل
في غره من قراع الهام تليل
كأن عامله بالليل قنديل
لها حنين كما حن المطافيل
فيه لما اعوج تشقيف وتعديل
في روضة للعصاة الشمس تليل
فكلما حملوا لله محمول
فمنهم بوعيد الله مشغول
في جاحم النار تخليد وتغليل
فما آتاهم به القرآن معمول
لأهله فيه تكبير وتهليل^(٢)

بكل مضطلع مرحان ذي تلغ
وكل أبيض مثل النور ملتهب
وكل لدن من الخطي معتدل
وكل معطوفة زورآء عاتكة
بكف كل نطاسي بشكته^(٣)
وكل ذي غضب لله ملتهب
في فتية قد شروا لله أنفسهم
رأوا بعين الهدى ما قد يكون غدا
وأيقنوا أن من يعصي يكون له
فولوا السيف والقرآن حكمهم
حتى ترى الحق قد قامت قوائمه

وقال عليه السلام :

ح عناق سيفي واحتضائه
الرفق ينفعني أمأته
من بعد تصفية دخائه

حسبي من الببيض الملا
عضب إذا عسدم الكمي
وكان جرى في جسمه

(١) الشافي ١/٣١٣ .

(٢) في (أ) : بشكبه .

(٣) الشافي ١/٣١٣ - ٣١٤٠ .

لَدُنَّ يَهْزُ الكَفَّ مَسْئُ
 عن غير ما خفر ولك
 فبمـثله يأبى الكريد
 وأنا امسرؤ عند احتدا
 وإذا تداين معـشـر
 فـإذا تكلم واعظا
 تلقى غواشييه إذا
 ما إن يُفارقُ خَيمه
 شهنت له أفعاله
 ذو منصب ناء عن الد
 ومؤمل ذي نخوة
 من شأنه قصب الكُما
 بل السنون أسلمسه مكانه
 من الشُّرى هذا أوأنه
 عم الشهم ما فيه هوأنه
 م الموت ينجيني جِـرأته
 يجـدونـه وخـمـا ديانـه
 فكفـاك من عـظـة بيـانـه
 طـرقـوه مُتـرعـة جـفـانـه
 في كل ما أبلى زمـانـه
 أن لم يقل كـذبـا لسـانـه
 أدناس يغنيني صـيـانـه
 في الحـرب جم خـنـزوانـه
 ة لدى الوغى رَعَفُ سِنَانِه^(١)

وكان عليه السلام حلو المفاكهة طريف الممازحة يتصرف في مجلسه في أنواع العلوم من الكلام والفقه ورواية الآثار وإنشاد الأشعار للقدماء والمحدثين والحكايات المفيدة.

ومن طرفه في هذا الباب ما رواه السيد أبو طالب عن أبيه رضي الله عنهما قال^(٢): كان عليه السلام محروراً شديدا الحرارة، تستولي عليه الحمى إذا تكلم، فكان يوضع بين يديه كوز فيه ماء بارد، ويتجرع منه في الوقت بعد الوقت إذا تكلم كثيرا وناظر في خلال مناظرته، وكان يأمل شيخهم من العراقيين يعرف بأبي عبدالله محمد بن عمرو وكان يكلمه عليه السلام في مسألة، فكان يترشش من فيه لعاب يصيب الكوز منه كما يتفق مثله من المشائخ، فأخذ الناصر دفترًا كان بين

(١) الشافعي ١/٣١١-٣١٢.

(٢) الافادة ١٢٤.

يديه ووضع على رأس الكوز، فاتفق أن هذا الشيخ وهو في هزازة وحدة مناظرته
 وكَعَ بأخذ ذلك الدفتر عن رأس الكوز من غير قصد، ولكن كما يتفق من الإنسان
 أن يولع بشيء من ضجره واحتداده وفعل ذلك مرتين، وكان النَّاصِر يكلمه وكلما
 رفعه عن رأس الكوز يعيده إليه فلما رفعه الرفعة الثالثة أعاده النَّاصِر، ثم التفت
 إليه فقال: يا هذا ﴿ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴾ [الفلق: ٤]، إلى غير ذلك
 مما رُوِيَ عنه. ولم يزل عليه السلام جادا مجتهدا في نشر العلم والعمل حتى حانت
 وفاته عليه السلام، فاستؤمر فيمن يقوم مقامه إذا حَدَّثَ به قضاء الله عز وجل، وسأله
 بعضهم أن يعهد إلى بعض أولاده فقال عليه السلام: وددت أن يكون فيهم من يصلح
 لذلك ولكن لا أستحل في ما بيني وبين الله عز وجل أن أولي أحدا منهم أمر
 المسلمين، ثم قال: الحسن بن القاسم أحق بالقيام بهذا الأمر من أولادي وأصلح
 له منهم؛ فردوه وقد كان في الديلم ولم يمنعه ما كان أسلفه عنده من إثارة الحق في
 المشورة به. ثم توفي عليه السلام بآمل في ليلة الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة أربع
 وثلاثمائة، وله أربع وسبعون سنة، ودفن عليه السلام يوم الجمعة، وكان من آخر شعره
عليه السلام قصيدة أولها:

أنافَ على السبعين ذا الحول رابعُ ولا بدلي أني إلى الله راجعُ
 وصرتُ أبا جدِّ تقوُّمني العصا أدبُ كَأني كلما قمت راععُ^(١)

وكانت مدة ظهوره بآمل ثلاث سنين وأشهرًا، ودفن بها ومشهده معروف

مزور.

وذكر بعض من صنف في أخباره عليه السلام أنه كان في الليلة التي توفي فيها
 يُشَاهِدُ نور ساطع من الدار التي هو فيها إلى عنان السماء، وأنه يستضيء بذلك
 النور من بُعد عن الدار، فلم يزل كذلك حتى انقطع النور فجاء من شاهده وقد
 توفي عليه السلام.

(١) الإفادة ١٣١.

وروي أنه عليه السلام في مرضه كان لا تفوته صلاة بوضوء إلى أن أثقل، فكان يومئ إلى الوضوء بيده فيوضؤه، ويأخذ في الصلاة حتى فاضت نفسه وهو ساجد.

وروي أنه في ليلته التي توفي فيها استعز به المرض فأخر المغرب والعشاء الآخرة إلى قرب السحر ثم صلاهما، فلما فرغ منها فاضت نفسه.

قال السيد أبو طالب عليه السلام^(١): وقدم الداعي عليه السلام أمل في شهر رمضان يوم الثلاثاء لأربع عشرة خلت منه، فبدأ بقبر الناصر للحق عليه السلام، ومعه أولاده أبو الحسن وأبو القاسم وأبو الحسين فألصق خده بالقبر وهو يبكي، فقام أبو الحسن ابنه وأنشأ قصيدة في مرثيته:

أيحسنُ بي أن لا أموت ولا أضنى وقد فقدتُ عيناى من حسنِ حُسنَا
وقصيدة أخرى أولها:

دم الجوف يجري في الحشا متصعدا فينهل دمعاً صافياً متبدداً
وبويع للداعي عليه السلام في ثانيه وهو يوم الأربعاء الرابع عشر من شهر رمضان فأظهر حسن السيرة في الأمور كلها في بسط العدل والإحسان إلى الأشراف وأهل العلم على طبقاتهم وتسويغ خراجهم، والتشدد على أهل العيث والفساد ما يضرب به المثل إلى الآن بطبرستان، فيقال: عدل الداعي.

وكانت له حروب مشهورة، ووقائع معروفة مع ولدي الناصر عليه السلام، ومع مسوذة الخراسانية، وخطب له بنيسابور ونواحيها ليلي بن النعمان مدة، وخطب أيضاً بالري ونواحيها أياماً، وبقي على أمره بعد الناصر عليه السلام اثني عشرة سنة وأشهرًا. واستشهد: سنة ست عشرة وثلاثمائة، في يوم الثلاثاء بعد العصر لثلاث بقين من شهر رمضان، وقد بلغ من عمره اثنتين وخمسين سنة.

رضي الله عنه وألحقه بأبائه الطاهرين.

(١)الإفادة ١٣٢.

المرتضى لدين الله عليه السلام^(١)

هو: أبو القاسم محمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وهو عليه السلام غصن من أغصان الخلافة الناضرة، ويدر من بدور العترة الباهرة، ورضيع ندي الإيمان، وزهر الفضل الذي ضحكت عنه الأفنان.

وأمه عليها السلام : فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم، فهو عليه السلام كريم الطرفين منتجب الأبوين، ولد سنة ثمان وسبعين ومائتين^(٢).

ذكر طرف من مناقبه وفضائله عليه السلام :

كان عليه السلام قد نشأ على طريقة التقوى واليقين، متحلياً بأداب الأئمة الهادين سلام الله عليهم أجمعين، قد أدرك قصبات السبق في ميدان الفضل، وحلق في جو الشرف والنبيل، واعتلى قمم المجد العالية ورُتّب الفخار السامية. وله العلوم الحسنة والتصانيف المستحسنة وهي ظاهرة مشهورة في أصول الدين وفروع الفقه وعلوم القرآن. فمنها: كتاب الأصول في التوحيد والعدل. ومنها: كتاب النبوة، وكتاب الإرادة والمشيشة، وكتاب التوبة، (وكتاب الرد على الروافض)^(٣) وكتاب فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي

(١) الإفادة ١٣٣، والأعلام ٧/١٣٥، وسيرة الإمام الهادي الفهرس ٤٥٨، وبلوغ المرام ٣٢، والتحف شرح الزلف ١٩٠، وعمدة الطالب ٢٠٤، وطبقات الزيدية ١٥٨، والمصاييح ٥٩٠، والفلك الدوار ١٦-٥٨، ومعجم الأنساب ١/١٨٧، ومعجم المؤلفين ١٢/١٠١، والوافي بالوفيات ٥/١٨٥، وأئمة اليمن ٥٢، وفرجة الهموم والحزن للواسعي ١٧٠، وسر السلسلة العلوية ٢٨، والشافي ٣١٨/١.

(٢) الإفادة ١٣٣.

(٣) ما بين القوسين ساقط في (أ).

طالب عليه السلام، وكتاب الرد على القرامطة . وكتاب الإيضاح في الفقه . وكتاب النوازل . وكتاب الرضاع . وكتاب مسائل البيوع . وكتاب مسائل المعقلي . وكتاب مسائل الطبريين . وله في التفسير قطع كثيرة ، إلى غير ذلك من تصانيفه عليه السلام ، وهي كثيرة سوى ما ذكرنا .

فأما الزهد والورع : فمما لا يفتقر إلى برهان ، وكيف لا يكون منه في أعلا طبقة وهو فرع خلافة قد بسق فخارها وعلا منارها ، وكانت له عليه السلام المقامات المحمودة ، والمواقف المشهودة بين يدي أبيه الهادي إلى الحق عليه السلام ، وكان قطب رحي الحرب إذا دارت :

وكم مقام هائل قد قامه لو قامه الفيل لسار القهقري
وكان انتهى به الحال إلى أن أخذ أسيراً في بعض الحروب ، فأقام مدة في ناحية بيت بوس حتى لطف الله عز وجل له بالخلاص .

وله عليه السلام أشعار كثيرة كتبها لوالده في حال حبسه وهي موجودة في سيرته الشريفة فمن ذلك قوله عليه السلام :

كدر الورد علينا والصدّر	فعل من بدل دينا وغدر
أيها الأمة عودوا للهدى	واتبعوا الحق بنور وبصر
حكّموا القرآن فيما بيننا	واتركوا عنكم أحاديث السمر
إن قول الله أشفى لكم	أيها الناس بايضاح النذر
واتبعوا ما قال يحيى لكم	فيه تنجون من حر سقر
إن للسيف علينا حومة	وبه نسطو على من قد ختر
عدمتي البيض مع سمر القنا	وتبدلت رقاداً بالسهر
لأثيرن عجاجاً ساطعاً	بالعناجيج وبالبيض البتر
وأديرن على أعداًتنا	كأس حرب وضراماً يستعر

وقال عليه السلام في قصيدة بعث بها إلى أبيه عليه السلام :

أمير المؤمنين تعزّ عني ولا تحفل ببعدي واغترابي
وهبني كنت في القتلى صريعاً بأطراف الأسنة والحراب
وقم لله مجتهداً مجداً فمثلك لا يعلم بالصواب
وكيف وأنت أفضل من عليها وأبصسر بالعلوم وبالكتاب

أولاده عليه السلام : القاسم بن محمد، وإسماعيل، وإبراهيم، وعلي، وعبدالله،
وموسى، ويحيى أبو الحسين وهو الخارج بالديلم الملقب بالهادي الذي روى عن
عمه كتاب الأحكام، وروى المنتخب. والحسن، والحسين، والقاسم. ومن
البنات : أسماء، وبنات غيرها، ذكر ذلك السيد أبو طالب عليه السلام (١).

مدة قيامه بالأمر ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام :

لما توفي الهادي عليه السلام إلى رضوان الله تعالى، وعظم الخطب على المسلمين
بوفاته لنجوم القرامطة بأرض اليمن، وتقوى أمرهم كما قال بعضهم في مرثية فيه
عليه السلام :

كفى حزناً أنا فقدنا إمامنا على حين أمسينا نهاباً مقسماً
على حين أمسى المشركون بأرضنا يرونا لهم فيثا حلالاً ومغنماً

فاجتمع الناس إلى المرتضى عليه السلام وقد كَرَبهم الأمر واشتد عليهم الخطب،
وأجهشوا بالبكاء، فلما سكتوا وسكتت أصواتهم، قال عليه السلام : جزاكم الله من
أهل محبة وولاية خيرا، ونعم الإمام كان لكم الهادي عليه السلام الناصح لكم، الحذب
عليكم، كان والله حريصاً على إرشادكم، طالبا لصلاحكم، مؤثرا لكم، حاملاً
لكم على ما فيه نجاتكم، داعياً لكم إلى ما يقربكم إلى الله، زاجراً لكم عما
يبعدكم منه، حاكماً فيكم بالعدل والقسط، لا تأخذه في الله لومة لائم ولا عدل
عاذل، على مثله فليكثر البكاء والأحزان، والندم والحسرة والأشجان، ولكن

(١) الإفادة : ١٣٣ .

المرجع إلى الله عز وجل في جميع الأحوال، والعمل بالتوبة والدعاء إليها والحث عليها أولى بنا وبكم ولنا ولكم فيما نزل بنا من الأمر العظيم، وحل ساحتنا من الفادح الجسيم، أسوة برسول الله ﷺ وبالأئمة الماضين من عترته صلوات الله عليهم، فإننا لله وإنا إليه راجعون رضاء بقضائه وتسليماً لأمره، والموت سبيل الأولين وطريق الآخريين، وبذلك حكم على عباده رب العالمين، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو تبارك وتعالى خير الوارثين، ثم بكى بشدة، وأنشأ يقول :

يُسَهِّلُ مَا أَلْقَى مِنَ الْوَجْدِ أَنْيَّ مجاوره في داره اليوم أو غدا
 وارتج البلد بالبكاء، وتكلم كل واحد بمبلغ رأيه وعلمه، فلما هدأت الأصوات وسكنت الأجراس - قال المرتضى رحمته الله : الحمد لله رب العالمين ملك يوم الدين، ونستعينه على أداء ما أصبحنا نتقلب فيه من نعمه التي لا تحصى، ونحمده على ما أصابنا من خير وبلوى، ونسأله الصلاة على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد المصطفى وآله وسلم، ثم إن الله عز وجل أمر أمراً وفرض على خلقه فروضاً، لم يرض منهم إلا بالعمل بها، والتسارع إلى ما فرض الله عليهم منها، وأرسل محمداً خاتم النبيين بشيراً ونذيراً إلى جميع المخلوقين، وأنزل عليه كتاباً فيه نور مبين، وشفاء لما في الصدور، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، أمر عباده بالعمل على ما فرضه وأكد من الأمر عليهم بعد أن أعطاهم الاستطاعة، ومكنهم من القُدرة على ما أمرهم به، ودعاهم إليه ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنِ بَيْتَةِ وَيْحِي مَنْ حَيِيَ عَنِ بَيْتَةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]، ولسنا رحمكم الله بأبناء دنيا فنتكالب عليها، ولا بأهل الباطل فنطلب الإمارة والسلطان والأمر والنهي من غير استحقاق، وعلى غير جهة زشد وسداد واستقامة وصلاح،

أكثركم يعلم كيف كنتم للهادي ﷺ بعد دعائكم إياه إلى بلادكم، وبيعتكم له على كتاب الله وسنة نبيته ﷺ، وإحياء معالم الدين ومجاهدة الجبارين الظالمين، ألم ينقض أكثركم تلك العهود المؤكدة والمواثيق الغليظة؟ ألم ينكث جُلُّكم أيمانكم بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً؟ ألم يدع أكثركم الحق جهراً واتبع الباطل؟ وباع الكثير الباقي بالتافه اليسير الفاني؟ وكان ﷺ يقاسي منكم الأمرين وتصيبه منكم المحن المتواترة وتعاملونه بأقبح المعاملة، وتقابلونه على جميع أفعاله معكم وإحسانه إليكم وعفوه عن ذنوبكم بالاساءة إليه والخروج عليه، فصبر من ذميم أفعالكم وقبيح معاملاتكم ما لا يصبر عليه إلا من امتحن الله قلبه بالتقوى ونوره باليقين والهدى، ما قصر ولا ونى في دعائكم إلى رشدكم وطاعة ربكم، ولا سئم من نصحكم والشفقة عليكم، (ولا ترك تقويم المتأود منكم، ولا بخل بما حوته يده عليكم)^(١)، ومواساتكم بنفسه وماله، لم يتعلق عليه أحد منكم بمظلمة ولا ادعى عليه أحد عدولاً عن الحق وميلاً إلى الهوى، ومحابة لولد وذوي قري، بل كان يعمل بكتاب الله وسنة نبيته ﷺ، وأنه قد جعلهما نصب عينيه لا يفارقهما، ولا يزايلهما ولا يدع العمل بهما، فأفعالكم التي تفعلون وسيركم التي بها تسرون، وطرقكم التي فيها تسلكون لا يحمدنها ولا يأمن من الله جل وعز العقوبة على مفارقتكم عليها ومداحاتكم فيها، وأنتم إلى الباطل تميلون وعن الحق تفرون وفي معاصي الله تسارعون، ولولا إيثار طاعة الله والالتزام لأمره والوقوف عند ما حد من حكمه؛ لكان ما عرضتم علي منه من طلب الدنيا وإرادة من اتباع الهوى، هيهات لا أزول من أمر الله شبراً، ولا أفارق حكمه فترا، حتى ألق باله على بصيرة، وألقاه عزوجل عن عزيمة صادقة، فإن تُقبِلُوا إلى طاعة الله وتنفذوا لأمر الله، وتصبروا على حكمه فيما ساءكم

(١) في (أ): ما بين القوسين ساقط .

وَسَرَّكُمْ وَأَعْطَاكُمْ وَأَخَذَ مِنْكُمْ ؛ كُنْتُمْ مِنَ الْفَائِزِينَ وَعِنْدَ خَالِقِكُمْ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَارْجِعُوا بِاللَّوْمِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَتَوَبُوا إِلَى اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ وَأَوْلِيَاءَهُ مَوَالِينَ وَأَعْدَاءَهُ مَعَادِينَ ، وَأَهْلَ مَعْصِيَتِهِ مُنَابِذِينَ ، وَلِمَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ مَهَاجِرِينَ ، وَلِأَثَارِ رَسُولِهِ ﷺ وَمَتَّبِعِينَ ، وَلِلْمَعْصِيَةِ وَالْفُسُوقِ تَارِكِينَ ، وَبِالْمَعْرُوفِ آمِرِينَ وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِينَ ، وَلِلْأَنْثَمَةِ الصَّالِحِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَطِيعِينَ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ^(١) .

ثم بايعه الناس غرة المحرم سنة تسع وتسعين ومائتين ، وأقام بصعدة وفي يده بلد همدان وخولان ونجران ، وأقام ﷺ كذلك مديدة وسير جنوده لقتال القرامطة فقتلوا في كل فج ، واستقامت له الأمور حتى كان يوم الخميس لإحدى وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة من السنة المذكورة جمع ﷺ وجوه العشائر قبله فعاب عليهم أشياء كرهها منهم ، وعزم على الاعتزال والتخلي من الأمر^(٢) .

وقال ﷺ في خطبة خطبها عند ذلك : ثم إنكم معاشر المسلمين ، أقبلتم إليّ عند وفاة الهادي ﷺ ، وأردتموني على قبول بيعتكم ، فامتنعت مما سألتموني ودافعت بالأمر ولم أؤيسكم من إجابتكم إلى ما طلبتم مني خوفاً من استيلاء القرمطي - لعنه الله على بلادكم ، وتعرضه للضعفاء والأيتام والأرامل منكم ، فأجريت أموركم على ما كان الهادي ﷺ يجريها ، ولم ألبس بشيء من عرض دنياكم ، ولم أتناول قليلاً ولا كثيراً من أموالكم ، فلما أخزى الله القرمطي ﴿ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] ، تدبرت أمري وأمركم ونظرت فيما أتعرضه من أخلاقكم ، فوجدت أموركم تجري على غير سننها ، وألفيتكم تميلون إلى الباطل وتنفرون عن الحق ، وتستخفون بأهل

(١) أنظر المصابيح ٥٩١-٥٩٤ وجزء منها في الإفادة ١٣٣ .

(٢) سيرة الإمام الهادي ٤٠٠ .

الصلاح والخير والدين والورع منكم ، لا تتناهون عن منكر فعلونه ، ولا تستحيون
 من قبيح تأتونهُ وذنب عظيم تركبونه ، لا تتعظون بوعظ الواعظين ، ولا تقبلون
 نصح الناصحين ، بل تجرون في غيكم ، وعن أمر الله إلى نهيه عادلين ، وعمّا
 نأمركم بطاعة الله مزورين وعنه نافرين وإلى أعداء الله وأعداء دينه الجهال
 الفساق راكبين ، وقد قال الحكيم العليم في محكم التنزيل : ﴿ وَلَا تَوَكَّنُوا إِلَى
 الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾
 [هود: ١١٣] ، فلما لم أجد فيكم من يعين الصادق المحق ، ويأمر بالمعروف ويرغب
 في الجهاد ، ويختار رضى الله عزوجل على رضى المخلوقين إلا القليل من القبيلة
 واليسير من الجماعة ، أنزلت هذه الدنيا من نفسي أحسن المنازل ، وآثرت الآخرة
 الكريم محالها ، الشريفة منازلها ، العالية مراتبها ، واخترت الباقي الدائم على
 الفاني الزائل ، وتمسكت بطاعة رب العالمين ، وذلك من غير زهد مني في جهاد
 الظالمين ومنايذة الفاسقين ومباينة الجائرين ، مع علمي بما فرض الله عز وجل منه
 على عباده في وقته وأوانه ، وأيقنت مع الأحوال التي وصفتها ، والموانع التي ذكرتها
 أن السلامة عند الله في الزهد في الدنيا ، والاشتغال بعبادة رب العالمين والاعتزال
 عن جميع المخلوقين ، وذلك بعد رجوعي إلى كتاب الله عز وجل واشتغال
 خاطري بتدبر آياته ، وإعمال نظري وفكري في أوامره وزواجره ، ومحكمه
 ومتشابهه ، وخاصة وعامه ، وأمره ونهيه ، وناسخه ومنسوخه - فوجدته يوجب
 التبري عليّ من هذا الأمر إيجاباً محكماً ، ويلزم مني تركه إلزاماً قاطعاً ، فاتبعت عند
 ذلك أمر الله ونزلت عند حكمه ونظرت بقضائه ، فإن لم يقم لله عز وجل عليّ
 حجة من بعد ذلك ووجدت على الحق أعواناً ، وفي الدين إخواناً - قمت بأمر الله
 طلباً لثوابه ، حاكماً بكتابه ، متقلداً لأمره متبعاً سنة نبيه محمد ﷺ ، لا أفارقه
 ولا أعدل عنه حتى يعز الله الحق ويبطل الباطل ، أو الحق بصلاح سلفي الذين

مضوا لله مطيعين وبأمره قائمين، وإن لم أجد على ذلك أعواناً صادقين وإخواناً
 لأمر الله متبعين، لم أدخل بعد اليقين في الشبه، ولم أتلبس بما ليس لي عند
 الله حجة، وكنت في ذلك كما قال الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ
 بِمَلُومٍ﴾ [الذاريات: ٥٤] أمثلي يدخل في الأمور الملتبسة؟ هيهات! منع
 من ذلك خوف الرحمن، وتلاوة القرآن والمعرفة بما أنزل الله في محكم
 الفرقان، فإني لست ممن تغره الدنيا بحسنها وتخدعه بزيتها، فاتقوا الله عباد الله
 حق تقاته، وعاونوا الحق والمحقين وجانبوا الباطل والمبطلين، وكونوا مع
 الصابرين، واعلموا أنكم ميتون، وإلى ربكم راجعون، وعلى أعمالكم محاسبون
 وبما كسبت أيديكم مرتنون، ﴿وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [ق: ٢٩]، والسلام
 على من اتبع أمر الله، ورضي بحكم الله، وأثر طاعة الله^(١).

واعتزل عليه السلام الأمر وخلا بربه وأثر عبادته على كل شيء^(٢)، وصرف عماله
 من بلد همدان ونجران وغيرها، ولزم منزله بصعدة وأقام الأمر على حاله، ولم
 يظهروا له خلافا ولا كراهية لأمره، وأقام بصعدة بعض بني عمه يصلح بين
 الناس. وكان أخوه الناصر عليه السلام في الحجاز، فقدم بعد ذلك فأشار المرتضى عليه السلام
 عليه بالقيام بالأمر. وكانت مدة انتصاب المرتضى عليه السلام نحو سنتين. وتوفي عليه السلام
 بصعدة سنة عشر وثلاثمائة، وله اثنتان وثلاثون سنة، ذكره السيد أبو طالب
عليه السلام^(٣). ودفن إلى جنب أبيه عليه السلام.



(١) الخطبة كاملة في المصابيح ٥٩٥-٥٩٧.

(٢) في (أ) ساقطة: على كل شيء.

(٣) الإفادة ١٣٤.

الناصر لدين الله ﷺ^(١)

هو: أبو الحسن أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.
وأمه: أم أخيه عليهما السلام، ولا جوهر أعلا من جوهره، ولا عنصر أذكى من عنصره، وكيف يوصف شرف نسب تردد بين النبي المختار والأئمة الأطهار السادة الأبرار^(٢).

قوم كرام سادة من هُم؟ ومن هُم؟ ثم من؟

ذكر طرف من مناقبه وأحواله ﷺ :

كان ﷺ قد نشأ على الزهادة، وتربى على العبادة، واقتبس من نور والده الوقاد وكرع في علم الأجداد حتى ارتوى من غريب علمهم، واستمطر رباب فهمهم، فأحرز من علمهم الصافي الكثير، وانتفع من ودق سحابهم الجون الغزير. وله ﷺ التصانيف النافعة^(٣) والكتب الرائعة في الأصول والفروع والمعقول والمسموع، فمنها: كتاب النجاة في الرد على الجبرية القدرية الفرية^(٤) وفيه علم عجيب، وكلام حسن غريب، وهو مجلد كبير قدر عشرين كاملة، وله كتاب الدماغ، وكتاب التوحيد، وكتاب في الفقه، وكتاب (في) التنبيه، وكتاب في

(١) أنظر الإفادة في تاريخ الأئمة السادة ١٣٥، وسيرة الهادي «ع» انظر الفهرس ٤٤٤، والأعلام ٢٦٨/١، وبلوغ المرام ٣٣ والمصايح ٥٩٨، واثخاف المسترشدين ٤٥، والتحف شرح الزلف ١٩١، والترجمان لابن مظفر «خ»، وأئمة اليمن ٦٠، والمقتطف من تاريخ اليمن ١٠٧، والفلك الدوار ١٦ ومعجم المفسرين ٣٠٢/٢، وعمدة الطالب ٢٠٥، وتاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ١/١٥٧، وأعلام المؤلفين الزيدية ٢٠٢.

(٢) المصايح ٥٩٨، والإفادة ١٣٥.

(٣) في (ب): الواسعة.

(٤) في (أ): الغوية.

مسائل الطبريين، وكتاب الرد على الإباضية فرقة من فرق الخوارج، وله في علوم القرآن ما يشهد له بالإصابة والتبريز، إلى غير ذلك من التصانيف المشهورة. ومن شعره عليه السلام قوله :

أبعد الأربعين رجوت خُلداً وشيبك في المفارق قد أتاكا
كأنني بالذي لا بد منه من أمر الله ويحك قد دهاكا

أولاده عليه السلام : القاسم أبو محمد، وفاطمة، أمهما رقية بنت إبراهيم بن محمد ابن القاسم بن إبراهيم- وإسماعيل، والحسن، وجعفر، ويحيى، وعلي لأمهات أولاد، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام (١).

مدة ظهوره ونبذ من سيرته ووقت موته وموضع قبره عليه السلام :

لما قدم عليه السلام من الحجاز في آخر ذي الحجة من سنة ثلاثمائة، وأقام مع أخيه عليهما السلام حتى كان يوم الأحد لثمان ليال خلت من صفر سنة إحدى وثلاثمائة اجتمع إليه وجوه خولان، فاستعانوا به على أخيه المرتضى أن يقوم فيهم، فكره ذلك، فسألوا الناصر عليه السلام القيام فيهم على ما كان والده فأجابهم إلى ذلك، وقام فيهم وأعطوه العهود والمواثيق على القيام معه على كل من ناواه. وكانت بيعته عليه السلام يوم الجمعة في مسجد الهادي عليه السلام الذي فيه قبره.

ومن رسائله عليه السلام فيما يتضمن الدعاء إلى دين الله والحث على الجهاد في سبيل الله بين يديه، قوله عليه السلام : ألا وإنني قد رغبت فيما رغب الله فيه فنهضت له، وقمت فيما ندب إليه فسموت له، وعرفت ما أمر الله فأعلنت به، ولم أسع لطلب دنيا ولا توفير مال ولا ازدياد حال، ولا طلب فساد في الأرض ولا إضاعة

(١) الإفادة ١٣٥ . وقال السيد العلامة مجد الدين المؤيدي في كتابه التحف شرح الزلف ١٩٧ : أولاده : أبو محمد القاسم المختار وعلي، ويحيى عقبهم باليمن واسماعيل عقبه بحلب وغيرها والحسن المنتجب أولاده ببغداد، وداود عقبه برام هُرمز وغيرها، والرشيد عقبه بدمشق، وإبراهيم عقبه بمصر، ومحمد بحلب، والحسين والمهدي هنالك.

لحق، ولا انتهاك لمسلم، ولا هتك لمحرم، ولا إراقة دم حرام، ولا إظهار بدعة، ولا فعل شنة، ولا محبة رفعة، ولا إرادة رفاهية، ولا مفاخرة بجمع، وإنما قمت لل لازم الحجة بي، ووجوبها عليّ، وتوثق أرباقها^(١) بي، على حين جفاء من الإخوان وتراكم من الأحزان وإفراد من الأعوان، وليس مكاني يخفى ولا مقامي يغيب، ولا اسمي بمجهول فيعذر الغافل والمتشاغل، ويجد حجة الخاذل، ويمكن المتخلف التأول مع المحن التي أنا فيها، والأمور التي أقاسيها من كثرة لائم لا يرضى، وعابد للدينا، ومطلب للسعة والغنى، ومتريص لا يتقى، ومفرد عند الشدائد لا يرعى، ومتسخط وقت لا يعطى، وما دعوت إلى الدنيا فإذا عدتها أهلها معي ذهبوا، فإذا فارقوها انقلبوا، ألا وإني إنما دعوت إلى ما دعا إليه من كان قبلي من الأئمة الطاهرين والعباد الصالحين، أنا عبد الله وابن نبيه ﷺ، الشاري نفسه لله سبحانه، الغضبان لله جل ثناؤه إذ عصي في أمره، واستخف بفرضه، وقتلت الدعوة إلى دينه، فلو أسعفتني الأعوان وعاضدوني الأنصار، وصبر على دعوتي أهل الأديان، لعلوت فرسي واعتضيت رمحي وتقلدت نجاد سيفي وآخيت درعي، وقصدت أعداء الله جل ذكره. وكان يجيب الأقران إلى يوم الطعان صابراً محتسباً مسروراً جدلاً، إذا أشرعت الأسنة، واختلفت الأعنة، ودعيت نزال لمعانقة الأبطال، وتكافحت الرجال، وسالت الدماء، وكثرت الصرعى، ورضي الرب الأعلى، فيالها خطة مرضية لله جل ثناؤه ما أشرفها، فأنا أشهد الله لوددت أني أجد إلى حيلة سبيلاً يعز فيها الدين، ويصلح على يدي أمر هذه الأمة - وأنني أجوع يوماً وأطعم يوماً حتى تنقضي أيامي، وألاقي حمامي، فذلك أعظم السرور وأجل الحبور وأشرف الأمور، ولو كان ذلك وأمكن ما نزلت عن فرسي إلا لوقت صلاة، والصفان

(١) الرُبُق - بالكسر جبل فيه عدة عرا تشد به البهائم. مختار الصحاح ٢٣١.

قائمان والجمعان يقتلان، والخيلان يتجاولان، فنكون في ذلك كما قال شاعر أمير المؤمنين عليه السلام بصفين :

أيمعنا القوم ماء الفرات وفينا السيوف وفينا الحَجَف
وفيها الشواذب مثل الوشيح وفينا الرماح وفينا الزَعَف
وفيها عليُّ له سَـوورة إذا خوفوه الردى لم يخف

وكما قال جدي القاسم بن إبراهيم عليه السلام :

دنياي ما زال همي فيك متصلا وإن جنابك كان المزهر الخَضرا
إذا انقضت حاجة لي منك أعقبها همُّ بأخرى فما ينفك مفتقرا
متى أراني إلى الرحمن مبتكرا في ظل رمحي ودرق قل أو كثيرا
ولكن قلَّ المعين على هذا الدين، فأنا وحيد دهري، وغريب في أمة جدي، وقد شُغِلَ بذلك قلبي، وضعف عزمي^(١) :

ولما بويح له بالخلافة يوم الجمعة في مسجد الهادي إلى الحق الذي فيه قبره ركب إلى صعدة القديمة في ذلك اليوم، فاجتمع إليه خلق كثير من الناس قيل : إنهم كانوا فيما بين صعدة والغيل، وأنشده إبراهيم بن محمد التميمي في ذلك اليوم قصيدة أولها :

عاداتُ قلبك يوم البين أن يجبا وأن تراجع فيه الشوق والطربا
وخرج إلى المدح فقال :
قوم أبوهم رسول الله حسبهم بأن يكون لهم دون الأنام أبا
من ذا يفاخر أولاد النبي ومن هذا يداني إلى أنسابهم نسبا
قوم إذا افتخر الأقسام واجتهدوا وجدت كل فخار منهم اكتسبا
لولا الإله تلافانا بدينهم لما فتشنا عكوفنا نعبد الصلبا

(١) المصايح ٥٩٩ - ٦٠١ .

يتلو من الله في حافاتها الكتب
لنا إليه إذا لُذنا به سببا
عنا ولا ينجز الوعد الذي كتبنا
ومن يكن حزيه منكم فقد غلبنا
ولا يقال لمن سامى بكم كذبا
عاب الإله فقد أودى وقد عطبا
ومن يُحَارِبُكُمْ جهلا فقد حربا^(١)
لجدكم خاتم الرسل الذي انتخبنا
فرض على كل من صلى ومن خطبا
أن الإمام علينا اليوم قد عتبا
فياخذ السيف من هاتيك ما انتصبا
منه ليثبته فينا الوالد الحدبا
ومحنة منه قد كانت لنا أدبا
بعد الإمام فتم الأمر أو كربا
نهج الثغور ولم الصدع فارتأبا
أمسى بندي بمن أمتنا لمن رهبا
وقام فينا بدين الله محتسبا
لم تلفه خشية الإنفاق محتجبا

أقام جبريل في أبياتهم حقا
أنتم أناس وجدنا الله صيركم
لا يدفعُ السوء والبلوى بغيركم
وأنتم حزيه من دون غيركم
لا يصلح الدين والدنيا بغيركم
من عابكم حسدا عاب الإله ومن
ومن يكن سلمكم يسلم بسلمكم
لم يفرض الله أجرا غير حبكم
حتى الصلاة عليكم والدعاء لكم
تشوف^(٢) الملحدون النوك إذ علموا
فقلت: لا ترفعوا جهلا رؤوسكم
إن الإمام وإن أبدى معاتبة
كانت أمور وكان الله بالغها
وقد تولى أمور الناس خيرهم^(٣)
صنو الإمام ومن سد الإمام به
هذا أبو حسن والجود في قرن
ساس الأمور وكانت قبل مهمة
إذا تحجب أهل المال وامتنعوا

(١) في (أ): سقط عجز هذا البيت .

(٢) في (أ): تشوف .

(٣) في (أ): كلهم .

صلت له شيمٌ أمواله نعمٌ يعطي الجزيل ولا يرضى القليل ولا لمأبدا ابن رسول الله منصلتنا تحفه عصبٌ ضاقت بها عصب رجال سعد بن سعد والريعة إذ كأنه اليم إذ جاشت غواربه أو كالعريض إذا التفت سحائبه راق العيون وسر المسلمون به كأننا يشبان نار الحرب بينهما على شفا جرف هار مواقفهم حتى تداركهم منها فأنقذهم فألف الله بالإحسان بينهما تلك الصنائع عند العالمين لكم فأنتم رحمة فينا لأولنا

أفعاله كرم يرتاح إن طلبا يجفوا الخليل لذنب جد أو لعبا يوم العروبة^(١) في خولان إذ ركبا من حولها عصب يتلو بها عسبا أتوا إليه جميعا جحفلا لجبا إذا تلاطم موج البحر وارتكبا وطبق الأرض والآفاق وانسكبا وساء من عاند الإسلام فاكتأبا لو أنها اضطرت^(٢) كأننا لها حطبا لا يستطيعون من إشقائها هربا ربُّ بحدك منها أنقذ العربا بيمنكم فأماطا الحرب واصطحبا لا يعدلون بها الأوراق والذهبنا وآخرينا فهذا الشكر قد وجبا

ثم أقبلت همدان وأهل نجران، فبايعوه على الطاعة، وبعث قواده وعماله إلى جميع مخاليفه، وساس الأمور أحسن سياسة، ودانت له ملوك اليمن واستولى على أكثر أعماله، وكانت أكثر حروبه مع الباطنية، فقد كانت شوكتهم قوية في عصره، وأظهروا المنكرات كلها وشربوا الخمر في شهر رمضان المعظم استخفافاً بحرمته، وأباحوا الحرام، وكانت النساء يجتمعن في ليلة من الليالي في بيت ثم يدخل الرجال عليهن في الظلمة فيأخذ كل واحد منهم من وقعت في يده يواقعها،

(١) أي الجمعة.

(٢) في (أ): اضطرت.

ويقرؤون سجعا^(١) زعموا أنه قرآن نزل على رأسهم في الإلحاد علي بن الفضل، وادعوا أن ذلك شرع ودين نزل عليهم من رب العالمين، فكانت جنود الناصر عليه السلام في كل وقت تأخذ منهم الثأر وتنقم الأوتار، وكان آخر الوقائع وأعظمها وقعة (نغاش) وكان قد اجتمع من الباطنية خلق كثير من جميع المغرب وناحية تهامة وقائدهم يومئذ صاحب مسور عبد الحميد بن محمد بن الحجاج، فأقاموا في نغاش، وندب الناصر عليه السلام أمراءه وقواده وهم: إبراهيم بن الحسن العلوي العباسي، وأبو جعفر أحمد بن محمد الضحاك، وعبدالله بن عمر، وغيرهم من الرؤساء، فانتدبوا ونهذوا في وجوه القرامطة طالبين الجهاد في سبيل الله. وكان ابتداء القتال في يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر شعبان سنة سبع وثلاثمائة عقيب وصول أوائل عسكر الإمام عليه السلام إلى الخيرة، فتلازم القتال في موضع يعرف ببيت الورد بين الفريقين من صلاة الظهر إلى غروب الشمس.

قال عبدالله بن عمر وهو مصنف سيرة الناصر عليه السلام^(٢): ولقد رأيت من نصر الله لوليه وابن نبيته عليه السلام الناصر لدين الله عليه السلام عجا عجيبا، لقد رمونا ونحن وقوف بين القبيلتين من نهج عبد الحميد القرمطي، فلقد رأيت نبلهم منكوسة بين القتال ما تصيب أحداً بمن الله وإحسانه تعالى، وهربت جنود الباطنية لعنهم الله، وقتل فيهم، ووقف الجند الإمامي في الخيرة ليلة الإثنين، فلما أصبحوا نهضوا إلى قصر الحمدي^(٣) بالقرب من نغاش، وارتجز الغطريف بن الضحاك العلوي^(٤) وهو يقول:

سيدنا الناصر باد علمه مثل الهلال زينته أنجمه

(١) في (أ): وسجعوا سجعا.

(٢) سيرة الإمام الناصر لدين الله (خ).

(٣) في (أ): الحمودي.

(٤) في (أ): الصائدي.

همدان في كل مغار تقدمه طرا وخولان جميعا تخدمه
وأرجو أن الكرام تعظمه لا بد من حصن اللعين نهدمه
ونستحل ماله ونغنمه وفي غد يبصر ما لا يعلمه
من أخذ مال بالقران نقسمه والحق فينا لا يجور قلمه

وكانت القرامطة تشرب من مائه ، فدنا العسكر المنصور ومنعهم من ذلك ،
قال الراوي : ولم يكن معنا أسواق ولا أهبة لمقام ، فكان من نصر الله عز وجل
أن قدم علينا قوم من ناحية صنعاء معهم ثمانون حملاً من دقيق فباوعها في
معسكرنا فحسنت الحال واستغنى العسكر ، وياتوا على الماء في الحمدي ليلة
الثلاثاء ، وعوى الذئب فصاح أحمد بن محمد العنسي : يعز على يا ذئب غداً
شبعك من لحوم القرامطة فصاحوا به ، وقال راجز خولان :

نحن حميناكم وحزنا القصرنا ماء الحمودي بضرب قسرا
خولان قومي بالقياس تترا نجد لابن الطاهرين نصرا
نوفي الذمام ونعاف الغدرا إنا على الفخر نعلي الفخرا
وقومنا همدان تعلقو قهرا على الأعادي بالرماح دسرا
عبد الحميد لا تول الظهرا فإننا نعمل فيك الصبرا
غداً نذلُّ عزكم والكفرا والحق أولى بالعلی وأحرى

وقويت جنود الحق . وقيل : إن عدتهم بلغت إلى ألف وسبعمائة ، وبلغت
عدة الباطنية كثرة عظيمة (قيل : إنهم سبعة آلاف) ^(١) ، فلما كان يوم الثلاثاء غرة
شهر رمضان عظمه الله من سنة سبع وثلاثمائة نهد الجند الإمامي الناصري يحف
به النصر ويحده الظفر قاصدين لأعداء الله تعالى في نغاش ، وكان إبراهيم بن
الحسن العلوي العباسي رحمه الله في الميسرة بمن معه من خيل همدان ورجلها

(١) ساقط من الأصل .

وخيل خولان، وكان أبو جعفر أحمد بن محمد الضحاك الهمداني رحمه الله بمن معه من الأنصار؛ همدان وخولان في الميمنة، وعبدالله بن عمر في القلب بمن معه من فرسان همدان ورجالها وأهل النخوة والوفاء منها، ثم ساروا قدما حتى استقبلوا الباطنية، وصاح شعيب بن محمد السبيعي الأرحبي: يا معشر همدان اسمعوا قولي وعوا كلامي والله لئن لم أر هذه المضارب خرقا في أيديكم في يومكم هذا ليحلن بكم البوار، ولتكونن للقرامطة بمنزلة حمير عليها برادعها باقي أيامكم، وينتهكن حريمكم ويذهبن عزكم، فقدموا فدتكم نفسي بالضرب قدما، ولا تنظروا إلى تهويل القرامطة المشركين فليسوا لكم بنظراء، وما بينكم وبين أن تنالوا من عدوكم ما تريدون إلا صبر ساعة يسيرة ثم أيقنوا بالظفر ويفخر هذا اليوم باقي أعماركم.

قال مصنف سيرته وهو عبدالله بن عمر: ولقد رأيت من سمعه من العسكر اهتزوا لقوله اهتزاز العرب وحركتهم الحرية والنشاط، فصمموا قدما وذمر بعضهم بعضا، وعبأ القرامطة عساكرهم على رأس جبل نغاش^(١)، وكان قائدهم عبد الحميد بن محمد بن الحجاج^(٢) في القلب بأهل لاعة وما يليها من بني شاور المعيل والشاهل وأهل العضد وأهل نضار ويني أعشب وكان في الميمنة القائد الآخر محمد بن إسماعيل الجوبي وعبدالله بن أبي الملاحف الصنعاني وكانا في حجور وعيان وأهل حفاش وملحان ومسور والضلع والأعدار، وكان في الميسرة يوسف بن يعقوب الوردية في النجبة وهم أصحاب ركاب القرمطي وأهل الثقة عنده، وأهل حجة وأهل أدران وعيان ومن يليهم من القبائل، وكانت معهم خيل من عك وغيرها، فسار كل واحد من الفريقين حتى تناظروا وتدانوا، فصاح صائح

(١) في (أ): ساقطة.

(٢) في (أ): حجاج.

من المسلمين : يا معشر القرامطة ، أنتم تزعمون أنكم شيعة آل محمد ﷺ ، وأنكم لهم أنصار ، فما بالكم قابلتموهم بجيوشكم للقتال وإراقة الدماء ؟ ، وإنما تخذعون بذلك العوام والطغام ، وأنتم أعداء محمد وآل محمد عليه وعليهم السلام ، وإني أدعو دعوة وأبتهل إلى الله عز وجل في قبولها وفيها لكم نصفه ، والله عز وجل أرضى للرضى وأسخط للسخط .

وأنا أقول : اللهم بعزتك وسلطانك وامتنانك ، وتكرمته للإسلام ، وتشريفك لآل محمد ﷺ ، من كان منا ومنكم مبغضا لمحمد وآل محمد فأهلكه اليوم ، وعجل نقمته ، واسفك دمه ، واهزم جمعه ، ومن كان منا ومنكم محبا لمحمد وآل محمد ، وقائما معهم بالحق ، فانصره وعجل نصرته ، وأظهر حجته ، وأحقن دمه وثبت قدمه ، فقال القرامطة بأصوات عالية : آمين . . آمين . .
وأمن أصحابنا ، وصاحت القرامطة : اللهم انصر أحب القشتين إليك في يومنا هذا ، (فأمن أصحابنا وأمنت القرامطة) ^(١) ، ثم قامت الحرب على ساق ، وسالت عن إرعاد وإبراق ، فاقتتل الناس حتى زالت الشمس ، وطلع إبراهيم بن ^(٢) المحسن وكان ردفا لأصحابه ، فاقتلوا مضارب القوم ودخلوا معسكرهم ، وانكشفت القرامطة منهزمين لا يلوي أحد منهم على أحد ، وسيوف المحقين تقطف منهم الهامات حتى قتل منهم بشر عظيم ، وهم في هزيمة فاضحة حتى تعلقوا بجبال المصانع ، وأفلت عبد الحميد القرمطي والرماح في قفاه ، وكان تحت فرس جواد نجا عليها بعد أن كان قد دنا عطبه ، وتغنم الناس من السلاح والدواب ما يكثروا ويعظم ، وانصرفوا عنه وإن مضارب القرامطة لخرق في أيديهم على ما حرص عليه شعيب بن محمد السبيعي ، وقال عبدالله بن أحمد التميمي أرجوزة أولها : عوجا خليلي أوان الموسم . . .

(١) في (أ) : ساقط ما بين القوسين .

(٢) في (أ) بزيادة : المنذر .

وخرج إلى ذكر الوقعة فقال :

القرمطي بالضلال المجرم
إذ فر لا يقصر عن حلمم
إياك يا ابن مُحَسِّن لم أعدم
وسيد لسيد معمم
وياذخ لباذخ عرمرم
وصمد لصمد لم يرغم
من معدن أركانه لم تهدم
بغرة مشكورة لم تدم

عبد الحميد بالفعال المؤثم^(١)
وخلف الدعاء لحم الوضم
من خضرم سلاله لخضرم
وملك لملك غشمشم
ومقول لمقول لم يخصم
وماجد لماجد لم يبرم
يلقى الوفود غير كابي المبسم
فأنت نور في الظلام الأقتم

واستقر عبد الحميد في حلمم، وتبدد عسكره وانحل نظام جمعه، وأقام المسلمون في جبلهم يوم الأربعاء بقصر الحمدي.

فلما كان يوم الخميس كتبوا إلى الناصر لدين الله ﷺ يعلمونه بما كان من الفتح المبين، وأمروا بأخماس الغنائم وجماعة من رؤوس القتلى، وعاد كل من القواد إلى مركزه وموضعه، فعاد جواب الناصر ﷺ يحرضهم على جهاد القرامطة وقصدهم إلى أوطانهم، فاجتمع القواد على النهوض في النصف من شهر رمضان، والتقوا إلى الخيرة في يوم الثلاثاء، فوقفوا الثلاثاء والأربعاء ونهضوا يوم الخميس إلى حلمم، فنجا عبد الحميد منهزماً إلى جبل يعرف (بأحضاض)، وخلف في حلمم رجلاً من أصحابه، فقصدهم عبدالله بن محمد السعدي في عسكره، فلما أيقن به من في حلمم ولّوا هارين إلى جبل (موتك)، وهو المعروف الآن بميتك، فدخل السعدي حلمم فأحرقها بالنار، واستولى على ما فيها من الطعام، وطلع عبد الحميد إلى جبل (مدع)، ثم نهض

(١) في (أ): ذي الضلال، ذي الفعال.

العسكر كله إلى المصانع، فلما علم بهم نجا إلى (مسور)، وفتت هذه الواقعة أعضاد الملحدين، ونعشت الدين وأعزت كلمة الموحدين، وشئت شمل الجاحدين .

قال مصنف سيرة الناصر عليه السلام : لقد شهدت الحروب وعايستها مذ بلغت الحُلمَ، فما رأيت يوماً كيوم نغاش أكثر قتلى^(١) من أعداء الله القرامطة، ولقد حبست فرسي في موضع قد كثر فيه القتل، فلقد سمعت للدماء خريراً كخريير الماء إذا هبط من صعود، قال رحمه الله : ولقد رأيت ظبياً مقتولاً قد سقط بين قتيلين، قال : وحدثني بعض أصحابنا : أنه رأى ظبيين مقتولين في موضع آخر، وذلك أنه لما وقعت الهزيمة في القرامطة مع كثرتهم أخذوا الجبل عموماً، فدخلت الوحوش بينهم فقتلت معهم، ولقد صح لنا أن كثيراً من القرامطة دخلوا بين القتلى وتضمخوا بالدماء، حتى أفلتوا لما جن عليهم الليل، ولقد بان لي بين من ذلك، وذلك أنني أشرفت على موضع من البون يقال له : ناهرة حتى رجع المتبع من أصحابنا، فلقد رأيت الجبل انهل كالسيل من القرامطة عراة يسعون هرباً من كان مندساً في الجبال والشعاب وتحت الأغاب، وذلك أن كثيراً من عسكرنا ملَّ القتل فسلب وخلا، ولقد كررت راجعاً على شعب فيه قتلى كثير قد ركب بعضهم بعضاً، فقلت لمن معي : احفظوا هذا الموضع حتى ننظره غداً، فلما كان من الغد نظرت إليه فوجدته رقيقاً بخلاف ما كان، فعلمت أنه كان فيهم أحياء دخلوا بين القتلى ثم صح لنا الخبر بعد ذلك، قال : ولقد اجتهدنا أن نعرف عدد القتلى فما قدرنا على ذلك لتباعد الشعاب، وافتراق الأمكنة، قال : وفقد من دعائهم وأهل الرئاسة منهم ثمانية وأربعون داعياً، ولقد وجد بعد ذلك قتلى كثيرة في شعاب نغاش بسلاحهم وثيابهم ما سلبوا، قال : وما قتل من أصحابنا في قتال يوم الأحد

(١)وردت في النسخ (قتلا من رأيت وعلمت قتل) ولا معنى له، وما أثبتناه من التحف ص ١٢٥ .

ولا الثلاثاء أحد سوى رجل واحد من البون أخطأ به بعض أصحابنا بضربة فمات منها .

وحكي لنا عن الإمام المنصور بالله عليه السلام، يرويه عن بعض أهله : أن عدة القتلى يزيد على خمسة آلاف قتيل ، ولما استقر عبد الحميد في ناحية مسور ، قصدهم جنود الناصر لدين الله عليه السلام ، فأحاطت بهم من جميع جوانبه ، وضايقوهم أشد المضايقة وقتلوا منهم في وقعات كثيرة في أرجائه ، فما أنقذهم من سطوة الحق إلا جنود المسودة نهضت من العراق ووصلت إلى زبيد ، ونهضوا من هنالك قاصدين إلى جنود الناصر عليه السلام ، وكان إتيانهم بمراسلة من القرامطة ، فتأخرت جنود الناصر عليه السلام . ولم يزل عليه السلام ساعياً في إقامة قناة الدين ، مجتهداً في إخماد نار الملحدين حتى توفي عليه السلام يوم الأربعاء ضحى النهار لثمانية عشر ليلة خلت من شهر الحجة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة^(١) . وكانت مدة ظهوره عليه السلام نحو ثلاث وعشرين سنة . ودفن بصعدة إلى جنب أخيه وأبيه ومشاهدتهم معروفة ومزورة .



(١) في (أ) : حتى توفي عليه السلام سنة خمس وعشرين وثلاثمائة .

الإمام المهدي لدين الله ﷺ^(١)

هو: أبو عبدالله محمد بن الداعي إلى الله الحسن بن القاسم بن الحسن ابن علي بن عبدالرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام . وأمه : خورخور^(٢) بنت فيروز الديلمي ، وكلُّ آبائه سادة قادة ، وأبوه الأدنى الذي يضرب بعدله المثل في البلاد التي ظهر فيها أمره ﷺ ، وهو القائم بالأمر بعد الناصر للحق ﷺ والوصي له بعد وفاته ، وأميره في حال حياته ، وكلما علا من أب فهو ذو فضل وزهادة وعفة وعبادة^(٣) .

صفته ﷺ :

كان ﷺ منور الوجه ، حسن (الشبية إلى السمن)^(٤) ، كثير البكاء من خشية الله عز وجل ، سريع الدمعة ، مقرباً للصالحين وأهل الخير ، شديداً على الفساق ، معروفاً بسلامة الصدر وحسن الرجوع على حِدَّةٍ مفرطة كانت به ، ثم يرجع أحسن رجوع ، ذكره السيد أبو طالب ﷺ .

ذكر طرف من مناقبه ﷺ :

نشأ ﷺ على طريقة السلف الصالح ، حتى أضحى ميزانه في الفضل الميزان الراجح ، وجمع ﷺ بين العلم والعمل ، حتى أحرز منهما قصبات السبق ، وبرز فيهما على كثير من الخلق ، وقد ذكر بعض من صنف في أخباره ﷺ أنه كان يقال : لو مادت الأرض بشيء لِعَظْمِهِ لمادت بعلم أبي عبدالله .

(١) أنظر الإفادة في تاريخ الأئمة السادة ١٣٧ ، والشافي ١ / ٣٢١ ، والتحف شرح الزلف ٢٠٩ ، والأعلام للزركلي ٦ / ٨١ ، والكامل لابن الأثير ٧ / ١٠ حوادث سنة ٣٥٣ ، معجم المؤلفين ٣ / ٢٣٠ ، وأعلام المؤلفين الزيدية ٨٨٧ ومطمح الآمال ٢٣٠ ، وسير أعلام النبلاء ١٦ / ١١٤ .

(٢) في (أ) : خرخرا .

(٣) الإفادة ١٣٧ ، والشافي ١ / ٣٢١ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

وكان في علم الكلام بَحْرًا لا تقطعه الألواح، ولا يخوضه الملاح، وكان شيخه فيه الشيخ العالم النحرير أبو عبدالله البصري من المبرزين في علم الكلام، الضاربين فيه بأوفر السهام، فتخرج عليه السلام معه حتى بلغ في الفن الغاية القصوى، وأدرك غاية المنى، وله قطعٌ فيه يدل على تبحره وتوسعه، وكان الشيخ أبو عبدالله رحمه الله كثير الاحتفاء به، والتعظيم لشأنه .

قال السيد أبو طالب عليه السلام ^(١): وكان يحضر داره كثيراً ويبيت فيها ويلقنه المسائل، وربما يملي عليه التعاليق، ويكرر ما جرى له من الدرس، وكان يفعل هذا لأغراض . منها التبجح بأن يكون مثله من أصحابه، ويتخرج بتعليمه، وينسب إليه . ومنها الاستظهار بمكانه، والاعتصام بجنبته من قصد طبقات المخالفين له حتى لم يتمكنوا مع كثرتهم وإطباقهم على عداوته اعتقاداً وحسداً من شيء مما كانوا يحاولونه من التأثير في أمره، وبقي على ذلك العز بعد خروجه رضى الله عنه من بغداد، فإنه لما قصد عند خروجه، وأغرى أبو الحسن ابن علي الطيب العلوي الموسوي - وهو رئيس أشرف بغداد - أهل الكرخ به حتى جاؤا إلى مسجده ورجموه، وهو قاعد يملي وأزعجوه عن مكانه، وعقد محضر بأن الصلاح في نفيه من بغداد، وبذل أكثر من ببغداد من الموافقين والمخالفين شهادتهم فيه، فأنتهى إلى معز الدولة حاله، وقيل له: إن أستاذ أبي عبد الله بن الداعي قد قُصد وأوذى، فاستعظم ذلك غاية الاستعظام، وأنكره انكار مثله، وأمر برده إلى مجلسه على نهاية الإكرام، وأنفذ إليه أكابر الدولة تعظيماً له .

ومنها ما كان يختص به ذلك الشيخ من اعتقاد موالاة الأشراف ومودتهم ومحبتهم والميل إليهم، وإيثاره أن يكونوا كلهم مواظبين على العلم متقدمين فيه، حتى كان إذا ظفر بواحد منهم ووجده حريصاً على العلم مطبوعاً فيه يقدر أنه

(١) الإفادة ١٤٠ .

وجد ضالة نفيسة لا عوض بها، ويحثه على الصبر عليه، وترك التقصير فيه بأنواع من الحث .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام^(١) عن الشيخ أبي عبد الله البصري، قال: كنت أملئ بعض الموجز لابن أبي بشر الأشعري، فكان رضي الله عنه يستملي ذلك بنفسه ويكتبه مع سائر أصحابنا، وكان يحتاج إلى أن يكتب في كل يوم نحو ثلاثين ورقة وأقل وأكثر من أثمان المنصوري، فكنت أتأمله وهو يكتب ذلك وقد عرق من شدة الحر وتعب تعباً شديداً، وهو شيخ وإلى السمن ما هو، فقلت: أيها السيد هوذا تتعب نفسك فيما تكتبه، وهذا لا فضل فيه بين أن تكتبه أنت وبين أن يكتبه غيرك، فقال لي: أحب أن لا أتأخر عن أصحابنا في الاستملاء، كما لا أتأخر عنهم في الدرس .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام^(٢)، عن أبي العباس العماري الطبري قال: كان أبو عبد الله البصري عند أبي عبد الله بن الداعي عليه السلام ليلة، وكان يجري كلام في الإمامة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال أبو عبد الله البصري قول العباس له: أمدد يدك أبايعك، يدل على أنه لم يكن منصوباً عليه، ألا ترى أنه ذكر في سبب إمامته البيعة دون النص المتقدم، فقال أبو عبد الله بن الداعي عليه السلام قوله: أمدد يدك أبايعك، يدل على أنه كان منصوباً عليه، ألا ترى أنه لم يستشر، ولم يقل: تختارك جماعة منا وتتفق عليك ثم أبايعك .

وكان أبو عبد الله البصري يقول لأصحابه: لا تتكلموا في مجلس الشريف أبي عبد الله وبحضرته في مسألتين: في مسألة الإمامة، وفي مسألة سهم ذوي القربى فإنه لا يحتمل ما يسمعه منكم في هاتين المسألتين، ويوحشه ذلك .
وقرأ فقه الحنفية على الشيخ أبي الحسن الكرخي رحمه الله، حتى بلغ فيه

(١) الإفادة ١٣٩ .

(٢) الإفادة ١٣٩ .

المبلغ الذي يُضْرَبُ به المثل .

قال السيد أبو طالب^(١) : سمعت كافي الكفاة يقول : إنه لقيه ببغداد ، وإنه كان يحضر داره كثيراً ، وإنه أول من لقي شيخنا أبا عبدالله البصري لقيه في داره ، قال : فكنا نجرب حفظه لفقّه أبي حنيفة بأن نكتب له مسائل غامضة ، ننتخبها من الكتب ، وكان يقترح علينا أن نفعل ذلك ، فكان ينظر فيها ويكتب أجوبتها تحتها فلا يغلط في شيء منها على المذهب . قال عليه السلام : وحكى القاضي أبو محمد عبدالله بن محمد الأسدي المعروف بابن الأكفاني ، قال : كنا يوماً في مجلس أبي الحسن ، وأبو عبدالله محمد بن الداعي عليه السلام حاضر على عادته ، فلما فرغ أبو الحسن من الدرس قام وخرج من المسجد (وتبعه أبو عبدالله بن الداعي عليه السلام ، فلما خرج من المسجد)^(٢) التفت فراه ، فقال : أيها الشريف لولا أن الخروج من المسجد لا فضيلة فيه لكنت لا أتقدم عليك فيه .

وحكى أن مشائخنا ببغداد وأظن أنني سمعت هذه الحكاية من كافي الكفاة وهي : أن أبا الحسن لما مات حضر أبو عبدالله بن الداعي عليه السلام جنازته ، وحضرها أبو تمام الزينبي وهو تقيب العباسيين ، فكان شيخنا أبو عبدالله يحب أن يصلي عليه أبو عبدالله بن الداعي ، وأبو بكر بن الدامغاني - وهو من متقدمي أصحاب أبي الحسن وحفاظهم ، وكان أبو الحسن حين غلبت عليه الرطوبة في آخر أيامه وثقل لسانه ، وانقطع عن التدريس استنابه للفتيا عنه - كان يميل إلى أن يصلي عليه أبو تمام الزينبي ؛ لأنه كان يختص به كما يختص شيخنا أبو عبدالله بأبي عبدالله ابن الداعي عليه السلام ، فحين وضعت الجنازة احتال أبو بكر هذا بأن تقدم إلى بين يدي أبي عبدالله بن الداعي ، فقال : أيها السيد^(٣) أنت أحق الناس بالتقدم ، ولا

(١) الإفادة ١٣٧-١٣٨ .

(٢) في (أ) : ساقط ما بين القوسين .

(٣) في (أ) : أيها السيد ، وفي الحاشية : الإمام .

يجوز أن يتقدم عليك أحد وقد حضرت، ولكنك تعلم أن مثل هذا الشيخ يقبح أن يُصلى عليه على خلاف مذهبه، وقد علمت أن مذهبه أن تكبير الجنائز أربع، فإذا رأيت أن تكبر عليه أربعاً فافعل، فانتهره عليه السلام، وقال: أنا لا أكبر إلا خمساً، (فمن شاء)^(١) فليتقدم، فحينئذ تقدم أبو تمام وصلى عليه^(٢).

وكان عليه السلام قد خرج إلى فارس فأكرمه عماد الدولة، وعرف له مكانه من الأبوة والفضل في نفسه، فإن عماد الدولة كان أحد قواد الداعي، ثم انتقل إلى بغداد في أيام معز الدولة أبي الحسن أحمد بن بويه، فزاد في إعظامه وإكباره والرفع من محله، وكان هو وأخوه من خواص الداعي عليه السلام.

قال السيد أبو طالب عليه السلام^(٣): وكان معز الدولة حين تمكن من بغداد وتولى نقابة العلوية أبا محمد علي الكوكبي القمي لخدمة قديمة سلفت له، وكان أبو علي فيه زعارة وعنف، فشكا العلوية إلى معز الدولة سوء معاملته إياهم مرة بعد أخرى، فقال لهم: قد عزلته عنكم فاختروا لأنفسكم من ترضونه، فاجتمع العلوية كلهم على الرضى بأبي عبدالله بن الداعي عليه السلام، وقالوا لمعز الدولة: لا نختار غيره، فقال معز الدولة: أنا أعظمه من هذا العمل وأجله أن أخاطبه فيه، فإني أعتقد أن مكان المطيع هو مكانه وهو المستحق له دون غيره، ولكن إن سألتهم وشفعتهم إليه وأجابكم إلى ما تريدونه فهو منية المتمني، أو كلام هذا معناه. فاجتمعوا إليه عليه السلام وسألوه ذلك فامتنع منه وأنف من الدخول فيه، هذا مع جلالة هذا الأمر كانت في ذلك الوقت ببغداد، وأعادوا المسألة والشفاعة حالاً بعد حال، واستعانوا فيه بشيخنا أبي عبدالله البصري، فإنه كان يحب أيضاً دخوله في الأمر؛ ليتمكن بجاهه فضل تمكن، وأشار عليه بذلك وسأله فيه إلى أن

(١) في (أ): ساقط ما بين القوسين.

(٢) الإفادة ١٣٨.

(٣) الإفادة ١٤٢.

استجاب، وشرط على معز الدولة في ذلك شرائط .

منها: ألا يدخل إلى المطيع ولا يقبل له الخلعة التي جرى الرسم بإخراجها من داره إلى كل من تولى ببغداد الأعمال الجليلة ؛ لأنه يكون سواداً، فامتنع من لبس السواد ولهذا امتنع من الدخول إلى المطيع، فإن الرسم جار لمن يدخل إلى هؤلاء ألا يدخل إلا بالسواد، ولما جرى الرسم به من تقبيل الأرض بين أيديهم إلى شرائط أخر شرطها، فأجابه معز الدولة إلى جميعها وأنفذ إليه خلعة بياض، ولم يدخل إلى المطيع طول مقامه ببغداد .

وقال لي شيخنا أبو عبدالله : ما رأيت يوماً أحسن من يوم ركوبه حين ولي النقابة وعليه الخلع، وحوله أشراف بغداد كلهم، وبين يديه حجاب السلطان، ومرّ إلى (برائنا) في ذلك الموكب البهي وعاد إلى داره، وقال : سعدت بعض الغرف المشرفة على الطريق حتى رأيت ورأيت موكبه . وولي عليه السلام أبا الحسين ابن عبدالله نقابة الكوفة، وأبا أحمد الموسوي نقابة البصرة، وأبا الحسين الموسوي نقابة واسط، وأبا القاسم الزيدي نقابة الأهواز وأعمالها، وتحمل هذا العمل بتولية له، ودبره بأتم صيانة وأكمل عفاف وورع . وكان معز الدولة يكثر الإكثار الذي لا مزيد عليه، ويعتقد فيه ما يجب اعتقاده، حتى إنه كان بين يديه يوماً جماعة من أكابر حاشيته، وكانوا إمامية وكان في جملتهم الحمولي القمي، وكان معز الدولة يناظرهم، ويقول لهم: يا إمامية أين إمامكم؟ ومتى يظهر؟ فقالوا له: أيها الأمير فأين إمامك؟ أنت أيضاً بلا إمام! فقال: لي إمام وأنا أريكم إمامي، فلما دخل أبو عبدالله بن الداعي عليه السلام، قال: هذا إمامي^(١).

وبلغ من تعظيمه له أن أبا الحسن بن أبي الطيب الموسوي- وكان رئيس علوية بغداد ومن أعيانهم ومقدميهم- كان تظلم إليه عليه السلام متظلم منه، فأحضره مجلسه وزجره ونهاه عن ظلم من كان يظلمه، فأوحشه بكلمة، فأمر بأن يجر

(١) الإفادة ١٤٣ .

برجله وحبسه في داره، فبلغه أن الوزير المهلبى قد أومى إلى إنكار ما جرى عليه، وأنه يريد أن يتشفع في أمره، فغضب من ذلك واحتد وركب إلى دار معز الدولة في نصف النهار، وهو وقت لم تجر العادة بدخول دار السلطان في مثله والتعرض للقاءه، وكان معز الدولة في الخيش مبتدلاً، فقيل له: قد حضر أبو عبدالله بن الداعي، فانزعج بحضوره في ذلك الوقت، وراسله وتعرف الحال في سبب مجيئه، فذكر قصة أبي الحسن بن أبي الطيب، وعاد الرسول إلى معز الدولة وعرفه ما ذكره، فأنفذ إليه بأني قدرت لما ذكر لي حضورك في مثل هذا الوقت أنك حضرت لشكاية ابني بختيار، ومن ابن أبي الطيب حتى تحوج أنت إلى تجشم شكايته إلي؟! وأنت مالك أمره، فاحكم فيه بكل ما تريده من ضرب وحبس ومن جميع أنواع العقوبة، ولكن بعد ما شكوته إلي فعقوبته عندي نفيه إلى عمان، واستدعى للوقت ابن الزكي صاحب الشرطة، وتقدم إليه بأن يقعه في زورق مقيداً موكلأ به، ويحدره إلى البصرة، وبأن يكتب إلى عامل البصرة بأن ينفذه إلى عمان، ثم تشفع إليه عليه السلام في العفو عنه فعفى^(١).

قال السيد أبو طالب^(٢): وأنشدني أبو الحسين بن أبي سعد كاتبه عليه السلام لأبي الحسن الموسوي، قال: كتب إليه بهذه الأبيات عليه السلام من واسط حين ولي النقابة، وهي أبيات مطبوعة ظريفة قال:

الحمد لله على عدله	قد رجع الحق إلى أهله
كم بين من نختاره واليا	وبين من نرغب في عزله
يا سيداً تجمع أراؤنا	مع كثرة الخلف على فضله
ومن غدا يشبه أسلافه	في قوله الحق وفي فعله
لو قيل: من خير بني المصطفى	وأفضل الأمة من نسله؟

(١) الإفادة ١٤٣ .

(٢) الإفادة ١٤٤ - ١٤٥ .

أشار بالأيدي إليك الزرى
يا ابن علي بن أبي طالب
لو لم أقل بالنص في مذهبي
لقلت قد قام إمام الهدى
نُبِّئكَ في الأمر الذي نلتَه
يزيد والله على نبله

إشارة الفرع إلى أصله
مثلك من ذل على نسله
وكنت كالقاطع من حبله
واجتمع العالم في ظله

أولاده عليه السلام : الحسن أبو محمد^(١)، وعلي أبو الحسن، وابنة. وأهمهم : أم
العباس بنت علي بن العباس بن محمد بن إبراهيم الحسيني^(٢).

بيعتة عليه السلام ونبذ من سيرته بعد البيعة ومدة ظهوره، وموضع قبره :

أقام عليه السلام في بغداد حتى ارتفع صيته وعلا ذكره في الآفاق، فكاتبه أهل
الصلاح والدين من أعيان الديلم بأنهم يبايعونه وينصرونه إن خرج إليهم، وورد
عليه نعر منهم يخاطبونه في مثل هذا المعنى، وخاطبه أبو الفوارس (ماناذر بن
جستان) ملك الديلم بأنه يبايعه ويبذل في نصرته المجهود ويعينه بماله ورجاله،
فتعين عليه الفرض في الخروج، فخرج من بغداد مستترا لا يقف على خروجه إلا
خواص من أهل العلم الذين بايعوه ببغداد سرا، وكان معز الدولة غائبا عنها إلى
الموصل لمحاربة بني حمدان، وكان قد اجتمع للعلوية من أوقافهم مال كثير أراد
تفريقه فيهم، وكان مودعا في درب عون، ولم يكن يقف عليه أحد، فحين خرج
من بغداد كتب رقعة فيها مبلغ المال والموضع الذي هو فيه مودع، وأن سبيله أن
يفرق فيهم، وأمر حامل الرقعة بتسليمها إلى بعض الثقات، وأن يتصرف قبل أن
يوقف على خبره، ففعل ذلك فأخذ ذلك المال وفرق، والناس يبكون أسفا عليه

(١) في (أ) : ابن محمد.

(٢) الإفادة ١٤٥.

وعلى إمامته إذ فارقهم مثله، وعرف معز الدولة خبره، فغمه ذلك غما شديداً، وعاتب بختيار عتاباً طويلاً؛ لأنه ظن أنه خرج لوحشة عرضت له من جهته، وأخذ عليه السلام على طريق الشهرزور، ووقع على موضع يعرف (بأنبير)، ومن هناك أخذ دليلاً وسار حتى وصل إلى ماناذر بالروذيار، فلما عرف ماناذر خبره استقبله وخدمه، وترتب في الموضع المعروف ببيرزومي من أرض الديلم، وذلك في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، وتتابع إليه المسلمون من سهل الديلم وجبلها، ومن الجليل ومن طبرستان فبايعوه، وضم إليه ماناذر جمعاً كثيراً من أصحابه ورئيسهم نكالنجار^(١) ابن أخته، وبث عليه السلام الدعوة في النواحي^(٢).

وذكر الشيخ أبو القاسم البستي عليه السلام في كتاب المراتب [١٦٥]: أن الذي بايعه أربعة آلاف رجل من علماء الأمة، ثم نزل عليه السلام عن الجليل قاصداً هوسم وواليتها أبو محمد الحسن بن محمد^(٣) بن الثائر المعروف بأميركا، فصمد أميركا هذا لخربه، والتقيا واستظهر عليه ابن الثائر، وانحاز عليه السلام إلى ناحية ماناذر، ثم جمع العساكر وعاود للقتال ثانياً ومعه عدد كثير، ولحق به أبو محمد الحسن بن محمد بن الناصر من الري وهو ابن أخته، فلم يثبت له ابن الثائر في هذه الواقعة، وانهزم وتحصن في قلعة كانت في يده تعرف بقلعة لياالستان ورآه هوسم على حد أرض الجليل، فتمكن عليه السلام من هوسم ونفذ أمره في الديلم وتلقب بالمهدي، وانقاد له كثير من الجليل، ثم جمع ابن الثائر أبو محمد جيشاً كثيراً من الديلم، وخرج من القلعة فحاربه عليه السلام وانهزم أصحابه، وثبت وحده فقبض عليه أبو محمد واعتقله على تكرمة، ثم أفرج عنه لأنه علم أنه لا يتم له اعتقاله، ولا يحتمله المسلمون من الجليل والديلم، فاعتذر وبايعه وخرج إليه أخوه

(١) في (أ): نكالنجار.

(٢) الإفادة ١٤٥.

(٣) في (أ) بزيادة: بن علي.

زيد من أمل فسر به، واعتمده في أمر الجيش وفوض إليه أمره، ودبر للخروج إلى أمل وجمع الجيوش، فلما ظهر هذا الخبر أشخص من أمل إلى جرجان كبار العلوية كلهم خشية أن ينضموا إليه، وكوتب من جرجان نصر بن محمد الاسفندار لمحاربه وأنفذ إليه من طبرستان أعيان الجليل، وخرج عليه السلام من هوسم واستخلف عليها ابن الثائر أبا محمد الذي تقدم ذكره ووثق به وسكن إليه، وفارقه أبو محمد الحسن بن محمد الناصر وعاد إلى الري مستوحشا منه لاستخلافه أبا محمد بن الثائر، وجاء عليه السلام إلى شالوس مع عسكر عظيم من الجليل والديلم، وامتد نصر بن محمد الاسفندار إلى هنالك مع هؤلاء المتقدمين إليه من طبرستان، فالتقوا بشالوس فأوقع بهم عليه السلام وقتل منهم مقتلة عظيمة، وهام الاسفندار مع الأعيان من هؤلاء على وجوههم، ثم وقع تخليط في عسكره عليه السلام بسوء تدبير من كان اعتمده وخيانة بعض أقاربه له بخديعة اتجهت عليه، فلم يتمكن من الامتداد إلى طبرستان وعاد إلى هوسم، فأقام بها على ضجر شديد من سوء أدب كثير من أولئك الجليل والديلم، وكان ينادي بتلونهم ونفاقهم وقلة وفائهم بما كانوا بذلوا له أيام مقامه ببغداد. وكتب عليه السلام إلى القاضي أبي بكر محمد بن عبدالرحمن، سنة تسع وخمسين وثلاثمائة^(١).

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابي أطال الله بقاء القاضي المعروف بالعلم والأدب، والمشاركة في كل سبب، وأدام عزه كريماً، وأيده سعيداً، وختم له بفوز الآخرة ونعيمها، وجنبه بلاء الدنيا وكدها، من هوسم عن سلامة ونعمة بالدين حرستا، وبطاعة الله سبحانه وتعالى نيطتا، ويتوفيقه وفضله كملتا، والحمد لله على ما وهب وأعطى، وصلى الله على أئمتنا محمد من ختم به الأنبياء واصطفى، وعلى من طاب من عترته وسنته اقتفى، وطريقته اهتدى، وسلم تسليمًا دائماً مهدياً أبداً، وليس القاضي

(١) في حاشية (أ) بزيادة عنوان (لفظ كتابه عليه السلام ورحمه الله إلى القاضي أبي بكر.

الأعز لدينا أدام الله عزه بغبي فينبه ، ولا بمشكل عليه أمر من أمور الدنيا والآخرة فيعلم ، بل هو بحمد الله ممن يصلح أن يكون إلى الله داعياً لأوليائه ومعاوناً ، وبالحق قائلًا على حسب قدرته ومكانه ، مع جميل نيته وصحة اعتقاده ، وبمثله تخف عنا المحن بتسببه إلى معاوتتنا في كل فن ، وقد علم أمرنا طرحه في عصرنا جل أهلنا ، وتفاقت عنه أمة جدنا على مَضَضٍ وتعب ، مع علوسن وضعف بدن ، فأعان الله بكرمه فما تزيدنا الأيام إلا شدة وعزا ، ودرية وحرزا ، حتى لو شاهدنا القاضي أيده الله لسُرْبنا ، ولرأنا على خلاف ما عهد منا ، لأننا عاشرنا عصابة لله مطيعين ، وفي جهاد أعدائه مجدين ، مع نجدة وكرم نفوس وديانة وخشية ، قد هان عليهم تحمل عاجل كل أمر لرجاء ثواب الله الذي وعد جميع من جعل فيه صبيرا ، وأنا أرجوا من الله عزاً شاملا ، وأجرأ بعد ذلك كاملا .

وقد كتبنا على يد ولينا وأخينا المخلص أبي غانم الهمداني أكرمه الله تعالى ما القاضي أيده الله يقف عليه ، وحملناه من خاص أمرنا ما يشافهه ليعلمه منه ، وعلمنا بمعرفتنا به أنه لا يصل إلى بغيتنا لنا إلا بالقاضي أيده الله ، فقصدناه بمكاتبتنا ، وأمرنا أبا غانم أسعده الله بالنزول عليه والمشاهدة له والامثال بأمره حسب الثقة به ؛ لأن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب ، والله يعينه ويوفقه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . فإن رأى القاضي الجليل العزيز أطال الله بقاءه أن يتفضل من ذلك بما هو إليه أهدي وبه أولى ، وبمكاتبتنا بخبره وحاله ورأيه ومشورته ، فإننا به واثقون وعلى قوله عاملون ، ويمحضنا النصيحة من حيث هو ، فإن الدين النصيحة ، وإننا متى ورد كتابه علينا ووقفنا عليه عملنا به فعل^(١) إن شاء الله ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته وعلى جميع أوليائنا قبله أفضل السلام والتحية ، وصلى الله على سيدنا محمد أبي وآله الطيبين وسلّم تسليما .

وعنوان هذا الكتاب للقاضي أخينا محمد بن عبدالرحمن أطال الله بقاءه سعيداً ، وأكرمه بطاعته مؤيداً رشيداً ، من عبدالله المهدي لدين الله محمد بن

(١) في نسخة (فقل) .

الحسن بن رسول الله ﷺ .

قال السيد أبو طالب عليه السلام^(١) : ومن مليح نادرته عليه السلام : أنه كان بالديلم رجل يعتقدون فيه أنه فقيهم ، يعرف بأبي علي بنديره ، وكان عليه السلام يتأذى^(٢) به . فقال بنديره هذا - يوماً وهو في جحفل من الناس - : أيها السيد صف لنا صفة المنافقين . فقال عليه السلام : نعم ، من صفة المنافق أن يكون رجلاً عليه صوف يضرب لونه إلى الصفرة ، ويكون ربعاً من الرجال ، قد حلق شاربه . حتى استوفى ما ظهر من صفات هذا الرجل وزيه ، فقال له الرجل : أيها السيد ، هذا هو صفتي ، قال : نعم ؛ لأنك منافق . فضحك الناس من ذلك الرجل وصار ما جرى نادرة عليه إلى يومنا هذا . وقد كان صاحب طبرستان فزع منه فرعاً عظيماً ، وانعقدت هيئته في النفوس لعظيم موقعه من العلم والدين والشجاعة والشهامة والأبوة والبيت الرفيع ، ولكن لم تساعده المقادير .

وسمعت بعض عرب نصر بن محمد الأسفندار الذين شهدوا الواقعة يصف تلك الواقعة وثباته عليه السلام فيها ، ويقول : لما رأينا الرأية البيضاء وقد سعدت من الوادي لحبت قلوبنا ، فلم نثبت وولينا منهزمين . وكان أكثر قتاله عليه السلام بالسيف ، وكان معه سيف يقال : إنه كان لحمزة بن عبدالمطلب .

قال السيد أبو طالب عليه السلام^(٣) : ومن تأثيره العظيم في باب الدين أن الديلم كانوا يعتقدون أن من خالف القاسم عليه السلام في فتاويه فهو ضال ، وكل قول يخالف قوله ضلالة ، والجيل يعتقدون مثل هذا في قول الناصر عليه السلام ، ولم يكن يُسمع هناك قبل دخوله إلى تلك الناحية أن كل واحد من القولين حق ، فأظهر عليه السلام هذا المذهب فيما بينهم ، وهو أن كل واحد منهما حق وصواب ، وتكلم فيه وبينه لهم ، وناظره قومٌ منهم كانوا معدودين في جملة الفقهاء ، وهم بالديلم القاسمية ، وقد

(١) الإفادة ١٤٩ .

(٢) في الأصل : ينادي ، وفي الإفادة : يتأذى ، فأثبتنا الأصوب .

(٣) الإفادة ١٤٧ .

كان فيهم نفر يحفظون كثيراً من مسائل القاسم ويحيى عليهما السلام، وإن لم يكونوا يتحققون بالنظر ولا يعرفون طريقة ولا يفهمون^(١) أكثر ما يورد عليهم فيما يتعلق بهذا الجنس، فأما الجيل فما كان فيهم من ينتهي إلى هذا الحد أيضاً، وإنما كانوا عواماً مقلدة إلا أنه كان فيهم تعصب شديد في هذا الباب، وكان بعضهم يفسق بعضاً في هذه المسألة، وربما كفروا، وأكثرهم كانوا لا يحفظون في هذا الباب إلا مسألة البنت مع العصبية^(٢)، فيجري بين الطائفتين فيها من النزاع والتضليل والتفسيق ما هو معروف، وقد بقي هذا الخلاف يعد في كثير منهم إلا أن من يرجع منهم إلى تحصيل ودراية وفكر في الدين قد رجعوا عنه، والسبب فيه بركاته عليه السلام وكان يتعب معهم في تبين هذه المسألة، ويضجرونه بجهلهم، وإيراد جهالاتهم عليه معتقدين في أنفسهم أنهم يناظرونه، إلا أن آخر الأمر اعتقد هذا القول أكثر من يرجع إلى ضرب من الدين من الطائفتين، وشاع بعد أن كان أحد لا يجسر على أن يتكلم به قبله، واستمر ذلك بحشمته وهيئته واعتقاد الجماعة فيه على الجملة أنه عالم متفق على علمه مع قده كثير من جهالهم فيه، ووصفهم له بأنه معتزلي مرة وبأنه حنفي أخرى، وظهر هذا الصلاح ببركته وبقي إلى يومنا هذا. وأقام عليه السلام بهوسم إلى أن مضى لسبيله، ودفن سنة ستين وثلاثمائة بهوسم. وقبره هناك مشهور مزور، وقد كان كافي الكفاة نفعه الله بصالح عمله عليه السلام، أخرج صدرا من المال لما ورد جرجان للإنفاق على مشهده، وقيل: إنه عليه السلام سمَّ وجعل السم في جام حلوى أهدي إليه فأكل منه، وكان أبو سعيد الأبهري المتكلم تولى غسله، فكان يحكي لنا أنه كان مسموماً، وكان يقول: لما نظرت إليه عند الغسل شهادت علامات السم، فزدت من بكاي وصحت، وقلت: سم سيدي عليه السلام^(٣).

(١) في (أ): يفقهون.

(٢) مثالها: رجل مات وخلف بنتاً وأخاً فإن للبنت الميراث كله.

(٣) الشافعي ١/ ٣٢٤.

الإمام المنصور بالله القاسم بن علي عليهما السلام^(١)

هو: أبو محمد القاسم بن علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. نسبٌ يحكي بتلايه أنوار الصباح، ويعذب ذكره في الأفواه عذوبة الماء القراح، وكل آبائه عليهم السلام قد ضرب الفخر عليهم رواقه، ونطقهم الشرف الأكبر نطاقه^(٢).

نشأ عليه السلام على طريقة سلفه الأكرمين، وآبائه الغر الميامين سلام الله عليهم أجمعين في العلم والعمل، ثم وصل إلى اليمن أولاً من ناحية الشام لاستدعاء أهله لما تابعت الجراد عليهم، وأكلت ثمارهم وزرعهم، فعند وصوله صرفها الله تعالى عنهم، ولم يكن شيء في أيامه عليه السلام، وكان مشهوراً بالبركة، فلذلك قصدوه، وعاود إلى (ترج) من أرض خثعم فأقام بها، وولاته يتصرفون فيما يليه من الجهات والنواحي خاصة من أرض سنجان وأرض جنب كلها وبلد يام^(٣).

ثم بعث رسله عليه السلام إلى اليمن في شهر شوال من سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، لاستنهاض الناس إلى بين يديه، وحمل ما أنفق من الأعشار إليه، وأصحابهم كتاباً إلى الناس عموماً، فوصلت الرسل إليهم فقام في ذلك رجال من المسلمين من البونين والخشب والمشرق والصيد، وجمعوا من البر والزكاة عشرة آلاف درهم، واجتمعوا في البون لعشر باقية من شهر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين

(١) سيرة الإمام المنصور للحسين بن أحمد يعقوب، طبقات الزيدية ٢/ ٨٥٩، مآثر الأبرار «خ» اللألي المضيفة «خ»، أئمة الزيدية ١/ ٧٥-٨٢ بلوغ المرام ٣٤، تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ١/ ٣٣٠، ٢/ ٢٦٣، التحف شرح الزلف ٢٠٢، وتاريخ اليمن للواسعي ١٨٩، وغاية الأمان في أخبار القطر اليمني ١/ ٢٢٧ مطمح الآمال ٢٣١، أعلام المؤلفين الزيدية ٧٧٣، معجم المؤلفين ٢/ ٦٤٥.

(٢) التحف ٢٠٢.

(٣) التحف ٢٠٢.

وثلاثمائة، وساروا حتى انتهوا إلى صعدة فانضاف إليهم جماعة من الناس، ثم ساروا حتى وصلوا إلى الإمام القاسم عليه السلام وهو إذ ذاك في أسفل وادي بيته، فلقيهم أولاده جعفر وعلي وسليمان عليهم السلام بنو القاسم عليهم السلام في رؤساء خثعم وعربها، ثم قدموا على الإمام في حصن له، وكان قد شكى شكوى منعتة عن اللقاء لهم، ففعد في موضعه وأقبل إليه خلق كثير من خثعم عند قدوم أهل اليمن، فأقاموا عنده عليه السلام مدة أيام، ثم نهض بهم حتى وصل بالقرب من صعدة وأقام بها أياماً، وهو يفرق عماله، ويقرر لهم الرسوم الشرعية^(١).

وكان من كتاب له إلى أهل نجران بعد حمد الله تعالى والثناء عليه، أما بعد: فإنه لا خطأ بعد تذكرة، ولا ذمامة بعد معذرة، وقد قبلت عذر من اعتذر، وتجاوزت عن خطيئة من قصر، فتعوضوا من سيئاتكم إحساناً، ومن زللکم استمکاناً، واعلموا أن من يرجع من سيئته كمن لم يسيء، ومن عاد في غيه نحس وغوى، وقد عرفتم جميعاً أنه لا معذرة لمن عصى الله حتى يرجع عن معصيته، ولا توبة للتائب حتى يندم على خطيئته، وقد أظهرتم جميلاً ثم شكرتم عليه، فحوطوا قولكم بالتمام، وأنفسكم بالإسلام، واعلموا أن الإسلام جرمة ترعى، وللديانة أوامر لا تعصى، ومن قصر عن بعض ما أمر الله به كمن أضر جميع أمره ونهيه، والله يقول - وقوله الحق: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]^(٢).

ثم أقام بصعدة حتى كان نهوضه يوم الاثنين من شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، واستقرت أوامره النبوية في كثير من الأقطار اليمنية، ودخل صنعاء واستحكم أمره في مخاليفها، وانتشر في كثير من اليمن ودوخ كثيراً من الأعداء واستولى على بلادهم، مجرباً لأحكام الله قائماً بشريعة رسول الله

(١) سيرة الإمام المنصور بالله ١٩-٢١.

(٢) سيرة الإمام المنصور بالله ٢٧.

عليه السلام، غير وان ولا مقصر، وكان يقود الجنود الكثيرة، فإن في الحكاية: أنه حدث عليه خلاف من بعض أهل نجران، فأمر إلى ولاته في صنعاء وأعمالها، فجمعوا الجنود الكثيرة منها ومن الخشب والبونين وغيرهما من بلاده^(١).

ثم نهض إلى نجران في عسكر ضخيم بلغ عدد الخيل فيه ألف فارس سوى نيف وثلاثين فارساً، وعدد الرجال ثلاثة آلاف راجل ومائتين وأربعين راجلاً، فلما استقروا في نجران دمروا أصداده وسلسوا قياده، وعاد عليه السلام بجنده المنصور إلى صعدة مظفراً منصوراً، ثم أمر بدراهم قد كانت حصلت معه من نجران، وضم إليها شيئاً كان في صعدة من خراجها، فأمر بأن يقصد ذلك على جميع العسكر، فحصل للفارس مائة درهم، وللراجل ثلاثون درهماً، فقبض من ذلك بعض العسكر وكرهه الأكثر استقلالاً له، فلما علم عليه السلام بذلك خرج وجمع الناس له، فتكلم معهم بأن قال: يا جميع شيعتي وجنودي وأهل طاعتي قد دعوتكم فأجبتهم، واستنصرتكم فنصرتهم، وأنا كثير الشكر لكم، والثناء عليكم عند الله بدءاً وعند كافة ولد آدم، ثم قال في آخره: أما ظنكم أني بغلت عليكم بشيء سوى ما أمرت بتقسيمه زاداً لكم، فبالله وحق جدي رسول الله ﷺ ما ذخرته عنكم، فاعذروا ابن نبيكم ولا تطلبوه ما لا يطيق فيحبط أجركم^(٢).

قال الراوي: فلقد رأيت أعين كثير ممن حضر تفيض بالدمع، ثم عاد عليه السلام إلى منزله، وعادت جنوده وولاته إلى كل ناحية، ثم جرت الأمور على سنن الاستقامة، وخطب له في مخلاف نواحي جعفر وكحلان وما يليه، ولم يزل دأبه عليه السلام إقامة قناة الدين وإخماد نار الملحددين، وكان إذا حضر معركة نازل أقرانها، وأنزل فرسانها، واثباً عند الصولة، راكداً عند الجولة، وازعاً لأرباب الظلم، راعياً حرمة أهل العلم، كثير الوطأة واللين، معروفًا بتقريب المساكين، دمث

(١) سيرة الإمام المنصور بالله ٣٣.

(٢) سيرة الإمام المنصور بالله ١٩٩ وما بعدها.

الشمائل ، جزيل النائل ، يؤثر على نفسه عند الحاجة العارضة ، طالبارضى الله العلي الأعلى ، مقتفياً سنن المصطفى ﷺ ، وكان مكاتباته ومخاطباته مشحونة بالحكم . فمن ذلك ما كتبه لولده علي وقد ولاه على بلاد وادعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

تعلم يا بني أرشدك الله وأسعدك ، أن حكماء الأمة من جعل الأناة نصب عينيه وشعار قلبه ، ثم استظهر بأراء ذوي التجربة الذين كثرت عليهم نواب الزمان وتتابع الحدثان ، وأنت غر من الزمان وما يدور به على الإنسان ، فإن استشرت من قد نقت التجربة عقله رشدت وسعدت ، وليس كل الناس يستشار ، فإنما الرأي لأهل العقول الرصينة ، والديانة والأمانة ، وليس رأي الواحد يكاد أن يبين صوابه إلا لمحصل حكيم ، فإذا أردت بيان الرأي فشاور جماعة من ذوي الرأي كلاً على حياله ، فإن اتفقت آراؤهم فلن يكون مع الإجماع خطأ ، وإن افتترقت واختلفت فخذ منها بما أوجب العفو والأناة ، واجعله المقدم ، فإنك مع ذلك ستدرك الفائت وتأمين الندامة ، فهذا وجه اجعله مقدم أحوالك ، واجعل لجميع متصرفاتك أن تستشير في مأكلك ومشربك ما لا مشورة فيه ولا غنى عنه ، لكن ضربته مثلاً ؛ لثلاث تدع المشورة في صغير ولا كبير ولا قليل ولا كثير ، الله الله وأحذر نفسك ، فإنها من أعداء أعدائك لك ، وأشدهم مضرة عليك ، وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ [سورة يوسف : ٥٣] ، وقال عز وجل : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَيَٰنَ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ [النازعات : ٤٠-٤١] ، والهوى فاصل كل معصية .

وقد قال ﷺ : وإذا خطر ببالك خاطران فخذ بأكرهما إليك ، فإن الرشد فيما تكرهه النفس ، وسوف تدعوك نفسك إلى الدنيا وزينتها من وقتك هذا إلى آخر عمرك ، فإن أجبت دعوتها وضعك ذلك وأذهب بهاك ، ونظرك بعين الدنائة

من عاداك ، وساء ذلك من والاك ، وأزَمَ الصبر فإن الصبر مفتاح الفرج وقل من صبر فلم يحصل حاجته ، واستعمل عن كل ما تدعوك نفسك إليه الصبر ، وأحذرِك إِدْناء من ينقصك إِدْناءهُ ، وتقلل من الناس ما استطعت ، فإن مثل خيارهم كمثل الدر ، ومثل شرارهم كمثل الصخر ، فالدر خفيف محمله كثير منفعته ، والصخر ثقيل محمله قليل نائله ، وأحذرِك الرغبة في الدنيا فإنها فضاحة كشافة ، وليس تُدرك لها غاية ، وأحذرِك أن تطلب حوائجك معاً فيثقل عليك مطلبها ، ويُحزنك فوتها ، واطلبها بددا فإن ذلك أحرى لنيلها ، وأخف لتكلفتها لمن كُلفها . فهذا وجه فاعرفه ولا تغلط فيه ، وهو الذي أدخل بكل من دخل في مدخلك ، فكن بمعزل عما يغنيك ، ولست تحظى بشيء قد وصيتك به ، إلا أن تتقي الله وتقوم بما حضَّ عليه ، ولا تذر اكتساب العلم والاقتداء بأثار العلماء والحكماء وهذا مفتاح الرزق والنجاة من غضب الخالق ، وقد قال النبي ﷺ : «من عُرِفَ بالحكمة لاحظته العيون بالوقار» والسلام ، والله يحفظك ويصلحك ويوفِّقك .

مركز تقيتكم كويت بصرى

ومن رسالة له ﷺ إلى أهل طبرستان روى الإمام المنصور بالله أبو محمد عبدالله بن حمزة ﷺ منها نكتاً فنقلناها كما رواها ؛ لأنها لم تنفق لنا كاملة ، قال فيها ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلاته على محمد خاتم النبيين وعلى آله الطيبين ، إلى جماعة من آمن واتقى وصدق بالحسنى ، ونهى النفس عن الهوى ، وآثر الآخرة على الدنيا .

أما بعد : يا شيعتنا الأخيار ، وخلف الأبرار ، فإنكم تريدون محلة دونها مهلكة مضلة ، لا تجاز بغير دليل ، ولا تعبر من الزاد بقليل ، من سلكها بنفسه ضل ، ومن ترك الزاد لها خُذِل ، آلُ نبيكم أدلاًؤكم عليها ، وأعمالكم الصالحة زادكم إليها ، فلا تفرطوا رحمكم الله في الزاد والدليل قبل سلوكها ، فكم سلكها قبلكم من المفرطين فهلك ، وكم رام الرجعة منها فمُنِعَ ذلك ، والتسويق والرجاء

يوردان ولا يُصدران، والخوف والعمل يُنقذان ولا يُبطلان. ثم ذكر ﷺ^(١) صدرًا من المواعظ والحكم النبوية، ثم قال : أصل التأويل أول الحبال، والاختلاف في الأئمة أول الضلال، والاعتماد على غير الذرية أول الوبال، أصل العلم مع السؤال، وأصل الجهل مع الجدل، العالم في غير علمنا كالجاهل بحقنا، الراغب في عدونا كالزاهد فينا، المحسن إلى عدونا كالسيء إلينا، الشاكر لعدونا كالذام لنا، المتعرض لنحلتنا كالغازي علينا، معارضنا في التأويل كمعارض جدنا في التنزيل، الراعي لما لم يسترع كالمضيع لما استرعى، القائم بما لم يُستأمن عليه كالمتعدي بما استُحفظ، الخاذل لنا كالمعين علينا، المتخلف عن داعينا كالمجيب لعدونا، معارضنا في الحكم كالحاكم بغير الحق علينا، المفرق بين الأئمة الهادين كالمفرق بين النبيين، هنا أصل الفتنة يا جماعة الشيعة .

ومن هذه الرسالة قوله ﷺ : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينتظمان بغير زمام، ولا يؤدي فرضهما بغير إمام، الإقرار بالنبوة لا يصلح إلا مع الإقرار بالذرية، الإقرار بالكتاب لا يصلح بغير نصاب، مقلد الناس كالباني على غير أساس، طالب العلم من غير أهله كمشتري الدر بعد جبره، المؤتم بغير العترة كالأعمى يتبع الأعمى .

ومنها قوله ﷺ : أما تعلمون رحمكم الله وهذاكم أن أصل الهلكة منذ بعث الله سبحانه آدم ﷺ إلى هذه الغاية، لم يكن إلا بالاحتقار للأنبياء صلوات الله عليهم في أيامهم، وبالذرية من بعدهم إلى أن تقوم الساعة . وعنوان هذه الرسالة من الإمام القاسم بن علي إلى جماعة الشيعة الطبريين العارفين بفضل آل محمد خاتم النبيين .

ثم كانت وفاته ﷺ أول يوم الأحد لسبع خلون من شهر رمضان من سنة

(١) في (أ) : صلى الله عليه وآله وسلم، وهو كما يبدو تصحيف من الناسخ .

ثلاث وتسعين وثلاثمائة^(١). ومشهده عليه السلام بعيان مشهور مزور. أخبرني شيخنا الزاهد بهاء الدين أحمد بن الحسن الرصاص رضي الله عنهما: أنه كان معه وجع فمسحه بتربته الشريفة فرفعه الله تعالى عن قرب^(٢).

أولاده عليهم السلام: يحيى، وجعفر، وعلي، وسليمان، وعبدالله، والحسين^(٣).



الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم عليه السلام^(٤)

هو: أبو عبدالله الحسين بن القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ونسبه النسب الشريف الفائق، وجوهره الجوهر الشفاف المنيف الرائق، وكان من عيون العترة في زمانه، وتيجانهم المكلمة في أوانه، برز في العلم حتى فاق أهل عصره، وسبق فيه أبناء دهره، وهو غصن خلافة نضير، وروضة فضل وغدير، مشهور بالزهادة، معروف بالعبادة. له التصانيف الرائقة في علم الكلام، والكتب الحسنة في مخالفي العترة عليهم السلام، وهي كثيرة قيل: إنها تبلغ ثلاثة وسبعين تصنيفاً، منها المعجز في علم الكلام، والرد

(١) سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي ٢٨٧.

(٢) التحف ٢٠٢.

(٣) التحف ٢٠٢.

(٤) بلوغ المرام ٣٥، التحف شرح الزلف ٢٠٢، تاريخ اليمن للواسعي ١٩٠، غاية الأمان في أخبار القطر اليمني ١/٢٣٥، معجم المؤلفين ١/٦٣١، الأعلام للزركلي ٢/٢٥٢، الإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني بين قادح ومانفح لعبدالله زيد الحوثي «تحت الطبع» هدية العارفين ١/٣٠٧.

على القضائية، وغيره من كتبه في الأصول، ومنها تفسير كامل سلك فيه الطريقة الوسطى، وأضحى قدحه المعلى، وشهد بأنه قد تبوأ من الفضل منزلاً رفيعاً ومحلاً .

وكانت شجاعته معروفة ومواقفه موصوفة لا يفتقر إلى شاهد ولا يطمع في جحدها جاحد، كما قال الإمام المنصور بالله عليه السلام في كلمة له :

وهل رجل يقول أبي علي يقهقر في مناطق الشفار
قام بالأمر بعد موت أبيه عليه السلام، وملك من الهان إلى صعدة وصنعاء، ولم
يزل ناعشا للحق داعياً إلى الصدق كابناً لأرباب الإجماع، معلماً لكعب الإسلام،
حتى رفع للدين مناراً، وأعزله أنصاراً، وحمى له ذماراً، وقوض أركان
الضلال، وكسى الحق ثوب الكمال، وكان ذلك دأبه عليه السلام حتى قتله بنو حماد في
بعض حروبه في بعض نواحي البون، قتله رجل من بني ربيح .

وكانت وفاته عليه السلام سنة أربع وأربعمائة وقبره بريدة، وعمره نيف وعشرون
سنة، وأعقب ابنتين لا غير . وروى الثقات أن قتله عليه السلام قُربت إليه نار ليتبخر بها
فاحترق بها، وكان ذلك دلالة على كرامته وكاشفاً عن فضيلته، ويحق له ذلك
وهو من المناضلين عن الدين المجاهدين في سبيل الله رب العالمين . وقد بقي
جماعة من أشياعه يعتقدون أنه حي إلى الآن، وأنه المهدي المنتظر الذي بشر به
رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كتبنا رسالة في هذا المعنى وسميناها بـ «الرسالة
الزاجرة لذوي النهى عن الغلو في أئمة الهدى»، وقد اقتصرنا على هذا
القدر؛ لأنها لم تتصل بنا سيرته عليه السلام وإلا فله وقائع جمّة .



الإمام السيد المؤيد بالله عليه السلام (١)

هو: أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (٢).

نسب تعنق له الأنوار، وتفغض من شعاعها الشمس والأقمار، ينتهي إلى جوهر النبي ﷺ والله جواهره، ونمت إلى عنصره الكريم عناصره، وهذا هو الفضل الرائق، والحسب الفائق، كما قال الشريف أبو علي إبراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - الكوفي الشاعر مفتخراً بأبائه عليهم السلام من قصيدة:

إن قومي لقادة الناس بالسيد ﷺ فإلى ما أتى به جبريلُ
والنبي الهادي وسبطاه منّا ﷺ وعليّ ﷺ وعفرو وعقيلُ
والأولى في حجورهم رضع الدير ﷺ من وفي دورهم أتى التنزيلُ
ابن من لا يعطي القياد إذا قل ﷺ ست أبي حيدر وأمي البتولُ
وكل أبائه عليهم السلام أقمار هدى، وبدور دجى، وبحور جود زاخرة،
وسحائب علم ماطرة، وجبال حلم راسية، وكواكب شرف سامية، ويكفيك من
شرفهم وجوب الصلاة عليهم في الصلوات التي هي من شرائف العبادات،
وأفضل القربات.

(١) سيرة إمام الهدى المؤيد بالله تصنيف الإمام المرشد بالله، الشافعي ١/ ٣٢٩، أخبار أنمة الزيدية ١٢٣، نقلاً عن كتاب جلاء الأبصار، ودائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٣/ ١٢٩، و٣/ ٢٣٤، التحف شرح الزلف ٢١١، الأعلام للزركلي ١/ ١١٦، تحاف المسترشدين ٤٨.
(٢) سيرة المؤيد «خ».

وأمه عليها السلام : أم الحسن بنت علي بن عبدالله الحسيني العقيقي ذكره الشريف السيد أبو الغنائم . وكانت ولادته عليه السلام بأمل طبرستان في الكلاذجة المنسوبة إليهم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة^(١) .

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام :

كان عليه السلام مذنباً على السداد ، وأحوال الآباء الكرام والأجداد ، وتأدب في عنفوان صباه حتى برع فيه ، واختلف إلى السيد أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم .

وكان وحيد عصره وفريد دهره ، والحافظ لعلوم العترة عليهم السلام ، والناصر لفقهِ الذرية الكرام ، فأخذ عنه مذهب الزيدية ، وقرأ عليه الكلام على طريقة البغدادية . وكان قدس الله روحه في الأصل إمامياً فوضح له الحق فانقاد له أحسن انقياد . واختلف أيضاً إلى أبي الحسين علي بن إسماعيل بن إدريس ، وقرأ عليه فقه الزيدية والحنفية ، وروى عنه الحديث عن الناصر للحق عليه السلام . وكان أبو الحسين هذا من أجل أهل طبرستان رئاسة وسيراً وفضلاً وعلماً . قال مصنف سيرته^(٢) : وكان عليه السلام في الورع والتقشف والاحتياط والتقزز إلى حد تقصر العبارة دونه ، والفهم عن الإحاطة به ، وتصوف في عنفوان شبابه حتى بلغ في علومهم مبلغاً منيعاً ، وحل في التصوف والزهد محلاً رفيعاً ، وصنف سياسة المريدين^(٣) .

وكان عليه السلام يحمل السمك من السوق إلى داره ، وكانت الشيعة يتشبثون به

(١) سيرة الإمام المؤيد .

(٢) هو الإمام المرشد بالله .

(٣) طبعت بمكتبة مركز بدر ومؤسسة الإمام زيد بتحقيق السيد عبدالله إسماعيل الشريف .

ويتبركون بحمله فلا يمكّن أحداً من حمله، ويقول: أنا أحمله قسراً للهوى، وتركاً للتكبر لا لإعواز من يحمله^(١). وكان قدس الله روحه يجالس الفقراء وأهل المسكنة، ويكائر أهل الستر والعفة ويميل إليهم، ويلبس الوسط من الثياب القصيرة إلى نصف الساقين قصيرة الكمين، وكان يرقع بيده قميصه، ويشتمل بإزار إلى أن يفرغ من إصلاحه، وكان يلبس قلنسوة من صنوف أحمر مبطنه يحشوها بقطن ويتعمم فوقها بعمامة صغيرة متوسطة، وكان يلبس جورباً يخيطه من الخرق ثم يلبس البطيط^(٢)، وكان لا يتقوت ولا يطعم عياله إلا من ماله، وكان يرد الهدايا والوصايا إلى بيت المال، وكان يكثر ذكر الصالحين، وإذا خلى بنفسه يتلو القرآن بصوت شجيّ حزين، وكان غزير الدمع كثير البكاء، دائم الفكر، يتأوه في أثنائه، وربما تبسم أو كشر عن أسنانه، قال القاضي يوسف: صحبته ست عشر سنة فلم أره مستغرباً في الضحك، وكان لا يفطر في شهر رمضان حتى يفرغ من العشاء الآخرة، وكان يداوم على الصلاة بين العشاءين، ويطعم في شهر رمضان كثيراً من المسلمين، وكان يمسك بيت المال بيده ويحفظه بنفسه ولا يثق فيه بأحد ويفرق على الجند بيده، ويوقع الخطوط بيده^(٣).

وحكي: أنه عليه السلام اشتهى يوماً من الأيام لحم حوت، فبعث الوكيل إلى السماكين فلم يجد فيها إلا حوتاً لم يقطع، وقالوا: لا نريد أن نقطعه اليوم، فعاد إليه وأخبره بامتناعهم من قطعه، فوجهه ثانياً، فقال: مرهم عني بقطعه، فأبوا قطعه، فلما عاد إليه حمد الله على أن رعيته لا تحذر جنبته، وأنه عندهم ورعاياه سواء^(٤). وكان قدس الله روحه كثير الحلم عظيم الصفح، يُحكى أنه دخل

(١) سيرة المؤيد بالله ١.

(٢) البطيط: رأس الخف بلا ساق. القاموس ص ٨٥١.

(٣) سيرة الإمام المؤيد ٢.

(٤) سيرة الإمام المؤيد بالله ٢ والشافي ١/ ٣٣١.

المتوضاً ليجدد الطهارة فرأى فيه رجلاً متغير اللون يرتعد فزعاً، فقال له :
 ما دهاك؟ قال : إني بُعثت لقتلك، قال : وما الذي وعدوك عليه؟ قال : بقرة،
 قال : ما لنا بقرة وأدخل يده في جيبه وناوله خمسة دنانير، وقال : اشتر بها بقرة،
 ولا تعد إلى مثل ذلك^(١). وحكي أنه كان قدس الله روحه يسير في طريق كلار،
 فطلب محطراً له من بندار صاحبه، فقال : هو على بغل لبيت المال، فأنكر عليه،
 وقال : متى عهدتني أستجيز حمل ملبوسي على دواب بيت المال، فأمر بإخراجه
 وتوفير الكراء من ماله. وكان يصرف عليه السلام من خاص ماله إلى بيت المال ما يكون
 عوضاً عما يرسله الكتاب في أول الكتب، ويفرجه بين السطور في الكتاب^(٢).
 وحكي أن شيئاً من المقشر حُمل إلى داره لصرفه في مصالح المسلمين،
 فالتقط منه حبات بعض الدجاج التي تُقْتنى لأكله خاصة، فغرم من ماله أضعاف
 ذلك، وقيل : إنه صرف الدجاج إلى بيت المال. وروى أن ولده الأمير أبا القاسم
 شكى إليه ضيق يده وقلة نصيبه من بيت المال، واستأذنه في الانصراف فأطلق له
 ذلك، فقال له أصحابه : إن أبا القاسم فارس قارء لا غنى عن مثله فلو أطلق له ما
 يكفيه، فقال : إني أدر عليه نصيبه ولا يمكن الزيادة عليه، فإن الله سبحانه أمرنا
 بالتسوية بين الأولاد والأجانب. وكان له صديق يتحفه كل سنة بعدد من الرمان،
 فلما كان في بعض السنين زاد على رسمه وعادته، فسأله عن ذلك؟ فقال : لأن
 الله سبحانه زاد في رماننا فزدنا في رسمك، فلما أراد الخروج شكى عن بعض
 الناس، فقال : ردوا عليه رمانه كله، وأمر بإزالة شكايته ودفع الأذى عنه، إلى
 غير ذلك من الحكايات الجملة في ورعه وزهده وتقشفه^(٣). وكان عليه السلام في العلم

(١) سيرة الإمام المؤيد ٣.

(٢) سيرة الإمام المؤيد ٣ والشافي ١/٣٣١.

(٣) سيرة الإمام المؤيد ٤.

بحرا يقذف بالدرر، وجونا^(١) يهطل بالدرر، لم يبق فن إلا وقد بلغ فيه الغاية وأدرك النهاية. قال مصنف سيرته - قدس الله روحه^(٢): كان عارفاً باللغة والنحو متمكناً من التصرف في منظومها ومثورها. وكان يعرف العروض والقوافي ونقد الشعر، وكان فقيهاً بارعاً متقدماً فيه مناظراً، وكان متقدماً في علم الكلام وأصول الفقه حتى لا يُعلم أنه في أي العلوم الثلاثة كان أقدم وأرجح، ولم يبلغ النهاية في العلوم الثلاثة غيره، وإنما تقدم في علم أو علمين، وكان قد قرأ على الشيخ المرشد أبي عبدالله البصري، ولقي جميع علماء عصره واقتبس منهم وعلق زيادات الشرح بأصفيهان عن قاضي القضاة بقراءة غيره.

وحكى عن الشيخ أبي رشيد أنه قال: لم أر السيد أبا الحسين منقطعاً قط مع طول مشاهدتي له في مجلس الصاحب، وكان لا يُغلب إن لم يُغلب، وكانا يستويان إن لم يظهر له الرجحان، وذكر بعض من صنف في أخباره أن الصاحب الكافي قال ذات ليلة للحاضرين: ليذكر كل واحد منكم أمنيته، فذكروا، فقال: أما أنا فأتمنى أن يكون السيد أبو الحسين حاضراً، وأنا أسأله عن المشكلات وهو يبينها لي بألفاظه الفصيحة وعباراته المليحة، وكان فارقه إلى أرض الديلم.

ويحكى أن يهودياً متقدماً في المناظرة والمجادلة قدم على الصاحب، فاتفق أنه حضر مجلس الصاحب فكلم اليهودي في النبوءات حتى أعجزه وأفحمه، فلما قام من المجلس ليخرج، قال له الصاحب: أيها السيد أشهد أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب^(٣). وحكى عنه - قدس الله روحه أنه قال: عزمت على أن أسافر إلى الأهواز للقاء قاضي القضاة أبي أحمد بن أبي علان وسماع مختصر الكرخي عنه، فأنهيت إلى الصاحب ما وقع في قلبي، فكتب كتاباً

(١) في (أ): سائلة مستديرة مغطاة تكون مع العطارين. مختار الصحاح ص ١١٨.

(٢) سيرة الإمام المؤيد ص ٥.

(٣) سيرة الإمام المؤيد ٦.

بخط يده وأطنب في وصفي ورفع عن قدري ، حتى كنت أستحيحي من إيصال ذلك الكتاب ، فأوصلت الكتاب إلى قاضي القضاة ، فقال : مرحبا بالشريف ، فإذا شاء افتتح المختصر ولم يزد على ذلك ، ولا زارني بنفسه مع تقاعدي عنه من الغد ، ولا أزارني أحداً من أصحابه ، فعلمت أنه اعتقد في كتاب الصاحب أنه صدر عن عناية صادقة لا عن حقيقة ، فقعدت عنه حتى كان يوم الجمعة حضرت الجامع بعد الظهر ومجلسه غاص بكبار العلماء فقد كان الرجل مقصودا من الآفاق ، فسئل القاضي أبو أحمد مسألة كلامية وكان لقي أبا هاشم ، فقلت : لما توسط في الكلام إن لي في هذا الوادي مسلكا ، فقال : تكلم ، فأخذت في الكلام وحققته عليه المطالبات ، ثم أوردت أسئلة عرقت فيها جبينه ، فامتدت الأعين نحوي ، فقلت بعد أن ظهرت المسألة عليه : يقف على فضلي القاضي . وسئل شيخ إلى جنبه عن مسألة في أصول الفقه ، فلما أنهى السائل ما عنده قلت : إن لي في هذا الجو متنفسا ، فقال القاضي : والأصول أيضا؟ ! فحقت تلك المسألة على ذلك الشيخ فظهر ضعفه فسامحته . وسئل شيخ عن يساره عن مسألة في الفقه ، فقلت : إن لي في هذا القطيع شاة ، فقالوا : والفقه أيضا؟ فأوفيت الكلام في تلك المسألة أيضا حتى تعجب الفقهاء من تحقيقي وتدقيقي ، فلما ظهرت المسألة كان المجلس قد انتهى ، فقام القاضي من صدره وجاء إلى جنبي ، فقال : أيها السيد ، نحن ظننا أن الصدر حيث جلسنا فإذا الصدر حيث جلست ، فجئناك نعتذر إليك من تقصيرنا في بابك ، فقلت : لا عذر للقاضي مع استخفافه بي مع شهادة الصاحب بخطه ، فقال : صدقت لا عذر لي ، ثم عادني من الغد في داري مع جميع أصحابه وبالغ في التواضع ، فحضرته فقرأت عليه الأخبار المودعة في المختصر فسمعتها بقرآته وأمدني بأموال من عنده فرددتها ، ولم أقبل شيئا منها وقلت : ما جئتك عافيا مستمنحا ، فقد كان حضرة الصاحب أوفى حالا وأسهل منالا ، ولم يكن هناك تقصير في لفظ ولا تفريط في لفظ ، ففارقته فشيوعي مع أصحابه مسافة بعيدة

وتأسفوا على مفارقتي .

وله عليه السلام التصانيف المعجبة فمنها في الأصول : كتاب النبؤات ، وهو يدل على غزارة علمه في الأصول ، ثم في الأدب فإنه بين المعارضات التي عورض بها القرآن الكريم ، وكشف عن إدحاضها وأبان غوارها بكل وجه ، وسلك في ذلك من طريقة علم الأدب ما يدل على علو منزلته وارتفاع درجته . وله في الأصول : التبصرة كتاب لطيف (١) . وله في فقه الهادي عليه السلام : كتاب التجريد وشرحه أربعة مجلدات استوفى فيها الأدلة من الأثر والنظر ، وأحسن فيها كل الإحسان . وله أيضا : البلغة في فقه الهادي . وله في فقه نفسه : الإفادة مجلد ، والزيادات مجلد علق ذلك أصحابه عنه ، وفيه كل مسألة عجيبة وفتوى غريبة ، ولهذين الكتابين شروح وتعليق عدة ، ومهما طلبت الغرائب فإنها توجد في فقهه عليه السلام منصوصة (٢) .

ولقد حكى بعض أصحابنا الواصلين من ناحية العراق وهو الفقيه الفاضل الحسن بن علي بن الحسن الديلمي اللنجاني رحمته الله أنه بات ليلة من الليالي ومعه رجل من الصالحين ، فبات ذلك الرجل يعبد الله عز وجل ، والسيد المؤيد بالله بالقرب منه فلما طلع الفجر قام المؤيد لصلاته ، فقال له ذلك الرجل : أيها السيد أتصلي بغير وضوء؟ فقال : لم أتم في هذه الليلة شيئا ، وقد استنبطت سبعين مسألة . ولقد كان علماء عصره يعجبون من تحقيقه وشدة تدقيقه ، ولا عجب من أمر الله يؤتي فضله من يشاء ، ولذرية الرسول صلى الله عليه وآله والمزية على من عداهم والفضل على من سواهم .

ولقد سمعت شيخنا العالم الفاضل محيي الدين محمد بن أحمد بن الوليد القرشي الصنعاني رحمته الله يحكي : أن السيد المؤيد بالله قدس الله روحه لما توفي

(١) تحت الطبع بمكتبة مركز بدر بتحقيق السيد عبدالله إسماعيل الشريف .

(٢) سيرة الإمام المؤيد بالله ٦ .

وأقبل الناس إلى أخيه السيد أبي طالب عليه السلام يسألونه ، فقال له قائل : أين كان هذا العلم في حياة السيد أبي الحسين؟ فقال : أو كان يحسن بي أن أتكلم والسيد أبو الحسين في الحياة؟ مع أن علم السيد أبي طالب غزير وفهمه جم كثير على ما يُحكى ذلك . وروينا أنه قيل لأخيه السيد أبي طالب عليه السلام : أتقول بإمامة أخيك؟ فقال : إن قلنا بإمامة زيد بن علي؛ فما السمانع من القول بإمامة أخي! فانظر كيف شبهه عليه السلام بأعلى الأئمة قدراً وأغزرهم علماً؛ لأننا قد بينا أنه أقام خمسة أشهر يفسر سورة الحمد والبقرة وذكرنا غير ذلك مما يكثر .

قال مصنف سيرته [٧] : وسمعت الشيخ أبا الفضل بن شروين رحمه الله يقول : دَعِ أئمة زماننا إنما الشك في الأئمة المتقدمين من أهل البيت وغيرهم ، هل كانوا مثل هذا السيد في التحقيق في العلوم كلها أم لا؟ قال : وسمعت القاضي أبا الحسن الرفاء يقول : ليس اليوم في الدنيا أشد تحقيقاً في الفقه من السيد أبي الحسين الهاروني .

وحكي أن المؤيد سئل عن الطلاق الثلاث بلفظة واحدة في مجلس الصحاب ، فكلمه القاضي أبو القاسم بن كج ، وكان إمام أصحاب الشافعي ، وآل الكلام إلى جميع من حضر من الفقهاء فانقطعوا في يده ، فقال الصحاب يقال : لا علم لطائفة فيهم هذا الأسد - يعني : المؤيد بالله . وحكي أنه ورد عليه من كلار مسائل صعبة على أصول الهادي ، فأجاب عنها وهذه المسائل موجودة ، فقال الصحاب : لست أتعجب من هذا الشريف كيف أتى بهذا السحر ، وإنما أتعجب من رجل بكلار كيف اهتدى إلى مثل هذه الأسئلة ^(١) . وكان له عليه السلام أصحاب فضلاء نجباء من أهل البيت عليهم السلام وغيرهم ، فمنهم : السيد الفاضل العالم الموفق بالله أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل الجرجاني عليه السلام وهو ممن له

(١) سيرة الإمام المؤيد . ٧ .

التصانيف الفائقة الرائقة في علم الكلام وغيره ، والقاضي أبو الفضل زيد بن عليّ الزيدي ، وكان من بيت العلم والرئاسة ، ومنهم أبو منصور بن شيبه الفرزاذي .
والشريف ما نكديم أبو الحسين أحمد بن أبي هاشم محمد بن عليّ بن محمد بن الحسن بن محمد بن أحمد الأعرابي بن محمد بن الحسن بن عليّ بن عمر الأشرف بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام الخارج بعده بلنجاء سنة سبع عشرة وأربعمائة ، والشريف أبو القاسم بن زيد بن صالح الزيدي ، والشريف محمد بن زيد الجعفري ، ومن أصحابه في الزهد والعبادة الشريف أبو جعفر الزيدي ، وكان قد استدعاه غير مرة ليستخلفه فأبى ، ولم يجبه لاشتغاله بنفسه وإقباله على زهده ، ومن أصحابه الفقيه أبو القاسم بن تال ، وهو الذي هذب مذهبه وهو الذي جمع الإفادة والزيادات ، ومنهم : أبو بكر الموحي القاضي ، قرأ عليه فقه الزيدية ، ومنهم : القاضي يوسف الخطيب وأبو الحسين الأبسكوني ، ومن أصحابه ومبايعيه : أبو عليّ بن الناصر خلفه بجيلان ، وعاد إلى أمل بالآخرة وقالوا : لا تحسبوا أنني فارقت المؤيد بالله من غير إذنه ، لا والله لم أخرج من عنده إلا بإذنه ، وأنا أقول بإمامته ولا أعرف في هذا الزمان رجلاً أفضل منه ، ومنهم : أبو عبدالله الحسين بن محمد بن سياه سيرينجان^(١) .

وفي الحكاية أنه عليه السلام كان في بعض الليالي يطالع مسألة مع الملحة الدهرية ، فاشتبه عليه جواب مسألة فأمر باتخاذ مشعلة وقصد باب قاضي القضاة بعد قطع من الليل وهدوء الناس والأصوات ، فأخبر قاضي القضاة بحضوره ، فاشتغل خاطره وهياً مكاناً وجلس فيه حتى إذا دخل عليه وجاراه في تلك المسألة وانفتح له جوابها واتضح لديه ما كان منها ، قال له قاضي القضاة : هلا أخرجت إلى الغد وتغيبت في هذا الوقت؟ فقال المؤيد مغضباً من كلامه متعجباً : ما هذا بكلام

(١) سيرة الإمام المؤيد ٧ .

مثلك ، أيجوز لي أن أبيت وقد أشكلت عليّ مسألة ، ويمكنني أن أجتهد في حلها؟ فاعتذر إليه قاضي القضاة ، وقال : إنما ذكرت هذا الكلام على الرسم الجاري من الناس وطيب قلبه وعاد إلى منزله^(١) .

وحكي أنه وقع بينه وبين قاضي القضاة وحشة واستزاره بسبب مسألة الإمامة ، فتقاعد عن لقاءه حدود شهر حتى ركب إليه قاضي القضاة ، وقال له : قد بلغك حديث جدك الحسن بن عليّ وأخيه الحسين ، وقول الحسين : لولا أن الله فضلك في السن عليّ حتى أن يكون السبق لك إلى كل مكرمة لسبقتك إلى فضل الاعتذار ، فإذا قرأت كتابي هذا فاسبق إلى ما كتب الله لك من حق السبق والبس نعلك وقدم في العذر والصلح فضلك . فقال المؤيد بالله : قد أطاع قاضي القضاة أيضا فضل سهمه وعلمه ، وعمل بمقتضى ما زاده الله من سهمه ، واعتنقا ، وطالت الخلوة والسلوة بينهما ، وكان الصاحب يقول : الناس يتشرفون بالعلم والشرف ، والعلم والشرف يتشرف بقاضي القضاة ، والشرف ازداد شرفاً بالشريف أبي الحسين .

وكان الصاحب يعظمه كل الإعظام ، وكانت يمينه للسيد المؤيد بالله ، ويساره لقاضي القضاة ، وكان لا يرفع فوق المؤيد بالله أحدا إلى أن قدم العلويُّ رسولا من خراسان ، وكان محتشما عند السلطان ملك الترك الخاقان الأكبر مبعجلا عنده ، حتى إن الصاحب استقبله فلما دخل عليه أجلسه عن يمينه ، فلما دخل المؤيد بالله رآه على مكانه فتحير ، فأشار إليه الصاحب أن يرتفع إلى السرير الذي استند إليه الصاحب ، فصعد المؤيد بالله إلى السرير وجلس في الدست الذي عليه . وكان يزور الصالحين ، فبلغه عن رجل صلاحاً في بعض قرى ديلمان ، فمضى لزيارته في جماعة من أصحابه ، فلقى الرجل خارج موضعه

(١) سيرة الإمام المؤيد بالله ٩ .

وكان لا فراش له إلا ما نسجه من أغصان الشجر، ولا يتوسد إلا آجرتين عملهما، فقال له: ما لنا فراش ولا مكان تجلسون فيه، فقال عليه السلام: لو كان لك فراش أو حاله لما زرناك، فالملوك كثير وأهل الحالات فلسنا نزورهم ولا نراهم أهلاً لذلك.

وكانت له عليه السلام كرامات تشهد له بالفضل، فمنها: أنه كان في اليوم الذي أسر فيه قدس الله روحه قصده رجل من الجليل ولطمه، فدعا عليه وسأل ربه أن يسقط الأكلة على يديه، فعن قريب اسودت يداه ووقعت فيهما الأكلة حتى ذهبتا. قال مصنف سيرته قدس الله روحه [٨:٩]: وسمعت جماعة تحكي أن بُنْدَارَ وزير الكيِّا أبي الفضل الثائر في الله لما أُخبر أنه احترقت داره بهوسم في الفتنة التي كانت بها بسبب إحراق مشهد الناصر بأمل قال: إن هذا العاصي الكاذب خرب داري يعني بذلك المؤيِّد بالله، فأنهاي ذلك إلى المؤيِّد بالله فلم يسمع، فشهد بذلك جماعة فقال عند ذلك: اللهم خذه مفاجأة، ولا ترزقه الشهادة عند موته، فعن قريب مات بغتة مفاجأة، بحيث كان جالسا فاستلقى على قفاه فإذا هو ميت من غير وصية ولا توبة. وروي عن السيد أبي الحسين زيد بن الحسين الأشثري الجرجاني: أن عياضاً الثعلبي حضر مجلسا بجرجان جرى فيه ذكر المؤيِّد بالله، وذكر بعضهم أن الله سبحانه يُعِينُهُ على الحقِّ وينصره، فقال العياض الثعلبي: برئت من إله يعينه، وقال عقيب هذا القول: أوجعني بطني، وتعلق ببطنه وعاد إلى داره ومات في تلك الليلة. قال: وسمعت هذا السيد يقول: إنَّ أبا عمرو الفقيه القصار الجرجاني حضر مجلسا بجرجان في أيام الأمير فلك المعالي، فذكر بعضهم أن السيد أبا الحسين الهاروني إنما يطلب بما يفعل الدنيا وليس يعمل لله سبحانه، فقال أبو عمرو: كذلك أبوه عليّ بن أبي طالب كان يحارب معاوية وعائشة للدنيا لا للأخرة، وفارق ذلك المجلس وعاد إلى داره،

ففلج في الوقت وما برز من داره بعد ذلك ومات من تلك العلة^(١).

وكان عليه السلام في الشجاعة وثبات القلب بالمحل العالي، فإن في الحكاية أن شوزيل لما أسره عليه السلام اجتمع المسلمون عنده، وسألوه أن يفرج عنه فأخرج جوشنًا، وقال: احصوا المواضع التي أصابها المزرقي^(٢) من هذا الجوشن^(٣)، فبلغ نيفًا وثلاثين موضعًا فقال: من يثبت في المعركة هذا الثبات كيف يفرج عنه ويخلى سبيله^(٤)!

وروي أن بعضهم قال: سمعت شيرأسفار يقول: لولا وقوف المؤيد بالله يوم حرب آمل مع خمسين رجلا من الثابتين لم يخلص منا إلا اليسير، وكان شير أسفار يعده المؤيد بالله لخمس مائة رجل. ومن شعره عليه السلام قوله:

تهذب أخلاق الرجال حوادث كما أن عين السبك يخلصه السبك
وما أنا بالواني إذا الدهر أمني ومن ذا من الأيام ويحك ينفك
بلاني حينًا بعد حين بلوته فلم ألف رعديداً ينهه السهك
وحنكني كيما يقود أزمتي فطحطحت^(٥) حنكا وما عقتني الحنك
ليعلم هذا الدهر في كل حالة بأني فتى المضمار أصبح يحتك
ثماني آباء كرام أعزة مراتبها أنى يحيط بها الدرك
فما مدرك تالله يبلغ شأوهم وإن يك سباقا فغايته الترك
فلا برقههم يا صاح إن شمت خلب ولا رفدهم وكس ولا وعدهم إفك
بهم زهت الأعراب في كل مشهد سكون وخنم ثم كندة أو عك

(١) سيرة الإمام المؤيد بالله ٩ .

(٢) المزرقي: البعير يؤخر حملة إلى مؤخر. القاموس ص ١١٤٩ .

(٣) الجوشن: الصدر والدرع. القاموس ص ١٥٣١ .

(٤) سيرة الإمام المؤيد ٨، والشافي في ١/٣٣٢ .

(٥) لطحطح: كسر وفرق ويدد إهلاكا. القاموس ص ٢٩٦ .

وقال عليه السلام يمدح صاحب الكافي:

سقى عهداً صوب من المزن هاظل
 منازل نجم الوصل فيهن طالع
 ومرتبّع للهو بين ربوعها
 رياض حكت أبراد صنعاء رقمها
 وكل سحاب شافه الأرض قربه
 سحبنا عطف اللهو في عرصاتها
 وطابت بها الأيام إذ سمحت لنا
 وكان شبابي عاذلاً لعواذلي
 نعمنا بها لم نعرف البؤس والأسى
 كأنني أغرى بالصباية كلما
 ليالي عين الوصل فيها قريرة
 وإذا لممي للغانيات صوآئد
 أجر ردائي صبوة وصبابة
 إلى أن بدا للشيب بين مفارقي
 فلأنس عني حيث كنت تنكب
 أتانا الربيع الغض في ثوب عفة
 إذا حاول الضلال إسعاف أهله
 كذا من يسوس صاحب القزم أمره
 ولما انتحى النيروز^(١) خدمة بابه

تحببى بها تلك الربا والمنازل
 يضيء ونجم الهجر فيهن آفل
 مسارحه مأنوسة والمناهل
 غداة حباها الوشي ظل ووايل
 كأن التماع البرق فيه مشاعل
 وعن لنا فيها غزال مغازل
 بما سمحت والدهر عنهن غافل
 وليس لها في أن ثعالب طائل
 فلا الجهل متاب ولا الوصل راحل
 وشى بيننا الواشي ولج العواذل
 كما أن دمع الهجر أخرج هامل
 ولي حول ربات الحجال حبايل
 هما شيم أرضى بها وشمائل
 أساطير لم تنهض لهن أنامل
 وللهم حولي حيث سرت قنابل
 فجاء به أنس من الغي حائل
 فمن دون ما يبغى من الصوم خامل
 تتم له النعماء وتزكوا الفضائل
 تنسك حتى ليس ينحوه باطل

(١) النيروز: أول يوم من السنة الفارسية . القاموس ص ٦٧٧ .

على منكب الجوزاء منه الحمائلُ
 إذا عن لم تشمخ بسحبان وآئلُ
 وشخصُ الردى من وقعه متضائلُ
 فللكفر منها حيث شاء زلازلُ
 ولاذت به حين اعترتها الغوائلُ
 يفيض وهل تغني الدموعُ الهواملُ
 وكلُّ لديه السيفُ والسيفُ فاصلُ
 ولم يبق فيها عن سنا العدل عاذلُ
 وقد غُمرت تلك النهى والدلائلُ
 أقام مقام الروح منه المناصلُ
 وإن قضايا المرهقات فواصلُ
 ومن دون ما لاقوه تطوى المراحلُ
 وليس لهم إلا الاحتوف رواحلُ
 أنامله العلياً غيبوثُ هواطلُ
 تفجر للعافين منها جداولُ
 وأعطيت حتى ليس في الأرض آملُ
 لها معلم يوم القيامة مائلُ
 وليس لهم إلا علاك وسائلُ
 وعاد من العذال من هو سائلُ
 وأعززتهم والذل لولاك شاملُ
 وكل مديح غير مدحك باطلُ

غدا سيفه الظمان^(١) لله مصلتا
 وفصل خطاب لم تنله الأوائل
 تبلج عنه غرة الدين والهدى
 دعا دعوة لله جرد سيفها
 ولما شكت أرض الجبال خُطوبها
 وأذرت دموعاً مثل نائله الذي
 دعا نحوها عزمًا كبا البرق دونه
 فشق ظلام الظلم عن وجه أهلها
 وأوضح فيها للنجاة دلائلا
 ومن قبل ما حكمت في كل مارق
 صوارم واصلن الطلّي فالفنها
 وشردت من ألفت سيوفك منهم
 وليس لهم إلا السيوف منازل
 ألا أيهذا الصاحب الماجد الذي
 أنامل لو كانت تشير إلى الصفا
 وأغنيت حتى ليس في الأرض معدم
 وكم لك في أبناء أحمد من يد
 إليك عقيد المجد سارت ركابهم
 فأعطيتهم حتى لقد سئموا اللهي
 وأسعدتهم والنحس لولاك ناجم
 فكل زمان لم تزيئه عاطل

(١) في (أ): في الله .

ولما قال أحمد بن محمد الهاشمي المعروف بابن سكرة :
 إن الخلافة مذ كانت ومُذ بدأت معقودة بفتى من آل عباس
 إذا انقضى عُمر هذا قام ذا خلفا ما لاحت الشمس وامتدت على الناس
 فقل لمن يرتجئها غيرهم سفها : لو شئت رَوَّحت كربَ الظنِّ باليأسِ
 فأجابه السيد المؤيد بالله قدس الله روحه في حال حدائته :
 قل لابن سكرة: يا نغلَ عباس أضحت خلافتكم منكوسة الراس
 أما المطيع فلا تُخشى بواده يعيش ما عاش في ذل وإتعاس
 فالحمد لله ربي لا شريك له خص ابن داعي بتاج العز في الناس

ذكر بيعته عليه السلام ونُبذ من سيرته

ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام (١) :

كان له عليه السلام خرجات أحدها: في أيام الصَّاحب في سنة ثمانين وثلاثمائة،
 وبين الخرجة الأولى والخرجة الثانية سنون وفترات، وتابعه (٢) الجليل والديلم
 وعارضه الناصر أبو الفضل، ومال إليه ناصرية الجليل لكونه من أولاد الناصر
عليه السلام، وإن كان لا يداني المؤيد بالله، ولما خرج عليه السلام ووافى جيلان، ونزل قرية من
 قراها يقال لها: جومة (٣) في حدود جيلان وبقي أياماً واجتمع إليه نحو سبعين رجلاً
 ثم خرج نحو هوسم وانتهى بعد ذلك إلى قرية تدعى كذكاهان، فدخل عليه من
 الغد المسمى جوي الديلمي مع زهاء سبعمئة رجل فقوي بهم، وانتقل إلى كذّه
 قرية بقرب هوسم وأقام بها حدود سبعة أيام، وكانوا لا ينزلون على أحد إلا بإذن
 وطيبة نفس منه، ولا يتناولون من ثمار أحد إلا بإذن مالكة. فلما كان يوم من

(١) انظر سيرة الإمام المؤيد بالله «خ» ص ١١ وما بعدها، والشافي ١/ ٣٣٣.

(٢) في (أ): وبابعه.

(٣) جومة: مدينة بفارس. معجم البلدان ص ١٨٩.

الأيام لم يبرز للناس إلا وقت الظهيرة، وكان يكتب وصاياه في كتاب وصيته، ثم
 برز إلى الناس وخرج نحو هوسم بعسكره، فما شعر شوزيل إلا بعد مجاوزته
 كساكجان فاستقبله شوزيل بعساكره، وأخذوا في الحرب وانفرجوا، وقد غلبهم
 المؤيد بالله وقهرهم وانهزم شوزيل إلى جيلان، واستولى المؤيد بالله على هوسم
 وبقي بها سنة واحدة، ثم قصده شوزيل من جيلان وحاربه بباب هوسم،
 وانحاز عسكر المؤيد بالله وقتل منهم ثمانون مسلماً، لا يرى التولي من العدو
 مع عدة من الفساق، وأسر المؤيد بالله وحمله إلى قرية في داخل جيلان تدعى
 كيجلوم، فبقي في حبسه أياماً والمسلمون يسألونه إطلاقه، فيأبى وقال: إنه قتل
 خازني وضاع بسبب تلفه خمسة وعشرون ألف درهم، حتى جاء المسمى دانكين
 التجني وضمن هذا المال فخلى سبيله وأفرج عنه وأطلقه، ورجع المؤيد بالله إلى
 برفجان وأقام بها، وأدى دانكين من مال الضمان عشرين ألف درهم وأدى المؤيد
 بالله ثلاثة آلاف درهم وترك شوزيل ألفين، ثم عاد المؤيد بالله إلى الري، ثم امتد
 إلى آمل وأقام حتى وردت عليه الأعلام من وجوه الجبل والديلم ببذل النصر له
 بأموالهم وأنفسهم، فتقدم عليه السلام حتى دخل برفجان، فسارع الناس إلى إجابته ولم
 يتخلف عنه من له خطر، فانبعث عليه السلام نحو هوسم وأبو زيد الثائري أمير عليها
 وشوزيل كان بطبرستان، وبلغت عدة عسكره عليه السلام سبعة آلاف رجل، فلما أحس
 أبو زيد الثائري بإقبال المؤيد ترك هوسم وانزوى إلى موضع يقال له: كُلوأ فتبعه
 المؤيد بالله فحاربه وهزمه من هناك، فمضى أبو زيد إلى ملك الديلم، وقتل من
 عسكره مقتلة عظيمة، وأخذ من أسلحتهم إلى حدود ثلاثة آلاف ترس، ثم
 رجع المؤيد بالله عليه السلام إلى هوسم وأقام بها سنتين، ثم عاد الأمير أبو زيد من
 ديلمان وأظهر التوبة والنسك، ثم تسائر القوم إلى الأمير أبي زيد وقالوا له: إن أبا
 الحسين الهاروني ليس بناصري، وإنه قاصر اليد عن عطائنا، وحملوه على

مخالفته واجتمعوا حتى أحوج المؤيد بالله إلى مفارقة هوسم والرجوع إلى جيلان فلما قدم جيلان، أقبل إليه شير أسفار بخيله ورجاله وعاونه ورده إلى هوسم، فبقي فيها مقدار شهرين، ثم تقوى الأمير أبو زيد الثائري وآل الأمر إلى أن التجأ المؤيد إلى جيلان وأقام ببيرفجان عند المكنى بأبي شجاع، ثم أنفق أبو زيد الأموال الجمة على أهل جيلان حتى اغترَّ بماله شير أسفار وخالف المؤيد بالله، وخالفه القوم أجمع حتى خالفه أبو شجاع أيضا، وأخذ أربعين ألف درهم واعتذر بأنه خشي أن لا يتم أمره ويُحوج إلى الهرب، ويفوتني المال، فأحوج المؤيد بالله إلى مفارقة جيلان وامتد إلى الري وأنشد :

فررت من العُداة إلى العُدات وكنت عَدَدْتُهُمْ زُمَرَ الثَقَاتِ
لقد خابت ظنونني عند قوم يرون محاسني من سيئاتي
يُهيجون الغواة عليَّ هيْجاً وهم شرُّ لذيٍّ من الغواتِ

وبقي الأمير أبو زيد بهوسم إلى أن خرج عليه أبو الفضل الناصري وحرابه وهزمه، وأقام بهوسم أربعة أشهر، وخرج الأمير أبو زيد إلى الري وتقرب إلى المؤيد بالله وأظهر التوبة واعتذر إليه وصالحه، وواعده أنه إن عاود هوسم أعانه على محاربة صاحب طبرستان، ثم رجع الأمير أبو زيد إلى هوسم وملكها أياما. ثم إن أبا الفضل بن الناصر جمع عسكرا وقصد هوسم، وهزم الأمير أبو زيد والتجأ إلى جبل حصين فتبعه أبو الفضل وحرابه وقتله، ثم ملك أبو الفضل بعد ذلك هوسم أربعة أشهر، ثم إن آل الثائر بعثوا رسولا إلى المؤيد وقالوا: إن قتل أبو زيد فنحن نعينك على مرادك فالحق بنا، فأقبل المؤيد بالله إلى ديلمان، وصالح الاسفندارية- وهم ملوك بعض جبال الديلم- على أن ينهض بهم إلى قابوس، وسلّمت له قلعة وأرفويه وبقي على ذلك سنتين^(١) إلى أن سار نحو أمل، وصحبه

(١) في (أ) سنتين، وسيرة الإمام المؤيد.

الكيا أبو الفضل صاحب هوسم مع الكبار الأمراء من الجليل والديلم، وصحبه الاسفندار المكتنى بأبي جعفر، وولده التابع للمؤيد المسمى: خسرو شاه بن أبي جعفر صاحب الرويان، وصحبه جميع أصحاب الأطراف من ولاة الكلار والديلمان سهلها وجبلها، فدنا من أهلم، ونزل في الساحل ووطن عساكر أمل على الهزيمة، وكان الوالي بها من جهة الأمير قابوس أبو جعفر محمد بن الحسين الناصر، وكان فيها من الأمراء جفتي بن باي والعباس السالمي والإصفهذي بن أسفاوجين في آخرين.

فخرج المؤيد بالله عليه السلام من أهلم إلى باب أمل وكان الرأي أن ينزل بباب أمل ولا يحارب مع تعب رجالاته، فاستعجل وبادر المحاربة، وانهزم الأكراد الأعراب من عسكر أمل، وتفرق الجليل والديلم وأحسوا بالظفر حتى إن الشيعة استقبلوا الإمام ينثرون ويستبشرون وكانوا كالواثقين بالظفر، وكان قائد من قواد المؤيد بالله يسمى ريشكا من كبار شجعان الجليل دخل محلة تنجمادة^(١) من أول البلد، فأصاب قلنسوته وبيضته التي كانت على رأسه طرف صفائح منصوبة لكف المطر تدعى بالطبرية: كاولي، فنزلت البيضة عن رأسه فانتهاز الفرصة جيلي من البغاة فرمى موضع الانكشاف بمزراق، فأصاب أصل أذنه فسقط عن دابته ورفع جثته أصحاب الناصر أبي جعفر فكفنه تكفينا حسنا ورد جثته^(٢) إلى جيلان تقريبا إلى الجليل، فآل الأمر إلى أن انهزم عسكر المؤيد بالله ونقضوا أتراسهم؛ وكان السبب في ذلك على ما يقال إنه عليه السلام كان نهى عسكره^(٣) أن يرموا أهل البلد وأن يضربوهم وأن يشعلوا النار في دورهم، فلما عرف أبو جعفر الناصر أنه أمن الطبرية، وعرف أن التعصب غالب عليهم، وأنهم لا يعدون كثرة، وكانوا نظاره

(١) في (أ): تنجادة.

(٢) في (أ): تابوته.

(٣) في (أ) وسيرة الإمام الهادي بزيادة: من.

والليكاني^(١) كله حجارة، فأقبل على العوام وقال : ألا ترون هذا العلم الأبيض الذي أقبل عليكم؟ أليس تريدون رفع دينكم؟ فمن رمى منكم بحجر فهذا ختمي له بصيانة داره عن التورد والنزول، وعرف أن هذا من أهم شيء عند الطبرية، فجعل يختم لهم على الشموع ويغويهم ويغريهم بهم، فأخذت الطبرية في الرمي وكسروا الأتراس فوقعت الهزيمة العظيمة في رجال المؤيد بالله حتى بقي وحده بلا راية ونهب بيت ماله، فقال عليه السلام لبعض نقبائه : ما الرأي؟ فقال النقيب : انج بنفسك، فقد هربت العساكر، فقال له : انظر في مقدمة عسكرنا، فقال : ليس هناك إلا الكيأ أبي الفضل الثائر وشير أسفار فقال : لا سبيل إلى الرجوع فإن أبا الفضل معدود لخمسة مائة رجل وشير أسفار كذلك، فكيف أولي وبين يدي ألف، فقال : لا رجالة معهما وهما أيضا ينصرفان، فلما انصرف الكيأ أبو الفضل، فقال له : اخرج في دعة الله لأصونك ولأصحبك، فقال : إذا كان هنا شير أسفار فلا يحل التولي، فعاد أيضا شير أسفار منهزما يقول : أخرج باكياء فمضى باكياء، يقول : أي موضع أولى بالاستشهاد من هذا الموضع؟ فلولا أنني أخاف ألا أقتل على المكان، وأوسر وأحمل إلى قابوس : وهو اللعين سيء الاعتقاد فيسلك معي مسلك الانتقام فيمثل بي ويعذبني بأنواع العذاب، وإلا لم أخرج من هذا المكان، فقال له : ولأن تعود سالما أحب إلينا من أن تستشهد هاهنا، فركض وركضوا أفراسهم يحفظونه ويحمونه، فحصل تلك الليلة بساحل البحر على شط نهر، ولحق به جماعة من المنهزمين وقد تعبوا وجاعوا ومنهم جرحى فقال المؤيد بالله : هل فيكم من يقرضنا دينارا؟ فأقرضه رجل كان معه دينار، فبعث بعض الحاضرين إلى قرية بقربه وقال : اطلب شيئا من الحلال تشتريه بهذا لهؤلاء الجياع، فذهب الرجل واشترى من فيشكاة القرية شاة مسلوخة وشيئا من السمن

(١) في سيرة الإمام المؤيد بالله : والليكاني .

والعسل وجملة من خبز الأرز، فأمر بتقديمها إلى الجياع، وقدم إلى نفسه رغيفا واحدا وتناول نصفه، وقام إلى الصلاة حتى أصبح ولحق به المنهزمون أفواجا، وقبض أبو جعفر الناصر زهاء ثلاثين رجلا وجعلهم في أقفاص من صفائح وأصدر بهم نحو جرجان إلى قابوس فقتلوا هناك، وكان قتل ثمانية عشر رجلا من الثابتين، فمضى أبو شجاع الفارسي البرزاز والد الشيخ أبي طالب - وكان من أعيان الشيعة - إلى الشيخ أبي عبدالله الخياطى واستفتاه في^(١) هؤلاء القتلى فقال : يدفنون بثيابهم فإنهم شهداء، وذلك السيد إمام الزمان بعد الناصر للحق ﷺ. فخرج الناصر في سنة ثلاث مائة مستوى، وهذا إنما ظهر في سنة أربع مائة مستوى وفي كل مائة عام يخرج إمام صالح لهذا الأمر من آل محمد ﷺ. فقال : كنت أعلم هذا لكني سألتك لرفع الخلاف وحذرا من العامة، فإنهم يقبلون منك، وخرج ودفنهم بثيابهم في طريق الليكاني، تعرف قبورهم بقبور الشهداء، استوهب تلك البقعة من صاحبها فوهبها. ولما بلغ المؤيد بالله إلى ناحية كجوا أخذ خسر وشاه بن الاسفندار في مخالفة المؤيد بالله، وأصعد رجاله إلى هضبة هناك حول الصحراء، وحصل عسكر المؤيد بالله دونهم كأنهم في حلقة وحصار وليس فيهم صاحب ترس وسلاح، ورفع القوم رايتهم وأخذوا يطلبون القتال ويظهرون العداوة، فاشتغل قلب المؤيد بالله وقال : انظروا إلى هؤلاء الظلمة وإلى أفعالهم لا يمكن السكون إليهم، ولا الاعتماد عليهم وعلى موائيقهم، فبعثوا نحوه رسولا وطلبوا المواثيق والرهائن على أن لا يحاربهم قط وأن يسلم قلعة وارفويه منهم، فسلم ابنه أبا القاسم منهم على أن يردوه إليه متى سلم القلعة منهم، وشرط عليهم أن لا يحبسوا عندهم غير ابنه أبي القاسم، ثم إنهم نقضوا العهد وحبسوا مع السيد أبي القاسم جماعة، فخرج المؤيد بالله مع

(١) في (أ) وسيرة الإمام المؤيد بزيادة : معنى.

ثقات الاسفندار ليسلم القلعة منهم ، فلما بلغوا (كلار) علموا أن الديلمة لا يمكنون من تسليم القلعة منهم فانصرفوا .

فلما بلغ المؤيد بالله إلى صحراء (أيكاند)^(١) استقبله المسمى أبو حليس^(٢) الحاجب من ناحية قلعة براز مع عسكر جرار ليقبض على المؤيد بالله من قبل الاسفندار ، ولم يكن معه مُتَسَلِّحٌ من جنده ، فاتفق أن راية أبي سعيد النيسابوري ظهرت مع جمع كثير ، فرجع أبو جعفر الحاجب على عقبه ، وعجزوا عن التعرض له ، فلما دخل المؤيد بالله ديلمان وعرف القوم أنه يريد تسليم القلعة استدعوا أبا القاسم إصبيهذ كلار وبايعوه على الموضع المسمى تُنْكَايُشته ، واستقبلوه محاررين وانهزم رجال السيد ، ثم إن المؤيد بالله (أخبرهم أنه لا يريد تسليم القلعة ، وأن القوم انصرفوا فأطاعوه ، فلما أيس الاسفندار ولم يمكنه قتل الأمير القاسم أطلقه ، فمضى إلى الري ، ومن ثم إلى جيلان ، ثم عاد إلى المؤيد بالله)^(٣) . وكان عاقبة أهل طبرستان بما صنعوا أنهم قحطوا في تلك السنة عقيب هذه الواقعة قحطاً عظيماً حتى صار رطل خبز بعشرة دراهم ، ولولا قرب إدراك الغلة لمات أكثرهم جوعاً ، ثم وقع الوباء عقيب القحط فمات خلق كثير ، كل ذلك بشؤم البغي ولهم في الآخرة عذاب شديد . فأما قابوس فإن الله قتله شر قتلة ، وقُتِلَ^(٤) أبو جعفر الناصر وجفتي بن باتي^(٥) والعباس السالمي والإصفهذي بن أسفا وجين وغيرهم ممن تولى أمر تلك الحرب وسائر العسكر بادوا وهلكوا بشؤم البغي ، فلما ولي منوچهر صالح المؤيد بالله على أن يؤدي إلى المؤيد بالله كل سنة

(١) في الأصل : أيكابذ .

(٢) أظنه لقب لأبي جعفر الحاجب كما سيأتي .

(٣) في (أ) ساقط ما بين القوسين .

(٤) في (أ) : وأما أبو جعفر . . .

(٥) في الأصل : بابا ، والنسخة (أ) : بابي ، ولكن قد سبق : باي

ألفي دينار، وجرى على ذلك أيما حتى ظلم إسفندار أهل كلار ونواحيها فقدم أهل إيواز^(١) ومن قدام شالوس على المؤيد بالله والتمسوا منه الانتهاء إليهم ليعينوه، فلم يُجب واعتل بأنه لا يثق بوفائهم ولا يحصل على فائدة، وينقطع عنه مال الصلح الذي يبعثه إليه منوجهر فخرجوا، ثم عادوا ثانيًا وثالثًا حتى أقبل الصيف، فقام إلى المؤيد بالله عامة أولياء الإسفندار وأكابرهم كآبي القاسم اللؤلؤي وآبي جعفر وسائر أهل كلار وسائر أهل النواحي وأكدوا الأمر، فرضي وقصد نحو كلار، فورد عليه عسكر منوجهر من طبرستان، فقال المؤيد بالله لابنه الأمير آبي القاسم: تاهب للقتال، فذهب وتأمل القوم وانصرف، وقال: لا طاقة لنا بهؤلاء القوم فإنهم كالبحر الأخضر، فجد المؤيد بالله في الأمر وقال: لا بد من القتال؛ فعاد الأمير أبو القاسم إلى موضع يدعى دشتنيز ووقع على القوم مغافصة فانهزموا وأسر جماعة من الأمراء والقواد وتُخب العسكر، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وغنموا من أموالهم وأسلحتهم شيئًا عظيمًا، وجعل أصحاب المؤيد بالله يقولون: يوم بيوم، يعنون: إننا إن رجعنا في أيام قابوس من باب أمل فقد رجعتم من باب كلار على أسوء حال.

ثم إن المؤيد بالله كاتب منوجهر بعد ذلك بكتاب حسن مشحونا بحجج وآيات وأخبار وأمثال، فصالحوه على بذل ألفي دينار في كل سنة، ثم حدث من بعد فتنة طبرستان وتعصب النواصب على الأشراف والشيعة، وكان ينصر عامة أهل طبرستان ابن سيف الدينوري وبعضهم، وكان واليًا على أمل من يد منوجهر، واشتد ذلك حتى قدم الشيخ أبو القاسم البستي أمل من الري وأظهر التعصب للشيعة في مجالس التذكير، وسئل يوم الغدير عن الفضل بين عليّ وآبي

(١) في الأصل: إيوان.

بكر، فقال: مثل عليّ كمثل كوز جديد لم يمسه شيء، ومثل أبي بكر مثل كوز كان فيه خمر ودم وأنجاس وأقذار ثم غسل غسلا نظيفا؛ وذلك لأن علياً عليه السلام لم يشرك بالله طرفة عين، وأبو بكر كان مشركاً أربعين سنة، وإن برئ من الكفر وطهر من الشرك، فغاظ النواصب هذا المثل لوقوف العامة عليه، وكان في البلد متفقاً لم يكن له عند العامة سوق يكتنى بأبي إسحاق الصفار، فلما بلغه هذا الحديث غدا من مسجده حافياً حاسراً يخرق بجوف البلد إلى دار العامل المعروف بابن سيف، وتبعته العوام على عادة الطبرية، وعاجوا وجلبوا على باب العامل، وتوصلوا بذلك إلى طرد الشيخ أبي القاسم البستي، فأخرجه ابن سيف قسراً بعد ثلاثة أيام وقد فتن البلد وانعقد للصفاري سوق عند العامة ودامت الفتنة في البلد، وكانوا يقصدون مشهد الناصر عليه السلام، واستعان الأشراف بجماعة من الجيل كانوا يحضرون المشهد ويذبون عنه ويحامون دونه، وقتلوا جماعة من العوام، وقتل من الجيل واحد، ودامت الفتنة واستحكمت الوحشة، ولم يتمكنوا من إحراق المشهد حتى استعان أهل البلد بمشبهة الرساتيق من ناحية إرمبراه^(١) من ناحية أهلم، وكان رئيسهم أبو القاسم دابويه، وخاف أبو أحمد الناصر^(٢) -رئيس الأشراف- على ماله وداره، فراسل سكان المشهد، وأمرهم بمفارقتهم وتسليمهم من القوم ففعلوا، فقصدت القوم وأشعلوا فيه النار وأحرقوه عن آخره ونقضوا المنارة والسور، ثم قصدوا بعد ذلك دار أبي الحسن^(٣) الناصر وأحرقوها، ثم هدموا مسجداً للشيعة في سكة حازم. ثم حضر الصفاري وخرّب المسجد المعروف بزيدكيا العلوي في بقعة تدعى آش ريه، واستمرت الفتنة وهاج الجيل بجيلاان يهتجمون ويصولون،

(١) في (أ) وسيرة الإمام المؤيد: إرمبراه.

(٢) في (أ): أحمد الناصر القاسم.

(٣) في (أ): الحسين.

وامتدوا إلى باب المؤيّد بالله يلزمونه التقدم إلى أمل للانتقام والانتصاف . فأظهر المؤيّد بالله الضعف والعجز عن النهوض بنفسه ، وقال : لا أجد لهذا الأمر في الحال غير السيد الشائر في الله أبي الفضل صاحب هوسم ، فلما أمره بذلك أبي وامتنع وتقرب إلى منوجهر وأخذ منه المال ، فهاج عليه الجليل وهموا بالقبض عليه وأحرقوا داره بهوسم وأجيء إلى الهرب ، فلما أيس منه ، كاتبَ أبا جعفر الناصر المقيم بالري ، وأرسل إليه أبا الحسن الأبسكني ، وخاطبه بالسيد الفاضل ، فلما قرأ الكتاب ، قال : هذا لطفه عند الاستدعاء فكيف لطفه إذا حصلت عنده؟ وامتنع من إجابته . وأنفق منوجهر عشرين ألف دينار بهذا السبب وأعاد عمارة المشهد ، وأنفق عليه حدود ألف وسبعمائة دينار ، وقبض الإسفهلار - المعروف بالحاجب الكبير أسفاوجين بن أصفهان - على المعروف بالصفاري ، فأمر منوجهر وأصدره إلى أستراباذ^(١) وحبس في قلعة تكريت ، وبقي فيها زهاء عشر سنين حتى هلك منوجهر ، فتقرب أبو كالجار إلى الطبرية وأطلقه ورده إلى أمل وكان في الكرة الثانية شرا منه في الأولى ، ولا زال يتعصب ويتعرض للأشراف والشيعة إلى أن هلك أبو كالجار ، فأنهض شرف المعالي إلى أمل للسياسة للأمير ورده أنشا بن أسفرستان الزياري^(٢) ، فساس أهل طبرستان سياسة منكرة وقتل من المفسدين عدة وقتل الصفاري ، فلما أعاد منوجهر عمارة المشهد^(٣) وأرشا كبار جيلان سكنت تأثرة الجليل ولم يمكنهم قصد طبرستان ، وانصرفوا من وركروذ ، وكان أبو الفضل انحاز إلى كرجيان ، فلما انصرف الجليل بلغه أن المؤيّد بالله كان ضمن لهم ألفي دينار فلم يدفع ، وقيل : بسبب أن ناصرية الجليل قالوا : إن هذا العزيز يعود إلى المؤيّد

(١) في الأصل : استراباد .

(٢) في (أ) : وردان شاه بن أسفرستان الزياري .

(٣) في (أ) : المسجد .

بالله ولا يعود إلينا ، فقصدهم الكيا أبو الفضل مع الكرجية وسد عليهم الطريق من كل جانب فحمل الجليل عليهم وهزموهم بإذن الله وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وخرج أبو الفضل من هناك إلى جيلان واستولى بعد ذلك على هوسم أيضاً ، ولم يزل عليه السلام مشجياً للظالمين ، معلنا بالدين حتى توفاه الله حميداً رشيداً فقيداً سعيداً .

وكانت وفاته عليه السلام في يوم عرفة سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، ودفن يوم الأضحى ، وصلى عليه السيد مانكديم الأعرابي القزويني الخارج بعده بلنجا الملقب بعده بالمستظهر بالله ، وأديمت الختم على قبره من يوم دفنه إلى تمام شهر ، وبني عليه في لنجا ومشهده فيها مشهور مزور . وفيه يقول القائل :

عرج على قبر بصع
وإبك مرموسا بلنجا
واعلم بأن المقستسيدي
بهما سيبغ ما ترجأ^(١)

وكان عمره عليه السلام تسعا وسبعين سنة ، وخلف من الأولاد : الأمير أبا القاسم وحده عليه السلام وكان اسمه الحسين وبه كان يكنى ، وأولد الحسين أحمد ، وأولد أحمد الإمام أبا طالب الأخير يحيى وعقبه كثير: منهم محمد القائم في عشر السبعين وخمسائة في بلاد العجم من جيلان .

ذكر نكت من كلامه عليه السلام :

قال قدس الله روحه في صدر كتابه المعروف بسياسة المرئيين [١٩] :
الحمد لله الذي جعل لنا إلى سلوك مناهج الأبرار سبلاً لائحة ، ونصب لنا على لزوم مدارج الأخيار أدلة واضحة ، وجعل من تبتل إليه ووقف عليه مشاهدا لدواعي الحق التي ذهب عنها أكثر الخلق ، واستنقذهم من أسر الحيرة ، وعصمهم

(١) أنظر التحف شرح الزلف ٢١٢ .

من بوادر الفتنة ، وملكهم أزمة قلوبهم ، ووقاهم شح نفوسهم ، وأنسهم برياض
تنزيله ، وفهمهم غوامض تأويله ، وجعل لهم مطالع في ملكوته ،
ولضمايرهم مراتع في عظمته وجبروته ، حتى عزفت نفوسهم عن أكثر ما لهج
الخلق به من الشهوات ، وثبتت أقدامهم حيث دحضت أقدام كثير من ذوي^(١)
الخطيئات ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ
وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧] . والحمد لله
الذي جعل التوبة للمذنبين المسرفين على أنفسهم وسيلة ينالون بها متى أخلصوها
كل فضيلة ، فقال الله تعالى : ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا
تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾
إلى قوله : ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر: ٥٣ - ٥٥] ، وبلغنا أن الله تعالى أوحى
إلى نبيه داود عليه السلام ، أن أنذر الصديقين وبشر المذنبين ، فقال : يارب كيف أنذر
الصديقين وأبشر المذنبين؟ فقال عز وجل : بشر المذنبين أنني أقبل التوبة ، وأنذر
الصديقين لئلا يغتروا بأعمالهم ، أو ما يرجع إلى هذا المعنى من اللفظ أو يقرب
منه . وصلى الله على نبيه المبعوث نبي الرحمة المبعوث إلى كافة الأمة بالرفقة
والرحمة محمد وآله ، ثم قال قدس الله روحه في باب ما يستعان به على
التوبة [٢٢]:

اعلم علمك الله الخير أن من أراد أن يحصل^(٢) لنفسه منزلة التائبين ،
فيجب أن يملأ قلبه خوفاً وخشية ؛ لأن التوبة لا تكاد تتم ، وإن تمت لم تصف ولم
تدم ما لم يصحبها الخوف والخشية ، ثم قال بعد ذلك :
واعلم أن الخوف للتوبة بمنزلة الأساس للأبنية ، فكما أن الأبنية إذا لم تكن

(١) في (ب) من أهل الخطيئات .

(٢) في (أ) : يجعل .

بُنيت على أساس متين لم تستقم ولم يطل لبثها، (كذلك التوبة إذا لم تُبن على الخوف والخشية)^(١) لم تستقم ولم يطل لبثها؛ ولهذا كثير من المتكلمين بنوا أمر الخواطر التي ترد على المكلف في أول أمره على الخوف .

واعلم أن أكثر الأشياء دواعي وأقربها بواعث على الغرض المقصود في هذا الباب هو الاستكثار في ذكر الموت وإشعار النفس أسباب الفوت والأحوال التي تكون عند الموت وبعد الموت من البلاء في القبر وأحوال النشور والبعث، وأحوال أهل الجنة والنار، والاستدامة لتصورها وتمكين ذكرها من النفس، حتى ينكسر مرحها، ويخف أشرها، وتكثير إيرادها على القلب حتى يغمره وتستولي عليه .

ومن أحسن من قلبه بالقساوة وقلة التنبه فليتصور أحواله عند الغرغرة والنزع عند مفارقة الروح للجسد، وكيف يبقى بين أهله طريحاً ذليلاً، وأحوال أهله وأيتامه، وكيف سيكون عليه ويندبونه، وكيف يأخذون عنه ثياب الدنيا، وكيف يطرحونه على المغتسل، وكيف يلقونه في الكفن، ويدلون في القبر، وكيف يبلى هناك، وكيف تعيث الدواب والحيات في لحمه وجلده، ولينح على نفسه بذلك بصوت شجي في الخلوات وفي ظلام الليل، فإن العلم بهذه الأحوال علم الضرورة، والإنسان قد شاهدها كثيراً، وما يُعلم ضرورة ويكون مشاهداً يكون تأثيره في النفس والقلب أقوى، فليهتم بهذا الباب اهتماماً صادقاً. وبلغني أن نوحاً عليه السلام سمي نوحاً؛ لأنه كان ينوح على نفسه، فإذا ظهر تأثير ما قلنا في القلب والنفس وأجرى دموعه فكرر^(٢) حينئذ في أحوال البعث والنشور، والجنة والنار التي طرق العلم بها اكتساب، فإنه ينتفع بذلك إن شاء الله تعالى نفعاً بيناً.

وقال قدس الله روحه في هذا الكتاب من باب الإرادة [٥٧]: اعلم أن الإرادة هي طلب الانقطاع إلى الله عز وجل من كل ما سواه، قال الله تعالى:

(١) ما بين القوسين ساقط في الأصل .

(٢) في (١): أفكر .

﴿وَأذْكَرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨] ، قيل في التفسير :
 أخلص له إخلاصاً^(١) ، وقال تعالى : ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾
 [الذاريات: ٥٠] . رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال حاكياً عن الله تعالى : «ابن آدم تفرغ
 لعبادتي أملاً قلبك غنى وأملاً يديك رزقا ، ابن آدم لا تتباعد عني فأملأ قلبك فقراً
 وأملاً يديك شغلاً»^(٢) . ثم قال قدس الله روحه : هذه وصية لجنيد بن محمد أثبتناها
 على وجهها لتعلقها بغرضنا في هذا الباب ولما فيها من عظيم النفع للمريد .

قال أبو القاسم رحمه الله : اعلم رحمك الله أن الله تعالى ينزل العبيد
 حيث نزلت قلوبهم بهمها ، فانظر أين ينزلك قلبك؟ ، واعلم أنه يوصل إلى
 القلوب من خيره^(٣) ما اتصلت به القلوب من تعظيم أمره ، فانظر ماذا يتصل
 بقلبك ، واعلم أنه يقبل على القلوب حسب ما القلوب مقبلة عليه ، فانظر ماذا
 أنت مقبل بقلبك؟ ، واعلم أن الله تعالى يخلص إلى القلوب من بره على ما
 تخلص القلوب إليه من ذكره ، فانظر ماذا خالصة قلبك؟ ، واعلم أن الله تعالى
 يعظم القلوب ويرفعها على حسب ما هي معظمة له ، فانظر ماذا الذي تعظم في
 شرك ويعلو إليه مرادك؟ ، واعلم أن موانع القلوب في الابتداء ما مالت عليه من
 أسباب الدنيا ، فاعمل على قطع الأسباب تنل بغيته من الطلب .

واعلم أن قليل ما يُنفق^(٤) منها في السرائر يحول بينك وبين نفيس الذخائر ،
 فاعمل في إخراج ما بقي منها تنل بذلك ما تطلب من خالقها . واعلم أن القلوب
 إذا تجردت من الأمور الدنيوية صحت وصفت للعلوم الأخروية ، فاعمل في ابتداء
 أمرك على إخراج ذلك من شرك ، واحذر أن يبقى عليك منها شيء مستبطن أو

(١) انظر تفسير غريب القرآن للإمام زيد بن علي ٣٥٣ .

(٢) أخرجه الحاكم عن معقل بن يسار ٣٢٦/٤ وقال صحيح : وواقفه الذهبي .

(٣) في الأصل : خيره ، والنسخة (أ) : من غيره ، ولا معنى لها وأثبتناها من سياسة المريدين .

(٤) في (أ) : يبقى .

دقيق مراد قد كمن ، فيقفك^(١) ذلك ويعترض بقدره في صحة المراد ، فكن على استعصاء منه ، وكن فيها على أحوالك كلها زاهدا ، فيصحو عند ذلك عقلك ويصفو قلبك .

واعلم أن هذا أول منزلة من منازل المريدين . واعلم أنك إن صدقت في إرادتك له صدقك في إرادته لك . وأعلم أن الله تعالى إذا أرادك تولاك وأغناك . واعلم أنك إن كنت لطاعته مؤثراً كان عليك بمنافعك مقبلا ، وكذلك إذا كنت لعهد راعياً وبأمره عاملاً كان بالتأييد لك حافظاً ، فمن شاهد ذلك في نفسك أنك إذا اعترض لك أمران ميزتهما بالعلم ، فإذا كشف لك التمييز بالعلم عن أفضلهما ركبت الأفضل وعملت بالأجزل ، ولم ترض في نفسك بالمفضول ، فإذا كنت كذلك كنت صادقا ، وكان الله تعالى لهما رافعا ، فإذا ارتفع همك وقوي علمك كان ذكر الله تعالى السابق إليك ، والعاطف بقربه عليك ، ولم تر شيئا أقرب إليك منه ، ولا أقرب منك إليه ، فإذا خلص لك ما وصفنا فاعتدل واستوى ، لم تكن ظاعناً إلا إليه ، ولا نازلاً إلا عليه ، والعلم من وراء ما أوصيتك به ، فاعمل بوصيتي تنل بها من العلم من وراء ذلك .

قال قدس الله روحه^(٢) : وقال بعض الحكماء : علامة المرید إذا صدق في عزمه رفض الدنيا إذا كانت شاغلة للقلب ومفترة له عن طاعة الله تعالى ، وأحواله في الزيادة على حسب الكد والاجتهاد والانكماش والمبادرة ، وحمل النفس على المكاره ، ومفارقة الراحة ومجانبة الرفاهية ، وليصحب من يريد ما يريد لتزداد قوة إرادته ، وليستوحش ممن يريد ما لا يريد ، وليتقو على ما يريد .

ثم قال قدس الله روحه في^(٣) : اعلم أن أصل هذا الباب وملاكه وما عليه

(١) في نسخه فيقعدك .

(٢) سياسة المريدين ٦٣ .

(٣) سياسة المريدين ٦٣ .

يدور: هو مجانية الشبهات، وترك ما أمكن تركه من المباحات، وبحسب ما يتركه العبد من المباح يكون فوزه للنجاح، وظفره بالمطلوب ونيله للمحبوب، وبحسب استيفائه^(١) وتمتعه له يفتّر سيره، ويضعف عزمه وإرادته، وينشِبُ العدو فيه أظفاره ومخالبه، فمن عزم على طلب الانقطاع إلى الله عز وجل، واستحقاق اسم المریدين، فليوطن نفسه على ترك ما أمكن تركه من المباح، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢] وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٣]، فكل ما لا يعينك فهو من اللغو.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»^(٢) وأصل ترك المباح الذي لا بد للمرید منه، ولا يستقيم أمره دونه، ولا يستقيم إلا عليه ولا يملك زمام قلبه إلا به هو ملازمة الصمت ومداومة الجوع والعطش. وروي عن النبي ﷺ قال: «من عرف الله تعالى وعظمه منع الله فاه من الكلام وبطنه من الطعام وفرجه من الحرام».

وقال قدس الله روحه: واعلم رحمك الله أن المرید ربما يعرض له فتور قوي واضطراب شديد حتى ينتشر همه بعد أن كان مجموعا، ويشرد^(٣) فكره بعد أن كان مزموما وحتى يظن أن قلبه [كأن]^(٤) قد صار أعلاه أسفله، فيضيق صدره ويكاد يفسد عليه أمره؛ وقد يكون ذلك لسبب ظاهر، وقد يكون من غير سبب، فلا يجب أن يرتاع عند ذلك ارتياعا يزيد في اضطرابه، ويوهمه مفارقة حاله، بل يجب أن يفر إلى الله تعالى، ويستغيث به، ويستنزل المعونة من عنده،

(١) في سياسة المریدين «استغناؤه» .
 (٢) مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٣-٢٢٤ .
 (٣) في (ب): ويشرد .
 (٤) ساقطة من كتاب سياسة المریدين .

ويدوم على ذلك، وإن لم يجد للاستعانة^(١) الحلاوة التي كان يجدها من قبل لم ييأس^(٢) من عوده إلى حالته، واستمر على البكاء والتضرع إلى الله تعالى، ومسألته كشف ما به، ويفزع إلى تنبيه القلب بقراءة القرآن بصوت شجي واستماعها من غيره. و[لينظر] في حكايات المتقدمين ومواعظهم، ويستعين على ذلك بمذاكرة من يكون منهم في زمانه ومجالستهم، واستماع كلامهم، وتأمل أحوالهم، فإن كثر ذلك ودام حتى يغلبه الوسواس، استعمل ما ذكرناه في باب ما يستعان به على التوبة، واجتهد في تحصيل الخوف، وذكر نفسه آلاء الله ونعمائه^(٣)، فإن ذلك مما يُقوّي قلبه ويحبس عنه الشيطان.

واعلم أن ما كان من ذلك لغير سبب معلوم كان^(٤) دَفْعُهُ أسهل، وانحسامه أيسر، وعودة العبد إلى حالته الأولى أقرب، وما كان من ذلك لسبب ظاهر يعرفه المرید من نفسه، فإنه يحتاج أن يعمل في إزالة ذلك السبب ودفعه، ويستعين بالله على ذلك إنه خير معين. ويكون بقاء هذا العارض وقوته بحسب قوة السبب الموجب له وبحسب بقائه، ومتى انحسم^(٥) ذلك وَجَدَ المرید له روحاً في الحال، وانشرح صدره انشراحاً عجيباً، وعاد إلى حالته الأولى، وكان سبيل قلبه سبيل المشرفي يخرج من الصقال. فليكن المرید متنبهاً عندما وصفناه وليستعمل ما ذكرنا، فإن الله تعالى بلطفه وفضله يغني من اتقاه، ولا يخيب رجاء من ارتجاه، وليكن دأبه ومعظم همه عند اعتراض هذا العارض التمسك بفعل الواجبات، والتكب من المحظورات، وإن احتلت^(٦) عليه النوافل والمجاهدة.

(١) في نسخه : للاستعانة .

(٢) في الاصل : يئس .

(٣) في (١) ونعماء .

(٤) في (١) : فإن .

(٥) في (١) بزيادة : حد .

(٦) في الاصل : احتلت .

واعلم وفقك الله إلى الخير أن للشيطان كيدين يقطع المريد بكل واحد منهما عن سيره وقصده، ويرده عن طريقه ونهجه، ولكل واحد من الكيدين^(١) تفاصيل نحن نذكر جملها ليعرفها المريد ويحذر منها كل الحذر. فأحد الكيدين القاطعين له عن غرضه: أن يدعو إلى القرب التي هي النوافل، وهي له في الحقيقة قواطع وشواغل، وذلك نحو أن يدعو إلى تحصيل المال، ويوهمه أن يسد به خلة أهل الفقر والمسكنة ويعود به على الأرامل والأيتام، ويصلح الجسور والقناطير، ويبني به المساجد ويسعتين به على الحج والغزو، فإذا سؤل له ذلك زين له الشح، وشغله بالجمع حتى يعود تاجرا إن كان من التجار، أو نائبا إن كان من أهل النيابة، أو عامل السلطان إن كان من العمال. فإذا شغله بذلك حال بينه وبين همه وصرفه عن طريق المجاهدة، ثم يوشك أن يغلبه الهوى أو يرده على عقبه وربما دعاه إلى الاشتغال بجمع العلوم، وأوهمه أنه يقمع به الملحدة^(٢)، ويستنقذ به الضلال من الضلالة، وأنجها من الجهالة، فيختلط بالعلماء والمتعلمين، وأكثرهم مائلون^(٣) إلى الدنيا- خاصة في زماننا هذا- فيتخلق بأخلاقهم ويتحلى بحليتهم، فيدخل معهم في المنافسة وطلب الرئاسة.

وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى داود صلى الله عليه: يا داود لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي، أولئك قُطَاع عبادي المريدين، إن أدنى ما أنا صانع بهم ان أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم، فيعادي على ذلك ويوالي، ويستعمل بذلك قلبه ويهيج فكره وينسى طريقه ويهجر ما كان آثره، فيتمكن منه الهوى والشيطان، فيدحض قدمه ويزيله عن سوء السبيل.

(١) الخي (أ) ساقطة: من الكيدين.

(٢) في كتاب سياسة المريدين بزيادة: «ويهدي به المسترشد».

(٣) في (أ): ما يكون.

وربما دعاه إلى السعي في مصالح الناس والتحري لمنافعهم فيدعوه ذلك إلى مخالطة الكبراء^(١) وملازمة الرؤساء ومداخلة الملوك وحواشي الملوك حتى يجالسهم ويأنس بهم ويأنسوا به ، فيفارق ما كان فيه ، ويضيع ما كان يطلبه ويتخبه ، ويغلب الهوى عقله ، ويجد الشيطان إلى استهوائه جَدَدًا لاحقًا وطريقًا لائحًا ، وهذه الجمل أكثر ما تعرض للمبتدئين منهم ، والذين لم يألفوا حلاوة مقصدهم ولم يأنسوا بمطلبهم وإن كان الجميع منها على خطر .

والقاطع الثاني: هو أن يفتره الشيطان عن اجتهاده ، وحمله النفس على المكاره في معاملته ، بأن يورد عليه من الآفات ما يتعاطاه وغيره^(٢) كالعُجب والرياء ، وما يجري مجراهما ، ويوهمه أن اجتهاده ضائع ، وربما أوهمه أن الضرر عليه في الاجتهاد أعظم من الضرر في تركه ؛ لأنه إذا تركه سَلِمَ من الرياء والعجب ، وإذا أخذ نفسه به لم يسلم منهما ، فيضعف متنه ويوهن عزمه ونيته فيفتر عنه ، ومتى فتر غلب هواه عقله ، وردة على عقبه خائبًا يائسًا ، ولم يزل به حتى يسلخه من الإرادة ويخرجه من جملة أهلها ، وهذا الثاني أكثر ما يعرض لمن يخالط أهل التصوف من الإشارات والعبارات ، فليحذر المرید جميع ذلك كل الحذر ، وليدفع بجهد ما يجد من ذلك في خاطره وهمه ، ويستغيث بالله عز وجل إنه خير مغيث . وربما أوهمه العدو أن الاجتهاد والطلب لا يظفران بالمطلوب ، ولا يوصلان إلى المقصود وأن الوصول عطية يعطيها الله تعالى من يشاء ، وأن الطلب ربما كان حجابًا بين الله وبين عبده ؛ لأن العبد إذا نظر إلى الطلب وسكن إليه كان ذلك سببًا للقطع فيذهله ذلك^(٣) (عن المجاهدة ، ويورثه فتورًا عظيمًا يقطعه لذلك)^(٤) ، وهذا إنما يعرض في الأكثر لمن يعاشر أهل التصوف على ما بيناه .

(١) في (١) : الكثير .

(٢) في (١) : وعبويه .

(٣) في (١) : لقطع المرید فيذله بذلك .

(٤) ما بين القوسين ساقط من (١) .

واعلم أن الوصول وإن كان عطية من الله تعالى وتفضلاً فلا بد من الطلب والاجتهاد وبذل الطاعة في تحصيل الغرض وهكذا وعد الله تعالى فقال : ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] ، فلا يغتر المرید بهذه المكيدة فإنه لا يأمن أن يصرعه بها العدو صرعة لا نهوض معها عصمنا الله تعالى من ذلك .

وحكي عن بعض الحكماء - وأظنه عن جنيد - أن في سيرة ^(١) المرید ألف قاطع يقطعه ، كل واحد منها يحول بينه وبين مطلوبه ، فليحذر المرید هذه القواطع كل الحذر ، وليكن في جميع أحواله مستغيثاً ^(٢) بالله عز وجل ، لاجئاً إليه خاضعاً بين يديه ، متبرئاً من حوله وقوته ، مستعصماً بحول الله وقوته عز وجل ، وليعلم المرید أن الآفات وإن كانت كثيرة جملة فليس يجوز ترك الاجتهاد ليسلم من الآفات ؛ [بل يجب أن يجتهد في دفع الآفات مع المقام على المجاهدة لما يزيد في قوة الآفات] ^(٣) لأن الآفات مصدرها للمرید عن قوة الهوى ، وبحسب ازدياد قوتها تزداد الآفات ، فليتصور ما بيناه المرید ^(٤) حق التصور ، وليتدبر حق التدبر .. إلى آخر كلامه عليه السلام في هذا القياس ^(٥) فهو كثير ، وإنما ذكرنا منه اليسير .

وله دعوة جمع فيها من فوائد العلم الثمينة ووقايتها الشريفة ما يقضي له بالسبق في هذا الباب ، وقد رأينا إثباتها في هذا الموضع ، قال عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على عباده المصطفين .

هذا كتاب من الإمام المؤيد بالله أبي الحسين أحمد بن الحسين بن هارون

(١) في (أ) : سير .

(٢) في (أ) : مستغيثاً .

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل .

(٤) في الأصل : «فليتصور المرید ما بيناه» .

(٥) في (أ) : في هذا الكتاب .

الحسن بن رسول الله ﷺ إلى من بلغه من المسلمين في أقاصي الأرض وأدانيها سلام عليكم أما بعد: فيأني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ذو القوة والحول، والإفضال والطول، الذي جعل السماء بناءً، والأرض قراراً، وجعل خلالها أنهاراً، وخلقكم أطواراً، وأنشأ لكم أسماعاً وأبصاراً، أحمده رغبا ورهبا على تظاهر نعمه، وتضاعف قسمه، وترادف منحه وتتابع كرمه، وأومن به - خاضعا خاشعا - أنه الله الواحد الأحد الفرد الصمد، المتعالي عن الأشباه والأنداد، والشركاء والأضداد، وأتوكل عليه موقنا أنه قاهر لا يُرام، وقادر لا يُضام، وقيوم لا ينام، توحد بالعلاء، وتفرد بالكبرياء، وحُمد على النعماء، وعُبد في الأرض والسماء، ذلكم الله ربكم له الدين واصبا أغير الله تتقون ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [النحل: ٥٣]

خلق عباده رحمة لهم وإنعاما عليهم وإحسانا إليهم ثم لم يتكثر بهم عن قلة، ولم يتعزز بهم من ذلة، ولم يستأنس بهم من وحشة، فطر الأرض والسموات، وجعل النور والظلمات، وأجرى الأفلاك الدائرات، والنجوم المسخرات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قولاً صدقاً، أقولها تعبداً ورقاً. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه، وأمينة على وحيه، أرسله بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فصلواته عليه يوم وكذ يوم قبض ويوم يبعث حياً، وعلى آله الطيبين الأخيار المنتجبين الأبرار، ابتعثه على حين شمع الكفر بأنفه، ونأى بجانبه، وامتد على الخلق رواقه، وأحاط بهم نطاقه، وملا البسيطة ظلامه، وظهر فيهم عتوه وغرامه، والخلق حيارى لا يبصرون، وضلال لا يهتدون، قد ملكتهم الجاهلية الجهلاء، وعمتهم الفتنة الصماء، ونور الحق قد أذن بالطموس، ومال بوجهه إلى العبوس، فأدى الرسالة، وأظهر الدعوة، ومحض النصيحة، وأقام الحجة، وأوضح المحجة، ونهض بأمر

الله صادعا، ولشقات الدين جامعا، ولسلطان الكفر قامعا، وللأصنام والأوثان خالعا، وجاهد في^(١) الله حق جهاده، وهدى ضلال عباده إلى صراط الله المستقيم، ولدين الله القويم بأنور منار وأبهر سلطان، وأوضح سبيل، وأبين دليل، قد شد عضده من المعجزات بأعظمها قدرا، وأفخمها أمرا، وأبقاها أثرا، وأعلاها خيرا، ذلك كتاب الله ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا تَقَشُّعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ الآية [الزمر: ٢٣]، ﴿وإنه لتنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، قد جعله مادة^(٢) للخلق، ووصله إلى الحق، وطريقا إلى النجاة واضحا، وسبيلا إلى الجنة لآثحا، من اعتصم به اهتدى، ومن أعرض عنه ضل وغوى، فيه بيان لكل شيء وهدى وبشرى للمُحْسِنِينَ؛ فلم يزل ﷺ يعلمكم تنزيله، ويفهمكم تأويله، ويشرح حلاله وحرامه، ويشرح قصصه وأمثاله، حتى اهتديتم به من حيرة العمى، واستوضحتم منهاج الهدى ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾ [آل عمران: ١٠٣] حتى أدى حق الرسالة، وقام بشرط الأمانة، ووعظ ونصح وبلغ وأسمع. ثم نقله الله إلى ما أعد له من كرامته، وأنزله منازل رحمته، واستأثر له ما لديه، وقبضه الله إليه راضيا عمله، قابلا سعيه، فابتدأ كثير من الأمة في تبديل سنته، والالتواء على عثرته، كأن لم يسمعوا قول الله حيث يقول: ﴿قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الاحزاب: ٣٣]، وحيث

(١) في (أ): في سبيل الله.

(٢) في (أ): مادة.

يقول: ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ [آل عمران: ٦١]
فجعل الأبناء الحسن والحسين، والنساء فاطمة، والأنفس نفسه ونفس علي صلوات الله عليهم^(١).

فانظروا كيف نزههم الله محققاً أنهم أولوا الصدق، ثم ألزم المؤمنين متابعتهم والكون معهم بقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ [التوبة: ١١٩]، ولم يسمعوا ما أنزل الله في أمير المؤمنين عليه السلام حين تصدق بخاتمه راعياً إذ يقول عز وجل قائلاً: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾^(٢) [المائدة: ٥٥].
وقول رسول الله ﷺ مخاطباً كافة أمته: «من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله أولى، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه» وقوله: «إني تارك فيكم الثقلين» وقوله: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى»^(٣)، فتأملوا رحمكم الله كيف أوضح الحق وكيف قطع المعاذير، وانظروا إلى كثير من الأمة كيف غيروا وبدلوا حتى زاغوا وضلوا. فأما أمير المؤمنين فنكثت بيعته جهراً وحمل على كثير مما كره قهراً؛ فمن غادر به قد

(١) أنظر الدر المنثور للسيوطي ٦٨/٢، والكشاف ١/٣٦٩-٣٧٠، وتيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ١/٢٧٩، ومجمع البيان ٢/٣١٠، وأسباب النزول للواحدي ٥٩٢٥٨، وأحكام القرآن لابن العربي ١/٢٧٤، وتفسير القرطبي ٤/٦٧، وتفسير الطبري مج ٣/٣-٤٠٩-٤١٠.
(٢) ابن المغازلي ١٩٣ رقم ٣٥٤-٣٥٨ وشواهد التنزيل ١/١٦١ برقم ٢١٦ إلى رقم ٢٢٠ وذخائر العقبى ٨٨، وأسباب النزول للواحدي ١٦٨ والعمدة لابن البطريق ١٦٧ والدر المنثور ٢/٥١٩، والطبري ٤/٣٨٩، والزمخشري ١/٦٤٩، والفتوحات الإلهية ١٢/٥٠٤ والميزان ٦/٢١.
(٣) أخرجه الهادي في الأحكام ١/٤٠، والمرشد بالله في أماليه ١/١٥٢، وأبو طالب في أماليه ١٣٦، وأحكام ٢/٣٤٣، والطبراني في الأوسط ج ٥ برقم ٥٣٩٠، والكبير ٣/٤٥ برقم ٢٦٣٦، والبزار ٢/٣٣٤ برقم ١٩٦٧.

خذله وقاعد قعد عن نصرته ، وناكث نكث على نفسه عقد بيعته ، ومارق مرق
عن طاعته ، وقاسط قسط في إهمال ما أوجب الله تعالى من ولايته ، وما ثبت معه
على أمره إلا فريق من المهاجرين والأنصار الذين محضوا الإيمان محضاً ، ورأو
طاعة الله فرضاً .

وقديماً عهد إليه الرسول ﷺ بذلك ، فقال : «يا عليّ إنك ستقاتل
بعدي الناكثين والمارقين والقاسطين»^(١) ، فلم يزل ذلك دأبه ودأبهم حتى قتله
الأشقى ، ومضى عليه الصلاة والسلام شهيداً ، ولاقى ربه حميداً .

فانتصب للأمر بعده الإمام الوافر والقمر الزاهر ، سبط النبي وسلالة
الوصي الحسن بن عليّ صلوات الله على روحه في الأرواح ، وعلى جسده في
الأجساد ، فرأب صدع الدين ، ودعا إلى الحق المبين ، ولم يأخذه في الله لومة
لأثم ، إلى أن خذله أجناده ، وقعد عنه أعضاده ، وبُسطت إليه الأيدي بالسوء ،
فجرح ودفع عما انتصب له ، ودُعي إلى سلم من كان له حرباً ، وغُصبَ على
الأمر غصباً ، ثم لم يرض بذلك حتى قتل مسموماً ، ودفن مظلوماً .

فقام بالأمر بعده من ترك الدنيا وزينتها ، وأراد الآخرة وسعى لها سعيها
الحسين بن عليّ عليه السلام ، فشهر سيفه وبذل نفسه ، ونهض إلى العراق لمنابذة الفساق
بعد ما دُعي إليها ووعد النصر بها ، فتعاوره من حزب الشيطان من لم يزل مبطناً
للتفاق ، ومُصراً على الشقاق ، فقتلوه أقبح قتل ، ومثلوا به أشنع مثل ، وغودر
صريعاً ، وثبذ بالعرأء طريحاً ، وحزّ^(٢) رأسه وحُمل إلى من بان كفره ، وظهر
ولاح عناده وانتشر ، وسُبيت بنات رسول الله ﷺ وأطفاله كما سُبيت ذراري
المشركين ، فلم يكن من المسلمين من يغضب لله ويذب عن حرم رسول الله

(١) ترجمة الإمام علي لابن عساكر ١/٢٠٠-٢١٤ برقم ١١٢٠٦ إلى ١٢١٩ ، ومجمع الزوائد
٧/٢٣٨ ومختصر زوائد البزار ٢/١٧٤ برقم ١٦٤٠ والطبراني في الكبير ١٠/٩٢ برقم ١٠٠٥٤
وأسد الغابة ٤/١٠٨ ومستدرک الحاكم ٣/١٣٩ ، والسيوطي في الدر المنثور ٥/٧٢٥ .

(٢) الخي الأصل (ووجهه) ، والصحيح كما في أخبار أئمة الزيدية نقلًا عن روضة الحجوري .

ﷺ والله ، بل كان الجميع بين راضٍ شامت ، ومنكرٍ ساكت ، فعند ذلك شربوا الخمر
وأعلنوا الفجور ، ورفعوا حشمة الإسلام ولعبوا بالأحكام ، واتسعت المظالم
وظهرت المآثم ، حتى لم يبق من الدين إلا اسمه ، ولا من الإسلام إلا رسمه .

ثم قام بعده الإمام الزكي والحبر الرضي زيد بن عليّ صلى الله عليه في
عصبة قليلة شروا أنفسهم في سبيل الله ، وسارعوا إلى الغفران ، وتبادروا إلى
الجنان ، فعظفت عليهم الأشقياء من بني أمية سالكين بهم سبيلهم في جده فقتلوه
وصلبوه وأحرقوه ، ثم ألحقوا به الطاهر المطهر ابنه يحيى ، قيا لبني أمية الويل
والثبور ، ويالهم السعير المسجور ، غرّتهم زهرة الدنيا فمالوا إليها ، ورجبوا عن
الآخرة فأعرضوا عنها ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا
صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٦٦] ﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا
أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الانعام: ٤٤-٤٥] .

ثم جاء بنو العباس معلنين شعارنا ، طالبين بزعمهم ثأرنا بادعائهم جدّهم
العباس وابنه عبدالله في متابعة^(١) أمير المؤمنين ، وإظهار طاعته وإيثار ولايته ، إذ
لم يزل العباس يخطب بمتابعته السعادة ، وعبدالله يطلب في الجهاد بين يديه
الشهادة ، فلما اتسعت^(٢) أحوالهم بنا ، واستوسقت أسبابهم باسمنا بغوا
وطغوا ، (وآثروا الحياة الدنيا ، واقتفوا آثار الأكاسرة ، وسلكوا منهاج الفراعنة
الجبابرة ، وجاهروا الله تعالى بكبائر الفسوق)^(٣) ورفلوا في أثواب المروق ، وجرّدوا
علينا أسياف العقوق ، وسنّ مخذولهم الملقب بالمنصور في أهل بيت النبي ﷺ والله
القتل الذريع ، والحبس الفظيع ، والأمر الشنيع ، وأراق يوم الثنية دم محمد بن

(١) في (أ) بمبايعة .

(٢) في (أ) اتسقت .

(٣) ما بين القوسين أكمل من روضة الحجوري كما في أخبار أئمة الزيدية .

عبدالله النفس الزكية . ثم قَتَلَ أخاه إبراهيم بن عبد الله، وحمل أباهما وعمومتها وبني عمومتها البررة الأتقياء السادة النجباء على الأقتاب؛ فَعَلَ أشباهه من بني أمية، ثم اقتدى به بنوه، وسلكوا سبيله واتبعوه، وأظهروا المناكير فالمناكير، وأضلوا الجماهير فالجماهير، فيا عَجَبًا لمن ينتصب على الأعواد في الأجمعات والأعياد، يشهد لهم على الله بالزور وهم منهمكون في الفجور أما يتقي الله الجبار؟ أما يتقي الله القهار؟ أما يخاف يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار؟ .

عباد الله، إنني قد رأيت أسباب الحق قد مَرَجَتْ، وقلوب الأولياء به قد حُرِجَتْ، وأهل الدين^(١) مستضعفين في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس، ورأيت الأموال تُؤخذ من غير حلِّها وتوضع في غير أهلها، ووجدتُ الحدود قد عَطَلْتُ، والحقوق قد أَبْطَلْتُ، وسنن رسول الله ﷺ قد بُدِّلَتْ، وغيَّرت، ورسوم الفراعنة قد جُدِّدَتْ واستعملت، والآمريين بالمعروف قد قتلوا، والناهين عن المنكر قد وهنوا^(٢) فذلوا، ووجدت أهل بيت النبي عليهم السلام مقموعين مقهورين مظلومين، لا يُؤهلون لولاية ولا شورى، ولا يتركون ليكونوا مع الناس فوضى، بل منعوهم حقهم، وصرفوا عنهم فيتهم، فهُم يحسبون الكف عن دماءهم إحسانًا إليهم، والانقباض عن حبسهم وأسْرهم إنعامًا عليهم، يطلبون عليهم العشرات ويرقبون فيهم الزلات، ووجدتهم في كل واد من الظلم يهيمون وفي كل مرعى من الضلال يسيمون، (ووجدت أملاك المسلمين)^(٣) تغصب غصبًا، وأموالهم تنهب نهبًا، ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَاوَلَدَكَ

(١) في (أ) الحق .

(٢) في (أ) : ذهبوا .

(٣) ساقط في الأصل .

هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿ [التوبة: ١٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴿ [النساء: ١٠] ووجدت الفواحش قد أقيمت أسواقها وأديم نفاقها، لا خوف الله يزَع، ولا حياء الناس يمنع، بل يتفاخرون بالمعاصي، ويتنازرون ويتباهون بالإثم، قد نسوا الحساب، وأعرضوا عن ذكر المآب والعقاب، فلم أجد لنفسي عذراً إن قعدت ملتزماً أحكامهم، متوسطاً أيامهم، أونسهم ويؤنسونني، وأسألهم ويسألونني، فخرجت أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين.

أيها الناس أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيته والرضا من آل محمد ومجاهدة الظالمين ومنازمة الفاسقين، وإنني كأجدكم لي مالكم وعلي ما عليكم إلا ما خصني الله به من ولاية الأمر ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿ [الأحزاب: ٣١]، ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿ [الشورى: ٤٧]، ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴿ [المائدة: ٣].

أيها الناس سارعوا إلى بيعتي، وبادروا إلى نصرتي، وازحفوا زحفا إلى دار هجرتي، ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿ [التوبة: ٤١]، ولا تركنوا إلى هذه الدنيا وبهجتها، فإنها ظل زائل وسحاب حائل، ينقضي نعيمها ويضعن مقيمها، والآخرة خير وأبقى أفلا تعقلون، ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿ [المنكوت: ٦٤]، ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا

يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿ [القصص: ٨٣].

أيها الناس مهما اشتبه عليكم فلا يشتبه عليكم أمري، أنا الذي عرفتموني صغيراً وكبيراً، ورحمتموني طفلاً وناشئاً وكهلاً. قد صحبت النُّسَّاك حتى نُسبت إليهم، وخالطت العباد^(١) حتى عُرِفْتُ فيهم، وكاثرت العلماء وحاضرت الفقهاء، فلم أَخُلْ عن مورد ورده عالم بارع، ومشرع شرع فيه متقن فارع، وجادلت الخصوم نضحاً عن الدين، ونضالاً عن الحق المبين، حتى عُرِفْتُ مواعبي، وكتبت وحفظت طرائقي وأثبتت، هذا وما أبرئ نفسي في أثناء هذه الأحوال ومجامع هذه الخصال من تقصير وتعذير، ولا أزكيها بل أتبرأ إلى الله من حولها وقوتها، وإن جميع ذلك من فضل ربي ليبلوني أشكر أم أكفر. ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربي غني كريم.

وأما نسبتي إلى جدي رسول الله ﷺ فدونه فلق الصباح، ولا عذر لكم أيها الناس في التأخر عني والاستبداد دوني، وقد ناديت فأسمعت؛ لتجيبوا دعوتي، وتتحروا لنصرتي، وتعينوني على ما نهضت له من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨] ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ألا فأعينوني على أمري، وتحروا بجهدكم نصرتي، أوردكم خير الموارد، وأبلغكم أفضل المحامد. عباد الله، أعينوني على إصلاح البلاد، وإرشاد العباد، وحسم دواعي الفساد، وعمارة مناهل السداد. ألا ومن تخلف عني وأهمل بيعتي - إلا لسبب قاطع أو لعذر مانع بين الحجة - فإنني أجائيه للخصام يوم يقوم

(١) في (أ): الزهاد.

الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين مغذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم الآزفة، فأقول: ألم تسمع قول جدي رسول الله ﷺ: «من سمع داعيتنا أهل البيت فلم يُجبها كَبِهَ الله على منخره في النار» ألا فاسمعوا وأطيعوا ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١] ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ ﴾ الآية [التوبة: ٢٤] فلتتفق كلمتكم وليجتمع شملكم ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦] .

ألا وقد سلكتُ سبيل من مضى من آبائي الأخيار، وسلفي النجباء الأبرار في مناظرة الظالمين، ومجاهدة الفاسقين مبتغيًا به مرضات رب العالمين، فاسلكوا أيها الإخوان سبيل أتباعهم الصالحين، وأشياعهم البررة الخاشعين في المعاونة والمظاهرة والمكاثفة والمؤازرة، وتبادروا رجالًا وسارعوا إليَّ أرسلًا، وإياكم والجنوح إلى الراحة طالبن لها وجوه العلل، مغترين بما فسح الله لكم من المهل، وعن قليل يُحقُّ الحقَّ ويبطل الباطل، ويعاين كل امرئ ما اكتسب، ويُجازي كل بما اجترم ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥]، ﴿ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤] .

تمت الدعوة بحمد الله تعالى وحده وصلواته على محمد وعلى آل

محمد .



السيد الناطق بالحق الظافر بتأييد الله

عزوجل أبو طالب عليه السلام^(١)

هو: أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون ابن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام^(٢).

نسبه عليه السلام النسب الشريف ، وعنصره العنصر الزاكي المنيف ، وما ظنك بنسب ينتهي إلى الرسول ، وحيدر والبتول ، الذين أحسن فيهم القائل حيث يقول:

إليكم كل مكرمة تؤولُ إذا ما قيل جدكم الرسولُ
أليس أبوكم الهادي عليُّ وأمكم المطهرة البتولُ؟
وأمه أم أخيه السيد المؤيد بالله عليه السلام وهي أم الحسن بنت علي بن عبدالله الحسيني العقيقي ، ولد سنة أربعين وثلاثمائة .

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام :

كان عليه السلام قد نشأ على طريقة تحكي في شرفها جوهره ، وتحاكي بفضلها عنصره ، وكان قد قرأ على السيد أبي العباس الحسن بن عليه السلام فقه العترة عليهم السلام حتى لجَّ في غماره ووصل قعر بحاره ، وقرأ في الكلام على الشيخ أبي عبدالله البصري فاحتوى على فرائده ، وأحاط معرفة بجليه وقرآئه ، وكذلك قرأ عليه في أصول الفقه أيضاً ، ولقي غيرهم من الشيوخ ، وأخذ عنهم حتى

(١) التحف شرح الزلف ٢١٢ ، الشافي ١/ ٣٣٤ ، أعيان الشيعة ١٠/ ٢٨٩ ، الأعلام للزركلي ٨/

١٤١ ، تاريخ اليمن للواسعي ٢٦ ، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٣/ ٢٣٤ ، معجم المؤلفين ٤/

٩٢ ، الفلك الدوار ١٠٤ ، أعلام المؤلفين الزيدية ١١٢١ اللآليء المضيئة «خ» مطمح الآمال ٢٣٩ .

(٢) أعيان الشيعة ١٠/ ٢٨٩ ، الشافي ١/ ٣٣٤ .

أضحى في فنون العلم بحراً يتغطم تياره، ويتلاطم زخاره، وله التصانيف المرموقة والكتب الموقوفة في الأصول والفروع . وله في أصول الدين المبادئ ، وزيادات شرح الأصول علقه عنه بعضهم ، وفيه علمٌ حسن يشهد له بالبلوغ إلى أعلى منزلة في الكلام . وله كتاب الدعامة في الإمامة وهو من عجائب الكتب ، وأودعه من الغرائب المستنبطات ، والأدلة القاطعة ، والأجوبة عن شبهات المخالفين النافعة ، ما يقضي بأنه السابق في هذا الميدان ، والمجلي منه في حلبة الرهان ، وهو مجلّد فيه من أنواع علوم الإمامة ما يكفي ويشفي .

وله في أصول الفقه جوامع الأدلة من الكتب المتوسّطة ، وله المجزي في أصول الفقه مجلّدان ، وفيه من التفصيل البليغ والعلم الواسع ما لا يكاد يوجد مثله في كتاب من كتب هذا الفن . وله في فقه الهادي عليه السلام التحرير وشرحه مجلدات عدة تبلغ ستة عشر كتاباً مجلداً^(١) ، وفيها من حسن الإيراد والإصدار ما يشهد له بالتبريز على النظر ؛ فإنه بالغ في نصرة مذهب الهادي عليه السلام بكل وجه ، وأودعه من أنواع الأدلة والتعليقات ما لا يوجد في كتاب ، وفيه فقهٌ جمٌّ وعلمٌ غزير ، وكذلك فإنه أودع فيه من مذاهب الفقهاء ما يكثر ، وذكر المهمّ مما يتعلّقون به ، ورجح مذهب الهادي عليه السلام فيه حتى ظهر ترجيحه ، وتوهّجت مصابيحُه ، وذكى لكل مشتاق ربحه^(٢) .

قال الحاكم الإمام عليه السلام : وكلامه عليه السلام عليه مسحةٌ من العلم^(٣) الإلهي وجزوةٌ من الكلام النبوي . وله عليه السلام في الأخبار الأمالي المعروفة بأمالي السيد أبي طالب عليه السلام ، جمع فيها من غرائب الأحاديث ونفائسها ، ومحاسن الحكايات وملح الروايات ما يفوق ويروق .

وكان عليه السلام في الورع والزهادة والفضل والعبادة على أبلغ الوجوه

(١) في (أ) بزيادة كبارا .

(٢) الشافي ١ / ٣٣٤ ، التحف ٢١٣ .

(٣) في الأصل الكلام وأثبتناها من بقية النسخ .

وأحسنها . قال الشيخ الإمام الحاكم أبو سعيد رضوان الله عليه : وكان شيخنا أبو الحسن علي بن عبدالله اختلف إليه مدة بجرجان ، والسيد أبو القاسم الحسنّي تخرج في مجلسه ؛ فيحكّيان عن علمه وورعه واجتهاده وعبادته وخصاله الحميدة وسيرته المرضية شيئاً عجيباً يليق بمثل ذلك الصدر ، وكان الصاحب الكافي يقول : ليس تحت الفرقدين مثل الأخوين ، يعني السيدين المؤيد بالله وأباطال عليهما السلام .

ومن شعره قوله عليه السلام في مرثية في غلام له :

عليك سلامُ الله ساكن بلقع فليس إلى دفع الحمام سبيلُ
وليس إلى غير التصبر مفزعُ وإنَّ عنَّ خطب في المصاب جليلُ
وإن كان حزن الناس عند إياسهم قصيراً فيها حزني عليك طويلُ
وإن كنت تحت التراب في الرمس نازلاً فذكرك في حشو الفؤاد نزيلُ
ولولا مقالُ الناس فارق حلمه لَشَفَّعَ تَسْكَابَ الدموعِ عويلُ
وقوله عليه السلام فيه :

يا غائباً ما له إياب خالفني ^(١) ففقدك اكتئابُ
وغاب روح الحياة عني ^(٢) لما علا جسمك الترابُ
يا غائباً لم يصل شباباً يبكي على فقدك الشبابُ
إلى غير ذلك من أشعاره عليه السلام فهي كثيرة ^(٣) .

(١) خالفني (أ) خالفني .

(٢) في (أ) مني .

(٣) أخبار أئمة الزيدية ١٢٦ عن كتاب جلاء الأبصار .

ذكر بيعته ومدة انتصابه للأمر ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام :

بويج له عليه السلام بعد أخيه المؤيد بالله عليهما السلام ولم يتخلف عنه أحد من يرجع إلى دين وفضل لعلمهم بظهور علمه وغزارة فهمه ، واجتماع خصال الإمامة فيه ، وزاد أيضاً على ما يجب اعتباره من الشرائط زيادة ظاهرة ، وفي بيعته عليه السلام يقول أبو الفرج بن هند- وكان أبو الفرج قد بلغ الغاية القصوى والمرتبة العليا في مذهب الفلاسفة ، ثم تاب وصار من عيون الزيدية ومن شيعة السيد أبي طالب عليه السلام :

سر النبوة والنبيا وزهى الوصية والوصيا
أن الديالم بايعت يحيى بن هارون الرضيا
ثم استرئت بعبادة ال أيام إذ خاننت عليا
آل النبي طلبكم ميراثكم طلبا بطيا
ياليت شعري هل أرى نجما لدولتكم مضيا
فأكون أول من يهز إلى الهياج المشرفيا^(١)

وأقام عليه السلام أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر على طريقة العترة المطهرة الكرام

البررة ، جادا مجدا في ذلك حتى مضى إلى رضوان الله .

وتوفي عليه السلام وهو ابن نيف وثمانين سنة ، وكانت وفاته عليه السلام بالديلم سنة أربع وعشرين وأربعمائة ، وهذا هو الأقرب ، وإن ذكرَ دونه في بعض المواضع ؛ لأنه روى الشريف السيد أبو الغنائم رحمة الله عليه أنه قال : اجتمعت بالشريف أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني بساحة ديلمان في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ، ذكره في كتاب الأنساب^(٢) .

(١) أخبار أئمة الزيدية ١٢٥-١٢٧ . عن كتاب جلاء الأبصار .

(٢) أخبار أئمة الزيدية ١٢٦ ، عن كتاب جلاء الأبصار ، والتحف ٢١٥ .

وأولاد عليه السلام رجلاً واحداً وهو أبو هاشم محمد، أمه: أم الحسن بنت يحيى
ابن الداعي الحسن بن القاسم الحسني، وليس له غير ولد ذكر هذا الشريف السيد
أبو الغنائم رحمة الله عليه^(١).

وقبر السيد أبي طالب عليه السلام بجرجان ولما خرجت الترك على الملك محمد بن
تكش خوارزم شاه في سنة عشرين وستمائة وجاسوا خلال الديار في بلاد
الإسلام، وقتلوا النساء والرجال والذراري، وخرّبوا المشاهد إلى القواعد، وفي
جملة ما هدموا المشهدين الشريفين القبر الأحمر قبر محمد بن جعفر بن محمد
بجرجان^(٢)، وقبر ابن أخيه علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق
عليهم السلام بطوس، جاءت كتب علمائنا من الجيل والديلم يحكون هذه
الحادثة، ويذكرون أنما سلم منهم إلا بلاد الزيدية ومشاهد أئمتهم مثل مشهد
الناصر للحق بأمل، وقبر السيدين أبي العباس وأبي طالب، وأنهم كانوا يهتمون
بالوصول إليها فيقذف الله في قلوبهم الرعب وينقلبون على أعقابهم هارين، وأن
الموالم والمخالف اعترف بفضل هؤلاء الأئمة وأنهم على بصيرة من ربهم،
وردتهم الزيدية عن بلادهم فما ضرّوهم بشيء، هكذا وصلت كتبهم بالتاريخ
المذكور.



(١) التحف ٢١٥.

(٢) قال في الأم ما لفظه: صوابه بأمل لأن قبره هناك مشهور مزور، قال حمزة بن محمود زرته
بأمل.

الإمام أبو هاشم النفس الزكية عليه السلام^(١)

هو : أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسين ابن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام^(٢).

كان عليه السلام من عيون العترة النبوية ، ونجوم الأسرة^(٣) العلوية ، قام عليه السلام وادعى الإمامة في سنة ست وعشرين وأربعمائة ، ودخل صنعاء في يوم الخميس لثلاث ليال خلون من شعبان سنة ست وعشرين وأربعمائة ، وصاح صائحته ثاني دخوله صنعاء يوم الجمعة بالصلاة في الجامع فدخل الناس وطلع المنبر ، وخطب وصلى بالناس وانصرف إلى منزله ، وأقام في صنعاء إلى نصف شهر رمضان ثم خرج لفساد من عارضه وهو الحسين بن مروان ، وأقام عنها مدة ثم حلفت له همدان سوى بني حماد في المحرم سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، فدخل صنعاء يوم الأربعاء لثمان عشرة من الشهر المذكور ، فأقام بها ثمانية أيام ، وولى فيها والياً وخرج إلى ريدة ، وأقام أمرا بالمعروف الأكبر ، ناهيا عن الفحشاء والمنكر ، حتى توفاه الله حميداً وقبضه سعيداً ، وهذه النكتة من أخباره مذكورة عليه السلام في بعض تاريخ صنعاء .

وله دعوة شريفة ، قال في الأصل : وجدنا على ظهرها مكتوبا : أملانا هذه السيرة تقرباً إلى الله تعالى وابتغاء لمرضاته وتحريماً لما عنده ، والله سبحانه ينفع بها مملئها وقارئها وسامعها وجميع الناظرين فيها ، ويجعلها عائدة بنظام الدين

(١) التحف شرح الزلف ٢١٧ ، تاريخ اليمن للواسعي ١٩٠ ، غاية الأمان في أخبار القطر اليمني ٢٤٤ / ١ ، أعلام المؤلفين الزيدية ٣٢٣ ، مطمح الآمال ٢٤٠ ، الآلئ المضئبة «خ» بلوغ المرام ٢٦ ، أئمة اليمن ٨٦ / ١ ، مؤلفات الزيدية ١٠٥ / ٢ ، المقنتف في تاريخ اليمن ١١٠ .

(٢) التحف ٢١٧ .

(٣) في (أ) ساقطة الأسرة .

شائعة البركة على جميع المسلمين آمين رب العالمين .

وذكر أنه بعث بها من ناعط ، وهو قريب من مدينة ريدة من أرض البون ،
وقريب بالغيل من صعدة في آخر جمادى الآخرة سنة ثمانى عشرة وأربعمائة ،
وهي دعوة شريفة جمع فيها ﷺ من جواهر العلم الشفافة ، ودرره النفيسة ما
يشهد ببراعته ويكشف عن شريف بلاغته ، وقد رأينا إثباتها بكمالها لما تضمنته من
المواعظ الشافية ، والحكم البليغة الكافية ، وهي هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، وصلواته على عباده الذين اصطفى^(١) ، الحمد لله العزيز
الغفار ، الواحد القهار ، الملك الجبار ، خالق البحر الزخار ، والسحاب المدرار ،
والنجم النوار ، والقمر السيار ، والفلك الدوار ، ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالَمُ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ * سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسْرَ الْقَوْلِ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ
وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ [٩ - ١٠ : الرعد] لا تكنه
البصائر ولا تدركه الأبصار ، ولا تحيط به الضمائر والأفكار ، ولا يغيره كر الدهور
والأعصار ، ولا يتخرمه مرُّ الليل والنَّهار .

نحمده على كل نافع وضار ومحزن وسار ، ونشهد أن لا إله إلا الله (وحده
لا شريك له)^(٢) شهادة إخلاص وإقرار ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المختار ،
ونبيه الكريم النجار ، التقى النضار ، معدن الافتخار ، وزين الوقار ، والمنتخب من
ولد قصي وآل نزار صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار الطاهرين
الأبرار ، الذين هم في العالم أعلام الهدايات ، وفي ظلم الشبهات مصابيح
الدلالات وسلم تسليمًا .

(١) في (أ) ساقط قوله : الحمد لله وحده وصلواته على عباده الذين اصطفى .

(٢) ساقط في الأصل .

فالحمد لله الذي اصطفى خيرا خلقه محمدا ﷺ بالنبوة ، واختصه بالرسالة ، ونصبه لإقامة الدلالة ، وندبه ناهيا عن الغي والجهالة ، وابتعثه على حين فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، وتفرق من الآراء ، وتشعب من الأهواء ، في فتنة عمياء صماء ، والناس يخبطون فيها خبط عشواء في ظلما ، قد حرفوا الكتاب ، وتنكبوا الصواب ، ونقضوا العهود ، وحلوا العقود ، وعطلوا الأحكام والحدود ، ونسوا الزجر والوعيد ، ونبدوا الدين ظهريا ، وغادروا الشرع نسيا منسيا ، فبلغ ﷺ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وأوضح الدلالة ، ونبذ الخيانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وأظهر البرهان والدليل ، وأقام الحق على سوء السبيل ، فدعا إلى الله سبحانه دعوة بلغت أقاصي الأرض وأدانيها ، وأنجز له تعالى ما وعده فيها ، حين جاهد في الله حق جهاده ، واث الحق والعدل في عباده وبلاده ، وقلع الأوثان والتماثيل ، ودحض الأصنام والأضاليل ، ونفى زخرف الأقاويل ومفتعل الأباطيل ، وكان الخلق على شفا جرف هار فخلصهم ، وعلى شفير حفرة من النار فأنقذهم ، فلما قومهم بالهدى والتقى ، وجنبهم مصارع الغي والردى أنزل عليه العلي الأعلى سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ لَأَسْأَلَكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ [الشورى: ٢٣] أمرهم تعالى أن يكافئوا جلائل النعم ، ويجازوا فواضل هذه القسم بإعظام الذرية ، وإكرام نجل النبوة ، فرضا حتمه على كافة البرية ، وأكدته رسوله المصطفى ﷺ بالوصية حين قال للسبطين الطيبين الطاهرين السيدين الحسن والحسين عليهما السلام : «أذى الله تعالى من آذاني فيكما ، ورحم من رحمني فيكما» ، وحين قال : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(١) ، فجعل الكتاب

(١) رواه الإمام في المجموع ٤٠٤ / وعلي بن موسى الرضا في صحيفته ٤٦٤ ، ومسلم عن زيد بن أرقم ٤ / ١٨٧٣ رقم ٢٤٠٨ والترمذي ١٢١ / ٥ رقم ٣٧٨٦ وقال حديث حسن غريب ، والطبراني في الكبير عن زيد ١٨٦ رقم ٥٤٠ ومسنده أحمد ٤ / ٣٠ رقم ١١٠٤ وج ٧ / ٨٤ رقم ١٩٣٣٢ وج ٨ / ١٣٨ رقم ٢١٦٣٤ وابن كثير في البداية والنهاية ٥ / ٢٢٨ . وقال : قال شيخنا أبو عبد الله الذهبي وهذا حديث صحيح .

والعترة وديعتين عظيمتين هاديتين مهديتين باقيتين ، وقال عليه السلام : «أنا سلم لمن سالمكم وحرب لمن حاربكم»^(١) وإذا كان النبي صلى الله عليه وآله حرباً لمن حارب العترة ، فمعلوم أن الله تعالى حرب لمن حارب النبي ، فقد بان بالدليل أن الله تعالى حرب لمن حارب الصفوة الطاهرة من العترة الهادية . ومن كان الله تعالى حرباً كان الشيطان سعيه وحزبه ، وقال عليه السلام : «أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ، ومن عدل عنها غرق وهوى»^(٢) ونظائر ذلك كثير ، ونرى الإيجاز في هذا الإملاء أبلغ ، والاختصار أنفع ، فأطاع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله في هذه الوصية قومٌ موفقون مسددون ، وعصاه آخرون محرومون مبعدون ، وهذا الحلي من همدان أهل المجد والبأس والنجدة والمراس وسراة الناس ، ممن رضي الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله طاعتهم وموالاتهم ومشايعتهم وبصافاتهم ومحاماتهم دوننا أهل البيت ، ومدافعتهم وانصابتهم في شيعتنا ، ومظاهرتهم ومؤازرتهم للقائم منا ، ومصاحبيتهم ومكاتفتهم لمُحَقَّنَا ، ومعاضدتهم ومواساتهم لمُقَلَّنَا ، ومشاغبتهم ومخاشنتهم لمبغضنا ، ومحاماتهم علينا ، فقد شملت فواضلهم وعمت نوافلهم ، فهم بطانتنا وخاصتنا ، وأولياء دعوتنا ، وأعضاء دولتنا ، وحماة جوزتنا ومفزع رأينا ومشورتنا ، فجزى الله تعالى أحياءهم عنا خيراً وبراً وحمداً ومناً وشكراً ، وأوسع أمواتهم ثواباً وأجرأً وعفواً وغفراً ، فكم من عزيمة دوننا تولوها ، وكم من كربة^(٣) جَلَّوْهَا ، وكم من

(١) الترمذي ٦٥٦/٥ رقم ٣٨٧١ عن زيد بن أرقم قال المقلبي في الابحاث المسددة ٢٤٢ وحديث «أنا حرب لمن حاربتهم وسلم لمن سالمتم» قاله لعلي وفاطمة والحسن والحسين وأخرجه أحمد والطبراني ٤٠/٣ رقم ٢٦١٩ ، ٢٦٢١ والحاكم .

(٢) أخرجه الهادي في الأحكام ٤٠/١ والإمام علي بن موسى الرضا في صحيفته ٤٦٤ والمرشد بالله في أماليه ١٥٢/١ ، وأبو طالب في أماليه ١٣٦ ، والحاكم ٣٤٣/٢ ، وقال حديث صحيح على شرط مسلم وأخرجه أيضاً في ١٥٠/٣ والطبراني وفي الأوسط ج ٥/ رقم ٥٣٩٠ والكبير ٤٥/٣ رقم ٢٦٣٦ والبيهقي ٣٣٤/٢ رقم ١٩٦٧ من مختصر زوائد لابن حجر .

(٣) في (أ) : كربة .

شَهِيدٌ مِنْهُمْ تَحْتَ لَوْاءِ الْحَقِّ مَعْقُرٌ ، وَقَتِيلٌ أَمَامَهُ مَجْدُلٌ ، وَصَرِيحٌ فِي قَلْبٍ
مُصَافَهُ مُزْمَلٌ ، وَقَدْ كَانَتْ عَرَّتْهُمْ نَفْرَةٌ قَصَدْنَا إِزَاحَتَهَا ، وَعَكَّتْهُمْ وَحْشَةٌ اعْتَمَدْنَا
إِزَالَتَهَا ، وَرَأَيْنَا اسْتِعْطَافَهُمْ وَاسْتِمَالَتَهُمْ وَإِنَالَتَهُمْ بَعْدَهَا وَكَفَالَتَهُمْ ، وَإِلَى اللَّهِ نَرْغَبُ
وَإِيَّاهُ نَسْأَلُ ، وَإِلَيْهِ سَبْحَانَهُ نَضْرَعُ وَنَبْتَهِلُ أَنْ يُبَيِّنَهُمْ فِي جَمَلَتْنَا وَيُوقِفَهُمْ لِنَصْرَتْنَا ،
وَأَنْ يَحْشِرَهُمْ غَدًا فِي زَمْرَتْنَا مَعَ أَسْلَافِنَا وَأَسْرَتْنَا ، وَهُوَ تَعَالَى جَدَّهُ بِالْإِجَابَةِ
جَدِيرٌ ، وَعَلَى مَا يَشَاءُ قَدِيرٌ .

مَعَاشِرَ النَّاسِ يَرْحَمُكُمْ اللَّهُ إِنْ اللَّهُ جَلُّ ثَنَاؤُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ،
وَعَظُمَتْ آلَاؤُهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا ، وَلَمْ يَتْرَكْكُمْ سُدىً ، وَلَمْ يَخْلُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ
آرَائِكُمْ ، وَلَمْ يَصْرَبْكُمْ بِحَسَبِ شَهْوَاتِكُمْ وَأَهْوَاؤِكُمْ ، وَلَمْ يَخْلَعْ عَذَابَكُمْ ، وَلَا
مَلَكَكُمْ اخْتِيَارَكُمْ ، كَلَّا بَلْ جَعَلَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا مِنَ الْعَقْلِ قَامِعًا أَمْرًا ، وَنَبِيهَاً مِنَ
الرَّأْيِ رَادِعًا زَاجِرًا ، وَشَهِيدًا مِنَ الشَّرْعِ مَانِعًا ، وَنَصَبَ لِتَأْسِيسِ أَوْامِرِ الصَّدَقِ
وَشَرَائِعِ الْحَقِّ الْأَنْبِيَاءَ الصَّادِقِينَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بَعْدَ
تَأْسِيسِهَا بِسِيَاسَتِهَا وَحِفْظِهَا وَحِرَاسَتِهَا وَضَبْطِهَا وَدِرَاسَتِهَا ، فَكَانَ الْخَلْقُ فِي تَلْقَى
الْحَقِّ قَسْمِينَ : قَسَمَ بَانَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَذْعَنُوا وَاسْتَسَلَمُوا خَاضِعِينَ ، وَانْقَادُوا لِأَمْرِ اللَّهِ
سَبْحَانَهُ طَائِعِينَ ، فَأَجَابُوا دَاعِيَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ مَبْتَهِلِينَ ضَارِعِينَ ، أَنْسَوْا بِيَرْدِ الْيَقِينِ ،
وَنَالُوا رِضَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ، بِصَدُورٍ مَنشُوحَةٍ ، وَأَمَالٍ مَنفُوحَةٍ ، وَنِيَّاتٍ صَادِقَةٍ ،
وَنَفُوسٍ إِلَى الْخَيْرِ سَابِقَةٍ ، فَفَازُوا فِي دُنْيَاهُمْ بِالذِّعَةِ وَالْحِفْضِ ، وَفِي عَقْبَاهُمْ بِجَنَّةِ
عَرْضِهَا كَعَرْضِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَسَعَدُوا بِالْجَوَارِ لِلرَّبِّ الْكَرِيمِ وَالنَّعِيمِ
الْمَقِيمِ ، ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾
[الزمر: ٧٣] .

وَقَسَمُوا جَحَدُوا النُّبُوَّةَ وَخَالَفُوهَا ثَمْرًا وَعَصِيَانًا ، وَدَفَعُوا الشَّرِيعَةَ وَأَنْكَرُوهَا
سَحْتًا وَطَغْيَانًا ، فَاسْتَخَفُّوا بِحُدُودِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَجَاوَزُوا أَحْكَامَ اللَّهِ سَبْحَانَهُ

وتعالى ، واستهانوا بحرمان الله سبحانه وتعالى ، ولم يعظموا شعائر الله ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] ، ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ، فأداهم غيهم إلى سخط الله وسطواته ، وبلاهم كفرهم بنكاله ونقماته ، فلما انقضى عهد النبوة ، وتعين على الخلق فرض الإمامة أُلحِد فيها طائفة منهم سلكوا منهاج من تقدمهم حذو النغل بالنعل والقذة بالقذة ، فغرَّتهم الدنيا بزخرفها وزهرتها وبهجتها وزينتها ، فركبتهم شهواتهم ، وأوقعتهم سيناتهم ، ولجَّت بهم عثراتهم ، فنالوا من الدنيا متاعا قليلا ، وبلاغا نزرا حقيقيا ، وكابدوا بعدها عذابا طويلا وعقابا وبيلا ، وعانوا مقاما مهيلا وغراما وتنكيلا ، فرحم الله امرءاً نظر لنفسه وفكر في يومه وأمسه ودبر لغده ، وذكر مثواه في رسمه وأيقن أنه رهين بما كسبت يده ، فحسنت أفعاله وأعماله ، ومسئول عما تحركت به شفتاه فصدمت أقواله .

عباد الله يرحمكم الله ، إن لكل قائل فيما يقوله غرضاً ينتحيه ، ورأياً يقصده ويرتئيه ، وغرضي والشاهد الله الذي يبلى خفيات السرائر ، ويطلع على خفيات الضمائر ، ما أبثكم وأنصبه لكم على غرة ، ولا أكتمكم شيئاً من حلوه ومره ، غرضي ومرادي فيما أحاوركم به استشعار تقوى الله تعالى ، وابتغاء مرضات الله ، والتقرب إلى الله ، والسعي في ذات الله ، وبذل المهجة للجهاد في سبيل الله ، وحمل الخلق على كتاب الله ، وإحياء شريعة رسول الله ﷺ ، وتأمين السبل الخائفة لتكون السياسة قائمة حيث أمره تعالى^(١) ، من أمان عباد وإخصاب بلاد ، وإقامة حكم وإزالة ظلم ، ثم إعزاز آل رسول الله ﷺ الذين جحدتهم أكثر الأمة حقوقها ، واستحلت عقوقها ، واستباحت دماءها .

هذا أمير المؤمنين ﷺ أزيح يوم السقيفة عن منزلته الشريفة المنيفة ،

(١) في (أ) أمر الله تعالى به .

وغيصبت فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ فدكاً ، وسُم الحسن ﷺ سرّاً ، وقتل الحسين جهر ا صلى الله عليهم ، وصلب زيد بن علي ﷺ بكناسة الكوفة ، وقطع رأس يحيى بن زيد في المعركة ، وخُنق عبدالله بن الحسن بن الحسن في سجن الدوانقي ، وقتل ابنه النفس الزكية محمد وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي ، ومات موسى الكاظم بن جعفر الصادق في حبس هارون ، (وكذلك يحيى بن عبدالله ﷺ بعد أن شهد عليه أنه عبد لهارون) ^(١) ، وسُم علي الرضا على يد المأمون ، وسُم إدريس بن عبدالله في السوس الأقصى فريداً ، ومات عيسى بن زيد في بلد الهند شريداً طريداً ، تشارك في قتلهم الأموي والعباسي ، واجتمع عليهم العربي والعجمي ، فلزموا الحمية ووردوا المنية ، وكرهوا الدنيا ، وصبروا على الرزية ، سلت قلوبهم عن الدنيا واشتقت نفوسهم إلى العقبى ، وأيقنوا أن ما عند الله خير وأبقى فغرضي أن أجبر المصاب ، وأرد الحق إلى النصاب ، والأمانة إلى الأرباب ، ثم أهل العلم أوفيهم حقهم من التوقير ، وقسطهم من التمييز والتوفير ، وأزل ما شجر بينهم من الخلاف بنفي الحتف عنهم ^(٢) والإجحاف ، حتى أداهم ذلك إلى التسف والسباب ، ومكابرة الصواب ، ومباهة الألباب ، والتناز بالألقاب ، وهذه خطة عظيمة ، وثلمة في الدين كبيرة ، وفيه ما يبت عقد الدين ، ويعود ضرره على المسلمين ، قال الله عز وجل : ﴿ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] ، وقال النبي ﷺ : « اتقوا العصبية فإنها دعاء الجاهلية » واحذروا الجدال ، فإنه داعية الضلال ، يسول به الشيطان للإنسان ليورده موارد الشك بعد الإتيان ، فإنا إن شاء الله أقرر بينهم مسائلهم تقريراً تثبت به وترسخ ، وترسم

(١) في (أ) ساقط ما بين القوسين .

(٢) في (أ) منهم .

صحته في النفوس ولا تنفسخ، من حيث لا يتعقبه تغيير ولا نقض، ولا يتطرق إليه وهمٌ ولا دحض، ثم أوفيهم حق الإنصاف، وأرتبهم عقيب الأشراف، ثم خيار السلاطين الذين هم كفاة الأمة^(١)، وثقات الأئمة، وأرباب البيوتات القديمة، والأحساب الكريمة، والفضائل العميمة، والأصول الصريحة الصميمة، وأقرب مجالسهم، وأرفع منازلهم وأسعف شفاعتهم ومسائلهم وعنايتهم ووسائلهم ما لم يضيع ذلك حداً، ويغير حكماً، ولم يفسد للسياسة رسماً، وأعمُّ قبائل العرب وعشائرها، وبآديها وحاضرها وأحلافها ولواحقها ومواليها وعبيدها، بالأمن الشامل، والعدل الفاصل، والإحسان الكامل، والبر الواصل، وبعد امتناعهم من العصبية والمنافرة، وحمية الجاهلية والمشاجرة، التي تسفه الأحلام، وتقطع الأرحام، وتجلب الشين، وتقذي العين، وتشتت ذات البين، وهذه الطوائف^(٢) الأربع في كل طائفة منهم أهل العقل والتحصيل والرأي الأصيل، يحتاجون إلى تثقيف وتعريف وتشديد مرة، وتخفيف وتفقيح النقباء زمام على الشرفاء وقاضي القضاة زمام على الفقهاء، وقائد القواد زمام على الأجناد وأصحاب السيوف، وصاحب الشرط زمام على العامة، وهذا فيما صغر من الجرائر ولم تخرج إلى حد الكبائر وكان أرشه التعزير والتأديب، فإذا زاد على ذلك كان المرجع فيه إلى قيم الدهر، ووالي الأمر، وصاحب العصر، ولهذه الجملة تفصيل لا تحتمله هذه السيرة .

واعلموا رحمكم الله أن العرب خير الأمم بالإجماع، وقريشاً خير العرب بالإجماع، وهاشمياً خير قریش بالإجماع، والعلويين خير هاشم بالإجماع، والفاطميين خير العلويين بالإجماع، وبلغت الوسيلة، وتناهت الفضيلة، وأي

(١) في (أ) ساقطة الأمة .

(٢) في الأصل : الطرائق .

شخص من أهل^(١) هذه الرتبة السامية، والمنزلة العالية، والرفعة المتناهية، وكان صحيح البنية، لطيف الفطنة، وسليم الفطرة، وجمع - إلى طهارة المولد، وزكاء المحتد والمنشأ - النزاهة^(٢) والنقاء، ثم العلم الراجح، والعمل الصالح، ثم الشجاعة القاهرة، ثم السماحة الطاهرة، ثم السياسة، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم السيرة العادلة الرضية والسنة الفاضلة السنية، فهو صاحب دهره، وولي الناس في عصره، فأول ما يجب عليه إصلاح النفس الأمارة بالسوء، حتى يصير كما قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَةً﴾ [الفجر: ٨-٩]، وليست المطمئنة الراضية المرضية هي الأمارة بالسوء.

ورياضة النفس بإماتة الشهوات الدنيوية، إذا انتصبت وأشارت بعين غير مستقيم، وأطفأ الغضب إذا استعر واحتدم وصار كالجحيم، وعض الطرف عن المحارم وسدَّ السمع عن المآثم، وقمع اليد عن العظائم، والقدم عن السعي في النمائم، ويظهر قلبه عن الأدناس، وينفى عنه الوسواس الخناس، حتى إذا تهذبت نفسه، وتأدبت جوارحه، وخشعت أطرافه، وعفَّ لسانه وسلم صدره وأعطته نفسه المقادة وبلغ منها المنى والإرادة، تخطأ منها إلى حشمة وحواشيه، ثم رهطه وأدانيه، ثم جيرته^(٣) وقرابته ثم أدنى البلاد التي تليه، ثم على هذا الترتيب حتى تنتهي الدعوة إلى حيث بلغت كلمة الإسلام، وينقاد بطاعته الدين إلى جميع الأنام.

عباد الله إن السياسات أربع: فسياسة تلزم الخاصة والعامة ظاهرة وباطنة، سافرة وكامنة، وهي سياسة الأنبياء الصديقين صلوات الله عليهم

(١) في (أ) ساقطة: أهل.

(٢) في (أ) في النسخ بزيادة الواو وحذفه ليستقيم المعنى.

(٣) في (أ) حرمة.

أجمعين ، وسياسة أئمة الحق دعاة الخلق عليهم السلام ، فإنها تلزم ظاهرة بالقول ، وباطنة بالعقل وبعقد النية .

والسياسة الثانية: تلزم الخاصة والعامة ، ظاهرة لا باطنة ، وقولا لا نية ، وهي سياسة الملوك المتغلبين ، فإن السلطان الجائر إذا ظهر عليهم شخصه من بعد ، قالوا قد جاء لاجئاً ، فإذا توسَّطهم قالوا : خلد الله ملكك ، وحرس عزك وسلطانك ، فإذا فارقه قالوا : مضى لا رده الله تعالى ، وتمنوا أن يكون آخر عهد منهم به .

والسياسة الثالثة: تلزم الخاصة ظاهرة وباطنة دون العامة ، وهذه سياسة الحكمة والعلوم الاستنباطية ، والآراء النظرية والاجتهادية ، فإنها لا حظ^(١) للعامة فيها ، لأنها تدق عن أفهامهم .

والسياسة الرابعة: سياسة الوعاظ للعامة وأصحاب الأقاليم وأصحاب الكراسي ، فإن سياستهم تملك العامة ، ظاهرة وباطنة دون الخاصة ، ألا ترى إلى بكائهم بعيونهم ، وخشوعهم بقلوبهم .

والحكم على ضربين: شرعي وسياسي ، فالشرعي إلى القضاة ، والسياسي إلى الولاة مرشد الدين والدنيا ، فأول ما يجب على الإمام نصبه قاضي قضاة المسلمين بعد الاجتهاد والتحري والافتقار ، فإن أمكنه أن يكون ثاني منزلته في الفضيلة ، وثالثه في ثني الوسيلة فعل ذلك ، وسياسة القاضي شرعية دينية ، وعند الوساطة سياسة تقنية ، ويكون فقيهاً لطيفاً أديباً ظريفاً رقيقاً بالناس ، شقيقاً عفيفاً رؤوفاً نزيه النفس عن الأطماع ، حمولاً صبوراً حليماً وقوراً لبيباً محتشماً مهيباً ، قد ساس نفسه على التأديب ، وراضها على التهذيب ، مع السلامة والاستقامة والرأي والرجاحة . ولهذه المعاني استوجب أن يكون زماما على أهل العلم والعدالة والرأي والإصابة ؛ لأنه ليس من العدل والحق أن يكون الأدنى فوق

(١) في (أ) خطة .

الأعلى ، ولا الأتقص متقدما على الأفضل ، ولا الجاهل مملكا على العاقل ، ومن حق القاضي أن لا يداجي^(١) شريفا لشرفه إذا كَانَ الحق عليه ، ولا يزري بوضع لضعته إذا كان الحق له .

وينبغي للقاضي أن لا يظهر للناس إلا بتؤدة ووقار وهدى وسكينة ، وأن لا يتعرض للحكم وهو على حال جوع شديد ولا امتلاء كثير يحفزانه عن إنفاذ ما يئنيه^(٢) وينصبه ، ويحولان بينه وبين ما يقطعه ويرتبه ، بل يعتمدُ أعدل حالاته وأرشدّها ، وأفضل أوقاته وأحمدّها ، وَيَجِبُ عَلَى الْقَاضِي أَنْ لَا يَنْهَضَ مِنْ مَجْلِسِهِ حَتَّى يَقْضِيَ حَقَّ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الصَّبْرِ وَالْمَبَالِغَةِ وَإِيْفَاءِ النَّظَرِ حَقَّهُ وَالتَّأْمَلِ شَرْطَهُ ، وَأَنْ يَسْتَقْصِيَ مَا بَيْنَ الْخُصُومِ مِنَ الْمَنَازَعَةِ ، وَأَنْ يَحْسِنَ لَهُمُ الْإِنْصَاتِ وَالْإِصَاحَةَ ، وَيَجْمَلُ لَهُمُ الْمَخَاطَبَةَ ، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ مَخَاطَبَتَهُ لِمَنْ عُلْتُ طَبَقَتَهُ وَاتَّضَعَتْ مَنَزَلَتَهُ وَاحِدَةً فِي مَجْلِسِ قَضَائِهِ كَيْلَا يِيَّاسَ الضَّعِيفَ مِنَ النِّصْفَةِ ، وَلَا يَطْمَعُ الْقَوِي فِي الْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْظُرَ فِيمَا يَرِدُ عَلَيْهِ فَمَا وَجَدَهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ ، أَمْضَاهُ ، وَمَا وَجَدَ لِإِمَامٍ مِنْ أُمَّةٍ أَهْلَ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِيهِ حُكْمًا وَأَصَابَ مِنْ مَرَامِهِمْ فِيهِ رِسْمًا حَكَمَ بِهِ ، وَمَا لَمْ يَجِدْ فِيهِ مِنَ النَّوَازِلِ وَالْحَوَادِثِ رَجَعَ إِلَى إِمَامِهِ فِيهِ لِيَأْمُرَهُ بِمَا يَقْضِيهِ ، وَيَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ لِيُوجِبَ مَا يَنْهِيهِ ، وَلَا يَقْدَمُ عَلَى تَقْلِيدِ الْأَحْكَامِ بِالظَّنِّ قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى :

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥] .

وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَثَبَّتَ عِنْدَ شَهَادَةِ الشُّهُودِ ، وَيَبْحَثَ عَنْ حَالَاتِهِمْ ، وَيَفْحَصَ عَنْ وَجْهِ عَدَالَتِهِمْ ، وَيَجْعَلَ رَجُوعَهُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الثِّقَةِ وَالْأَمَانَةِ وَالسِّرِّ وَالصِّيَانَةِ ، وَمَنْ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَسْأَلُ عَنْهُ هَوَادَةٌ وَلَا عَدَاوَةٌ .

(١) في (أ) المداجاة : المداراة . قاموس ١٦٥٤ .

(٢) في (أ) يئنيه .

ويَجِبُ عليه أن يتوقف عن الحكم بإراقة الدماء على جهة القَوْدِ حتى يطالع الإمام بصورة الأمر، فإن للدم عند الله منزلة ليست لغيره مما يحكم الناس فيه .

ويَجِبُ أن لا يقبل شهادة فاسق ولا مارق ولا متهم ولا مريب ولا ظنين في دينه ولا جار إلى نفسه بالشهادة لحظ من حظوظ الدنيا .

ويَجِبُ عليه أن يحكم بما يرد عليه من خطوط القضاة وكتبهم، وشهادات شهود البلدان المشاهير عنده إلا أن يرى غلطاً فاحشاً فيطالع الإمام به ليرى رأيه، وإذا تحاكم إليه أهل الذمة حكم بينهم بحكم الإسلام فإن في ذلك ترغيماً لهم .

هذه شروط أحكام الشريعة على حسب ما يقتضيه هذا المختصر . فأما المتولّي لأحكام السياسة الذي هو المأمور وصاحب الجيوش والسرايا فإن الإمام يعهد إليه ويأمره بتقوى الله تعالى، وإيثار طاعته في سر أمره وعلانيته، والاعتصام بحبله وإصلاح ما بينه وبينه بالعمل الزكي والخلق الرضي، وأن يتعاهد نفسه في تطهير مذهبه، والمحافظة على دينه وأمانته ومأكله ومشربه وملبسه ومكسبه، والعلم بأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله في جميع متصرفه وسائر منقلبه، ولا يولّي إلا من يصح له الضبط والكفاية، (والذب والسياسة بما يجمع به أهل العيب والفساد، وتصلح معه الرعية والبلاد، فإنه لا تجب الجباية إلا بالحماية، ولا تصلح الولاية إلا مع الكفاية)^(١)، وأن يتجنب محارم الله تعالى ومساخطه، وأن يكف من معه من الجند والحاشية عن التخطي إلى ظلم أحد من الرعية أو مسائتهم بأذية، ويحضهم على لزوم السلامة والاستقامة، وسلوك الطاعة بأقصى الاستطاعة، ومقارعة أعداء الله القاسطين، ومجاهدة الخالعين

(١) في (أ) ساقط ما بين القوسين .

المارقين بأفضل العُدَّة والعتاد .

وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْسِنَ صَحْبَةَ مَنْ مَعَهُ مِنَ الْجُنُودِ فِي تَجْرِيدِهِمْ لِلْبِعُوثِ ،
وَأَنْ يَكْثُرَ عَرْضُهُمْ ، وَأَنْ يَتَفَقَّدَ دَوَابَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ، وَيَأْمُرَهُمْ بِاتِّخَاذِهَا وَالتَّنْقِيَةِ
فِيهَا ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَزِيدُ الدِّينَ حِرْزًا وَعِزًّا وَيَزِيدُ أَعْدَاءَ اللَّهِ ذُلًّا وَقَلًا .

وَيَجِبُ عَلَى أَمِيرِ الْجَيْشِ أَنْ يَعْظُمَ الْأَنْجَابَ الْأَنْجَادَ مِنَ الْجَيْشِ ، وَأَنْ
يَنْزِلَهُمْ مَنَازِلَهُمْ وَيُوفِيَهُمْ مَقَادِيرَهُمْ مِنَ الْإِكْرَامِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَشْحَذُ نِيَاتَهُمْ ، وَيَزِيدُ
فِي بَصَائِرِهِمْ ، وَلَا يَأْخُذُ أَحَدًا بِفِرْقٍ وَلَا تَهْمَةٍ دُونَ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَهْلِ الرَّبِّ
وَالظَّنَّةِ ، وَأَنْ لَا يَعَاقِبَ أَحَدًا مِنْهُمْ بِشِبْهَةٍ وَلَا بِبِلَاغَةٍ كَاذِبَةٍ وَلَا رَفِيعَةٍ دُونَ أَنْ
تُظْهِرَ لَهُ الْبَيِّنَةَ الْعَادِلَةَ وَالْعَلَامَاتِ الْوَاضِحَةَ .

وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَتَعَاهَدَ ثُغُورَهُ وَقِلاعَهُ وَحِصُونَهُ وَأَطْرَافَهُ وَمِصَالِحَهُ^(١) ،
وَيَحْتَرَسَ مِنْ اخْتِلَالِ يَقَعِ فِيهَا ، وَلَا يُتَفَقَّدَ قُوْدًا وَلَا قِصَاصًا دُونَ مِطَالَعَةِ الْإِمَامِ
فِيهَا ، وَيَنْهَى عَنِ التَّنْزَلِ فِي بِيُوتِ النَّاسِ وَالتَّنَطُّقِ عَلَى غَلَاتِهِمْ .
وَيَجِبُ أَنْ يَتَفَقَّدَ الْحَبُوسَ وَيَنْفَسَ عَمَّنْ فِيهَا ، وَلَا يَضْيِقُ عَلَيْهِمْ
وَلَا يَمْنَعُهُمْ أَقْوَاتَهُمْ وَمِرَاقِقَهُمْ مِنْ غَيْرِ تَضْيِيقٍ وَلَا تَشْدِيدٍ ، وَأَنْ لَا يَمْنَعَهُمُ الْمَاءَ
الطَّاهِرَ وَالْمَكَانَ الطَّاهِرَ فِي أَحْيَانِ صَلَوَاتِهِمْ وَأَوْقَاتِ عِبَادَاتِهِمْ ، وَلَا يَأْخُذُ أَحَدًا
بِأَكْثَرِ مِمَّا يُوْجِبُهُ جِرْمُهُ وَيَقْتَضِيهِ ذَنْبُهُ .

وَيَجِبُ عَلَى الْوَالِيِّ صَاحِبِ الْجِيُوشِ وَالسَّرَايَا ، أَنْ يَقْرَأَ عَهْدَ الْإِمَامِ عَلَى
مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ وَالْأَجْنَادِ ، وَيَعْلَمُهُمْ بِحَسَنِ رَأْيِ الْإِمَامِ فِيهِمْ ، وَتَوْجِيهِ
الصَّلَاحِ لَهُمْ ، وَإِيْثَارِ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَالْعَدْلِ عَلَيْهِمْ ، وَدَفْعِ الضَّيْمِ عَنْهُمْ ،
وَالْمُجَاهِدَةِ لِعَدُوِّهِمْ ، وَالْمِرَامَاتِ دُونَهُمْ ، فَإِنَّ الْجُنْدَ حِمَاةَ جُوزَةِ الْإِسْلَامِ ، وَأَعْضَادَ
الْإِمَامِ ، وَالذَّابِقُونَ عَنِ الْأَنْامِ ، وَهُمْ حِمَاةُ الثُّغُورِ ، وَحِرَاسُ الْجُمْهُورِ ، وَالدِّينَ بِهِمْ
مُهَيْبٍ ، وَالْحَقَّ بِهِمْ مِصْحُوبٍ ، وَالثَّأْرَ بِهِمْ مَطْلُوبٍ ، وَالصَّلَاةَ عِمَادَ الدِّينِ

(١) فِي (أ) وَمِصَالِحِهِ .

لا يجوز أن يتولاها غير الطاهرين المهذبين ، فيولي عليهم الشريف العفيف ،
ويؤمر أن يقيم الصلاة لأوقاتها المعلومة ، وأحيانها المحدودة ، وأن لا يخدجها ولا
ينقصها إذا كان به يَأْتُمُّ من خلفه ، وصلاة جميعهم معقودة بصلاته وفي عنقه
ولازمة له ، وأن يكون دخوله فيها بإخبات ودعة ، وهدي واستكانة ، وخشوع
وخضوع ، فإن الموقف العظيم والمقام الكريم بين يدي الرب الرحيم .

ويَجِبُ أن يُرْتَلَ قرآنه إذا قرأ ، وأن يُسْمَعَ خطبته إذا خطب ، وأن يضع كل
كلام في موضعه ، وكل قول في الموضع الأليق به .

ويَجِبُ عليه العناية بمرمة المساجد ، وإصلاح مصابيحها وقناديلها ،
ومياضيتها ومستحماماتها ، وترتيب المصلين والمؤذنين فيها ، ويعول من تطوع منهم ،
وإزاحة علة من دنت حالته من بيت مال المسلمين ؛ لأن يتوفر على حفظ
المواقيت ، لئلا يقع فيها تفريط ولا تقصير .

ويَجِبُ عليه أن يكفل اليتامى والمفلسين ويجري عليهم الجرايات بحسب
الكفاف وعلى معلمهم ؛ ليتوفروا على تعليم كتاب الله تعالى والمعرفة بالحلال
والحرام والقضايا والأحكام دون الكتاب والحساب ، فإن ذلك من مصالح الدنيا ،
كذلك يعني بتطهيرهم بالختان ، وكسوتهم عند ذلك ؛ لئلا تنكسر نفوسهم ، ثم
تزويج اليتيمة لليتيم على فرأض الله تعالى وخيرهما وسترهما ، والزكاة عروة
من عرى الدين ، وفرضها لازم لجميع المسلمين ، وكذلك الصدقة فلا يجيبهما^(١)
إلا إلى من صحت إمامته ، وارتضيت ديانته ، وحسنت سيرته ، وبليت سريره
ليؤمر بجبايتها بلا رهق ولا عسف ولا تحامل ولا جنف^(٢) ويجعل للعمال عليها
كفافا يغنيهم إلا أن يكون الناظر فيها من نصاب هاشم بن عبدمناف ، والحسبة

(١) في (أ) يلجيهما إلا لمن صحت أمانته .

(٢) في (أ) ولا حيف . الميل . القاموس ١٠٣١ ، والمختار ١١٣ .

باب من أبواب البر يتخير لها الفقيه في الدين القيم بمصالح المسلمين ، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر واقعاً على من وقعت الحسبة عليه ، وصادعاً على من صدعت من غير ميل ولا ممالاة ، ولا حيف ولا مداجاة ، وهذا باب كبير وأمر خطير لا يجوز إغفاله ، ولا يسع الإمام الإخلال به ؛ لأن موضع أمره قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولا يستنيب فيه إلا شخصاً طاهراً لا تأخذه في الله لومة لأثم ، ولا تصده عن طاعة الله محاشاة ولا مراعاة ، والرعية وديعة الله سبحانه عند الإمام لا يصل إلى ضبطهم وحفظهم وحياطتهم إلا بمعونة منه تعالى ، فيجب عليه صونهم وحراستهم وحفظهم وحياطتهم ، وحملهم على ما فيه صلاح معائشهم والعون لهم على مصالحهم ، وأمان سييلهم ، وتسهيل سبيل مرافقهم ومكاسبهم ، وإزالة المكوس^(١) والرسوم الجائرة والأوضاع المجحفة عنهم ؛ ليكونوا له داعين ، وفي أيامه آمنين ، وبسيرته راضين ، ولخلافة الله تعالى فيهم حامدين ، وبحسب نظره لهم شاكرين • وصيام شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، ومراعاة استهلاله ، وتصحيح تواريخ استقلاله ، والتوسعة فيه من الصدقات والزكوات والنوافل والقربات ، وأن يُصام هذا الشهر إيماناً واحتساباً ، وأن يكون الصوم غض الطرف عن المحارم ، وكف اللسان عن الرفث والهجر وتنزيه السمع عن القبائح ، وقبض اليد عن البطش إلى المآثم^(٢) إعظاماً لما أوجب الله سبحانه من حقه ، وحتم من توقيره وتعظيمه على خلقه .

ويجب على الإمام إقامة الحج فإنه من شعائر الله تعالى المفروضة وحرمان

(١) في (أ) : الموكوس . والمكس : هو ما يأخذه العشار بعد الفراغ من أخذ الزكاة من المصدق ، وفي الحديث : «لا يدخل صاحب مكس الجنة» .

(٢) في (أ) : عن المحارم .

الله المكتوبة، فرضه على من استطاع إليه سبيلاً. والمعونة على الجهاد فإنه باب عظيم في حماية حوزة الإسلام وحفظ بيضته، وأن يبدأ منه بإزالة الشوائب العارضة من جهة المرتسمين بالشريعة، الخالعين لريقة الإسلام، الذين عطلوا الحدود، ونقضوا العهود، وحلوا العقود ليدعونا للحق طائعين، ويرجعوا إلى ما مرقوا منه خاضعين، والله سبحانه العالم بالسرائر، المطلع على الضمائر يعلم ما نعتقده ونحراه، ونعتمده ونتوخاه من إصلاح الجائر عن القصد الخارج عن الحد، وأن غرضنا فيهم ومرادنا منهم تألف شاردهم، وإصلاح فاسدهم، واستمالة نافرهم، وأمان خائفهم، وإنصاف مظلومهم، واستنقاذ مغشومهم عن^(١) مخالِب غاشمهم، ونعش كبيرهم، وجبر كسيرهم، وسكون دهمائهم، وتحصين أموالهم المنهوبة، وحقن دمائهم المسفوكة، وصلة أرحامهم المقطوعة، وتأسيس طريقهم المخوفة، والإحسان إلى محسنهم، والتعمد لإساءة مسيئهم مالم يجترح ذنباً ولم يضع حداً، وحملهم على ما يعود عليهم في دنياهم بالأمن والصلاح، واليُمن والفلاح، والخير والنجاح، وفي آخرتهم بالفوز والنجاة، جعلنا الله وإياكم ممن يؤثر الحق طوعاً، ويعتمد الصدق سمعاً، ويستعمل أبواب الصلاح قولاً وفعلاً. وبيننا وبينكم يا إخواننا مواضعة نكتبها بنسخ شتى تكون عند أمنائكم وثقاتكم، أنا لا نثلّم لكم جاهاً، ولا ننقص لكم من حل الله تعالى حالاً، ولا نستبّيح لكم عرضاً، ولا نستحل منكم محرماً ولا مأثماً، وأنا نعوضكم في عزّ الجهاد تحت لواء الحق أضعاف ما تتأملونه إذا أسخطتم الله تعالى ربيكم، وجرحتم دينكم ودينكم، وأن الحق تستنزل معه الخيرات، وتُستدرّ به البركات، هذا أمني وضماني على الوفاء به، والله سبحانه على ما أقوله راع وكفيل، وكفى بالله شهيداً. وقد علمتم يا إخواننا عطف الله تعالى

(١) في (أ): من.

يكم إلى صلاحكم ، وإيصالكم إلى ما فيه عمارة حالكم ، أنه إذا عرض أمران ديني ودنيوي وجب على العاقل المكين وذوي الرأي الرصين أن يختار ما يبقى على ما يفنى ، وما يدوم على ما يضمحل ويلى ، فكيف إذا أمكنه الجمع بين الحالين ، ونيل كلتا المنزلتين ، ما عذره في سوء الاختيار ، ومالذي يلجيه إلى العار والشنار ودخول النار؟ جعلنا الله تعالى وإياكم ممن يؤثر الحق ويعتمده ، ويريد الصدق ويقصده وأستغفر الله العظيم لي ولكم إنه هو^(١) الغفور الرحيم ، والصلاة على جميع ملائكة الله المقربين وأنبيائه الصادقين وأئمة دينه المحققين وجميع عباده الصالحين وأهل طاعته من أهل السموات والأرضين .

أملأناه على حد العجلة ، فإن كان فيه زلل أو خلل فذلك بسببه ، ونكتب المواضعة على المهلة إن شاء الله تعالى ، والحمد لله وحده وصلواته على رسوله سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين ، وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير .



(١) في (أ) ساقطة : هو .

الإمامُ الناصرُ أبو الفتح الديلمي عليه السلام^(١)

هو: أبو الفتح الناصر^(٢) بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

وكان عليه السلام غزيرُ العلم ، وافرُ الفهم ، له تصانيف تكشف عن علو منزلته وارتفاع درجته ، منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه من أنواع المحاسن ، وهو كتاب جليل القدر قد أودع فيه من الغرائب المستحسنات ، والعلوم العجيبة النفيسة ما قضى له بالتبريز والإصابة ، ودلَّ على الكمال والنجابة ، وهو أربعة أجزاء . ومنها كتاب الرسالة المبهجة في الرد على الفرقة الضالة المتلجلجة ، يعني الفرقة الخاسرة المطرفية ، وفيه علم رائق ، وكلام فائق ، يدل على بلوغه في هذا الفن الدرجة العليا ، ويشهد بأن قدحه فيه المعلا . وله دعوةٌ حسنة جدا قد احتوت على فرائد^(٣) من الكلام يوازن الياقوت ، قال في صدرها :

هذا كتاب من عبد الله ووليه الناصر لدين الله إلى كافة الناس أما بعد :
فالحمد لله ذي العزة القعساء ، والقدرة العليا ، الذي دهر الدهور بحسن تدبيره ،
وأنطق الصامت ببديع حكمته ، وجالت أبصار البصائر في عظيم عظمته ، وتاهت
في سبق بدائع خلقه الأفهام ، وحاترت عن ظنون مداه الظنون والأوهام ، لم يشبه

(١) تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ١/٥٤٧ ، أئمة اليمن ١/٩٠ ، التحف شرح الزلف ٢١٨ ، بلوغ المرام ٣٦ ، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ١٩١ ، والشافعي ١/٣٣٨ ، غاية الأمان في أخبار القطر اليمني ١/٢٤٦ ، ومطمح الآمال ٢٤٠ أعلام المؤلفين الزيدية ٧٤٩ ، اللآلئ المضيئة لشيخ الذريعة ٤/٢٢٥ .

(٢) في النسخ : أبو الفتح بن الناصر بن الحسن وما أئتمناه هو الصحيح . أنظر الشافعي للإمام عبدالله بن حمزة ١/٣٣٨ والتحف شرح الزلف ٢١٨ .

(٣) في (أ) فوائد .

بشيء فتدركه الأوصاف، ولم يكن جسماً فتحويه الجهات والأطراف، ولا مرثياً فتحيط به النواظر والأبصار، ولا موهوماً فتتاله الخواطر والأفكار، أزلي لا إلى انتهاء، أولي من غير ابتداء، عالم بما في الظنون والخفاء، قادر على الإفناء والإبقاء، عدل في الحكم والقضاء، متجلل بالعظمة والكبرياء، مُعدُّ لعباده دار الجزاء، فالمحسن في درجات^(١) السرور والنعماء، والمسيء في دركات الحطمة النكداء ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ٦-٩]. تعالى من صانع لم يصنع بمباشرة، ولم يخترع بمماسة، ولم ينله في كثير ابتداعه فتور، ولا اعتراه في عظيم اختراعه لَغَبٌ ولا تقصير.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنتزه عن المسامي والنظير، المترقّع عن الظهير والوزير. ونشهد أن أبانا رسول الله ﷺ نبيه الذي اصطفاه، ورضيه الذي ارتضاه، وسيفه الذي على أعدائه انتضاه، وحقه الذي فيهم أمضاه، وخالسته الذي بنوره جباه، بعثه وأمواج الكفر متلاطمة، وحنادس الجور متلاحمة، وأوادي الإفك زاخرة، وشقاشق الشرك هادرة، وعمايات الجاهلية مظلمة، وغيابات الضلالات مستهلة، وعزالي الباطل منهلة، ومواضي الحق منقلة، وجماهر الطغيان مجمهرة، وعساكر البهتان معسكرة، وقسي الشيطان موترة، وأقوال البدع مؤثرة، فأزهق بحقه باطلهم، وقمع بنصله صائلهم، وأحمد بشهابه بواترهم، وأجمد بعواصفه ثواترهم، وهدم بنيانه^(٢) مشيدهم، وفرق بعدده عديدهم، ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ٥] فكان ﷺ للكتاب منيرا، ولأحزاب^(٣) الشرائع مشيرا،

(١) في (أ) دار .

(٢) في (أ) وهزم بنيانه .

(٣) في (أ) لحزاب .

ولمن اعتصم به مجيرا، ولجميع الإنس والجانّ مبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله يأذنه
وسراجاً منيراً .

ثم خرج فيه إلى ذكر علي عليه السلام ، فقال بعد كلام له : صبر أمير المؤمنين
صلوات الله عليه في تلك الفتن الصمّ والمحن ، اللهم صبر مثله ؛ إذ جرّبه
الخطوب ، وعزت على الإساءة الندوب ، وشابت من أهوالها المفارق ، ونشرت
على مناجبها^(١) المرافق ، وأعوز فيها الناصر ، وقل عندها التناصر ، وذل فيها
المساعد ، وخفي لديها المرشد ، ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ
الظُّنُونًا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [الاحزاب : ١٠] ، إلى
أن ثني له عليه السلام الوساد ، ووطئ له المهاد ، بانقراض الدول المبطلّة ، وتوالي الأيام
المضمحلة ، فصدع به فجر الإحسان ، وهمت من الله سماء الرحمة والامتتان ،
وأضاء وجه الدين بعد كسوفه ، وأنار بدر الشريعة بعد خسوفه ، وتباشرت الأمم
بأيامه ، وتكاثفت النعم بالتثام أمره وانتظامه ، فما كان بأسرع من لمحة بصر ،
واستطارة شرر ، أن جمع الناكثون بالبصرة ، وحسروا عن ثام الغدرة ، فجعل الله
لوليه النصر ، وأذاقهم وبال الأمر ، ورد عاقبتهم إلى الخسر ، ولم يعتبر بذلك ابن
أبي سفيان مع جموع الباطل والطغيان ومردة الإنس والجان ، وأصحاب
الطواغيت ، وأحزاب العقاريت ، وفرق الضلالة ، وزمر الجهالة ، حتى كان منه
ما كان إلى غير ذلك مما عانا عليه السلام من قتال الخوارج المارقين الفسقة الباغين ، فحين
كادت الأرض أن تغني بأزاهير عدله ، وتهتز بأنوار فضله ، وتبرج في حلة الحق ،
وتزهو بظهور الإنصاف والصدق ، وتصفو مشاربها من المحتفين ، وتخلو مذاهبها
من كل طنين ، ويجري عليها أحكام الكتاب المبين ، خير لقتله أشقى الأولين

(١) في (أ) على مصاحبها .

والآخرين ، فضرب هامته وخضب منها شيبته .

ثم قال ﷺ بعد كلام في هذا المعنى في ذكر الحسن والحسين : فالمشكى إلى الله تعالى من أمة ضلّت عن سواء السبيل ، ودخلت في شريعة رسولها بالتغيير والتبديل ، وجازت بنيه بالنفي والتقتيل^(١) ، وفرقت ما جمعه ، وابتذلت ما حماه ومنعه ، ووالت أعداءه ، وعادت أوليائه ، وتبعّت من قهره ، وخذلت من نصره ورفعت من وضعه ، ووضعت من رفعه ، وآوت من ناواه ، وناوأت من آواه ، ونبذت كتاب الله تعالى ، الجامع للأمر والزجر ، كأنهم عنه عمون ، وعن حوار بيانه تائهون ، وعن واضح آياته حائرون ، وإلى العمى والتهيه صائرون ، قد ألفت طريقة الزيغ والعناد ، واستوطت مركب الجور والفساد ، قرناً فقرناً ، وزماناً فزماناً ، وخلفاً وسلفاً ، من لدن الأيام الأموية إلى العباسية إلى أهل هذه الغاية في أهل هذا البيت الشريف ، والمحل المنيف ، الذين رفع الله ذكرهم وأجل قدرهم وجعلهم مفازاً للمتمسكين ، ومنجى للمعتصمين ، في يوم لا تنفع فيه الندامة ، وتقوم فيه القيامة ، وتطم الأهوال ، وتعظم الأوجال ﴿ وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠-٩١] ، وكانوا عليهم السلام - في تلك الأعصار المظلمة والمدد المدلهمّة ، والأوقات الغابرة ، والأزمان الجائرة - بين مقتول ومطرود ، ومخذول وشريد ، ونفي وقصي ، ومستور ومنكور ، ومسلوب ومحزون ، مقرهم قنن الجبال ، ومأواهم معدن الأوعال ، خائفون هائتون ، سائحون على الأرض سائبون ، فكم من أخمص مطهرة وقدم منزهة ، قد شيكت في الهرب ، ودميت خوفاً من درك الطلب ، وعين قد قرحت بالسهاد ، وناظر حرم طعم الرقاد ، وحر وجه لوحتته الهواجر والسائم ، ومصون بدن أنصبته الموامي والديام^(٢) ، يظنون بأكباد حراء طاوية ، ويبيتون بأبدان سلباء عارية ، قد

(١) في (أ) بالبغي والتقتيل .

(٢) في (أ) الديام .

أُتعبتها الأسفار ، وعرفتها البراري والقفار ، حقوقهم مصروفة إلى القيان والخدم
والخصيان ، قد اتخذوا ملابسهم من وشي اليمن ، ومجالسهم من صنع الأرمن ،
وصيروا دين الله لهوا ولعبا ، والتمرد على أوليائه طريقة ومذهبا ، لا يألونهم
خبالا ، ولا يزيدونهم إلا ختالا ، وكل من قام من هذه العترة الطاهرة للانتقام
والانتصار والاقتصاص والإيثار رموه بالدواهي ، وأخذوا عليه المرامي ، وسددوا
إلى مقاتله ، واجتهدوا في نصب حباته .

فانظروا رحمكم الله كيف صُلب زيد بن علي عليهما السلام بالكناسة ،
وقُطع رأس يحيى بن زيد في المعركة ، وخُنق عبدالله بن الحسن بن الحسن في
حبس الدوانقي ، وقُتل ابنه محمد وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي ،
وهُزم إدريس بن عبدالله بفخ حتى وقع إلى الأندلس فريدا ، ومات عيسى بن زيد
ببلد الهند طريداً شريداً ، وقُتل يحيى بن عبدالله بعد الأمان والأيمان ، وبعد ما
كُتب له العهد والضمان ، هذا غير ما فُعل بسادة طبرستان ، وقُتل محمد بن زيد
والحسن بن القاسم الداعي على يد آل سامان ، وغير ما فعل أبو الساج^(١) بسادة
المدينة حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز إلى سامراء ، وبحسبكم أنه ليس في
بيضة الإسلام بلدة إلا وفيها لقتيل طالبي تربة .

ثم قال عليه السلام بعد ذلك : لم يخلق دار الدنيا للإخلاء إليها ، ولا للاعتماد
عليها ، والاغترار بفواني رغائبها ، وعواري مواهبها ، ومقتضى لذتها ، ومبهج
جذتها ، وخبلى بارقتها ، ومظلم شارقتها ، ومتقلص ظلها ، ومجذب قلها ، وأجاج
موردها ، ومثنى مرقدتها ، ومستحيل بهائها ، ومتغير روائها ، بل جعلت لعمل
الأخرى ، وتمهيد مقر العقبي .

واعلموا معاشر الناس ، أن الله تعالى لم يترككم سدًى هوامى تترددون
بغير راع ، ولا نفساً تسرحون بلا محام ولا مراع ، ولكن من لطفه الخفي ، وصنعه

(١) في «آه الساج» .

الهنى^(١) أن أرسل الأنبياء والرسل ، وجعل منهم الأئمة والهداة الذين قام بهم
 الصلاح ، ودام بكونهم الفلاح ، وختم النبوة والرسالة بخيرهم نسبا وأشرفهم
 منصباً ، وأكرمهم محتداً ، وأعظمهم وأجلهم مولداً ، وأطهرهم فخاراً وأعلامهم
 مناراً ، وأحسنهم ذماماً ، وأرفعهم دعاماً ، وأهداهم للسبيل ، وأقومهم بالدليل ،
 فأنقذهم من الضلالة والعمى ، وجنبهم طرق الجهالة والردى ، وهداكم لسواء
 الطريق ، وألف بين قلوبكم بعد التبديد والتفريق ، ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا
 وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ، يالك
 من إحسان ما أوفره ! وامتنان ما أكثره ! ومنحة ما أسبغها ! وعارفة ما أسوغها !
 وحجة ما أبلغها ! وكان مما وعد الله نبيته ﷺ وآله استحفاظ بنبيه فأقامهم
 مقامه ، واسترعاه إياهم سنته ، إذ هم العترة الطاهرة ، والحجج الباهرة ،
 والشهداء لله تعالى على أهل الأرض بإقامة الواجب والفرض ، ذو الثقة والرفقة
 والشفقة بأمة جدهم صلوات الله عليه وآله ، والتوفر على ما يصلحهم دنيا وديناً ،
 ويزيدهم بالله سبحانه إيماناً ويقيناً ، من توقيير الكبار والحنو على الصغار ،
 والمحافظة على مصالح الأرامل واليتامى والضعائف والأيامى ، وحفظ مالهم من
 السهام والصدقات والأقسام .

ثم قال ﷺ بعد ذلك : **وإنَّا لَأرأينا السيل قد بلغ الزبى ، والأحلام قد حلت**
لها الحبا ، وكادت الصدور تضيق ، وسوء الأعمال بأهلها تحيق ، وظهرت
الفواحش والفسوق ، وشربت الخمر ، وصرح الفجور ، وضربت المعازف
والمزامير ، وأوترت العيدان والطنابير ، ولبس الرجال الحرير ، وشاع النكير وقل
المُنكر ، وضاعت الحدود ، وبارت الحقوق ، ورفضت الشريعة ، وأتبعَت
البدعة ، وابتذلت السنة ، وقلَّ التناصف ، واستولى البغي ، وهلك الضعيف ،
وعزَّ الظالم ، وبزَّ المظلوم ، ومات المعروف ، وعاش النكير ، ومات المُنكر ،

(١) في نسخة : الإلهي .

وظلعت شمس الجور ، وأفلت نجوم العدل ، وكسف^(١) وجه الدين ، وغاصت مياه الحمية ، واطرحت جواد السؤدد ، وعلت التحوت^(٢) ، وهبطت الوعول ، وهطلت سماء الطغيان ، وتوافرت جموع الشيطان ، وكثُر الشقاق والتمرد والنفاق ، وغُيِّرَت الأحكام ، وارتشت الحُكَّام ، وعضوضل أمر أئمة الزينج والفساد ، والحيف والإنياد ، وقصروا لأمرهم عنه قاصرون ، وعن أعبائه عاجزون ، كلا إنهم في الغلو جامحون ، وفي غيل الغواية حاذرون ، وفي تيه الغرّة حائرون ، قد حكموا بغير حكم الكتاب ، وضلُّوا عن وجه الصواب ، ووقفوا مواقف الأطهار ، بلا مائر ولا عناصر ، فلا حياء يردعهم ، ولا ورع يمنعهم ، ولا نكير يصددهم ، ولا دين يرددهم ، قد أقروا على عمائيتهم ، وأتبعوا في ظلماتهم ، واستحسن شنيعهم ، واستعجب فظيعهم ، فعند ما ذكرنا من الأمور المستنكرة ، والأسباب المنفرة ، والأحوال المغيرة ، وجب علينا ترك الدنيا بالكلية ، والفرع إلى الله جل ثناؤه بالجملة ، واستحلى طعم المنية ، والقيام في أمة نبينا ﷺ بالسوية ، واستدعاء أعضاء ليكون لنا رداءً على المناوين ، ويداً على الباغين ، يبذلون المهج ، ويمسحون عن جبين الدين الرهج ، كماء المأزق ، وحماة الحقائق ، ذوي البلاء والآراء ، والنُقَّاذ لدى المضائق والمضاء ، يقاتلون على بصيرة ، ويلاقون على حسن سريرة ، ويطلبون حقوقاً طالما مُطِّل غريمها ، وانتَهك حريمها ، وسيجبر صنعُ الله الجميل وإحسانه المعهود الجزيل قضاءها ، ويزول عن قريب التواؤها ، إن أعدَّ الله لذلك توفيقاً وتأييداً وصنعاً من لدنه وتسديداً .

ثم قال ﷺ : ولم يتصل بهذا الأمر الخطير والموضع الأثير ، إلا بالنسب

(١) في (أ) وكشف .

(٢) في (أ) التحوت : الأراذل السفلة كما في الحديث «لا تقوم الساعة حتى تظهر التحوت ، وتهلك الوعول» أي الأشراف . القاموس ص ١٩٠ ..

الشهير الذي بلغ السماء وناطح الجوزاء ، واتضح وضوح الشمس في الأبراج ، وأنار إنارة القمر الوهاج ، والعلم بالكتاب والسنة ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، والتأويل والتنزيل ، والتحريم والتحليل ، والنظر في الكلام والفقهاء والفرائض واللغة والنحو ، والتصريف والبلاغة والخطابة والشعر ، والنشأة على الطهارة من لدن الرضاة إلى هذه الغاية ، من غير جاهلية سلفت ولا جريرة سبقت ، والسماحة في حالتي السراء والضراء والبؤس والنعيم ، والإقدام عند مزلة الأقدام ، والشجاعة التي لا ترام ، بذلك شهد الحجاز والعراقان والشام ومصر وطبرستان ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ، ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨] . وهو عليه السلام القائل ^(١) :

آيا لهمدان بن زيد تعاونوا علي نصرنا فالدين سرب مضجع
ونادوا بكيلاً ثم وادعة التي لها المشهد المشهور ساعة تجمع
ولا بد من يوم يكون قتامه ^(٢) بوقع القنا والمشرافية أدرع
سينقاد لي من كان بالأمس عاصياً ويقرب مني النازح المتسمع
أنا الناصر المنصور والملك الذي تراه طوال الدهر لا يتضعضع
ستملاً دنيانا من العدل بعد ما مضت حقاً بالظلم والجور شرع

قام عليه السلام ^(٣) في أرض اليمن بعد وصوله من ناحية الديلم ، وكان قيامه في سني الثلاثين وأربعمائة ، وانتشر ذكره وعلا أمره ، وملك صعدة والظاهر واختط ظفار وهو حصن الإمام المنصور بالله حماه الله تعالى وحرسه ، وحارب الصليحي في بلاد مذحج ، وقتل من خولان بمجن مقتلة عظيمة ، وله حروب على أثافت من قبل الصليحي سجال له وعليه ، ولم يزل شجى في حلوق الباطنية

(١) الشافي ١/ ٣٣٨ .

(٢) في (أ) قيامه .

(٣) التحف شرح الزلف ٢١٨ ، وكتاب الشافي ٣٣٩ .

والمعتدين رافعاً لمنازل الدين حتى قتله الصليحي في نيف وأربعين وأربعمائة سنة ،
وقبره عليه السلام بردمان من بلاد عنس ، وله عقب .

الإمام الناصر الحسين الهوسمي عليه السلام^(١)

هو : أبو عبدالله الحسين بن أبي أحمد بن الحسين^(٢) بن الحسن بن علي
الأديب الشاعر وهو الأمير أبو الحسن بن الناصر الكبير الحسن بن علي بن الحسن
ابن علي بن عمر بن علي سيد العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم
السلام .

قام بالأمر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، ونصّبَه العلماء بهوسم للأمر
نصباً ، [ولم يبايعوه على الطاعة لقصور رأوه في علمه ، واشتغلوا بالتدريس له
بالليل وبإشادة ذكره بالنهار حتى استتم العلم فبايعوه على الطاعة]^(٣) ، وأحدق
به من علماء هوسم رضي الله عنهم ثمانية عشر من المجتهدين ، وزهاء مائتي رجل
من أوساط الفقهاء والمدرسين^(٤) والحاكمين ، وسبعون ألفاً من المنظرين من
الأغنياء والعمال والمحسوبين الذين يحصل بكل فرقة منهم صلاحُ أمر من أموره .
وجنوده خشنة من الأتراك وأهل التأليف من أبناء صناديد الجيل والديلم ، ودانت
له جميع البلاد المنسوبة إلى الناصر للحق الكبير عليه السلام ، من أول (كنانكجا قرية
جومه إلى كيلاكجان) هذا جيلان ، ومن الديلم من كيالجان إلى قلعة ألموت ،
وكانت إذ ذاك من قلاع بلاد الإسلام وإلى بلاد الإسفندارية إلى نواحي حدود
طبرستان . وأمر ببناء الجوامع والرساتيق وإقامة الجمعيات فيها ، وكان قبل ذلك

(١) التحف شرح الزلف ٢٢٢ ، رسالة يوسف بن أبي الحسن الجيلاني إلى الفقيه عمران بن الحسن
العذري مطبوعة ضمن كتاب أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان ١٥٢ .

(٢) في الأصل والنسخة (أ) : الحسن ، وأثبتناها صحيحة من التحف ٢٢٢ .

(٣) ما بين القوسين ساقط في (أ) .

(٤) في (أ) : من الفقهاء والمدرسين .

المشهور من مذهب الناصر للحق عليه السلام أن لا تقام الجمعة إلا في الأمصار، وكان شاعراً فصيحاً مفلحاً. أنشأ على البديهة من وقت الظهر إلى العصر زهاء مائتي قافية في مديحة أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وعليهم وتفضيل أمير المؤمنين علي عليه السلام ونقص من خالفه، وفيها :

علي كباز والشيخ كصعوة فما حال صعوفي مخالبا أصقر
لم يكن له منازع في جميع جيلان وديلمان مع كثرة الملوك والسلطين
فيهما، وكان ذا جاه عريض، ومملكة باسطة، وبطشة قاهرة، وقوة قادرة، وكان
لفقراء المسلمين كالأخ الرفيق، وللأيتام كالوالد الشفيق، وللأرامل كالزوج
العطوف، وللمتعلمين كالمعاهد الرؤوف، وعلى الظلمة كالحسام القاطع، وعلى
المجرمين كالسم الناقع، حارب صاحب طبرستان الملقب (ياصفهبد) وزوج
إصفهبد ابنته منه، وكان يهدي إليها وهي تحته كل شهر سفينة من الهدايا مع جارية
واحدة يتألفه ويسكن ثورته عن نفسه، فلم يسكن وتبرأ منه لما رأى من ظلمه لأهل
طبرستان وفساده وعتوه وكان إذا قل شيء من بيت مال على الفقراء أخذ بالبكاء
والتضرع إلى الله، وسؤاله كثرة بيت المال حتى لا ينصرف الفقراء من بابه خائبين
لم نسمع أحداً من الأئمة أشد شغلا بمرافق الفقراء منه رضوان الله عليه ومراعاة
لحملة القرآن، وكان يحفظ كتاب الله غيباً ويعظم من حفظه، ويرزقه من بيت
المال حتى صار أهل الجيل أكثر الناس حفظاً لكتاب الله تعالى، وهم مستمررون
على ذلك إلى الآن ببركته عليه السلام.

وقصته ونشر محاسنه أكثر من أن تنظم في سلك المدائح. بلغت مدة قيامه
بالأمر من أول النصب إلى آخر ختم الإمامة أربعين سنة ثم قبضه الله تعالى إلى
رحمته بهوسم سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة، ومشهده بها مشهور مزور يقرب من
مشهد أبي عبد الله ^(١) عليهما السلام ^(٢).

(١) يعني: محمد الداعي عليه السلام.

(٢) التحف شرح الزلف، ٢٢٢، وأخبار الأئمة الزيدية نقلاً عن جلاء الأبصار ١٥٢-١٥٣.

الهادي الحُقيني عليه السلام^(١)

هو: أبو الحسن علي بن جعفر بن الحسن بن عبدالله بن علي بن الحسن بن علي بن أحمد الحُقيني بن علي بن الحسين بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وكان جامعاً للعلوم، أجمع العلماء في زمانه أن سُبَّ علمه آلة للإمامة فترشح للإمامة في بلاد الإسفندارية من أرض الديلم، فأقبل العلماء على بيعته لتكامل خصال الإمامة فيه، وكان عليه السلام يتشدد في الإنكار على من رأى للباطنية صلحاً^(٢) وإباحة دمه واغتنام ماله دون سببه واسترقاقه، حتى بلغه عليه السلام ذات يوم أن القاضي مروان بَلَغَهُ رقعة من الملاحدة الباطنية على يدي رسول أرسلوه إليه والقاضي هذا مروان كان من علماء (كُنْجَا)، وكان يتعذر على الإمام الهادي عليه السلام تنفيذ مراده عليه لقصور يده عنه وفي موضعه، فقال: اللهم إن كان هذا صدقاً فأحضره عندي هاهنا لأصلبه فيك ولك، فلم تمض أيام إلا مقدار مسافة ما بينه وبين القاضي مروان فحضر القاضي مروان فلم يؤجله أن صلبه من ساعته تلك.

وكان عليه السلام قد أوصى بوصية هذه نسختها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه وصية العبد المتلهف المتأسف على ما فرط وضيع، وقصر وغدر، المستعبر على نفسه طويلاً، الباكي صياحاً وعويلاً. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له متعالي عن الأضداد والأنداد، منزّه عما نسب إليه الظالمون، وأشهد أن

(١) التحف شرح الزلف ٢١٦، الشافي ١/٣٣٨، طبقات الزيدية الكبرى ٢/١١٩٢، ٣/١٣٠٥،
أعلام المؤلفين الزيدية ٦٦٣، الأئمة المضيئة وخ الجواهر المضيئة وخ معجم المؤلفين ٧/٥١، رسالة
يوسف بن أبي الحسن الجيلاني إلى الفقيه عمران بن الحسن العنزي مطبوعة ضمن كتاب أخبار أئمة
الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان ١٤٢، معجم المؤلفين ٢/٤٦٥، مطمح الآمال ٢٤١.
(٢) في (أ): الباطنية صلحاء.

محمدًا عبده ورسوله اختاره للرسالة ودل على صدقه بالدلالة، بعثه إلى كافة الخلق بالأمر الحق بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً خاتم الأنبياء وخير الأصفياء ﷺ .
وأشهد أن الجنة حق، وأن النار حق، والبعث حق والنشور حق^(١)، وأن الخلائق يحشرون ويجمعون إلى أرض صردح ويسألون ويحاسبون، ويثابون ويعاقبون، فريق في الجنة وفريق في السعير .

وأشهد أن أمير المؤمنين إمام المسلمين بعد رسول رب العالمين؛ لما خصه الله تعالى بمجموع الفضائل والمناقب، ووضع في أشرف المناسبات، بمنصوص التنزيل المعرض للتأويل، لتقابل الأشباه والأمثال، وتعارض المعاني والأشكال، سميناه نصاً خفياً، وإن كان معناه عند الرُساخ واضحاً جلياً. وأما كبار الصحابة الذين تصدروا للإمامة ونهضوا بالخلافة فلا أغض نفوسهم وأغراضهم، ولا أقابل بالشتم أغراضهم، بل أجد موجدة الزاري عليهم، والمستريد منهم لتمسكهم بالمحتملات، وتعلقهم بالتأولات وأكل أمرهم إلى الله تعالى .

كما قال القاسم عليه السلام: ﴿ تَلِكْ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ [البقرة: ١٣٤]، وأما الرتبة التي ادعيته، والمنزلة التي اعتليتها، والدعوة التي امتطيتها فإنما كان عن اعتقاد وقع مني أنني أكمل العترة خصالاً وأتمهم خلالاً، وأجمعهم لشرائطها وأعلمهم بطرائقها، ولقد خضت غمرتها ومارست شدتها، ما أعلمتني مواضعها مواقعها .
وأما الأموال التي تسكعت فيها واقتحمت عليها مترخّصاً برخص الشرع لرزوح الحال، وقلة المال، وظهور الاختلال .

وذكر أبو حنيفة في الجامع الصغير: أنه يجوز للسلطان العادل أن يستقرض لبيت المال إذا كان في بيت المال قلة وبالمسلمين حاجة، ثم لم آل جهداً في الاستحلال من المالك حين وجدت، ووصيت إلى جميع المسلمين أحادهم وأفرادهم أن يستحلوا كل من وجد في حال حياتي وبعد مماتي، وإن عشت أقوم

(١) في (أ): وأن البعث...، وأن النشور...

بإصلاح ما أخذته من المال بطريق الجبر والقهر، وما مددت يدي إليه لقضاء الوطر وابتغاء الأرب كما يفعل المسرفون والمترفون والمترغدون، وإنما الغرض الأعظم حفظ قناة الدين أن يعوجَّ ودعائم الإسلام أن ترتجَّ، وعزمت في القابل أن لا أعود إليه، ولا أرجع فيه؛ فإن المحارم أحمية الشرع، فمن حام حولها يوشك أن يقع فيها ويتورط عليها، فدونها القتاد مُخرط، والجواد محبط، والعاقل مورط، فليحذر كل الحذر، فإن السفر فيه الخطر، والحساب شديد والرجوع بعيد، والحاكم عدلٌ لا يخفى عليه شيءٌ: لا خافية الأعين، ولا همس الألسن، ولا هوادة عبودية في الجزاء والاقتصاص، هيهات لات حين مناص، إله غفار وملك جبار، غَضَبٌ عظيمٌ وجنةٌ نعيم، وعقابٌ وجحيم، وزبانية شداد حداد، فأما أسقاط الدفاتر كلها تصرف إلى ابن أخي (الرَضَى) أنبته الله نباتا حسنا إن اشتغل بالعلم فيه، ونشأ عليه وشدا منه شداً حسناً، فإن أُضرب عنه صَفْحاً، وطوى عنه كَشْحاً، فهي مقسطة على الأكابر والأفاضل من أهل العلم، تُفَرَّق عليهم بكمالها.

مركز تحقيق وتصحيح مركز

وأما الأثاث والأمتعة لو بقيت في يدي ابنتي الكبرى فهي لها، لا حق لأحد فيها، والأفراس والبغال ونوع من الأسلحة - وإن قلت - هي مصروفة إلى عمارة مشهد والدي على ما استصوبه المسلمون، يُنفق عليها ويُصرف إليها، فالناس اتهموني باختزال نفائس الأملاك وعقائل الأموال واختزانها والبخل بها والشح فيها، فوالذي خلقني وخلق الخلائق أني ما ادخرت من الذهب قط ثلاثة آلاف دينار، وإنما كانت ألفين ونيِّفاً، إلى أن أغار عليَّ التركُ ودخلت في ضمان الديلم، فلم يجتمع عندي ألفٌ قط . . . والله تعالى مطلعٌ على سرائري وضمائري، فالمال مكذوب عليه، والكبير يوجد ثم يرزح^(١)، والقوي يعدو ثم يطلح^(٢). وأمرت

(١) في (أ): والكبير أو الكثير - غير منقوطة - يوجد ثم يرزح: رزحت الناقة: سقطت إعياء أو هزالاً. قاموس، باب رزح.

(٢) طلح: أي تعب وعيي من طلح البعير: أعياء. القاموس: مادة طلح.

المسلمين كافة وعامتهم ، وآحادهم وأفرادهم ، فأذنت لهم أن يختاروا لي خيراً ،
(ويكسبوا لي ذخراً ، بصدقة ودعاء لي خيراً)^(١) وطاعة كانت وإن قلّ ثوابها لي ،
وأنا استغفر الله العظيم من كل كبيرة وصغيرة ، وهفوة وسقطة وعثرة ، ومن
مسعاة قدمي ، ومكسب يدي الذي يُسخط الرب ويُغضب الإله ، وأجأراً بالدعاء
إلى الله ضارعاً ، وأخبت له خاضعاً ، وقال :

فيا لهف نفسي كم أسوّفُ توبتي وعمري فان والردى لي قاهرُ
وكل الذي أسلفت في الصحف مثبت يُجازي عليه عادل الحكم قادر
ارحم اللّهم شيبتي وذلتي ، وقلتي ووحدتي وغرّبتني ، فمّن يرحمنا إذا لم
ترحم ؟ ، ومن يكرمنا إذا لم تكرم ؟ ! فأنت آخذ بنواصي العباد ، والحاكم يوم المعاد
وصلى الله على محمد وآله الطاهرين^(٢) .

ولم يزل عليه السلام ساعياً في إقامة قناة الدين ، جاهداً في قطع ضرر المعتدين
حتى كان في يوم من الأيام ببلد (كجوا) من بلد الإسفندارية ، فوثب عليه بغتة
حشيشي من الملاحدة الباطنية أرسلوه من ناحية (الموت) وهي قلعة من قلاعهم ،
فاستشهده رضوان الله عليه يوم الإثنين في شهر رجب من شهور سنة تسعين
وأربعمائة ، ثم نقل إلى (كلار) ، ودفن في قرية هسكير^(٣) .

قال ناقل أخباره : وبلغني أنه تردم تابوته بعد حين ، فجعلوا يرُمونه فأفضى
بهم رمهم^(٤) إلى إظهار جثته ، وكان في عصر لم يكن أحد في ذلك العصر باقياً
ممن رآه في حياته إلا شيخاً واحداً ، فأحضره ذلك الشيخ لينظر فيه هل تغير عن

(١) في (أ) : ساقط ما بين القوسين .

(٢) أخبار أئمة الزيدية نقلاً عن كتاب جلاء الأبصار ١٤٦-١٤٧ .

(٣) في التحف ٢١٦ ، وفي (أ) : هسكير .

(٤) في (أ) : رميهم .

هيئة حياته شيئاً، فنظر الشيخ فيه وحدد الرئوس^(١) إليه وقال : لا يتخيل لي شيء في نفسي عما رأيته إلا ذؤابته فإنها الآن أطول منها في حياته .



الإمام أبو الرضى الكيسمي الحسيني عليه السلام^(٢)

كان عليه السلام جامعاً لشرائط الإمامة، مؤهلاً للزعامة^(٣)، دعا الخلق إلى نفسه بعد الهادي الحقيني عليه السلام، فاستولى على جميع أقطار جيلان وديلمان إلى حدود طبرستان . وكانت المملكة القاسطة الجائرة إذ ذاك في ديلمان لآل جوجي^(٤)، فنازحهم الإمام أبو الرضى مناقذة علوية حسينية حتى طال عليهم الأمد . قال راوي أخباره : فحدثت أنه رضوان الله عليه كان ذات يوم جالساً في مسجد من مساجد جيلان في قرية يقال لها : أمّلس ، فأراد بعض آل جوجي الهجوم عليه فتكاً ، ونهياً وقال : اليوم أفقاً عينه ، فهجم على المسجد بغتة بقضه وقضيضه ، فوثب الإمام وأصحابه ، فكان في أصحابه صاحب يقرأ في (إصلاح المنطق) رماه الظالم بمزراق ، فأتقاه بالكتاب ، ثم عطف على الظالم بالمزراق فضربه على عينه ففقأها بعزة الله تعالى ، وقال : ولقد بلغني أن فرس الظالم أعانه على فقاء عينه بأن دنا

(١) في (أ) : الدنو .

(٢) التحف شرح الزلف ٢٢٤ ، أعلام المؤلفين الزيدية ٤٣٢ ، اللآلئ المضيئة «خ» مطمح الآمال ٢٤٢ ، رسالة يوسف بن أبي الحسن الجيلاني إلى الفقيه عمران بن الحسن العذري مطبوعة ضمن كتاب أخبار أئمة الزيدية في طبرستان ديلمان وجيلان ، منتزعة الرسالة العالمة بالأدلة الحاكمة ضمن كتاب أخبار أئمة الزيدية ١٦٧ .

(٣) الإمام الرضى الكيسمي بن مهدي بن محمد بن خليفة بن محمد بن الحسن بن جعفر بن الإمام الناصر للحق الحسن بن علي الأطروش عليهم السلام أنظر التحف ٢٢٤ .

(٤) في (أ) : جوى ، وفي حاشية الأصل : جواء

من جدار المسجد حتى توكأ ذباب المزراق بالجدار، فلجّ به الفرس حتى تفقأت العين، ونجا الإمام وأصحابه ولم يمسههم سوء، وابتغوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم .

وكان رضوان الله عليه يعتاد العبادة والقيام بها إذا صرخ الديكُ إلى الصبح، فصرخ الديك ذات ليلة قبل وقته المعتاد، فتأذى بشغل القلب قبل علمه بالوقت، فنهض وتفحص الوقت فوجد الوقت قبل العادة، فعاود النوم ودعا على الديك بانشقاق الكبد، فلما أصبحوا وجدوا الديك ميتا وعرفوا أنه من دعاء الإمام فشقوا بطنه فوجدوا كبد الديك منشقة .

وكان عليه السلام متشدداً جداً في الإنكار على المناكير، حتى بلغه أن ولداً من أولاده شرب الخمر، فلما سمع ذلك قال: حرمه الله جميع ما ينبت على وجه الأرض، فلم يلبث الولد أن عبر قنطرة فزال قدماه فغرق في الوادي، فنودي على الإمام بالمام، فقال: إليكم عني، قال القائل ما قال، وسمع السامع ما سمع .
وقتل واحد في أيامه رجلاً كان المسلمون يتأذون به وكان الرجل ملياً عدلياً، فسأله القاتل عن وجوب الدية عليه، فقال- يخاطب غيره ويشير إلى القاتل: هذا الرجل قد غزا فجزاه الله خيراً الجزاء .

ولم يعش بعد الهادي عليه السلام إلا قليلاً، ثم قبضه الله تعالى إلى رحمته في بلدة كيسم، ومشهده هناك معروف مزور^(١) .



(١) أنظر أخبار أئمة الزيدية نقلاً عن كتاب جلاء الأبصار ١٥١-١٥٢ والتحف ٢٢٤ .

السيد أبو طالب الأخير عليه السلام^(١)

هو: أبو طالب يحيى بن أبي الحسين أحمد بن أبي القاسم الحسن المؤيد بالله عليهم السلام بن أحمد بن أبي القاسم الحسين بن المؤيد بالله عليهم السلام، وكان حافظاً لمذاهب أهل البيت عليهم السلام بمتونها وتعاليقها، غزير العلم وافر الفهم جامعاً لخصال الإمامة .

وكان خروجه بجيلاق سنة اثنتين وخمسمائة، ودان له الأكثر من بلاد الجبل، واتصل أمره إلى هوسم، وسرى أمره إلى جبال ديلمان، فعارضه شريف حسني طرده من هوسم إلى لياهجان. ثم انتهى الحال بعد ذلك إلى أن قويت شوكته، فطرد هذا الشريف من جيلان وديلمان .

وذكر بعض نقلة أخباره: أنها حدثت حمرة عظيمة ملأت الأفق في السماء، فأمر من يسأل العلماء وجمعهم فقبل له: إن هذه الآية من عند إبراهيم عليه السلام في أنه لا يحدث في ولده أمر يرفعهم إلا خرجت هذه الآية^(٢) .

وأخبرني الفقيه الفاضل الزاهد بهاء الدين علي بن أحمد الأكوغ رحمته الله أنه حدث مثل ذلك في أوائل أيام الإمام المنصور بالله عليه السلام . وكانت أكثر حروبه مع الباطنية، قتل في يوم واحد منهم ألفاً وأربعمائة مع الثلج، وأخذ من قلاعهم ثمانين وثلاثين قلعة، وافتتح من البلاد مسيرة اثنتي عشر ليلة من كل جهة، وبنى حول قلعة ابن صباح^(٣) أربع قرى حاصروهم وغزاهم في البحر إلى قرية لهم

(١) التحف شرح الزلف ٢٢٥، الشافي ٣٣٦/١، غاية الأمان في أخبار القطر اليماني ٢٨٧/١، الأعلام للزركلي ١٣٥/٨، تحاف المسترشدين ٥٤، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ١٧٨/٣، مطمح الآمال ٢٤٢، أعلام المؤلفين الزيدية ١٠٨٨، مؤلفات الزيدية ٢/٢٨٩، اللآلئ المضيئة «خ»، الرسالة العالمية بالأدلة الحاكمة ١٦٧ .

(٢) التحف ٢٢٥ .

(٣) في (أ): ابني صباح .

فأخذها بالحصار ، فصالحه كبارهم وضمّن عليهم^(١) .

فكان إذا أخطأ منهم مخط لزم الضمين ، وكان من لزمه الحد من كبارهم أقامه عليه ، ثم يطرحه في البالوعة ويُعفر وجهه ورأسه ويضرب به الأرض ويركس بالنعال . وأقام أربع عشرة سنة ما يخرج من الجوسق وحده إلا للصلاة خوفاً من مكرهم ومكيدتهم ؛ لأنهم أهل غيلة متناهية في تلك الناحية ، وكان لا يقبل لهم توبة ، ويأخذ أموالهم ويسبي ذراريهم ، وكان يقتل من خالط الباطنية مختاراً ، حتى أمر بقتل سبعة أنفس فيهم رجل رأى ملحداً صلحاً ولم يتميز عن الستة وقال : القاتل والستة في الجنة والواحد في النار . وصلب ثلاثة أحياء ، ومذهبه أن الصلب للحى ، وهو مذهب كثير من العلماء .

وكتبه في وقته صاحب عُمان وكان زيدياً محباً مناصراً له ، وكانت حاشيته وغلمانه ومن أجابه اثني عشر ألفاً على مذهب الهادي ، وخدامه كانوا كلهم يصلون ، ولم يكن يستعين من الفاسقين إلا بمن يصلي ، وكان له عليه السلام من الهيبة ما لم تكن لأحد قبله ، وكان يضرب الطبول لاجتماع الناس وللبشارة ، وكان يجتمع عنده في الوقت خلق كثير إلى ثلاثة آلاف وأكثر عند الحاجة ، وكان يركب الفرس من الأرض ، وكانت له غاشية على سرجه يركب بها خيفة من سُمّ الباطنية ، ويرقى من المنبر درجتين . وكان وصل إلى صعدة من جهته القاضي أبو طالب نصر بن أبي طالب بن أبي جعفر فقيه الزيدية في عصره وعالمهم ، اجتمع في خزائنه من فنون العلم اثنا عشر ألف كتاب^(٢) . وكانت وصلت دعوته عليه السلام إلى اليمن سنة إحدى عشرة وخمسمائة إلى الأمير المحسن بن الحسن بن الناصر بن الحسن بن عبدالله بن محمد بن المختار بن الناصر بن الهادي إلى الحق عليه السلام فقام لها

(١) الشافعي ١/٣٣٦ .

(٢) الشافعي ١/٣٣٦ ، التحف ٢٢٥ .

أحسن قيام، ونفذت أوامره في صعدة ونجران والجوفين والظاهر ومصانع حمير، ثم قتله أهل صعدة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وولده غدراً، فقام بثأره السيد الشريف الواصل من الديلم من جهة الإمام أبي طالب عليه السلام هذا، وأخرب صعدة، وعاونه على ذلك شيخ الشيعة في وقته محمد بن عليان بن أسعد^(١) البحيري، وأمدهم الأمير غانم بن يحيى بن حمزة السليمانى بمال كثير، وقال محمد بن عليان شعره الذي أوله^(٢):

تألبت الغوغاء من أهل صعدة وهي إلى خمسين بيتا .

وتوفي الإمام أبو طالب عليه السلام في قرية (قيتوك)^(٣) من قرى تنهجان من أرض الديلم في سنة عشرين وخمسمائة، وأوصى بأن يدفن سرّاً لا يعرف مضجعه ، خوفاً أن لو غلب الملاحدة على تنهجان لنبشوا قبره وأحرقوه، فهو لا يعلم موضع القبر على التعيين وإنما يظن ذلك^(٤) ومن محاسن كتبه عليه السلام عهد كتبه للشريف السيد شرف الدين أبي عبدالله الحسين بن الهادي رحمة الله عليهما، لما أمره بالخروج إلى اليمن سنة إحدى عشرة وخمسمائة قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

من المؤيد بالله أمير الأمة والمؤمنين، الحمد لله الذي شرف هذه الأمة بعد نبيها بالأئمة، وجعلهم إكمالاً للنعمة، وإتماماً للأمة، وجمل الأئمة بالخلفاء الهداة، والقضاة والكفاة، وسائر من ينوب عنهم من الولاة، وجعل الخلافة والقضاء بالحق من جملة الفرض، وشرع تفويضه إلى من زكا في الدين

(١) في (أ): سعد .

(٢) الشافعي ١/ ٣٣٦ .

(٣) في (أ): فينوك

(٤) أخبار أئمة الزيدية نقلاً عن كتاب جلاء الابصار ١٥٧ .

والعرض ، وصيره ذريعة إلى نصرته الحق وشريعة لتعديل الخلق وإظهار الصدق ، ووضع الخلفاء والحكام ما بلغ النهاية في الإتقان والإحكام ، من القياس القويم ، والقسطاس المستقيم ، ليزنوا بهما الدعاوي ، ويميزوا الراجح والمساوي ، وطرق سبيلاً إلى الردع بما هداهم إليه في الشرع من البيئات والأيمان ، والتنكيلات في الأسجان ، ليحترس من القوي والضعيف ويحترس من الغالب اللهيف ، كما وعد أن يضع الموازين القسط ليوم القيامة : ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [الأسراء: ٧١] .

هذا ما عهد الإمام الحق أبو طالب يحيى بن أحمد بن الحسين الهاروني عليه السلام إلى السيد الأجل العالم الزاهد تاج السادة شرف الدين أبي عبدالله الحسين بن الهادي بن رسول الله صلى الله عليه وآله - أعز الله رايته - حين سيره وخيره ، وشاهد منظره ومخبره ، وعرف فيما لم يعاين خبره ، ألفاه سهماً في النفاذ والمضاء ، شهما في أبواب الخلافة والقضاء ، مستقلاً منه بالأعباء مستقبلاً بين الألباء ، خليقاً بأسباب الكفاية ، حميداً في الورع والرعاية ، مستخلصاً لما يناط برأيه من الولاية ، شهيراً بالتوقي والوقاية ، حازماً في الأمور ، جازماً بين الجمهور ، بصيراً بطرائق الشرع ، خبيراً بعلائق الأصل والفرع ، نقياً من الأوهام والريب ، زكياً في أقسام الرتب ، ناشئاً على المجد^(١) والرشاد ، كافياً للاجتهاد والاحتشاد ، بريء الساحة من المقابح ، نقي الراحة من الفواضح ، نزه النفس من الأدناس بعيد الهمة عن هذه الأجناس ، وولاه وفوض إليه الخلافة والقضاء ما بين مكة إلى عدن ، وسائر نواحي اليمن الأقصى قضبتها ومخاليفها ، مدنها وبواديها ومن بلغه الخبر في

(١) في (أ) : المحمدة .

ناديها^(١) يَنْفُذُ أمره ما بين أهالي هذه البقاع، ويمضي على من يتحاكم إليه من أهل هذه الأصقاع، وألقى إليه^(٢) مقاليد الخلافة والأحكام، وقلّده أمر النقض والإبرام، ليَقْضِي فيما بينهم بالحق، وينظر في أحوالهم متحرراً للصدق، فإن قبلوا فقد اهتدوا، وإن تولّوا فإنما عليك البلاغ، والله بصيرٌ بالعباد .

وَأَمْرُهُ^(٣) أن يستشعر طاعة الله وتقواه، ويؤثر مراده ورضاه، فيما أعلن من أمره وأخفاه، وأن يدرع درع طاعته كنه قدرته واستطاعته، وأن يستخيره فيما يختاره ويمضيه، ويستجيره فيما يجيزه ويقضيه، وأن يعتصم به في إقامة حقّه، ويتوكّل عليه في جُلِّ أمره ودقّه وأن يستمدّ معونته، ويطلب معونته ويفزع إليه فيما ينوبه وينويه، ويعتمد عليه فيما يذرّه ويأتيه، فالتقوى طريق الإسلام والاستسلام والاعتصام بتخير الأعلام والاستعلام، والاستخارة قوام ما يقترن به الإيثار، وربك يخلق ما يشاء ويختار، والتوكّل داعية الاستثبات والانتظام، والاضطلاع بالأمر العظام، فعليه توكلوا إن كنتم مؤمنين .

وَأَمْرُهُ أن يسلك طريقة العدل والإنصاف، ويترك سبيل العسف والإجحاف، وأن لا يصل^(٤) من وليّ هداة، وأن يسوّي في الحكم بين أوليائه وعداءه، وألا يتخطى الحقّ ولا يتعدّاه، بل يحكم بالسوية، ويقضي بعدل فيما يبرم ويمضي، كيلا يلحقه استرابة، ولا ينسب إليه معابة، وأن يسوّي بين الخصمين في لحظه ولفظه، وقوله وفعله، بين القوي والضعيف، بحيث لا يكون عنده أقوى من الضعيف حتى يأخذ الحق له، ولا أضعف من القوي حتى يأخذ الحق منه .

(١) في (أ): تهاديها .

(٢) في (أ): عليه .

(٣) في (أ): وأمره .

(٤) في (أ): وأن لا يضل .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَمْنَعَ التَّهَارِجَ وَالْحَيْفَ، وَالتَّلَاحِي فِي لَمٍ وَكَيْفٍ، وَأَنْ لَا يُفْضَلَ فِيهِ شَرِيفاً عَلَى مَشْرُوفٍ، وَلَا يُنْقَصَ مَنُكُوراً عَنْ مَعْرُوفٍ، وَلَا يَزِيدَ غَنِيّاً عَلَى فَقِيرٍ، وَلَا قُوَّةً عَلَى كَسِيرٍ؛ مَا جَمَعَهُمَا التَّخَاصُمُ وَضَمَّهُمَا التَّحَاكُمُ، وَأَنْ يَمِيلَ مَعَ الْحَقِّ حَيْثُ مَالٌ، وَلَا يَدَعِ التَّعْدِيلَ وَالْإِعْتِدَالَ، بَلْ يَحِقُّ الْحَقُّ وَيَبْطُلُ الْبَاطِلُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ، وَأَنْ لَا يَتَعْصَبَ فِي الْمَذْهَبِ عِنْدَ الْحُكْمِ لِمَنْ يُوَافِقُ، وَلَا يَتَعْصَبَ لِخِلَافٍ مِنْ يَخَالِفُ، وَأَنْ لَا يَغْتَرَّ بِصَرَخِ الضَّغْفَاءِ وَبِكَاهِمِ وَلَا بِصِيَاغِ الْفُقَرَاءِ وَاشْتِكَائِهِمْ، فَكَمْ مِنْ خَوْنَةٍ يُشْكِكُونَ وَيَشْكُونَ، كَمَا جَاؤُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ، يَعْتَدُونَ سِرّاً وَيَسْتَعْدُونَ عَلَانِيَةً، وَيَعْتَدُونَ بِالْوَهْمِ الْبَعُوضِ سَانِيَةً^(١)، وَأَنْ يَتَّبِعَ الرَّأْيَ الصَّائِبَ الْوَثِيقَ، وَيَحْذَرُ الْأَدْعِيَةَ الَّتِي تَدْعَى الْمُنْجَنِيْقَ، فَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ وَإِنْ تَرَخَتْ عَنْهُ الْإِجَابَةُ، وَالظَّلْمُ مَطْعَمُهُ وَخِيمٌ وَمَرْتَعُهُ ذَمِيمٌ، وَأَقْبَحُ مَا يَكُونُ مِنَ الْقَادِرِ النَّبِيِّ، وَالْحَاكِمِ الْمُتَّصِفِ بِالتَّنْزِيهِ.

وَكُلُّ كَسُوفٍ فِي الدَّرَارِيِّ شَنِيعَةٌ وَلَكِنَّهُ فِي الشَّمْسِ وَالبَدْرِ أَشْنَعُ وَالخِلْفَاءُ وَالْقَضَاةُ كغَيْرِهِمْ مَسْئُولُونَ عَمَّا خُوِّلُوا، وَمَرْتَهَنُونَ بِمَا حَمَلُوا وَمَا خُوذُوا بِمَا حُمِّلُوا: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] وَلِيَعْلَمَ أَنَّهُ عَلَامُ الْغُيُوبِ، وَبِيَدِهِ أَزْمَةُ الْقُلُوبِ ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] يَبْصُرُ مَا كَدَرَ وَصَفَا، وَيَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، وَلَا يَضْمُرَنَّ لِأَحَدٍ ضِراً وَلَا يَضْمَنَنَّ عَنْ أَحَدٍ نَصراً^(٢) ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦]، ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: ٢٠].

(١) فِي (أ) : سَانِيَةً .

(٢) فِي (أ) : بَصِراً .

وَأَمْرُهُ بِتَقْدِيمِ الْحَجَجِ الْقَاطِعَةِ، وَالْبِرَاهِينَ السَّاطِعَةِ، فِيمَا يَسْتَنْبِطُ مِنْهُ الْعِلْمَ، وَيَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الْحُكْمَ، فَيَبْدَأُ بِأَعْلَاهَا طَبَقَةً، وَأَسْنَاهَا دَرَجَةً، وَأَسْبَقَهَا حِكْمَةً، وَهُوَ الْحَقُّ الْيَقِينُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، كِتَابُ اللَّهِ الْعَزِيزِ، وَحَرْزُهُ الْحَرِيزُ، الْهَادِي إِلَى الرَّشْدِ، وَالْمُنَادِي لَدَى الْحَشْدِ، وَالْحِجَّةُ فِي التَّعَرُّفِ وَالتَّعْرِيفِ، وَالْبَاقِي مَدَى^(١) التَّكْلِيفِ، الْمُنْجِي مِنَ الرَّدَى، وَالْمَرْجِي نَحْوَهُ الْهَدَى، وَالْمُصْبِحُ الْأَزْهَرُ، وَالصَّبَاحُ الْأَنْوَرُ، وَالْمَهِيحُ الْأَلْوَحُ، وَالْمُشْرَعُ الْأَرْوَحُ، وَالْعَهْدُ الَّذِي لَا يُفْسَخُ، وَالْقَصْدُ الَّذِي لَا يُنْسَخُ، وَالْمَتِينُ الَّذِي لَا يَتَضَعُّعُ، وَالْمَكِينُ الَّذِي لَا يَتَزَعَّزِعُ، تَجِدُ عِنْدَهُ الْيُمْنَ وَالْأَنْسَ، وَعَجَزَ عَنْهُ الْجَنُّ وَالْإِنْسُ، وَاتَّقَى عَنْهُ الْعَمَى وَاللَّبْسَ، وَسَكَنَ إِلَيْهِ اللَّبُّ وَالنَّفْسُ، شَفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهَدًى لِلْمُؤْمِنِينَ، فَمَهْمَا حَزَنَهُ مُشْكَلٌ، أَوْ دَهَاهُ حَكْمٌ مُعْضَلٌ، فَزَعَّ إِلَى نَصُوصِهِ، وَقَحَّصَ مَعْنَى عَمُومِهِ وَخُصُوصِهِ، وَاتَّمَرَ بِأَمْرِهِ، وَانْتَجَرَ عَنْ زَوَاجِرِهِ، وَقَامَ بِحُدُودِهِ، وَعَمِلَ بِعَهُودِهِ، وَلَمْ يَعُدَّهُ إِلَى مَا عَدَاهُ، مَا وَجَدَ فِيهِ نَصًّا أَوْ فُحْوَاهُ، فَهُوَ الْأَصْلُ لِمَا سِوَاهُ، لَا تَفْتَرِقُ مَبَانِيهِ، وَلَا تَخْتَلِفُ مَعَانِيهِ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وَأَمْرُهُ إِذَا أَعْوَزَهُ فِي هَذِهِ الْمِظَنَّةِ أَنْ يَتَطَلَّبَهُ فِيمَا يَتْلُوهُ مِنَ السَّنَةِ فَيَتَّخِذُهُ لِلْقَضَاءِ فَصَلًّا، سِوَاهُ ثَبَتَ قَوْلًا أَوْ فِعْلًا، فَهُوَ الْحِجَّةُ الثَّانِيَةُ لِلْقُرْآنِ، وَالْحِجَّةُ الثَّلَاثِيَّةُ لِلْفِرْقَانِ، وَالْمِضَاهِي لَهُ فِي الْحِجَّةِ وَإِنْ فَاضَلَهُ فِي الْبَهْجَةِ، وَالْمَدَانِي فِي الْإِيْجَازِ، وَإِنْ لَمْ يَبْلُغْ حَدَّ الْإِعْجَازِ، فَمَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهُوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحِيٌّ يُوحَى، إِذَا تَوَاتَرَ أَوْ جَبَّ الْعِلْمُ وَالْعَمَلُ، وَإِذَا تَقَاصَرَ قَرُوبِيٌّ بِطَرِيقِ الْآحَادِ لَزِمَ الْعَمَلُ. فَهَمَا فِي وَجُوبِ الْعَمَلِ سَيَّانٌ، وَإِنْ اخْتَبِرَ الظَّنُّ عِنْدَ الْآجَادِ، وَجَرَى التَّوَاتُرُ مَجْرَى الْعِيَانِ فِي الْفُؤَادِ، فَإِنْ تَعَارَضَ الْخَبْرَانِ، وَتَنَاقَضَ الْخَبْرَانِ، فَسَبِيلُ الْمُجْتَهِدِ أَنْ يَبْحَثَ عَنِ

(١) فِي (أ): بَقَاءٌ .

التاريخ، فإن وجد وإلا عمل على الترجيح، فيأخذ عند ذلك بالتحقيق، أو سلك طريقة التلفيق، إن رفع^(١) فيهما إلى المضيق أو يعدل إلى ما سواه من الدليل إن لم يتمكن من التأويل، ففي السنة الخروج من السنة إذا لم تكن الآية بالممكنة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] فسبيل المجتهدين فيه أن يتبهوا: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وأمره إذا أعوزه ما تعلق من هذين بالسَّماع إلى طلب شاهد الإجماع فالإجماع يجري بعد الكتاب والسنة للمتمسكين مجرى الجئنة، والطريقة الهادية إلى الجئنة، من حيث دلّ الأولان عليه، وأشار الأفضلان إليه، واعتمد المسلمون أولاً وآخرأ عليه، فمهما وجد في إجماع العترة مندوحة عما عداها، ساق مطية^(٢) الطلب إليه وحداها، فإن وجدهم موافقين لسائر الأمة كان المدار عليهم لجلاء الغمّة، وإن لم يجد لهم إجماعاً ولا للأمة، طلب الحق من أقوال ذي العصمة من الأئمة، فذلك يقوم مقام قول نبي الرحمة، وهم الوصي والسبطان، عليهم صلوات الملك الديان، وإليه أشار الرسول لمن سمعه حيث يقول: «علي مع الحق والحق معه» وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وكما قال تعالى لآل إبراهيم: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

وأمره إذا لم يجد شفاء الصدور في هذه الأساس، أن يفرع إلى الاستنباط والقياس، ويتأنق في ردّ الفروع إلى الأصول، ليظفر من الغرض بالمحصول، متخذاً فكره مطية الوصول، فما وجد له أصلاً عتيداً وركناً وطيداً وأساساً مهيداً

(١) في (أ): التلفيق، إن دفع .

(٢) في (أ): مظنة .

قريباً أم بعيداً أو شبيهاً مديداً. الحق به حكم الفرع، وقضى حقّ دلالة الشرع، وحقّق فيه تعليلاً، وعلى العلة دليلاً ثم عوّل عليه تعويلاً، فلا بد في كلّ حادثة من حجة، وإن كانت ربما وكجّت غموضاً في لجة، فيستدعي مثيراً ذكياً، و مستنبطاً ذكياً يلزم طريق التهذيب والتنقيح، ويُسرف على حقائق التشذيب والترجيح، ولا يهمل^(١) أقصى المطايا إلى الروايا، فعسى أن يتيح الله للحادثة وجهاً، لا يجد له في الوجوه شبيهاً مقوياً للظنّ المطلوب في الحكم المرغوب، هذا إذا لم يجد للإمام القاسم والإمام الهادي وابنيه عليهم السلام - عليه نصاً، بعد ما فحَصَ عنه فحَصاً، فإن وجد له نصاً صار إليه، وقصر حكمه عليه، وإن لم يجد له من النصّ ما يرجع إليه، والأقربُ إليه ما ينزل لديه ومال إلى سائر أقوال الأئمة إذ^(٢) كان الحق لا يخرج عن هذه الفرقة المهدية، وإنما يعدل إلى الاجتهاد إذا لم يجد شيئاً من هذه الأمّهات، وهي المتون والعيون: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وأمره أن لا يخل بمحاورات العلماء، ومناظرات الفقهاء، واستشارة البصراء واستشارة آراء النظراء، والتثبت في النظر والارتياح، غير متعسف عند الخفاء، ولا متوقّف عند انكشاف الغطاء، وتبيين الرشد من الغي، والصواب من الخطأ فالآراء مشتركة، والطرق مشتبكة، والمدار على ما يؤتبه الله من الذكاء، وجودة القريحة والسناء، ودراسة كتب الأجلاء دون الاتكال على تقليد الكبراء والاستنابة إلى أرباب الاسماء، والتوفيق من ربّ السماء، والتحقيق رائد الذكاء، والتدقيق والنظر سببُ النماء، والحقُّ للطالب بالهداء ما فرط الله في بيان الأشياء، ولا فرط فيه خاتم الانبياء، وإنما يؤتى المخطئ من متابعة الأهواء،

(١) في (أ): يهمل .

(٢) في (أ): إذا كان ذلك .

والاغترار بمتابعة السفهاء، والإعجاب بدعوى الكبرياء، والتنفق والتشوق بالرياء، واستبدال الظلام من الضياء، والرضى بسوء القضاء: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وأمْرُه برفع الحجاب، وقمع الهوى والإعجاب، والتثبّت في الجواب، وترك الإكرام والإعجاب، وفتح الباب للأجانب والأصحاب، وتمييز الخطأ من الصواب، وترك التضجر عند الاكتئاب، والملا من الإكثار والإطناب والإعراض عن تقديم الاغنياء وذوي الأخطار، والاحتساب على الفقرا والضعفاء والأذنب والتسوية بين الأعداء والأحباب: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَنْ لَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

وأمْرُه بنصح الخصمين إذا أحس منهما بالمين^(١)، وأن يوعد المتداعيين بسوء المغبة عند التزوير، ومحاسبة رب العزة بالنقير والقطمير، ويعذاب الله للظالمين والمنغمسين في الإثم باليمين، ويعظمهم بالحطمة عند طلب الحطام، وبالقارعة عند القراع واللطم، وبالساعة عند ابتلاع الوساعة، وبالأزفة عند الأيمان العاسفة، وبالنار عند اختيارهم لها على الشنار، وبالأغلال عند الفرية والاعتلال، وبالموازين القسط لمن قصد وجار عن الاعتدال، وبالأنكال والجحيم لمن نكل عن الصديق القويم، وبالزقوم والحميم لمن مال عن الحق للصديق الحميم، وبإنطاق الجوارح من ذب عن الجناح الجارح: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ

(١) المين : الكذب .

وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ [النور: ٢٤] .

وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَلْقَنَّ أَحَدَ الْخَصْمِينَ الْحِجَّةَ وَلَا يُمْكِنُ الْوَكَلَاءَ مِنَ الْمَعَاوَنِ لِحِجَّةٍ ،
أَوْ يَسْلُطُوا عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمَا سَخِطَةً أَوْ ضِجَّةً ، أَوْ يَرْتَشُوا فَيَتْرَكُوا لِأَجْلِ النِّفْعِ
مُحِجَّةً ، وَيَعْلُوا فِي سُومِ الْوَكَالَةِ فَيَصْدُوا عَنْ طَلْبِ الْحَقِّ بِمَا يَشْعُرُونَ مِنَ
الْجُعَالَةِ ، وَرِيْمَا أَوْ فِي أَجْرِ الْوَكِيلِ عَلَى مَا يَدْعِي مِنَ الْقَلِيلِ ، فَيَضْطَرُّ النَّاسُ إِلَى تَرْكِ
الْحَقِّ حَذْرًا مِمَّا يَشَاقِقُهُ مِنَ الْحَقِّ .

وَأَمْرُهُ بِأَنْ يَهْمَلَ عِنْدَ عَرْضِ الْيَمِينِ عَنْ مُنْكَرِ الْمَالِ رِيثَ اشْتِغَالِهِ بِالْبَحْثِ
عَنْ جُورِ الْيَمِينِ وَالسُّؤَالِ ، فَرِيْمَا شَكَّ الْحَافِ فِي كَيْفِيَّةِ الْحَالِ وَالْقَبْضِ عَنْ كَشْفِ
الْقِنَاعِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ فَرَعَا مِنْ تَعْجَلِ الْخَصْمِ لِلانْتِقَامِ ، وَرِيْمَا خَافَ ذَا الْجَلَالِ
وَالْإِكْرَامِ ، فَيُرِيدُ أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقَةَ التَّحْرِجِ عَنِ الْإِقْسَامِ ، وَالتَّوَرُّعِ عَنْ طَلْبِ الْحَرَامِ ،
فَلَا يُضِيقُ عَلَيْهِ لِيَمَيِّزَ جَائِزَ الْإِقْدَامِ مِنْ مَحْظُورِ الْإِحْجَامِ إِلَى أَنْحَاءِ ذَلِكَ مِنْ
أَغْرَاضِ الْأَنَامِ ، وَهَكَذَا يَتَّهَبُ فِي تَعْدِيلِ الشُّهُودِ وَجِرْحِهِمْ وَقَبُولِهِمْ وَطَرْحِهِمْ
وَاخْتِيَارِ الصَّالِحِينَ مِنَ الْمَزْكِيِّينَ وَالْجَارِحِينَ ، فَقَدْ كَثُرَ فِي هَذَا الْبَابِ التَّدْلِيْسُ ،
وَعَظَمَ التَّجْوِيزُ وَالتَّلْبِيْسُ ، وَقَلَّ الصَّدْقُ فِي النَّاسِ وَالْأَمَانَةُ ، وَفَشَى الطَّمَعُ
وَالْكَذِبُ وَالْمِينُ وَالْخِيَانَةُ ، وَأَخْلَقَ فِي أَعْيُنِ الْأَكْثَرِينَ التَّيْدِينَ وَالصِّيَانَةَ ، وَنَدَرَ
التَّعَفُّفَ الْحَقِيقِيَّ وَالذِّيَانَ ، وَصَارَتِ الشَّهَادَةُ صِنَاعَةً وَحِرْفَةً ، وَالْأَمَانَةُ وَالتَّوَرُّعُ
طَرْفَةً ، يَسْتَأْكُلُونَ بِالْأَكَاذِيْبِ ، وَيَلْبَسُونَ مَسُوكَ الشِّيَاءِ فَوْقَ قَلْبِ الذِّيْبِ ، يَرَاءُونَ
النَّاسَ وَلَا يَخَافُونَ الْبَاسَ ، يَحْتَالُونَ طَوِيلًا وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ
مَعْدَلًا وَلَا مَعْدَلًا وَلَا مَزْكِيًا مَعُوَّلًا بِأَشْرَ بِنَفْسِهِ الْفَحْصَ عَنِ الْأَحْوَالِ لِيَسْتَبِينَ
الصُّوَابَ مِنَ الْمَحَالِ ، فَمَا وَثِقَ بِهِ مِنْ أَخْبَارِ الرِّجَالِ مَجَانِبًا طَرِيقَةَ الاسْتَعْجَالِ ، وَمَا
فَلَقَ الظَّنَّ فِيهِ تَرْتَبٌ وَتَثَبٌ ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ قَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا
بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦] ، وَيَقْدَمُ لِلشُّهُودِ

أيضا عظمات ولا يدع الوكلاء يلقنوهم لفظات ، فالعامة عمي عن مرشد الحق ،
 بكم عن مواقف الصريح من الصدق ، والوكيل يجعل الكودن^(١) جواداً لتجلده ،
 وبصير البليد ذكياً مع تبلده ، ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾
 [النور: ١٥] فإن عشر على شاهد زور تعمده ، بالغ في زجره ، وأوعز إلى الناس
 بهجره ، وشهر إلى الناس حال إفكه وهجره ، ومتى رجع عن شهادته ضمنه ما
 يلزمه بحكم الشرع بعد مبالغته في الزجر والردع ، وإن عشر من المزكي على
 مسامحة وتسمح ومساهلة عزله أوحى عزل ، وعذله أدهى عدل ، وكشف للناس
 قناع مخازيه ، فالله معاقبه ومجازيه ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾
 [يونس: ٨١] .

وَأَمْرُهُ بَمَنْ لَمْ يَصِلْ إِلَى مَجْلِسِهِ مِمَّنْ نَتَا مِنْ أَقْطَارِ وَلَايَتِهِ أَنْ يَسْتَخْلَفَ مِنْ يَثِقَ
 باستقلاله وكفياته وورعه ورعايته في تنفيذ الأحكام ، ويحكم بما يحكم به سائر
 الحكام ، ويعينه على الحكم بين أولئك الإخوان ، فإنما الدين بالأعوان ، وأن يؤدي
 إلى المصلحين عند طلبهم الصلح ليكون أدنى إلى الفلاح والنجاح ﴿ وَإِنْ
 تَصَلَّحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ [النساء: ١٢٩] .

وَأَمْرُهُ بِحِفْظِ أَمْوَالِ الْيَتَامَى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النُّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ
 رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء: ٦] ، فإن لم تؤنسوا الرشد توقع أن
 يصلح الله تعالى حالهم ، ويتقدم إلى من ينصبه من ثقات الأوصياء ، ومن ثبته الله
 من الأولياء كالأجداد والآباء للمنقصي^(٢) العقول والقاصرين عن المعقول أن
 يجرؤا على حكم الشفقة ؛ لئلا يذهب رأس المال بالنفقة ، وينصب على من يتهم
 مشرفاً يراعي دخلهم ، ويستدرك إن جادلوا دغلهم . وأن يعرف من جنف

(١) الكودن : الفرس الهجين .

(٢) في (ب) : المنتقسي .

والتوى؛ لثلا يلحق بالمال التواء؛ وثلثا يأكله الولي والوصي، كما يأكله القصي
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا
وَسَيَصْلُونَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وأمره بإنكاح الأيامي عند فقد الأولياء أو عضلهم إياهم عن الأكفاء أو
غيبتهم عن الأقرباء عند اجتماع الشرائط وانتقال الولاية، وحصول الكفاءة
والرغبة في الكفاية، الإمام ولي من لا ولي له؛ فإذا حصلت الشروط ﴿فَلَا
تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾
[البقرة: ٢٣٢]، بعد أن تعلموا انتفاء موانع النكاح، فإذا كملت الأسباب وخطبهن
الخطاب ﴿وَانكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا
فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

وأمره إذا عثر على أموال المصالح والمستهلكات، والمنارات والمستدركات
أن يضبطها أحسن ضبط، ويقف منها عند أبين شرط إلى بيت مال المسلمين، فقد
كفاه الله القيام بأسبهاها وأباح له كف الإمامة في غابها: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ
وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، ﴿فَقَدْ
آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

وأمره أن يرتاد لحفظ الوثائق والسجلات من الحجج والبيئات من أحاط
علمه باحتياطه، وأمن زلل غلظه واختباطه، ووثق بعفافه عن المطامع الدنية، وكفّه
عن المطامع الرديّة، وتيقظه عن الغفلة والسهو، وتحرّزه من الغلط واللهو، فتلك
الحجج هي المفزع للناسين، والمرجع للساھين، فما حفظ مرّ وما كتب قرّ والقيم بها
قائم بين الإثم والعار وبين الجنة والنار، ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [ثمود: ١١٣].

وأمره بتأديب من يستحق التأديب والتعزير، وحبس من يستحق الحبس
والتسخير، وأن لا يخلي سرية إلا برضى صاحبها دون شفاعة أحد من الخلق،

والتوكيل لمن يرى التوكيل والتنكيل لمن يستاهل التنكيل ، وبأخذ من يطلب الكفيل ، ويضيق على من يلزمه الإرهاق والتضييق ، ويخفف من يحق له التخفيف والترقيق ، فإن ظهر إفسار المحبوس : ﴿ فَنظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٠] .

وَأَمْرُهُ أَنْ يَتَخَيَّرَ الْأَوْقَافَ عِنْدَ فَقْدِ مَنْ وُلَاهُ الْوَاقِفُونَ أَوْ خِيَانَتِهِمْ مِنْ يَثِقُ بِأَمَانَتِهِمْ ، فَيُولِيهِمْ أَمْرَهَا ، وَيَتَعَرَّفُ كُلَّ حِينٍ خَبْرَهَا ؛ فَإِنْ وَجَدَ عَلَى طَرِيقِ النِّصْفَةِ قَرَّرَهَا فِي يَدِهِ ، وَإِنْ مَالَ إِلَى الْمَعْسِفَةِ سَعَى فِي إِصْلَاحِ أَوْدِهِ ، أَوْ صَرَفَهُ عَنْ عُنْدِهِ ، فَالْأَوْقَافُ صَدَقَاتٌ لَا يَصْلِحُ لِإِمْسَاكِهَا إِلَّا الصَّادِقُونَ ، وَلَا يُعْزَلُ^(١) عَنْهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾ [النحل: ١٢٨] .

وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَسْتَكْتَبَ إِلَّا مَنْ كَانَتْ مَعَارِفُهُ قَوِيَّةً وَبَصَائِرُهُ سَوِيَّةً وَدِيَانَتُهُ قَوِيَّةً وَإِصَابَتُهُ عَزِيمَةً وَمَطَامَعُهُ كَرِيمَةً دُونَ مَنْ يَفْتَرُ عَنِ الْجَشْعِ ، أَوْ يَغْتَرُّ عَنِ الطَّمَعِ .
وَأَمْرُهُ بِأَنْ يَقَرَّرَ حُكُومَاتُ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنْ قِضَاةِ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لِشَيْءٍ مِنْهَا بِالتَّغْيِيرِ وَالْفَسْخِ ، وَالتَّبْدِيلِ وَالنَّسْخِ ، مَا لَمْ يَخَالَفْ نَصًّا مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَقْطُوعًا أَوْ إِجْمَاعًا قَدْ خَالَفُوهُ مَفْرَقًا أَوْ مَجْمُوعًا ، حِينَئِذٍ يَدْفَعُ عَنْهُ مَا كَانَ مَدْفُوعًا ، وَيَرْفَعُ مَا صَارَ مَرْفُوعًا ، مَنْ تَعَرَّضَ لِحُكْمٍ مِنْ قَبْلِهِ بِالنَّقْضِ مِنْ غَيْرِ حُجَّةٍ دَاعِيَةٍ إِلَى الدَّحْضِ ، فليُوْطِنْ نَفْسَهُ عَلَى مِثْلِ صَنْيعِهِ ، وَلْيَرُضْ بِمِثْلِ تَقْطِيعِهِ ، وَكَمَنْ يُوْذَنُ بِالنَّقْضِ إِلَى يَوْمِ فَصْلِ الْقِضَاءِ ، فَالاجْتِهَادُ لَا يَنْقُضُ بِالاجْتِهَادِ ، وَالظَّنُّ لَا يَتَعَرَّضُ عَلَى الظَّنِّ الْوَاقِعِ بِالإِشْهَادِ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴾ [المدثر: ٣٨-٣٩] .

هذا ما عهد الإمام الحق أبو طالب يحيى بن أحمد بن الحسين الهاروني

(١) في (أ): يعتزل .

الحسني إلى السيد الأجل العالم الزاهد تاج السادة شرف الدين أبي عبدالله الحسين ابن الهادي بن رسول الله ﷺ وأمه أعز الله رايته، ولأه اليمن سهولها وجبالها وما تضمنه من أعمالها وما والاها، ولأه أمرها، ونفذ في جميع فعله وقوله وعقده وحله وتولية من شاء من خلفائه فيها وعزله سوى من اخترناه قبل ذلك بالإمارة، وسبقت منا إليه الإشارة، فإنه يجري على طريقته، وينفذ أمره على سنته وسيرته بمشورة السيد الأجل العالم الزاهد تاج السادة شرف الدين أدام الله عزه في قليل أمره وكثيره، ثم فلو تغير عما كان قلبه وتبدل عما كان عليه قوله أو فعله فليئنه إلينا خبره، ويبين لنا أمره وعذره لتنظر فيه كيف تعملون، فليتقلد ما قلده إياه، وليرع ما استرعاه، وليع من شرائط ما فصله في هذا العقد واستوعاه، وما بصره فيه من سبيل الرشد وهده، وليحذر مخالفة ما أمره به من أولى هذه العهدة إلى آخرها، فقد فصلها وأجرها، وليخف الله جل ثناؤه في العدول عن العدل والوقوف عن الخذل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] وليستعن بالله يعنه، وليسترعه يره ويؤمئه، وليتوكل عليه يزد، وليسترشده يرشده: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣] وسبيل رعايانا أن يجيبوا أمره ولا يعصوه ويعضدوه وينصروه، ويأتمروا بأمره، وينزجروا بزواجره ما أطاع الله ورسوله، فإن خالف الحق فارفضوه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّنْتَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرْتَ طَائِفَةٌ فَأَيْدِنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَاصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

أيها الناس من أطاعه فقد أطاعنا ، ومن أطاعنا فقد أطاع الله ورسوله ، ومن عصاه فقد عصانا ومن عصانا فقد عصى الله ورسوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

فليعلم إخواننا حفظهم الله تعالى أن مولدنا في ديلمان ، ومنشأنا بين جيلان وطبرستان والعراق وخراسان ، وأهل هؤلاء البلدان ليسوا من أهل اللسان والبيان بل عجم بكم عن العربية ، ولسان العجم لا شك عجمية ، وأدباء العجم وإن بلغوا في الفصاحة الشريا فلا تلحق فرسهم فرس العرب العرباء ولا سيما وقعت بين الخطتين وقائع بين الجمرتين سراً وجهاراً ليلاً ونهاراً ، إلى أن فرغ إلى تهذيب الكتاب وإلى ترتيب الخطاب فما وقع بالكتاب من الخلل وبالكتابة من الزلل من هاتين الجهتين فأنا معذور والله غفور شكور .

مركز تحقيق وتصحيح نصوص التراث الإسلامي

الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام^(١)

هو أبو الحسن أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام^(٢) .
وآبؤه عليه السلام من الصفوة الأكارم ، والخيرة من الأعراب والأعاجم ، مناقبهم شهيرة ، وفضائلهم كثيرة ، ورياض فضلهم مفترية الأزهار ، وفوائد علمهم حلوة الثمار ، وما عسى أن يقول فيهم المادح وإن أكثر ، وقد أثنى عليهم الملك الأكبر ، ورسوله المصطفى الأطهر ، غير أن لذكرهم في اللسان حلاوة ، وعلى الكلام بمدحهم طلاوة ، ولله القائل :

قوم إذا املوح الرجال على أفواه من ذاق طعمهم عذبوا
أنوار الهداية إذا اعتكست دياجير ظلم الإشكال ، وشموس الهدى الكاشفة
لخنادس الضلال ، وما أجدرهم بقول من قال :

متى يشتجر قوم يقل سرواتهم هم بيننا فهم رضى وهم عدل
هم جددوا أحكام كل مضلة^(٣) من الحكم لا يلقي لأحكامهم فصل
وأمه عليها السلام : الشريفة الفاضلة مليكة بنت عبدالله بن القاسم بن أحمد بن أبي البركات ، واسمه إسماعيل بن أحمد بن القاسم بن محمد بن القاسم بن

(١) تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ١/ ٥٥١ ، التحف شرح الزلف ٢٣١ ، بلوغ المرام ٣٩ وتاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ١٩٣ ، طبقات الزيدية الكبرى ١/ ١٣٢ ، الشافي ١/ ٣٤٢ ، غاية الأمان في أخبار القطر اليماني ١/ ٢٩٦ ، أعلام المؤلفين الزيدية ١١٤ ترجمة ٨٥ ، اللآلئ المضيئة «خ» ، الأعلام للزركلي ١/ ١٣٢ ، انحف المهتدين ٥٦ ، مطمح الآمال ٢٤٣ ، أئمة اليمن ١٤ ، معجم المؤلفين ١/ ١٤٦ .

(٢) الشافي ١/ ٣٤٢ ، التحف ٢٣١ ، طبقات الزيدية الكبرى ١/ ١٣٢ .

(٣) في (ج) فضيلة

إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

وكان أبوه سليمان بن محمد من عباد الله الصالحين ، بل كان يصلح للإمامة ويرجا منه القيام بنصرة الدين الحنيف ، فرأى في حال حمل امرأته بولده الإمام عليه السلام أن قائلا يقول :

بشراك يا ابن الطهر من هاشم بما جدد دولته محمد
بأحمد المنصور من مثله بورك فيمن إسمه أحمد^(١)
وأما جده المطهر بن علي بن الناصر عليهم السلام فإنه كان عالما مصنفًا له
التصانيف في الشريعة على مذهب جده الهادي إلى الحق عليه السلام ، وخرج على
مذهب الهادي أشياء كثيرة ، من جملتها : أن الترتيب بين اليدين والرجلين في
الوضوء لا يجب .

وكان شاعرا فصيحًا فمما يروى له عليه السلام :

لحاني في الهوى لاح نصوح فغالب مقودي رأس جموح
فقلت له وفي الخسدين مني خدود خدها الدمع السفوح
أتطمع أن تريع إلى سلو وأن ينسى النوى قلب جريح
بروحي من برى روحي فأعجب بروح كيف منه ذاب روح
سأركب كل هول أو أراني أميح ولا أراني أستميح
ولا ألوي على وطن فتضحى مذلته على خدي تلوح
فسح في الأرض وأطلب المعالي فكم من سيد فيها يسح
فلولا أن فيمن ساح خيراً يفوز به لما ساح المسيح

وتوفي عليه السلام بذي جبلة سنة خمس عشرة وأربع مائة .

(١) الشافعي ١/ ٣٤٣ ، التحف ٢٣٢ .

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام

نشأ عليه السلام على طريقة آبائه الأطهار ، وسلفه الأخيار ، جامعاً بين العلم والعمل ، ولم يزل عليه السلام مقتبساً من أنواع العلوم حتى برز في ميدانها ، ووقف على غامض بيانها ، وكان في كل فن منها بالغاً مداه ، لا يفيل الخصم شباه ، ولا يلحق منتهاه ، درس في الأصولين على الفقيه العالم فخرالدين زيد بن الحسن ابن علي الخراساني البيهقي الوارد إلى اليمن باستدعاء السيد الإمام العالم علي بن عيسى بن حمزة بن وهّاس الحسيني السليماني رحمة الله عليه ورضوانه سنة أربعين وخمسائة ، وأتى هذا الفقيه رحمه الله من بلاد بيهق وخراسان لما بلغه ظهور مذاهب المطرفية ، وأنهم يعتزون إلى أهل البيت عليهم السلام ، وفي حق الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام ، ولحقته المشاق الشديدة ، ونُهبَ أكثر كتبه بين المدينة ومكة .

وأخبرنا الفقيه جمال الدين عمران بن الحسن عليه السلام قال أخبرنا الثقات من أهل البيت عليهم السلام : أنه دفن في مفازة - لا ماء فيها - في تهامة ؛ فأحدث الله تعالى بعد دفنه فيها الماء إلى الآن ، وهو في موضع يعرف بالقباس كثيب بجنب البحرين عتود وعوان . ودرس على الفقيه السيد العالم الفاضل الحسن بن محمد من ولد المرتضى عليه السلام ، ذكر الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام : أنه كان يستملي وهو ينسخ من كتاب ستة أسطر مرة واحدة .

ودرس على الفقيه عبدالله العنسي اليماني الواصل من جهة الجليل والديلم بعلوم أهل البيت عليهم السلام سنة إحدى وخمسائة ، وعلى الشيخ العالم إسحاق بن أحمد بن عبدالباعث رحمه الله ، هؤلاء من مشائخ الزيدية ، وإسحاق هذا وأبوه في نهاية العلم مصنف كبير ، صنف على المطرفية ، ولقي

إسحاقُ الحاكمُ الإمامُ شيخُ الإسلامِ أباسعدُ رحمه الله سنة إحدى وثمانين وأربعمائة^(١) .

وله عليه السلام تصانيفٌ جمّةٌ في الأصول والفروع ، وكانت له درايةٌ واسعةٌ ومعرفةٌ ثاقبةٌ بالمقالات ، ومن نظر في تصانيفه على المطرفية علم صحة ما قلنا ، من ذلك كتابُ الرسالة الهاشمية لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال ، ومن ذلك كتابُ الرسالة الواضحة الصادقة في تبين ارتداد الفرقة المارقة المطرفية الطبيعية الزنادقة ، فإنه جمع فيها بين المطرفية وبين كل فرقة من فرق الضلال من أهل القبلة وغيرهم من الخارجين عن الملة ، وذكر أقوالاً تفردوا بها عن جميع الأمم موحدها وملحدها . وله كتابُ الحقائق في أصول الدين ، والمدخل في أصول الفقه ، وله كتابُ الحكمة الدريّة والدلالة النورية ، شرح فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام . وله في الأحاديث الفقهية كتابُ أصول الأحكام في الحلال والحرام وهو متضمن لثلاثة آلاف حديثٍ ويزيد على ذلك قدر ثلاثمائة وكسر ، وفيه علمٌ حسنٌ يدل على تبحره في علم الشريعة ، وذكر فيه فوائد الأخبار ، وسلك فيه طريقة الترجيح لمذهب الهادي إلى الحق عليه السلام على مذاهب فقهاء العامة^(٢) .

وكان عليه السلام حلو المراجعة ، حسن المخاطبة والمكاتبة ، ومن محاسن كلامه عليه السلام مخاطبةٌ دارت بينه وبين السلطان حاتم بن أحمد ، وذلك أن حاتم بن أحمد طلب الدخول في طاعته والإقبال إليه ، فلم يقبل منه عليه السلام لأمر قد كان عرفها منه ، فرد حاتم بن أحمد كلاماً جافياً ، فرد عليه الإمام في كلام له يقول فيه : إنه طيب ولم ينتفع بطبه ، وعاقل ولم ينتفع بعقله ، ومعه داء لا دواء له ، فرد عليه

(١) طبقات الزيدية الكبرى ١/ ١٣٣ .

(٢) التحف ٢٣٣ .

كلاماً ، وتمثل فيه بقول المتنبّي^(١) :

كدعواك كل يدعي صحة العقل ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل
فرد عليه الإمام عليه السلام :

إذا كنت لا تدري بما فيك من جهل فذاك إذا جهل مضاف إلى جهل
ولم أنتحل ما ليس فيّ وإنما مقالتي حق قد يصدقه فعلي
ومن جحد الرحمن والرسول لم يكن بمعترف يوماً بحق بني الرسل
وكل عباد الله غيرك عارف بما فيّ من أصل شريف ومن فضل
فرد عليه كلاماً فيه بيتا شعر يقول فيهما :

لنا النهي فيما حرم الله والزجر وليس لكم نهى هناك ولا أمر
فلا زال ذا فينا وذلك فيكم مدا الدهر حتى يأتي الحشر والنشر
فأجابه الإمام عليه السلام بكتاب تمثل في أوله بيت شعر يقول فيه :
لا افتخار إلا لمن لا يضام مدرك أو محارب لا ينام
بسم الله الرحمن الرحيم

حمدت من أنطق الفيلسوف بذكره وحمده ، وإن كان مبطناً من ذلك
بخلافه وضده ؛ لأنه سلك في مبتدأ كتابه طريقة محمودة ، لو أتمها ، قدّم الجفاء
والمشاقمة ، ثم عاد إليها فتعدّى الحدود المضروبة :

جرى ما جراً حتى إذا قيل سابق تلاحقه عرق الحران فبلداً
فرجع إلى عادته من سلاطة اللسان ، والسلاطة آفة الإنسان ، فكان مثله
كمثل صاحب المارستان^(٢) ، ولا لوم لأنه مضى يوم دخلنا عليه صنعاء يعرض لب

(١) أنظر طبقات الزيدية الكبرى ١/ ١٣٤ .

(٢) في (أ) المارسان .

فؤاده ، ومضى بعضه يوم الشرزة ، فبقي بلا لب إلا ما يتكلفه ، وأما ما ذكره في
الذين قال إنهم قد كفوه مؤنة الهجاء ، فقد هُجِيَ رسول الله ﷺ هجاء ابن
عمه أبو سفيان بن الحارث فرد عليه حسان بن ثابت :

هجوت محمدا فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفوء فشرُّكمما خيِّر كما الفداء
وما مثله هو وهم إلا مثل البعوضة لا يدري الإنسان منها إلا طنينها مع أذنيه
فإذا طلبها لم يجدها ، وقد بلغت مكروهه ومكروه غيره بحمد الله تعالى :

إذا شئت أرغمت العدو ولم أبت أقلب فكري في وجوه المكائد
وقد هجانا أخوه الذي مات طريداً لنا فتاب عنا بعض شيعتنا فقال :

لو سار ألف مدجج ليحل في عمران غير إمامنا لم يقدر
تلك الشجاعة لا شجاعة معشر مثل العجائز في ظلال المنظر
وأما قوله : لهم النهي فيما حرم الله والزجر ، فعمل ذلك النهي والزجر
على الكلاب ، والله ما عرفت لهم سابقة في الجاهلية ولا في الإسلام ، كان أول
من تَسَلَطَنَ منهم حاتم بن الغشم ؛ وذلك أنه سرق السلطنة من آل الصليحي ،
وذلك أنه أسلفهم مالا جمعه معهم ، فأعطاه (١) المكرم حلقة فسرق بسبب الحلقة
عدن ، فتبعه المكرم إلى عدن فخالفه إلى صنعاء ، فتبعه إلى صنعاء فهرب إلى
براش كما فعل هو ، وكذلك كانت صنعاء لآل القبيب ، وهو مشتغل في المنظر
بالطب والتنجيم واللعب بالكلاب ، ثم افترق آل القبيب وقتل بعضهم بعضا ،
فخالفهما عليها ولم يكن لأبيه ولا لجدّه . وأما قوله : إنه لا يحسن للرجل أن
يمدح نفسه وإن أحسن المدح ما يقربُه الضدُّ لُضدّه ، فلا يعلم اليوم أكثر عداوة
منه لنا فقد شهد لنا بالإمامة والوفاء والزعامة فقال فينا :

(١) في (ب) وأعطاه .

رأيت إماماً لم ير الناس مثله أبرُّ وأوفى للطريد المشرد
 عفاً ووفاً حتى كأنني عنده أخ أوحميم لست عنه بمبعد
 وقال أيضاً أخوه أسعد في شعره :
 ملكت فأسجح منعماً يا ابن فاطم وشيد مباني هاشم ذي المكارم
 إلى قوله :

فإن كنت قد بلَّغْتَ عني مقالة فقد تبت يا مولاي توبة نادم
 وعماً قليل يقول كما قال أخوه ، ويفرح أن يرجع إلى ما كان عليه أبوه ،
 وقوله : لا يحسن للرجل العاقل أن يمدح نفسه ، وقد حكى الله عن يوسف عليه السلام
 أنه قال : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة يوسف :
 ٥٥] ، وقال الله عزوجل : ﴿ وَلَمَنْ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ
 سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾
 [الشورى : ٤١-٤٢] الآية . وقوله : إني طالب دنيا ، وقوله هذا طار وهذا فلت ،
 ولذتي في دنياي قتاله وقتال أمثاله من أعداء الله ، وقد نَفَّصْتُ عليه وعلى غيره
 من أهل الدنيا دنياهم في كل ناحية ، ولي اليوم نيفٌ وعشرون سنة ، كلما فرغت
 من حرب قوم من الظالمين قمت في حرب آخرين من أعداء رب العالمين ، وإني
 لأبرح كذلك حتى أموت .

وأما قوله : إني كفيته ذمَّ نفسي بأني له داء لا دواء له ، ونعلم أن الداء
 الذي لا دواء له هو الموت ، وأنا له كذلك إن شاء الله تعالى ، وقد قال رسول الله
ﷺ : (نحن السُّمُّ فمن شاء فليستم ، ونحن الشمُّ فمن شاء فليشتم) ، وإن له داء
 ولضدُّه دواء ، فليعلم ذلك والسلام ، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم .
 وكان ﷺ كثير العبادة ، حسن الزهادة ، وله في هذا المعنى قصيدته
 المشهورة :

دعيني أظفي عبزتي ما بداليا
لعل البكى يشفي من الوجد بعضه
وأشفي غليلا في فؤادي بالبكي
ولن يسلم المحزون من غصة القضاء
فقد مات همّامٌ لوعظ إمامه
وليس عجيبا إن بكيت ولو دما
وقدما بكى قبلي رجال تذكروا
ويوماً^(١) محته الذاريات وأشعثا
فلم لا إذا أبكي على ما جنت يدي
فهل من مداو للذنوب من الملا
وهل لقروح في فؤادي مرهم
وليس للذنب من مداو سوى البكي
هبيني نسيت الموت والبعث فينة^(٢)
ألم أعتبر نفسي ونقصان قوتي
وكنت امرأة إذا قوة في شبيبتي
وبدلت نقصانا بدا في جوارحي
فيا عجبا من غافل غير عاقل
ويعمر ما قد خرب الدهر قبله
ومن هرم يزداد ضعفا وذلة

وأبكي ذنوبي اليوم إن كنت باكيا
إذا لم يكن للكل من ذلك شافيا
ولو قال جهال من الناس ما ليا
إذا كانت الأحزان تبقى كما هيا
وصادف قلبا للمواعظ واعيا
وأذهب دمعي من بكاي الأماقيا
رسوما عفت عن أهلها ومغانيا
وجته العوافي^(٣) فانشطى وأثافيا
من الذنب لما أن تحققت ذاتيا^(٤)
فلم ألق للذنب العظيم مداويا
تدواي عليلا كامنا في فؤاديا
وتوبة ذي صدق وعفو إلهيا
وما كان من علم الغيوب وراثيا
ولم أك للموت المشاهد ناسيا
فأصبح مخضر الشببية ذاويا
وجاء نذير الشيب للنفس ناعيا
يجدد من دنياه ما صار باليا
ويتبع تسويقاله وأمانيا
وآماله يرمي بهن المراميا

(١) في (أ) : ومويًا .

(٢) في (ج) : الغواني .

(٣) في (ب) : دانيا .

(٤) في (ب) : فتنة .

رأيت معين الملك قد صار خاليا
 ونشآن والبيضاء بادت وهكذا
 وغمدان والسوداء والبير عطلت
 وفي هرم ما يهرم الطفل ذكره
 وصرواح أوروثان للناس عبرة
 وفي كل أرض مثلهن مآثر
 فيأرب قَيْلٍ كان فيهن مترف
 مضى ومضت أمواله ورجاله
 فكيف يطيب العيش للمرء بعدهم
 فيا أيها المغرور أقصر عن الهوى
 وكن جاهدا في طاعة الله ربنا
 فلو لم يكن غير الممات ووحشة الـ
 وماذا يلاقي من نكير ومنكر
 كفى بالبلا والموت للناس زاجرا
 فلو كان في العقبي جهنم واديا
 لخاف الذي يخشى العذاب لقاءها
 وليست سوى دارين نار وجنة
 ولولم يكن غير الخلود وكم عسى
 ولولا الترجي للشهادة والهدى
 فطوبى لمن يعطى الشهادة تحفة
 وإعزاز دين الله بعد خمولة
 وأنصرَ مظلوما وأقمعَ ظلما

فأورثني سقما وأوهى عظاميا
 براقشها والقصر قد كان عاليا
 منازلها والكل قد صار خاليا
 وفي كمنما ما كان للناس ناديا
 أباد الردى أسفاله والأعاليا
 تزهد في الدنيا وتنفي الدواعيا
 وذو نخوة قد كان في الناس ساميا
 وقد كان موجودا فأصبح فانيا
 ويصبح جو الدهر للمرء صافيا
 وأقبل إلى التقوى ولاتك لاهيا
 تفز بالذي تهوى ولاتك عاصيا
 قبور وكون المرء في القبر جاثيا
 لكان لنا هذا من الشر كافيا
 وبالشيب عن فعل المظالم ناهيا
 وكان جنان الخلد عشرين واديا
 ويصبح يوما في جهنم ثاويا
 فمن لم يحاذر صار للنار صالحيا
 تخلد في هاتيك أو تلك باقيا
 وأضحى إلى الرحمن والدين داعيا
 ومن كان مهديا ومن كان هاديا
 لأشبع غرثانا وأكسو عاريا
 وأنقذ ملهوفاً وأفني معاديا

لما كنت بين الناس أنظر فعلهم
وأغدو لمن عادى الإله معاديا
لما سرت إلا في طريق ابن أدهم
وكان جثيم والجنيذ أخي التقى
فرحمة رب العالمين عليهم
ويمت أرضا لا أرى الناس عندها
وقلت لأولادي وأهلي وإخوتي
وإني رجوت الله عفوا ورحمة
وصلى إلهي كل يوم وليلة
وقال عليه السلام في حال صغره وروي أنه
إذا أعطيت نفس الفتى قوتها الذي
وطابت ولم تغلبه إن كان عاقلا
وإن هي لم تعط الذي حبت ^(١) به
وكان قصارى أمرها أن ترده
فأما أخو التقوى الصحيح ومن له
إذا ما تمت نفسه الشيء ردها
يكلفها ما لا تريد وتشتهي
ويمنعها من كل ما هويت ولا
وما تعبت نفس وهانت وأنصبت
فيارب فارزقني اليقين فإنه

وما كنت للجهال يوما مدانيا
وأضحى لمن والى الإله مواليا
وكنت لعمر بن العبيد مواسيا
فما كان منهم واحد متوانيا
وكان لهم من كل خير مكافيا
وكنت لأصناف الوحوش مواخيا
وأهل ودادي اليوم ألا تلاقيا
وإن إلهي لا يخيب رجائيا
على من غدا للحق في الناس داعيا ^(٢)

قالها وهو يتعلم في نصف القرآن :
حباها به رب العباد اطمأنت
وعادت إلى التقوى وصامت وصلت
من الرزق أمست في الهموم وظلت
إلى جهلها قسرا وخابت وضلت
يقين فلا يخشى اللتيا ولا التي
ولم يعطها عند المنى ما تمت
وإن سئمت ^(٣) صرف الزمان وملت
بملكها أمرا وإن هي زلت
وذلت لرب الناس إلا وعزت
وتقواك رأس الدين واجعله عدتي

(١) هذا البيت ناقص من (أ، ب).

(٢) في نسخة حبيت.

(٣) في (ب) شئمت.

وزدني علما نافعا وتوفني
وكفر ذنوبي رب واغفر خطيئتي
وأخر حمامي رب حتى تميئني
وقال عليه السلام من قصيدة:

لا يسام الدهر ولا يقصر
لو أنه أنصف في حكمه
يقذف بالخطب سواد الملا
وتلك منه عادة قد جرت
لكنني عودته عادة
أصبر للكُبار من صرفه
أرفع من قلبي الأسي بالآسي
صادفت عصراً شره ظاهر
له أهيل، جل أفعالهم^(١)
دعوتهم طراً إلى رشدهم
ومنها:

يعرف ربي صدق قولي وقد
وصارم في شفرتيه الردى
وسابغ مستحكم سرده
وسابح ذو منعة^(٢) سابق
والخيل والليل وحسن اللقا
والنظم والنشر وفعل العلا
يعرفه الغيب والحضر
يعرفني والرمح والمغفر
كأنه في حسنه الجعفر
نهد رحيب سحره مضمز
والضيف والمسجد والمنبر
والطرس والأقلام والدفتر

(١) في (ب) أفعاله .

(٢) في (أ): معة .

والفضل والمجد معاً والوفا
لم يغشني ذام ولا ذلة
لي همة ما فوقها همة
إذا أنا لم أثار من أعدائنا
فسوف أفني معشراً خُسرأً
لهم دروب سوف يعميهم
نرفع من هاماتهم^(١) بيضنا
بجحفل من بعده جحفل
لا تبرح الغارات في أرضهم
حتى يكونوا عبرةً للملا
وقال عليه السلام :

لأحكمن صوارماً ورماحاً
ولأقتلن قبيلةً بقبيلة
ولأروين السم من أبتغي
ولأجلون الأفق عن ديجوره
ولأكسون الأرض عما سرعة
ولأجلبن الخيل من أقصى المدى
ولأرمين بها الحصيب وأهله
ولأرمين الواديين بصيلم
جيش تثن الأرض من جولانه
ولأوقعن بحي يام وقعة
ولأمطرن عليهم مني سماً

ولأبذلن مع السماح سماحاً
ولأسلبن من العدا أرواحاً
فإذا روين أفدنتي إصلاحاً
حتى يعود دجى الظلام صباحاً
نقماً مثاراً أو دماً سفاحاً
لا ينثنين ولا يردن مراحاً
ولأنجحن ملوكهم إنجاحاً
والمشرقين وأنثني صرواحاً
كأنين من يشكو عني وجراحاً
تدع الحمي من الطغاة مباحاً
تدع البلاد من الدما أقداحاً

(١) في (ب) هامهم .

بفوارسٍ من مذحجٍ أسد الشرى
قوم فتحت بهم أزال ولم أزل
يا آل مذحج إنني أعددتكم
يا راكبا أبلغ ذؤابة يعرب
أبلغ زبيد الأكرمين مقاتلي
أبلغ إلى الأتلاف من أصحابها^(١)
وإلى رداع والموشح أبلغنا
ثم ادع فيهم يا لمذحج دعوة
قودوا إلينا مقنبا يغشى الربا
فيه الصوارم والمثقفة الظما
بالمشرفية والمثقفة الظما
لا بالسلو مع القسيان وقوله
لست ابن أحمد إن تركت زعانفاً
يتواعدون لكل ليلة جمعة

صاروا لكل مرتجٍ مفتاحا
لجميع أمصار الملا فتاحا
لي في الحوادث جنة وسلاحا
عني مقالة من يريد صلاحا
وسراة عنس وقبلها الجحجاحا
وإلى أفيق وأبلغن صباحا
ابنا ضرار الضارين كفاحا
دوسوا الصفيح وثقفوا الأرماحا
جيشا أجش عمرمرما نطاحا
وأسود غاب تلتف الأرواحا^(٢)
والأعوجية أبتغي الأرباحا
هاك اضربي دقاً وهاتي راحا
يتبخثرون وينكحون سفاحا
فإذا توافوا أطفأوا المصباحا^(٣)

وكانت له عليه السلام كرامات جمّة تكشف عن فضله وشرفه عند الله عز وجل ،
فمنها ما روي أنه عليه السلام أصبح ذات يوم من الأيام يريد الوضوء عقيب مطر في
الناحية التي هو فيها ، فلم يجد ما يرتضي^(٤) لعدم المناهل ، ولا وجد ترابا فبقي في

(١) في (ب) الأتلا ومن أضحي بها .

(٢) في (ب) من هنا اختلف ترتيب الأبيات .

(٣) في (أ) حاشية : قال منصف الكتاب رحمه الله : هذا البيت يعني قوله يتواعدون إلخ لم يذكره
في السيرة وهو في السنة الناس ينسبونه إلى القصيدة .

(٤) في (ج) فلم يجد ماء يتوضى .

حيرة فبينما هو كذلك إذا التفت على يمينه فوجد تراباً مسكوباً^(١) ليس من جنس تراب تلك الناحية ، فتمم عليه السلام وأصحابه من ذلك التراب ، وبنى أهل الناحية على موضعه مسجداً^(٢) .

وروى أنه عليه السلام كان في بعض أسفاره إلى نجران فأصابه عليه السلام وأصحابه الظم الشديد ، وياتوا ليلتهم كذلك ، وقيل لهم إنه لا ماء إلا بنجران ، ثم أصبحوا وتيمموا لصلاة الفجر ، وصدروا وقد أجهدهم العطش ، وهم في أوائل الشتاء ولا يرجون ماء إلا على مسيرة يوم فبيناهم على ذلك إذ رأوا عند طلوع الشمس شيئاً من السحاب الرقيق أو الضباب ، وهم لا يحدثون أنفسهم في ذلك الوقت بمطر ، ثم تجلّى ذلك السحاب وهم على مسيرهم ، فوقعوا على أمارات المطر ، وكلما قربوا كثر ذلك حتى أفضوا إلى غدرات من الماء القراح فشربوا وحمدوا الله ومعهم شريف يقال له : إبراهيم بن فتيح ، فقال : كنت الليلة قد ساء ظني ثم قلت في نفسي داعياً : اللهم بين لنا أمر هذا القائم برحمة منك فإن يسرت لنا ماء من السماء فهو الذي نرجوا ونأمل ، وإن لم تيسره فليس به ، وأقسم على نفسه بصيام سنتين ، لقد أسر ذلك^(٣) .

وروي أنه عليه السلام كان في بيت بوس ، وقد صلى صلاة الجمعة في مسجد بيت بوس ، فلما فرغ من الصلاة والناس يزدحمون عليه وينظرون إليه ويستمعون مواعظه وكلامه وفوائده ، فدخل عليه شيخ كبير يقوده أولاده ، فسلم وقرب من الإمام عليه السلام فشكا عليه الصمم في أذنيه ، فنفت في أذنيه ودعا له ، ثم قام هو وأولاده إلى ناحية من جوانب المسجد فإذا به يشهد ويكبر ، فقالوا له : مالك؟ قال : فإني سمعت في أذناي إيقاظاً كإيقاظ الوصف فإذا بي أسمع ما يقال ويحدث

(١) في (أ) مسكوباً .

(٢) الشافي ١/٣٤٤ .

(٣) الشافي ١/٣٤٣ .

به ، فحدثوه وكلموه^(١) فحدثهم وأجابهم عن كل ما سألوه ، وإذا به قد صار سميعا بعد أن قد شهد أولاده أنه كان لا يسمع الجبابب ولا الأصوات العالية ، فعجب الناس لذلك عجباً شديداً .

ثم أتى إليه رجل آخر أعمى يقال له : جابر البصير ، فسلم وجلس بين يديه وهو يريد أن يسأله هبة جربة وصية في بلده ، وظن الإمام أنه أتاه ليمسح على عينيه ، فلما قرب من الإمام مسح له على عينيه ودعى الله تعالى ، فرد الله تعالى في عينيه النظر ، فنظره ونظر من حوله فقال : إني لم آتك لهذا فعادت الظلمة في بصره كما كانت ، وأقر بذلك وأخبر به ، حتى عرفه المخالف والموافق ، وكان الرجل من المطرفية الكفرة الشقية فلذلك قل يقينه فسمرت به السمار ونظمت فيه الأشعار فمما قيل في ذلك من الشعر قول القاضي الحميري من قصيدة أولها :

يا ابن بنت النبي كل لسان ما دح ما يكون مدح لساني
ظهرت فيك معجزات كبار لم نخلها تكون^(٢) في إنسان
لم نُخبّر عنها سماعاً ولكنا رأينا يقينها بالعيان
تبسرى الأكمه العليل وتشفي بشفا الله أعين العنميان
وتسوق الحيا إلى حيث ماكدت وتجري الأنهار في الغيطاني^(٣)
هبك تشفي عمى القلوب بعلم فبماذا تشفي عمى العميان
غير أن الولي لله لا تندكر فيه خصائص الرحمن^(٤)

وروي أنها وجدت ورقة من ورق الذرة وفيها مكتوب بالحمرة خلقة : لا إله إلا الله محمد رسول الله الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان . قال راوي

(١) في (ب، ج) محادثوه .

(٢) في (أ) تكن .

(٣) في (أ) الأعيان .

(٤) الشافي ١/ ٣٤٤-٣٤٥ .

ذلك وكان عدلاً رضى، وأثنى عليه ثناءً قد ذهب عني لفظه وذلك في وقت قيامه
ﷺ ووجد ذلك الصنّاع الذين أمرهم بعمارة مسجده بناحية تلمص. روي ذلك
عن شيخنا محيي الدين حميد بن أحمد رحمه الله تعالى^(١) عن حنظلة بن أسعد
ابن عرابة وهو^(٢) الذي وجد الورقة الذرة .

وروي أن غلاماً من مذحج يقال له : دهمش وكان رئيساً شجاعاً شاباً
جاهد بين يدي الإمام المتوكل على الله ﷺ في بلاد يام، فاستشهد صابراً
محتسباً ومات عند القتال، وكان قبل ذلك مسترسلاً فبقي أهله يتأسفون عليه من
النار، فَرُضِخَتْ صَبِيَّةٌ صغيرة ابنت ثلاث سنين بحجر فَشُدِخَ رأسها فقالت وهي
تجود بنفسها: لا تقبروني مع الكبار الكفار أهل النار واقبروني مع الصغار أهل
الجنة، وإن دهمشاً من أهل الجنة وعليه صيام شهر رمضان، وهي لا تعرفه ولا
تعرف ما عليه، فلما وصل الإمام إلى بلد الغلام أمرت إليه والدة الغلام فقالت:
إن دهمشاً كان أفطر شهر رمضان أفصوم عنه أم ماذا أصنع؟ فعجب الناس من
ذلك^(٣).

وروي أن الإمام ﷺ لما خرج لحرب صعدة - لما نكث أهلها أيمانهم ونقضوا
عهودهم في عسكر عظيم من خولان وهمدان، حكى مصنف سيرته وكان ثقة:
أن العسكر كانوا عشرين ألفاً بين فارس وراجل، فلما علم أهل صعدة بإقبال
الجنود كبسوا الآبار وتركوا في بعضها الجيف، فأشفقت جنود الإمام من الظمأ،
ففرع إلى الله تعالى ودعى بالغيث فأنشأ الله سبحانه سحابةً وكان ذلك الوقت
حزيران فمطرت مطراً لا يظن بمثله أنه يسيل، وعسكره بإزاء مكان ما كاد يصلهم
إلا الشفان حتى أتاه البشير يعلمه بنزول سيل عظيم حتى أحاط بمدينة صعدة

(١) في (ج) محمد بن أحمد، وقال في لوائح الأنوار ٢ / ٤٤ : وله الاسمان .

(٢) وهو: ساقطة من (أ).

(٣) الشافي ١ / ٣٤٥ .

وبإزائها حفر عظيمة يجاوز بعضها حد البرك الواسعة فامتلات ماءً قراحاً عذباً
سمهجاً، وكان فيه شيء من البرد، فتقدم بعساكره المنصورة فحارب مدينة صعدة
فقهرها وأخذها عنوة وتغنمت الجنود منها أموالاً جلييلة وأخربها، وما زال ذلك
العسكر على كثرته مستريحاً في تلك المياة العذبة الهنية مدة إقامته، وقد ذكره في
شعر له على قافية البا : نصرت بالسييل . . . إلخ^(١).

ذكر مدته وانتصابه للأمر ونهاية عمره وموضع قبره عليه السلام :

أنشأ عليه السلام دعوته في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وكان قيامه في شدة في
البلاد ونفور من أكثر الناس، فأقام على تلك الحالة مدة مديدة يدعو الناس إلى
الرشاد ويبايعهم حتى انتظم له الأمر أولاً في صعدة وأعمالها ونجران، ثم في
الجوف والظاهر، وانتشر حسن سيرته في أقطار اليمن واشترأت قلوب الناس إليه
فوصلت إليه المكاتب من صنعاء يستدعونه إليها فأجاب عليه السلام بقوله :

أنشُرْ سِرِّي^(٢) ينشئ من الروض أفنانا ومسكا وكافورا وروحا وريحانا
أم الجواهر الشفاف أم سلك لؤلؤ تضمن ياقوتاً ثميناً وعقيانا
أم العنبر الشحري أم طرس ماجد حسبناه لما أن فضضناه بستانا
أرق من الماء المعين معانيها وأبهسر من نور الغزالة برهانا
ومنها :

فعمًا قليل نملا الأرض كلها بتوفيق رب العرش عدلاً وإحسانا
ونجمع شمل العدل بعد افتراقه وننفي من البلدان جوراً وعدوانا
ونترك أحزاب الضلالة والخنا هباءً ونروي السيف من كل من خاننا
ونجعلهم دون الأنام جميعهم على من طغى في الأرض نصراً وأعوانا

(١) الشافي ١/٣٤٥.

(٢) في (ج) مصلح أنسر سري .

وركنًا منيعة لا يرام منرامه وحصنا حصينا في الزمان وجيرانا
ثم أقام ﷺ مدة وانتهى إلى الجوف وعمد موضعا يقال له : المقيلد من مآثر
الجاهلية فأثار العمارة فيه في سنة خمس وأربعين ، فوصل إليه خلق كثير من أهل
الشرق والمسلمين زهاء ألف وأربعمائة رجل إلى المقيلد فأقاموا عنده ثمانية أيام
يسألون عن المشكلات ويتصفحون أحواله وطرائقه ، ثم بايعوه بعد ذلك وطلبوا
منه النهوض إلى اليمن فوافقوا منه بغية كان يقصدها وضالة كان ينشدها من إرغام
أهل الظلم والفساد ، فنهض ﷺ حتى انتهى إلى بيت بوس وأقام فيه مدة أيام ،
ثم بعث رسله إلى جهات اليمن ودعوا الناس إلى طاعته وبيعته ، فبايع الناس في
بلاد مذحج وبكيل ومقرا وغيرها ، وواعدهم للنهوض في شهر ذي الحجة سنة
خمس وأربعين وخمسائة ، فوقف ﷺ حتى وصل لميعاده قبائل ضخمة يقودها
رؤساؤها وأكابرها من جنب وعبس وزبيد وغيرهم ، وساروا من فورهم بعد أن
نزل الإمام ﷺ إلى السهل للقائهم حتى قصدوا صنعاء ، وفيها عساكر كثيرة من
همدان قد جمعهم السلطان حاتم بن أحمد ؛ فدخلوا قهرا بعد قتال شديد ، وكان
الإمام ﷺ قد تخلف يومه ذلك في بيت بوس ، حتى كان اليوم الثاني أقبلت
العساكر إلى بين يديه فنزل نحو صنعاء في عسكر ضخم فنظم أمورها وأصلح
جمهورها وأقام الحدود ، وشرب رجل من أهل صنعاء الخمر فأمر بجلده ؛ فأبلغ
آلآفا^(١) من الدنانير ضريبة الوقت ولا يجلده ، فما ثناه ذلك عن إقامة الحد عليه ،
والناس يَفِدُون إليه من كل ناحية وهو يأمر بالولاة معهم واتسقت له الأمور
كذلك .

وكان من عجائبه ﷺ وقد تقدم إلى زمار في بعض أيامه فيبناهم يسرون

(١) في (ب) ألفاً .

في بعض طريقهم غشيهم نوز ساطع يميل إلى الصفرة، فقال لأصحابه: هل ترون ما أرى؟ فقال له قائل: قد رأيت يا مولانا نورا زائدا فكأن الثياب البيض مثل الثياب المُسَحَّمَة^(١) بالصباغ فعجبوا من ذلك، وتموا في طريقهم حتى كان اليوم الثاني ولقيهم جماعة من أهل البلاد فقالوا: أين كنتم بالأمس عند الهاجرة؟ فقالوا: في ذلك النقييل في رأس الوادي، فقالوا: فإننا رأينا في ذلك الموضع نوراً عظيماً في تلك الساعة.

ومن أيامه عليه السلام المشهورة يوم غيل جلاجل وذلك أن قوما من يام الخانق أظهروا مذهب الباطنية، وكان لهم مأذون قد أظهر إحداه؛ فأعمل الإمام عليه السلام الحيلة في قتله فقتل، واستمروا على إظهار المنكرات وارتكبوا^(٢) الفواحش العظام واطرحوا شرائع الإسلام حتى روي أنهم رموا قوما على قولهم الحمد لله.

وكانت لهم ليلة تعرف بليلة الإفاضة، يجتمع فيها الرجال والنساء ويفضي بعضهم إلى بعض، وجاءت امرأة منهم جزّت ذوائبها بين يديه، وأخبرت أن ولدها غشيها في هذه الليلة، فغضب الإمام عليه السلام وتجهز للخروج فنهض إلى الشام، فوصل إلى بلاد بني شريف وسنحان، ودعاهم إلى جهاد يام والخروج إليهم، واتعدوا للمخرج في شهر جمادى الأولى سنة تسع وأربعين، ثم أقبلت نهد وجنب وخشعم فقصدوا وادعة ويام، وقد لزموا جنبتي الوادي بغيل جلاجل في كل قابل مائة فارس وألف راجل، فوقع القتال الشديد وهزمت عساكر الباطنية، وقتل منهم جماعة كثيرة وانهمزموا؛ فعاد العسكر المنصور إلى محطتهم بالغنائم الكثيرة، فباتوا ليلتهم، وكان من الغد تبعوا الدروب يخربون ويحملون ما يجدون فيها من الطعام والأثاث؛ فأقاموا على ذلك ثلاثة أيام يخربون دروب

(١) السحمة: السواد. قاموس، مادة: سحم.

(٢) في (أ): وأظهروا.

الغيل والأرنب^(١) وأجلا أهل الغرير والخانق وهداده عنها وانهزموا، وكذلك أهل الجفة والحمرة فوصلوا نجران وأقمرت بلادهم وخلت عن أهلها وهي قدر مسيرة ثلاث مراحل . وكانت وقعة غيل جلاجل في أول رجب سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

وفي هذه الوقعة يقول الإمام عليه السلام :

من ذي الجلال بفتح غيل جلاجل	الله أكبر أي نصر عاجل
وسعادة تترى وفضل فاضل	كم منة منة عليّ ونعممة
عماء والنفس الكثير الحائل	حمدا له عدد الزمان وعدة الذ
وتجبروا وتمسكوا بالباطل	كفرت به يام ووادعة معاً
فعالاً وقولاً فوق قول القائل	وأتوا من الفحشاء كل كبيرة
دين المجوس وفوق جهل الجاهل	وأتوا ^(٢) بدين الباطنية وهو من
وبني شريف أهل كل فضائل	فعمدت خانقهم بسنحان الأولى
ما دون ما يبغونه ^(٣) من حائل	فأتت عيونهم وقالوا : كذبة
ووقفت في أعقابهم والحائل	فاستعضلوا ^(٤) حتى تنازع حزيمهم
من بعد قتل ثم هدم منازل	فتمكنوا من أرضهم ومتاعهم
من بعد ذلك فقتلوا بالقابل	وغدت رجال منهم لغنائم
والكل منا كالنعام الحافل	ثم انثنينا مسرعين وصدنا
وتفرقوا بشقاشق وبلايل	فعتوا عليّ وأطلقوا أشداقهم

(١) الأرنب : قرية من قرى وادعة .

(٢) في (ج) دانو .

(٣) في (ب) ما يبغوا به .

(٤) في (ج) فاستعجلوا .

وطفغوا وتاهوا ثم قالوا جهرة
 فَحَرُّوا عَلِيًّا وَأَكْثَرُوا وَتَوَعَّدُوا
 كَمْ شَامَتْ أَيْدِي شِمَاتِهِ وَكَمْ
 وَأَنَا الَّذِي عَرَفُوهُ لَسْتُ بِعَاجِزٍ
 وَسَمَاحَتِي وَفِصَاحَتِي وَشِجَاعَتِي
 فَدَعَوْتُ أَبْطَالَ الْحِجَازِ فَبَادَرُوا
 وَدَعَوْتُ ذَا الْعَلِيَا مَنِفَا دَعْوَةَ
 وَلَهُ مَكَارِمٌ مِنْ أَبِيهِ وَجَدَهُ
 هُمْ رُوسٌ قَحْطَانٌ وَذُرُوءَةٌ مَذْحِجٌ
 وَفَوَارِسٌ مِنْ خَشْعَمٍ أَكْرَمَ بِهِمْ
 وَأَتَى ابْنَ جَابِرٍ عِنْدَمَا نَادَيْتَهُ
 لَمَّا تَوَافَى جِنْدُنَا يَمْمَتُهُمْ
 وَقَصَدْتَهُمْ فِي أَرْضِهِمْ فَتَرَكْتَهُمْ
 أَخْلَيْتَهُمْ مِنْ أَرْضِهِمْ وَبِلَادِهِمْ
 وَحَصُونَهُمْ مَعْدُودَةَ مَعْرُوفَةَ
 إِنِّي بِحَرْبِ^(١) الْبَاطِنِيَّةِ قَائِمٌ
 كَمْ قَدْ ظَفَرْتُ بِهِمْ فَلَمْ أَظْلَمْ وَكَمْ
 إِنِّي دَمَارُ الْفَاسِقِينَ وَإِنِّي
 وَعَلَى يَدِي هَلَاكُهُمْ وَدَمَارُهُمْ

يَا نَاسَ مَا أَحَدٌ لَنَا بِمِثَالِ
 فَخْرِ الْبِهَامِ عَلَى الْهَزِيرِ الْبِاسِلِ
 مِنْ حَاسِدِ أَيْدِي الْكَلَامِ وَخَاذِلِ
 عَمَّا نَهَضَتْ لَهُ وَلَسْتُ بِخَامِلِ
 وَطِبَائِعِي مَعْرُوفَةٌ وَشِمَائِلِي
 وَأَنْتَ إِلَيَّ عَسَاكِرِي وَجِحَافِلِي
 فَأَجَابَ كَالسَّبْعِ الْفُرُوسِ الصَّائِلِ
 مَشْهُورَةٌ وَسَمْتُ بَعِزْ طَائِلِ
 مَا أَيُّ قَحْطَانٍ لَهُمْ بِمِثَالِ
 وَصَلُوا مِنَ الْبَلَدِ الْبَعِيدِ الرَّاحِلِ
 بِالْخَيْلِ يَجْرِي لَيْسَ بِالْمُتَشَاوِلِ
 بَلَدِ الْعَدَا وَوَطْأَتِهِمْ بِكَالْأَكْلِ
 جَزَرَ السَّبَاعِ وَطَعْمَةَ لِلْأَكْلِ
 وَلَعَلَّهَا تَأْتِي ثَلَاثَ مَرَّاحِلِ
 مِثَّتَانِ قَدْ حَسِبْتَ وَأَيُّ مَعَاوِلِ
 وَأَنَا لَهُمْ ضِدٌّ وَلَسْتُ بِغَافِلِ
 جَاشَتْ بِحَرْبِ الْكَافِرِينَ مَرَّاجِلِي
 لِلظَّالِمِينَ كَمِثْلِ سَمِّ قَاتِلِ
 إِنِّي^(٢) عَلَيْهِمْ كَالْقَضَاءِ^(٣) النَّازِلِ

(١) في (ب ، ج) لحرب .

(٢) في (ب) آتي .

(٣) في (ب) بالقضاء .

يرجون أن حصونهم تنجيهم
ولسوف أنفيهم بعون إلها
الله أيدني بنصرٍ معجزٍ
يا قوم فاعتبروا بذاك وأبشروا
ما بعد ما عاينتموه شبهة
ثم الصلاة على النبي وآله
و حصونهم لهم ككفة حابل
حقاً وألحقهم وراء الساحل
بصواعق أفنيتهم وزلازل
فلقد ظفرتهم بالإمام العادل
لميِّز في أمره أو عاقل
خير الملا من راكب أو راجل

ومن أيامه عليه السلام الغر المحجلة يوم الشرزة وذلك أنه عليه السلام جمع ألفاً وثمانمائة فارس من قبائل يعرب ومدحج وجنب وعنس وزبيد في شهر شعبان سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة ، ونهض حاتم بن أحمد من صنعاء بمن معه من همدان وجنب وسنحان في تسعمائة^(١) فارس كلها معدة ، وعشرة آلاف راجل فيها ثلاثة آلاف قانس ، فلم يكن رحل الإمام عليه السلام إلا قليل ؛ فرتب عليه السلام عسكره : الميمنة والميسرة وكان في القلب ومن معه من الأشراف والشيعة ؛ فتنازل الناس وقاتل عليه السلام قتالاً شديداً وصار يقصده جماعة من الشجعان لأنه بغيتهم ، فقال عليه السلام عند ذلك : اللهم إنه لم يبق إلا نصرك ، وقال في نفسه : إن ظفر القوم اليوم بنا ظهر مذهب الباطنية وارتفع في جميع البلاد وهدم الإسلام والمسلمون ، فعند ذلك أرسل الله تعالى ريحاً عاصفاً من الشرق ، فقابلت وجوه أعدائه فاستبشر الإمام عليه السلام وقال : إنها ريحهم فاحملوا ثم حمل من نهجه ؛ فانهزم القوم فأعطى الله النصر ومنح القوم أكتافهم ، فلم يزل الطرد فيهم والقتل الذريع حتى انجلت المعركة عن خمسمائة قتيل وخمسمائة أسير وقريب من ذلك ، ولم تزل الهزيمة في همدان إلى صنعاء ، ثم انهزموا من صنعاء وتغلقتوا الحصون ، وعاد الإمام عليه السلام بعسكره إلى محطتهم فأقاموا بها ليلتين ، ثم تقدم الإمام عليه السلام إلى نحو صنعاء وقد

(١) في (ب، ج) سبعمائة .

كان أمن أهلها فحط بالقرب منها ، ولم يدخل بالعسكر خوفاً من معرتهم بأهل المدينة ، ثم أمر بخراب درب غمدان الذي عمره حاتم بن أحمد ، وكانت فيه عناية أكيدة جداً فعفيت آثاره ، وبعد هذه الواقعة خضعت له عليه السلام الملوك الأكابر وذلت له الليوث القساور ، وأقام عليه السلام في ناحية بيت بوس حتى بذلت فيه الأموال الجليلة من حاتم بن أحمد إلى مائة ألف من محمد بن سباء صاحب عدن سوى الأطيان وغيرها فسلم الله من مكرهم ، وفي هذه الواقعة يقول القاضي محمد بن عبد الله الحميري رحمه الله وكان من أوليائه عليه السلام في عيد الفطر وقد عيد بهجرة سناع :

تهنى ^(١) بك الأعياد إذ أنت عيدها	وإذ أنت منها بدرها وسعودها
سبقت إلى غايات كل فضيلة	بعلياء تبديها لنا وتعيدها
أقمت منار الدين يا ابن محمد	وصرت كمثل الشمس باد عمودها ^(٢)
فأشرقت الأفاق منك بغرة	كثير لرب العالمين سجودها
أست الذي أحيت دين محمد	وأسيافه مذكلاً منها جديدها
أست الذي ذكرتنا وقعاته	وبيض الليالي قد محتها وسودها
بنجران والغيل الشهير وصعدة	وصنعاء والجوفين باق ^(٣) شهودها
ويوم نهضنا من ذمار بخيلنا	وزيد بن عمرو يوم ذاك عميدها
كتائب من جنب بن سعد ومذحج	تعادي بهم خيل خفاف لبودها
يهزون أطراف الوشيح كأنما	عليها سيوف فارقتها غمودها
فلما وصلنا نجد شيعان أقبلت	علينا الأعادي كهلها ووليدها
وظنوا ظنونا في الخلاء كذبهم	أليس عن الأخياس تحمي أسودها

(١) في (أ) يهني ، وفي (ب) ، (ج) نهني .

(٢) في (ب) عمومها .

(٣) في (ب) باد ، وفي (ج) بان .

ودارت رحاها واشتتبت^(١) وقودها
 جبال ثبير ثم أرسا ركودها
 حياض الردى حقا وأنى^(٢) ورودها
 تكون خلاصا لي فتلك أريدها
 كثير إذا شدت قليل عديدها
 بما فعلت من بعد حين جنودها
 فكادت لها تلك الجبال تميدها
 لقد كادت الأبطال جمعا تبيدها
 وخمس مئين ثقلتها قيودها
 من الخوف فيها خافقات كبودها
 ذوائبه في الترب ثاو مشيدها
 يقول ألا عفووا فلست أعودها
 إلى كل مجد أو طعان يقودها
 سوابق مجد ليس يحصى عديدها
 وسنحان يوما واستقام أويدها
 فلن يبلغ الغايات إلا معيدها
 وما فعلته في القديم جدودها
 إلى الآن قحطان ابن هود وهودها

ولما أطل الموت واشتجرت القنا
 ركزت لهم صدر القناة كأنما
 وقلت لمر النفس صبراً فهذه
 فإن لم يكن نصر وإلا شهادة^(٣)
 وواساك من أهل الديانة عصبه
 فليت قبورا بالمدينة بشرت
 صعقتنا عليهم صعقة^(٤) مذحجية
 فيا للأكام السود لولا صعودها
 فخمس مئين حُزَّ منها وريدها
 وطاروا إلى روس الجبال^(٥) شلائلا
 وسرنا لغمدان المنيف فأصبحت
 وأضحى ابن عمران المتوج حاتم
 وأنت بنفس لا يزال نفيسها
 فيا ابن أمير المؤمنين ومن له
 إذا طلبت همدان منك إقالة
 فعد لهم بالصفح منك وبالرضى
 وحاشاك أن تنسى السوابق منهم
 أتعلم أن الحق قام بنصره

(١) في (أ) وأنشابت .

(٢) في (ب) فأين .

(٣) في (ب) وإلا منية .

(٤) في (ب) : صعقتنا، صعقة .

(٥) في (أ) : الجبال .

وتعلم قحطان وهمدان إن عصت
فقد جمعها يا ابن النبي إلى الهدى
فما اجتمعت^(١) خيل الطعان بمشهد
ولا اعتركت خيل وخيل طعائن
ولا اجتمعت يوماً نزار ويعرب
وإنك للمنصور من آل هاشم
وكل أناس أعرضوا عنك وامتروا
فدمت مدى الدنيا لأمة أحمد
مقالك إن الله وهناً يزيدها
فليس يقود القوم إلا رشيدها
تكون به إلا وأنت وحيدها
بحر القنا إلا وأنت تحيدها
بمجمع إلا وأنت تسودها
وما بعدها من غاية تستزيدها
فما هم من الإسلام إلا يهودها^(٢)
تشد لها أركانها وتشيدها

ومن أيامه ﷺ المحجلة الحسان يوم قصد زبيد في سنة ثلاث وخمسين
وخمسمائة، فلما^(٣) وصلها ﷺ أقام فيها ثمانية أيام، وكان أميرها يومئذ فاتك
ابن محمد بن جياش، وكان فاسقاً خبيثاً يغلب عليه الخنا والفساد في نفسه، حتى
روي أنه كان له بريمان^(٤) في بطنه كالمرأة، فعني الإمام ﷺ في هلاكه بعد بذل
مال جليل في سلامته فأقسم بالله لو أعطى ملك زبيد كله ما أفداه^(٥) وذلك
أنه قتله حداً لقول النبي ﷺ: « من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه »
فراوده أصحابه على أخذ المال وقالوا إنه لبيت المال، فقال قد نزهت نفسي عن
الطمع عند أهل زبيد، وقد كنت قلت لهم: إني لا أسألكم عليه شيئاً وتلوت
قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى
اللَّهِ ﴾ [سبا: ٤٧] ثم نهض بهم وكان القواد يعطون العساكر كفايتهم، فقال

(١) في (ب) إذا اجتمعت .

(٢) في (ب، ج) تقدم هذا البيت على الذي قبله .

(٣) في (ب) ولما .

(٤) البريم : هو ما تشده المرأة على وسطها وعضدها . قاموس ١٣٩٤ .

(٥) في (ب) لأفدي .

الإمام: أما أنا فلا أقبض منكم شيئاً كفاية ولا غيرها، وكان معه ومع أصحابه زاد فلما فرغ الزاد كان يأمر من يشتري له الطعام ويأمر من يطحنه^(١) وكانت حاشيته مقدار ستين رجلاً وولّى عليّ زبيد والياً^(٢) من جهته، وعاد مُسَلِّماً منصوراً قد أرضى الله سبحانه عز وعلاً، ولم يزل عليه السلام في جهاد بعد جهاد وجلاد عقيب جلاد حتى أشمخ الحق قباً، ومدّ له أطناباً، شيد للإسلام في الأرض العزبنا، وأعلى له أركاناً، وكانت كثير من وقعاته على الباطنية الملحدة أقماهم الله تعالى حتى دمرهم تدميراً، وأنزل بهم ويلاً وثوراً، بعد أن كانت قد تسعرت نارهم، وسطع شرارهم، فطمس الله بحميد سعيه عليه السلام ربوعهم، وفرّق جموعهم، وكانوا بين قتيل وطريد تصديقاً لقول النبي صلى الله عليه وآله: «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإيمان ولياً من أهل بيتي، موكلاً يعلن الحق وينوره، ويرد كيد الكائدين» فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله. ولم يزل دأبه عليه السلام في نشر الدين، وإعلاء كلمة الحق اليقين، وقمع الملحدين، وطمس آثار المعتدين^(٣) حتى تجلّى الحق وسطع نوره، وتضوّع مسكه وكافوره، واستطار أمره في اليمن من صعدة ونجران، وبلاد وادعة وسنحان وشريف، وبلاد خولان والجوف والظاهر وصنعاء وأعمالها، وبلاد مذحج ونواحيها، وخطب له بخيبر القاضي الفاضل عبيد مولى علي عليه السلام، وخطب له بينبع الشريف السيد الشهيد الحسن بن عبدالكريم الحسيني رحمه الله، ونفذت ولايته إلى السيد علي محمد العربي^(٤) رحمه الله بالجبل، وكانت مدة ولايته عليه السلام ثلاثاً وثلاثين سنة، وأصابه العمى في آخر عمره، وأسره فليته بن قاسم القاسمي، وغضبت رجال همدان عاصيها ومطيعها

(١) في (ب، ج) يطبخه .

(٢) في (ب، ج) عليّ زبيد والناس من جهته .

(٣) في (ب) الملحدين .

(٤) في (أ) العربي

حتى قرامطتها لحبسه ، وأنفوا أشد الأنفة فنزلوا على فليته بن القاسم متشفعين في أمره وقصدوه بشعر يقولون فيه :

نحن بني هاشم لكم خُدم بحبلكم نلتوي ونلتزمُ
أنتم لنا كعبية نلوذ بها وسوحكم من جهاتها حرمُ
فلا تردّ الوجوه عابسةً عنك وقد قابلتك تبتمُ
فنزل إليهم فليته فأقسموا لا يرح حتى يخرج الإمام عليه السلام فأخرجه على كره منه .

وتوفي عليه السلام في شهر ربيع سنة ست وستين وخمسائة بحيدان من أرض خولان ، وقبره مشهور مزور . ومولده سنة خمسائة من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام^(١) .

ومما رثي به عليه السلام :

أعينيَّ جوداً بالدموع السواجم على أحمد المنصور من آل هاشم
إمام الهدى مولى الأنام جميعهم سقى جدنا وأراه صوب^(٢) الغمام
تزلزل ركن المجد يوم وفاته وثلت عروش العلى والمكارم
لقد جل رزء المسلمين وأصبحت ربوع المعالي وحشة كالماتم^(٣)
لقد فتكت أيدي الحمام بأوحد له شرف فوق النجوم العواتم
فيا موت من للمشكلات إذا غزت ومن يرتجى يوماً لدفع العظام
ومن ذا يقود الخيل شعثاً عوابساً فيوردها بحر القنا والصوارم
عليها من الأبطال كل سُميدع تعود في الهيجاء ضرب الجماجم
ومن تخفق الرايات فوق جبينه كأجنحة الطير العطاش الحوائم

(١) طبقات الزيدية الكبرى ١/ ١٣٥ .

(٢) في (ب) ويل .

(٣) في (ب) كالماتم .

ومن يملأ المحراب نورا وبهجة
ومن ذا يلاقي الألف في حومة الوغى
ومن لعلومٍ كان مُغراً بنشرها
ومن يحفظ الإسلام أم من يحوطه
ومن ذا يحامي دون شيعة أحمد
ويمنعها من كل ضيم ينالها
كأنَّ حياة المرء بعد وفاته
أبا حسن لم يبق بعدك في الورى
أبا حسن ما كنت وحدك ميتا
أبا حسن لو يقبل الموت فدية
عليك أمسير المؤمنين تحية
وصلى عليك الله ما لاح بارق
وما غرّدت في الأيك ورق الحمام

أولاده عليه السلام: المطهر الأكبر كان من عباد الله الصالحين مات في حياة أبيه

سنة ست وخمسين وخمسمائة ، وفيه يقول السلطان علي بن حاتم :

ألا ليت مولانا المطهر إذ ثوى
وليت علي الألفزي بن حاتم
بصنعاء ما زمت إلينا ركائبه
فداه بما يحوي وما هو كاسبه
ومطهر الأصغر ، ويحيى ، ومحمد ، وسليمان ، وفليته ، وقاسم ، ومحسن
وابنتان^(٣) .



(١) الضبّارم : الأسد والرجل الجري على الأعداء . القاموس ص ١٤٦٠ .

(٢) في (أ) : البيت متقدم على البيت الذي قبله .

(٣) في (ب ، ج) بسقط وابنتان .

الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام (١)

هو أمير المؤمنين أبو محمد عبدالله بن حمزة الجواد بن سليمان البر التقي ابن حمزة النجيب بن علي المجاهد بن حمزة الأمير القائم بأمر الله بن الإمام النفس الزكية أبي هاشم الحسن بن الشريف الفاضل عبدالرحمن بن يحيى نجم آل الرسول ابن أبي محمد عبدالله العالم بن الحسين الحافظ بن الإمام ترجمان الدين القاسم ابن إبراهيم الغمر طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن الرضى ابن الحسن السبط سيد شباب أهل الجنة بن أمير المؤمنين سيد العرب علي بن أبي طالب سيد قريش عليهم السلام (٢).

نسب كأنّ عليه من شمس الضحى رداً ومن فلق الصبح بروداً
وأما أمه عليها السلام فهي الشريفة الفاضلة زينب بنت إبراهيم بن سليمان من ولد الإمام محمد الخارج بتاهرت من أرض الغرب واستقام أمره، وكان يركب الحمار ويلبس الصوف، وأبوه الإمام يحيى بن عبدالله عليهم السلام .
وهو عليه السلام من دوحة بسقت في سماء المجد والعلا، وأثمرت ثمرا حلوا المجتتى، اكتسبت النضارة أغصانها، ولبست البهجة أفنانها، واقتربت بغرائب العلم، وتفتقت كمائمها من عجائب الفهم، ظاهرة البركة للعالمين، تؤتي أكلها كل حين، مباركة شافية زاكية نامية، قطوفها دانية .

(١) أنظر سيرة الإمام عبدالله بن حمزة لأبي فراس بن دعثم بتحقيق عبدالغني محمود عبدالعاطي، أنمة اليمن ١/١٠٨-١٤٣، بلوغ المرام في شرح مسك الختام ٤٣، الترجمان «خ» مآثر الأبرار «خ» اللآلي المضيئة «خ» غاية الأمانى ١/٣٢٩-٤٠٦، التحفة العنبرية «خ»، التحف شرح الزلف ٢٤١-٢٤٩، أعلام المؤلفين الزيدية ٥٧٨-٥٨٦ تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ٣/٣٧-١٦٢، الأعلام ٤/٢١٣، معجم المؤلفين ٦/٥٠، الجواهر المضيئة «خ». مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ٥٣٩، والمقتطف من تاريخ اليمن ١١٦-١١٧، ونسمة السحر ٢/٣٢٢، والغدير ٥/٣٩٦.
(٢) التحف ٢٤١.

قيل ليحيى بن معاذ رحمة الله عليه : ما تقول في أهل البيت عليهم السلام؟
فقال : ما أقول في طينة عجنت بماء النبوة ، وغرست بأرض الرسالة ، فهل ينفح
منها إلا ریح الهدى ، وعنبر التقى ، وما ظنك ببيت عمّره التنزيل ، ومدحه الملك
الجليل ، وكانت توائم أبويهم من زغب ريش جبريل (ع) ، من ذا يدانيهم أو
يساويهم؟ . ثم قيل فيهم :

من معشر حبهـم دين وبغـضهـم كـفر وقـربهـم منـجى ومعتصـم
يُستدفع السـوء والبلوى بحبـهـم ويُستدام به الإحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهـم في كل شيء ومختوم به الكلم
إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتـهـم أو قيل : من خير أهل الأرض؟ قيل : هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم^(١) ولا يدانيهـم قوم وإن كرمُوا
هم الغيـوث إذا ما أزمـة أزمـت والأسد أسد الشرى والبأس يحتدم
يأبى لهم أن يحل البخل ساحتهم خيم كـريم وأيد بالندى لهم^(٢)
هذه عناصره عليه السلام الشريفة وجواهره العالية المنيفة .

ولد عليه السلام بعيشان من ظاهر همدان في شهر ربيع الآخر لإحدى وعشرين ليلة
خلت منه سنة إحدى وستين وخمسائة .

وروي أنه عليه السلام عند ولادته ازداد ضوء الصباح وعلا علوا يتجاوز المعتاد حتى
بلغ دُونِ السقف واستقام على ذلك ، وأسنده مصنف سيرته عليه السلام إلى الشيخ
عواض بن مسعود رحمه الله ، رواه عن المرأة التي حضرت الولادة .
وكان أبوه حمزة بن سليمان عليه السلام قد رأى في شأنه منامين : أحدهما أنه رأى
كأن رجلا عظيم الشأن في منزلة عالية ، عليه هيئة وجلالة وتعظيم عند الناس ،

(١) في ديوان الفرزدق «جودهم» .

(٢) للشاعر الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين ديوان الفرزدق ١٨٠-١٨١ .

فسأل من هذا ؟ ففهم من الجواب أنه ولدك واسمه عبدالله ، فلما ولد عليه السلام أتى البشير إلى والده فقال له : أما إن كنتَ مبيشراً بعبدالله فقد سبقك غيرك ، فلما وصل إلى منزله سألته زوجته أن يسميه عبدالله فحكى القصة .

والمنام الثاني: أنه رأى أنه ظهر منه نور يملأ الأرض كلها فعبره على جدته الشريفة الفاضلة سيدة بنت عبدالله الحرازي فقالت له : اكرم ذلك ، فقد قيل : إنه لا بد أن يظهر منك أو من ابنك المنصور أو من يدل عليه ، ثم عبرها على رجل وهو يتعجب منها فلما استكملها قال : أبشريا حمزة بإمام من ذريتك ، فصدق الله منامه .

وكان والده حمزة بن سليمان أتاه قوم من بني صريم ثم من الأجارم ثم من أهل عرار^(١) يطلبون منه القيام والمدافعة عنهم على ابن حاتم بن أحمد كما ملك أرضهم فقال : لا فرج لكم على يدي وإنما فرجكم على يدي هذا الصبي وهو بين يديه ابن العشر السنين أو دونها ، سمعنا ذلك عن رواه عنه عليه السلام يروي ذلك .

وكان حمزة من فضلاء أهل عصره وعيونهم له معرفة بأنواع العلوم ، كان قد أقام مع القاضي العالم شمس الدين جعفر بن أحمد قدس الله روحه ، وكان يروي عن القاضي : أنه يصلح للإمامة ويقول : لو دعا لأجينا دعوته ، وكان معروفا بالسخاء والمروءة والطهارة والعبادة والشجاعة ، ومن سخائه أنه لقيه ضيف ولم يكن معه شيء ، فعمد إلى ردائه ، فشقه واشترى له طعاما به ، وفيه يقول الإمام المنصور بالله عليه السلام في كلمة له لما لامته امرأته في سماحته فقال مفتخرا :

فإن أبي أوصى بنييه بخطه ولست بناس للوصية من أبي

وباع ترانا من أبيه لضيفه وشق فضول البرد غير مكذب

ومن ورعه ما أخبرنا به بعض الإخوان كثرهم الله عن الإمام المنصور بالله

(١) في (ج) : من بني حريم من الأجارم من أهل نجران .

أنه ضرب في رجله يوم الشرة فبقي عقيرا، فمرت به دواب ما استجاز الركوب على أحدها - وفي تلك الحال الرخصة جائزة .

وأما سليمان بن حمزة فكان فاضلاً عالماً ورعاً وحيداً في عصره .

روى مصنف سيرة الإمام عليه السلام بإسناده إلى الشريفين الأميرين الفاضلين يعقوب وإسحاق ابني محمد بن جعفر رحمهما الله تعالى : أنه لما أتاها خبر نعي سليمان بن حمزة قال : الآن يأسنا من القائم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عصرنا فقبل لهما : وهل كان يصلح لهذا الأمر ؟ قال : نعم كان له أهلاً .

وأما حمزة بن علي فإنه مات غلاماً صغيراً قد بلغ العشرين وافداً من جهة أبيه إلى حرّض علي الأمير غانم بن يحيى الحسني .

وأما علي بن حمزة رضوان الله عليه فكان من عيون أهل عصره وأفاضل أبناء دهره يؤهل للإمامة ، ويصلح للزعامة ، وهو أحد الخمسة الذين جمعهم عصر واحد يصلحون للإمامة ، ذكر ذلك مصنف سيرة الإمام المتوكل على الله عليهم السلام ، واتصلت به دعوة الإمام السيد أبي طالب الأخير عليه السلام بعد أن سأل عن أفضل أهل البيت عليهم السلام فأشير إليه وقبره عليه السلام بذييين ، وكان له حصن بئر ، وكان عالي الصيت ، نبيه الذكر يُقصد بالمديح ، ويشيب عليه بالجوائز السنية .
فمما روي فيه قول شاعر وفد إليه من صنعاء يقال له علي بن زكري :

دع الشعر و امدح خير هاشم عنصرا	عليا حمام الضد عند التكافح
فتى فاضلاً يسمو على الناس كلهم	بعلم وعقل في البرية راجح
غياث اليتامى مشبع الضيف باذل الـ	عطايا لغناد في الأنام ورائح
ترى الناس أفواجا لدى سوح داره	كحجاج بيت الله حول الأباطح

ولبعضهم من قصيدة يستنهضه للقيام يقول فيها :

وَقَابَلْتُ ذُبَيْنُ مَسْرُورَةً
 أَشْوَسَ مِنْ غَرْبِي هَاشِمَ
 رَبَّاهُ بِالْجُودِ أَبُو هَاشِمَ
 فَشَبَّ كَالصَّارِمِ فِي الْعِزْمِ بَلِ
 لَمْ يَصْبِحِ الْكَأْسُ وَلَا هَاجَهُ
 وَلَا دَعَا السَّاقِي فِي سَحْرَةٍ
 قَمِ فَاغْتَشِ الْحَقَّ وَأَشْيَاعَهُ
 لَمَّا التَّقْتُ بِالْهَاشِمِيِّ الْعَتِيقُ
 مَسْتَنْقِذُ الْجَانِي وَغُوثُ الْغَرِيقِ
 وَحَمِزَةُ الْبِرِّ الْكَرِيمِ الشَّفِيقِ
 كَالْبَحْرِ يَلْقَاكَ بِوَجْهِ طَلِيقِ
 نُوحِ حَمَامَاتِ بُوَادِي الْعَقِيقِ
 أَنْ هَاتِ صَرْفًا مِنْ عَصِيرِ الْمَقِيقِ
 فَأَنْتِ بِالْمَرْجِسِ مِنْهُ خَلِيقِ

وأما حمزة بن أبي هاشم فهو القائم بأمر الله المحتسب في سبيل الله المنابذ لأعداء الله شهد بفضله المخالف والموافق، وقد ذكره الإمام المتوكل على الله ﷺ في بعض رسائله على المطرفية الشقية في من ذكر من أهل البيت عليهم السلام الذين أنكروا مذهب المطرفية، وردوا عليهم. وكانت له مع بني الصليحي وقعات مشهورة ومواقف مأثورة.

وكان ﷺ في بعض أيامه في مسجد حللمم وقد اجتمع أهل الطرف وأراد الصلح بينهم في أمور كانت، فأحدث واحد بالقرب من المسجد صوتا يريد تفريق الناس حتى ينصرفوا بغير صلح فلما سمعه حمزة قدس الله روحه قال: من هذا الذي غير محضرنا غير الله لونه، فأنزل الله به البرص في مجلسه عقيب دعائه ﷺ ورآه الناس حتى وصار آية شاهدة بفضله وكرامته، ولم يزل مجاهدا حتى مضى لحال سبيله، وقتل في المعركة ﷺ في المنوي^(١) آخر سنة تسع وخمسين وأربعمائة في أيام علي بن محمد الصليحي وكان ﷺ يقاتل يوم قتله وهو يقول:
 أطعن طعنا ثائرا غباره طعن غلام بعدت أنصاره
 وانتزحت عن قومه دياره

(١) موضع في الخشم.

وفيه يقول شاعر المكرم:

وصرعن بالكنوي منكم سيذا قرما ولم أرضَ به أن يصرعا
وكان جيشه ألفا وخمسمائة فارس وخمسة عشر ألف راجل، ووقف عنده
سبعون شيخا من همدان يجالدون معه حتى هلكوا، وقتل معه عشرة من رؤساء
همدان كل واحد له عشرة ذكور وعشر بنات، وعجل الله تعالى انتقام قاتله علي
ابن محمد الصليحي، فلم يحل عليه الحول حتى قتله سعيد بن نجاح في شهر ذي
القعدة لسبعة أيام خالية منه ستة وأربعمئة، وقيل سنة ثلاث وسبعين، وقتل
معه بنو عمه وسيت حرمه. وقال الإمام عليه السلام في قصيدة منها:

كم بين قولي عن أبي عن جده وأبو أبي فهو النبي الهادي
وفتى يقول حكى لنا أسيانا ما ذلك الإسناد من إسنادي
ما أحسن النظر البليغ لمنصف في مقتضى الإصدار والإيراد
خذ ما دنا ودع البعيد لشأنه يغنيك دانيه عن الإبعاد
وقال فيها... وذكر حمزة عليهما السلام:

أفليس جدي حمزة نعش الهدى بحسامه وبعزمه الوقاد
حسما إلى أن ذاق كأس حمامه وسط العجاجة والخيول عوادي
وسليله جدي علي ذو العلا علم العلوم وزاهد الزهاد
لم يرتدع في حربه عن عامر عن فرط إبراق ولا إرعاد
يعني عامر بن سليمان الزواحي الذي قتله الأمير المحسن بن الحسن بين ثلا
وشبام، وثأر بحمزة بن أبي هاشم عليهما السلام وحمل السلطان عامر بن
سليمان على الأمير المحسن فتطارد له عليه السلام ثم لقاها الرمح في هزيمته^(١) فوقع في
نحره وعطف عليه ولده، فشل شيوعي من خلصان الزيدية كنانته ورماه بسهم كان
فيه حمام ولده، فقال الشاعر من الزيدية:

(١) هزمه: جمعها هزوم وهي للثغرة من الترقوتين. المنجد: مادة هزم.

إنا قتلنا عامراً وابنه
وقال - يمدح المحسن وذكر طعنته :

لله در محسن من طاعن
جادت له كف الشريف بطعنة
وقال الإمام المنصور بالله بعدما تقدم :

وسليله جدي سليمان الرضى
والحمزة سبق إلى طرق العلا
والله ما بيني وبين محمد
وأنا الذي عاينتموا أحواله
وسلوا فإننا قد عرضنا أمرنا
للناس من عدن إلى سنداد

وأخبرني الأمير شيخ آل الرسول عماد الدين يحيى بن حمزة طول الله عمره
بسندته إلى بعض أهله أنه لما دفن حمزة عليه السلام وأراد أولاده نقله من الموضع الذي
دفن فيه حمزة عليه السلام فأقاموا مدة يطوفون بقبره ليلاً حتى أمكنتهم الفرصة فحملوه
في شملة ليلاً وله نور ساطع يرى منه أهداب تلك الشملة ، ولما نقلوه من حيث
كان قبره في بيت الجالد رضوان الله عليه .

وأما أبوهاشم الحسن بن عبدالرحمن عليه السلام فكان من فضلاء العترة
وعلمائها وكان قد دعى إلى نفسه سنة ثمان عشرة وأربعمائة . وله دعوة حسنة
وهي تكشف عن فضله وغزارة علمه وهي موجودة ، وله كتاب سياسة النفس في
الزهد والوعظ .

ولم تطل أيامه عليه السلام وإن كان قد دخل صنعاء وأقام فيها في سنة ست
وعشرين وأربعمائة ، واستقام أمره حتى عارضه الشقي الحسين المرواني لا رحمه

(١) السنور : لبوس من قد كالدرع . القاموس ٥٢٦ .

اللَّهِ . وتوفي بناعط في بلاد حاشد، ومشهده هناك مشهور مزور، وكان قدم من الحجاز ومعه ولداه: حمزة ومحمد، وقد بينا خبره فيما مضى، وأما من عدا هؤلاء فإنهم قدوة أعلام سادة أمجاد، قد تبوأوا غرف الشرف العالية، وتسنموا ذرى الفخار السامية، فالمجد بهم معصوب، والحق إليهم منسوب، وما حال قوم أحسابهم نبوية، وأنسابهم علوية، قد أشرق جواهرها، وطاب مخبرها! فهل لهؤلاء من عديل، أو يوجد لهم مثل؟ إنهم لمعشر نجباء حلما، وقوم خيرة كرماء.

فهذه صفة آبائه عليهم السلام الذي ينتمي إليهم في نسبه، وينتهي إليهم في حسبه، فما ترى حال هذه الأنساب والأفعال يا من يميز بين الأقوال، وإذا كانت هذه صفتهم أو حالتهم، فكيف ترى حالته؟ إنها لصفة شريفة، وحالة عالية منيفة، وإنه ﷺ وإياهم لكما قال بعض من مضى وهم أخلق به وأولى:

من أهل بيت ترى ذا العرش فضلهم بنى لهم في جنان الخلد مرتفقا
المطعمين إذا ما أزمة أزمتم والطيبين ثياباً كلما عرقوا
كأن آخرهم في المجد أولهم إن المكارم والأخلاق تتسق
إن قامروا قمرُوا أو فاخروا فخرُوا أو فاضلُوا فضلُوا أو سابقُوا سبقُوا
تنافس الأرض موتاهم إذا دفنُوا كما تنوفس عند الباعة الورق
صفته ﷺ:

كان ﷺ طويل القامة، تام الخلق، روي اللون، أقى الأنف، حديد البصر، فيه حدة مفرطة، أبلج كث اللحية، كأن شبيها قصب الفضة صقالة وشفاء، قد كسى الكمال والمهابة والجمال حتى فاق أهل عصره في خلقه كما فاقهم في خلقه. ولقد روى لنا بعضهم أنه رآه في حال صباه وعنفوان شبابه وأنه إذا سجد يرى نور وجهه فيما يحاذيه يتردد كما يتردد نور الشمس عند وقوعه من

الماء في الجدار . مات عليه السلام وقد غلب الشيب على عارضيه خاصة ، وقال له بعضهم : يخضب عارضيه ^(١) . فقال بديها :

قالوا اخضب الشيب إن الشيب منقصة في أعين الرشيئات ^(٢) الرغاديد
فقلت : ذاك كما قلتُم وهيبته تقيض قولكم في أعين الصيد
نحن الذين ضربنا الناس عن عُرُض على البياض فهل نرضى بتسويد ^(٣)

وكان عليه السلام صادق الحدس ، قوي الفراسة ، يعرف بذلك من خبره من المخالطين ، ويعد باليقين من جملة المحدثين ، ولكم من أمر أخبر به قبل أوانه بالحدس فكان كذلك وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله » ^(٤) ، قال الشاعر :

الألمعي الذي يظن بك الظن من كأن قدر أي وقد سمعا

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام

هذا باب لا سبيل إلى استقصائه ، وإنما نذكر اليسير فيه كفاية ومقنع لمن قلت خبرته به عليه السلام وإلا فأحواله ظاهرة وبدور شرفه باهرة .

نشأ عليه السلام من صغره على أشرف طريقة وأزكى حالة ، لم يعرف له شغل في حال صباه باللعب ولا ميل إلى اللهو والطرب ، وأخبرني من أثق به كل الثقة أنه لما فرغ من تعلم القرآن الكريم في حال صغره وأدرك منه الوطر أخذ يتأسف على ضياع العمر وفوات العلم وأظن في ذلك ، فأعلم بعض إخوته والده عليه السلام بذلك فدعاه وتحدث معه ، وقال له : يا بني إنه لم يمض من المدة إلا القدر الذي

(١) في (أ) : عارضه .

(٢) الظاهر أنه جمع رشاً وهو ولد الظبية . معجم قواميس اللغة ٣٨٤ .

(٣) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة «خ» ٣٠٥ .

(٤) كنز العمال ١١/٨٨ برقم ٣٠٧٣٠ والترمذي ٥/٢٧٨ برقم ٣١٢٧ ، وفتح الباري في شرح

البخاري ١٢/٣٨٨ .

يمكنك أن تصل فيه إلى ما قد وصلت إليه وأنت مستقبل فشمري في ذلك، ثم انتقل بعد ذلك إلى الدراسة في أنواع العلم، فأخذ في علم الأدب حتى لَجَّ في أغواره والتقط من درره من قراره، وبرز في ذلك تبريزاً بليغاً، ولقد كان يحفظ من شواهد اللغة ما لم يحفظه أحد من أهل عصره .

وأخبرني الأمير الكبير شيخ آل الرسول في عصره، وناعش الحق في دهره، عماد الدين، ذو الشرفين، أبو المظفر يحيى بن حمزة بن سليمان طول الله عمره وأعلا^(١) قدره: أنه رأى مع الإمام عليه السلام مجلداً فيه أشعار، ثم قال له: قد قرأته شرفاً فحفظته^(٢) فخذها فاسألني عن أي قصيدة منه شئت قال: فأخذته وجعلت أسأله من أوله ووسطه وآخره وأنا أذكر له بيتاً من القصيدة فيأتي بها تامة حتى استرويته عدة قصائد. وأخبرني الفقيه العالم جمال الدين عمران بن الحسن ابن ناصر أدام الله سعادته عن بعض من له حظ وافر من الحفظ لأشعار القدماء والمحدثين: أنه قال: أنا أحفظ^(٣) قدر مائة ألف بيت، وفلان يحفظ مثلها وذكر رجلاً من أهل الأدب ونحن لا نعد حفظنا إلى جنب حفظ الإمام عليه السلام شيئاً وكان إذا عرض البيت من القصيدة يحتج به على لفظه غريبة^(٤) من الكتاب والسنة أو غيرهما من كلام العرب روى القصيدة أو أكثرها وربما روى^(٥) سبب إنشائها ونسب قائلها، وقد يحكي كثيراً من أشعاره إلى غير ذلك من الأحوال المشاهدة له في هذا الباب من السبق .

وكان عليه السلام عارفاً بأيام العرب على ضرب من التفصيل، ثم ارتحل عليه السلام

(١) في (ج): شرف .

(٢) في (ج): أشرفاً ثم حفظته .

(٣) في (ج): قال: أحفظ .

(٤) في (ج): غريبة .

(٥) في (أ): ذكر .

للقراءة إلى الشيخ العالم حسام الدين أبي محمد الحسن بن محمد الرصاص رضوان الله عليه، وكان عالم الزيدية في عصره، والمبرز على أبناء دهره، وإليه انتهت رئاسة أصحاب القاضي شمس الدين قدس الله روحه، فوقف عنده رضي الله عنه فقرأ في الأصوليين حتى فاق الأقران وتقدم الكهول والشبان .

وحكى لي رحمته أنه كان يكتب في لوح عشرين في أصول الدين في جانب وفي جانب آخر عشرين في أصول الفقه قال: وقرأت هذه ثلاثة أشرف وحفظتها وهذا ثلاثة أشرف وحفظتها^(١) فجمع بين القراءة في فنين وصنف رحمته في أصول الدين قبل بلوغ العشرين من مولده، وكان من محاسن تصانيفه في حال صباه ودراسته عند شيخه حسام الدين قدس الله روحه كتاب «الجوهرة الشفافة» وهو جواب رسالة أنشأها رجل من أهل مصر، ووسمها «بالرسالة الطوافة إلى العلماء كافة» تشتمل على مسائل في الأصول، بالفاظ يغلب على كثير منها: التعقيد والتعكير، وهي نيف وأربعون مسألة، وموردها أشعري متفلسف، فطافت على كثير من البلدان، فما تصدى عالم لجوابها، ولا رام فتح بابها حتى انتهت إلى الشيخ المقدم ذكره؛ لأنه كان في علم الكلام شمساً مشرقة على الأنام، وحبراً من أحبار الإسلام، فأمر رضي الله عنه الإمام أن يجيب عنها، فأجاب رحمته بأحسن جواب وأوضح خطاب، مع الإيجاز في الألفاظ والاستيفاء للمعاني، فجاءت حاله الجيد، محاكية للعقد الفريد .

وقال رحمته فيها بعد حمد الله تعالى والثناء عليه، والصلاة على محمد رحمته وآله: فإن الرسالة الطوافة انتهت إلينا إلى أرض اليمن قاطعة خطامها، حاسرة لثامها، تقطع المجاهل والجهول^(٢)، وتصعد معاقل الوعول^(٣)، كم وإد جزعت،

(١) في (ج): ساقطة: وحفظتها.

(٢) في (ج): الفحول.

ومررت قطعت، وشامخ طلعت . . .

تأتي على الناس لا تلوي على أحد حتى أتتنا وكانت دوننا مصر
لكنها جاءت بما برّد الأحشاء، ولم يكن كلسان الأعشى .

ثم قال: فلما اتصلت بحسام الدين، ورأس الموحدين أبي علي الحسن علامة
أهل اليمن، عاينت ما يبهر العقول نورا، ويرد الطرف خاسئا حسيرا، كسرت من
طرفها، وطامنت في أنفها، وقبضت من كفها، وسلمت له القياد، وقالت: هيت
لك يا خير هاد، ألق رجليها بحيث حط الفضل رحله، وصارت إلى من صار
للعلماء قبله، وكان يومئذ مشغولاً بتصانيف وأجوبة لا يقوم بها سواه، ولا ينهض
بعيها إلا إياه، دفعها إلي وقال: حلل عقدها، وقوم أودها، وكنت قد اغترفت
من تياره غرفة طالوتية، أفرغت علي صبراً، ومنحتني على المناضل نصراً،
فامتثلت الرسم العالي، على كثرة اشتغالي، وقلة إيغالي، مستعينا برب أزملي،
قديم أبدي. فانظر إلى هذه الشذور الذهبية والياقيات الفاتقة العربية .

ثم أخذ عليه السلام في الكلام والأجوبة فكانه السحر دقة، والماء عذوبة ورقة،
وفرغ الجواب عليها من نهاية الإيضاح والبيان، ووسم الجواب «بالجوهر الشفافة
رادعة الطوافة» وأصحابها هذه الأبيات أنشدها عليه السلام في داره بحصن ظفار حرسه
الله تعالى:

هذي أمـانة من تلم به	حتى يبلغها إلى مصر
غراء واضحة تضيء ظلا	م الليل مثل جمانة البحر
عدلية تمضي لحاجتها	فتنح عنها أيها الجبري
إن كان فيها ما يسوءك من	ديني فليس عليك من وزري
دعني وما ضمنتها فيه	أرجو النجاة صبيحة الحشر

(٣) في (أ): ساقطة: الوعول .

ثم صدرت منه عليه السلام شهادة له بالعلو والكمال ، مخبرة بأنه من الشرف في
أعلا يفاعه العال .

ومن تصانيفه عليه السلام شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة وهو مشتمل
على جزأين . الأول الكلام في أصول الدين من التوحيد والعدل والنبوءات
والوعد والوعيد وما يتبعها . والثاني : الكلام في فضائل العترة عليهم السلام
وهو يشتمل على نكت حسنة من أخبارهم ، وملح آثارهم ، وهو كتاب جليل
القدر . ومن تصانيفه عليه السلام في أصول الفقه : صفوة الاختيار . ومنها في أصول
الدين : كتاب الشافي وهو يشتمل على أربعة مجلدات : تولى الربع الأول على
الخصوص وهو يتعلق بأخبار القائمين من العترة عليهم السلام ومن يصلح للقيام
وإن لم يقم ، ومن عارضهم من بني أمية وبني العباس من أمير المؤمنين عليه السلام إلى
وقت الإمام المنصور بالله عليه السلام .

ومن تصانيفه عليه السلام حديقة الحكمة النبوية في تفسير الأربعين السيلبية وهو
من محاسن الكتب التي فاقت ، والتصانيف التي راقت ، مضمنا إيضاح الألفاظ
اللغوية بشواهدا العربية ، وبيان المعاني على نهاية الحسن والتمام ، ولقد سمعته
عليه السلام يقول : إنه فرغ من تأليف الجزء الثاني منها في سبعة أيام أو ثمانية أيام ، وهو
في خلال ذلك مشغول بتجهيز العسكر إلى بعض الجهات ، ورأيت ذلك الجزء
بخطه عليه السلام الذي هو المسودة ، ومن شاهده عجب من ذلك ، حتى إنه لا يكاد
يوجد فيه سطر مظموس ، ولا مزيد إلا النادر الذي لا يؤبه له ، وهذا شيء خارج
عن المعتاد ، هذا مع أن فيه من الألفاظ الرائقة والكلمات الفائقة ما يقل مثلها في
مثله .

ومن كلامه عليه السلام : وقد ذكر معنى الإنابة وأنها الإقبال على الطاعات والقرب
المنجيات ، ثم قال : فبذلك ينال دار الخلود والرضوان ، والروح والريحان ، وهي
دار القرار ودار الحيوان . ولم لا تكون كذلك وهي دار لا ينفد نعيمها ، ولا يظعن

مقيمها، ولا يكدر شرابها، ولا يهجم قبابها، ولا ييأس أربابها، وكيف لا يعمل لها العاملون، وينيب إليها المنيبون، وأهلها في الغرفات آمنون، وفي منازل اللذات قاطنون، يمسون بين ثياب العبقري الأحمر، والسندس الأخضر، والظميم المدثر والدمقسي المصور. ثياب خلقها الجبار، لم تصنع في هذه الدار، ولم تر مثلها الأبصار، لم تنسب إلى تيس ودمياط، ليست بقهرية ولا قوهية ولا سيرية، ولا مفوفة مزورة، ولا حضرمية محبرة، ولا تنيسية مهلهة، ولا هشامية مثقلة، ففي ذلك فليتنافس المنافسون^(١).

ومن كلامه عليه السلام: ومن للمخف باللحاق، إذا أرسلت^(٢) خيل السباق، وألصق القطيع بالساق، وكان إلى الحكم العادل المساق، فكم من متجلد مقطوع الأباهر، ومن ذي جلد للخد عائر، وكم من موفق فاز بقدح القامر، وخذ الوائر، فمن أنهته القناعة إلى السعة فاز، ومن أنهته الرغبة إلى الضيق عطب.

ومن كلامه عليه السلام في هذا الكتاب قوله: فانظر إلى أمية الطاغية، وفتتها الباغية، وعزتها العالية، ونخوتها السامية، وسطوتها العاتية، فهل ترى لها من باقية؟ دهمتها الداهية النأد، فألحقها بظالمي قوم عاد، بعد أن طغت في البلاد، وأكثرت فيها الفساد، ووثرت المهاد، وثبت لها الوساد، وملكت النجاد والوهاد، حتى كان يخطب للواحد منهم كل يوم جمعة على ثمانين ألف منبر على رؤوس الأشهاد، فأى طمأنينة أعظم من هذه، فأحدث الله بعد أمر أمراً، فأصبح المهني بهم معزى، ﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾ [مریم: ٩٨] فيأله من إزعاج ما ألمه وأهمه ويطش ما أشده وأطمه، وإن نظرت في أمر الجاهلية فكم من واعظة جلية، أين العمالقة والأكاسرة! والتبابعة والقياصرة! والفراغنة

(١) حديقة الحكمة النبوية ٤١ .

(٢) في (أ): وقد أطلقت .

والمناذرة؟! وترتهم الواترة، فردوا في الحافرة، وطحوا في الساهرة، فباءوا بصفقة خاسرة، وتجارة بائرة، فأصبحت قبورهم عامرة، وقصورهم دائرة، فهل يأمن الدنيا بعدهم لبيب أو يسكن إليها أريب^(١).

ومن كلامه عليه السلام في صفة الجنة: فيها قصور مشيدة، وقباب معمدة، وعقود مكللة، وخيام مجللة، وأنهار مطردة، وحدائق متسردة مشيدة بالذهب والفضة، معمدة بالياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، واللؤلؤ والجوهر، طينها من المسك والعنبر، فكيف يصف الواصفون وصفًا قال الجبار القادر^(٢) كُنْ فكان، هل يزهدها فيها زاهد، أو يرقدها راقد، وأما النار فالنار غضب في غضب، ولهب يعلوه لهب، وأدراك متناهية في الهبوط، ونقم دائمة السقوط، لا يرحم باكيها، ولا يُشكا شاكيا، كلما نضجت جلودهم بدلها الباري^(٣) جلودا غيرها ليدوقوا العذاب، فلم ينام هاربا ويرد نصيحة الخوف منها.

ومن كلامه عليه السلام: في هذا الكتاب قوله: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، فكيف يعمل لها مع إدارها عمل المستقبلين، أو كيف يركن إليها الحاضر الفطين، وقد خلت لنا فيها المثالات بأبنائها الفارطين، ولقد عاينا من إدارها عن المقبلين عليها رؤية عين اليقين، فكم لها من ضريب وطعين، وطريح ودفين، أبدت لنا محاسنها الفتانة، وتدفرت بالعفة والأمانة، حتى إذا تمكنت مخالبا حبها في شغاف قلبه، وألب ودها بلبه قلبت له ظهر الحجن، وجرعته كؤوس المحن، فأضرمت عليه نيران الفتن، وقلبت له لوجهه حيران، وأهبطه العشا منها على سرحان، فخان فيمن خان، ودين بما دان، وقيل كان وما كان، فلم تغنه الأحران^(٤)، ولا ترفع منه

(١) حديقة الحكمة النبوية ١٢٠ - ١٢١.

(٢) في (أ): أمراً قال له الملك الجبار: ...

(٣) في (أ): بدلناهم جلوداً.

(٤) في نسخة فلم يعنه الأخوان.

الأشجان - إلى غير ذلك من فرائد كلامه الغر الثمينة ، وإنما قصدنا التنبيه دون الإكثار .

ومن تصانيفه عليه السلام : الرسالة الهادية بالأدلة البادية في السبي وما يتعلق به ، وهي بالغة النهاية . ومن كتبه عليه السلام : الدررة اليتيمة في تبين أحكام ^(١) السبي والغنيمة ، فصلٌ فيها شيئاً حسناً في السير ، وأوضح الكلام في مسائل أوردها موردها من فقه العترة عليهم السلام ، فجاء فيها من الكلام بما يوازن اليواقيت . وقال فيها عليه السلام : لأن موردها تعمق في الإيراد ، ولم يسلك طريقة الاسترشاد ، كم بين من شغله ^(٢) يتفقد حرمة وأغراضه وعنايه وإباضه ، وبين من شغله بطغيه واعتراضه وتجارزه وإبغاضه :

يطرق إطرارق الكرى لكي يرى مــــا لا يرى
حدد مداه ليقطع ما أمر الله بوصله ، ويقضي على العلم بجهله ، ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [النساء : ٨٣] ويقول : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [النساء : ٥٩] فكيف تثبت طاعة مع الخلاف والنزاع ، والاعتراض على ولي الأمر في الأفعال والأوضاع ، إنما هو فجراً وبجراً ، فرحم الله امرءاً تبصر وتفكر ، وعقل الأمر وتدبر ، وسلم لمن أمرنا التسليم له ، وسلك من الرشده سبيله ، أصل الاعتراض المرض ، كما أن أصل الشَّرْق ^(٣) الجَرَض ، هل كان في الوصي المعصوم لقائل مقالة ، فقطع العباد المجتهدون على كفره ^(٤) لا محالة ، بعد شهادة

(١) في (ج) ساقطة : أحكام .

(٢) في (ج) ساقطة : شغله .

(٣) الشرقة : غصة تقول أخذته شرقة كاد يموت منها ، الجررض والجريض : الريق يغص به . المنجد

٣٨٤ ، ٨٧ .

(٤) في (أ) : أمره .

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْعَصْمَةِ وَزَوَالِ الْوَصْمَةِ ، مَا كَانَ أَحْوَجَ
أَهْلَ الدِّينِ الصَّحِيحِ إِلَى الْعَمَلِ بِالْجِدِّ وَالْاجْتِهَادِ فِيمَا وَقَعَ فِيهِ مِنَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ
لِلنَّصِ الصَّرِيحِ فِي إِعْزَازِ الدِّينِ وَمُنَابَذَةِ الْمُعْتَدِينَ ، أَصْلَحَ شَسْعُ النَّعْلِ ، وَتَأَبَّدَ عَنِ
الْإِسْلَامِ بِالْحِجَارَةِ وَالنَّبْلِ ، وَكَانَ ضَجِيعًا لِلْحَسَامِ ، وَاصْبِرْ بِصَبْرِ الْكِرَامِ ، فَإِنَّمَا هِيَ
شَهْقَةٌ وَقَدْ أَفْضَيْتِ إِلَى دَارِ الْمَقَامِ ، فَإِنَّمَا إِلَى سَعَادَةٍ دَائِمَةٍ ، وَإِنَّمَا إِلَى شَقْوَةٍ لَازِمَةٍ ،
كَمْ بَيْنَ الْوَدْعِ وَالْوَرَعِ ، وَالْبَازِلِ وَالْفَرْعِ ^(١) .

ومنها قوله عليه السلام : اتهم نفسك لا إمامك ، وتقدم فالصلاة أمامك ، لا
تضرب وجه الجواد السابق ، لتصدده عن الغاية فتكون للناس آية ، ما أحوج السلاح
إلى الحَمَلَةِ ، والعلم إلى العَمَلَةِ ، يا طالب الدين لا بد من الآلة لا تقوم مقام الدرع
الغلالة ، انصب وارغب فلا تُتَعَبْ ولا تَتَّعَبْ ، فالدين نهج قويم ، وصراط
مستقيم ، اليمين والشمال مضلة مزلة ، والوسطى توصلك بحبوحه الملة ، تنيماك
في الأظلة ، لا بد للمسافر من زاد ومزاد ، ولا بد للمقاتل من سلاح وعتاد ، انظر
لنفسك ولا تقيدها بالوكَل ، ولا تعللها بليت ولعل ؛ فإن هول المطلع شديد ،
والشاهد عليك عنيد ، إن من التكبير ما يكتب على صاحبه كبيرة ، فنسأل الله
حسن البصيرة ، سبح ما استطعت بكلمة أو حركة ، ففي القليل مع الاستقامة
البركة ^(٢) .

ومنها قوله عليه السلام : قليل من العلم يحتاج إلى كثير من العمل فإياك أن
ينتظمك المثل (سعيته وحج الجمل) كم بين من شغله علاج دبر جواده ممن هممه
التعلل في إيراده .

لو أن سلمى شهدت مطلي * تمنح أو تدليج أو تعللي * إذا لراحت غير ذات دلي

(١) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ١٧١/٢ - ١٧٢ .

(٢) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ١٧٣/٢ .

الإسلام عند المستحفظين به غض ، وأدبهم لديهم أبيض نض ، وعند سواهم
أسود اللون ، شاحب الجبين ، لا يعرف مع التوسم والتفرس إلا بعد حين ، وذلك
لأنهم طلبوه في غير مطلبته فلم يتحصنوا بجنته ، للعلم أرباب وللدن نصاب ، آل
محمد أربابه وفيهم نصابه ، إن أقدموا فأقدموا مصممين ، وإن أحجموا فكونوا
محجمين ، إن التقدم على الإمام تأخر عن شريف المقام ، التأخر عنه دين وشرف ،
والتقدم عليه شين وسرف^(١) .

ومنها قوله عليه السلام : إن شككت في قضية السبية فابحث عن الخفية
يا ورع يا أورع ، أين أنت عن قصة الوصي الأنزع ، بالغت^(٢) للسنة في نتف
الإبطين ، وغفلت عن قصة أبي السبطين^(٣) ، ومنها قوله عليه السلام : هلك من كذب
القطا^(٤) ، وركب في أمره متن الخطا^(٥) ، لو ترك القطا لنام فعلق رأسها للجمام .
ومنها قوله عليه السلام :^(٦)

فقلت لكأس أجميها فإنما حلت الكتيب من زرود لأفرغا
لا يصلح آخر هذا الدين إلا بما صلح به أوله ، تنبيك بأيام الصيف حرمة^(٧) .
ومنها قوله عليه السلام : ما كان أحوجنا من مورد السؤال إلى المعرفة والنصرة
بئس السجية التغرب بعد الهجرة ، قال الصادق الأمين عليه وعلى آله صلوات

(١) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ١٧٣/٢ - ١٧٤ .

(٢) في (أ) : تابعت .

(٣) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ١٧٥/٢ .

(٤) القطا : طائر معروف سمي بذلك لثقل مشيه واحده قطاة ، والمثل : « لو ترك القطا لنام » يضرب
مثلاً لمن يهيج إذا تهييج . لسان العرب ١٢٤/٣ .

(٥) في (أ) : وأمن في أمره من الخطا .

(٦) هكذا في المخطوطات ولكن رسالته في هذا الموضوع متصله فليس لها معنى ، أنظر مجموع رسائل
الإمام عبدالله بن حمزة ١٧٥/٢ .

(٧) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ١٧٥/٢ .

رب العالمين: «من جهز غازيا أو خلفه في أهله كان له مثل أجره»^(١) فما حاله إذا
لسنه بلامه ، وطعنه بكلامه ، وثبط عنه بتشكيكه وإبهامه ، وعض كالتأسف على
إبهامه .

يا خاطر الماء لا معروف عنكم لكن أذاكم إلينا رائح غادي
بتنا غروثا وبات البق يلسعنا يشوي الفراخ كان لاحي في الوادي
إني لمثلكم في سوء فعلكم . إن جئتم أبدا إلا معي زادي
هذا الشاعر المسكين تأذى من لسع البق والظوى ، فما لنا بمثل حاله والبلوى
بمثل خلاله^(٢) .

ومنها قوله ﷺ في صفة هذه الرسالة: فلما تكرر السؤال من الأصحاب ،
وحق لكل سائل^(٣) أن يجاب ، أنشأنا هذه الرسالة وسميناها (بالدرة اليتيمة في
تبيين أحكام السبي والغنيمة) على أشغال تُبلبل البال الساكن ، وتلحق المقيم
بالظاعن ، ثم لم نتمكن فيها من البسط ، وإن كان فيها بحمد الله ما يغني عن
الرحل والخط ، اعتراض البرق يدل على الحياء ، وإن تعذرت مشاهدة الرباب ،
وقيل إن السبع المثاني هي أم الكتاب فليتدبرها الإخوان بعين الإنصاف ، فلعلها -
إن شاء الله - تنزل منزلة الألفاظ ، وتُعرف المسترشدين ما عرف أهل الأعراف ،
ويكون ما فيها كاف شاف^(٤) .

ومن كتبه ﷺ الأجوبة الكافية بالأدلة الوافية وفيها يقول ﷺ:
إذا غضب الفحل يوم الهياج فلا تعذلوه إذا ما هدر
أنا ابن معيد صدور الجياد والدم منها يحاكي المطر

(١) الترمذي برقم ١٦٢٩ ، وابن حبان برقم ١٦١٩ ، والترغيب والترهيب ٢/ ٢٥٤ بلفظ مقارب .

(٢) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٦ .

(٣) في (أ): محب .

(٤) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٧ .

أُنكر حَقِّي برجم الظنون وهل يكتُم الناس ضوء القمر
فإن سُوِّرت سيرتي باليقين كانت لعمرك خيرُ السير
أُست الذي شق بُرد الضلال بفكر يَشُق الحصى والشعر
وعزم توارثته من عليٍّ وحزم تعلمته من عمر
لساني كشقشقة الأرحبي أو كالحسام اليماني الذكر^(١)

ومنها الأجوبة الرافعة للإشكال والفاخرة للأقوال . ومنها الناصحة المشيرة بترك الاعتراض على السيرة . ومنها كتاب الإيضاح لعجمة الإفصاح ، وأكثر هذا فيما يتعلق بباب السير ، فقد كان الناس بعدَ عهدهم بالعلم حتى كثر اعتراضاتهم ففصلَ ﷺ في هذه الكتب من البراهين على صحة أفعاله ما يبهر العقول ويردع الجهول ، ولقد قال ﷺ في بعض تصانيفه لما كثر الاقتراح عليه والتعنت ، وأن لا يجيب إلا من أقوال الأئمة دون السير فقال : فحملنا أيده الله ما لا طاقة لنا به ، ولم يأت البيت من بابه لأن السيرة النبوية والأعمال الصحابية هي الأصل في الفتاوى الشرعية ، أو الأعمال الدينية ؛ فحال هذا المسترشد في سؤاله كحال من يقول لغيره أو صلني إلى بلد كذا وكذا ، ولا تسلك بي طريقه . وهل صنف الأئمة عليهم السلام إلا ما بنوه على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأعمال السلف رضوان الله عليهم مجتمعين ؛ فيكون أصلاً لاحقاً بالأصول ، أو مفترقين فيكون مذهباً وديناً يفتقر^(٢) إلى الترجيح والتعليل ، ثم قال ﷺ : والذي ذكرنا علم إن لم يوجد فيما مضى من علوم الأئمة عليهم السلام ألحق بها ، وحمد الله أهل هذا المذهب على ما من الله به عليهم واختصهم به من كون الهداة الطيبين فيهم ، وسعة علومهم ، وتواتر ذلك كذلك مع بقاء التكليف .

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٣٢ .

(٢) في (أ) : يرجع .

وكان كل من سأله عليه السلام ممن له أيسر معرفة، يروم المطالبة بالدليل، فكان عليه السلام يسلك بهم طريقة الرفق واللين، إذ كان ذلك شيمة له معروفة، وسجية مألوفة، وطريقة موصوفة، وشنشنة^(١) مشهورة .

ومن كتبه عليه السلام الرسالة الكافية إلى أهل العقول الوافية . ومنها الرسالة النافعة بالأدلة القاطعة، وذكر علياً عليه السلام وفتح خيبر، فقال في حقه ومن تقدم عليه من الصحابة :

قد عرفوا طرق التقديم لو عرفوا لكنهم جهلوا والجهل ضرارٌ
ساروا برايته فاسترجعوا هرباً والخيل تعثر والأبطال فرار
حتى إذا انسدَّ وجه الفتح واختلجت خواطر من بني الدنيا وأفكار
نادى أبا حسن موفي مواعده صبحا وقد شخصت في ذلك أبصار
فجاء كالليث يمشي خلف قائده إذ كان في عينه ضرر وعوار
فمخ فيها بريق طعمه غسل وريحه المسك لم يفضضه عطار
وقال خذها وصمم يا أبا حسن فكان فتح وياقي الجيش صدار
ومنها دعوات عدة :

منها الدعوة العامة التي ابتدأها، وفيها من غزير الكلام، وبديع النظام ما يدل على علو منزلته في العلم، ودعوات عدة بعدها . منها دعوته إلى إسماعيل، ومنها دعوته إلى جكو، ومنها دعوته إلى خوارزم شاه، ومنها دعوته الأخيرة إلى أهل اليمن جندهم ورعاياهم، أنشأها في سنة اثني عشرة وستمائة بكوكبان، ولقد جمع فيها على التحقيق علماً جمماً، ففيها في الوعظ والتذكير ما يأخذ بمجامع القلوب، ويصد عن ارتكاب الحوب، وفيها كثير في فضل العترة عليهم السلام، وفيها كلام في حكاية أحوال كثير من خلفاء بني العباس وما فعلوه ببعضهم بعضاً من أنواع النكال، وفيها طرف من السير، وفيها الحث العظيم على

(١) الشنشنة : الخلق والطبيعة . مختار الصحاح ٣٤٩ .

الجهاد، وغير ذلك . . . ولم يزد دعوة مثلها لأحد قط فهي من عجائب العلم وكلامه ﷺ عجيب .

ومن كلامه ﷺ فيها قوله : فرحم الله امرءاً نظر لنفسه قبل أن يغلق الرهن ، ويظهر الوهن ، وتتعذر الرجعة ، ويخيب النجعة ، ويلبس المجرمون ، ويقال ﴿ اٰخْسُوْا فِيْهَا وَلَا تَكْلُمُوْنَ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فيا لها من كلمة ما أفجعها ! وموعظة ما أوجعها ! إن صادفت قلباً حياً ولم يلو على النهج لياً . ومنها قوله ﷺ : هلموا رحمكم الله إلى نور مصباح الزجاجة ، ودهن زيت الزيتون ، وراية ما خفقت على رأس مسلم فدخل النار ، لا يُشرب عليها الخمر ، ولا يسمع العزف والزمير ، ولا يظهر من المعاصي ظاهر إلا أنزل بصاحبه حكمه من الرجم فما دونه ، فأما من غبا أمره فحسابه إلى الله ، كم بين من يُؤمن أهل المعاصي وبين من يخيفهم ومن يعاقبهم ومن يشوقهم ومن يسلبهم ومن يسبقهم ومن يطردهم ومن يضيفهم ما سمعنا رحمكم الله الملاهي ، ولا درينا قبل كسرهما بالعيان ما هي ، كما قلنا في بعض الأشعار :

لا نعرف الخمر إلا حين نهرقها ولا الفواحش إلا حين ننفئها

أنا ابن من نسجت أي الكتاب له ملاء غمرت جسمي حواشيها

ومنها قوله ﷺ : ما خالفنا أبو حنيفة ولا الشافعي ولا مالك ، فانظر أين تضع قدمك يا سالك ، وهؤلاء فقهاء الأمة ، فهم بحمد الله أتباع آبائنا الأئمة رحمة الله على أولئك ، وعلى آبائنا أفضل السلام ، أين النبع من الثمام ، والجود من الرهام ، واليحموم من الغمام ، ما أنصف نفسه من خدعها ، ولا رفعها من وضعها . ومنها قوله ﷺ : نحن أهل التحريم والتحليل والتنزيل والتأويل ، أعلام الهدى ، وأقمار الدجى ، بحار العلم ، وجبال الحلم ، فلا تعدلوا رحمكم الله عن منهاجنا ، ولا تسلكوا غير فجاجنا ، فإن الفتنة بنا مطرودة ، والرحمة إلينا

مردودة، اتباع الحق أحجى، وسلوك منهاج الذرية أنجى، كم بين من يعتزي إلى أهل الكساء ومن ينتسب إلى نهاوند ونساء! ليس من أحسن كمن أساء، ومن لان كم قسا، يا أهل اليمن قد طالما سحبتهم ذبول الفتن، وتجرعتم كئوس المحن، ورفضتم عترة الحسين والحسن، وجريتم في خلاف العترة على سنن، فانظروا لأنفسكم نظرا يخلصكم عندنا اليوم وعند الله غدا، فإن الله لم يخلقكم عبثا ولا يهملكم سدى، ومنها قوله عليه السلام: إن العجب كل العجب فيمن صدق الوعد والوعيد، وأعطى نفسه من الهوى ما يريد، اجعلوا أنفسكم لوامة ذمامة، إن أردتم الفوز يوم القيامة لا تعوقوها في الخير من طريقها، ولا تشرقوها بريقها، الجنة تحت البارقة، الجنة تحت أطراف العوالي، خوضوا أبحار الحتوف وناطحوا أشفار السيوف، واستهونوا المخوف، وكونوا فوارط لا خلوف، وابتذلوا الدروع لا اشفوف، واركبوا الذريع لا القطوف، إن أردتم حلول ذات القطوف، ألا إن للدين دعاة فيها نحن من سادات دعائه، وإن له حماة فكونوا من أفضل حماته.

ومنها قوله عليه السلام: ألا وإن دين الله محروس بنا ومحوط بهيبتنا، وما زال الله منا غاضب، نشيط على أطراف الأسنة وحد القواضب، تخفق منه قلوب الجبابرة على متون الأسرة، ويتركها على الأظرة، فكم من مظهر للنسك لم تكن من عادته لهيبتنا، ومن متأله وهجيرا الجبرية مخافة سطوتنا، ألم يلبس هارون المسمى بالرشيد الصوف، ويفترش اللبود، لما قام يحيى بن عبدالله عليه السلام بالديلم، وأظهر من الصلاح ما لم يكن يعلم. ومنها قوله عليه السلام: لست بجبري ولا رافضي ولا قدري ولا معتزلي ولا مرج ولا غال ولا ناصب، قال: إنما هو فخر أو بجر، كم بين السراب والشراب، والقطر والقطر، اغترف من النهر الطالوتي، وفارق الجيش الجالوتي، حاذر أمواج الانتقام المتلاطمة في حرب أبناء فاطمة، كم بين الرشد والغى! والميت والحى! والعطاء واللى! والنفث والكي! لا تكابر الدليل العارف فيجترفك الجارف، تابع مرشدك واشدد به عضدك، ولا تهلك نفسك

وولدك، ولا تؤثر لددك، وارخص للمقبول جلدك، ولا تقطع من الباري مددك،
ولا توغر جددك :

أمن غير أبناء النبي محمد إمام لقد حاولت نقل شمام
وهل يستحق الأمر من جُلُّهمه لجمع حطام أو لشرب مدام
تمسك بأبناء النبي فإنهم زمام لدين الله أي زمام
لتنجو مع الناجين من كل موبق إذا قيل للوفد ادخلوا بسلام
سيدعى الورى^(١) يوم اللقا يمامهم فاعدد لذاك اليوم خير إمام

لا تصحب الخائف فتكتب في زمرة الخائفين، ما أنفعها من كلمة لو قبلتها
قلوب العارفين، زكَّ نفسك فقد أفلح من زكاها، ولا تدسها فقد خاب من
دساها. ومنها قوله عليه السلام: كيف يُلبس العاقل على نفسه حق آل المصطفى، وقد
طبق الآفاق وطفا، ما كان حديث الغدير يخفى، ومن لنا بأهل الوفاء. علينا
نصب الدليل وعلى الأمة الاستدلال، موجب إرث الجنين الاستهلال، ما عذر من
سمع الصوت عاليا بالدعاء إلى الرشد في ترك الإجابة وتعدى سبيل الإصابة، ما
قُدر كان وما حان حان، لكل نباء مستقر، والعاصي إلى سقر، يا طالب الرشد
من غير أهله، أنت كطالب الدر في الحجر، والياقوت في المدر، إن للخير وللشر
معادن، لا تجري مع عتاق العراز الكوادن، أين السنام من السناسن^(٢)، والذروة
من الفراسن، والقبائح من المحاسن، والأويد من الدواجن، إن أردت النجاة فاتبع
الهادة، كم بين المرشد والمغوي، اسلك مسلك الرشد ترشد، ولا تبعد من الخير
تبعد، وكن كالجمل الأنف في الانقياد للهدى، وكالسبع النافر عن الغي والردى،
أنزل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم منهم بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة

(١) في (أ): الملاء .

(٢) في (ج): السناسن .

العين من الرأس، فإنه لا يصلح جسد لا رأس فيه، ولا رأس لا عين فيه، ما ضر من سمع واعيتنا أهل البيت لو سعى إلينا ثم تفقد أحوالنا، فإن رأى رشدك تبعه بيقين، وإن رأى -والعياذ بالله- غياً فارقه مع المفارقين، وفاز ببرد علم اليقين، إن على العاقل عند التخويف أن يحاذر، وإن كذب الخوف في النادر، إن سلكت سبيل السلامة فاعرف شروط الإمامة، واطلبها في مدعيها إن كنت ممن يعيها، إن الدعاوي متساوية من المدعين، ولكن أين الثمد^(١) من المعين! والشك من اليقين! التفاضل بين البيئات، ولا إشكال في المتعينات، لا تستوي الدرّة ولا الصدفة، ولا الأريكة والحصّة، ولا الزيتونة واللصفة، كم بين من يدعي الإمامة وشاهده زرزر والموصلي وبر صوماً وحنجفة وسلامة، ومن يدعيها فيملاً البلاد صلاحاً وعلوماً، ويظهر عليه من الخير سيما ويشهد له الفاضل والعلامة. من أنصف نفسه أنعم النظر في نجاتها، ومن تحرى رشده سعى في حياتها، ما ضر من أتعب نفسه مدة يسيرة لنيل ملكا كبيراً، وحاسبها على القطمير والنقير، فجاء موقف القيامة وقد أحرز السلامة، وفاز بالكرامة، ونجا من أهوال الطامة، رحم الله امرءاً أخذ بعنان فرسه، وطار في سبيل الله إلى الهايعة، واستظل باللامعة، وجعل أشعة الحديد سراجاً، وشق برد العجاجة، ودعا في فوارط أنوف الرجال نزال نزال، وصاح بأعلا صوته لعلو صيته، وشرف نيته، يا أيها الجند المجند، والحشد الملبد، حسبي عيال محمد، لا خلف لي عنهم ولا أمام، ولا نكول ولا انهزام، إن البيعة أخذت على المسلمين بيعة الإسلام، رويناه مسنداً على أن يمتنعوا رسول الله ﷺ وذريته من بعده مما يمتنعون منه أنفسهم وذرائعهم، فوفى بها لله من وقى وهلك بها من هلك، فانظر على من الشقوة والدرك بأنصار الذرية. أين النفوس الحرية، والمغارس الذرية، والأحساب المضية، والأخلاق الرضية،

(١) الثمد : المال القليل .

والطرائق المرضية، أين أبي الدنية، ومن لي بأبي الدنية، هلم إلى شرف الدنيا والآخرة، ولبوس ثيابها الفاخرة، هلم إلى أندية لا يظهر فيها الفحش والفحشاء، ولا تفرع فيها الأرقش والرقشاء، ولا يتنازب فيها بالألقاب، ولا يلعب فيها بالقرود، ولا تسلا الكلاب للهراش، ولا يلهى بالعيدان والأوتار والمعازف والمزمار، ولا يلاقى بين الديكة، ولا يناطح بين الكباش، إنما هو ذكر أو فكر، أو تأويل سنة أو كتاب، أو وعظ لذوي الألباب، يأنس بها الملائكة الكرام، وفضلاء الأنام، لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما، ولا ينظرون إثما عظيما، ولا فعلا ذميما، فارجعوا - رحمكم الله بحميد عنايتكم - الأمر إلى أربابه، والدين إلى نصابه من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي ومختلف الملائكة، ليأخذ القوس باريها، وينزل الدار بانيها، فتجري الأمور على سنن الإصابة، وتسعدوا بودق تلك السحابة، جمع الله على التقوى شملكم، وبارك فيكم ولكم، وأخذ إلى الخير بنواصيكم، وأصلح دانيكم وقاصيكم ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨] وما وعظتكم حتى وعظت نفسي، ولا دعوتكم حتى دعوتها، وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وهذه غرر يسيرة وإن كانت كلها في الرفيع من طبقات الفصيح .

ومن تصنيف له عليه السلام في جواب كتاب لبعض العجم: عقدت الفواطم في أعناقنا^(١) التمام، ولواء هاشم في رؤوسنا العمائم، ومن الصريح من الدعوة وقعات الملاحم وضرب الجماجم، وأي فئة لقيناها أو نصفها ولم تسحب ذيل الهزائم؟ ومن هذا الكتاب قوله عليه السلام: وأما علماء العدل والتوحيد الدائنون

(١) في (ج): أعناقها .

بتصديق الوعد والوعيد فهم بقولنا قائلون، وإلينا مائلون، ويعلمنا عاملون، يرون
ولاءنا جنة وخلافنا فتنة، في جميع أقطار الأرض قد أجابوا دعوتنا سرا وجهرا،
نشروا مدائحنا نظماً ونثراً، وأفنوا كتبنا طياً ونشراً، وسوف يطلعونها إن شاء الله
على الخرصان^(١) صلغاً وزهراً:

أبابيل خيل دين أحمد دينها مسومة جبريل فيها يقودها
فويل لأرباب الضلالة والحننا إذا خفقت في الخافقين بنودها
وصاح القنا في الدارعين وبُدكت كُنَّا صيدها وازداد حراً وقودها
وعُقيت الآثار من كل ظالم وبُلت لأخذ الثار منها لبودها
ولاحت كأمثال العقايق بيضها ويانت كألوان الشقائق سودها
ودارت رحا الحرب العوان بشوسها وقام بأيدي الدارعين عمودها
فهذا أوان الحق يسطع نوره ووقت نيار الظلم بيدو خمودها
فحينئذ نقول خلفاً وعقراً، ونبدي منكم خُبراً ونهتك سترأ، ونلقيك بما
عملت كتاباً تلقاه منشوراً، ونقدم إلى ما عملتم من عمل فنجعله هباءً منشوراً،
ونعشي وقد جعل الله من بين أيدينا نوراً ومن خلفنا نوراً، فإن قلتم انظرونا نقتبس
من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً وحينئذ تضرب جلاله النبوة وهيبة
الخلافه بيننا وبينكم بسور له باب باطنه في الرحمة وظاهره من قبله العذاب،
فترومون الذهب ولات حين ذهاب، وأنى لكم ذلك وقد أسفَّ العُقَاب، وحجل
الغراب جذلاً لخلع العيون وخرق الإهاب، والتفكه بين اللحوم والأعصاب،
وليس هذا بعجيب أن يكون، فهل خطر في القلوب يوم وُصاب .

ومن هذا الكتاب قوله عليه السلام: ولكنك لا تدري أين تولغ لسانك، وتطلق
عنانك، وتضع سنانك، قد أعماك البطر، وأصمك الأشر، فصرت كغراب على

(١) الخرصان: الرماح. القاموس ص ٧٩٥ .

مشر^(١) لا تفرق بين جنى النحل ونفاخ العشر، تنكر البغي ولا تعرف حقيقة البಾಗಿ، وتحذر من الطفیان وأنت عين الطاغي، لا تعرف الزواجر فتزجر، ولا تأمل العبر فتعتبر، فأنت كالبهيمة المهملة، والضالة المرسلّة، لا تعرف من الخير والشر إلا ما شاهدت، ولا تعتذر إن حاردت، تلعب إن إخصبت، وتنكب من أجدبت، جعلت أهل بيت الذكر والرحمة وولادة النبوة ومعدن الحكمة خوارج، ويحك فمن الوالج؟ ما أنت إلا من الهمج الهامج، تستخفه أخف ربح، فيرنح ويطيح .

ومن هذا الكتاب قوله ﷺ بعد ذكر جماعة من الأئمة السابقين عليهم السلام: أفهؤلاء بزعمك خوارج، إعرف المداخل والمخارج، قبل أن تحطمك الأنياب اللوامج، فتحرمك الصفو، وتسقيك الحاضج، أفرق بين الخل الذابل والسنم العفاضج^(٢)، وبين أضعف الدوارج وبين الفيل السائج، كم بين النبع والعشر، واللب والقشر، والقيس والدخان، والنحاس والعقيان، حولت وبدلت وضيعت وأهملت، وظننت أن الدين يبطل بالعلب، وأن المال يملك بالسلب، لا بد من حدود شرعية توقف عندها ودونها، ويلعن الذين يتجاوزونها، والباطل فرقة ولو انضاف إليه الأكثر، والحق جماعة وإن كان حزبه المشفر.

ومنها قوله: ردّ ورد القطة، واحمل في الحوصل والأطحل، لا تحجل في الفلاة محجل فلن ينتقص بحر مجدنا، ولن يستلب شرف جدنا، ولن تفل شبة حدنا:

ما يضر البحر أمسى زاخراً أن رمى فيه غلام بحجر

(١) المشر: شيء كالخوض يخرج في اسم والطلع. لسان العرب ١٧٣/٥.
(٢) الخل: النحيف المختل الجسم. الذابل: طويل الذيل. والسنم: ككتف، وهو البعير العظيم السنم. والعفاضج: الضخم السمين. القاموس المحيط ص ١٢٨٤، ١٢٩٥، ١٤٥٢، ٢٥٤.

ومنها قوله عليه السلام: ويحك أين السنام من الغارب؟ لقد تحككت بالأفاعي العقارب، وفاخرت الصقور الجنادب، ونازلت الليوث الثعالب، واستهزأت بصنعة السرقة^(١) العناكب، وأرقلت الأفاثل القزعة^(٢) لمصاولة الفحول المصاعب، وساوت الروايا المواقر ضوء أمرد غالب النجائب، كم بين الذروة والحضيض، والصحيح والمريض، ليس قطاً مثل قطي، ولا المرعي في الأقوام كالراعي .
وله عليه السلام في الفقه الاختيارات المنصورية في المسائل الفقهية، علقه عنه بعض أصحابه، وفيه فقه غريب . وله كتاب الفتاوى وهو مجلد علق من أجوبة السائلين ورتب على المعتاد من ترتيب كتب الفقه .

وكان عليه السلام في الفقه المبرز في ميدانه، الناظم لدره وجمانه، المستنبط لغرائبه، المستخرج لعجائبه، وكم من غريبة جاء بها من غير تكلف مشقة .
ولقد أخبرني الفقيه الفاضل جمال الدين عمدة المسلمين عمران بن الحسن ابن ناصر أسعده الله عن والده العالم الفاضل الحسن بن ناصر رحمه الله أنه كان يقول: إن فقهه عليه السلام فقه طري يشبه فقه الصحابة رضي الله عنهم، وقال لي بعض شيوخنا رحمهم الله وهو الفقيه الفاضل بهاء الدين علي بن أحمد الأكواع رحمته الله كانت المسألة إذا أشكلت عليّ [من] الإمام عليه السلام طلبتها فوجدتها لأمرير المؤمنين عليه السلام ولزيد بن علي عليهما السلام، وسمعت شيخنا بهاء الدين أحمد بن الحسن الرصاص رضوان الله عليه يقول: أخشى أن تكون إمامة الإمام عليه السلام صارفة للناس عن إمامة غيره بعده، فقلت: ولم ذلك؟ فقال: لأن الناس يطلبون منه من العلم ما يُعهد من الإمام وربما لا يتفق ذلك .

ولما صدرت تصانيفه إلى الجيل والديلم صحبة الداعيين سنة أربع

(١) السرقة: ثياب من الحرير.

(٢) أرقل: أسرع، وأرقل المفازة: قطعها. والأفاثل: مفردة أفيل، وهو ابن الخاض فما فوقه. والقزعة: صغار الإبل. القاموس ص ١٣٠٢، ١٢٤٢، ٩٧٠.

وستمائة ، وأظلم عليها السادة من أهل البيت عليهم السلام وفقهاء الزيدية تذاكروا على بيعته تذاك الإبل العطاش عند الحياض ، وقالوا : هو أعلم من الناصر للحق ، سمعنا ذلك من الواردين علينا منهم مع أنهم في الجيل خاصة لا يكادون يعدلون بالناصر عليه السلام أحداً .

وأخبرني من أثق به وهو الفقيه صالح بن محمد من جهات تهامة رحمه الله وكان من عباد الله الصالحين أنه سمع السيد نظام الدين يحيى بن علي السليماني قدس الله روحه يقول إمامنا هذا عليه السلام أعلم من الهادي عليه السلام .

وأخبرني من أثق به أيضاً عن بعض عيون علمائنا رضي الله عنهم أنه كان يقول مثل ذلك ، وقد كان هذا السيد ^(١) رحمه الله من أغزر أهل عصره علماً ، وأكثرهم فهماً ، وهو الذي قال فيه الإمام عليه السلام :

ولو يحيى دعا قدماً إليها لكان بها إماماً للإمام
واستنهضه للقيام في آياتٍ أخر يقول فيها :

دعا الدمع مني بين أروع ماجد كـريم عليم من ذؤابة هاشم
يذكرني الهندي صرمة عزمه وفكرته في الحادث المتفاقم
أجامع أصناف المكارم مذنشا كما جمع الياقوت سلك النواظم
إذا استعجمت بين القضاة قضية تناول أقصساها بفكرة حازم
بقيت لشيد المكرمات مكرماً ودمت ومن عاداك ليس بدائم
أيحيى أرى الإسلام قُصَّ جناحُه ولا ينهض البازي بغير قوادم
وليس لها إلاك يا علم الهدى وأنت بأمر الدين أعلم عالم

ومن شاهده في تصانيفه عليه السلام علم أن له المزية العظمى ، وذلك أنه كان لا يصدده كثرة الناس حوله عن التصنيف ، ولقد شهدته في مجلس الصباح وهو

(١) يعني السيد نظام الدين يحيى بن علي السليماني .

خاص بمن فيه يكتب في تفسير القرآن العظيم كتابة مستمرة وهو يُسأل في أثناء ذلك عن أمور في الدين والدنيا فيجيب عنها وإن قلّمه لينحدر انحداراً سريعاً، وهذه درجة عالية ومرتبة سامية، ورأيت بخط موثوق به أنه أجاب في بعض تصانيفه من أول النهار إلى حين العصر إلى موضع سماه من التصنيف فعددت ذلك فوجدته بخط متوسط خمس كوامل . فليعجب المتعجبون ولا عجب! ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء . وقلّ ما كان ينظر ﷺ في جواب مسألة بل كانت أجوبته على البديهة فإذا سئل عن التعليل شفى العليل ونقع الغليل وأوضح السبيل وجلا الدليل .

وكان ﷺ في الورع والاحتياط ما يليق بسعة علمه وغزارة فهمه وعرف بذلك في جميع أحواله والحكايات في هذا المعنى كثيرة، وإنما نذكر اليسير ليستدل به على ما عداه . فمن ذلك أنه كان ﷺ يأتيه قوم كثير في أوقات مختلفة بشيء من الدراهم وغيرها فيقبض ذلك منهم، ثم يشكون شكياً أو يطلبون إيفاء حق ونحوه، فيرد ذلك كله بعد إبلاغهم ما يجب إبلاغه . ومنها ما روي أن رجلاً أتاه بدينار وسائل يسأله فسلمه إليه، فعاد صاحب الدينار فشكى عليه أمراً فأمر له بدينار عوضاً عن ديناره وأن يستبري منه، فقال الرجل: إنه بريء، فقال: قد قبلناه، وهذا صدقة عليك . ولقد رأيت ﷺ ذات يوم من الأيام وهو قابض على درهم يريد صرفه إلى بيت المال عوضاً عن شيء لا خطر له من نقل تناوله، وكان قد جيء به من قوم فدى ومن بعضهم دون بعض فالتبس ذلك .

وكان ﷺ معروفاً بالإيثار على نفسه من حال شبابه، كثير الإحسان إلى الواقدين، جم المعروف للطالبن، يعطى ما يجد، ويستدين إذا لم يجد، وهذه أمور تعلم باضطرار من حاله فلا معنى للاتساع منها .

وكان ﷺ في ثبات القلب ومنازلة الأقران، ومجاولة الفرسان، بحيث لا

يتمارى فيه اثنان، ولا يتراد رجلان، وكم من موقف حطّم فيه الوشيح، وثلم الصفائح، وكان أمام جنوده معلماً، يمشي إلى الموت قدما قدما، حتى انجلى القتام، وقد فاز بمحاسن الثناء من أهل الأرض والسماء، يشهد لذلك يوم عجيب، وقد قل رجع الكلام، وانهمت جنوده الجمّة وهو في وجه العدو، ولا يرغب في التولي عن لقائه حتى لقد دقّه الأمير عماد الدين بالرمح دقة لما تفرقت العساكر بعد أن أحب الصبر للشهادة فحاطه الله عز وعلا عن كيد الأعداء، لما انتهى إليه الحال من علو كلمة الدين وإخماد نار الجاحدين، وقطع دابر المفسدين.

وكذلك يوم صنعاء فله فيها المقام الهائل، فإنه دخل في نفر يسير لا يدفع بهم عن نفسه وفيها من جنود العجم خلق كثير إلى سبعمائة فارس وهو المقصود، فدخل عليه السلام غير هائب للموت، وأذن مؤذنه بالأذان النبوي، فصلى وروعه مجموع، وقلبه غير مصدوع، ثم أعلا الله يده، ووفّر جنده، وقذف الرعب في قلوب أعدائه، [وكذلك يوم ذمار فإنه كان سابقاً لجنوده يذود]^(١) جنود الأعاجم على كثرتها بين يديه كما يذود الراعي غنمه، ولقد أخبرني من كان حاضر الواقعة أنه شاهده منفرداً لا ثاني له في الكر عليهم، وقد ذكر ذلك في بعض أشعاره عليه السلام فقال:

وفي ذمار تركت الجيش عن كمل خلفي وكافحتها عن دين معبودي
وكذلك يوم هران وهو حاسر، فانجلى ذلك اليوم عن مقام له أغر، ولكم له من يوم أغر، عاود فيه الكر واستحى من الفر، وكان قطب رحى الحرب إذا توقدت نيرانها، وتنازلت فرسانها، وتداعت أقرانها، فحينئذ تجده خائضاً لغمرتها، متوسطاً في لجتها، تارة يحطم القنا في نحور المفسدين، وحيناً يعصب بالهندي كبش المعتدين. وكان عليه السلام حسن التدبير، صائب الرأي، ولقد استقرت

(١) في (ب) ساقط ما بين المعكوفين.

أوامره ونواهييه في الأقطار، وكان في الدهاء والحذق والحذس الصائب إلى حد يفوق، ومن عاشره علم ذلك ضرورة من حاله، وعرف مرتبته على أرباب هذا الشأن، وإن آراءه كانت تشرق أنوارها إذا دجت دياجير الخطوب، واعلنكست^(١) وتضاعفت ظلمات الكروب، حتى يستثير الآراء الكامنة الصائبة، ويستنبط أنواع الصواب الباطنة .

وأما كراماته التي خُصَّ بها فهي كثيرة لا سبيل إلى استقصائها، وكثير منها يُعلم بالاضطرار لقرب العهد إلا أنا نُنبه على ما لعلَّه يغمض عمن نأت داره، فمن ذلك ما روى لنا الأمير الأجل الكبير عماد الدين شيخ العترة الأكرمين حرس الله ببقائه الإسلام- عن خالته أم الإمام المنصور بالله وكانت في نهاية الصلاح قالت: أمسينا على غير طعام والإمام عليه السلام في حال صغره، فلما نام وهي متيقظة سمعته يمضغ ساعة ثم تجشأ بعد ذلك، فوضعت يدها على بطنه فوجدته ممتلياً كما يوجد بطن الشبعان فلما استيقظ سألته: ما أكل؟ فأخبرها أنه أتي إليه بشيء على هيئة الملح فأكل منه حتى شبع بشيء.

ومن ذلك ما رواه لنا شيخنا بهاء الدين أحمد بن الحسن الرصاص قدس الله روحه: لما دخل عليه السلام صنعاء المرة الأولى، رأى فوق الإمام عليه السلام وعسكره طيوراً صافّة من الثمانية إلى التسعة إلى العشرة بيضاء مخالفة لما عهد من الطيور، وهي قصة ظاهرة .

ومن ذلك مجيء فرسه عليه السلام وبغلته عليها درعه؛ وذلك لأنه^(٢) لما دخل المسجد وأحاطت به الجنود وهي إلى سبعمائة فارس لا يُرى منها إلا الحدق، ووقف في المسجد الجامع حتى صلى صلاة المغرب والعشاء، وتفرقت تلك الجنود

(١) في (ب): واعتكست .

(٢) في (ب): أنه .

بفضل الله جل ثناؤه وبركته ﷺ، وخرج من المسجد حتى أتى دار رجل من أهل المدينة ولا علم له ولا لأحد من أصحابه ولا خدمه بالبهايم، فهم في تلك الدار حتى أتى الحصان والبغلة وعليها درعه إلى باب الدار بلطف الله سبحانه وتعالى . ومن ذلك قصة النشاب وفتح الباب به ، وذلك خلاف المعتاد عند أهل البلد وهذا من الأمور المشهورة التي لا يمارى فيها من له بحث وخبرة . ومن ذلك قصة الأكسح وكانت في المرة الثانية من دخوله صنعاء فإنه كان يمشي على أرباعه فمسح عليه فعافاه الله ، وهذا أيضاً ظاهر وقد شاهدته خلق جم لا يحصون من أهل المدينة على حالته الأولى وحالته الثانية .

ومن ذلك ما روي أن رجلاً كانت أسنانه كلها قد ذهبت ، فمسح ﷺ عليه ودعا له فعادت كلها ما تخلف منها واحد . ومنها أنه ﷺ يوم دخل شبام لليلة باقية من شهر جمادى الآخرة سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، فوقع على الدار نور عظيم ساطع بعد صلاة العشاء الآخرة واستطار في الأرض حتى أن شيخاً كبيراً كان في المسجد الجامع وكان إذا خرج بعد صلاة العشاء الآخرة يتعثر في طريقة لضعف بصره ، فخرج فشاهد ذلك النور وقال لجماعة معه إنى أفرق الليلة بين الحصمة البيضاء والسوداء ، قال مصنف السيرة الإمامية المنصورية : وشهدت أنا بذلك ورأيت ، وأخرت صلاة المغرب لأجل ذلك النور حتى دخل أول وقت العتمة وبعده ، وكنت قاعداً في البيت وظننت أنه ضوء القمر حتى أنبهنى من حضر أنه آخر الشهر ، فخرجت إلى حجرة فإذا النور ساطع في الجدران ، وظننت أنه لم يره أحد غيرنا حتى أصبح المسلمون يروون ذلك في مسجد الغيل . ومنها ما رواه مصنف السيرة عن الثقة الأمير : أن أهل ذمار رويوا يوم دخل الإمام ﷺ أنهم شاهدوا عسكرياً من خيل ورجال سدت عليهم الآفاق ، وريحا عظيمة كفت

وجوههم وأبصارهم ، حتى منعتهم التصرف^(١) في القتال ، وأنهم يريدون الرمي بالنشاب فتساقط في أيديهم ، وربما يتفقا ويتكسر في الهواء ، قال : وكانت خيل الإمام عليه السلام نيفا وعشرين ، والمغزية دون المائة ، فانتهى الحال بعد ذلك إلى تغنم الأموال وأسر الرجال . ومنها الرواية المشهورة الظاهرة أن رجلا من المطرفية الشقية أتى ناحية من بني عبيد بظاهر بلد همدان يطلب شيئا من الزكاة ، فعرفوه بتسليمها إلى الإمام عليه السلام ، فأطلق لسانه بالسب ثم انصرف إلى جانب القرية فسلط الله عليه كلبة لم تجر عادة لها بمضرة أحد ، فوثبت على لسانه فاستخرجتها ، وضربتها بأنيابها ، فأقام مدة كذلك حتى نفر عنه الناس ، ولم يعتبر بل بقي على كفره فأمر الإمام عليه السلام بضرب عنقه . وفي ذلك يقول حسن بن علي العصفري رحمه الله في قصيدة :

اسمع أمير المؤمنين قضية أضحى بفضلك ذكرها مشهورا
 أنبت بالراسين كلباً مسلماً سميت له لوداده قطميرا
 سمع الذي أطرى^(٢) عليك بسبه فجرى فعض لسانه تحذيرا
 ها تلك معجزة غدا لك ذكرها في بطن كل صحيفة مسطورا

وروى مصنف سيرته عمن يثق به : أن رجلاً أراد نساخة مطاعن لمحمد بن نشوان في سيرة الإمام فشرع في نساختها ، فلما انتهى إلى ثمانية أسطر يبست له ثلاث أصابع من يده ، فأمسك عن النساخة فعادت أصابعه إلى حالتها الأولى في لينها ، فعاد إلى النساخة فيبست مرة أخرى ، فأمسك عن النساخة أياماً ثم عاد فنسخ ثمان قوائم فأصابه الله بوجع في إحدى عينيه ، ونجم حولها ثلاثة أقاليل فترك النساخة وانضجع لما نزل به من شدة الوجع ، ثم تاب إلى الله تعالى وعزم

(١) في «أ» النظر .

(٢) في (ب) : يطري .

على ترك النساخة فعوفي .

ومن ذلك ما رواه مصنف سيرته عمن يثق به : أن صبيا من أهل صنعاء أصابته آفة في عينيه حتى ابيضتا وذهب بصره ، فأخذ له كتاب بركة من الإمام عليه السلام فما كان إلا أن تعلق الكتاب في يده فأبصر في الحال وعوفي ؛ وعاد إلى صنعته من الخياطة .

ومن ذلك ما رواه عمن يثق به ، قال : أصاب بُنيةً لي صغيرة رمدٌ شديد حتى طلع على عينيها البياض ويثسنا منها وخشينا ذهاب بصرها ، فأتيت إلى الإمام عليه السلام بقليل من سليط فنفت فيه وتركنا منه شيئا في عينها فعوفيت وزال الألم والبياض .

ومن ذلك ما رواه مصنف سيرته عن جماعة من أصحاب الإمام عليه السلام وهم قدر خمسة عشر أو يزيد على ذلك وهو أحدهم قال : راح الإمام إلى قرية عتم من بلاد بكيل وقد أصابنا جوع شديد ، فأتى له صاحب المنزل الذي نزل عنده بقليل من عيش قدر نصف صاع أو دونه ليقطر منه ، فأكل منه لقيمات ثم دفع باقيه إلينا فأكلنا منه حتى شبعنا ببركته ، قال : وأقسم كل واحد منا أنه قد أصاب ما يكفيه .

ومنها ما رواه مصنف سيرته عن الثقة أن جماعة كانوا في موضع وفيهم رجل مطرفي فأكثر السب للإمام المنصور بالله عليه السلام فلم ينكر أحد منهم ، فأنزل الله به صاعقة فاحتملته من بين أصحابه حتى أخرجته عنهم واحترق وخرج صبابة ، وصرع أصحابه من هولها .

ومنها ما رواه مصنف سيرته عن الثقة : أن رجلاً من البياض نزل به العمى ، فرأى في منامه أن رجلاً قال له : تعود إلى مذهب الإمام المنصور بالله ويذهب عنك العمى ، ففعل ذلك وتاب مما كان يعتقد فلم يقف بعد ذلك إلا ثلاثة أيام وعاد عليه بصره .

ومنها ما حكاه مصنف سيرته عمن يثق به أن رجلاً اتفق بجماعة من

المطرفية فأمروه بلعن الإمام عليه السلام فساعدتهم إلى ذلك ، فأنزل الله به الكسح من
ساعته ، فندم على ما فعل وتاب إلى الله وتضرع إليه وتوسل بالإمام المنصور بالله
عليه السلام فزال ذلك عنه .

ومنها القصة المشهورة: وهي أن وردسان لما تقدم إلى ناحية حوث في
بعض أيامه فأخرب دار الإمام عليه السلام ثم عاد إلى صنعاء فما تم الأسبوع حتى أنزل
الله تبارك وتعالى سيلاً لم يعهد أهل هذه الأعصار مثله ، وكان قد بنى في صنعاء
قصرًا شامخًا وتأنق فيه وتعمق فهدمه ذلك السيل واستلب كثيرا من أمواله ونفائسه
ونجا بعد أن أشفا^(١) على الهلاك ، وتعفت آثار القصر إلى غير ذلك من الكرامات
الجملة .

وقد وردت الملاحم بذكره عليه السلام وصفته ، فمنها: ما رواه مصنف سيرته عن
الأمير الفاضل بدرالدين محمد بن أحمد بن يحيى بن الهادي للحق عليه السلام قدس
الله روحه قال: وجدت في كتاب قديم - قد كاد يتلف من البلى ، وله مائة
وعشرون سنة إلى وقت قيام الإمام عليه السلام - كلاماً في ذكر قيام القائم المنصور بالله ،
قال: ثم يظهر القائم المنصور بالله في سنة ثلاث وتسعين [وخمسمائة ، وكان
نهوض الإمام عليه السلام من الجوف إلى دار معين لطلب البيعة ودعاء الناس إلى القيام
والجهاد في سبيل الله في أول ذي الحجة من سنة ثلاث وتسعين]^(٢) وهذا موافق
لما ذكره في الكتاب . ومنها ما رواه مصنف سيرته أولاً عن الشريف الفاضل
سليمان بن بدر بن عبدالله بن جعفر قال: وجدت في رواية صحيحة عن محمد
ابن الحنفية في شعر :

ووديعة عندي لآل محمد أودعتها وجعلت من أمنائها

(١) أشفا : أشرف .

(٢) ما بين المعكوفين ساقط في (ب) .

فإذا رأيت الكوكبين تناوحا في الجدي عند صباحها ومساءها
 فهناك يبدأ عز آل محمد وقيامها بالنصر في أعدائها
 ومنها : ما نقل من أبيات قصيدة قديمة ذكر فيها صاحبها الخوارج ، ثم ذكر
 صفات الغز التي شوهدت عياناً ، ثم ذكر القائم بالحق فقال :

أهل فسق ولواط ظاهر أهل تعذيب وضرب بالخشب
 كفروا بالدين ثم اشتغلوا بقراع الناس حبا للذهب
 يتركون الفرض والسنة لا يعرفون الله ليسوا بعرب
 فهم كالجن من أبصرهم طاررعباً ثم خوفاً وهرب
 ينقلون المال من أرض سبأ نحو مصر ودمشق وحلب
 فإذا ما الناس ضاقوا منهم في بسيط الأرض طراً والحذب
 ظهر القائم من أرض سبأ يمني السكن شامي النسب
 اسمه باسم أبي الطهر النبي ذلك عبد الله كشاف الكرب
 يملاً الأقطار عدلاً مثمناً ملأت جوراً وهذا قد غلب
 تظهر الخيرات في أيامه وترى الباطل فيه قد هرب
 وترى الأشيب في دولته يتمنى كل يوم أن يشب

ومن تأمل هذه الصفات تحقق ما قلناه ؛ لأن هذه الصفات المذكورة أولاً هي
 الموجودة في الغز بالمشاهدة ، ولم يقم الإمام عليه السلام إلا بعد أن أصاب الناس البلاء
 الشديد في سهول الأرض وحزونها من هؤلاء الأعاجم ، وقوله : ظهر القائم من
 أرض سبأ ؛ لأن الإمام المنصور بالله عليه السلام كان خروجه من ناحية الجوف ، وهو
 يمني السكن شامي النسب ؛ لأن جده أبا هاشم الحسن بن عبد الرحمن عليه السلام وصل
 من الحجاز إلى اليمن ثم صرح بعد ذلك باسمه وهو عبد الله ولم يعلم أن أحداً من
 أئمتنا عليهم السلام إلى الآن على هذه الصفات ، ثم ذكر ظهور الخيرات في أيامه

ﷺ وذلك ظاهر وإن شئت فانظر إلى الحديد وكيف كان قد اشتد على الناس وأعوذهم نهاية الإعواز فصار في الكثرة على الحد الذي عرفه كل إنسان .
وأما المنامات الصادقة التي رآها الصالحون في حقه عليه السلام فهي كثيرة .
فمنها ما رواه مصنف سيرته عن الشريف الفاضل الحسين بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن محمد بن جعفر بن القاسم قال : رأيت - في شعبان سنة أربع وستمائة في منامي - رجلاً يؤذّن الأذان المعروف حتى انتهى إلى آخر الشهادتين ثم قال عقيب ذلك : أشهد أن عبد الله بن حمزة إمام مفترض الطاعة . ومنها : ما حكاه أهل جيلان في كتاب ورد منهم إلى الإمام ﷺ عقيب إجابتهم الدعوة وإقامة الجمع ، وقالوا : إن رجلاً من المحققين من العلماء وهو الفقيه القاسم بن إبراهيم رأى في المنام كأن هاتفاً يهتف من السماء بأعلى صوته : يا أيها الناس عليكم بالله الأكبر ، والإمام الأطهر والنور الأزهر والعلم الأنور عبد الله بن حمزة وإلا فعليكم لعنة الله أجمعين .

وروى مصنف سيرته أن رجلاً رأى في المنام كأنه بورقة وقال :
اقرأ هذه فإذا فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى عبد الله بن حمزة أمير المؤمنين ، بشارة له بالجنة وبراءة له من النار بقتله المطرفية .

وهذا الجنس من حكايات كراماته وغيرها يكثر ، ولم يعلم أن أحداً من الأئمة المهتدين الهادين سلام الله عليهم أجمعين نقل له ما يقرب مما كان للإمام المنصور بالله ﷺ فضلاً عن أن يساويه ؛ لأنه قام في وقت قد غلب على الناس فيه الإعراض عن الدين ، وضعف النشاط لجهاد المخلين ، حتى كان أهل مذهبه من أكثر الخاذلين إلا من عصم الله رب العالمين وقليل ما هم ، فأراد الله عز وجل أن يحرك خواطر الناس إلى دعوته ، ويحثهم على طاعته بهذه الكرامات التي كان يظهرها عليه حالاً بعد حال ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٥] .

ذكر بيعته ﷺ ، وانتصابه للأمر العام ومنتهى عمره ﷺ

كانت دعوته ﷺ العامة التي هي دعوة الإمامة وقد تقدم من الجوف إلى الحقل في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة ، وصار إلى هجرة دار معين فأقام بها أربعة أشهر تنقص أياماً ، وكان في هذه المدة اجتماع العلماء ومحاورتهم له ومناظرتهم حتى وجدوه بحرراً لا ينفده النازح ، وخضماً لا يفنيه الماتح . وكانت الأسئلة في أصول الدين وفروعه ، ومعقوله ومسموعه ، ومعاني الآيات المشككة ، وفوائد الحديث المعربة ، فحينئذ اعترفوا بأن جواده في ميدان الفضل المجلي ، وأنه السابق غير المصلي ، وتحققوا أنه أولى أهل عصره بالقيام بأمر الأمة ، وأنه المرجو لكشف الغمة ؛ فلما كان يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وتسعين وخمسمائة تقدم ﷺ ومن معه إلى المسجد الجامع فبايعه الناس ، وكان أولهم الأميران الداعيان إلى الله سبحانه وتعالى شيخا آل الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم : شمس الدين وبدر الدين يحيى ومحمد ابنا أحمد بن يحيى بن الناصر بن عبد الله بن محمد بن المختار بن الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليهم السلام ، ثم بعدهما الأكابر من فضلاء أهل البيت عليهم السلام ، ثم سائر العلماء من شيعتهم رضوان الله عليهم .

وكانت ألفاظ بيعته عليه السلام أن يقول بعد بسط يده : أبايك على كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وموالاتنا وولينا ومعادات عدونا ، والجهاد في سبيل الله بين أيدينا ، فإذا قال الرجل نعم ، قال : عليك كذلك ميثاق الله وعهده ، وأشد ما أخذ الله على أنبيائه من عهد أو عقد ، فيقول الرجل : نعم ، فيقول ﷺ : الله على ما تقول وكيل ، وربما أكد فقال : وعلى أن نقيم أسنتنا بالحق ولا تأخذنا في الله لومة لائم ، وربما قال : وعلى الصبر في البأساء والضراء وحين البأس .

ثم أنشأ ﷺ الدعوة وأودع فيها من الغرائب والعجائب ما ظهوره يغني عن ذكره، قال في صدرها: سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، الذي دل على وجود ذاته بما أظهر من آياته، وعلى عدله وحكمته بما بين من دلالته، بعث إلى كل أمة رسولا ليكون نافعاً لهم، عليهم شهيداً، ولهم إلى الخيرات دليلاً، وخلف النبوة بالإمامة؛ لتنفيذ أحكام النبوة في البلاد إلى يوم انقطاع التكليف على العباد، فقال لا شريك له: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧] وصلى على المبعوث بجوامع الكلم، وبدائع الحكم، المفضل على جميع البشر من العرب والعجم، وعلى آله مصايح الظلم، ومفاتيح البهم. ثم أخذ ﷺ في فنون حسنة من الكلام موشحة بالكتاب والسنة وقال فيها: أترون عبد الله يفتن بدنيا قد عرف باطنها أيقن من معرفة جلكم بظاها؟ واهتم بأجلها أعظم من اهتمام أكثركم بعاجلها؟ يا أباي الله ذلك عليه، ورسوله صلى الله عليه، وجدود طابت، وحجور طهرت، ومواليد شرفت، ومناكح استنجبت، كيف تكون النفوس النبوية العاقلة كالبهائم العاملة، فعليكم رحمكم الله بتقديم التوبة والإنابة، قبل الإقبال والإجابة، فإني أمركم بفعلتي قبل الأمر لكم بقولي، وأنهاكم عما أنهى نفسي وأهلي، المساوي لي منكم في السن أتخذه أخاً، والمتقدم أباً، والصغير ولداً، لا أنس إلا بأهل العلم منكم والطاعة، ولا أنفر إلا عن أهل المعصية والضلالة، ومن العجائب أنه أنشأها على أنها محاسن الكلام ما بين صلاة الظهر والعصر لا غير.

واستقر ﷺ بناحية صعدة حرسها الله تعالى بالمشاهد المقدسة على ساكنيها السلام، وفرق الدعوة والولاية في النواحي والأقطار، والأحكام تجري على موافقة الشرع الشريف، فهو يزداد ظهور الدين الحنيف. وكان للأمير الكبير شمس الدين يحيى بن أحمد قدس الله روحه العناية الأكيدة، والصبر على تحمل مشقة السفر

على ضعفه وكبره . حتى لقد روى لنا الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة خلد الله ملكه أنه رأى قدميه قد ورمتا وكثر تعبته ونصبه في بلاد عَدْر والأهنوم في الدعاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام إلى غير ذلك من الجهات . ووصلت الدعوة الشريفة إلى جهات تهامة ومخلاف بني سليمان ، فقام بأمرها السيد الفاضل العالم نظام الدين يحيى بن علي السليمانى قدس الله روحه وانتشرت في سائر الأقطار ، وتقدم الإمام بعد مدة إلى جهة الجوف ، فأقام في براقش مدة والناس يفتدون إليه من كل ناحية وينقلب منهم من ينقلب وقد شايع وتابع .

وكان الشيخ الفاضل عزان بن سعد رضي الله عنه من جملة من وصل إليه وكان قد أراد الحج فمر عند الإمام عليه السلام ، فلما مثل بين يديه وبايعه قال : والله لقد رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وصورته وثيابه على صورة الإمام وثيابه ، وكان منامه هذا من جملة الألفاظ الداعية له إلى الالتزام بطاعة الإمام عليه السلام ، ثم أمره عليه السلام بالرجوع إلى بلاده للدعاء إلى طاعته والقيام بأمر الدين ، وكان رحمه الله ذا جد واجتهاد على رئاسته في قومه ، وأقام عليه السلام في الجوف مدة ثم تقدم إلى جهة اليمن ، كلما مر بناحية أصلح فاسدها ، وأعذب مواردتها ، وهدم دور الفساد حتى انتهى إلى المصانع واجتمع معه خلق كثير من كل ناحية ، وحضر أكابر الفرقة الشقية المطرفية من الجهة النائية والدانية ، فبايعوا وشايعوا واعترفوا بصحة إمامته ثم نكثوا بيعته ومرقوا عن طاعته .

وكان من كلامه عليه السلام في ذلك المقام بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن قال : يا معشر المسلمين إن الله لم يخلقكم عبثاً ، ولم يترككم ^(١) سدى ، ولم يشرك في خلقكم أحداً ، ولم يوجدكم للذات الدنيا ، وخفض المعاش في المحيا ، وإنما خلقكم لعبادته ، وهداكم سبيل طاعته ،

(١) في حاشية (أ) : يهلككم .

وبين السبيل وأوضح الدليل ، وجعلكم ممكنين ، وعن فعل الخير غير ممنوعين ولا مأسورين ، ثم بعث محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ داعياً إلى الدين القويم ، هادياً إلى الصراط المستقيم ، مبلغاً للرسالة ، منقذاً من الضلالة ، بشيراً نذيراً ، ظهيراً للحق نصيراً ، فهدى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبصّر ، وقرب وبشّر ، وأنذر وحذر وأعذر ، فمن عباده من انتفع واهتدى ، ومنهم من اختار الضلالة على الهدى ، فذلل الله به أعناق الجبارين فخضعت ، وقمع رؤوس المتكبرين فانقمعت ، ووضع صياصي الظلم فانتضعت ، ورفع ذرى الإسلام فارتفعت ، ووسع مسالك الحق فاتسعت ؛ فلما أصلح الله به عباده ، وأكمل له دينه ، قبضه إليه قابلاً له ، راضياً عليه ؛ فصلى الله عليه وعلى آله وسلم صلاة تقارن روحه ، وتنور ضريحه ، وجعل بعده الحجة علي عباده كتابه المبين ، وعترته رسوله الأمين ، كما روي عن خاتم النبيين : «أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركب فيها نجا ، ومن تخلف عنها غرق وهوى»^(١) ، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ : «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً : كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٢) .

أيها الناس : إنه لما عظمت نعم الله لدينا ، وجبت طاعته^(٣) علينا ، وصرنا أعلم الناس بالحلال والحرام ، وأعرفهم بشريعة محمد عليه السلام ، وأولاهم بتدبير الأمور ، وأبصرهم بسياسة الجمهور ، ولم يبق لنا عند الله تعالى في

(١) الحاكم ٢/٣٤٣ ، وقال حديث صحيح على شرط مسلم وأخرجه أيضاً في ٣/١٤٠ ، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والطبراني في الأوسط الصغير ٥/برقم ٣٩٠ ، وفي الكبير ٣/برقم ٢٦٣٦ ، والبزار ٢/٣٣٤ رقم ١٩٦٧ من مختصر زوائده لابن حجر .

(٢) المجموع للإمام زيد ٤٠٤ ، ومسلم عن زيد بن أرقم ٤/١٨٧٣ رقم ٢٤٠٨ ، والترمذي ٥/٦٢١ رقم ٣٧٨٦ .

(٣) في (ب) : حجته .

الغفلة^(١) معذرة في الدنيا والآخرة، قمنا إلى الله تعالى داعين، وإلى ما يرضيه ساعين، ولأمره مطيعين، ولهدية متبعين، حيث قال في كتابه المبين: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فدعونا الناس إلى رضى الله جاهدين، هادين إلى الحق مهتدين، باذلين النفوس والأموال مجاهدين، وقد بلغتكم دعوتنا، وقرعت أسماعكم واعيتنا، ووجبت عليكم بيعتنا، وقد روي عن جدنا سيد البشر أنه قال: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخره في نار جهنم»^(٢)، وقد طال ما أسبل الظلم رواقه، وألقى على بدر العدل مُحاقه، وأظهر الشيطان شقاقه، وأخذ على الظالمين ميثاقه، والآن قد أذن الله تعالى بعلو الحق واستظهاره، واشتهار العدل وانتشاره، ودمغ الباطل وخمود ناره، وهدم مناره وانطماس آثاره، فبادروا رحمكم الله فقد وجب عليكم الفرض إلى جنة عرضها السموات والأرض، واغتنموا الفرصة قبل نزول الغصة، واستقصاء كل قصة، وانظروا لأنفسكم مادمتم في مهل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل والسؤال عن العمل. واعلموا أننا قد أطلقنا لمن أنكر دعوتنا وكره بيعتنا المطالبة بالحجة والبيان، والسؤال عن واضح البرهان، والبروز إلى مضمار الامتحان، فقفوا على العينة؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة، واصدقوا النية، واسلكوا السبيل الجلية، وخذوا الفائدة نقداً لا نسيئة فهذا الفرس وهذا الميدان، لكل شاسع ودان، ولا تأخذوا في دينكم إلا بالوثيقة، ولا تعملوا إلا على البصيرة والحقيقة، وتعاونوا على البر والتقوى، وتناهوا عن المنكر واتبع

(١) في (ب) ساقطة: الغفلة.

(٢) أخرجه المؤيد بالله في التجريد ٢/٢٥٥، والطبري في تاريخه ٥/٤٠٧ في سياق كلام الحسين عليه السلام.

الهُوى ، وزعوا نفوسكم عما تحب وتهوى . ﴿ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى
 بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨]
 ﴿ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ
 أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨] .

وكان الفقيه الفاضل شهاب الدين أبو القاسم بن الحسين بن شبيب التهامي
 رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في صحبة الإمام عَجَلَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وغيره من عيون أهل العلم رضوان الله عليهم ؛ فقام
 بين يدي الإمام عَجَلَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ في ذلك الموقف^(١) في جهة المصانع ، فقال بعد حمد الله
 والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ وآله : يا معشر القبائل ، ويا أسود الجحافل ،
 ويا خطباء المحافل ، ويا معشر المسلمين خاصة ، دون الناس عامة ، إني قائل
 فاسمعوا ، فإذا سمعتم فعوا ، اعلموا أن الأمر الذي كنتم تطلبونه ، والنور الذي
 كنتم توقعونه ، وتعدون له الليالي والأيام ، والشهور والأعوام ، هاهو في عترة
 نبيكم ﷺ وآله قد لمع ، وضياؤه قد سطع ، وقائمهم بالفضائل قد جمع ، وفي العلم
 قد برع ، وفارق الطمع ، وباشر الورع ، وفارق الراحة ، وجانب الاستراحة ،
 واشتدت على الظالمين شكيمته ، وتقوت عزيمته ، وغزرت ديمته ، وعلت همته ،
 وقام في الله تعالى راغباً ، ولأعدائه مناصباً ، ولصلت جبينه ناصباً ، حين بدت
 الأحكام ، وعظمت شرائع الإسلام ، وشرب المدام ، وارتكبت الآثام ، واستغني
 عن الحلال بالحرام ، وكثر الفساد بالبلاد ، واستطالت أيدي أهل العناد ، فبايعه
 السادة الأجلاء ، والكبراء الفضلاء ، أهل السؤدد الباذخ ، والشرف
 الشامخ ، والعلم البارع ، والورع الرائع ، من أهل بيت محمد ﷺ وآله
 وغيرهم من أولياء الله المتقين ، والعلماء المخلصين ، وأهل الورع واليقين ، بعد
 الاعتبار والبر والاختبار ، فوجدوه خضماً لا تنزفه الدلاء ، وطوداً لا يناله

(١) في حاشية «أ» : في بعض مواضعه .

الارتقاء، وليثاً لا تهوُّه الأهوال، ولا تقوم لصولته الأبطال، وحساماً لا تقوم له الجن، ولا تُروِّعه الفتن، وعزماً لا يصاحبه الوسن، وجندلة تدمى منها المحاجم، ويتحامها المراجع، فاحصدوا رحمكم الله ناجم الشرك، وتعاونوا على حصاد أولي الإفك، وسابقوا إلى بيعته، وسارعوا إلى طاعته، تحيوا سعداء، وتموتوا شهداء، فإن عترة نبيكم ﷺ هم السادة القادة الذادة، الحماة الأبوة الكفاة، وسفن النجاة التي من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى، لله أبوكم من أي نور بعده تقتبسون؟ وبعد كتاب الله وسنة نبيه تلتمسون، فمن كان منكم ذا شك وارتياب، متمسكا من الحيرة بأسباب، فهذا هو في معرض الاعتراض، واقف نفسه لا يعي عن جواب، ولا يكل عن خطاب، عالم بالسنة والكتاب، وهو الجدير بقول جده ﷺ :

دبوا دبيب النمل لا تفوتوا وأصبحوا في حربكم وبيتوا
فإنني قد طال ما عصيت قد قلتموا لو جيتنا فجيت
ليس لكم ما شئتم أو شئيت بل ما يشاء المحيي المميت
ثم انتضى الفقيه سيفه وقال :

ولو لم أكن فيكم خطيباً فإنني بسيفي إذا جد الوغى لخطيب
أخوض به للضرب في كل غمرة فأثني به عن تلك وهو خضيب

ثم تقدم ﷺ إلى حصن كوكبان فأقام فيه مدة والأمر منوطه بحبل التوفيق من الله تعالى، وفي خلال ذلك أقبل إلى طاعته وتبعته من أمراء العجم حكوا بن محمد، فبايعه رجل من دعاة الإمام في بعض نواحي بكيل، فوصل إلى الإمام وانضاف إليه من خيل العجم إلى قدر مائتي فارس، فبايع الكل منهم، وصلى ﷺ صلاة يوم النحر في شبام كوكبان ونحر. وتقدم إلى صنعاء واثقاً بالله عز وجل متوكلاً عليه، فلما وصلها وفيها من العجم إلى قدر سبعمائة فارس فتح أهل المدينة الباب فدخل ﷺ في سبعة أفراس لا غير وهم أخوته ومن يختص به،

وتأخر حكوا ومن معه من الجند خارج المدينة، وقصد عليه السلام إلى المسجد الجامع فاجتمع جند العجم وأحاطوا بالمسجد إحاطة الهالة بالقمر، فوقف عليه السلام فيه حتى حضر وقت صلاة المغرب وأذن المؤذن بأذان أهل البيت عليهم السلام المختار، وقضى صلاته ووقف ينتظر الفرج من الله تعالى والنصر، فأخبرني الأمير الكبير عمادالدين خلد الله ملكه أنه أمره أن يشرف على العسكر من فوق السطح، فلما أشرف عليهم آذوه وسبوه - لعنهم الله قال: ثم إن الإمام عليه السلام أشرف من ذلك الموضع بعينه على أولئك القوم فما تكلم أحد منهم إليه بكلمة واحدة مع مشاهدتهم إياه لهيئته، وانتهى الحال بعد ذلك إلى أن أهل صنعاء الذين معه عليه السلام صوبوا خروجه من المسجد فآلبسوه شيئاً من لحافهم ليتنكر بذلك عمن شاهده عند خروجه، ثم خرجوا به فيما بينهم كأنه واحد منهم وهم يسرون بين العجم فسلمه الله تعالى من كيدهم حراسة لدينه، ولما أراد من حياة الإسلام ونعش مذهب العترة عليهم السلام، فأقام في بعض دور المتولين له جانبا من الليل ثم صوب أصحابه الخروج لعلها تسعف فرصة للخروج من المدينة فخرجوا وقصدوا بعض أبوابها فجاءوا والجند على الباب قد اشتدت الحراسة وتأكدت في كل ناحية وعلى كل باب من أبواب المدينة، فعادوا إلى موضعهم واشتوروا، وخاف أهل صنعاء على الإمام عليه السلام، وأشفقوا لشدة محبتهم فتراجعوا، وقال بعضهم: نقف في مسجد عيَّنه لا يكاد يصله أحد، فلم يصوب الإمام ذلك، ثم انفق الرأي على أنه يقف في بيت واحد غير معروف ولا مشهور فتقدم عليه السلام وتفرق أصحابه خيفة أن يطلع الصباح وهم كذلك، وبات عيون أهل المدينة من الزيدية يجتهدون في فساد عسكر العجم حتى أفسدوا من الرِّجُل إلى ثلاثة آلاف راجل وكانت لهم في ذلك عناية أكيدة تليق بصحة عقيدتهم وأكد محبتهم لأهل البيت عليهم السلام حتى أصبح الصباح وقد انتظم لهم ما أرادوه، وفتحت أبواب المدينة فدخل حكوا

وأصحابه إلى الإمام عليه السلام، ثم أقبل جند العجم الذين كانوا فيها إلى بين يديه حتى بايعوه عليه السلام، وإن من كبارهم لمن ترعد يده عند البيعة رُعباً وخوقاً قذفه الله في قلوبهم حتى شملتهم البيعة، وأذن لهم عليه السلام بالانصراف من المدينة فنزلوا نحو اليمن، واستقر الإمام المنصور بالله عليه السلام في المدينة ومن معه من الجنود، وجرت الأحكام النبوية على أحسن حال ووفد إليه عليه السلام الناس من كل ناحية، وكان من جملة الواصلين إليه الشيخان الأوحدان عزّان بن سعيد ومفضل بن أبي رزاح رحمهما الله تعالى في قوم كثير من جهاتهم بأموال جمّة وغيرهم من أهل الجهات والنواحي، وأقام كذلك عليه السلام ينشر الهدى للطالب، والندى للعافي والراغب .
وقال عليه السلام ^(١) هذا الشعر عقيب دخوله صنعاء، وأثنى على أهلها بما كان

لهم من العناية :

دعا ذكر نجد والحمائم بالحمى	وبرقاً ورعداً لاح وهناً وأرزمًا
وداراً لهم بين العذيب وبارق	وبين هضاب الأبرقين وأصرما
ومخطوفة المتنين مهظومة الحشى	خدلجة الساقين معسولة اللما
ولا تذكرا إلا حساماً وذابلاً	ودرعاً سلوقياً وطرفاً مسوماً
وزوراء يُضمي ثبُّها ما شحية	تمجُّ إلى الأعداء حتفاً مقسماً
وفجراً يردُّ اليوم ليلاً بلامة	إذا أشرقته المشرفية أظلما
كانَّ ثبيراً مسنقات جِياده	ورضوى أخال متنه ويلملما
يُقَاد إلى قوم طغاة جبابر	ليُدرك ثاراً للعلى ولينقما
ولا تعرضاً أمراً مضى لسبيله	ولا تنسيا هذا المقام وسلما
وقولا بلا فخر ولا جبرية	ليشفي أختا تقوى ويكبت مجرما
أمثلي يلدن المحصنات مقدما	إذا هم يوماً بالعظيمة صمما

(١) الديوان ١٢ - ١٣ مخطوط .

قذفت بنفسي في خميسٍ عمر مرم
 ليوث شرى لولا بياض وجوههم
 يقودهم حامي الحقيقة ماجد
 إذا قال قلت الليث يزأر غاضباً
 غدا طائعاً لله غير منازع
 أقلب طرفي هل أرى العرب جهرة
 سوى نفر شم الأنوف غطارف
 مسا غير من همدان في حومة الوغا
 فلما قربنا الدرب جادت سماؤه
 كرجل جراد أم سلمى عمودها
 فعدنا فأدينا فرائض رينا
 وتالله ما وطنت نفسي على الردى
 وكنت امرأة أهوى الحسام مثلما
 وأكره كون الحُرّ خلف جنوده
 رجعنا إلى ذكر الدخول وربما
 فجاءت أزال جمع الله شملها
 فجادوا بفتح الباب وابتهجوا بنا
 وقالوا جهاد الظالمين فريضة
 ستفديك أموال عظام وأنفس
 فقلنا لهم خيراً ثناء عليهم
 وخصبنا إلى أسد العرين عرينها
 وما هي بكرّ خوض مهري إلى العدا
 سل الخيل عني في عجيب ومشهدي

وكنت بنفسي فيه جيشاً. عمر مرما
 ولولا العفاف كلّمنا رمت مغنما
 مليك يصفى ساحة الملك بالدماء
 وإن كف خلته في المفاضة أرقما
 ولا فاتح بالمعورات له فما
 فلم أر إلا أعجمياً مَهْمَهما
 رأوا خلطهم للنفس بالنفس أكرما
 يجرون للروع الوشيح المقوماً
 بغيث رأينا منه قذاً وتوأماً
 إلى أن زهته ريح نجد فأتهمما
 وسرت إليهم حاسراً لا ملاماً
 لأحرز مالاً بل لأرحض مائماً
 وأهوى الرديني الأصم محطماً
 وأرضاه عرنيّنا لهم متقدماً
 أتى عارض يحكي اللآلي منظماً
 وأسدى إليها الصالحات وأنعماً
 وقالوا لنا أهلاً وسهلاً ومغنماً
 فقد طال ما كنّا نهاباً مقسماً
 كرام وإن أضحى ذوا الفسق لوماً
 لكونهم فيما رجوناه سلماً
 بصبر حسونا منه صاباً وعلقماً
 إذا كاع يوماً عنه جندي وأحجماً
 وقد صار ورد الخيل بالركض أدهماً

ألم ألقها ملء الفجاج مجرداً
وفي بطن هرأن ألم أحمر حاسراً
وكم موقف نلقى به الندب ساهياً
فقل للملوك الأرض لا تطمعوا بها
فقد طال ما نلتهم حراماً حطامها
فمن كان يبغى الفوز فليلتزم بنا
وقال عليه السلام ^(١) بصنعاء وقد امتنع قوم من بني أبي الفتوح بالمشرق من الانقياد

فأوقع بهم حكوا بن محمد وقعة عظيمة ، فقال في ذلك :

يا لائمي في مقال الحق لا تلم
إني أبيت قليل النوم أرقني
ليس الفتى من ينام الليل مُنهمكاً
لكن فتى الناس من أمسى وهمته
إني هزرت حساماً صارماً ذكراً
صمصامة ذكراً تمضي مضاربه
بحراً متى يرض يملأ الأرض نافلة
في عصبته وهبوا لله أنفسهم
ما أنس لا أنس في صنعاء موافقهم
يقودهم ماجد حلوا شمائله
أبو المظفر أعلا الناس منزلة
سرُّ لآل رسول الله منكم
ينحط من علم ماض ومن طبق
حتى بدا غرة للدهر شادخة

الحكم للسيف ليس الحكم للقلم
قلب تقلب من هم إلى هم
يفرح النفس بالطاري من الحلم
في منبر الملك لا في الشاء والنعم
يفل في الروح حد الصارم الخدم
لا يسأم الحرب إن العجز في السأم
وإن تغطمط غطى وجهها بدم
غطارف من حماة العرب والعجم
والجيش كالبحر حامي الظهر ملتئم
عليه أشهر من نار على علم
وأضرب الناس يوم الروع للبهيم
في سالف الدهر والماضي من الأمم
باق ومن ظهر صنيديد إلى رحم
بيضاء خالصة من شائب القتم

(١) الديوان ١٤ - ١٥ .

فخان يحيى الفتوحى العهود ولم يخش العقاب من الجبار ذي النقم
فكف عنهم عفاً كف مقتدر وصال فيها عقاباً صول منقتم
قل لي لسيف الهدى إن كنت لاقية يا هازم الجحفل الجرار ذي العلم
إني أقول وخير القول أصدقه والقول يبقى وإن أفنى البلى رمي
إني أحبكم لله فاعتقدوا حُبِّي وحق إله الحل والحرم
من متّ منا بحبل نال بغيته ومن تعدّى انثنى بالخزي والندم
إذا المصلي تولى غير ذاكرنا كان الوجود لها في الصحف كالعدم
ثم نهض عليه السلام يريد ذمار في شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وفيها من
العجم خلق كثير فوقع القتال، وكان له عليه السلام في ذلك اليوم العناء العظيم والقتال
الشديد، فإنه كان أمام جنوده المعقودة، وعساكره المحشودة، يقذف بنفسه في
جموع الأعاجم فقتل من جند العجم ثلاثون فيهم ثلاثة من العرب والباقي من
صميمهم، فأيقنوا بالهلاك حتى سألوا الأمان فأمنهم عليه السلام على تسليم الأموال
والكراع والسلاح. وذكر مصنف سيرته عليه السلام أن الخبير شاع في صنعاء يوم فتح
ذمار بنفسه، قال ومثل ذلك رواه جماعة من أهل صنعاء ثقات أن فتح صنعاء
اشتهر بمنى يوم العيد وتحدث به الناس، واستقرت الأوامر والنواهي في ذمار
وأعمالها.

ثم نهض عليه السلام إلى صنعاء؛ لأن بعض العجم الذين كانوا في ذمار كانوا قد
قصدوها في خلال ذلك وحطوا على المدينة، فقصدتها عليه السلام من ذمار يوم الثلاثاء
لعشرين ليلة خلت من ربيع الأول، فلما أيقنوا بالإمام عليه السلام لاذوا بحصن براش
ووصل عليه السلام المدينة وأقام مدة، ثم كان بعد ذلك طلوع إسماعيل وقتل حكوا بن
محمد والإمام عليه السلام في ناحية خيره^(١)، ثم نهض عليه السلام إلى جهران فتحقق الخبر
بقتل حكوا فانصرف عليه السلام إلى بلاد بكيل ومر إلى ناحية مقرأ.

(١) في (ب): في ناحية خشران.

وكان من كلامه ﷺ في بعض الأيام بناحيتهم في موضع يعرف بجرن القيل في سائلة مُقرا، وقد تحقق خيانة بعض من يتصرف عن أمره من الفرقة الشقية المطرفية فقال: وقد علمت أن البيضة لم تنحفظ والفسق لم يترقُض إلا بالجند، والجند لا يستقيم إلا بالمال، والمال لا يُؤخذ إلا من الرعية، والرعية لا تجمع على الانقياد للحق إلا بطرف من الشدة، نعم أنعم الله عليك، ومع ذلك فإنهم لو أهملوا لذهب الدين والمال، وانكشف الغطاء، وساءت الحال، وشغلوا عن القيل والقال، ولكنهم تفيئوا في ظل الحق فبغوا للحق^(١) الغوائل، وجادلوا بالباطل، وهو كاسمه باطل، فلو ضغمتهم نيوب الباطل، وخافتهم المخالب؛ لصيحوا صياح الثعالب، وقالوا: ليس لها إلا ابن أبي طالب، أين عمارة الوهاب من عنس؟ وأين زرعة من أنس؟ شتان ما بين الحمار والفرس، وتقلبوا في ذكر المناقب، وشهدوا بها من كل جانب، فأنا صاحبهم بالأمس وغداً، أوطأتهم واضح منهاج الهدى، لم أتدنس باحتكار المال، ولا حالت بي عن سنن الاستقامة الحال، وهم يذكرون إتيان الملائمة، ولولا خشية التطويل لذكرناهم يعرضون علينا نصف المال، ويلزموننا القيام على تلك الشدائد والأهوال، حتى إذا فقأنا عين الفتنة بعد جذورها، وأخمدنا نار الضلالة بعد ظهورها، وتركنا روض الصريمة ليعفورها، ونصبنا منار الحق على أعلامها وفورها؛ فمن لاقف للمال كالهر اللبِق، وطالب أحمال رجل لا تعق، وقائل إن السهاد قد لعق، فقلت: أبشر فالسكيتُ قد لحق، واحفظ عرى الدين لئلا يمحق. فلما فاءتُ فئةُ الباطل وأجلت^(٢) وأصدقت زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الجناجر وظن كثير من الناس بالله الظنون هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا، فمن

(١) في (ب): وتفيئوا في ظل الحق الغوائل .

(٢) في (ب) سقطت : وأصدقت وأخلت .

تائب ثابت ، ومن هافت خافت ، واللّه أغير لدينه وأحمى على شرعه ، ونحن على موعود ولن يخلف اللّه وعده ، وكيف يخذل بعد العدة بالنصر جنده ، وقد هزم الأحزاب وحده ، يوم صنعاء وبعده ، فكانك بألوية النصر قد خفقت بالظفر أطرافها ، وبيحار التوفيق قد طمت بالظالمين نطاقها ، فكم هناك من حائز ملكاً حسيماً ، وقائل يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً :

إذا غضب الفحل يوم الهياج فلا تعذلوه إذا ما هدر
أنا ابن معيد صدور الجياد والدم فيها يحاكي المطر
أينكر حقيقي برجم الظنون وهل يكتم الناس ضوء القمر
فإن سُيِّرت سيرتي باليقين كانت لعمر ك خَيْرُ السير
أست الذي شق برد الضلال بعزم يشق الحصى والشعر
وبأس توارثته من علي وحزم تعلمته من عمر
لساني كشقشقة الأرحبي أو كالحسام اليماني الذكر^(١)
ثم لما تقدم إسماعيل إلى صنعاء تقدم الإمام عليه السلام إلى ناحية شبام ، ثم إلى
ثلا وأنشأ عليه السلام هذين الشعرين^(٢) قال مصنف سيرته عليه السلام من بعد صلاة الفجر إلى
أول ضحوة النهار قبل انبساط الشمس ، أحدهما :

لا تذكرن منازل الأحباب بلوى قضيب فأجرعي شرحاب
دارات آرام الصَّـرِيمِ وإنما ليس الزمان زمانَ ذكر تصاب
واذكر بنات الأعوجي ولاحق شمّ المتون لواحق الأقراب
والزَّغْف كالغدران أحكم نسجهاً سرّداً كجلد الأرقم المنساب
ومناصلاً زرق المتون كأنها برقٌ تعرّض في متون سحاب

(١) الديوان : ٣٢ .

(٢) الديوان ١٥ - ١٦ .

والماشحية كل صفراء القرى * وهوأك من عتل ومن نشاب
 ومقامة تدع النفوس رخيصة * فرسانها والسوق سوق ضراب
 ليس المحارب كل يوم غالباً
 لا تعجبين من جولة في صولة
 إني أرقّت وما أرقّت لحادث
 لكن لضلّة أمة عن رشدها
 عني وقد علّمت دفاعي في الوغى
 ولقد دعّنتني فاستجبت دعاءها
 ونضوت عزماً من عزائم حيدر
 هل تعلماني قد وقفت بموقف
 فعلام ينسى الأكرمون مودّتي
 إني ومن عمّرت قريش بيته
 لا يثلم الخطب الملم^(٢) عزائمي
 أفيحسب الأقوام أني نائم
 الهول عندي حين يمنع ظهره
 إن كنت يا صنعاء أكبر همتي
 فليزهد الأعداء فيّ فإنني
 إني إذا خمّد اللثام رأيتني
 سأقودها شعث النواصي شزباً
 حتى تصعد بالصعيد جياها

وهوأك من عتل ومن نشاب
 فرسانها والسوق سوق ضراب
 كم قد طرى غلب على غلاب
 فحوادث الأيام غير عجاب
 من فلّ جيش أو خمود شهاب
 ونكوصها عهداً على الأعقاب
 عنها وتعظيمي لها ونصاب
 ونهضت نهضة ضيغم وثأب
 يزري بحد الصارم القرصاب
 إلا ويشهد لي ذوو الأحساب
 لجهام سيفان^(١) ولمع سراب
 لا حلفة الأزلأم والأنصاب
 أبداً ولا تُرخي فضول ثيابي
 أو ساهر للهول أقبرع نابي
 أدنى وأهون من طنين ذباب
 وذمار إن ذكرت أجلّ طلابي
 واهي العزيمة ضائع الأسلاب
 كالشمس بارزة بغير حجاب
 كالبحر ذات تغطمط وعُباب
 وتنظم غزنة من وراء الباب

(١) في (ب) : سفار .

(٢) في (ب) : العظيم .

وتمرُّ في شط الفرات عنوابسًا
 وتقيم في بغداد يوم قيامة
 حتى ترى أبنا أبينا أننا
 أبلغ بني العباس صفوة هاشم
 من واصل الأرحام غير مقاطع
 إنا أخذنا أمرنا فتبصروا
 قد حزتموها بالصوارم برهة
 فالآن قرت في محل قرارها
 صنو النبي وخير من وطئ الحصى
 نور تنقل حالة من حالة
 وأبوكم المفضل سلمها له
 الشعر الثاني ذكر فيه أيامه بالجوف وشكر أهله فقال عليه السلام
 [الديوان: ١٦-١٧]:

رويد كما لا تعجلا بلامي
 سل الخيل في صنعاء يوم قصدتها
 ألم أك رمح الجيش عند قدومه
 ويوم ذمار عند مشتجر القنا
 وكم موقف ينسى به المرو نفسه
 ولي كل يوم همسة علوية
 يهال لها عرب وعجم وإنها
 أنا القائم المنصور منصور هاشم
 ولي نفس حر الوالدين مهذب
 إذا رمت أمراً لم تمنع صعبه
 فليس مقام الليث مثل مقامي
 بأرعن جرار أجش لهُمام
 وصمصامه لو حلّ عقد ذمام
 ألم يك فعلي قائداً لكلامي
 عرفتُ به ماضي العزيمة سامي
 تزيل بإذن الله ركن شمام
 تشيب رأس الطفل قبل فطام
 حسام رقيق الحد غير كهام
 ونفس عصام قد سمت بعصام
 وأدنت رؤساً جنحاً لخطام

فلا تجزعا أن كان للحرب جولة*
 تحملت أعباء الحوادث يافعا
 أبي فارس الإسلام غير مدافع
 أشد قریش في الهياج شكيمة
 فمن أين يعرفونني اضطراب إذا القنا
 «فيا راكباً إما عرضت فبلغن»
 وأبناء قحطان وعدنان عن يد
 وقل لهم ما عذرکم عند ربکم
 وقلت له يا رب لم ينصروا الهدى
 ألا رب مفتون بعاجل عيشة
 وکم باسط للعهد کفا كأنه
 هو العهد والميثاق فالتزموا به
 تهنونني بالفتح عند قدومه
 أهذا من الإنصاف ما نفع حامل
 فقل لي لنهم حيث قر قرارها
 أتاني والأنباء تُنمى على النوى
 سموتم لنجران وکتتم سَمَادِعَا
 فأدرکتتم ثاراً لآل محمد
 سقاکم مِلْثُ القطر من كل حالک
 ورعياً لأيام لنا ببيراقش
 غداة نجرُ السمر لا اللهُو شأننا
 فليس بأيدي الحادثات زمامي
 فأكرم بحمال الخطوب غلام
 عليّ إمام الحق خير إمام
 وأقدمهم في كل يوم صدام
 سمت بنجوم في سماء قتام
 بني هاشم قومي الغداة نظامي
 وكل كريم الوالدين محامي
 إذا قادکم باريکم لخصام
 وقد دُدت عن أديانهم بحسامي
 عم عن طريق الحق أو متعامي
 لغفلته قدمدها لسلام
 أنتم نيام أم شبيهه نيام
 وتناون عني والنحور دوامي
 إذا وضعت حملاً لغير تمام
 وفرسان هذا الحي حي دعام
 فعال لکم مسكٌ بغير ختام
 كراماً وأهل الغدر غير كرام
 وأبتم على رغم العدا بسلام
 حيي بطي السير غير جهام
 لدى قومنا السادات صفوة سام
 وما اللهُو في حرّ القنا بحرام

فهل أثلات الواد شرقي منجزر^(١) كعهدي نضيرات الغصون سوامي
 ويا ليت شعري هل أبيتن ليلة بشط معين حاسرا للشامي
 وما حال دارات لهم قد عهدتها بأيمن سليمان وأيسر حمام
 بها كل مكسأل كأن جبينها سماوة بدر للاح تحت غمام
 حمتها رماح الخط في كل غارة بأيدي كرام الجند غير لثام
 فإن تُطهروا^(٢) الآفاق من دنساتها أتاكم سوادي عاجلا وخيامي
 أمثلي ينام الليل ملأ جفونه وديني مضيم والعداة أمامي
 وكم سائل عن بغيتي ثم قال لي مُرادك نجدي وأنت تهامي
 فكلت له بالصاع ثم أجبته هواك يمانني وأنت شأمي
 أيعظم من مثلي مرام معظم وسمك محل النجم دون مرامي
 ولا بد من يوم تظل به الظببا تمج نجيعا من رؤوس طغام
 وتقدم الإمام عليه السلام حتى انتهى إلى أثافت، ولم يزل عليه السلام يرحض أدران
 الفساد، ويسعى في صلاح العباد، حتى جرت الأحكام على موافقة الدين،
 وخسأت عفاريت المتمردين، واستحكمت الأمور في الظاهر كله بعد أن كان فيه
 من الفساد ما يكثر، فطهره عليه السلام وانتظمت الأمور في الجوف وصعدة وأعمالها،
 ونجران ونواحيه، والجهات المغربية، ونفذت دعوته إلى الحجاز فبويع له وأقيمت
 الجمع في يَنبُوع وخيبر وكانت الحقوق الواجبة تصل إليه من تلك الجهات على
 سبيل الاستمرار، ووصله من وصل من الشرفاء الحسينيين للجهاد في سبيل الله
 عزوجل بين يديه، فعز بهم الدين، واشتدت شوكة المسلمين، وكانت الغواثر إلى
 نواحي تهامة حالا بعد حال حتى أجلي كثير من أهلها من تتابع الغواثر، وكانت

(١) منطقة قرب براقش.

(٢) في (ب): تطهر.

الغنائم تنقلب بها الجنود حالاً بعد حال، واستقر أمره ﷺ في نواحي مذحج وصُلَّيت الجمع فيها، وقبضت منها الأموال، وكانت تأتيه وقتاً بعد وقت حتى كانت سبباً لقوة أمره وظهور كلمته، ونظم الجنود أحسن نظام، وقدر أرزاقهم، وعمر حصن ظفار^(١) حرسه الله تعالى في شهر شوال سنة ستمائة فكان سبباً لانتظام أحواله وسداد أموره، وأعلا الله كلمة الدين، ولم تزل البعث والسرايا في كل حين إلى أرض الأعادي تجوس خلالها، وتستلب أموالها، وتسبي أطفالها^(٢)، وتقتل رجالها^(٣).

ثم وجه ﷺ دعواته إلى نواحي جيلان وديلمان، فبايعوا جميعاً من بها من الزيدية، وعلا فيها ذكره، وخطب له في مساجدها، وصلبت الجمع، وقبضت الحقوق الواجبة باسمه، وجاهدوا من يليهم من الجبرية المجسمة والباطنية، وتيمنوا ببركة دعوته، واستسعدوا بإجابته حتى إن بلادهم كانت قد أصابها حطمة شديدة عظمت معها عليهم البلوى، وعضت بهم الأزمة الشديدة، فما كان إلا ريث دخول الدعوة إلى جهاتهم، فأبدل الله تعالى بالجذب خصباً، وزالت الشدة عنهم عن قريب ووردت الدعوة والسعر فيها بالمثقال الذهب ما بين ثلاثين قفيزاً إلى خمسين، فبلغ بعد ذلك مائتين وخمسين قفيزاً إلى ثلاثمائة بالمثقال، وجاهدوا في سبيل الله عز وعلاً، وأقيمت عندهم الحدود، وكانت الأوامر النبوية جارية فيها على الوجه الذي هي جارية في هذه النواحي.

ولقد أخبرنا من نثق به وهو الفقيه الفاضل حمزة بن محمود الجيلاني من شدة تشددهم في ذلك بما يكثُر حتى إن رجلاً من علمائهم ظهر منه تخذيل عن بيعة

(١) ظفار داود: حصن أثري في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة ذيبين على بعد ٧٠ كم شمال صنعاء.

(٢) في (ب): أموالها.

(٣) أنظر السيرة المنصورية لأبي فراس بن دعثم ٢/ ٤٧٩، ٦٣٤-٦٣٦.

الإمام عليه السلام فلما علم ذلك بعض الأكابر من العترة عليهم السلام وهو الأمير السيد
ظهير الدين أبو طالب بن يوسف الثائري الحسيني قدس الله روحه أمر من صلبه ،
وكذلك في صورة تشبه هذه ، وطُرد رجل من علمائهم المشهورين من بلد إلى بلد
لتوقفه في إمامة الإمام عليه السلام حتى صفت له عليه السلام الأمور فيها ، وكانت الأموال
تصل في كثير من السنين من جهتهم ، ولم يُعلم أنه اجتمع لأحد من أئمتنا عليهم
السلام ما اجتمع له من انتظام أمور اليمن والحجاز وجيلان وديلمان قبله عليه السلام
وكذلك فإن جميع من في جهات الرّي من الزيدية كلهم اعتقدوا إمامته عليه السلام وعلا
صيته في جميع الأقطار .

وكتب عليه السلام الدعوة إلى ملك خوارزم علاء الدين شاه شاه ، واتصلت به على
يد السيد الفاضل العالم مجدالدين يحيى بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن علي
ابن محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد زبارة بن عبدالله بن الحسن بن
الحسن الأفطس بن علي بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي أمير
المؤمنين عليه السلام . وكان من سادات الزيدية ، وكان متبحراً في العلم يلقب بأستاذ
الطوائف المخالف والموافق ؛ لتوسعه في كل فن ، ومعرفته لفقه كل فقيه من فقهاء
الأمة ، وكان لما اتصلت به هو المبلغ لها إلى السلطان المقدم ذكره ، ثم لما انتهت إليه
قرأها وهو من المحققين في العدل والتوحيد هو وأهل بلده معروفون بالتشدد في
مذهب المعتزلة والاعتصام به ، ويعتقدون من كفر الجبرية القدرية والحشوية الفرية
ما تعتقده ، ولهم معرفة بحق أهل البيت عليهم السلام ، لا تزاحمهم فيها فرقة
من فرق الأمة بعد شيعة أهل البيت عليهم السلام ، فوهب السلطان للسيد
مجدالدين عند ذلك خمسمائة مثقالاً ، ولو مد الله في عمر الإمام المنصور بالله
عليه السلام لكان ينتظم له الأمر في تلك الناحية إن شاء الله تعالى غير أنه لم يلبث عليه السلام
بعد ذلك إلا المدة اليسيرة .

ووردت كتب الملك الظافر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من حلب سنة إحدى وستمئة والوارد بها رجل من ولد النفس الزكية عليه السلام، ووصل اليمن فعاقه سلطان العجم عن الإمام، فأجاب عليه السلام بالشعر الذي أوله:
أتهجر معتمدا دارها حتى قال:

إلى حلب حيث صيد الملوك تحببوا ويكرم زوارها
سلالة من شاد دين الإله وطهّس بالسيف أوزارها
فرحمة ربي على روحه عشايا العصور وأبكارها

وكان عليه السلام قد رزقه الله تعالى من حسن الصيت وارتفاع الذكر وحسن الأحدث والثناء الجميل ما قل مثله لمن مضى من أئمة الزيدية عليهم السلام، حتى أن الإمامية على حيفهم عن السابقين من أئمة الزيدية واجترأهم على أذيتهم لم ينقل عنهم مثل ذلك في حقه عليه السلام بل كانوا في نهاية المحبة والمودة له عليه السلام على اعتقادهم ظلم القائمين بعد الحسين عليه السلام من أئمة الزيدية عليهم السلام عموماً حتى قال بعض شعرائهم وهو السمطي:

سن ظلم الأنام للناس زيد إن ظلم الأنام داء عضال
وينو الشيخ والقتيل بفخ ثم يحيى ومؤتم الأشبال
ولم يزل عليه السلام منفذاً للبعوث والسرايا إلى مغرب ومشرق وشام ويمن، فقلّ ما كان يقف عسكره من الغزو.

ودخل صنعاء المرة الثانية في شهر صفر سنة إحدى عشرة وستمئة، فأقام فيها مدة ثم تقدم دمار، وانحازت جنود العجم إلى ذي حولان^(١) فصمد لهم عليه السلام بنفسه حتى أظفره الله تعالى عليهم واستولى على الخيل والسلاح وأعتق الرقاب.

(١) قرية خارج مدينة دمار معروفة.

وقال عليه السلام (١) في صنعاء بعد رجوعه إليها من ذمار وذكر ذي حَولان :

عجبت فهل عجبت لفيض دمع لوحشة على طلل ورسم
ونؤي كالسوار وجذم حوض وأشعث قد أطل من التأمي
وما يغنيك من طلل محيل لهند أو جُبْمَل أو لَنُعم
أوانس كالبدور إذا تجلَّت كأن عيونها أعيان رقم
تميس كأنها أغصان بان تشني فوق أهيل كالخضم
كأن حمولهن مكللات بلف من نخيل حُوات غم
تظل الطير تخطف جانبها لما صورن من عُقم ورقم
فعدُّ عن المنازل والتصابي وهات لنا حديث غدِير خم
فيالك موقفا ما كان أسنى ولكن مَرَّفِي آذان صم
لقد مال الأنام معا علينا كأن خروجنا من خلف ردم
هدينا الناس كلهم جميعاً وكم بين المبين والمعمي
فكان جزاؤنا منهم قراءاً بيض الهند في الرهيج الأحم
هم قتلوا أبا حسن علياً وغالوا سبطه حسناً بسم
وهم حظروا الفرات على حسين وما صانوه من نصل وسهم
وزيدا أوردوه ظبي المواضي فكم جرم أتوه بعد جرم
وأولاد الهمام الشيخ (٢) منا هداة الناس من ظلم وظلم
ولم أر هالكاً كقتيل فخ فيالك من وسيع الباع ضخم

(١) الديوان ٨٢ - ٨٣.

(٢) الشيخ هو: عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الملقب بالكامل عليهم السلام، وأولاده الأئمة: محمد بن عبدالله النفس الزكية . . وإخوته: إبراهيم وموسى وإدريس ويحيى عليهم السلام .

أمة أمة جهلت هداها
هم قسدهسوا زناد النار فينا
وكم متشيع عاد علينا
وجبيري ينازعنا هداانا
أتخطي رشدنا وتصيب رشدًا
أطيعي مرشدك وشايعيهم
هم جهلوا سبيل الرشدا فينا
وما ضر المصيب هداا فينا
أخي من كان يهديني لرشدي
وحاشا شيعة الميمون زيد
أمرضعة الجنين تعرفيه
فلو عاينت ابنك في ثلاث
بنى الهرمين أعجب ما رأينا
مستى ترقى سويق البر إثمًا
وأنفع من فرائد كرم جيد
تشابه أهل ملتنا علينا
ينازعني أناس أمر ديني
وقد أرشدتهم وطلعت شمسًا
وأحمد سيد الثقلين جدي
ويوم مثل ظل الرمح طولًا
فمن يك سائلًا عني فإني
أظن مطرف إنكار فضلي

بخدعة مارق وشقاق غُتم
فقاموا عن خديج غير تم
بأنس أو ديار بلاد قُم
كذي خطل يعرفني بإسمي
كمن يقضي على علم بوهم
فإن ساعدتني فخلاك ذمي
فأعقبهم بها غمًا بغم
أميًّا غدا أم غير أمي
وليس أخي هو ابن أبي وأمي
حماة الروع فتیان التحمي
فإن كان الشجاع فلا تصم
عقيب الموت ويحك لم تشم
وأنفع من بناء عريش هرم
فمل عن أكله بسويق حزم
فرائد من ثمار بنات كرم
فلم ندر الأخص من الأعم
وهمهم لعمر ك غيرهمي
لهم في ليل خطب مدلهم
وجعفر طائر الملكوت عمي
قصرت طويله بطويل عزمي
غداة الروع في الجزء الأصم
يرد إليه معرفتي وحزمي

فقدماً أنكر الزاكين قبلي
وعارضني بمهدي غوي
أظنَّ الإسم يُبلغه المعالي
ظننتم حربنا شعراً بشعر
فلولا حال بينكم وبينني
لزرتكم بأرعن مكفهـر
سلوا صنعاء يوم الروع عنا
وذي حَولان إذ لجأت إليه
وكانوا النار جاء لها عُصار
فويل مطرف من طول حربي
وعدتكم فلم أخلف وعيدي
فأين وعيدكم وكشيش ضب
أنا حامي الملوك فقل كقولي
على صور المسائل قلت جهلا
فإن تك من رجال الحرب فاثبت
وجمّع كل ذي دين خبيث

وصلحت ذمار وتلك الأعمال وجرت فيها الأحكام وهو في خلال ذلك
يجتهد في تدمير المطرفية ، وصب كل محنة عليهم وبليّة ، حتى صاروا بين قتيل
وطريد ، وأجرى فيهم الأحكام من القتل وسبي الذرية في البلاد الحميرية وغيرها
من الجهات المغربية ، وعرف أحكاما كانت مجهولة ، وجدد شرائع كانت مدروسة
وأنا سنناً كانت مطموسة ، وفي خلال ذلك لا يعرى عن جاهل يطعن بغير
بصيرة ، فيكشف له عنه المشكل ، ويفتح له المقفل ، فبين قابل ومعرض جاهل .

رسالة ابن النساخ:

ولما أنزل ﷺ بالمطرفية الشقية النكال ، واستبى النساء والذراري واستلب الأموال ، عظمت عليهم البلية ، فأنشأ رجل منهم يعرف بابن النساخ رسالة إلى خليفة بغداد وهو في ذلك الوقت محمد الملقب بالناصر يحثه على إرسال عسكر إلى اليمن ، وذكر فيها من مناقبه ﷺ ما هو جدير ، ورأينا إثباتها في أخباره ؛ لأنها واردة من ضد مكاشح ولا أقوى من شهادة الضد لضده فقال فيها :

السلام عليك أيتها المعالم المقدسة بالأكياس ، المطهرة من الأدناس ، المحلاة بأفضل لباس ، المنتجة لخلفاء بني العباس ، المتأرجح عرفها ونشرها ، والسائر مع الأمثال السائرة ذكرها ، وطن العترة الرضية ، ومغرس الشجرة المباركة النبوية شعراً :

ومغنى أمير المؤمنين وداره وفيها عماد الملك^(١) قر قراره
تخيرها المنصور قدماً فحلها وأوطنها من طاب حقا نجاره
هي الروضة الغناء والربوة التي تخيرها قدما ففاق خياره
وفيه أمير المؤمنين محمد وخير شعار العالمين شعاره
عقود العز والتحصين ، والحرم المحرم الأمين ، مسقط رؤوس الخلفاء
الراشدين ، والربوة ذات القرار والمعين . . . شعراً :

دار الفكاهة والتأديب والأدبا ومنزل الظرفا الأكياس والأربا
يا رب معنى لطيف في معالمها تراه عن غامض الأفكار قد حجبا
يروى ببغداد أن العلم متجرها وأنه عبد ناديهما إذا ابتسبا
سلام يستلم شجرها ومدرها ، ويستهل بالإجلال والتبجيل شمسها
وقمرها :

سلام كالعقود بها لآل مقلدة من الغزلان عينا

(١) في (ب) : عماد الدين .

سلامٌ لا تكدره الليالي يروق الناظرين السامعينا
سلامٌ ريحه عبقٌ ذكي يحاكي نشر مسك التبتينا
وعند استلامك للباب الأعظم ، والمعينة للحرم المحرم ، تقبل مواضع القدم ،
وتعفر خدك بالسجود للواحد المعبود ، حيث بلغك أقصى المرام ، باستهلالك بدر
التمام ، ملك الإسلام ، جمال الدنيا والدين ، واسطة عقد الهاشميين ، محمد
الناصر لدين الله أمير المؤمنين . . . شعر :

فيكتحل الطرف المحاسن كلها ويرتاح إذ نال المنى والأمانيا
خليفة أزكى العالمين أرومة ومن لم يدع للعدل ضدًا مناويا
تشعشع نور الأفق من نور عدله ويخجل في الأفق الهلال اليمانيا
وبعد ذلك نحضه على الاستعداد لإطفاء نار تأججت باليمن ، أذكى وقودها
قائم من بني الحسن ، تمالأ أهل اليمن على نصرته ، وسارعوا إلى جماعته
وجمعته ، وعقدوا له الألوية والبنود ، وأتوا بالخميس العرمرم المحشود ، ولقد قدر
علينا واستظهر فعند ذلك اصدع بما تؤمر فقد أعذر من أنذر :

وقبل ترى أرض الخليفة واسجد وسلم سلام العارض المتردد
وسائل بني عم النبي محمد وأنشد بملء الشدق فيهم وغرد
أما بلغتكم دعوة التهجد وإيعاده يوما يروح ويغتدي
يسائل بني عمه الأخيار من أهل البادية والقرار ، في إعارة يوم من الأعمار
ليبتك الأوتار ، وينقم منك بالثار ، وعند استيلائه على الحرمين ، والتثام أولاد
البتنين ، ينهض إلى الشام والعراقين ، وعيدٌ لا يُفند واعدده ، ومنهل لا يصدر عنه
وارده ، هي والله إحدى الكبر ، التي لا تبقي ولا تذر أين منها المفر فلا منجى ولا
وزر !

ويجري إليكم بالمغاور ضمراً دلاص الدروع السابري ثيابها
بييض مواضٍ ما تفل غروبها وسمر دقاق يطردن كعابها

ويوم ترى أيام صـفـين دونه بمـركـة ما إن يطير عقابها
 اللهم إلا أن تنهضوا إليه ، على كل صعب وذلول جيلا بعد جيل ، ورعيلاً
 في إثر رعييل ، وتعدوا للجلاد السواعد الشداد ، والسيوف الحداد ، فعسى أن
 يُحمى بحماها بغداد وكوفان ، ويملك ما سواهما من البلدان ، هيهات من ذلك
 هيهات ، لا إدراك لما فات ، وقد هياً بضرب الدينار والدرهم دارين ، وملاً بهيبته
 ومملكته كل قلب وعين . . . شعر :

وساعده المقدر حتى جرى له بما يشتهي أفلاكها ونجومها
 ونادى أنا ابن المصطفى وابن عمه عليّ أنا ترب العلاء ونديمها
 أما أحمد جدي ، وحيدر والدي وإني للعلاء حقاً أقيمها
 بكلام يستنزل العصم ، ويزلزل الشّم ، أحلى من العسل ، وأمضى من
 البيض والأسل ، وقد بلغت دعوته جيلان وديلمان ، وطنجة وأصبهان ، فماذا بعد
 اشتهاره بالقيام تنتظرون ، فكأنه والله بما قد تأمله فيكم يكون :

وتصهل في أكناف دجلة خيله وتضرب فوق الشط منها مضاربه
 ويمسي قضيب الملك ملكاً لكفه وخاتمه في خنصر هو صاحبه
 ويدخل بغداد فيقتل أهلها ويغنى بسلب الملك من هو سالبه
 ويطلع فوق المنبر الأسمر الذي خليفتنا للأمر والنهي راكبه
 مقالة حق إن ونيتم رأيتم بداركم ما الكف بالطرس كاتبه
 ومن لم يخف من غائلات عدوه فزت نحره أنيابه ومخالبه
 ومن جعل التفريط والعجز دأبه وجانب رأي الحزم أعبت مطالبه
 على ملك الإسلام ألف تحية إذا بلغتنا خيله وكتائبه
 ثم قال بعد هذه الرسالة :

لمنشي الحمد ذي الملكوت حمدي رداء الحمد أفضل ما تُردّي

حملت على البريد بسعد جدي
شعاع فرنده يشفي نفوسا
يلوح إلى خراسان ومصر
ينادي في دمشق بفرد صوت
قوافيها أزممتها بكفي
إلى حرم الخلافة منتهاها
تخصكم رسالة ذي وداد
سأنتزع القوافي من لساني
لها غرب شباه يشيب منها
نيام يا بني العباس أنتم
أراكم غافلين، وسوف عنها
ونرميكم ببغداد بجيش
ينادي يا لثارات بفتح
ويدعو: أين إدريس ويحيى
أنسى قتلكم لهم جميعا
بأحشائي عليكم نار وجد
علينا أن ننبئكم ونبدي
إمام هاشمي فاطمي
أشار إلى الخلافة فانتضاها
وسيماء الملوك عليه باد
فصيح لفظه عذب فرات
يقود قبائل اليمن اللواتي

نظاما ناظما تبديد عقدي
علقن لها السعود بغير كد
وبغداد وكوفان بقصد
فيسمع كل فلاح وجندي
سأرسلها لخدمتها تؤدي
لتلثم أرضها بثناء حمد
يحثكم بحزم بعد رشد
سناها يستطير بأرض نجد
نواصي القوم من قرب وبعد
وهذا ثوب إمرتكم تُردي
نباعدكم بحد أي جد
أجش، متابعا برقا برعد
وبأخمرا ووقعة يوم مهدي
وعبدالله أين أبي وجدي
معاذ الله لو أفردت وحدي
تشير عليكم مكنون حقد
بأن المرء همته التهدي
معيد للنضال لكم ومبدي
ولكن لا يُملاها بخلد
بعيد صيته يعطي ويجدي
يفض به صلابة كل صلد
تزوركم مكفرة بسرد

بكندة والذرى همذان تأتي
 وحيي حاشد وبكيل منهم
 وسنحان وخولان، ونهم
 وقوم من بني الملطوم شوس
 قبائل دعوة الداعي أجابوا
 كتابه إليكم ذالفات
 وتأتلق البروق من المواضي
 تشعشع ضوء نور بني علي
 ويترككم له خولا عبيداً
 وينقم منكم بالثأر قدما
 وظني أن داركم ستضحى
 إذا لم تنهضوا بالخيل شعنا
 من الأتراك أهل البأس حقاً
 إذا أبطأتم إبطاء فنند
 أصبتم قول ليت تجر ضيماً
 لكم إرث الخلافة عن أبيكم
 ومذحج، أسدُ حرب أي أسد
 وعنس والأولى من آل سعبد
 وجنب والسكون وحي نهد
 يحاكي بأسهم عمرو بن معدي
 وأدوكم لقد جاؤا باد
 بأرماس مثقفة وجرد
 إذا عصبت بهامة كل وغد
 سيظفي ناركم من غير بُد
 إذا ما قناد جنداً بعد جند
 يصارفكم به نقداً بنقد
 ولا عهداً لها أبداً بفرد
 نواصيها عليها كل صلد
 يقودهم شريف من معد
 ولم تجسروا إليه بكل هند
 وما ليت على التفريط مجدي
 لأنكم أولورشدومجد

وأغارت جنوده المنصورة إلى نحو لحج وأبين فغنموا الأموال وقتلوا الرجال

وانقلبوا بعزة قعاء لم يمسهم سوء .

وكتب عليه السلام من صنعاء إلى أهل بغداد :

يا أهل بغداد إن الله سائلكم
 أنتم عيون بني الأيام قاطبة
 قد اشتملتم على عمياء مظلمة
 عن ملّة الدين إذ أحدثتم فيها
 في النائبات ولكن القذى فيها
 لا يهتدي بنجوم الحق هاديها

إن الخلافة أمرٌ هائلٌ خطرٌ
 لو كان ما أنتم فيه على سننٍ
 أيلزم الحد محدودٌ بحكم إلـ
 جعلتم حجة الدعوى مُطهمةً
 إن الخليفة من يهدى لسنته
 ويقتفي سنة المختار معتمدا
 ولا يميل إلى لهو ولا لعب
 يجري الشريعة مجراها الذي وضعت
 خليفة الله يرضى الله سيرته
 كم قد سمعتم خلافا في الوصي وفي الـ
 فكيف يأخذها من علم جملتكم
 القوم منا ولكن أين فاطمة
 وأين سيرتنا المشهور طهرتها
 نقفوبها جدنا المختار لا عوج
 لا نعرف الخمر إلا حين نُهرقها
 إن الخلافة حكم الله فانتظروا
 أيستقل بها من لا تقوم له
 وكم فتى سُملت عيناه قام بها
 أي الإمامين أولى بالقيام بها
 نعوذ بالله من قول يقوم له
 أنا ابن أحمد إن فتشت عن نسبي
 المانع النفس ما تهواه من صغر
 صعبٌ مسالكها صعبٌ مراقبها
 قام المريض إلى المرضى يُداويها
 ه الناس أم يرشد الضلال مغويها
 جردا ، ومطرورة تصمى نواحيها
 حتى تضيء به الظلما لساريتها
 حتى يضم إلى الأدنى قواصيتها
 إلا بسمر العوالي في مجاريها
 عليه حتى يحل الدار بانيها
 ويطهر الأرض طُراً من مخازيها
 صديق يعظم في النجوى تلاحيها
 بحاله عن طلاب الحق يغنيها
 وزوجها وسليلاها وواليها
 باسم المهيمن مجريها ومرسيها
 فيها ولا أمت تلقى في معانيها
 ولا الفواحش إلا حين تنفيها
 حكم المهيمن فيها فهو معطيها
 شهادة في حقير إذ يؤديها
 ويُتكت أذن ثان في تعاطيها
 يا قوم ، أولّها أم ذاك ثانيها
 سوق من الخزي لا تخبي نواديها
 القائد الخيل منكوباً حواميها
 عمداً لتسمو وتعلو عن مُساميها

وغارة مثل لمع البرق مشعلة
 وهزيمة مثل قصف الرعد مجحفة
 وسائل عن فنون العلم ملتفهف
 وطالب جاء والآفاق قائمة
 من ذا يكون كآل الطهر فاطمة
 خلافة الله دين الله فانتقدوا
 يا أهل بغداد خافسوا الله إن له
 فارعوا حقوق رسول الله والتزموا
 وراقبوا الله في سر وفي علن
 ونحن في غمرات الشك فلك هدى
 نحمي حمى الدين بالجرذ العتاق وبال
 وكم فتى يلتقي الأبطال مبتسما
 يحميه منصبه الزاكي الفرار إذا
 وفحمة مثل سيل الليل عاتية
 إن الحجاب لربات الحجال فلا
 إن الإمام الذي يبدو لطالبه
 إذا دجت ظلمات الخطب قام لها
 ضخم الدسيعة محمود الشريعة لا
 كنا الذوائب منها لا توالياها
 ظلت سيوف بني المختار تحميها
 همى عليه بماء العلم هامياها
 غبرآء نال أمورا وهو راجياها
 من ذا يقاربها أم من يساويها
 رب السرير ليُعطي القوس باريها
 بطشا يحش القرى جمعا ومن فيها
 بعروة لا يخاف الفصم راعيها
 فنحن مهديُّها منا وهاديها
 تنجي ويهلك عند الموج قاليها
 بيض الرقاق رؤوس الصيد نغشيا
 منا ويطعننها شزراً ويرديها
 دقت من السمر في الأحشا عواليها
 ردت عواصيها العظمى مواضيها
 تقبل لنفسك تلبيساً فتصمياها
 كالشمس لا يستطيع الغيم يخفيها
 مشمراً وتجلَّى أو يعجلِّيها
 يرضى لنحلته كبراً يدانيها^(١)

ولم يزل الأمر كذلك حتى وصلت جنود العجم من الشام إلى اليمن،
 فأقاموا فيه مدة مديدة حتى نظموا أحوالهم، ثم نهضوا قاصدين إلى أعمال
 صنعاء، فلما قربوا من أعمالها انتقل عليه السلام إلى كوكبان من صنعاء يوم الأحد

(١) أنظر دوان الإمام عبدالله بن حمزة ٨٩-٩١.

لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثني عشرة وستمائة، فأمسى في بيت أنعم ثم تقدم إلى كوكبان، ووصل العجم إلى الأعمال الصنعانية في جيوش يضيق بها الفضاء، فعمدوا إلى بيت أنعم فحطوا عليه ثاني عشر جمادى الأولى من السنة المذكورة وكان ﷺ قد شحنه بالرجال، وما يحتاجون إليه من الطعام فأقام الحرب عليه مدة وهم مشغولون به حتى تسلموه بعد ذلك يوم الثلاثاء ثاني رجب ونهضوا إلى بلاد خمير فحطوا على المصنعة وعزان يوم الجمعة سادس رمضان من السنة المذكورة، وأقام ﷺ في مقاتلتهم في اللطية بجبل الضلع مدة ثلاثة أشهر ونصف والحرب متواترة عليهم، وكان أول يوم وقع فيه القتال نهض ﷺ من اللطية إلى جبل يقال له ثمود، ونزلت الجنود على العجم فقاتلتهم قتالاً شديداً ودنوا إلى محطتهم دنوا كثيراً، فقال ﷺ في ذلك اليوم نه

خذوا هذه عني إلى أن تتم لي أمور أرجي نظمها واتساقها
فإن تنكحونيها فإني كفؤها كريماً وقد وفيت صباحاً صداقها
فأين بكم من لفتح سفع جحيمها إذا ضربت صباحاً عليكم رواقها
وصاحت حماة الروع في جنباتها وحملها مستكرها من أطاقتها
فلا تسأموا الحرب العوان وشمروا فقد شممت حرب بن حيدر ساقها
حسبتم طعان الطالبين في الوغى معتقة لا تسأمون مذاقها
حرام عليكم لذة العيش بعدها فقد صدها عنكم حسام وعاقها
وقبلكم كانت ملوك كثيرة نسوقكم عما قليل مساقها
إذا زخرت قحطان دوني بجمعها وهزّت عواليها وسلت رفاقها
وشدت عليكم شدة يمنية تهد عليكم شامها وعراقها
ودافع من عدنان كل مشيع إذا نظرت العين في الروع راقها
جعلتم كلاب الباطنية ركنكم فنطقكم بالمشرفي نطاقها

رويدكم فالحرب دأبي ومتجري
 سبرت بنيتها مذ لويتُ عمائي
 أنا ابن رسول الله وابن وصيه
 رقابكم مرقوفةٌ لمحمد
 لنا فتية يوم الوغى طالبية
 فكم من عناة قد فككت رقابها
 وكم منةً طوقتها العجم فخمة
 وكم ملكٌ قد رام ملك بلادنا
 وكم من جنود فخمة صمدت لنا
 رميناهم يوم الوغى بجباهها
 تجبرتم لما قدرتم على الذي
 نصبنا لكم سوقاً بجعل من الوفا
 فبوؤا على رغم الأنوف بعارها
 جعلنا سبيل العفو ثم نفاقها
 ألا فاشربوا غب الجزاء غساقها^(١)

وكثر خاذله عليه السلام في تلك المحطة لطول الأمد على الناس وملا لهم، وإيثار
 الأكثر منهم الراحة والدعة، وهو عليه السلام غير مكترث بقتلهم ولا مطول بتفريق
 جماعتهم، حتى إن أهل الدين الذين ينتمون إليه لم ير منهم أحد إلا جماعة قليلة
 من شيعته عليه السلام، فإنهم أسوه بأنفسهم وأدوا حق الله تعالى في إجابة دعوته،
 وقاموا بنصرته، وكانت أحوال أهل اليمن معه في شدة خذلانهم وعظيم
 انحرافهم تحكي من كان في عصر الحسين بن علي عليهما السلام في ذلك، فصبر
عليه السلام محتسباً لله مناصباً لأعداء الله وبنى عليه السلام الدار الواسعة في مخيمه المنصور،
 وبنى الناس معه الدور، واستقرت دار الضرب في الخيم المنصور، وكثر النفاق

(١) الديوان ٢٦٣-٢٦٤.

جداً ، ويسر الله عز وعلا له ﷺ ذلك حتى إن بعض أهل دار الضرب أخبرني أنه ضرب فيها مما وصل من جهات مذحج ونواحيها من الفضة وغيرها من دراهم الغز خمسة وعشرون ألف درهم؛ هذا من هذه الجهات لا غير سوى ما كان ينقل من سائر النواحي ، وأقام ﷺ كذلك والحرب ابتداءً في الغالب من جهته ﷺ حتى إن الوقعات لم تنحصر لكثرتها إذ كانت على الجملة الكثير من هذه المدة التي أقام فيها مواجهاً لجنود العجم ، وكانت المحطة على قلة من فيها من الأعوان والأنصار قد ألبسها الله عز وجل الهيبة العظيمة مع خلاف أهل مسور وكونهم مع العجم وقربهم ، فلم يُعلم أنه وقع فيها صوت من ابتدائها إلي انتهائها بلطف الله تعالى وبركته ﷺ ، وصلى ﷺ فيها العيدين رمضان والنحر؛ لأن ابتداء إقامته ﷺ فيها كانت من الرابع عشر شهر رمضان إلى المحرم وهو ﷺ لا يسأم ولا يفتر من قراءة الكتب ومطالعتها حتى لقد قرأ في خلال ذلك مجلدات عدة لا يشتغل بهذا الأمر الهائل ، ولا يطول بهذا الخطب النازل ، فلم يزل ذلك دأبه ﷺ حتى وقع الصلح يوم الأربعاء غرة شهر المحرم سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وأقامة محطة العجم عليها مائة ليلة وسبع ليال ، وانصرف العدو وقد كبته الله عز وعلا قد أنفق الأموال الجليلة ، وقتل من رجاله الكثير ولم يظفر بأمنيته ، ولا وصل إلى بغيته .

قال مؤلف سيرته : وحكي أنه وجد في محطة العجم أربعمائة قبر جديد ، وتلف من خيلهم وبغالهم وكراعهم قدر ألف رأس ومائتي رأس ، ومن الإبل سبعة آلاف ، وانتقل ﷺ إلى كوكبان ، وقال في شأن ذلك :

هل تعرف الدار في أعراض ذي ظفر	إلى الأكراع شرقي الحريبات
فحزم بقلان فالحنوين فالسمحا	ت السود من تلبس ذات الضغيات
فدارهم بين شيحاط إلى هرم	إلى القراشم في مجرى الأثيلات
منازلاً قد عهدناها ممنعة	بذبل الخط فوق الأعوجيات

فيها بنات مراد إن سمعت بها : كالإدم تعطوا عسا ليج الخميلات
 ومن جأذر نهم كل مخطفة
 وقفت فيها سراة اليوم أسألها
 لأيا بلاي عرفناها بأسمة ال
 وكل نوء كجذم الحوض ثلمه
 ومائلات جواد كالزناد بها
 أم الدوادي فعف المور معلمها
 إنني لأعجب من قوم ونأيهم
 ألم أقم وكثير من سراتهم
 وهم وشيعتهم في ليج ملتظم
 كآل إسرائيل إذ فرعون سامهم
 وشم قحطان والسادات من مضر
 فخضت ليج ذعاف الموت محتسبا
 وكم خميس لهام قد صمدت له
 فصار كالأمس لا عين ولا أثر
 سل من أقام بصنعا عن إقامته
 هل أغضب الله أم أرضاه موقفه
 قولوا أساءتكم مني معاشرة
 الأرض كافرة والحكم مطرد
 أليس عم رسول الله والده ال

هيفاء آفة نوم العشيات
 فأصمتت عن جوابي أي إصمات
 كئبان فالعقدات المسبخلات^(١)
 سح السواري وإثحام الغديات^(٢)
 أو كالحمائم أو مثل القطيات
 إلا مزاحف إضلال وحيات
 عني وقد علموا تصريف حالاتي
 عند التنافر أحياء كأموات
 من البلاء بمصيبات وآفات
 ذبح البنين وإحياء البنيات
 هيم يعومون في بحر الظلمات
 نفسي وما لُذت في روع بمنجات
 كالبحر يرجف من لفظ وأصوات
 وكان مثل الجبال المشمخرات
 فيها وإن كان ذا صوم وإخبات
 بدار حرب لدى لهو وحنات
 أم بعث ديني منكم بالدنيات
 فيها بنص أحاديث وسورات
 عباس حل به حكم العتيبات

(١) في (ب، والديوان) : المستحلات .

(٢) في الديوان : تبيح السواري .

لم ينج حتى فدى نفساً مرققة
 وكم وعظت وكم خوَّفت مجتهدا
 إلا أفاضل منهم هاجروا فبنوا
 وءآلوا وثاروا فسيال لله درهم
 ظننتم الحرب ترديني^(١) بكلكلها
 نشأت فيها كنعنل السيف منصلنا
 مذ بضع عشرة ما غربت غاربها
 أنا ابن رب معد في مقالهم
 وأي فخر سوى بالطهر والدنا
 سائل قليب وفرسان الشام ومن
 عرباً وعجماً ألم أضجر لحربهم
 كان المناخ شهورا لا رسول لنا
 وهم يرومون فينا ما نروم بهم
 كتائب كجبال الروم شامخة
 كم حومة قد ملأناها وهم علقا
 وماجد قد أطار السيف هامته
 وفي شبام لنا يوم له نبأ
 ونحن عدة فرسان وهم بشر
 راموا الحصون فلاقوا دون بغيتهم

بالمال قد ملكت عن نصر آيات
 وكم نصحت فما أغنت نصيحاتي
 مجدا يدوم إلى يوم القيامات
 كم راغموا في من ذي سطوة عاتي
 فأتقيها بأغمار وسادات
 فلم ترعني وراعتها مصالاتي
 فالآن إذ كنت سباقاً لغايات
 وليس رب سوى رب السموات
 محمد وعلي ذي المقامات
 قد كان في يمن أساد غابات
 والقوم في لجب جم الجماعات
 ولا لهم غير بيض المشرفيات
 كل يحاول ما يدري وما ياتي
 نباتها من رقاق^(٢) السمهريات
 بسفح واقط تزري بالحكايات
 منا ومنهم صريعاً بالمناصات
 قد كاد يربي على يوم القصيبات^(٣)
 على رؤوس أولي بأس ورايات
 ضربا وطعنا يضم الراغبيات

(١) في (ب): يزريني، وفي الديوان: ترديني .

(٢) في (أ ، ب): من دقاق .

(٣) في الديوان: يوم العصيات .

وفتية من علي أصل نسبتهم
 الضاربين حبيك البيض عن عرض
 والتاركين دروب الروم خلفهم
 والباعثين لكسرى في كتائبه
 ولو أردنا لقلنا غير أن لهم
 ما كان مثلهم في حكم طاعتنا
 لعلمهم يرأبون الصدع عن كئيب
 وحي قحطان أرباب الولايات
 والحاملين حمالات الجنائيات
 والناهدين إلى أطام غايات
 مآتماً يوم باب القادسيات
 حقاً يقيم لهم حكم الرعيات
 عند الوفاء على مثلي بمقتات
 ويطلبون رقي تلك السعايات^(١)

ثم انتقل عليه السلام من كوكبان يوم الجمعة لليلتين إن بقيتا من شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وستمائة إلى ظفار حرسه الله تعالى ، فأقام فيه مدة حتى دنا انقضاء الصلح بينه وبين العجم وانتقل إلى كوكبان لأربع ليال إن بقيت من ذي الحجة من السنة المذكورة ، ثم جهز ولده الناصر لدين الله عز الدين محمد بن أمير المؤمنين إلى كنف في الجند من الخيل والرجال ، وقد كان عليه السلام ابتداءً به أول مرضه في محطته في البون ، وطلع كوكبان وهو يزداد بعد ذلك وكان من التجلد في حال مرضه والصبر عليه بالمحل العظيم لقوة يقينه على شدة وجعه ، ولقد كان في حال النزاع الشديد وهو محتب بثوبه حتى فاضت نفسه وهو كذلك .

أخبرني من شاهده أنه دخل عليه وقد خرجت إحدى ركبتيه من حبوته والأخرى بحالها ، واختار الله له الانتقال إلى دار كرامته ومستقر رحمته يوم الخميس لاثني عشر يوماً من شهر المحرم سنة أربع عشرة وستمائة ، ثم نُقل عليه السلام إلى بكر فأقام فيها مدة ثم نقل بعد ذلك عليه السلام إلى الموضع الذي قد صار منسوباً إليه ودفن فيه فسلام الله عليه ، لقد نُعش الإسلام ببركته ، وأعلاه بحميد عنايته ، وكثر جماعة أهليه ، وقلل سواد قاليه ، بعد أن كانت فرق الضلال قد هدرت ،

(١) الديوان ٩٢-٩٤ .

وبحار الجهل قد طمت ، حتى أعلى الله كلمة الحق بقيامه ، فانتشرت أعلام الحق ، وقامت قناة الصدق ، وتفجرت عيون العلم ، وهطلت سحائب الفهم ، وأنقت رياض المعارف الدينية ، وعمرت معالم السنن النبوية ، وغارت بحار الجهالات ، وانظمت رسوم الضلالات ، ولقد حصلت ببركته من الخيرات الجسام ، والفوائد العظام ، من العلم والعمل ، وظهور مفردات الدين والجمل ، مآظهوره يغني عن بيانه ، وضرورته تنوب عن برهانه ، ولقد كانت المطرفية الشقية الكفرية الغوية تسعرت نارهم ، وطلع نهارهم ، وأظهروا الكفر في دار الإسلام ، ونسبوه إلى العترة الكرام ، ودرّسوه في كنائسهم ، ودعوا إليه نظماً ونثراً ، حتى طبق مذهبهم كثيراً من الآفاق ، وخدعوا الأنام بحب العترة عليهم السلام ، فلم يزل عليه السلام ساعياً في إبادة جرثومتهم ، واقتلاع أرومتهم ، أولاً بالدليل والبرهان ، وثانياً بالهندي والسنان ، حتى فرق الله عز وعلآ جموعهم ، وأخرب ربوعهم ، وحصل ذلك على يديه سلام الله عليه .

ولقد حكى أن القاضي العالم شمس الدين جعفر بن أحمد بن أبي يحيى عليه السلام رأى في النوم أنه كتب مذهب المطرفية في لوح وأعطاه شريقاً يحويه ، فكان عليه السلام هو الذي طمس آثارهم ، وأباد ديارهم ، وحكم فيهم بالأحكام النبوية ، من القتل وسبي الذرية ، وأجراهم مجرى الحربيين ؛ عملاً بما انعقد عليه إجماع الصحابة الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين بعد الرسول ﷺ من قتل بني حنيفة وغيرهم ، وسبي ذراريهم ، وتغنم أموالهم ؛ لأنهم كفروا بعد الإسلام وصارت لهم شوكة فانتقل حكمهم إلى حكم الحربيين ، وأين الأمر من الأمر إنما كفرت بنو حنيفة بأمور يسيرة ، والمطرفية كفرت بأشياء يطول ذكرها ، وهي إنكارهم أن يكون الله تعالى يمرض عباده ويسقمهم ويؤلمهم ويميت الأطفال الصغار وغير ذلك من كفرهم ، وأنكروا أن يقصد الله تعالى بالصواعق والبرد

المسلمين ، وزعموا أن ذلك إنما يقع على جهة المصادفة لا بقصد من الله وإرادة ،
فحكّمهم ﷺ إلى الكتاب الكريم والسنة فحكما له ﷺ بالقتل وتغنم الأموال ،
فأعمل في هامهم الصفاح ، وثقف لنحورهم الرماح ، وقاد إليهم الجنود بعد
الجنود ، ونظم إليهم حيناً بعد حين العسكر المحشود ، حتى نال المراد ، وأرضى رب
العباد ، ولقد خرج ببركته من الكفر إلى الإسلام خلق لا يحصيهم عدداً إلا الله
تعالى ، وهي قبائل ضخمة كانت تدين بدين المطرفية أقامهم الله تعالى ، فشملتهم
بركته فتابوا إلى الله تعالى وصاروا سيوفاً على المطرفية الشقية ، وأضحى مذهبهم
بعد تلك الغضارة والبهجة التي كانت له عند الناس ذوايماً ، بعد أن كان عندهم
عالياً سامياً ، وكان ذلك بحميد سعيه ، ولطيف تدبيره سلام الله عليه بعد توفيق
الله تعالى . وكذلك الجبرية القدرية فإنه ﷺ أجرى فيهم ما أجراه على المطرفية
من القتل وسبي الذرية ؛ لقضائهم بقدم القرآن فخرجوا بذلك عن التوحيد ، ومن
خرج عن التوحيد كان كافراً ، وكذلك فإنهم حملوا على الله تعالى الكذب
والظلم والجور وسائر القبائح ، وأخرجوه تعالى عن أن يكون حكيماً ، ومن قضى
بإنه ليس بحكيم ولا عدل فلا شبهة في كفره ، فكذلك إذا قضى بأنه يفعل سائر
القبائح وفنون الفضائح ، وقالوا : بأنه تعالى يريد الفواحش وكافة القبائح من
الظلم والعبث وأنواع الكفر وهذا مذهب المشركين الذين حكاها الله تعالى بقوله
حاكياً : ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاكُمْ مَّا لَكُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا
يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٠] ، وقال : ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا
أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى
ذَاقُوا بِأَسْنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ
إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الانعام: ١٤٨] ، فلما تحقق ﷺ كفرهم علم جواز قتلهم وسبي
ذرائعهم وتغنم أموالهم .

وابتلي ﷺ بحرب العجم والعرب من أهل المذاهب الردية وغيرهم من طغاة البرية، فشفى الله به قلوب المؤمنين، وكثر به سواد المسلمين. ومحاسنه ﷺ أكثر من أن تنظم في سلك المدائح، وظهور حاله لقرب عهده ومعرفة الخلق به يغني عن شاهد.

وكان ﷺ في نهاية الرفق بأهل الدين، والتقريب للمسلمين، يمازحهم بالمُح، ويفاكههم بالطرف، ويكثر التيسم عند الكلام والبشر والطلاقة إلى الخاص والعام، ولقد كان يعرض الأمر ويذكر المسألة فيعرض على من يحضر مجلسه الكلام، ولقد شهدته في بعض الأيام لج عليه بعض الأحداث اللجاج العظيم حتى كان هو المتكلم وهو ﷺ ساكت فضلاً جمًا، هذا مع أنه في كل فن كالبحر الزخار، والغمام المدرار، إلا أن اللين كان له طريقة معروفة والوطة سجية مألوفة، ولقد عرضت لشيخنا بهاء الدين أحمد بن الحسن رضوان الله عليه مسائل في شيء مما يتعلق بالسيرة فوقف عنده ﷺ ليلة من الليالي طويلا حتى مضى طائفة من الليل، وقام عند قيام الناس وسلم إليه القرطاس التي هي فيه، فكتب ﷺ أجوبتها في الحال ثم أمر بها إليه قبل أن ينام قال: لثلا ينام على شبهة، فانظر إلى غزارة العلم ووفوره، وحسن الورع وكثرته، وكان في بعض الأوقات ربما يجيب عن المسائل ليلاً؛ لكثرة الشغل بأمور الناس والتدبير العام، فإذا خلى ليلاً تولى الجواب.

تصنيفه^(١) ﷺ

وله من التصانيف الجمّة ما لا يوجد لإمام ممن قام في اليمن من أئمة الزيدية عليهم السلام إلى هذه الغاية بل لا يدنو منها. وأما في السير فقد وضع شيئاً لم يوجد لأحد مثله من العترة عليهم السلام، وكان في علوم القرآن بالغاً الغاية،

(١) غير موجود في (أ).

وشرع في تفسير ورتب في أوله مقدمات حسنة لا يعلم مثلها في تفسير قط ، ففرغ من سورة البقرة مجلد واحد ولم تكمل بعد ، وأودعه من الشواهد العجيبة ، ومن الكلام في المعاني الغربية ، ومن الكلام في دلالة الآي على بطلان مذهب المطرفية الطبيعية والجبورية القدرية ما تتحير فيه الألباب ، ويدل على أنه السابق في هذا الباب ، وله لمع أيضا في الكلام على آيات . ومن تصانيفه عليه السلام العقد الثمين في تبين أحكام الأئمة الهادين في الكلام على الإمامية خاصة وهو مجلد .

ومن تصانيفه عليه السلام : الرسالة الفارقة بين الزيدية والمارقة في الكلام على المطرفية ، ومنها الرسالة الحاكمة بالأدلة العالمة في الدور والتكفير والغنائم ، ومنها العقيدة النبوية في الأصول الدينية ، ومنها الرسالة القاطعة للأوراد من لجاح المتعنت في الإيراد في الجهاد وما يتعلق به ، ومنها الرسالة القاهرة بالأدلة الباهرة في الفقه ، وفيها مسائل أوردتها موردها على وجه التعنت ، وكان ممن له معرفة واسعة في الفروع ، فأجاب عليه السلام أحسن جواب بأوضح خطاب ، وهي مائة وعشرون مسألة أكثرها في الفقه وفيها القليل مما عداه . ومنها كتاب تحفة الإخوان ، ومنها الرسالة التهامية ، وغير ذلك . . . من تصانيفه وأجوبة المسائل التي طارت بها الركبان إلى الداني والنائي من البلدان ، ولا سبيل إلى ذكرها في هذا الموضع لكثرتها ، ودعوات كثيرة قد ذكرنا بعضها فيما تقدم وتركنا منها أكثر مما ذكرنا .

وكان عليه السلام في الشعر على الحال الذي يعرفه أهل الأدب ولقد كان الجبل من قصائده بمنزلة الارتجال ، وله ديوان كبير ويشتمل على فنون من الشعر وأنواع ، ولنذكر من ذلك طرفا سوى ما تقدم .

ومن محاسن شعره عليه السلام قوله وهو في براقش في شهر جمادى الآخرة في سنة أربع وتسعين وخمسمائة :

طربت وما مثلي إلى اللهو يطرب ولكن إلى خيل إلى الضرب تضرب

خفاف عليها جنة عبقرية
بها ليلُ بسَّامون في حومة الوغى
نمتهم ليوث الغاب فاشتد بأسهم
وكم من فتى يطفوا إذا جاش موجهها
ومن ضارب بالسيف حامات جمعها
يرى الموت قيد الرمح وهو مصممٌ
فلا تنعتا لي الخيل ما لم يكن لها
ولم يعتلق من لاحق بأواصرٍ
أقيما صدور الخيل فالموت مورد
سِمالي جباناً نال خلدأ بجبينه
ألا إن دين الله أسفر وجهه
وهز لواء النصر فاطردت له
لنا في أقاصي الشرق شرفُ نرومه
نروم أموراً والإله ضميناها
فقل لبني العباس هذا زماننا
سنجزيكم بالإثم برأ؛ لأننا
وأنتم بنو الأعمام والحق حقنا
فإن لم أزر بغداد عشرين دوسراً
وشاكر طراً حيث كانت ومدحج
وكندة والأبطال شم قضاعة

إذا قوَّض الأبطال في الرُّوع طنبوا
إذا صارت الأبطال فيها تقطَّب
وفي منصب الآباء ليثٌ وتعلب
وآخر فيها عند ذلك يرسُبُ
وأخسر بين الفسيلقين مذبذب
ويقضب حدَّ السيف والسيف يقضبُ
مناسب فيهن الوجيه ومذهب
ومن أعوجِ فالخيل كالناس تنجب
وكأس المنايا خلفه الدهر يشرب
لكل امرءٍ في الموت عضو مؤرب
فلم يعمَّ عنه طالبٌ جاء يطلب
قناة لها من عون ذي العرش أكعب
وبعد ديار الغرب في الغرب مغرب
بإنجاز ما نرجوه منه ونطلب
وما لكم إلا إلى الحق مهرب
بنو أحمد وهو النبي المقرب
ونحن بأطراف الأسننة أدرب
بها حاشد العظمى ونهم وأرحب
وسنحان أهل الصبر والبيض تخضب
فهم جمرات حرها ليس يقرب

وخولان أرباب الفخار وحمير
 وأعمامنا من حي بكر وتغلب
 ومن مضر الحمراء كل مقاتل
 وعك بن عدنان بنو عمنا الأولى
 فلا حملت كفي حساماً مجرباً
 بني عمنا الأوتار عيب ولحنها
 أيستخلف الرحمن قلتهم بهيمة
 يضلُّ ويمسي لا يقيم فريضة
 كذبتهم وبيت الله لا تأخذونها
 ذرونا نريكم كيف تشتجر القنا
 ألا كل شيء ما خلا الله باطل
 فقل لي لأملك البسيطة سامحوا
 فإن لم تدينوا قبل يوم عصبصب
 أيدفع أمر الله حصنٌ مشيد
 سنجلبها شعث النواصي كأنها
 ونرسلها زهواً رعالاً كأنها
 أمثلي ينام الليل والخمر يشرب
 حرامٌ علي النوم إلا أقله
 غضبتُ لربي حين عطلَّ دينه
 فهم لإمام الحق جند مقرب
 ويغلبُ من لبته بكر وتغلب
 له منصبٌ منه النبي المهذب
 أبوهم إذا عُدد النجَّار لنا أب
 ودون مضاعزمي الحسام المجرب
 وشارب خرطوم المدامة أعيب
 له مأكلاً نسلٌ حرامٌ ومشرب
 ويلهبو بأنواع الملاهي ويلعب
 مراغمة ما لاح في الجوكوكب
 وكيف يشور النقع والنقع أشهب
 ونحن جنود الله والله يغلب
 فلا الحصن مناعٌ ولا الجمع يرهب
 فعندي لكم تالله يوم عصبصب
 وسحبت خطامي وجندٌ موشب
 عصائب طير في السماء تقلب^(١)
 جبال حنين والجبال تأوب
 أمثلي يلذ العيش والعود يضرب
 ووجه المعاصي ظاهر لا يحجبُ
 فهل غاضب مثلي لذي العرش يغضب

(١) في (ب) : هذا العجز للصدر الذي يليه . وبدله : جبال حنين والجبال تأوب .

ألا حبذا قرع الحواجب بالظُّبا
 وصَبِّي لرأس الأعوجي على العدى
 وبأحبذا قول المنادي بسحرة
 أغيروا أغيروا لا يفتكم عدوكم
 وجمعي للأعراج والصبح أشهب
 وقولي لخليلي لا تهلكم جموعهم
 ألا هل لأمرٍ شاءه الله دافع
 وقال عليه السلام معارضة لقصيدة ابن المعتز الميمية في جمادى الأولى سنة اثنتين

وستمائة التي يقول فيها :

بني عمنا أرجعوا ودينا وسيروا على السنن الأقوم
 لنا مفخر ولكم مفخر ومن يؤثر الحق لم يندم
 فأنتم بنو بنته دوننا ونحن بنو عمه المسلم ^(١)
 إلى آخرها . . . فقال عليه السلام :

بني عمنا إن يوم الغدير يشهد للفارس المعلم
 أبينا ^(٢) علي وصي الرسول ومن خصه باللوا الأعظم
 لكم حرمة بانتساب إليه وها نحن من لحمه والدم
 لئن كان يجمعنا هاشم فأين السنام من المنسم
 وإن كنتم كنجوم السما فنحن الأهلة للأنجم

(١) في الديوان : أقيموا رؤوس الخيل والليل أخطب .

(٢) الديوان ٩-١١ .

(٣) الديوان ٤٧ .

(٤) في الديوان : أبونا .

ونحن بنو عمه المسلم	ونحن بنو بنته دونكم
وأسلم والناس ولم تسلم	حماء أبونا أبو طالب
فأما الولاء فلم يكتم	وقد كان يكتم إيمانه
ببذل النوال وضرب الكمي	وأى الفضائل لم نحوها
وأنتم قفوتم أبا مجرم ^(١)	قفونا محمد في فعله

يعني أبا مسلم الخراساني عبدالرحمن القائم بالدعوة العباسية سنة سبع وعشرين ومائة :

فكافأتموه بسفك الدم	هدى لكم الملك هدي العروس
على مفصح الناس والأعجم	ورثنا الكتاب وأحكامه
فزعنا إلى آية المحكم	فإن تفزعوا نحو أوتاركم
من شيم النفر الأكرم	أشرب الخمر، وفعل الفجور
كفعل يزيد الشقي العمي	قتلتم هداة الوري الطاهرين
يقصّر عن ملكنا الأدم	فخرتم بملك لكم زائل
إلى سالك المنهج الأقوم	ولا بدّ للمك من رجعة
ومن طلب الحق لم يظلم	إلى النفر الشم أهل الكسا
وتنسل عن ثوبها الأسحم ^(٢)	يغشون بالنور أقطارها

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٤٧ .
 (٢) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٤٨ .

وقال عليه السلام وقد غزا جنده المهجم وتغنم أمواله، وقتلوا رجاله
في ذي الحجة سنة أربع وستمائة:

لا مآ فوارس رحرحان فاعلمي
في معرك لم يبق فيه ناطق
صفت جنود الظالمين وحاولت
خفرتهم بيض السيوف وفتية
قامت قيامتهم بكل مثقف
فكانهم والسيف يعمل فيهم
لو أنهم ثبتوا لكان بوارهم
سارت إليهم بضع عشرة ليلة
قطعت إليهم جوز كل تنوفة
تمشي على رجالاتها وصدورها
لم يحممهم إلا فرار صادق
نسجت لها بردي غبار أقتم
فكان عين الشمس مقلة أرمد
وكان أطراف الحريق المضرم
أسدت بنو حسن وكانت عادة
وأكارم من فرع حيدر صممت
وحماة همدان ومدحج لم تكن
تركت وجوه العرب بيضا وضحا
لولا تغيب أحمد بن القاسم ال
لكن حلاوة دهرنا ممزوجة
لله در عصابة زيدية

تُبلي بلاء فوارسي في المهجم
غير المهند والكمي المعلم
منع الذمار فعوجلت بالصيلم
تنمى إلى الشرف الرفيع الأكرم
ويكل غضب كالعقيقة مخذم
أعجاز نخل من طرائق ملهم
ولكان مثواهم سواء جهنم
في مجهل نأي الأنيس ومعلم
وتنزلت من سلم في سلم
فيها وتنساب انسياب الأرقم
عن صدمة الجيش الأجيح الأيهم
وملأتين من الدخان الأسحم
وكان وجه البدر حرف الدرهم
بيض السيوف إذا صبغن من الدم
منها إذا اكتست السيوف بعندم
فيها وردت شأو كل مصمم
فيها بهائية المقام الأعظم
وظلت وجوه الأعجمين بعظم
ملك الهمام للذعندي مطعمي
بمرارة كالشهد شيب بعلم
زادت على أيام آل محلم

إن شئت ردّنا الحديث فرمّا
 هاك استمع مني ابتداء مسيرها
 ما غرّيت للغور غور تهامة
 خبطتهم جرد السوابق خبطة
 قامت على الجنّات يوم قيامة
 غطّى الدخان دروبها وعراضها
 دع ذا ولكن ما مساق حديثهم
 جندان كالطودين يبرق فيهما
 فيهم بنات الأعوجي ولاحق
 جيش تظل البلق في حجراته
 جاءوا كأنّ الأرض قبض أكفهم
 فرمى بشر حينه ولجأجه
 وحدهم الحنق الشديد لحربنا
 فرميتهم بجحاجح من يعرب
 من حاشد أهل المفاخر والعلا
 فرأوا زعافاً لا يذاق فأحجموا
 برق الردى من خلفهم وأمامهم
 فتحملوا والليل يستر جمعهم
 فتلاحقتهم عصابة يمنية
 فترفّعوا منها وغودر منهم ال
 راموا تزعزع جندنا إذ صمّوا
 هي وقعة عندي وليست بالتي
 والحرب دائرة ونحن وضدنا

سلب الآخير ملاحاة المتقدّم
 والسعد يقدمها لأين مقدّم
 والبون يحرز ملاً كفّ الأجدم
 الصقنهم بدعائم المتخيم
 فكانها رُميت بجند الديلم
 فكانها في جنح ليل مظلم
 يوم استقلّوا كالسحاب المرهم
 مثل البوارق في العريض المشجم
 وبنات شاحج كالجهاام الأطخم
 ويظل قائده ليُعرف ينتمي
 والله يعلم كنهه ما لم تعلم
 والبغي في لهوات أغلب ضيغم
 والحرب تُبرد غلّة المتضيم
 شمّ الأنوف من السنام الأكوم
 وذرى بكيل عصمة المستعصم
 والموت كافل نجح عذر المحجم
 والقتل أطيب من ملام اللوم
 لشوابه وخد الظليم الأصلم
 لا يسلم الطاغى إذا لم يهزم
 أشلاء للطير العتاق الحسوم
 فكأنما راموا هضاب يللمم
 تشفي غليل القلب إن لم يفطم
 كأخي القداح يفوز إن لم يُحرم

ما عذر عدنان وقحطان إذا
 ولواء دين الله يخفق فيهم
 قولوا عصينا ربنا وإمامنا
 توربوا وقوموا للجهاد وشمروا
 فالموت حتم في الرقاب وغبطة
 والموت أجمل للفتى من عيشة
 وقال عليه السلام يوم خروجه من صنعاء وأمر بكتابتها على باب
 القصر سنة اثنتي عشرة وستمائة :

تركنا ديار الظلم والفسق خاليه
 وسوف يُسقى القوم كأساً مريرة
 فلو نصرتني العرب جمعاً بجمعهم
 فمسألهم في الحرب باع ولا يد
 فها نحن حزب الله والله غائب
 وهم حزب أتباع اللعين معاويه^(١)
 وقال عليه السلام وقد عارضه بعض الباطنية على هذه الأبيات وضمن
 ذلك هجواً وأمر به العجم إليه :

أتقذف بنت المصطفى ووصيه
 ولا عجب قد قال في الله معشر
 وقد هُجى المختار أحمد جدنا
 عشوت فأعشت ناظريك أشعة
 كفانا مقال الطهر فيك محمد
 حميت فجاوزت الحدود تعدياً
 كقول اليهود الغلف مريم زانية
 مقالاً يهد الشم والشم راسيه
 فلا قدس الله المهيمن هاجيه
 إلهية طهرية متلاليه
 فحسبك ما قد قيل أمك هاويه
 إلى سبنا رعيًا لحق معاويه

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٥٠ .

(٢) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٩٤ .

فأما ديار الفسق فالفسق ظاهرٌ
 أينكر شرب الخمر في عقر دارهم
 ونحن أمرنا بالسبأ حراسةً
 وقد سنه المختار أحمد جدنا
 وتابعه جدي المطهر حيدرٌ
 وما عبدوا رباً سوى الله ربنا
 ولكن لأحداث أتى الناس فوقها
 سأحطم عرنين الضلال بمنسم^(١)
 وحاشا حماة الثغر من أن نسبهم
 سندعوا جنود الله حزب محمد
 وتوعدنا بالخوف من سوف يسفن
 نشأت بها مذ بضع عشرة حجة
 وكم منة طوقتها العجم فخمة
 وتذكر أملاك الشام وعندنا
 حماة ثغور المسلمين ومن لهم
 رعاهم لنا من شد بالملك أزرهم
 ونحن طلبنا إرثنا من محمد
 وكم مقعص منا على صهواتها
 وكم نفس جبار أسالت سيوفنا
 فإن نحن أغضبناك فاصبر فإنما
 أتحسب أن الشعر يعجز قائلًا

بفعل صنوف المنكرات علانيه
 وثالثة مما علمت وثنانيه
 لدين الهدى من كل شان وشانيه
 بتالي كتاب الله إن كنت راويه
 بسبي ليوث الغاب أسرة تاجيه
 ولا لهم إلا المطهر داعيه
 جهاراً فأحمي الفاطمي مكاويه
 يلوح بغاؤ في الأنام وغاويه
 ولكن بطعن يترك الكبدة داميه
 زبانية فليدع من شاء ناديه
 بناصية منه لدى الروع ناصية
 إلى اليوم يدري الأكرمون مقاميه
 فصارت لها أعناق حزبك خاليه
 هم مثل أبواب الجنان ثمانيه
 معال على برج السماكين ساميه
 على كل جبار هناك وطاغيه
 أيينا بطام في العجاج وطاميه
 له عيشة عند المهيمن راضيه
 أعدت لها نار من الله حاميه
 بنو النصب معروفون من كل ناحيه
 وكم خامل لو شاء^(٢) حبر قافيه

(١) في نسخة: بمسم.

(٢) في (أ): لو قال.

وما راق من حرّ الكلام معانيه
 فهل بعده يبغي الهداية باغيه
 وقّته وردّته على القوم واقيه
 عليه لقد أرخصت ويحك غاليه
 وهل يُنكر الكلب العقور مواليه
 فهل تلکم الأجناد للشهب راقيه
 كرام يروون السيوف اليمانيه
 بهاليل ضحاكون والأسد باكيه
 وتحرسني عين من الله كاليه
 عظيماً وما يخفى على الله خافيه
 وسنحان والأملآك كنده راميه
 علينا كأم بالمودة حانيه
 إلى أرض صين الصين أرسل واليه
 لهم همم نحو المكارم عاليه
 عهد تردّ القوم نحوي ساعيه
 عليكم بعزم يترك الجنّ خاسيه^(١)

ولكن كرام الناس يطلب جزله
 ولعن ابن حرب سنّة جدنا لنا
 وقد أظهر اللعن الوصي وإنما
 فيا ضيعة الإسلام إن كنت حامياً
 وأعظم فخر جنته أن تسبنا
 فأما الحصون المشمخرات في الذرى
 ومن دونها جرد عتاق وفتية
 مصاليت من حيي نزار ويعرب
 أنا ابن رسول الله وابن وصيه
 وقد جثتم في السب والقذف منكراً
 وهمدان ترمي من رمانى ومذحج
 وخولان أنصار الأئمة إنها
 وحمير أرباب الملوك فجدهم
 ومن سادة الأتراك والكرد معشر
 فإن ثقلوا عني فلي في رقابهم
 فيا ويلكم عند انقلاب رؤوسهم

وقال عليه السلام في وقعة شبام وقد أبلى فيها الأمير عماد الدين

وقاتل في رجب سنة ستمائة :

وعفت الرماح إذ هويت المواضيا
 لمن كان للدين الحنيفي قاليا
 وألقيت في الأرجاء منه المراسيا
 وظلت بمطرور الغرارين عاصيا

كفيت ولم نحضر وما زلت كافياً
 وكنت شجى بين الوريدين ناشباً
 دُعيت عماد الدين لما عمده
 عصيت العذول في مكافحة العدا

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٢٥٣-٢٥٥ .

وعارضت موج الخيل منك بعاصف
 تعاوت عليك الكرذ من كل جانب
 فلو حضرت من صيد قومك فتية
 وكانت لهم من دون شخصك وقعة
 على أن رهطاً من سلالة حيدر
 وقاموا مقاماً لم يشنهم حديثه
 من الريح يلقي كافح الموج ساجياً
 فجردت عزمًا يترك الليث ساهياً
 للاقوا بها طعنًا يشيب النواصيا
 على الضد نكرا فخمة هي ماهيا
 أجابوا إلى طعن النحور المناديا
 وطال به من كان في البعد نائياً^(١)

وقال عليه السلام بالخيم المنصور باللطية وكتبها على لسان مولاه مخلص

الدين جابر بن مقبل إلى السلطان علوان بن بشر بن حاتم إلى مخيم الغز
 بالمصانع في بلاد حمير :

دُعانا أبا حسن لم يدع
 ونقابكم رام ما قد علمت
 فشدوا حيازيمكم للحمام
 أيمنك رحمة رب العباد
 يبول لكم مثل بول البعير
 فأين الحلوم؟ وأين العلوم؟
 سموتم لحرب سليل الرسول
 أبوه علي وصي الرسول
 سما للحروب ولم يلتئم
 فأين بكم حين يأتكم
 يقودهم من بني حيدر
 وكم ملك خففوا حملة
 دعوا الحرب تسمو بفتيانها
 لشقاتكم حيلة تُهتدى
 فأكدى هنالك أو أصلدا
 وذوقوا سلاف كؤوس الردى
 جهولٌ عدا طوره واعتدى
 ليحبس من ذي الجلال الجدا
 وأين العقول؟ وأين الهدى؟
 وفرخ البتول وسم العدى
 وابن الجدا والسدى والندا
 وساد عشيرته أمردا
 بنو يعرب زاخرًا مزبدا
 حماة الوغى وبنو أحمددا
 وقد كان داهيةً أريدا
 ويعتقب الأصيد الأصيدا

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ١٥٥ .

فتدعوا نزال حماة الرجال
فإن لم تروها تحاكي البزاة
فلا حملتنا جيادُ الجياد
دعوا سبكم لبني أحمد
فهم سفن تعصم الخائفين
وليس يسببهم من يميز
وأعجب من سبهم حربهم
فخافوا الذي علمه بالخفي

إذا نكص القرن أو عردا
تبادر سرب القطا مرصدا
تسمو بنا للعلا مصعدا
ولا تُغضبوا فيهم أحمدا
وأقمار رشد بها يهتدى
بين الغراب وبين الحدا
فهل عاقل يتبع الأرشدا
كعلم الذكي بما قد بدأ^(١)

وله عليه السلام إلى كافة بني الحسن بالصفراء وينبع :

دع دار مية بالعلياء فالسند
وخالدات ثلاث غير زائلة
وقل لركب تؤم البيت واردة
إذا بلغت ولا عاقت مطيكم
فأعلنوها على الأحياء ناشدة
عمت وخصت على الدعوى بني حسن
وقل لهم دعوة قامت لقائمكم
فطاعة شملتكم يا بني حسن
أحقكم يبتغي من بعد قائمكم
طال انتظاري لكم والحرب قائمة
هذي المنابر لم تعمر بذكركم
قالوا الوصي رباعي فقلت لهم
حاسيتهم في أزال كأس فهم

وما هنالك من نوء ومن وتد
على خفيف كخشف الظبي ملتبد
يا ركب إن لنا أهلا بذا البلد
عوائق البين في يمن وفي رشد
لوازم الحق في الأدنى وفي البعد
أعز قوم حواهم محفل وندي
فقايضوها بإنجاز يدا بيدي
تهدي إلى قابليها رفعة الأبد
كمبتغي الصيد في عريسة الأسد
والسيف في الكف مني غير منغمد
وأنتم الرأس في بدر وفي أحد
ثاني الرسول بلا مين ولا قند
وفي ذمار وردت الموت في كبدي

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٢٦٤ - ٢٦٥ .

فلم تُشَنِّكُم مقاماتي ولا صدرت
 حتى تركت على الأعواد ذكركم
 زُمُوا المطيِّ وقودوا كلَّ سابحة
 فإرثكم حازه الأقسام دونكم
 أنتم سنام بني الزهراء فاطمة
 وقائل قال لي والحرب قائمة
 وللخميسين أصواتٌ وغمغمة
 وقد نضوت رهيف الحدِّ معتمدا
 رفقا بنفسك إن الموت موردهُ
 فقلت والخيل خلفي : إن لي أجلا
 وهل فتى من علي أصلُ نسبته
 مالي أرى حسنا قومي مخيِّمة
 وفيهم مقربات غير مقرفة
 شمُّ الأنوف إذا ما نوسبوا انتسبوا
 عليهم كل جدلاء مضاعفة
 ولست أنسى حسينا في الدعاء لها
 بيض الوجوه بهاليل لباسهم
 ينميهم خير من قامت به قدم
 منهم إمام الهدى زيدٌ وشافعه
 وجعفر الصادق المصدوق من شهدت
 وسبط زيد الذي بالجوزجان ثوى
 أئمةٌ أوجب الرحمن طاعتهم

سمري ظمأء من الأحشاء والكبد
 باد على رغم أهل البغي والحسد
 مثل السحوق تباري الريح في الجدد
 وطالب الحق يسعى غير متشد
 وصيد فهر وأهل المجد والعدد
 والخيل يغسلها مثنعجر النجد
 والضرب في البيض يحكي حاصب البرد
 قلب الكتيبة لا ألوي على أحد
 صعبٌ فإن كنت تهوى ورده فَرِد
 إذا بلغناه لم ينقص ولم يزد
 يمشي إلى الموت كالمشود بالصفد
 عني مسعدرةً بالمال والولد
 تردي بكل طويل الباع منجرد
 إلى الجحاحج من نضرٍ ومن أدد
 من نسج داوود مثل النهر مطرد
 وكيف أنسى إذا جدَّ المضاع^(١) يدي
 إلى الملاحم قمصان من الزرد
 من آل أحمد أعلا من هداً وهدي
 أخوه باقرُ علم الله ذي الرشد
 بفضله ملل الإسلام عن صمد
 ولو سئلنا فداه بالنفوس فُدي
 فمن تنكَّب عنهم في السبيل رُدي

(١) في الديوان «المضاع»، وفي (ب): إذ حط المضاع.

بني النبي أجيّبوا من غدا لكم
 ما زال مجتهدا في ردّ ملككم
 أفي النجّية يمي الحقّ ذا أود
 أفي المروءة أرجو غيركم وزراً
 أفي الحمية ألقى الجيش منفرداً
 أبرّ من والد برّ علي ولد
 وملبس الضدّ ثوب الوجد والكمد
 ويضكم مثبتات كلّ ذي أود
 وأنتم خير مرجو ومعتّم
 ولا مؤازر غير الصارم الفرد^(١)

وقال عليه السلام يرثي الأمير^(٢) مجد الدين يحيى بن محمد رضي الله عنه وقد
 استشهد غازياً^(٣) وكانت وفاته في شهر صفر سنة ثمان^(٤) وستمائة:

أمر الوجد ما أجرى الدموعا
 وهاض المشمخر بناجذيه
 خليلي إن هذا الدهر غول
 يخادعنا فيورد ناهلينا
 ومستسق لدنياه سقته
 تنازعنا النفوس لها نزاعنا
 ونحلب درّ نائلها ثلوثا
 فإن ترني جزعت فطال ما لم
 فكم من رائع كرمّما وبأسا
 مصاب الطالببي أبي حسين
 فقدناه حساماً مشرفياً
 وأضلع من مضاضته الضليعا
 وصيّر كل قرّاع قريعاً
 تلوّن فانبرى خلقاً فظيعا
 بزفّق خداعه الآل اللّموعا
 على ثقة بها السم النقيعا
 فتولينا القطيعة والنزوعا
 ونستمرري نوائبها ربوعاً^(٥)
 أكن من عظم حادثها جزوعا
 أحالته حوادثها مروعا
 حمى أجفان أعيننا الهجوعا
 وبحراً زاخراً وحيّاً مريعاً

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ١٢٧-١٢٩.

(٢) في (ب): السيد.

(٣) في (ب): غازياً في تهامة في شهر صفر.

(٤) في (ب): سنة تسع.

(٥) في الديوان: (ثلوثاً).

إمام أئمة وشحاك ضد
 نودعه ونأمل أن يوافي
 وفي المعلوم أن الحشر وعد
 دعت منية فأجاب سعيًا
 مضى قدمًا كأن الموت غنم
 فيا لك من فقيد أورثنا
 صريع أسنة الفساق أكرم
 شرى في الله مهجته فأعزز
 يهون ما ألقى به بأن ال
 وإن أخي سخي بالنفس فيه
 وإن بني أبي وسراة قومي
 فردوا السيف مثلومًا خضيبًا
 وصارت حوله الأبطال صرعى
 حفاظ أكارم عافوا الدنيا
 وقد هزموا أعاديهم وطالت
 حمت باقيهم الظلما فأضحت
 ونحن لهم طوال الدهر حتف
 علينا أن نزيهم رجلا
 جيوشًا من أفاضل كل حي
 تظل البلق في الحافات منها
 يكب الطير عثيرها فتضحى
 تصدُّ الريح غاب السمر منها
 أحيى ليت عينك أبصرتنا

وليثًا خادراً وحمى منيعا
 إلينا في عساكره سريعاً
 متى شمتنا لغرته طلوعاً
 وكان لها وإن عظمت سميعة
 ولم يقصد إلى الدنيا رجوعاً
 رزيتة الكآبة والخشوعاً
 به في ذات خالقه سريعاً
 بها وبه على حال مبيعة
 لذين سطوا به قتلوا جميعاً
 مؤاساة فصار له ضجيعاً
 وغرُّ صحابتي خاضوا النجيعاً
 وردوا الرمح مفصوداً صديعاً
 يشبها مشاهداً الجذوعاً
 وخافوا قول حاسدهم أضيعة
 وظل السيف يختطف المنيعة
 جهالة ما نأى فجراً صديعاً
 نزيهم المهند والوقيعة
 ترى أدنى مغاورها الدروعاً
 ترى أدناهم بطلا شجيعاً
 وتضحى الشامخات لها خشوعاً
 على الأذقان ساقطة ركوعاً
 فتلزمها على الكره الرجوعاً
 لفقدك ليس عن ذل خضوعاً

فقدنا منك بحرَ جدِّي وعلمًا
ومنبع حكمة ولزار خصم
وركب كابدوا ليلاً بهيمًا
وحادثة من الحداث إذ
حللت عقالها وكشفت عنها
وكم خُطِبَ كشفت وقرن شر
وكم ضاجعت ذا شطب حسامًا
ليهنك عيشك الراضي إذا ما
وقد تأرت بك الإخوان منهم
سلام الله زارك كل يوم
ولا زالت ذهاب المزن تهمني
سررت بما غمنا منه وجلدا
تراجعك الملائك كل يوم
فبدر الدين صبراً واحتساباً
وتاج الدين قد ناداك صبراً
وقل لسراة قومهم اندبوه^(١)
أبوكم أربط الثقلين جاشاً
وأنتم آله أفهل علمتم

وليث شجاعة وندى ربيعا
إذا أضحي مقدمها تبيسعا
بسطت لهم به خلقاً وسيعاً
يردُّ الكهل معضلها رضيعا
وكنت لصيد نجدها قريبا
تركت محطَّ رحل كان ريعا
إذا الفتيان ضاجعت الشموعا
عدائك كان عيشهم الضريعا
فكن لهم إلى الباري شفيعا
ورحمته التي حسنت وقوعا
عليك حياً وتستمري الدموعا
وجاور شخصك المأل الرفيعا
كلاماً يشبه الشهد النصيعا
فما كان الذي وافى بديعا
توارثه أبوك فكن سميعا
وهزوا البيض والأسل الشروعا
فكم في معرك هزم الجموعا
أصولاً قطُّ خالفت الفروعاً^(٢)



(١) في النسخة : (قومك أندبوه) وما أثبتناه من الديوان .

(٢) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٣٨٦-٣٨٨ .

وله ﷺ ألفاظ في الحكم فرائد نذكرها ها هنا وهي قوله ﷺ:

كتمان السرُّ رأسُ مالِ الملوك، الإلحاحُ في مطالبةِ المفلسِ تؤدي إلى الإنكار، أشدُّ ما تكون البدعةُ صعوداً أقرب ما تكون جموداً، الكذبُ علةٌ توجب سوء الظن، الحياءُ يوئدُ الجلالة، البذاءُ يوجب السقاط، الإيمانُ كله حَسَنٌ وأحسنه الصبر، العصيانُ كله قبيحٌ وأقبحه الجَزَعُ، لكلُّ شيءٍ آفةٌ وآفةُ المروءةِ سوءُ الخلق، الحصونُ أوتادُ الممالك، خنادقُ الجنودِ الحرس، الإفراطُ في المزحِ يورثُ العداوة، الغلولُ يؤدي إلى الحرمان، البَطْرُ يؤدي إلى الخذلان، شكرُ النعمةِ يؤدي إلى المزيد، خيرُ الجيوشِ ما قلَّ حشوه ولم تتنازع أمراؤه، خيرُ الفرسانِ من عطف عند الجولة وحاذر قبل الصولة، خيرُ النساءِ من تبثك السرَّ وتقرُّ العين وتثلج الصدر، خيرُ الإخوانِ المواسي في الشدائد، خيرُ الوزراءِ من عمَّ نفعه، واتسع ذرعه، من هاب خاب، نائبُ القدرِ الكيد، الحزمُ سوءُ الظنِّ، مصاحبةُ الأرزالِ تؤدي إلى سقوط المنازل، حبُّ اللثامِ يهدمُ مآثرَ الكرام، مصاحبةُ أهل الرفعةِ تؤدي إلى الرفعة، خيرُ الأموالِ ما نفع الأقاربَ وضرَّ المُحاربَ، خيرُ الآباءِ من يطولُ عنقُ ولده بذكره، وتجري السنةُ الأكثرُ بشكره، شرُّ البدعِ ما عارضَ السنةَ، وشرُّ الولاةِ من تهاون بالكفاة، وخيرُ الأمراءِ من انتخب الوزراء، استصغارُ النعمةِ يؤدي إلى زوالها، الشكرُ قيدُ النعمة، والحمدُ خطامها، الاقتصادُ يهونُ الفقر، والتبذيرُ يقللُ الوَفْرَ، الحاجةُ تفتحُ بابَ الحيلة، الآجالُ حصونُ الأعمار، إذا انقطع الأجلُ مات صاحبه بأقلِّ حادث، الأمانةُ من أصلح مفتاح الرزق، رجاءُ الشجاعِ أكثرُ من يأسه، ويأسُ الجبانِ أكثرُ من رجائه، سلطانُ الحقِّ أشدُّ من سلطانِ الباطلِ؛ لأنَّ أحكامه لا يجوز فيها التبديلُ ولا يقبل عنها الفداء، أساسُ الحكمةِ العقل، ورأسها الورع، ومادتها الفكر، وآيتها الخشية. العفوُ تاجُ الملك، والانتقامُ سيفه، والعزمُ رمحه، والكيدُ سهامه، الكرمُ شجرةُ أصلها الحياء، والحياءُ شجرةُ أصلها العقل، وقلةُ الحياءِ شجرةُ أصلها الجهل، من تفقَّد أحوالَ نفسه قلَّ بالناسِ اشتغاله،

ومن استعظم نعم الله سبحانه عظم حاله ، ومن صغرها كثرت أوجاله وتضاعف بلباله ، العقل ميزان والعلم وزان ، بين الأمانة والخيانة والحزم والمهابة مآلٌ عظيم ، ليس العاجز من يترك ما لا يقدر عليه ، العاجز من ترك ما يمكنه ، دواء الأسف على الماضي نسيانه ، فإن تعذر النسيان فالتناسي ، فراق الحياة أعظم البلوى وأتم الناس نعمة من لم يُبتَلْ إلا بفراق الحياة ، أقبح الحرمان حرمان ذي الرحم أو مُسدي صنيعه ، وأقبح الجبن ما كان من نظيرك ، وأقبح الشح شحُ الغني^(١) ، وأقبح الرياء رياء العالم ، وأقبح النفاق نفاق القادر ، وأقبح العشق عشق الشيخ ، وأقبح الجهل جهل الشريف ، وأحسن العفو ما كان عمَّن هو دونك ، قريب العهد بالإساءة إليك ، وأحسن الورع ما كان عمًّا تمسُّ إليه الحاجة ولا ينسب متناوله^(٢) إلى زيادة .

العدلُ أساس الدين ؛ لأنه لا دين لمن لا عدل له وقد يقع العدل ممن لا دين له كالمشركين ؛ فإذا العدلُ يستغني بنفسه عن الدين والدين لا يستغني بنفسه عن العدل ، فانظر إلى محلّه ما أرفعه ، وقدمه ما أرسخه ، ذكُر الموتُ صعبٌ يهونُه ذكر ما بعده من خيرٍ وشرٍّ ، احتمال بعض الدلِّ أبقى لجملة العزِّ ، الاعتذار بالشغل جهل بقدر النعمة ، الموت مصيبةٌ عظيمةٌ يهونُها العلم بوقوع الاشتراك فيها ، ما يسترُ الصمات من العورات ، كل جرح يصيد بقدره ، من الرعية أساس السلطان ، الوالي المهين يُسقط هيبة السلطان القوي ، الحزم هو الاحتراز مما يقضي العقل بوقوعه لولا الاحتراز ، الفشل هو تجويز ما لا يقضي العقل بوقوعه في غالب الأحوال ، إكرام الكريم يقوِّي الداعي إلى الكرم ، وتعظيم اللئيم يغري باللؤم ، السماحة مفتاح الرزق ، والشحُّ مفتاح الحرمان في العاجل والآجل ، العلمُ بيتُ بابه التواضع ، ومفتاحه الخشية ، وعماده الصبر ، وسقفه الرجاء ، وحيطانه

(١) في (ب) : بزيادة : المتقدم .

(٢) في (ب) : ولا تنسب مناولته إلى حاجة .

السكينة . التكبر من المخلوق جهل بابتداء الخلق ، ترك المكافأة بالإحسان عن الإحسان لؤم ، وترك المكافأة بالسيئة عن السيئة مع القدرة كرم ، نسيان الصنيع ضرب من الكفران ، عصيان الحليم سفه ، وطاعته حلم ، الثقة بالقادر عجز ، ملاحاة الرئيس فشل ، وعصيانه خذلان ، الصبر قاعدة النصر ، العفة في مقامات الجدل والقتال خفة ، رأس الغنى مغالبة الأقدار ، الحوادث حشو بطون الليالي والأيام ، خفة الجنان^(١) الصلابة ، الحلم قيد العز ، السفاهة مفتاح الذل ، لجام الحكمة الصمت ورحمة الظالم ظلم ونهر الضعيف تجبر ومحابة فاعل المنكر إغراء له بفعله .

معالجة الضر قبل استحكام الأمر فشل ، وإكثار الكلام من غير إصابة غي ، ما غلبت الجليل بمثل الجميل ، ما ساد حقود ، ولا جاد كنود ، ولا استراح حسود ، أحسن خصال البر الرجوع إلى الحق ، كم من ظالم لم يتجاوز ظلم نفسه ، وكم من عادل لم يعدل إلا في نفسه ، الجهل حيلة الشيطان ، والتواضع قاعدة الإيمان ، تصغير الإحسان حلية الإحسان ، السلاح حلية الرجل ، وواسطة عقده السيف ، رب كلمة خفيفة أدقائلها ثقلها ، ورب ضحك ساق حزناً طويلاً ، أكثر الناس راحة أقلهم عقلاً ، أبخل الناس من ترك الحقوق ، ليس على من وقر الناس غضاظة . ولا نهر صاحب البدعة فظاظة ، هو أدنى نفساً من ناكح البهيمة أقل حياءً من ذكر يوتي ، هو أقوى عزماً من مستقبل الجيش بالكفاح ، هو أضعف بختاً من كلبة حومل ، عتاب من هو فوقك حمق ، وعتاب من هو دونك خرق ، وعتاب من هو مثلك نصفة ، من قدر على كمال وقصر فهو العاجز ، من اغتم لأعلة لغمه إلا غمك واسترلاً علة لسروره إلا سرورك فهو صادق المودة ، العاهات تجمع السفهاء ، حاجة السلطان إلى الرعية أعظم من حاجة الرعية إلى السلطان ؛ لأنه يوجد رعية لا سلطان لها ولا يوجد سلطان لا رعية له ، العافية أصل لطيب كل

(١) في (أ) : حفة الجنان .

طيب، من زرع الشرَّ حصد الندامة، من نام على الخوف أمكن من نفسه، الحربُ
 حرب المنايا، أصلُ الهزائم اختلافُ الأهواء، الرُّعبُ جندُ السعداء، أشر من الشر
 شماتة الأعداء، المهزوم مذموم، كم جاءت حلاوة عافية بمرارة، كم ينغمر في
 أثناء الحق من الباطل، المتجانن مجنون؛ لأن العاقل لا يرضى بتشنيع نفسه،
 الشجاع محمودٌ ولو كان على ضلالة، الملل أقوى أسباب زوال الدُّول، إذا أراد
 الله زوال دولة قوَى قلوبَ أضدادها، الإهمال لا ينمو معه المال، المظلُّ أحد أنواع
 الفقر، التبذير أقوى أسباب الفقر، الهلاك ثمرة الجهل، الإدلالُ على السلطان
 مثل مداعبة الأسد، كفرانُ الصنيع يزهد في أمثاله، تصغير النعمة نوعٌ من
 الكفران، الشيخ مع أهله فتى، التعليم لا يغيّر الطباع، عذر القادر مقبول على
 كل حال، أشجع الأمم أهلُ الدول المقبلة من كل أمة، المدلُّ على السلطان كالذي
 يجرّب السمَّ بنفسه، لا تقوم الضلالات إلا بأرباب الجهالات، مبتدي المعروف
 إلى من لا يشكر كمن يبذر الزرع في السباح، العلم كالعروس يحتاج إلى الخلوة،
 من أحسنت إليه وأساء إليك فداؤه السيف إن أجاز ذلك الشرع، ومن أسأت إليه
 وأساء إليك فداؤه الإحسان، لو كان الجور صورة لكان من أقبح الصور، ولو كان
 العطاء صورة لكان يوسف البشر، الأعمال ثمرات الأفكار، إذا كثرت النعم
 صغرت كبارها، الطمع ينافي المروءة، حاجة الملك إلى حسن السياسة أكثر من
 حاجته إلى القوة، النصيحة أصلٌ لصلاح الدين والدنيا، الجواب ثمرة المبتدأ فإن
 كان خبيثاً خبث وإن كان طيباً طاب، قوة الشهوة مع التمكن من المشتهى من أجل
 النعم، كلُّ سلطان يجور على رعيته فهو متبرُّ الرأي مقطوع الظهر قليل عمر العزِّ،
 الحصون أرواح الدول، من التعذير طلبُ الحاجة في غير وقتها، من لم يهتم
 بصغير العدو لم يضطلع بكبيره، معاتبة الجاهل كالذي يناطح الجبل، الحزم أنفع
 من الشجاعة، الحيلة أجدى من الجلد، المعروف عمارة الدول، قطع المعروف
 خراب الدول، الدعاء جند لا يغلب، رزقه الإخلاص وكراعه وسلاحه حسن

الرجاء في الله يقطع المسافات البعيدة في لمح البصر، عمارة الولد خراب الوالد، السلم موضع سفاهة الجبان والحرب موضع حلمه، قلة الشدة تؤدي إلى الجراءة، البخل أساس الذل، الجود أساس العز، رب حفظ يؤدي إلى ضياع، الجهل بحر لا ينجو من ركبه، العلم سفينة عاصمة، الكذاب يهون الشديد ويقرب البعيد ويخفف الثقيل ويصحح المستحيل. المخاطرة بالمعروف أولى من المخاطرة بضياعه، الشهوات حتف أموال السلاطين، من أصاب الرأي وقبل رأي المصيب أصاب من جهتين، من أخطأ الرأي ولم يقبل رأي المصيب أخطأ من جهتين، الخيانة خراب، الأمانة عمران، من كان عقله أكبر من قدرته زانته قدرته وإلا فهي شين أو هلاك، من كان عقله أكثر من ماله دامت نعمته في الحالات، من كان ماله أكثر من عقله افتقر في أسرع الأوقات، من كان عقله أكثر من شجاعته غلب الأقران وهزم الشجعان، من كانت شجاعته أكثر من عقله شرب الذل بالذنان وصار فريسة لأحداث الزمان، من كان علمه أكثر من عقله كان مسخرة لأهل العقول، من كان عقله أكثر من علمه فهو من ورثة الرسول، عين العفاف أمينة، وعين الغضب مجنونة، وعين الهوى خائنة، استخدام العبد عمارة، وإهماله خراب، بركوب الأخطار تقضى الأوطار، يبذل الأموال تبلغ الآمال، مستحق الرئاسة يتدوها من أسهاسها، وغير مستحقها يتدوها من رأسها، وأساسها اللين والبذل، ورأسها الأخذ والقتل. خوف المجوزات حزم، وخوف الوقعات جزع، من عصى اللبيب العارف اجترفه الجارف، الشيب برص الشعر ولولا أنه يعم الخلق لكان علة ينفر عنها ويعير بها من نزلت به، من العناية تكلف الفقراء حالة الأغنياء، الاستقصاء يحمل على العصيان، رب مستيقظ لنائم، رب جازم لعاجز، رب حافظ لمضيع، ما نام من استيقظ جدّه، ما قدح من كبا زنده، ما نصح من اختلط وده، ما أصاب من غاب رشده، نم على الشوك ولا تنم على الخوف، لا ينفع مهزول العرض سمته، لا تعريديك من يقتبس فيها النار، الحريص معان،

أساس الطاعة الحياء، أساس المعاصي الكذب، عظم الأحداث دليل على زوال
الدول، مِنْ نَقَمِ الثَّارِ مَا يورث العار.

وكتب عليه السلام إلى ولده الأمير الناصر لدين الله في شهر ذي
الحججة سنة تسع وتسعين وخمسمائة :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليك فإننا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ونسأله لنا فيك بلوغ
المراد والهدى إلى سبيل الرشاد، أما بعد : فإن أولى الناس بالفضائل من كانت
النبوة أصل شجرته، والوصية بذر ثمرته، والخلافة سنح نسبه ووشيجة لحمته،
وكان مسرحه في كلال شريع جده شارع، ومعقله في ذروة مجد والده فارعه،
وإن أمير المؤمنين قد تفرس فيك فراسة رجا فيها الاصابة، وقضت له فيك
بالأصالة والنجابة، فإياك أن تكذب فراسته أو تخيب ظنه، وعليك بالصبر فإنه مر
المبدأ، حلو العاقبة، شمر في درس العلوم فإنها حياة النفوس، وجلاء القلوب،
وآثر من ذلك الأهم فالأهم، فأول ما تبدأ به معرفة الله سبحانه فإنها رأس العلم،
وقاعدة الدين ومغناطيس النجاة، ففهمها بالبراهين وتوابعها ولوازمها وما ينبنى
عليها وينضاف إليها من أفعاله تعالى وأحكام أفعاله وما يجوز عليه وما لا يجوز
وما يجوز أن يفعله وما لا يجوز أن يفعله، والنبوءات والشرائع، والإمامة
وتوابعها وما ينبنى عليها.

وأتبع ذلك علم اللسان العربي إذ لا يصح علم الشرع الشريف إلا به، ثم
بعد ذلك تعلم أصول الشرع وفروعه بأدلتها وعللها وأسبابها وشروطها وما يشهد
لها ويدل عليها من الأقول والأفعال النبوية، واعتمد بعد ذلك على ما صح من
إجماع الأمة والعترة، اجعل العمل مطيتك، والعلم دليلك، والحق سبيلك، ولا
تركن إلى الاغترار، وتفكر عند سكون جوارحك من الحركات في طاعة الله،

لتكون قد ألزمت قلبك ما يجب عليك من طاعة ربك ، ولا تسأم الدرس ، ولا تمل إلى هوى النفس ، واغتتم أيام الفراغ فيوشك أن يشغلك الناس بأموهم عن أمر نفسك ، فتكون لهم آلة إلى بلوغ أغراضهم إما مالكا وإما مملوكا ، وقد ضيقت الأهم من غرضك ، وبادر أيام الشبيبة أن تنفذ ، فما فات منها فلن يرتد ، وليس له بدل ولا به عوض ، وعليك بالحلم والتواضع لمن أخذت منه العلوم خصوصا ، ولسائر المسلمين عموما ، والزم الرفق والأناة إلا عن اكتساب الخيرات وفعل الطاعات فبادر ما استطعت فإنه ميدان سباق ، وأكره نفسك على مرارة الطاعة لتذوق حلاوة الجزاء والثوية ، ولا تنس نعمة الله سبحانه عليك بشرف النصاب النبوي ، وفضل النجار العلوي الذي تقاصرت دونه الأنساب ، وخضعت له الأعناق ، وأهن^(١) نفسك في كسب العلوم لتعز في الدنيا والآخرة ، وعليك بحسن الخلق فإنه عنوان الإيمان ، وإياك والعجلة فإنها حباله الشيطان ، وتحفظ من منطلقك من عثرة اللسان ، ولا تكثر الضحك فإنه يميت القلب ويورث الأحزان ، وإياك ومجالسة السفهاء فإنها مجانية للإيمان ، وعليك بتوقير أهل الأسنان ، واعرف لأهل الحق حقوقهم ، وأنزلهم في نفسك منازلهم ، ولا تظلم عند القدرة ، وأقل العاثر العشرة إلا أن تعلم أو تظن أن ذلك مؤد إلى التماذي في الطغيان ، واشكر على القليل ، وجاز على الإحسان بالإحسان ، وانصف خصمك من نفسك قبل أن تلجأ إلى حاكم لا يصغي إلى الإدهان ، واستشعر خيفة الرحمن في السر والإعلان ، واعرف حق والديك وأده وصل رحمك ، واخفض للمؤمنين جناحك ، وأحسن طاعة من وكيك وسياسة من وليته ، ولا تكثر النوم فإنه يورث الفقر في الدنيا والآخرة ، وشمر عن ساق الجد ، ولا تياس من إدراك المطلوب ، ونفس إن استطعت كربة المكروب ، واحمد الله على كل حال من رخاء أو شدة ،

(١) في (ب) : وأمر .

ولا تجعل نعمة الله عليك دليل الرضى، ولا محنته لك دليل الغضب، فإنه قد يتلي وليه، ويستدرج عدوه، فكن عند المحنة أرجا منك عند النعمة، واذكر ربك في الرخاء يذكرك في الشدة، ولا ترض لنفسك بصغار الطاعات مع طلبك كبار الدرجات، فليس مع الراحة راحة راحة. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

أولاده عليه السلام ^(١):

محمد الناصر لدين الله، وأحمد المتوكل على الله، وعلي، وحمزة درج صغيراً، وإبراهيم، وسليمان، والحسن، وموسى، ويحيى، وإدريس درج صغيراً، والقاسم، وفضل درج صغيراً، وجعفر توفي ولا عقب له، وعيسى توفي ولا عقب له، وداود، وحسين درج صغيراً.

والبنات عشر: زينب، وسيدة، وفاطمة، وجمانة، ورملة، ونفيسة، ومريم، ومهدية، وأمنة، وعاتكة.

محمد أمه دنيا بنة قاسم حمزية، وأحمد وعلي أمهما فاطمة بنة يحيى من أولاد الهادي إلى الحق عليه السلام، وجعفر أمه نعم بنة سليمان بن مفرح، وإدريس أمه منعة بنة الفضل بن علي بن حاتم، والباقي لأمهات أولاد شتى، وقد أنجبت أمهاتهم جميعاً. ومواقف شرفهم معروفة، ومقاماتهم على الأعداء موصوفة، شعر:

إذا ركبوا الخيل واستلأموا تحرقت الأرض واليوم قر
وما أحقهم بقول المتنبي:
قومٌ بلوغُ الغسلام عندهم طعنٌ نحو الكمأة لا الحلم
إن برقوا فالحتوف حاضرة أو نطقوا فالصواب والحكم
أو حلفوا بالغموس واجتهدوا فقسولهم خاب سائلي قسم

(١) أنظر التحف شرح الزلف ٢٤٦.

أوركبوا الخيل غير مسرجة فإن أفخاذهم لها حُزْمُ
أوشهدوا الحرب لاقحاً أخذوا من مُهَج الدَّارِعين ما احتكموا
تُشرق أعراضهم وأوجههم كأنها في نفوسهم شِيمُ
عماله عليه السلام وقضاته:

اتفق له عليه السلام عند قيامه من العترة عليهم السلام رجال بذلوا في طاعة الله
وطاعته مجهودهم . فولَّى الأمير الكبير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى
قدَّس الله روحه شام بلاد خولان وبني جماعة وبني نحر والأهنوم ، وكان له عليه السلام
من العناية والاجتهاد ما يليق بمثله حتى لقد أقام يسير في بعض نواحي المغرب
داعياً إلى الله تعالى وإلى طاعة الإمام المنصور بالله عليه السلام حتى ورمت قدماءه ،
حكى ذلك الأمير الكبير عماد الدين طول الله عمره على كبر سنِّه وضعفه . وولَّى
الأمير الكبير بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى رضوان الله عليه
نجران . وولَّى الأمير على بن المحسن عليه السلام صعدة^(١) هذا في ابتداء ولايتهم ثم
ولَّى بعد ذلك صعدة وأعمالها ونجران وما يتصل بذلك الأمير الشهير مجد الدين
يحيى بن الداعي إلى الله محمد يحيى بن يحيى الهادي إلى الحق عليه السلام فولَّيها حتى
استشهد رضوان الله عليه . ثم وليها أخوه تاج الدين أحمد بن محمد بن يحيى
حتى توفي الإمام المنصور بالله عليه السلام . وولَّى الظاهر آخرًا الشيخ أمير الدين
دحروج بن مقبل . وولَّى عيان وما يليه إلى نواحي الجهات الغربية من بلاد
حجور وقحطان الأمير صفى الدين محمد بن إبراهيم عليه السلام وتوفي وهو في يده .
وولَّى الأمير علم الدين سليمان بن موسى الحمزي عليه السلام الجوف وأعماله^(٣)

(١) في (ب) : وأعمالها .

(٢) في (ب) : رحمه الله .

(٣) في (ب) : وأعمالها .

وبقي في يده حتى توفي الإمام المنصور بالله عليه السلام . وولّى الأمير الكبير عماد الدين ذا الشرفين أبا المظفر يحيى بن حمزة بن سليمان مما يلي ظاهر بني صريم إلى الطّرف وما يتصل به من الجهات إلى بلاد حمير ونواحيها إلى بَكْرٍ وما يليه من الجهات المغربية إلى مساقط حراز وبقي في يده إلى أن توفي الإمام عليه السلام . وولّى القاضي ركن الدين يحيى بن جعفر حقل وحقاليه وما يليهما من بلاد جنّب ونواحيها ، وفي بلاد مذحج الشيخ عزّان بن سعد^(١) والشيخ مفضل بن أبي رزاح رحمهما الله تعالى وكان فيها من أهل العلم ممن وليّ الفقيه العالم ركن الدين سليمان بن ناصر عليه السلام وغيره من أهل العلم ، وقبضت ولأته الأموال من نواحي الحجاز وكانت تصل إليه موقرةً على أيدي رسله عليه السلام واستمراره في نواحي جيلان وديلمان على وفق الأوامر الإمامية على أيدي داعييه محمد بن أسعد ومحمد بن قاسم بن نصير ، وانتظمت الأمور فيها أشدّ الانتظام ، وأقيمت الحدود ، وجرت الأحكام . وولّى القضاء في صعدة وأعمالها القاضي الفاضل محمد بن عبدالله بن أبي النجم رحمه الله تعالى وولده القاضي عبدالله بن محمد بعد أبيه ، والقاضي الفاضل عبدالله بن معروف رحمه الله في بلاد وادعة والقاضي عمرو بن علي العنسي رحمه الله في حوث وأعمالها ، وولده القاضي مسعود بن عمرو بعده وهو الشاعر المفلق والخطيب المصقع ، وولّى أيضاً القاضي يحيى بن جعفر وكان غزير العلم بالغاً درجة الاجتهاد . أخبرني من أثق به أنّ الأمام المنصور بالله عليه السلام سئل هل هو مجتهد؟ ، فقال : هو من أكبر المجتهدين ، وكان في اليمن جماعة من أصحاب القاضي شمس الدين جعفر بن أحمد قدس الله روحه وغيرهم منهم الفقيه العالم سليمان بن ناصر رحمه الله ، وكان غزير العلم بالغاً

(١) في (ب) : سعيد .

درجة الاجتهاد، ومنهم القاضي الفاضل أحمد بن مسعود الربيعاني رحمة الله عليه، ومنهم القاضي فائز بن مقبل وغيرهم من العلماء، وكان في نواحي الحجاز السيد يوسف بن علي الحسني - الشهيد بعناية صاحب بغداد وهو الملقَّب بالناصر أحمد، وكان رحمه الله عالماً فاضلاً - على ينبع والصفراء، ومنهم القاضي الفاضل عرفطة بن المبارك رحمه الله في ساية وبلاد بني سليم إلى مكة وقُتِلَ بها عن أمر الناصر أيضاً، والقاضي منصور بن علي البشاري والفقيه داوود بن عبيد الخيبري وغيرهم ممن يطول ذكره وإنما ذكرنا القليل لأن استقصاءهم يخرجنا إلى التطويل، إلا أننا ذكرنا العيون المنظور إليهم من الكفاة والقضاة والدعاة إليه عليه السلام.

ومن مختار ما رُثِيَ به الإمام المنصور بالله عليه السلام قول ولده الأمير الناصر

لدين الله أبي القاسم محمد بن عبدالله عليه السلام :

بفي الشامتين الترب إن يك نالني
 على حين أعيى المقربات فراقه
 فإن يك نسوان بكين فقد بكت
 وإن يشمت الأعداء يوماً فإنني
 وما مات من أبقى لمن كان بعده
 أما إنه لولا احتسابي مصابه
 رزيةً خطب جللتنا وجللت
 ولو لم يكن في مثلنا قبل مثلها
 ولكنّها الأيام تُبلي جديدها
 وتلك التي تبدو علينا بوجهها
 وما طلعت يوماً علينا مشيحةً
 ولكنّها تبدو بأنياب كالح
 فمن للمعالي والعوالي وللندی

مصاب أبي أو هدّ من عظمه أزري
 وسنت له أنياب ذي لبّد حُسر
 عليه الثرياً في كواكبها الزهر
 على حدثان الدهر كالكوكب الدرّي
 سجالين من جود ومن نائل غمّر
 على كبدي كادت تفيض على النحر
 عماء على الشمس المنيرة والبدر
 لما كان من صبر عليها لذي حجر
 فتمضي ويمضي كل يوم على مرّ
 شتيماً وتبدو في غلائلها الخضر
 فنمّنع منها حدّ ناب ولا ظفر
 والحاظ شأن من النظر الشزر
 ومن للسريحيات أو للقنا السمر

ومن للعدى بعد ابن حمزة ضامن*
 ومن لجياد الخيل إن ظلَّ بينها
 ومن لليتامي يوم خلفت فلهم
 فلا يهنأ الأعداء مصرع ربهم
 وناع بفيك الترب لبتك لم تكن
 ولم يبق في عليا لؤي بن غالب
 رأيت المنايا لم يدغن محمداً
 وأدركن خير الناس بعد محمداً
 ونلن من الأعراب قيس بن عاصم
 وأدركن بسطام بن قيس بن خالد
 وعيت علي النائبات فلم تدع
 فلم أر إلا أنها سوف تنتهي
 فلا عين إلا ما استهلكت شجونها
 لرزء أصاب المسلمين فأصبحوا
 أصيب علي بالذي لم يكن له
 لعالك إما بنت غير مودع
 كأنك لم تركب جواداً ولم تكن
 ولم تغز في خيل يلوح عقابها
 ولم تشر دون المرهقين بطعنة
 ولم ينتظرك المعتفون لما بهم
 وأضياف ليل قد دعوك إلى القرى
 وغامض علم قد كشفت وفارس
 بذى لجب تبدو عيا ظله مجر
 فتى منه ماطور وأخر ذو كسر
 كما خلفت في الدو بيض القطا الكدر
 ولا عتقوا من كل جانحة نكر
 نعت الذي لم يبق منأ على ستر
 بقاء فأولى للرزية في فهر
 على حاله ولم يدغن أبا بكر
 قتيل التجوبي الذي جاء من مصر
 وعمرو بن كلثوم وعمراً أبا عمرو
 وأدركن ذا التاج الذي كان في حجر
 طريقاً إلى علم كأنني لا أدري
 وتلك التي ليست تصح إلى زجر
 ولا قلب إلا ما تقلب في جمر
 له كالسكارى الشارين من الخمر
 كفاء بمحض في شمائله حر
 ولا ذا قلب فينا ولا سيئ الذكر
 صبرت لأيام محجلة غر
 على رأس ميمون يؤيد بالنصر
 كأنك ليث من خفية ذواجر^(١)
 كما انتظرت غير السنين إلى القطر
 هدوا وقد بات المطي بهم يسري
 طعنت وعان قد فككت من الأسر

(١) في (ب): حنفة ذواجر.

وينتَ كَرِيمٍ قَد نَكَحْتَ وَلَمْ يَكُنْ
 وَمَهْمَةٌ قَفَرٌ قَدْ قَطَعْتَ إِلَى الْعَدَى
 فَمَا كَانَ مِنْ هَذَا فَقَدْ كُنْتَ أَجْتَنِي
 تَوَلَّيْتُ بِهِمْ عَنَا الْمَنُونِ وَخَلَّفْتُ
 فَلَا أَنْسِينَ عَهْدًا إِلَيَّ عَهْدَتَهُ
 وَمَا ضَاعَ مِنْ عَهْدٍ أَكُونُ وَلِيَّتَهُ
 لَهَا خَاطِبٌ غَيْرَ الْمُثَقَّفَةِ السُّمْرِ
 بِقُبِّ عَتَاقٍ فِي أَعْنَتِهَا تَجْرِي
 جَنَى شَجَرٍ جَرَزٌ مَذَاقَتُهُ مُرٌّ
 بِهِ ذَاتُ أَطَالٍ مَوْلَعَةٌ حُمُرٍ
 أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ أُغَيَّبَ فِي قَبْرِي
 وَلَا أَنَا بِالْوَانِي الضَّعِيفِ وَلَا الْغَمْرِ



فَصْلٌ نَخْتَمُ بِهِ الْكِتَابَ

وَإِذْ قَدْ فَرَّغْنَا مِنْ ذِكْرِ الْأُمَّةِ السَّابِقِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ عَلَى قَدْرِ مَا اتَّصَلْنَا بِهَا مِنْ
 أَخْبَارِهِمْ، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَمْ نَقْفِ عَلَى خَبْرِهِ عَلَى ضَرْبٍ مِنَ التَّفْضِيلِ فَكُتِبْنَا
 فِي حَقِّهِ مَا بَلَغَ إِلَيْنَا مِنْ خَبْرِهِ، وَنَحْنُ نُحَمِّدُ اللَّهَ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ مِنْ عَرَفَانِهِمْ،
 وَهَدَى إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْتِنَارَةِ بِبِرِّهِمْ، فَإِنَّهُمْ الْخَيْرَةُ مِنَ الْأُمَّةِ، وَالْكَاشِفُونَ لِكُلِّ
 غُمَّةٍ، فَطُوبَى لِمَنْ سَعِدَ بِاتِّبَاعِهِمْ، وَانْخَرَطَ فِي سَلْكِ أَشْيَاعِهِمْ، وَأَخْلَصَ لَهُمُ
 الْوُدَادَ، وَفَضَّلَهُمْ عَلَى الْعِبَادِ، وَقَامَ بِمَا أَمَرَ بِهِ فِي ذُرِّيَةِ النَّبِيِّ الْهَادِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ
 سُبْحَانَهُ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]
 لَمَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ قَرَابَتِكَ الَّذِينَ افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْنَا مَوَدَّتَهُمْ؟
 (قال: فاطمة وولدها)^(١) فما حال من نصب لهم الصفح، وثقف لنحورهم

(١) أنظر الكشاف للزمخشري ٤/٢١٩-٢٢٠ ط منشورات البلاغة، فتح القدير للشوكاني ٤/
 ٥٣٤-٥٣٦، ومجمع البيان للطبرسي ٩/٢٨ ط. دار إحياء، وابن كثير في تفسيره ٤/١٢١، وجامع
 البيان للطبرسي ١١/١٤٤ ط. دار الكتب العلمية، والنيسابوري في تفسيره المطبوع بهامش جامع البيان
 ٢٤/٣٥، والأميني في الغدير ٢/٣٠٦، وشواهد التنزيل ٢/١٣٠ رقم ٨٢٢-٨٢٩، والطبراني في
 الكبير ٣/٤٧ رقم ٢٦٤١، وذخائر العقبى ٢٥.

الرماح ، وسدّد لقلوبهم السهام ، وجهد في عداوتهم باليد والكلام ، لقد اختار الغواية على الهدى ، واستبدل بأنوار اليقين دياجير العمى ، قال ﷺ : « من كان في قلبه مثقال حبة من خردلٍ عداوةً لي ولأهل بيتي لم يرح رائحة الجنة » .
وروينا بالإسناد الموثوق به إلى جرير بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال : « من مات على حب آل محمد مات شهيداً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكرٌ ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوَّار قبره بالرحمة الملائكة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيسٌ من رحمة الله ، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يرح رائحة الجنة » وهذا الخبر يكفي في أن شرفهم لا يداني ، وفضلهم لا يبارى ، وأنهم أساس الدين ، وسادة المؤمنين ، ومن نظر بعين البصيرة ، أخلص لله السريرة ، علم أنهم أولى الأنام أن يقتدي بهم أهل الإسلام .

ميّز يا طالب الهدى والرشاد ، بين العذب والملح الثماد ، كيف ترضى بتقديم غير الذرية الأكرمين عليهم في طلب الصواب ، وهم عدلاء السنة والكتاب ، قال ﷺ : « إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض » فأبي شك بعد ذلك في أنهم على حق وحقيقة ، وأن طريقهم في الهدى أوضح طريقة ، سفينة العصمة من المهاوي ، والهداة من المغاوي ، قال النبي ﷺ : « أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى ، ومن قاتلنا

آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال»^(١) فهل علمت أيها السامع أن أحداً نجح في زمن نوح عليه السلام إلا من اعتصم بالسفينة العاصمة، ومن برح عنها أخذته أمواج الانتقام المتلاطمة، كذلك العترة عليهم السلام، قال بعض الشعراء:

أعاذلُ إن كسَاءَ التُّقى كساني حبي لأهل الكسا
سفينة نوح ومن يعتصم بحبلهم يعتلق بالنجاء
هم أدلة الحق فلا ترفض دليلك، وصراط الدين السويّ فلا تنكب سبيلك،
أما إن كل مُنصف يعلم باليقين أن رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان في الأحياء لساء ما
ارتكبته أمته في عترته من قتل ونظريد وتمزيق وتشريد.

لا أضحك الله سنّ الدهر إن ضحكت وآلُ أحمد مطرودون قد قُهرُوا
مخلوون نفوا عن عقرب دارهم كأنهم قد جنوا ما ليس يُغتفروا
إذا قام منهم القائم بعد جمعه لخصال الكمال، وتبريزه في محاسن الخلال،
تلقت جفأة الأمة دعوته بالإنكار، وحكموا يالهم الويل بأنه من الأشرار، ورفضوا
قول النبي المختار صلى الله عليه وآله الأظهار، حيث يقول: «من سمع واعيتنا
أهل البيت فلم يجبهها كبه الله على منخرية في نار جهنم»^(٢)؛ فهذا نص نبوي
بالكب في النار، لمن رفض قائم العترة الأبرار، فما ترى حكمه إذا شفع بالملام،
وحكم عليه بأنه من الخوارج على أهل الإسلام، وحث على محاربتة، وأفتى
بجواز معاداته ومناصبته، يا ويحه ماذا ارتكب، وأي سبيل تنكّب، صدّ عن

(١) أخرجه الإمام الهادي في الأحكام ٤٠/١، والإمام علي بن موسى الرضی عن آبائه في صحيفته ٤٦٤ بلفظ «أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها زج في النار» والمرشد بالله في أماليه ١٥٢/١، وأبو طالب في أماليه ١٣٦، والحاكم ٣٤٣/٢ بلفظ «أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهو» وقال حديث صحيح على شرط مسلم والطبراني والأوسط برقم ٥٣٩٠، والكبير ٤٥/٣ برقم ٢٦٣٦.

(٢) أخرجه المؤيد بالله في التجريد ٢٥٥/٢، والطبري في تاريخه ٤٠٧/٥.

السبيل الواضحة، والأعلام اللائحة، واستبدل بالنور ديجوراً، وترك مسكاً وكافوراً، واعتمد أمراً كان الأولى به أن يكون مهجوراً، ولم يرتض بأن يصير ممن جعل الله بين يديه نوراً، ومن خلفه نوراً، إن مذهب العترة الهادية أخذها الآخر عن الأول بالبرهان، وأسندوها إلى من نزل عليه الفرقان، واصطفي على كل إنس وجان، فأنوارها تغشي أبصار ذوي الإلحاد، وبراهينها تشجي حلوق الأضداد، وأدلتها تقشع سحب الشكوك، وتوضِّح لطالب الرشد مناهج السلوك، وترفعه في الآخرة إلى منازل الملوك، فتنور بأنوار هدايتهم المشرقة، وارتع في رياض حلومهم المزهرة المؤنقة، واقتطف من دوحاتهم المثمرة المورقة، فإن ثمارها دانية، وأنهارها جارية، سارت مناقبهم مسير الشمس والقمر، وتعلَّت إلى من بدا وحضره هذا على أن بني أمية وبني العباس قد جهدوا في دفن مكارمهم وطمس معاليهم ومفاخرهم، فما منعها ذلك عن الانتشار، وكيف تُستَرُّ شمس النهار، ولقد كانوا يجاهرونهم بإظهار مناقب العترة عليهم السلام، كما روي أن هشام بن عبد الملك بن مروان حجَّ في خلافة أخيه سليمان سنة من السنين فلما كان بالبيت زُوجِمَ على الركن، فكلَّمَا همَّ باستلامه رجع إلى موضع مُصلاه وسَلَّمَ من خلف المقام، واجتمع عنده عِدَّةٌ من الناس وفيهم الفرزدق الشاعر فينظر هشام بن عبد الملك زين العابدين صاحب السجادة ذا الثغفات علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهو يطوف كلما بلغ الركن انفرج عنه الناس وخُلِّي له حتى يستلمه، فأغضب ذلك هشاماً وغار على زين العابدين عليه السلام وهم بالاستهزاء به والاستخفاف فقال: من هذا؟ فقال الفرزدق:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلُّ والحرمُ
 هذا ابن خير عباد الله كلُّهم هذا التقى النقي الطاهر العلمُ
 يكاد يلثمه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلمُ

مستتبعٌ من رسول الله نبعته طابت عناصره والخيم والشيمُ
 في كفه خيزران ريحه عبق من كفاً أروع في عرينه شممُ
 من معشر حبههم فرض ويفضهم كفر وحبهم منجى ومعتصمُ
 مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم في كل حين ومختوم به الكلمُ
 إن عداً أهل التقي كانوا أئمتهم أو قيل: من خير أهل الأض؟ قيل: هم^(١)

فأمر هشام بإسقاط صلة الفرزدق من الديوان فبلغ ذلك زين العابدين عليه السلام
 فأمر له ببدره، فلما حُملت إليه ردّها، وقال: إنما تكلمت وقلت ما قلت لله
 عز وجل ولا أقبل عليه عوضاً وأجرًا، وردّ البدره على زين العابدين فردّها عليه
 زين العابدين وقال: نحن أهل البيت إذا خرجت عنا صلة لم ترجع أبداً، وحبس
 هشام الفرزدق بعسفان على مرحلتين من مكة، فقال يهجو هشامًا:

أحببسنى بين المدينة والتي إليها جميع الناس يهوي منيها
 يقلّب رأسًا لم يكن رأس سيند وعينًا له حولاء باد عيوبها
 وللكميت بن زيد رحمه الله في سلطان بني أمية قصائده المشهورة المعروفة
 بالهاشميات ذكر فيها كثيرًا من مناقب العترة عليهم السلام ومثالب بني أمية ولم
 يكثر بسلطانهم، وهي خمسمائة بيت وبضع وثمانون بيتًا، وفي الحكاية: أن
 الكميت جاء إلى الفرزدق فقال: إنني قلت قصيدة أريد أن أعرضها عليك، فقال:
 هات؛ فأنشد:

طربتُ وما شوقًا إلى البيض أطربُ ولا لعبًا مني وذو الشيب يلعب^(٢)
 فقال: إلی من طربت ثكلتك أمك؟، فقال:
 ولم يلهنی دارٌ ولا رسمٌ منزلٍ ولم يتطرنني بنان مخضبُ

(١) ديوان الفرزدق ١٨٠-١٨١ .

(٢) ويروي «أذو الشيب يلعب» .

وما أنا ممن يزجر الطير همهُ
ولا السانحات البارحات عشيةً
ولكن إلى أهل الفضائل والنهي
وقال الفرزدق : هؤلاء بنو دارم ، فقال الكميت :

إلى النفر البيض الذين بحبهم
بني هاشم رهط النبي فإنني
فقال : والله لو جزتهم إلى من سواهم لذهب قولك باطلاً ، وفيها يقول :
خففت لهم مني جناحي مودةٍ
وكنت لهم من هولاءك ومن أولاء^(١)
وأرمي وأرمي بالعداوة أهلها
فما سآءني قول امرئ ذي سفاهة
فما لي إلا آل أحمد شيعةً
ومن غيرهم أرضى لنفسي شيعةً
يعيرني جهالٌ قومي بحبهم
فقل للذي في ظل عمياء جونة
بأي كتاب أم بأية سنة
أسلم ما تأتي به من عداوة
ستقرع منها سن خزيان نادمٍ
أريبٌ رجلاً منهم وتربيني
إليكم ذوي آل النبي تطلعت

أصاح غراب أم تعرّض ثعلبُ
أمر سليم القرن أم مرّ أعضبُ
وخير بني حواء والخير يطلبُ

إلى الله فيما نابني أتقربُ
لهم وبهم أرضى مراراً وأغضبُ
إلى كنف عطفاه أهل ومرحبُ
مجنناً على أنني أذمُّ وأقصبُ
وإنني لأوذى فيسهم وأؤنبُ
بعوراء فيهم يجتديني فأجدبُ
ومالي إلا مذهب الحق مذهب^(٢)
ومن بعدهم لا من أجل وأرجبُ
وبغضهم أدنى لعار وأعطبُ
يرى الجور عدلاً لا إلى أين تذهب
ترى حبهم عاراً عليّ وتحسبُ
وبغض لهم لا جبريل هو أشجبُ
إذا اليوم ضمّ الناكثين العصببُ
خلائق مما أحدثوا هن أريبُ
نوازع من قلبي ظمأء وألببُ

(١) في هاشميات الكميت «وهؤلاء» .

(٢) روي في ديوان الكميت «ومالي إلا مشعب الحق مشعب» وهو بنفس المعنى فيقال : شَعَبَ إذا دَهَبَ .

وإني على الأمر الذي تكرهونه
 وإني لمن شايعتكم لمشايح
 يشيرون بالأيدي إليّ وقولهم
 فطائفة قد أكفروني بحبكم
 فما ساءني تكفير هاتيك منهم
 يعيبونني من جهلهم وضلالهم
 وقالوا تُرابي هواء ورأيه
 فلا زلت منهم حين يتهمونني
 على ذلك إجريائي وهي ضريتي
 وأحمل أحقاد الأقارب فيكم
 بخاتمكم كرهاً تجوز أمورهم
 وبُدلت الأشرار بعد خيارها
 وجدنا لكم في آل (حم) آية^(١)
 وفي غيرها أياً وأياً تتابعت
 بحققكم أمست قريش تقودنا
 إذا اتضعونا كارهين لبيعة
 وقال فيها:

ألم ترني من حب آل محمد
 كأنني جانٌ مُحدثٌ وكأنماً
 على أي جرمٍ أم بآية سيرة
 أناسٌ بهم عزت قريش فأصبحوا

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ [الشورى: ٢٣].

مصقون في الأحساب محضون نجرهم
 خضمون أشراف لهاميم سادة
 إذا ما المراضيع الخماص تأوّهت
 وحاددت النكد الجلاد ولم يكن
 وبات وليد الحي طيان ساغباً
 إذا نشأت منهم بأرض سحابة
 إذا ادلمست ظلماء أمرين حنّس
 وإن هاج نبت العلم في الناس لم تزل
 لهم رتب فضل على الناس كلهم
 مساميح منهم قائلون وفاعل
 أولاك نبي الله منهم وجعفر
 وحيدرة الكرار في كل معرك
 هم ما هم وترأ وشفعا لقومهم
 وقال في قصيدة أخرى :

قوم إذا املوك الرجال على
 هيئون كينون في بيوتهم
 إن نزلوا فالغيوث باكرة
 والطيبون المبرؤون من ال
 والسالمون المطهرون من العي
 زهر أصحاب لا حديثهم
 والعارفو الحق للمدل به

هم المحض منا والصريح المهذب
 مطاعيم أيسار إذا الناس أجدبوا
 من البرد إذ مثلان سغد وعقرب
 لعقبة قدر المستعيرين معقب
 وكاعبهم ذات العفاوة أسغب
 فلا النبت محضور ولا البرق خلّب
 فبدر لهم فيها مضيء وكوكب
 لهم تعلقة خضراء منه ومذنب
 فضائل يستعلي بها المترتب
 وسباق غايات إلى الخير مسهب
 وحمزة ليث الفيلقين المجرّب
 إذا صارت الأبطال فيه تقصب^(١)
 لفقدانهم ما يعذر المتحوب^(٢)

أفواه من ذاق طعمهم عذبوا
 سنخ التقى والفضائل الرتب
 والأسد أسد العرين إن ركبوا
 آفة والمنجبون والنجب
 وب ورأس الرؤوس لا الذئب
 واه ولا في أديمهم عطب
 والمستقلو كثير ما وهبوا

(١) نقل هذا البيت من حاشية النسخة «ب» .

(٢) أنظر هاشميات الكميت ٤٣ - ٨١ .

والمحرزو السبق في مواطن لا
والكاشفو المفظع المهم إذا التف
وقال أيضاً :

تجعل غايات أهلها القصب
ف بتصدير أهلها الحقب^(١)

مَنْ لَقَّبَ مُتَمِّمٌ مُسْتَهَامٍ
طَارِقَاتٍ وَلَا أَدْكَارَ غَوَانٍ
بَلْ هَوَايَ الَّذِي أَجْنُ وَأُبْدِي
لِلْقَرِيبِينَ مِنْ نَدَى وَالْبَعِيدِ
وَالْمُصِيبِينَ بَابَ مَا أَخْطَأَ النَّا
وَالْحُمَاةَ الْكُفَاةَ فِي الْحَرْبِ إِنْ
وَالغُيُوثَ الَّذِينَ إِنْ أَمَحَلَّ النَّا
وَالوَلَاةَ الْكُفَاةَ لِلْأَمْرِ إِنْ طَرَّ
وَالأَسَاةَ الشُّفَاةَ لِلدَّاءِ ذِي الرَّبِّ
وَالرَّوَايَا الَّتِي بِهَا يَحْمَلُ النَّا
وَالْبَحُورَ الَّتِي بِهَا تُكشَفُ الْحَرُّ
لِكَثِيرِينَ طَيِّبِينَ مِنَ النَّا
وَاضْحَى أَوْجُهُ كَرِيمِي جُدُودِ
لِلذُرَى فَالذُرَى مِنَ الْحَسَبِ النَّا
رَاجِحِي الْوِزْنَ كَامِلِي الْعَدْلِ فِي السِّبْ
فَضَلُّوا النَّاسَ فِي الْحَدِيثِ حَدِيثًا
مُسْتَفِيدِينَ مُتَلْفِينَ مَوَاهِدِ
مُسْتَعْفِينَ مُفْضَلِينَ مَسَامِي

غَيْرِ مَا صَبُوءَ وَلَا أَحْلَامِ
وَاضْحَاتِ الْخُدُودِ كَالْأَرَامِ
لِبَنِي هَاشِمٍ فُرُوعِ الْأَنَامِ
مَنْ مِنَ الْجَوْرِ فِي عُرَى الْأَحْكَامِ
سُ وَمُرْسِي قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ
لَفَّ ضَرَامًا وَقُوْدُهَا بَضْرَامِ
سُ قَمَاوَى حَوَاضِنِ الْآيْتَامِ
قِ يَتَنَا بِمُجْهَضٍ أَوْ تَمَامِ
بِةَ وَالْمُدْرِكِينَ بِالْأَوْغَامِ
سُ وَسُوقِ الْمُطْبَعَاتِ الْعِظَامِ
هُ وَالِدَاءُ مِنْ غَلِيلِ الْأَوَامِ
سُ وَبَرِّينَ صَادِقِينَ كَرَامِ
وَاسْطِي نَسْبَةَ لِهَامٍ فَهَامِ
قَبِ بَيْنَ الْقَمَقَامِ فَالْقَمَقَامِ
رَةَ طَبَّينَ بِالْأُمُورِ الْجَسَامِ
وَقَدِيمًا فِي أَوَّلِ الْقُدَامِ
بَ مَطَاعِيمٍ غَيْرِ مَا أَبْرَامِ
حَ مَرَاجِيحٍ فِي الْخَمِيسِ اللَّهَامِ

(١) هاشميات الكميت ١٢٠-١٢٢ .

وَمَدَارِيكَ لِلذُّحُولِ مَتَارِيرٍ
 لَا حُبَاهُمْ تُحَلُّ لِلْمَنْطِقِ الشَّفَعِ
 أَبْطَحِيَّيْنَ أَرِيحِيَّيْنَ كَالْأَنْدِ
 غَالِبِيَّيْنَ هَاشِمِيَّيْنَ فِي الْعَدِ
 وَمُصَفِّيَّيْنَ فِي الْمُنَاسِبِ مَحْضِ
 وَإِذَا الْحَرْبُ أَوْمَضَتْ بَسْنَا الْبَرَّ
 وَرَأَيْتَ الشُّرَيْجَ يَحْنَنُ وَالنَّبَّ
 فَهَمُّ الْأَسَدِ فِي الْوَعْيِ لَا اللَّوَاتِي
 أَسَدُ حَرْبٍ غُيُوثٌ جَدِبٌ بِهَالِي
 لَا مَهَادِيرَ فِي النَّدِيِّ مَكَاثِي
 سَادَةَ ذَادَةَ عَنِ الْخُرْدِ الْبَيْبِ
 وَمَغَايِيرَ عِنْدَهُنَّ مَغَاوِي
 لَا مَعَازِيلَ فِي الْخُرُوبِ تَنَائِي
 وَهَمُّ الْآخِذُونَ مِنْ ثِقَسَةِ الْأَمِ
 وَالْمُصِيبُونَ وَالْمُجِيبُونَ لِلدَّعِ
 وَمُحَلُّونَ مُحْرَمُونَ مُقَرُّو
 سَاسَةَ لَا كَمَنْ يَرَى رَعِيَةَ النَّا
 لَا كَعَبْدِ الْمَلِكِ أَوْ كَوَلِيدِ
 مَنْ يَمُتْ لَا يَمُتْ فَقَيْدًا وَمَنْ يَحِ
 رَأْيُهُ فِيهِمْ كَرَأْيِ ذَوِي الثَّدِّ
 جَزَّ ذِي الصُّوفِ وَانْتَقَاءَ لَدِي الْمَخِّ
 فَهَمُّ الْأَقْرَبُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرِ
 كَ وَإِنْ أَحْفَظُوا الْعُورَ الْكَلَامِ
 بَ وَلَا لِلطَّامِ يَوْمَ اللُّطَامِ
 جَمَّ ذَاتَ الرَّجُومِ وَالْأَعْلَامِ
 مَ رَبُّوا مِنْ عَطِيَّةِ الْعَلَامِ
 مِينَ خَضَمِينَ كَالْقُرُومِ السَّوَامِي
 قِ وَسَارَ الْهُمَامُ نَحْوَ الْهُمَامِ
 عَ بِمَكْسُورَةِ الظُّهَارِ اللُّوَامِ
 بَيْنَ خَيْسِ الْعَرِينِ ذِي الْأَجَامِ
 لُ مَقَاوِيلُ غَيْرُ مَا أَفْدَامِ
 رَ وَلَا مُصَمَّتِينَ بِالْإِفْحَامِ
 ضَ إِذَا الْيَوْمُ كَانَ كَالْأَيَامِ
 رَ مَسَاعِيرَ لَيْلَةَ الْإِلْجَامِ
 لَ وَلَا رَأْتَمِينَ بَوَاهِتِضَامِ
 رَ بَتَقَوَاهُمْ عُرَى لَا انْفِصَامِ
 وَةَ وَالْمُحْرَزُونَ خَصَلَ التَّرَامِي
 نَ لِحَلِّ قَرَارَةَ وَحَرَامِ
 سَ سَوَاءَ وَرَعِيَةَ الْأَنْعَامِ
 أَوْ سَلِيمَانَ بَعْدُ أَوْ كَهْشَامِ
 يَيِّ فَلَا دُوَّ إِلَّ وَلَا دُوَّ ذِمَامِ
 ةَ فِي الثَّائِجَاتِ جُنْحَ الظَّلَامِ
 ةَ وَانْعَقَ وَدَعَدَعَا بِالْبِهَامِ
 وَهَمُّ الْأَبْعَادُونَ مِنْ كُلِّ دَامِ

وَهُمْ الْأَرَأْفُونَ بِالنَّاسِ فِي الرَّأْيِ
 بَسَطُوا أَيْدِيَ النَّوَالِ وَكَفُّوا
 رُكْبُوا الْقِسْطَ وَاسْتَقَامُوا عَلَيْهِ
 عَيْرَاتُ الْفَعَالِ وَالْحَسْبُ الْعَوْدُ
 أُسْرَةُ الصَّادِقِ الْحَدِيثِ أَبِي الْقَا
 خَسِيرِ حَيٍّ وَمَيِّتٍ مِنْ بَنِي آ
 كَانَ مَيِّتًا جِنَازَةً خَيْرٌ مَيِّتٍ
 وَجَنِينًا وَمُرْضَعًا سَاكِنَ الْمَهْ
 خَيْرٌ مُسْتَرْضَعٍ وَخَيْرٌ قَطِيمٍ
 وَغُلَامًا وَنَاشِئًا ثُمَّ كَهْلًا
 أَنْقَذَ اللَّهُ شُلُونًا مِنْ شَفَا النَّاسِ
 لَوْ قَدَى الْحَيِّ مَيِّتًا قُلْتُ نَفْسِي
 طَيِّبُ الْأَصْلِ طَيِّبُ الْعُودِ فِي الْبَدَنِ
 أَبْطَحِي بِمَكَّةَ اسْتَشَقَّ بَدَنُ الدُّ
 وَالِي يَشْرَبُ التَّحَوُّلَ عَنْهَا
 هَجْرَةٌ حُوِّلَتْ إِلَى الْأَوْسِ وَالْحَزِ
 غَيْرَ دُنْيَا مُحَالِفًا وَاسْمَ صَدَقٍ
 ذُو الْجَنَاحَيْنِ وَابْنُ هَالَةَ (٢) مِنْهُمْ
 لَا ابْنَ عَمٍّ يُرَى كَهَذَا وَلَا عَد

قَسَّةً وَالْأَحْلَمُونَ فِي الْأَحْلَامِ
 أَيْدِي الْبَغْيِ عَنْهُمْ وَالْعُرَامِ
 حِينَ جَسَّارَتِ زَوَامِلُ الْأَثَامِ (١)
 دَائِلِهِمْ مَحْطُوطَةٌ الْأَعْكَامِ
 سَمِ قَرَعِ الْقُدَامِ مِنَ الْقُدَامِ
 دَمَّ طَرًّا مَأْمُومِهِمْ وَالْإِمَامِ
 غَيَّبَتْهُ حَفَّائِرُ الْأَقْوَامِ
 دُ وَعَدَّ الرُّضَاعَ عِنْدَ الْفَطَامِ
 وَجَنِينَ أَقْرَفِي الْأَرْحَامِ
 خَيْرٌ كَهْلٍ وَنَاشِئٍ وَغُلَامِ
 رَبِّهِ نِعْمَةً مِنَ الْمُنْعَامِ
 وَبَنِي الْفِدَا لَتَلِكِ الْعِظَامِ
 يَهُ وَالْفَرَعِ يَثْرِبِي تَهَامِي
 هُ ضَيَّاءَ الْعَمَى بِهِ وَالظَّلَامِ
 لِمَقَامٍ عَنْ غَيْرِ دَارِ مُقَامِ
 رَجِ أَهْلِ الْفَسِيلِ وَالْأَطَامِ
 بَاقِيًا مَجْدُهُ بَقَاءَ السَّلَامِ
 أَسَدُ اللَّهِ وَالْكَمِّيُّ الْمُحَامِي
 مٌ كَهَذَاكَ سَيِّدُ الْأَعْمَامِ

(١) في هاشميات الكميت :

أخذوا القصد واستقاموا عليه حين مالت زواملُ الأثام

(٢) يعني حمزة بن عبدالمطلب وأمه هالة بنت وهيب .

والوَصِيِّ الَّذِي أَمَالَ التَّجُودَ
 كَانَ أَهْلَ الْعَفَافِ وَالْمَجْدِ وَالْحَيْدِ
 وَالْوَصِيِّ الْوَلِيِّ وَالْفَارِسِ الْمُعَدِّ
 كَمَ لَهُ ثُمَّ كَمَ لَهُ مِنْ قَتِيلِ
 وَخَمِيسٍ يُلْقِيهِ بِخَمِيسٍ
 وَعَمَسِيدٍ مُتَوَجِّحٍ حُلَّ عَنْهُ
 قَتَلُوا يَوْمَ ذَلِكَ إِذْ قَتَلُوهُ
 رَاعِيًا كَانَ مُسْجِحًا فَقَقَدْنَا
 نَالْنَا قَتْلَهُ وَنَالَ سَوَانَا
 وَأَشْتَتَ بِنَا مَصَادِرُ شَتَى
 جَرَدَ السَّيْفَ تَارَتَيْنِ مِنَ الدَّهْرِ
 فِي مُرِيدِينَ مُخْطئينَ هُدَى اللِّ
 وَوَصِيِّ الْوَصِيِّ ذِي الْخُطَّةِ الْفَصْدِ
 وَقَتِيلٍ بِالطَّفِّ^(٢) غُودَرَ مِنْهُ
 تَرَكَبُ الطَّيْرُ كَالْمَجَاسِدِ مِنْهُ
 وَتُطِيلُ الْمُرْزَأَاتُ الْمَقْسَالِي
 يَتَعَرَّفْنَ حُرُوجَهُ عَلَيْهِ
 قَتَلُوا (يَوْمَ ذَلِكَ)^(٣) إِذْ قَتَلُوهُ
 وَسَمِيَ النَّبِيُّ^(٤) بِالشَّعْبِ ذِي الْحَيْدِ

ي^(١) بِهِ عَرَشَ أُمَّةٍ لَانْهَادِمِ
 رَ وَنَقَضَ الْأُمُورَ وَالْإِبْرَامِ
 لِمَ تَحْتَ الْعَجَاجِ غَيْرِ الْكَهَامِ
 وَصَرِيحٍ تَحْتَ السَّنَابِكِ دَامِي
 وَفَنَامَ حَوَاهُ بَعْدَ فَنَامِ
 عَقَدَ التَّاجَ بِالصَّنِيْعِ الْحُسَامِ
 حَكَمًا لَا كَغَابِرِ الْحُكَّامِ
 هُ وَفَقَدَ الْمُسِيمَ هُلْكَ السَّوَامِ
 بِاجْتِدَاعٍ مِنَ الْأَنْوْفِ اصْطِلَامِ
 بَعْدَ نَهْجِ السَّبِيلِ ذِي الْأَرَامِ
 رَ عَلَى حِينِ دَرَّةٍ مِنْ صَرَامِ
 هُ وَمُسْتَقْسَمِينَ بِالْأَزْلَامِ
 لَ وَمُرْدِي الْحُصُومِ يَوْمَ الْخِصَامِ
 بَيْنَ غَوَغَاءِ أُمَّةٍ وَطَفَامِ
 مَعَ هَابٍ مِنَ التُّرَابِ هَيَامِ
 تَ عَلَيْهِ الْقَعُودَ بَعْدَ الْقِيَامِ
 عُقْبَةُ السَّرُورِ ظَاهِرًا وَالْوَسَامِ
 أَكْرَمَ الشَّارِبِينَ صَوَّبَ الْغَمَامِ
 فِ طَرِيدِ الْمَحَلِّ^(٥) ذِي الْأَحْرَامِ

(١) التجويي : عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).

(٢) يعني الإمام الحسين بن علي (ع) والطف: شاطئ الفرات.

(٣) في الديوان: قتل الأعداء.

(٤) يعني محمد بن الحنفية.

وَأَبُو الْفَضْلِ إِنَّ ذَكَرَهُمُ الْحُلْدُ
 فِيهِمْ كُنْتُ لِلْبَعِيدِ ابْنَ عَمٍّ
 وَرَأَيْتُ الشَّرِيفَ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ
 وَتَنَاوَلْتُ مَنْ تَنَاوَلَ بِالْغَيْبِ
 مُعَلَّنًا لِلْمُعَالِنِينَ مُسْرًا
 مُبْدِيًا صَفْحَتِي عَلَى الْمَرْقَبِ الْمُعَدِّ
 مَا أَبَالِي إِذَا حَفِظْتُ أَبَا الْقَا
 مَا أَبَالِي وَكُنْ أَبَالِي فِيهِمْ
 فَهَمْ شِيعَتِي وَقَسَمِي مِنَ الْأُمَّةِ
 إِنَّ أُمَّتَ لَا أُمَّتَ وَنَفْسِي نَفْسًا
 عَاذِلًا غَيْرَهُمْ مِّنَ النَّاسِ طُرًّا
 لَمْ أَبْعَ دِينِي الْمُسَاوِمَ بِالْوَكْرِ
 أَخْلَصَ اللَّهُ لِي هَوَايَ فَمَا
 وَلِهَتْ نَفْسِي الطُّرُوبُ إِلَيْهِمْ
 كَيْتَ شِعْرِي هَلْ تُمْ هَلْ آتَيْنَهُمْ
 إِنَّ تُشَيِّعَ بِي الْمُدْكَرَةَ الْوَجْدِ
 عَنْتَرِيَسٌ^(١) شَمْلَةٌ ذَاتُ كَوْثِ
 تَصِلُ السُّهْبَ بِالسُّهُوبِ إِلَيْهِمْ
 رَدَّهِنَّ الْكَلَالَ حُدْبًا حُدَابِي
 فِي حَرَا جِيحِ كَالْحَنِيِّ مَجَاهِي

وَبِفِي الشُّقَاءَ لِلْأَسْقَامِ
 وَأَتَهَمْتُ الْقَرِيبَ أَيَّ اتِّهَامِ
 سِ وَضِيْعًا وَقَلَّ مِنْهُ احْتِشَامِي
 جَبَّةَ أَعْرَاضَهُمْ وَقَلَّ اِكْتِنَامِي
 لِلْمُسْرِينَ غَيْرَ دَحْضِ الْمَقَامِ
 سَلِمَ بِاللَّهِ قُوَّتِي وَاعْتِصَامِي
 سَمِ فِيهِمْ مَلَامَةَ اللُّوَامِ
 أَبَدًا رَغَمَ سَاخِطِينَ رَغَامِ
 عَةَ حَسْبِي مِنْ سَائِرِ الْأَقْسَامِ
 نَ مِنْ الشُّكِّ فِي عَمِّي وَتَعَامِي
 بِهِمْ لَا هَمَامَ لِي لَا هَمَامِ
 سِ وَلَا مُغْلِيًّا مِنَ السُّوَامِ
 أَغْرَقَ نَزْعًا وَلَا تَطْيِشَ سُهَامِي
 وَكَلَّهَا حَالَ دُونَ طَعْمِ الطَّعَامِ
 أَمْ يَحْوِلَنَّ دُونَ ذَلِكَ حِمَامِي
 نَاءُ تَرْمِي لُغَامَهَا بِلُغَامِي
 هَوَجَلٌ مَيْلَعٌ كَثُومُ الْبُغَامِ
 وَصَلَ خَرْقَاءَ رُمَّةً فِي رِمَامِ
 رَوْحَدُ الْإِكَامِ بَعْدَ الْإِكَامِ
 ضَ يَخِدَنَّ الْوَجِيْفَ وَخَدَّ النَّعَامِ

(٥) المحل : يقصد عبدالله بن الزبير أحل القتل بمكة .

(١) الناقة العليقة .

يَكْتَنِفْنَ الْجَهِيضَ ذَا الرَّمَقِ الْمَعْدِ
مُنْكَرَاتٍ بِأَنْفُسِ عَارِفَاتِ
مَا أَبَالِي إِذَا أَنْخَنَ إِلَيْهِمْ
يَقْضُ زَوْرٌ هُنَاكَ حَقَّ مَزُورٍ
وَمِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ أُخْرَى :

فَقُلْ لِبَنِي أُمِيَّةٍ حَيْثُ حَلُّوا
أَجَاعَ اللَّهُ مِنْ أَشْبَعْتَمُوهُ
وَإِنْ خَفْتِ الْمَهْنَدَ وَالْقَطِيعَا
وَأَشْبَعُ مِنْ بَجُورِكُمْ أُجِيْعَا^(٢)

هذا والكميت بن زيد جارٌ لخالد بن عبد الله القسري بالعراق وسيف خالد يقطر من دمآء الشيعة ظمئان منها لا يروى ، وكذلك الحال في أيام المسوذة فإن الأمر ظاهر في انتشار مناقب العترة عليهم السلام على إخافة بني العباس لمن مال إليهم ، وتدميرهم لمن تحنن عليهم ، قال منصور بن الزبرقان وهو على بساط هارون :

أَلُ النَّبِيِّ وَمَنْ يَحْسِبُهُمْ
يَتَطَامِنُونَ مَخَافَةَ الْقَتْلِ
أَمِنَ النَّصَارَى وَالْيَهُودَ وَهُمْ
مِنْ أُمَّةِ التَّوْحِيدِ فِي أَزْلِ
وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَّاسِ شَاعِرُهُمْ وَكَاتِبُهُمْ فِي الرَّضِيِّ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ
فِي أَيَّامِ الْمَأْمُونِ :

يُؤْمِنُ عَلَيْكُمْ بِأَمْوَالِكُمْ
وَتَعْطُونَ مِنْ مِائَةِ وَاحِدَا
فَلَا حَمْدَ لِلَّهِ مُسْتَبْصِرَا
يَكُونُ لِأَعْدَائِكُمْ حِبَامِدَا
وَمِمَّنْ أَغْرِي بِمَدْحِ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ دُعْبَلُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ رَزِينِ بْنِ تَيْمِ بْنِ نَهْشَلٍ ، وَقِيلَ : نِهَشُ الْخَزَاعِي ، وَكَانَ مَفْوَهًا بَلِيغًا مَتَشِيْعًا مَعْرُوفًا بِحُبِّ

(١) هاشميات الكميت ١١-٤٢ .

(٢) هاشميات الكميت ص ١٩٨ .

أهل البيت عليهم السَّلام ، منقطعاً في بغض الخلفاء وهجوهم حتى لم يُبقِ منهم أحداً ولا من وزرأتهم وهو معروف بذلك ، وقصيدته «مدارس آيات خلّت من تلاوة» من فاخر المديح وحسن الشعر المقول في أهل البيت عليهم السَّلام ، وقصد بها الرضى علي بن موسى عليه السلام بخراسان فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه . وروى الشيخ أبو الفرج علي بن الحسين الكاتب المعروف بالأصبهاني قال : أخبرني الحسن بن علي بإسناد يرفعه إلى موسى بن عيسى المروزي وكان منزله بالكوفة في رحبة طي قال : سمعت دعبل بن علي وأنا صبي يتحدث في مسجد المرودية قال : دخلت على علي بن موسى الرضى ، فقال لي : أنشدني شيئاً مما أحدثت بعدنا ؛ فأنشدته :

مدارس آيات خلّت من تلاوة ومنزل وحي مُقفر العرصات
حتى انتهيت منها إلى قولي :
إذا وتروا مدوا إلى واتريهم أكفا عن الأوتار منقبضات
قال : فبكى حتى أغمى عليه ، وأومى إليّ خادمٌ على رأسه أن اسكت فسكت فمكثت ساعة ثم قال : أعد ، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا الموضع أيضاً فأصابه مثل الذي أصابه في المرة الأولى وأومى الخادم إليّ أن اسكت فسكت ، ثم مكثت ساعة أخرى ثم قال لي : أعد فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها فقال : أحسنت ثلاث مرات ، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضربت باسمه ولم يكن وقعت إلى أحد بعد ، ثم أمر لي من في منزله بحلّي كثير أخرجته الخادم فقدمت العراق فبعت كل درهم منها بعشرة اشترتها مني الشيعة ، فحصلت لي مائة ألف درهم وكان أول مال اعتقدته .

وروى الشيخ أبو الفرج أن ابن مهروية قال : وحدثني حذيفة بن أحمد أن دعبلاً قال له : استوهب من الرضى ثوباً قد لبسه ليجعله في أكفانه ، فخلع جبّة

كانت عليه فأعطاه إياها، وبلغ أهل قم خبره فسألوه أن يبيعهم إياها بثلاثين ألف درهم فلم يفعل، فخرجوا عليه في طريقه فأخذوها غصباً وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال فافعل، وإلا فأنت أعلم، فقال: إني والله لا أعطيكم إياها طوعاً ولا تنفعكم غصباً، وأشكوكم إلى الرضى عليه السلام، فصالحوه على أن يعطوه الثلاثين الألف وفردكم من بطانتها فرضي بذلك . والقصيدة هي هذه :

ومنزل وحي مقفر العرصات	مَسْدَارِسُ آيَاتِ خَلَّتْ مِنْ تِلَاوَةِ
وبالركن والتعريف والجمرات	لآلِ رَسُولِ اللَّهِ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنِي
وحمزة والسجّاد ذي الثغفات	دِيَارِ عَلِيٍّ وَالْحُسَيْنِ وَجَعْفَرِ
ولم تعف لأيام والسنوات	دِيَارِ عَفْصَاهَا جُورِ كُلِّ مَنَابِذِ
متى عهدتها بالصوم والصلوات	قَفَا نَسَأَلُ الدَّارَ الَّتِي خَفَّ أَهْلُهَا
أفانين بالأطراف منقبضات ^(١)	وَأَيْنَ الْآلِي شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى
وهم خير قادات وخير حماة	هَمَّ أَهْلُ مِيرَاثِ النَّبِيِّ إِذَا اعْتَزَلُوا
ومضطغفن ذو إحنة وتراكت	وَمَا النَّاسُ إِلَّا حَاسِدٌ وَمَكْذِبٌ
ويوم حنين أسبلوا العنبرات	إِذَا ذَكَرُوا قَتْلَى بَيْدَرٍ وَخَيْبِرِ
قلوباً على الأحقاد منظويات	قَدْ لَازِنُوهُ فِي الْمَقَالِ وَأَضْمَرُوا
وأخسرى بفتح نالها صلواتي	قُبُوراً بِكَوْفَانٍ وَأَخْرَى بِطَيْبَةِ
وقبراً بيا خمراً لدى الغربات	وَقَبِيراً بِأَرْضِ الْجُوزْجَانِ تُجَلُّهُ ^(٢)
تضمّنها الرحمن بالغرفات	وَقَبِيراً بِبَغْدَادٍ لِنَفْسِ زَكِيَّةِ
تردد بين الصدر والجنحات	وَقَبِيراً بِطُوسٍ يَالِهَا مِنْ مَصِيبَةِ
مبالغها متي بكنه صفات	فَأَمَّا الْمَصْمَاتُ الَّتِي لَسْتُ بِالْغَا

(١) بالآفاق .

(٢) في (ب) : محله .

يفرج عنها الهمة والكربات
 معرستهم فيها بشط فرات
 معرستهم بالجزع من نخلات
 لهم عقوة مغشية الجمرات
 مبدى الدهر أنضاء من الأزمان
 من الضبع والعقبان والرخمات
 لهم في نواحي الأرض مختلفات
 مغاوير يجتازون في السروات
 فلم تصطليهم جمرة الجمرات
 تضيء من الأستار في الظلمات
 مساعر جمر الموت والغمرات
 وجبريل والفرقان ذي السورات
 سمية من نوكي ومن قدرات
 أودأي ما عاشوا وأهل ثقاتي
 على كل حال خيرة الخيرات
 وزد حبهم يا رب في حسناتي
 لفك عنات أو لحمل ديات
 فأطلقتم منهن بالذريات
 وأهجر فيكم زوجتي وبناتي
 عنيف لأهل الحق غير موات
 وإني لأرجوا الأمن بعد وفاتي
 أروح وأغدو دائم الحسرات

إلى الحشر حتى يبعث الله قائما
 نفوسا لدى النهرين من بطن كربلا
 أخاف بأن أزدارهم فيشوقني
 تقسمهم ريب المنون كما ترى
 سوى أن منهم بالمدينة عصابة
 قليلة زوار خلا بعض زور
 لها كل حين نومة لمضاجع
 وقد كان منهم بالحجاز وأرضها
 تنكب لأواء السنين جوارهم
 حمى لم تضره المنذبات وأوجه
 إذا أوردوا خيلاً تشمس بالقنى
 وإن فخروا يوماً أتوا بمحمد
 أولئك لا شيخ هند وتربها
 ملامك في آل النبي فإنهم
 تخيرتهم رشداً لأمرى لأنهم
 فيارب زدني في يقيني بصيرة
 بنفسي أنتم من كهول وفتية
 وللخيل لما قيّد الموت خطوها
 أحب قصي الرحم من أجل حبكم
 وأكتم حبيكم مخافة كاشح
 لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها
 ألم تر أنني منذ ثلاثين حجة

أرى فيهم في غيرهم متقسمًا
فأل رسول الله نحف جسومهم
بنات زياد في القصور مصونة
إذا وتروا مدوا إلى واتريهم
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غد
خروج إمام لا محالة خارج
يميز فينا كل حق وباطل
سأقصر نفسي جاهداً عن جدالهم
فيا نفس طيبي ، ثم يا نفس أبشري
فإن قرب الرحمن من تلك مدتي
شفيت وكلم أترك لنفسي رزية
أحاول نقل الشم عن مستقرها
فمن عارف لم ينتفع ومعاند
إذا قلت عدلاً أنكروه كمنكر
قصاراي منهم أن أموت بغصة
كأنك بالأضلاع قد ضاق رحبها

وأيديهم من فيهم صفرات
وآل زياد جفّر القصرات
وآل رسول الله في الفلوات
أكفا عن الأوتار منقبضات
تقطع قلبي إثرهم حسرات
يقوم على اسم الله والبركات
ويجزى على النعماء والنقمات
كفّاني ما ألقى من العبرات
فغير بعيد كل ما هوأت
وأخر من عمري لطول حياتي
ورويت منهم منصلي وقناتي
وأسمع أحجار من الصلداات
يميل مع الأهواء والشبهوات
فغطوا على التحقيق بالشبهات
تردد بين الصدر واللّهوات
لما ضمنت من شدة الزفّرات^(١)

وحكى الشيخ أبو الفرج في الأغاني : أن دعبلأ كتب هذه القصيدة فيما
يقال في ثوب وأحرم فيه ، وأمر بأن تكون بين أكفانه . وقال الشيخ أبو الفرج رحمه
الله تعالى : أخبرني أحمد بن عبدالله بن عمار ومحمد بن أحمد الحليمي^(٢) قالوا :
حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال : حدثني أنس بن عبدالله النبھاني قال : حدثني

(١) ديوان دعبل الخزاعي ١٣١-١٤٥ . (وفيه زيادة ونقص واختلاف في الروايات).

(٢) في (ب) : الحكيمي .

علي بن المنذر قال : حدثني عبدالله بن سفيان الأشقري قال : حدثني دعبل بن علي ، قال : لما هربت من الخليفة بت ليلة بنيسابور وحدي وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبدالله بن طاهر في تلك الليلة ، فإني في ذلك إذ سمعت - والباب مردود - السلام عليك ورحمة الله . . أجز رحمتك الله؟ فاقشعر بدني من ذلك ، ونالني أمر عظيم ، فقال لي : لا ترع عافاك الله فإني من إخوانك الجن ، ثم من ساكني اليمن طراً إلينا طار من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك :

مستارسُ آيات خلّت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات
فأحببت أن أسمعها منك قال : فأنشدته إياها فبكي حتى خر ، ثم قال :
رحمتك الله ألا أحدثك حديثاً يزيد في بينتك ويعينك على التمسك بمذهبك؟
قلت : بلى ، قال : مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمد عليه السلام فصرت إلى
المدينة فسمعتة يقول : حدثني أبي عن أبيه عن جدّه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال :
«عليّ وشيعته هم الفائزون»^(١) ثم ودّعني لينصرف ، فقلت له : يرحمك الله إن
رأيت أن تخبرني باسمك ، قال : ضبيان بن عامر .

وكان منصور النمري من شعراء هارون الرشيد وكان ينافق الرشيد ويذكر
هارون في شعره وهو يريد علياً عليه السلام لقول النبي صلى الله عليه وآله : «أنت مني بمنزلة
هارون من موسى»^(٢) حتى وشى به بعض أعدائه إلى الرشيد ، وأنشد قصيدته
«شَاء من الناس رآع هامل» ، وقد تقدّمت حتى وصل إلى قوله :

(١) ذكره الشوكاني في فتح القدير في تفسير قوله تعالى : «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية» ، أخرجه ابن عساكر عن جابر عبدالله قال : «لنا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل عليّ ، فقال النبي صلى الله عليه وآله : والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» فتح القدير ٤٧٧/٥ .
(٢) أخرجه الإمام عبدالله بن حمزة في الشافعي ٦١/٢ ، وأمالي أبو طالب ٥٠ والمرشد بالله ١/١٣٤ ، والبخاري ١٦٠٢/٤ برقم ٤١٥٤ ومسلم ١٨٧٠ برقم ٢٤٠٤ والترمذي ٥٩٩/٥ برقم ٣٧٣٠ و٣٧٣١ ، وأحمد في مسنده ٣٧٩/١ برقم ١٥٤ .

ألا مصاليتَ يغضبون لهم بسلة الببيض والقنا الذابل
فأمر بعضهم أن يأتيه برأسه فوصل وقد مات، وروي أنه قال: لقد هممت
أن أنبشه. وله أشعار كثيرة في أهل البيت عليهم السلام منها قوله:
آل الرسول خيارُ الناس كلهم وخير آل رسول الله هارونُ
رضيتُ حكمك لا أبغي به بدلاً لأنَّ حكمك بالتوفيق مقرون
وقال علي بن العباس الرومي - وهو موالي المعتصم - يرثي السيد الإمام
الفاضل يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن
أبي طالب عليهم السلام، وكان قد قتله بنو العباس فذكر طرفاً من مثالبهم
ومناقب أهل البيت عليهم السلام وهي:

أمامك فانظر أيَّ نهجيك تنهج؟ طريقان شتى: مستقيمٌ وأعوجُ
ألا أيُّ هذا الناس: طال ضريركم بآل رسول الله فآخشوا أو ارتجوا
أفي كلِّ يومٍ للنبي محمد فتيلٌ زكيٌّ بالدماء مضرِّجُ
تبيعون فيه الدين شرّاًئمةً فله دين الله قد كاد يمرجُ
لقد ألحجوكم في حبائل فتنةٍ وللملحجوكم في الحبائل ألحجُ
بني المصطفى كم يأكل الناس شلوكم لبلواكم عما قليل مفرجُ
أما فيهم راع لحق نبيه ولا خائفٌ من ربه متسحرجُ؟
لقد عمهوا ما أنزل الله فيكم كأن كتاب الله فيهم مجمعُ!
لقد خاب من أنساه منكم نصيبه متاعٌ من الدنيا قليل وزبرجُ
أبعد المكنى بالحسين شهيدكم تضيئ مصابيح الظلام فتسرجُ
لنا وعلينا لا عليه ولا له تُسحسحُ أسراب الدموع وتنشجُ
وكيف نبكي فائزاً عند ربه له في جنان الخلد عيشٌ مخرفجُ^(١)

(١) المخرفج: الواسع.

فإن لا يكن حياً لدينا فإنه
وقد نال في الدنيا سناء وهيبة
شوى ما أصابت أسهم الدهر بعده
وكنّا نرجّيه لكشف عماية
فساهمنا ذو العرش في ابن نبيه
مضى ومضى الفُرّاط من أهل بيته
فأصبحت لا هم أبسووني بذكره
ولا هو أنساني أساي عليهم
أبيت إذا نام الخلي كأنما
أحيى العلا لهفي لذكراك لهفة
أحين تراءتك العيون جلاءها
بنفسي وإن فات الفداء بك الردى
لمن تستجد الأرض بعدك زينة
سلامٌ وريحانٌ وروحٌ ورحمةٌ
ولا برح القاع الذي أنت جاره
ويا أسفاً أن لاتردّ تحسّية
ألا إنما ناح الحمائم بعدما
أذم إليك العين إن دموعها
وأحمدها لو كفكفت عن غروبها

لدى الله حي في الجنان مزوج
وقام مقاماً لم يقمه مزج^(١)
هوى ما هوى أو مات بالرمل بخرج
بأمثاله أمثالهها تتبلج
ففاز به والله أعلى وأفلج
يؤم بهم ورد المنية منهج
كما قال قبلي في السنين مؤرّج^(٢)
بلى هاجه، والشجو للشجو أهيج
تبطن أجفاني سيال وعوسج
يباشر مكواها الفؤاد فينضج
واقضاءها ظلت مرائك تُنسج
محاسنك اللائي تمح قُتْنهج
فتصبح في أثوابها تتبرج
عليك وممدود من الظل سجسج
يرف عليه الأقحوان المفلج
سوى أرج من طيب رمسك يارج^(٣)
ثويت، وكانت قبل ذاك تهزج
تداعي لنار الشوق حين توهج^(٤)
عليك وخلت لا عج الحزن يلعج

(١) المزج : الناقص المروءة .

(٢) المؤرّج : الذي يلقي العداوة بين القوم . القاموس ص ٢٢٩ .

(٣) الرمس : القبر .

(٤) في الديوان «تداعي بنار الحزن حين توهج» .

وليس البكا أن تسفح العين إنما
أتمتعني^(١) عيني عليك بعبرة
فإني إلى أن يدفن القلب داءه
عقَاء على دار ظعنن لغيرها
ألا أيها المستبشرون بموته
أكلكم أمسى اطمأن مهاده
فلا تشمتوا وليخس المرء منكم
فلو شهد الهيجا بقلب أبيكم
لأعطى يد العاني أو ارمد هارباً
ولكنه ما زال يغشى بنحره
وحاشاله من تلكم غسير أنه
وأين به عن ذلك؟ لا أين إنه
كدأب علي في المواطن قبله
كأني به كالليث يحمي عرينه
كأني أراه والرماح تنوشه
كأني أراه إذ هوى عن جواده
فحب به جسماً إلى الأرض إذ هوى
أردبتم يحي ولم يطو أبطل
تأنت لكم فيه مني سوء هيئة^(٣)

أحمر البكائين البكاء المولج
وأنت لأذيال الروامس مدرج
ليقتلني الداء الدفين لأحوج
فليس بها للصالحين معرج
أظلت عليكم غمة لا تفرج
بأن رسول الله في القبر مزعج
بوجه كأن اللون منه اليرندج
غداة التقى الجمعان والخيل تمعج^(٢)
كما ارمد بالقاع الظليم المهيج
شبا الحرب حتى قال ذو الجهل: أهوج
أبي خطة الأمر الذي هو أسمح
إليه بعرقيه الزكيين يخرج
أبي حسن، والغصن من حيث يخرج
وأشباله لا يزدهيه المهجج
شوارع كالأشطان تدلى وتخليج
وعقر بالترب الجبين المشجج
وحب بها روحاً إلى الله تعرج
طراداً ولم يدبر من الخيل منسج
وذاك لكم بالغني أغرى وألهج

(١) في (ب): أتمعي .

(٢) تمعج : تسرع في السير .

(٣) في النسخ : تأنت لكم فيه من سوء هيئة .

تمدّون في طفيانكم وضلالكم
 أجيّبوا بني اللخنا^(١) عن شنانكم
 وخلّوا ولاة السوء عنكم وغيّهم
 نذار لكم أن يرجع الحقّ راجعٌ
 على حين لا عدّرى لمعتدريكم
 فلا تأمنوا الآن الضغائن بينكم
 غررتم إذا صدقتم أن حالة
 لعلّ لهم في منطوي الأرض تائراً
 بمجر تضيق الأرض عن زفراته
 إذا شيم بالأبصار أبرق بيضه
 توامضه شمس الضحى وكأنما
 له وقدة بين السماء وبينه
 إذا كُرّ في أعراضه الطرفُ أعرضت
 يؤيده ركنان بنيان رجله
 عليها رجال كالليوث بسالة
 تدانوا فما للنقع فيهم خصاصة
 فلو حصبتهم بالفضاء سحابة
 كأن الزجاج اللّهزميات فيهم
 يودّ الذي لا قوه أن سلاحه
 ويستدرج المغرور منكم فيدرجُ
 وشدوا على ما في العياب وأشرجوا
 فأخربهم أن يفرقوا حيث لحجوا
 إلى أهله يوماً فتشجوا كما شجوا
 ولا لكم من حجة الله مخرجُ
 وبينهم إن اللواقح تُنتجُ
 تدوم لكم والدهر لونان أخرجُ
 سيسمو لكم والصبح في الليل مولجُ
 له زجلٌ ينفي الوحوش وهزّمجُ
 بوارق لا يستطيعها المسحجُ
 ترى النخل^(٢) في أعراضه تتموجُ
 تلمُّ بها الطير العوافي فتُهرجُ
 بحار تحار العين فيها فتخرجُ
 وخيل كإرسال الجداد وأرّج^(٣)
 بأمثالهم يُثنى الأبى فيفنجُ
 تنفّسه عن خيلهم حين ترهجُ
 لظلت على هاماتهم تتدحرجُ
 فتسيل بأطراف الرديني تُسرجُ
 هنالك خلخال عليه ودملجُ

(١) في الديوان أجنوا بني العباس .

(٢) في الديوان : البحر .

(٣) في نسخة : وأزليج .

ويظعن خوف السبي بعد إقامة
فيذكر ثار الله أنصار دينه
ويقضي إمام الحق فيهم قضاءه
وقد كان في يحيى مذمراً خطة
هنالكم يشقى البغي ببغيه
محضتكم نصحي وإني بعدها
صه لا تها دوا عرة البغي بينكم
أفي الحق أن يسوا خماصاً وأنتم
تمشون مختالين في حجراتكم
وليدهم بادي الضوى ووليدكم
تذودونهم عن حوضهم بسلاحهم
فقد أجمتهم خيفة القتل منكم
بنفسي الألى كظتكم حشراتكم
ولم تقنعوا حتى استثارت قبورهم
وعيرتموهم بالسواد ولم يزل
ولكنكم زرق يزين وجوهكم
إذا لم تكن بالهاشميين عاهة
بآية ألا يبرح المرء منكم
يبيت إذا الصهباء روت مشاشه
فيطعنه في سببة السوء طعنة

ظعائن لم يضرب عليهن هودج
ولله أوس آخرون وخزرج
تماماً وما كل الحوامل تُخدج
ونائجها لو كان في الأمر منتج
إذا ظلت الأوداج بالسيف تودج
لأعنق فيما ساءكم وأهملج
كما يتهادى شعلة النار عرفج
يكاد أخوكم بطنة يتبعج
نقال الخطأ أكفالكم تترجرج
من الريف ريان العظام خدلج
وترتع فسيه أرتبيل وأبلج
وفي القوم حاج في الحيازم أحوج
فقد علزوا قبل الممات وحشرجوا
كلا بكم منها بهيم وديزج
من العرب الأمحاض أخضر أديج
- بني الروم - ألوان من الروم نعلج
لما أصلكم - تالله - إلا المعلج
يتل على حر الجبين فيعفج^(١)
يُشاوره علج من الروم أعلج^(٢)
يقوم لها من تحته وهو أفحج

(١) يعفج : يضرب بالعصا في ظهره ورأسه .

(٢) أعلج : الرجل الشديد الغليظ .

لذلك بني العباس يصبر مثلكم
فهل عاهة إلا كهذي وإنكم
فلا تجلسوا وسط المجالس حُسرًا
أبي الله إلا أن يطيبوا وتخبثوا
وإن كنتم منهم وكان أبوهم
أروني امرأ منهم يُزَنُّ بابنة
لعمرى لقد أغرى القلوب ابن طاهر
سعى لكم مسعاة سوء ذميمة
فلن تعدموا ما حنت النيب فتنة
وقد بدأت لو تزجرون بريحها
بني مصعب: ما للنبي وأهله
دماء بني عبّاسهم وعليهم
يلي سفكها العوران والعرج منكم
وما بكم أن تنصروا أولياءكم
ولو أمكنتكم في الفريقين فرصة
إذا لا ستقدم منهم وتر فارس
أبي أن تحبّوهم مدى الدهر ذكركم
وإني على الإسلام منكم لخائف
وللحزم أن يستدرّك الناس أمركم
نظار فإن الله طالب وتره

ويصبر للموت الكمي المدجج
لأكذب مسؤول عن الحق ينهج
ولا تركبوا إلا ركائب تحدج
وأن يسبقوا بالصالحات وتفلجوا
أباكم فإن الصّفو بالزّنق يمزج
فلا تنطقوا البهتان فالحق أبلج
ببغضائكم ما دامت الريح تنأج
سعى مثلها مستكره الرّجل أعرج
تُحشُّ كما حش الحريق المعرفج
نوائحها من كل أوب تبوج^(١)
عدو سواكم أفصحوا أو فجلجوا
لكم كدماء الترك والروم يهريج
وغوغاؤكم جهلا بذلك تبهج^(٢)
وتلك هنات في القلوب تنجنج
لقد ظهرت أشياء تلوى وتخلج
وإن ولياكم بالوشائج أو شج
ليالي لا ينفك منكم متوج
بوائق شرّ بابها الآن مرج
وحبلهم مستحکم العقد مدمج
بني مصعب، لن يسبق الله مدلج

(١) بوج: صبح ، وتبوج البرق: إذا برق ولمع وتكشف.

(٢) في (ب): ينهج.

لعلّ قلوباً قد أطلتم غليلها ستظفر منكم بالشفاء فتُثلج^(١)
وللقاضي التنوخي أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم، وكان عبد الله
ابن المعتز قد قال قصائد كثيرة على قواف وأوزان مختلفة يذكر فيها الطالبين
ويطعن عليهم ويصف ما كان من القرامطة، وكان ابن المنجم وغيره قد عارضوه
على أوزان قصائده إلا قصيدة له أولها:

أبي الله إلا ما ترون فمالكم غضاباً على الأقدار يا آل طالب
فإنه لم يعارض علي وزن قصيدته هذه، فاحتسب علي بن محمد التنوخي
الردّ عليه بمثل قصيدته ناقضاً عليه فيما قاله ونصر الطالبين وأقام لهم الحجج
والبراهين في إبطال ما ذكره بن المعتز، وجعلها على لسان بعض الطالبين، فقال:

من ابن رسول الله وابن وصيه إلى مدغل في عقدة الدين ناصب
نشأ بين طنبور ورق ومزهر وفي حجر شاد أو على صدر ضارب
ومن ظهر سكران إلى بطن قينة على سبّة في ملكها وشوائب
يعيبُ علياً خير من وطئ الخصى وأكرم سار في الأنام وسارب
ويزري على السبطين سبطي محمد فقل في حضيض رام نيل الكواكب
وينسبُ أفعال القرامط كاذباً إلى عترة الهادي الكرام الأطايب
إلى معشر لا يسرح الذم بينهم ولا تزدرى أعراضهم بالمعائب
إذا ما انتدوا كانوا شמוש نديهم وإن ركبوا كانوا بدور الركائب
وإن سُئلوا سحّت سماء أكفهم فأحيوا بميت المال ميت المطالب
وإن عبسوا يوم الوغى ضحك الردي وإن ضحكوا بكوا عيون النوائب
نشأوا بين جبريل وبين محمد وبين علي خير ماش وراكب
وصي النبي المصطفى وصفيه ومشبهه في شيمة وضرائب

(١) ديوان ابن الرومي ٢/ ٢٣-٣٠.

ومن قال في يوم الغدير محمدٌ
 أما أنا أولى منكمُ بنفوسكم
 فقال لهم: من كنت مولاه منكمُ
 أطيعوه طرّاً فهو مني بمنزلة
 وقولوا له إن كنت من آل هاشمٍ
 وإنك إذ خوّفتنا منك كالذي
 وقلت: بنو حرب كسوكم عمائماً
 صدقت منا يانا السيوف وإنما
 أبونا القنا والمشرفية أمنا
 وما للغواني والوعى فتعوذوا
 وقتلتم قتلنا عبد شمس فملكهم
 فيا عجباً من خارب ظل يدعى
 هو السلبُ المفصوب لا تملكونه
 أنفـال جـدينا تحوزون دوننا
 وهل لطلاق شركة مع مهاجر
 أخو المرء دون العم يحوي تراثه
 وأولاده في محكم الذكر فاقروا
 وجئتم مع الأولاد تبغون إرثه
 ويوم حنين قال: حزننا فخاره
 وهل واقف في حومة الحرب حائراً
 وما شهد الهيجاء من كان حاضراً
 فهلاً كما لاقى الوصي مصمماً

وقد خاف من غدر العداة النواصب
 فقالوا: بلى، قول المريب الموارب
 فهذا أخي مولاه بعدي وصاحبي
 كهارون من موسى الكلبي المخاطب
 فما كل نجم في السماء بشاقب
 يخوف أسداً بالظباء الرئائب
 من الضرب في الهامات حمر الذوائب
 تموتون فوق الفرش مثل الكواعب
 وإخوتنا جرد المذاكي الشواذب
 بقرع المثاني من قراع الكتائب
 لنا سلب هل قاتل غير سالب
 سواريث خير الناس ملكاً لخارب
 وهل سالب للغصب إلا كفاصب
 بزعمكم الأنفال يا للعجائب
 فلا تشبوا في الدين وثب الموائب
 إذا قُسم الميراث بين الأقارب
 أحق وأولى من أخيه المناسب
 فأبعد بمحجوب لحاجب حاجب
 ولو كان يدري عهداً في المثالب
 وإن كان وسط الصف إلا كهارب
 إذا لم يطاعن قرنه ويضارب
 يعصب بالهندي كبش العصائب

وقلت : أبونا والدُ مُحَمَّدٌ
 فلا تنس بالعَبَّاسِ كان وجدنا
 وأدناهما من كان بالسيفِ دونه
 وشَتَّان من آوى وآسى بنفسه
 أبونا يقييه جاهداً وأبوكم
 فنحنُ بنو عمِّ لنا فوق مالكم
 وعبت عليا في الحكومة بينه
 فقد حَكَّم المبعوث يوم قريظة
 وعبت بعمِّينا أبانا سفاهةً
 ومثل علي من عقيل وطالب
 ونحنُ أسرنا عمِّنا وأباكم
 ونحنُ حقناً بالفداء دماءكم
 وقلت : أضعتم ثأر زيد وكنتم
 أما ثأر فيه الطالبِي ابنُ جعفرِ
 وأمطر في حي وفي أرض فارسِ
 إلى أن رمته عاريات دعائكم
 وقلت : نهضنا ثأرين شعارنا
 فبما ذاك من حبِّ لزيد وآله
 دعوتم إلينا عالمين بأنكم
 فهلاً بإبراهيم كان شعاركم
 بنا نلتُم ما نلتُم من إمارة
 وكم مثل زيد قد أبادت سيوفكم

فأنتم بنوه دوننا في المراتب
 أبو طالب مثلين عند التناسب
 يفلُّ شِباً سيف العدو المناصب
 ومزدلف بغزوه بين المقاتب
 يجاهدُه بالمرهفات القواضب
 ونحنُ بنوه دونكم في المناسب
 وبين ابن حرب والطفاة الأشايب
 ولا عيب في قول الرسول لعائب
 وكم لك من عمِّ عن الدين ناكب
 أبو لهب من جدكم في التقارب
 فباتا بليل مكفهر الجوانب
 فلا تجحدونا حق تلك المواهب
 كسالى فكاذب لا تُجب كل كاذب
 فدكدك ركن الملك من كل جانب
 سحائب موت ما طراً كالسحائب
 بسهم اغتيال نافذ النصل صائب
 بشارت زيد الخير عند التجارب
 ولكنها تشغيبه من مشاغب
 مكان الذنابي من ذرى وماكب
 فيرجع داعيكم بخلة خائب
 فلا تظلموا فالظلم مر العواقب
 بلا سبب غير الظنون الكواذب

نجوم هدى تجلوا ظلام الغياهب
 كرتتكم عند اصطفاق المضارب
 بكل رقيق الحد أبيض قاضب
 قرأئن أرحام لنا وأقارب
 بكاسات ثكل لا تطيب لشارب
 بكل محاد للاله محارب
 لعدده من فادحات المصائب
 مترية الهامات حمر الترائب
 وتكفها أيدي الصبا والحنائب
 تهاداهم بالقاع بقع النواعب
 ويا لأسود صرعت بشعالب
 نجوم تقى مثل النجوم الثواقب
 تؤد ذرى شم الجبال الرواسب
 بني عمنا والصلح رغب لراغب
 شوارب من هاماتكم والشوارب
 وكان بمال الله أول ذاهب
 عذابا إذا يوردن حضر الجوانب
 أسودا علينا داميات المخالب
 وعم علي صنوه في المناسب
 إلى معشري الأذنى ديب العقارب
 فليس جناة الذنب مثل المعاقب
 وسب رماد بالصفاء والأخاشب
 له قد هجانا مشركوا آل غالب

أما حمل المنصور من أرض يشرب
 لهم عند ذكر الله في الليل رنة
 يتوجههم ظلما إذا أظلم الدجى
 وقطعتهم بالبغى يوم محمد
 وجرعتم تحت التراب نبيكم
 قفوتهم يزيدا في انتهاك حريمه
 تعدونه فتحا ولو كان أحمد
 وفي أرض باخمرا مصاييح قد ثوت
 يغسلها هامى السحاب إذا همى
 وغادر هاديكم بفتح طوائفا
 فيا سيوف قللت بمعامد
 وهارونكم أردى بغير جريرة
 ومأمونكم سم الرضى بعد بيعة
 فهل بعد هذا في البقية بيننا
 كذبتهم وبيت الله أو تصدر الظبي
 وكينا فولينا أباكم فخاننا
 وكنا لكم في كل حال مناها
 فلما ملكتم كنتم بعد ذلة
 فقل لبني العباس عم محمد
 عزيز علي أن تدب عقاربي
 ولكن بدأت فانتصرتم فأقصروا
 وليس سوءا سب سيده النساء
 وقد قال أصحاب النبي محمد

فقال لهم قولوا لهم مثل قولهم فما مبتد للهجو مثل مجابوب
فهذا جوابٌ للذي قال مالكم غضاباً على الأقدار يا آل طالب
والاشتغال بهذا الشأن يخرجنا إلى ميدان رحيب؛ لأن الذين مدحوا العترة
عليهم السلام أكثر من أن يُعدوا في هذا المقام فضلاً عن إحصاء ما قالوه من المديح
والنظام.

والعجبُ كلُّ العجبِ عن عرض عن إمامتهم، ولم يرتض بزعامتهم،
ثمَّ عمد إلى الجهلة الطغام، من جفاة الأنام، الذين شربوا من الجهل ملحاً أجاجاً،
وأطفأوا من العلم سراجاً وهاجاً من بني أمية وبني العباس، الذين اشتهروا
بارتكاب الجرائم، ومقارفة العظائم، وعزفت عليهم القينات، وأدنوا المغنيين
والمغنيات، وتركوا الصلوات، وناموا عن العتبات، وشربوا القهوات، واتخذوا
بطانتهم أرباب المنكرات، وظهر تفاضلهم في اختيار نغمات الألمان.

فأين هؤلاء من أئمة الزيدية الذين تنزهوا عن العصيان، وأعلنوا منار
الإيمان، إذا جنَّهم الليل فرهبان يترنمون بالقرآن، ويستنبطون غرائب،
ويستخرجون عجائب، وإذا تلاقت الأبطال، وتداعت نزال، وكشفت الحرب عن
ساقها، ومدت بأرواقها، أحسنوا في الله الجناد، وقاموا بحق الجهاد، تسيل
نفوسهم على شفار السيوف، ويستهنون خوض بحار الختوف، طلباً بثأر الدين
والإسلام من ذوي المروق والإجرام، أفيرضى عاقل لبيب، أو رشيد أريب أن
يطرح طاعتهم ويرفض إمامتهم لإمامة بني العباس! الذين شُهِروا بالشراب،
واختيار أنواع الغنا على معاني الكتاب، ومن نظر في آثارهم القبيحة علم صحة ما
قلناه فإنَّ مثالبهم تحكي مناقب العترة عليهم السلام في الظهور، وإن شئت طالعت
الأغاني وما أودع لهم من الفضائح، وكذلك تاريخ الطبري وما حكى لهم من

القبائح أليس حكى في تاريخ الطبري^(١) وهو مسموعٌ لنا بالإسناد إلى مُحَمَّد بن جرير: أن الأمين لما نزلت به الجنود من عقبة حلوان جاء إليه الخبر فقال له: يا مولاي هذا طاهر بن الحسين قد نزل من عقبة حلوان في الجيوش، فلم يلتفت إليه فلما أَلحَّ عليه انتهره وقال: كوثر قد صاد سمكتين وأنا ما صدت شيئا، ولما حُصر في بغداد وضُوق إلى مدينة المهدي صارت حجار المجانيق تقع في شقِّ بساطه وهو يختار الجواري للغنا فغنته جاريةٌ فأخطأت في غنائها فشمها بالقذف، وقال: تغنييني الخطأ خذوها، فكان آخر العهد بها، وما أفاق من الخمر حتى الليلة التي قُتلَ فيها، وأبو نواس الممازح له في الخمر لما أحلَّها له فقال:

هَذِهِ الْمَمْنُوعُ مِنْهَا وَأَنَا الْمَحْتَجُّ عَنْهَا
مَا لَهَا تَحْرِمُ فِي الدِّ نِيَا وَفِي الْجَنَّةِ مِنْهَا
فاستدلَّ على إباحتها في الدنيا بإباحتها في الآخرة، وهذا هو الكفر المبين عند جميع المسلمين، فأين هذا ممن لا يعرف خمرًا بالمشاهدة إلا عند إراقتها كما قال الإمام المنصور بالله عليه السلام في كلمة له:

لَا أَعْرِفُ الْخَمْرَ إِلَّا حِينَ أُهْرَقُهَا وَلَا الْفَوَاحِشَ إِلَّا حِينَ أَنْفِيهَا
أَنَا ابْنُ مَنْ نَسَجَتْ آيَ الْكِتَابِ لَهُ مَلَأَةً غَمَّرَتْ جِسْمِي حَوَاشِيهَا
واسمع إلى قصة المأمون وهو عندهم من العيون، وقد طلب من قاضيه يحيى بن أكتم ووزيره أحمد بن أبي داود الشراب فأبيا عليه، فقال:

إِنْ كُنْتُمْ لَا تَشْرَبَانِ مَعِيَ خَوْفَ الْمَعَادِ شَرِبْتُهَا وَحَدِي
فاعجب من إمام المسلمين عند الجهلة العيون كيف يأمر وزيره وقاضيه وهما اللذان يدور عليهما التدبير في باب الدين والدنيا بالشراب رافضاً أي الكتاب:

﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

(١) أنظر: خبر طاهر بن الحسين ٩/٤٧٦، ٤٧٧.

فَاجْتَنِبُوهُ ﴿ [المائدة: ٩٠] جمع تعالى بين الخمر وهذه القبائح فاقتضى ذلك قبحها، وأخبر بأنها رجس والرجس هو النجس، وقد قال تعالى: ﴿ وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ [المدثر: ٥]، وحكم رسول الله ﷺ في هجران الرجس حكم غيره، وأخبر بأنها من عمل الشيطان فأمر باجتنابه، وقد قال ﷺ: « لعن الله الخمر وشاربها وساقبها وبائعها ومبتاعها وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه »^(١) فكيف ترى حكم هذا الإمام؟ يا من تعرف حرمة الإسلام وتعقل سنة المصطفى ﷺ. وأين هذا ممن إذا عرف من أحد شرب الخمر أنزل به حكم الله، وجلده الحد الذي شرعه رسول الله ﷺ، كما روي أن رجلاً شرب الخمر بصنعاء والإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام فيها فأراد إقامة الحد عليه، فسأله أن يسقط الحد على ثمانية آلاف دينار فامتنع من ذلك.

ومن وصية بني العباس إلى صاحب الدعوة بخراسان أن يقتل على التهمة من بلغ خمسة أشبار، ومن نطق بالعربية، فكان السفاح سفًا كما للدماء وإن حققتها العهود والمواثيق؛ لأنه كان لا يرقب عهداً، وسلك أخوه المنصور طريقته المضاللة المضللة، وزاد عليه في اجتهاده في حصد شجرة النبوة وزرع الوصية نحو عبدالله بن الحسن وإخوته وأولاده بدور الدجى وأقمار الهدى عليهم السلام، ونظر منهم إلى محمد بن إبراهيم بن الحسن عليهم السلام فقال: أنت الديباج الأصفر؟ فقال: نعم، قال: إذا والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحداً من أهل بيتك، ثم أمر باسطوانة ففرغت، ثم أدخل فيها فبنى عليه وهو حي، رواه ابن جرير الطبري^(٢).

(١) روي من حديث طويل . المستدرک علی الصحیحین ٤ / ١٦٠ رقم ٧٢٢٨ ، وسنن البيهقي ٥ / ٣٢٧ رقم ١٠٥٥٩ وسنن أبي داود ٣ / ٣٢٦ رقم ٣٦٧٤ ويلفظ لعنت الخمر عن عشرة أوجه . سنن ابن ماجه ٢ / ١٢١ رقم ٣٣٨٠ ومسنند أحمد بن حنبل ٢ / ٢٥ رقم ٤٧٨٧ .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٢٠٠ .

ولما أُخْرِجَ بنو الحسن عليهم السلام من المدينة أنشأ بعض الموالي لأهل البيت
عليهم السلام :

مَنْ لَنَفْسٍ كَثِيرَةَ الْإِشْفَاقِ وَلَعَيْنٍ كَثِيرَةَ الْإِطْرَاقِ
جَمَدَتْ لِلذِّي دَهَاها زَمَانًا ثَم جَادَتْ بِدَمْعِها المَهْرَاقِ
لِفِرَاقِ الَّذِينَ رَاحُوا إِلَى المَوْتِ تَ عَيَانًا وَالمَوْتِ مُرَّ المَذَاقِ
ثَم رَاحُوا يَسْلُمُونَ عَلِينَا بِأَكْفٍ مُشَدُودَةٍ بِالمَوثَاقِ
مَارَ أَيْنَا مِنَ البِيرِيَّةِ طُرًّا مِثْلَهُم لَو وَقَاهُم مِنَ المَوْتِ وَاقِ
كَرَمًا عَندَما أَلَمَّ وَصَبْرًا لَيْسَتْ المَقْرَفَاتُ مِثْلَ العَتَاقِ
فِيهِم سَيِّدُ البِيرِيَّةِ يَشْكُو طَوِيلَ حَبْسٍ وَعِضَ كَبَلٍ مِضَاقِ
مَسَحَتْ وَجْهَهُ قَرِيشٌ وَعَادَتْ بِمَفْدٍ مِبارِكٍ سَبَّاقِ

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى السيد أبي طالب يحيى بن الحسين عليه السلام يرفعه
بإسناده إلى محمد بن يحيى الصولي، قال : سمعت محمد بن القاسم أبا العيناء،
يقول وقد تذاكرنا ذهاب بصره قال : كان أبو جعفر يعني الدوانيقي دعا جدي
وكان في نهاية الثقة به والعقل عنده، فقال له : قد نديتكم لأمر عظيم عندي
موقعه، وأنت عندي كما قال أبو ذؤيب :

أَلْكُنِي^(١) إِلَيْهَا وَخَيْرَ الرِّسُولِ أَعْلَمُهُم بِنِوَا حِي الخَبَرِ
ثَم عَرَّفَهُ ما يَريدُ مِنْهُ وَأَطْلَقَ لَهُ ما لَما خَطِيرًا، وَقَالَ : كُل شَيءٍ تَريدُهُ بَعْدَ هَذا
فَخَذَهُ وَصَرَ إِلَى المَدِينَةِ فَافْتَحَ بِها دِكانَ عِطَّارٍ، وَأَظْهَرَ أَنَّكَ مِنَ خِراسانِ شِيعَةً
لِعَبْدِاللهِ بْنِ الحَسَنِ بْنِ الحَسَنِ، وَأَنْفَقَ عَلَى أسبابِهِ وَأَهدَى لَهُم وَلَهُ ما يَقرِّبُكَ مِنْهُمُ،
وَكَاتَبَنِي مَعَ ثِقَاتِكَ بِأَنفاسِهِمْ، وَتَعَرَّفَ لِي خَبرَ ابْنِيهِ مُحَمَّدٍ وَإِبراهِيمِ، فَمَضَى جَدِي
فَفَعَلَ ذَلكَ كُلَّهُ فَلَمَّا أَخَذَ أَبُو جَعْفَرِ عَبْدِاللهِ بْنِ الحَسَنِ وَإِخوتُهُ جَعَلَ يُوِيخُ عَبْدِاللهِ

(١) في الأمالي : أكلني .

على شيء من فعله وقوله ، ويأتيه بما ظنَّ عبد الله أنه ليس أحد يعلمه ، فقال
عبد الله لبعض ثقاته : من أين أتينا؟ قال : من جهة العطار ، قال : اللهم أبله في
نفسه وولده بما يكون نكالا وردعا لغيره وبلاء ليشهر به ، قال : فعمي جدي
وعمي بعده أبي وولده وأنا على الحال التي ترون وكذلك ولدي من دعاء عبد الله
ابن الحسن إلى يوم القيامة^(١) .

فانظر إلى هذا الاجتهاد العظيم من أبي الدوانيق وإعمال الحيل والكيد لأهل
البيت عليهم السلام ، ولو لم يكن من الأوزار التي ارتكبتها والآثام التي احتقبت بها إلا
قتل النفس الزكية مُحَمَّد بن عبد الله ﷺ في مدينة الرسول ﷺ التي حرم الله
عضد شجرها لكفاه وزرا عظيما ، وحويا كبيرا ؛ لأننا روينا بالإسناد الموثوق به إلى
السيد أبي طالب ﷺ يرفعه بإسناده إلى أبي صالح بن عبد الله بن عباس ، قال :
ينادي مناد يوم القيامة يا أهل الجمع غَضُّوا أبصاركم هذه فاطمة بنت مُحَمَّد
ﷺ وتخرج من قبرها ومعها ثياب تشخب بالدم حتى تنتهي إلى العرش وتقول
يا رب : انتصف لولدي ممن قتلهم^(٢) . وفي هذا أوفى كفاية في هلاك أبي
الدوانيق ، فكيف يجوز أن يكون إماما ، ثم هو القاتل لعمه عبد الله بن علي ولأبي
مسلم الذي وطد لهم قواعد الخلافة بعد العهود الأكيدة .

ثم موسى الملقب بالهادي ، وما كان عليه من الطرائق الكافية في الخروج عن
الإسلام من قتله أهل البيت عليهم السلام في حال الإحرام لكان كافيا في العار
ودخول النار ، والرشيد عقد الخلافة لولده مُحَمَّد وهو ابن خمس سنين ، ومعلوم
من الدين أن من كان بهذه الصفة لا ولاية له على نفسه وماله ، فكيف يجعله واليا
على المسلمين ، لولا الزيغ عن الدين . وفي ذلك يقول بعض شعرائهم :

(١) الأماالي ١١٧ .

(٢) الأماالي ص ٨٨ .

قد وَفَّقَ اللَّهُ الخليفة إذ بنى بيت الخلافة للهجان الأزهر
 فهو الخليفة عن أبيه وجدّه شهدا عَلَيْهِ بمنظر وبمخبر
 قد بايع الثقلان في مهد الهدى مُحَمَّد بن زبيدة ابنة جعفر
 فأين هذا من كلام الناصر للحق ﷺ لما قيل له - وقد حضرته الوفاة :
 يوصي إلى أولاده، فقال : لا أستجيز ذلك فيما بيني وبين الله لقصور رأه فيهم
 للقيام بمصالح الإسلام وإن كانوا لا يدنون من أئمة بني العباس ، وأين الأمر من
 الأمر . ثُمَّ أوصى إلى الداعي الحسن بن القاسم ﷺ بعد الهفوة التي كانت منه في
 حقه ﷺ ، ولم تمنعه تلك الإساءة من الإيضاء إليه لعلمه بأنه يقوم بأمور
 المسلمين .

وكان المأمون على أنه من عيونهم يشرب الخمر شرباً ظاهراً في الخاصة
 والعامّة ، فإن في الرواية عنه أنه دخل عَلَيْهِ طاهر بن الحسين وهو يشرب فسلم فردّ
 المأمون عَلَيْهِ وقال : اسقوه رطلاً فأخذه بيده اليماني ، ثُمَّ قال له : اجلس ، فخرج
 فشربه ثُمَّ عاد وقد شرب المأمون رطلاً ، فقال : اسقوه الثاني ، ففعل كفعله
 الأوّل ، ثُمَّ دخل فقال له المأمون : اجلس ، فقال : يا أمير المؤمنين ليس لصاحب
 الشرط أن يجلس بين يدي سيّده ، فقال : ذلك في مجلس العامة .

فأين هذا من أئمتنا عَلَيْهِم السلام الذين خلواتهم في العبادات ، ومتى اطلع
 بعض أصحابهم في عبادة حرج عَلَيْهِ في كتمانها ؛ لما وردت به الأثار الشريفة من
 مضاعفة الثواب على أعمال السرّ كما قدّمناه في قصة الهادي ﷺ ليلة وقف
 صاحبه على باب عبادته حتّى أصبح . وروي أن المأمون ركب بدمشق يريد جبل
 الثلج فمر ببركة عظيمة من برك بني أمية وعلى جانبها أربع سرادات فكان الماء
 يدخلها سحاً ويخرج منها ، فاستحسن الموضع ودعا برطلٍ وذكر بني أمية فوضع
 منهم وتنقصهم ، فأقبل علويةً على العود واندفع يغني :

أولئك قومي بعد عزٍّ ومنعة تفانوا فلولا أذرف العين أكمد
 فضرب المأمون الطعام برجله ووثب وقال لعلويه : يا ابن الفاعلة ، لم يكن
 لك وقت تذكر فيه مواليك إلا هذا الوقت ، ومعلوم أن هذا من صفات المتهتكين
 بالإجرام فكيف يوجد في أئمة أهل الإسلام ، وقد روينا عن النبي ﷺ أنه قال
 : « من شرب الخمر بعد أن حرّمها الله على لسان نبيه فليس له أن يزوّج إذا
 خطّب ، ولا يشفع إذا شفع ، ولا يصدّق إذا حدّث ، ولا يؤتمن على أمانة ، فإن
 أوتمن على أمانة فأكلها أو استهلكها فليس لصاحبها أن يأجره الله ولا يخلف
 عليه » ، فرسول الله ﷺ يقضي بأن شارب الخمر لا يؤتمن على أمانة ، والجهلة
 الطغام يقضون بأنه أمين على جميع أهل الإسلام ، وهو القاتل لعلي بن موسى بن
 جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن عقد له
 بالخلافة وجعله وليّ عهده ، وأمر بأن يكتب اسمه على الطراز والدّرهم ، وأن
 يخطب له فكان يذكره على المنبر وينسبه إلى آباءه عليهم السلام ثم يقول :

سنةُ آباء هم ما هم هم خير من يشرب صوب الغمام
 وفيه الأثر روينا بالإسناد الموثوق به إلى الحاكم الإمام شيخ الإسلام أبي
 سعد المحسن بن كرامة الجشمي البيهقي الزيدي رضي الله عنه رواه عن علي بن أبي
 طالب عليه السلام عن النبي ﷺ قال : « ستلقى بضعة مني بأرض خراسان لا يزورها
 مؤمنٌ إلا أوجب الله له الجنة وحرّم جسده على النار » . وروى أيضا عن
 علي عليه السلام عن النبي ﷺ قال : « ستدفن بضعة مني بخراسان ما زارها مكروبٌ إلا
 نفس الله كربته ، ولا مذنبٌ إلا غفر الله له ذنبه » . وقد نظم هذا المعنى بعضهم
 وكتبه على جدار المسجد^(١) فقال :

من سرّه أن يرى قبراً برؤيته يفرّج الله عمّن زاره كُربّه

(١) في (ب) : المشهد .

فليات ذا القبر إن الله أسكنه سلاله من رسول الله مُتَّجِبِهِ
ولما قيل لأبي نواس: لم لا تمدح علي بن موسى الرضى. أنشأ يقول:
قيل لي: أنت أوحده الناس في النظر سم وفي النشر والمقال البديه
فلماذا تركت مدح ابن موسى للخصال التي تجمَعُ فيه
قلت: لا اهتدي لمدح إمام كان جبريلُ خادماً لأبيه
أراد بقوله: كان جبريلُ خادماً لأبيه، ما روينا بإسناد موثوق إلى ابن
المغازلي في مناقب أهل البيت التي ألفها، رفعه بإسناده إلى أنس بن مالك قال:
قال رسول الله ﷺ لأبي بكر ولعمر: «امضيا إلى علي حتى يحدثكما ما
كان منه في ليلته وأنا على إثركما» قال أنس: فمضيا ومضيت معهما، فاستأذن
أبو بكر وعمر على علي عليه السلام؛ فخرج إليهما فقال: يا أبا بكر حدث شيء؟ قال:
لا وما حدث إلا خير، قال لي النبي ﷺ وقال: «امضيا إلى علي يحدثكما ما
كان منه في ليلته»، وجاء النبي ﷺ وقال: حدثهما ما كان منك في ليلتك،
فقال: أستحي يا رسول الله، قال: حدثهما إن الله لا يستحيي من الحق، فقال
علي: أردت الماء للطهارة وأصبحت وخفت أن تفوتني الصلاة، فوجهت الحسن
في طريق والحسين في طلب الماء، فأبطيا فأحزنني ذلك، فرأيت السقف قد
اشتق، ونزل علي منه سطل مغطى بمنديل، فلما صار في الأرض نحيت المنديل
عنه فإذا فيه ماء فتطهرت للصلاة واغتسلت وصليت، ثم ارتفع السطل والمنديل
والتأم السقف، فقال النبي ﷺ لعلي: أمّا السطل فمن الجنة، وأما الماء فمن
نهر الكوثر، وأما المنديل فمن استبرق الجنة، من مثلك يا علي في ليلته وجبريل
يخدمه^(١). هذا معنى قوله: كان جبريلُ خادماً لأبيه؛ فانتهى الحال كما قلناه إلى

(١) ابن المغازلي ٧٩ رقم ١٣٩، ابن البطريق ص ٤٣٦، والمناقب للكوفي ٥٥١/١ رقم ٤٩٠،
وكفاية الطالب ٢٨٩ الباب ٧٢.

قتل المأمون لعلي بن موسى الرضى على اختلاف الروايات في كيفية قتله ولكنه ورث الغدر عن أبيه المسمى بالرشيد في يحيى بن عبدالله عليه السلام، وقتله له بعد الأيمان المؤكدة وقد تقدمت حكايته . وهو الذي عناه أبو فراس بقوله :

يا جاهداً في مساويهم يكتّمها غدرُ الرشيدِ يحيى كيف ينكتم
ذاق الزيري غبّ الحنث وانكشفت عن ابن فاطمة الأقوال والتهم
كم غدره لكم في الدين واضحة وكم دم لرسول الله عندكم
ثم كان الرشيد له في الإقبال على الأغاني ما لم يكن لأحد من سبقه، فإن المروي أنه اختار منها مائة صوت، وكان له في صلة المغنين والمغنيات ما لم يكن لأحد من قبله، فإن في الطبري [٢٣٧]: أن محمد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس لما توفي اصطفى الرشيد جميع ما خلفه مما يصلح للخلافة وما بذل إلا الحرثي^(١)، وأصابوا من العين ستين ألف ألف، ثم أدخل جميع الذخائر إلا العين فإنه أمر بصكاك كتب للندماء ما وكتبت للمغنيين ولم يترك في الديوان منها درهم، فأرسلوا وكلاهم فقبضوا ذلك المال أجمع .

فأين هذا مما نقل عن السيد المؤيد بالله - قدس الله روحه - مع ولده الحسين أبي القاسم عليه السلام، فإنه كان يعطيه مثل ما يعطي غيره من سائر الأجناد وكان في الشجاعة بحيث يضرب به المثل، يهزم الصفوف، ويرد الألوف، فلما طلب له بعضهم الزيادة على عطيته امتنع السيد المؤيد بالله - قدس الله روحه - وقال : إن الله أمر بالتسوية بين الأقارب والأجانب .

ثم كان من الرشيد ما هو ظاهر مشهور في أمر جعفر بن يحيى البرمكي، كان يلبس هو وإياه قميصاً واحداً بجيبين يفضي جسدهما إلى الآخر، وكان لا يصبر عن جعفر ولا عن أخته عباسة وابنه المسمى بالمهدي، وكان يحضرها إذا جلس للشراب، وزوجه إياها قال : ليحل له النظر إليها وعهد إليه ألا يمسه،

(١) وهو أردا المتاع .

فكانوا يحضرون للشراب ثم يقوم عن مجلسه ويتركهما، وهما شابان قد غلب عليهما السكر فيواقعها، فحملت منه وولدت، وخافت على نفسها من الرشيد، فأمرت بالولد إلى مكة، وأقام مدة حتى وشى بها بعض جواربها إلى الرشيد، فكان ذلك أحد أسباب نكبة البرامكة. رواء الطبري في تأريخه، ثم كان منه في البرامكة ما هو ظاهر عند الناس من سفك دمائهم بعد المحبة الأكيدة والتمالي على العصيان وهي طريقتهم عموماً .

والمأمون عمل شمعة في عرسه ببوران بنت الحسن قيمتها مائة ألف درهم، وسادات المسلمين من عترة النبي ﷺ وآله يتضورون جوعاً منهم خير أهل الأض في وقته القاسم بن إبراهيم عليه السلام يطبخ الميتة ويأكلها في جبل الرس وهو أولى بمقام المأمون، وجعل النثار رقاعاً فيها أسماء كور وضياع من أموال المسلمين الخراجية من وقعت في يده رقعة بضیعة صار له خراجها . وفيه يقول الباهلي :

بارك الله للحسن وللبوران في الختن

يابن هارون قد ظفرت ولكن ببنت من؟

ثم كان المعتصم أمياً مغموراً بالجهل ولكن فقد ذكر بعض المتفكحة من لا يعقل حرمة الدين على الحقيقة أنها تجوز إمامة الإمام وإن كان جاهلاً فاسقاً، وكان المعتصم جباراً عنيداً، فإن المروي أنه كان قد جعل لكل واحد من ممالিকে شغلاً لا يتعداه، فنظر يوماً إلى واحد ينظر في ثيابه فلم يفهم، فقام إليه فوجاه فقتله قرماً منه لسفك الدم الحرام .

ثم كان الواثق اختار من الأغاني المائة التي اختارها الرشيد عشرة ألحان فهي منسوبة إليه معروفة بالواثقية، فأين هذا من الغرائب المستحدثات، والأفكار المستنبطات في الفقه المنسوبة إلى العيون من أئمتنا عليهم السلام، وكان هذا المسمى بالواثق يضرب الضرب المبرح لاستخراج المال إلى الألف سوط ونحوها،

ويقتل في العذاب ، فأين هذا من فعل الإمام الزاكي إبراهيم بن عبد الله بن الحسن عليهم السلام ؟ وقد طلب بعض أصحابه أن يستخرج له مالا من بعض عمال أبي جعفر بالعذاب ، فقال عليه السلام : لا حاجة لي في مال لا يخرج إلا بالعذاب .

ثم انظر في المتوكل وكرمه لقبر الشهيد سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام بسبب المغنية التي قدمت لزيارته ، وتوكيله اليهود على منع الزوار من الزيارة . فأين هذا مما رويناه بالإسناد الموثوق به عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : « من زار قبرنا من قبورنا أهل البيت ثم مات من عامه الذي زاره فيه وكل الله بقبره سبعين ألف ملكا يسبحون له إلى يوم القيامة »^(١) وروينا بالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : (زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله فعملنا له جريرة وأهدت لنا أم أيمن قعبا من لبن وزيدا وصحفة من تمر ، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وأكلنا معه ، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وآله فمسح رأسه ووجهه ولحيته بيده ، ثم استقبل القبلة فدعا الله جل ذكره ما شاء ، ثم أكب إلى الأرض بدموع غزيرة مثل المطر ، ثم أكب إلى الأرض ففعل ذلك ثلاث مرات ، فهبنا أن نسأله صلى الله عليه وآله فوثب الحسين عليه السلام فأكب على رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى فضمه إليه ، وقال له : بأبي أنت وأمي وما يبكيك ؟ قال : يا أبة إنني رأيتك تصنع ما لم تصنع مثله ، فقال : يا بني إنني سررت بكم اليوم سرورا لم أسر بكم قبله ، وإن حبيبي جبريل أتاني فأخبرني بأنكم قتلى وأن مصارعكم شتى ، فحزنتني ذلك فدعوت الله لكم ، فقال له الحسين عليه السلام : يا رسول الله من يزورنا على تشئتنا وتباعدا قبورنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « طائفة من أمتي يريدون بذلك برِّي وصلتي ، إذا كان يوم القيامة زرتهم بالموقف فأخذت بأعضادهم فأنجيتهم من أهوالها وشدائدها »^(٢) .

(١) رواه أبو طالب في أماليه ١١١ .

(٢) رواه أبو طالب في أماليه ١١٢ .

فانظر كم بين وعد رسول الله ﷺ لزائر قبر الحسين بالشفاعة والكرامة وبين تسليط المتوكل - على الشيطان لا على الرحمن - للكفرة اليهود على كرب قبره ومنع الزوار من زيارته ؟ وكان المتوكل معروفا بالجبرته والعتو، فقد روي أنه كان يقتل بالحديد يدعه في عنق من يريد قتله حتي يموت إلى غير ذلك من مساوئهم . وكان المعتضد أصدق (قطر الندى) ألف ألف درهم من مال الله تعالى ، والمعتمد وصل شارية المغنية بمائة ألف دينار وألف ثوب من شرائف الثياب ؛ حباً للغناء وميلاً إلى الهوى ، وإدناء لأهل الفسوق والعصيان والجرائم والمروق .

فأين هذا مما نقل عن الهادي إلى الحق ﷺ حيث يقول : لكل شيء ضد وضد حياتي المعاصي ، وروى أن رجلاً أتى يبايعه في جملة قوم ، وكان طويل الشعر فامتنع من بيعته أولاً ، وأمره بأن يحلق رأسه ، وقال : إنا لا نبايع أهل هذا الزي . وروي في أخبار الواثق أيضاً : أن إسحاق الموصلي أنشده قول يزيد بن معاوية :

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم وداعي صبابات الهوى يترنم
فخرق ثلاث ذرايع كانت عليه من الثياب ، وبلغ الغاية في الإعجاب ، فأنى يساوي من هذه حاله ممن يسمع الشيء من ذكر الله تعالى فيختر مغشياً عليه .

كما روي عن زيد بن علي عليه السلام وعن غيره من العترة الكرام : يهيم خائفهم من غير شراب ، ويتململ تملل السليم من ذكر العذاب ، يدعوره خوفاً وطمعا ، يقطع الليل تسبيحاً وقرآناً ، والنهار تدريساً وبياناً ، وإذا سطع القتام ، رأته يقتطف الهام ، ويثب وثب الأسد الضرغام ، غضباً لدين الله أن يضام ، وطلباً بثأر الإسلام من ذوي الفسق والإجرام ، يهتز للمصاغ ويرتاح للقراع ، حتى يرد سيف الضلال كليله ، ويصير جنوده بعد الكثرة قليلة .

وروي أن الواثق كانت له جارية يصدر عن أمرها ويورد ، وقال فيها :

أنا مملوكٌ لمم لنوكِ عليه الرقباءُ
كنت حراً هاشمياً يا فاسترقتني الإمام

فأين هذه النفوس الخسيصة من نفوس أئمة العترة الشريفة الأبية؟ وهمهم السامية العلية، وابن المعتز وكان ممن قد عقدت له الخلافة صنّف في تحليل الخمر إذا مزجت بالماء، وهذا كفرٌ ظاهر عند جميع المسلمين، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولم يترك شرب الخمر من جميع خلفائهم إلى وقت أبي العباس الملقب بالناصر إلا الثلاثة الأوّلون من خلفائهم والملقب بالراضي، والباقيون يحتسونها ليلاً ونهاراً، سرّاً وجهاراً، وكان الناصر أبو العباس مشهوراً بإتيان الشراب وغير ذلك من القبائح التي حرّمها السنة والكتاب، ولم تتصل بنا أخبار من بعده إلى الآن.

فأين هذا من قول الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام يخاطب بعض العجم. ولا وروحي مُحَمَّدٌ وعلي صلي الله عليهما وعلى الطيبين من آلهمآ يمينا كنت غنيا عنها لو خفت حنثا فيها، لو أعطيت ملء بيت ذهباً على أني أقرُّ شراب خمر، أو راكب فاحشة، على منكره - لما فعلت ذلك ولا خطر لي ببال.

وقال عليه السلام: واللّه ما رأيت خمرأ بعيني في يقظة ولا في منام، ولا الملاهي من الطنابير وما يشاكلها حتى ظهرت على الجبارين من الغز فأمرت بكسرها وإراقة الخمر، ولا فعلت قبيحاً أعلمه قبيحاً معتمداً من الصغر إلى هذه الغاية من الكبر، ولا أكلت حبة حراماً أعلمها، ولا قبضت درهماً حراماً، ولا تركت واجبا عامداً، وإني لمعروفُ النشأة بالطهارة، ما كان لي شغلٌ إلا العلم والدراسة والعبادة، ثمّ انقلبت بعد ذلك إلى الجهاد في سبيل الله، فحاربت الظالمين قبل أن أقصّ شاربي بعلم الخاص والعام، ومعلوم عند جميع المنصفين من العارفين بالسير أجمعين أنه لا يوجد في جميع خلفاء بني العباس الماضين والغابرين أحد قط يُشار إليه بالعدالة فضلاً عن الفوز بمثل هذه المناقب الشريفة والمراتب العالية المنيفة، فكيف يكون لهم الخلافة على المسلمين:

وهل يستحق الأمر من جُلُّهمه لجمع حُطامٍ أو لشرب مدامٍ
 تمسكُ بأبناء النبي فسأنتهم زمامٌ لدين الله أي زمامٍ
 ومن نظر في القصص المنقولة في كتب التاريخ عن أئمة بني العباس عرف
 بعدهم عن هذا الشأن وشيوعهم عن أفعال الإيمان، فإن المأمون قتل الأمين،
 والمنتصر قتل أباه المتوكل، والمعز قتل المستعين، وكان المهدي قتل المعتز، وكان
 الموفق حبس المعتمد وتولى الأمر دونه وعقد الخلافة له، وكان المعتمد رد ولاية
 العهد إلى ابن الموفق أحمد الملقب بالمعتضد وخلع ابنه بعد العهد له، وولي ابن
 المعتز يوماً واحداً، وخلع المعتز، وولي القاهر وعقدت له البيعة يومين،
 والمستكفي سمل عين المتقي، والمطيع سمل المستكفي، وخلع المطيع نفسه وسلم
 الخلافة لولده الطائع، وقطعت إحدى أذنيه ذكره القضاعي صاحب الشهاب في
 تاريخه وغيره، وهذه نكتة تدل على ما وراها.

قال الإمام المنصور بالله عليه السلام بعد هذه النكتة التي رويناها عنه: فيا من يقول
 بإمامتهم من الإمام عندك؟ القاتل أم المقتول؟ السامل أم المسمول؟ الخالع أم
 المخلوع؟ الحابس أم المحبوس؟ فكّر إن كنت من المتفكرين (وما يعقلها إلا
 العالمون).

قال الأمير أبو فراس الحرث بن سعيد بن حمدان قصيدته الميمية وهي
 مشهورة أودع فيها كثيراً من مناقب العترة عليهم السلام، وطرفاً مما ينافيها من
 أحوال بني العباس أحببنا ذكرها في هذا الموضع بكمالها؛ لأنها تليق بما نحن فيه
 وهي هذه:

الدينُ محترمٌ والحقُ مهتضمٌ	وفيء آل رسول الله مقتسم
والناس عندك لا ناسٌ فيحفظهم	سوى الرعا ولا شاء ولا نعم
إني أبيتُ قليلَ النوم أرقني	صدر تخالج فيه الهمُّ والهممُ

وعزيمة لا ينام الليل صاحبها
يصان مهري لأمر لا أبوح به
وكل مائة الضبعين مسرحها
وفتية قلبهم قلب إذا ركبوا
يا للرجال أما للحق منتصر
بنو علي رعيايا في ديارهم
مخلاؤن فأصفي وردهم كدر
فالأرض إلا على ملاكها سعة
وما السعيد بها إلا الذي ظلموا
للمتقين من الدنيا عواقبها
لا يطفين بني العباس ملكهم
أتفخرون عليهم لا أبا لكم
فما توازن يوما بينكم شرف
ولا لوالدكم مسعاة والدهم
قام النبي بها يوم الغدير لهم
حتى إذا أصبحت في غير صاحبها
وصيرت بعدهم شوري كأنهم
تالله ما جهل الأقوام موضعها
ثم ادعاه بنو العباس إرثهم
لا يذكرون إذا ما عصبية ذكرت
ولا رأهم أبو بكر وصاحبه

إلا على طفر في طيه كرم
والدرع والرمح والصمصامة الخدم
رمث الجزيرة والخذراف والعنم
يوما ورأيهم رأي إذا اعتزموا
من الطفاعة ولا للدين منتقم
والأمر يملكه النسوان والخدم
عند الورود وأروى وردهم لم
والمال إلا على أربابه ديم
وما الغني بها إلا الذي حرموا
وإن تعجل منها الظالم الأثم
بنو علي مواليتهم وإن رغبوا
حتى كأن رسول الله جدكم
ولا تساوت بكم في موطن قدم
ولا نتيلتكم^(١) من أمهم أم
والله يشهد والأملك والأثم
باتت تنازعها الذؤبان والرخم
لا يعرفون ولالة الأمر أين هم؟
لكنهم كتموا وجه الذي علموا
وما لهم قدم فيها ولا قدم
ولا تحكّم في مال لهم حكم
أهلاً لما طلبوا منها وما زعموا

(١) في الديوان: نفيلتكم.

فهل هم مدعوها غير واجبة
 أما عليٌّ فقد أدنى قرابتكم
 أينكر الخبر عبد الله نعمته
 بش الجزاء جزيتم في بني حسن
 لا بيعة ردعتكم عن دمائهم
 هلا صفحتم عن الأسرى بلا سب
 هلا كففتم عن الديباج السنكم
 ما نزهت لرسول الله مهجته
 كم غدره لكم في الدين واضحة
 أنتم آله فيما ترون وفي
 هيات لا قرئت قربي ولا رحم
 كانت مودة سلمان له رحماً
 ما نال منهم بنو حرب وإن عظمت
 يا جاهداً في مساويهم يكتمها
 ذاق الزبيري غب الحنث وانكشفت
 يا بش ما لقيت منهم وإن بليت
 باؤا بقتل الرضى من بعد بيعته
 يا عصابة شقيت من بعد ما سعدت
 لا عن أبي مسلم في نصحه صفحوا
 ولا الأمان لأزد الموصل اعتمدوا
 أبلغ لديك بني العباس مألكة

أم هل أئمتهم في أخذها ظلموا
 عند الولاية لو لم تكفر النعم
 أبوكم أم عبيد الله أم قثم
 أبوهم العلم الهادي وأمهم
 ولا يمين ولا قرى ولا ذم
 للصافحين بيد عن أسيركم
 وعن بنات رسول الله شتمكم
 عن السياط فهلا نزه الحرم
 وكم دم لرسول الله عندكم
 أيديكم من بنيه الطاهرين دم
 يوماً إذا أفضت الأخلاق والشيم
 ولم يكن بين نوح وابنه رحم
 تلك الجرائر إلا دون نيلكم
 غدر الرشيد يحيى كيف ينكتم؟
 عن ابن فاطمة الأقوال والتهم
 بجانب الطف تلك الأعظم الرمم
 وأبصروا بعد يوم رشدهم وعموا^(١)
 ومعشراً هلكوا من بعد ما سلموا
 ولا الهبيري نجي الحلف والقسم
 فيه الوفاء ولا عن عمهم حلموا
 لا تدعوا ملكها ملاكها العجم

(١) في الديوان : أمرهم غم .

أيُّ المفاخر أضحت في متابركم
وهل يزيدكم في مفخر علم
خلُّوا الفخار لعَلَّامين إن سئلوا
لا يغضبون لغير الله إن غضبوا
ولا يبيت لهم خبيثاً ينادهمهم
ما في بيوتهم للخمر معتصراً
البيت والركن والأستار منزلهم
تنشوا التلاوة من أبياتهم أبداً
منكم عليّة أم منهم وهل لهم
إذا تلوا آية غنى إمامكم

وغيركم أمرٌ فيهن مُحْتَكِمٌ
وفي الخلاف عليكم يخفق العلم
يوم السؤال وعمّالين إن علموا
ولا يضيعون حقَّ الله إن حكموا
ولا يُرى لهم قردٌ لهم حَشَمٌ
ولا ديارهم للسوء معتصم
وزمزمٌ والصفاء والحجر والحرم
ومن بيوتكم الأتار والنغم
شيخ المغنين إبراهيم أم لكم؟
قف بالظلال التي لم يعفها الهدم^(١)

وقد تقدم تفصيل طرف مما تضمنته هذه القصيدة، وعنى بقوله شيخ المغنين إبراهيم ابن المسمى المهدي وهو عم المأمون، وقد كان دعى إلى نفسه بالخلافة وبويع له حتى خلعه المأمون لما دخل بغداد، واستتر إبراهيم بن المهدي حتى لزمه بعض الحرس ثالث امرأتين وقد تزياً بزبي النساء، فأمر المأمون بإحضاره على هيئته وعفا عنه، وقال: اخلع نفسك. قال: يكون يوم الجمعة فارتقى المنبر والعود في يده والناس ينتظرون الخطبة فأخرج العود وضرب. وما الخالع في هذا الباب بأثر من المخلوع بل هما سيان في البعد عن الإيمان، والشغف بالطنابير والعيّسان. هذا وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٦]. وقد روي أنها نزلت في شراء الجوّاري المغنيات، وقيل: في النضر بن الحارث لما اشترى كتاب رستم واتخذ مجلساً ليشغل الناس عن مجلس رسول الله ﷺ وسماع القرآن، وقيل: هو اتخاذ

(١) الديوان: ١٣٥-١٣٨، وفيها اختلافات كثيرة في الالفاظ وبيزادة ونقص بعض الأبيات.

المعازف، ولا مانع من حمله على الجميع لأنه لا تنافي^(١).
وقد روينا بالإسناد الموثوق به إلى النبي ﷺ أنه قال: «إن الله بعثني
رحمةً وهدى للعالمين لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية والأوثان»^(٢).
وروينا عن النبي ﷺ أنه قال: «يُمسَخ قومٌ من هذه الأمة في آخر
الزمان قردةً وخنازير، قيل: يا رسول الله أليس يشهدون أن لا إله إلا الله وأن
مُحمداً رسولٌ لله؟ قال: «بلى، ويصلون ويصومون ويحجُّون»، قال: فما
بالهم؟ قال: «اتخذوا المعازف والدفوف والقينات، وباتوا على شراهم ولهوهم
فأصبحوا قردةً وخنازير»^(٣).

وعنه ﷺ أنه قال: «من أدخل بيته مزمراً أو لهواً فقد شمت بأبيه آدم؛
لأن إبليس اتخذ المزامير والسرور والطرب حين وقع آدم في الخطيئة»^(٤).
وروينا عنه ﷺ أنه قال: «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله»^(٥)،
وعنه ﷺ: «من لعب بالنرد شبراً فكأنما وضع يده في لحم خنزير». وعنه ﷺ
أنه قال: «إن لله في كل يوم ثلاث مائة وستين نظرة لا ينظر منها إلى صاحب
البشاة»^(٦)، يعني الشطرنج. ومَرَّ ﷺ يقوم يلعبون الشطرنج، فقال: «ما هذه
الصور؟ ألم أنه عن هذه، ألا لعنة الله على من لعب بها»^(٧). وعنه ﷺ أنه
قال: «كسب المغنيه سحتٌ، كسب الزانية سحتٌ، وكسب الزاني سحتٌ، وحق

(١) أنظر غريب القرآن ٢٥٠، ورأب الصدع ٣/١٥٨١، وأسباب النزول للواحدي ٢٨٨، والدر

المنثور ٥/٣٠٧، والطبري مج ١١ ج ٢١/٧٤، والقرطبي ١٤/٣٧.

(٢) رواه أبو طالب في أماليه ٤٠١.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/١٤١.

(٤) المحاكم في السفينة ٣/١١٩.

(٥) أحمد بن حنبل في مسنده.

(٦) كنز العمال ١٤/٢١٨ رقم ٤٠٦١٤ والعلل المتناهية ٢/٧٨٣.

(٧) المحاكم في السفينة ٣/١٢٠، والعلل المتناهية ٢/٧٧٣، بلفظ «ما هذي الكوبه ألم أنه».

على الله أن لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت»^(١) . وقال عليه السلام : « لا تدخل
الملائكة بيتاً فيه خمرٌ أو دف أو طنبور أو نرد، ولا يستجاب دعاؤهم، ورفع الله
عَنهُم البركة»^(٢) . وقال عليه السلام : «من أستمع إلى لهو وغناء حرمَّ الله عليه مرافقة
الصدّيقين والشهداء والصالحين»^(٣) .

وروينا عن علي عليه السلام قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : « عشرة من فعل
قوم لوطٍ فاحذروهن : إسهال الشارب، وتصفيف الشعر، ومضغ العلك، وتحليل
الأزرار، وإطارة الحمام، والرمي بالجلاهق^(٤)، والصفير، واجتماعهم على
الشراب، ولعب بعضهم ببعض»^(٥)، وكل هذه الأفعال القبيحة التي حضرها
الشرع الشريف هي التي تغلب على خلفاء بني العباس، وتتفاضل فيه أنظارهم
وتغوص على لطائفه أفكارهم.

فأما أئمة الزيدية السادة وخلفاؤهم القادة فإن اهتمامهم باستخراج
المعاني الغريبة، وخواطرهم تنوق إلى العلوم العجيبة، فترى أفكارهم بالأبكار
قاذفة، وأنوار علمهم لشبهات المبطلين خاطفة، فبخ بخ لقوم نزل أئمتهم في غرف
الشرف، وأضحوا الصفوة الصافية من غير وسلف، فسعدوا باتباعهم، وفازوا
بالانخراط في سلك أشياعهم، فنطقت بمدحهم الآثار، وشهدت بشرفهم
الأخبار.

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، عن رسول الله
صلى الله عليه وآله أنه قال : « يا علي إن شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم

(١) رواه أبو طالب في أماليه ٤٠٠، والمتقي في الكنز ٢٢٦/١٥ رقم ٤٠٦٨٩.

(٢) الحاكم في السفينة ١١٨/٣.

(٣) أخرجه الحاكم في السفينة ١١٨/٣.

(٤) في نسخة : ومنها إسهال الإزار.

(٥) رواه الهادي، درر الأحاديث ص ٢٣، ومجموع الإمام زيد بن علي ٤٢٤.

من العيوب والذنوب وجوههم كالقمر في ليلة البدر، وقد فرجت عنهم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، وأعطوا الأمن والأمان، وارتفعت عنهم الأحزان، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون، شرك نعالهم تتلأأ نوراً، على نوق بيض لها أجنحة قد ذلت من غير مهادة، ونجبت من غير رياضة، أعناقها من ذهب أحمر ألين من الحرير؛ لكرامتهم على الله عز وجل»^(١).

وروينا عنه عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أتاني جبريل أنفاً، فقال: تختّموا بالعقيق؛ فإنه أول حجر شهد لله بالوحدانية، ولي بالنبوة، ولعلي بالوصية، ولولده بالإمامة، ولشيعة بالجنة»^(٢).

ومعلوم أنه لم يرد مثل هذا في طائفة من طوائف الأمة، وإنما ذكرنا هذه النكته من أحوال بني العباس وإن كانت لا تليق بنفس الكتاب؛ لأن مبناه على ذكر الأئمة السابقين من عترة الرسول الأمين صلى الله عليه وآله واليه الأكرمين، غير أننا رجونا أن يطل على الكتاب من ليس من الزيدية ممن له مقصودٌ صحيح، ومحبة للدين، وربما ينخدع بالميل إلى جنبه بني العباس، ويراهم أهلاً للخلافة والإمامة، ومحلاً للرئاسة والزعامة، ولا يظن أن طريقتهم على الصورة التي حكيناها^(٣) من الأحوال التي هي مباينة للدين، نازحة عن شرع الرسول الأمين، مخالفة لكتاب رب العالمين، وما انعقد عليه إجماع المسلمين؛ فإذا وقف على ما رويناه أعمل الفكر والنظر، وفزع إلى التمييز بين الأئمة السابقين إن طلب السلامة وأحب الفوز بالكرامة، وقد قال تعالى حاكياً عن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وآله: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤]، وأراد بالعهد الإمامة، فكيف يستحقها من عكف

(١) شمس الأخبار ١/١٤٤.

(٢) المناقب للكوفي ١/٥٥ وابن المغازلي ١٧٩ رقم ٣٢٦، والعمدة لابن البطريق ٤٣٨.

(٣) في (ب): حكينا.

على المحرّمات ، وأخذ إلى المحظورات ، وجعلها ذخره ليوم المعاد ، ولم يراقب خوف يوم التناد .

وانظر في أمر معلوم عند جميع الأمة قاطبة وهو أن القاضي يجب أن يكون عدلاً مرضياً ، ومتى كان مارقاً عن الدين لم تُنفذ أحكامه بين المسلمين ، فكيف يعتبر فيه من العدالة ما لا يعتبر في الذي ينصبه وهو الإمام ، وكذلك الشاهد لا تُقبل شهادته مع سلامة الأحوال إلا بأن يكون عدلاً رضى ، فكيف بإمام الأمة ! وكيف يصح أن يلي على جميع المسلمين من يعد من الفجرة الأثمين ! أم كيف يعقل أن يقيم الحدود التي انتصب لإقامتها وهو يستحق أن يقام عليه ! أفليس الصحابة فزعت إلى الأفضل في الإمامة ، ولهذا ذكروا المناقب التي خصّ بها من نصبوه إماماً ، وإن كان قد وقع الاختلاف بينهم في تعيينه ، فلولا أن الفضل مراعى في الإمامة وإلا لما صحّ ذلك ، وأي فضل يثبت لمن شرب الخمر ، وارتكب الفجور ، وقارف الشرور ، وجعل بطانته المراق ، وأوداه الفساق ، وصير الغنا رأس ماله ، وسمع اللهو جلّ أعماله ، إن كان من شرائط الإمام ارتكاب الإجرام ، ومقارفة الآثام ، ثبت إمامة بني العباس ، وإن كان من شرائط الكف عن العصيان ، والمسارة إلى أعمال البرّ والإحسان ، فهذا مفقود في جميع أئمة بني العباس ، عند جميع من تحقق أحوالهم من الناس . فلا تخدع نفسك يا طالب الهدى ، ولا تختار الضلال والعمى ، وارجع إلى الفئة الزاكية والعترة الهادية ، الذين أعلنوا الدين ، وجاهدوا على العداون المعتدين ، واشتغلوا بنشر العلم على كثرة شغلهم بعبادة الأمة ، حتى انتشرت علومهم في الآفاق والأقطار ، وشهد لها بالحسن من أنصف من النظر .

وهذا آخر ما رمناه في هذا الكتاب الموسوم بـ: «الحدايق الوردية في مناقب أئمة الزيدية» .

وفيه كفاية كافية لمن طلب الهدى بجهد، وانحرف إلى العترة عليهم السلام
 بوذه، فورد القيامة مسرورا، جدلاً محبورا، مؤيداً منصورا، قطن في دار
 السعداء، ومنزل الأتقياء، حيث لا تنوب الفجائع، ولا تحل القوارع، ولا تموت
 النفوس، ولا يلحق أهلها البؤس، ولا تلحقهم الآفات، ولا تصيبهم العاهات،
 أمنوا من الفناء، وأيقنوا بتوالي النعماء، فنضارتهم تتجدد على مر الأوقات،
 وخيراتهم تترى بتوالي الساعات، وما ظنك بدار صفأها من المنغصات والأكدار
 الملك العزيز الجبار، لا يسهم فيها نصب ولا هم يحزنون، ولا ينالهم تعب ولا
 يتألمون، في نعم عظام، ومنح جسام، وما عسى أن يقول فيها الواصف وإن
 أكثر وهي التي أثنى عليها الملك الأكبر حيث يقول: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ
 نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] ، وقال تعالى فيما رواه عنه نبيه
 المصطفى ﷺ: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت،
 لا خطر على قلب بشر»^(١) . أفيرغب عن اكتساب الخيرات لبيب، أو يغفل عن
 إدراكها أريب^(٢)، وهي دائمة مؤبدة خالدة مخلدة، ويُقبل على أعمال النار،
 وعصيان الجواد الغفار، وهو تعالى المسدي لفوائد الإنعام، والموالي لنوافل البر
 والإكرام، فكيف يجعل شريف نعمته ذريعة إلى معصيته، ونحن نشاهد أن الوالد
 إذا وافر على ولده الإحسان قبح منه له العصيان، وإحسان الله تعالى يزيد على
 كل إحسان، وامتتانه يربى على كل امتنان، وهو عز وعلا عالي الشأن، ظاهر
 العظمة والسلطان، فكيف يعصى بطاعة الشيطان، فالله المستعان، ولولم يعد
 عقابا لكان ينبغي أن لا يعصى رعا لجلالته ووحدانيته، وإذاعانا لإلهيته وربوبيته
 ودخولا في رق عبوديته، واعترافا بنعمته ومنته، فكيف وقد توعد بالعقاب
 الدائم، والعذاب اللازم، الذي لا تقوم له الجبال على صلابتها، والأرض على

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢/٤٣٨، الترغيب والترهيب للمنذري ٤/٥٢١ رقم ٥٥.

(٢) في (ب) لبيب.

عظمتها وشدتها، فمهلا يا خاطئ كف نفسك عن أسباب الهلاك، ولا توجها في حبال الإشرار، فإن جسمك لا طاقة له على الحريق، ولا قوة به على التمزيق، فذد نفسك عن المعاصي، قبل الجمع بين الأقدام والنواصي، وراقب الله في خلواتك فإنه مطلع على سكناتك وحركاتك، أما رأيت حياك من مخلوق من جنسك من ارتكاب الخطايا بين يديه، فكيف لا تستحي من خالق الخلق أجمعين، وهو المطلع على بواطنك، وسرائرك وعلانيتك، وظواهرك لا تخفى عليه خافية، ولا تغيب عنه غائبة، قال تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾ [المجادلة: ٧] أراد تعالى أنه عالم بأحوالهم على التفصيل كجلس القوم في علمه بأحوالهم الظاهرة، وله تعالى المزية العظمى في العلم بأحوالهم الباطنة مع الظاهرة على التفصيل. فكيف لا تراقب أيها العبد مولاك، وهو الذي أعطاك، وخولك وأغناك، ومنحك وأقناك، أفتقبل على هواك، وتشتغل بدنياك، وتعرض عن أخراك، وإليها عودك ومنتهاك، جد بك السير فشمّر شمّر، ولا تكن لوارث ثمر، قبل الانتهاء إلى ما حكاه الحكيم الخلاق: ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنُّوا أَنَّهُ الضَّرَاقُ * وَالتَّفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾ [القيامة: ٢٦ - ٣٠].

فكم هناك من نادى لم يغن عنه ندمه، وهاو في النار زلت به قدمه، ومؤمن يمر إلى الجنة كالبرق الخاطف، قد آمن من المخاوف، وأيقن بالفوز من المتالف، نسأل الله سبحانه توفيقاً يصحبنا في كافة الأحوال، وتسديداً يحدونا على محاسن الخلال، وتأييداً يذودنا عن مراتع الضلال، وعلماً نستنير به إذا دجت دياجير ظلم الجهال، ونحمده تعالى على جزيل النوال، ونسأله الصلاة والسلام على مُحَمَّدٍ وآله خير آل . وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير .



المراجع

- الأحكام - الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين - مكتبة التراث - صعدة - ط ١ .
- أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان، تحقيق / فيلنر ماديلونغ .
- أسباب النزول - الواحدي - دار ابن كثير - دمشق - ط ١ .
- أسد الغابة - ابن الأثير - تحقيق علي محمد معوض وآخرون - دار الكتب العلمية .
- الإشارة إلى سيرة المصطفى - مغلطاي بن قليج - دار القلم دمشق دار الشامية بيروت - ط ١ .
- أعيان الشيعة - محسن الأميني - دار التعارف - بيروت - ١٤٠٦ هـ .
- الإستيعاب في معرفة الأصحاب : لأبي عمر يوسف القرطبي . ت : ٥٤٦٣ - دار الكتب العلمية - بيروت ط : ١٤١٥ - ١٩٩٥ م .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني - دار الكتاب العربي - بيروت .
- الاعتصام بحبل الله المتين - الإمام القاسم بن محمد - مطابع الجمعية الملكية .
- الأعلام - خير الدين الزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - ط ٦ .
- الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، للإمام الناطق بالحق يحيى بن الحسين الهاروني؛ تحقيق / إبراهيم مجد الدين المؤيدي، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية - صعدة، ط ١ - ٢٠٠١ م .
- اللالي المضئعة - الشرفي - مخطوط .
- الإمامة والسياسة - ابن قتيبة - دار الأضواء - ط ١ .
- الأنساب، للإمام أبي سعد عبد الكريم التميمي السمعاني، تقديم / عبد الله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط ١ - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- البداية والنهاية - ابن كثير - تحقيق علي شيري - دار إحياء التراث - ط ١ - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
- البيان والتبيين - الجاحظ - مكتبة الخانجي - القاهرة - ط ٥ .
- التاريخ الكبير - البخاري - دار الكتب العلمية - بيروت .

- التحف شرح الزلف - السيد مجد الدين المؤيدي - مكتبة مركز بدر العلمي .
- التنبيه والأشرف - المسعودي - دار ومكتبة الهلال .
- الجرح والتعديل - الحافظ الرازي - دار الفكر - بيروت - ط ١ .
- السيرة المنصورية - مجلدين - أبي فراس بن دعثم - تحقيق د. عبدالغني محمود عبدالعاطي - دار الفكر المعاصر - بيروت - ط ١ - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- السيرة النبوية - ابن كثير - دار إحياء التراث .
- الشافي - الإمام عبدالله بن حمزة - تحقيق لجنة علمية برئاسة المولى مجد الدين المؤيدي - مكتبة اليمن الكبرى - ط ١ .
- الشعر والشعراء - ابن قتيبة - دار الحديث - ط ٢ .
- الشفا - القاضي عياض - مؤسسة علوم القرآن - ط ٢ .
- الطبقات الكبرى - ابن سعد - دار الفكر - بيروت .
- الغدير - الأمين - دار الكتب الإسلامية - طهران .
- القاموس المحيط : العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة .
- الكامل في التاريخ - ابن الأثير - دار الكتاب العربي - ط ٤ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- الكامل في ضعفاء الرجال - ابن عدي الجرجاني - دار الفكر .
- الكشاف ، للإمام محمود بن عمر الزمخشري ، رتبه / مصطفى حسين أحمد ، دار الريان للتراث - القاهرة ط ٣ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- المجموع المنصوري ، للإمام عبدالله بن حمزة ، تحقيق / عبدالسلام عباس الوجيه ، مؤسسة الإمام زيد الثقافية ط ١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
- المستدرک : على الصحيحين في الحديث للحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري . ت : ٤٥٠ - دار الكتاب العربي .
- المصابيح - لأبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسني - تحقيق عبد الله الحوثي - مؤسسة الإمام زيد بن علي - ط ١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
- المصنف : لأبي بكر عبدالرزاق الصنعاني - المكتب الإسلامي .

- المعارف - ابن قتيبة - دار الشريف الرضي - ط ١ .
- المعجم الأوسط - الطبراني - دار الحرمين - القاهرة .
- المعجم الكبير - الطبراني - مكتبة العلوم والحكم .
- المغازي - الواقدي - مؤسسة الاعلمي .
- المنتظم - ابن الجوزي - دار الكتب العلمية - ط ١ .
- المواهب اللدنية - ابن حجر القسطلاني - دار الكتب العلمية - ط ١ .
- النهاية في غريب الحديث : للإمام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير ت : ٦٠٦ . دار إحياء التراث .
- أمالي المرشد بالله - عالم الكتب - بيروت - ط ٣ .
- بلوغ المرام شرح مسك الختام - القاضي حسين بن أحمد العرشي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- تاج العروس - محمد مرتضى الزبيدي - دار الفكر - ١٩٩٤م - ١٤١٤هـ .
- تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري بمطبعة بولاق .
- تاريخ الإسلام - الحافظ الذهبي، تحقيق / بشار عواد معروف وآخرون - مؤسسة الرسالة - ط ١ - ١٤٠٨هـ .
- تاريخ الخلفاء - الحافظ السيوطي - دار الفكر .
- تاريخ الطبري - دار التراث - تحقيق محمد أبو الفضل - دار سويدان - بيروت .
- تاريخ اليعقوبي؛ لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، تحقيق / عبدالأمير مهنا - مؤسسة الاعلمي - ط ١ - ١٤١٣هـ .
- تاريخ اليمن الفكري - أحمد بن محمد الشامي - دار النفائس - بيروت - ط ١ - ١٤٠٧م .
- تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، للعلامة عبدالواسع الواسعي، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء ط ٢ - ١٩٩٠م .
- تاريخ بغداد - الخطيب - دار الفكر - بيروت .

- تأريخ خليفة بن خياط - دار طيبة الرياض - ط ٢ .
- تاريخ مدينة دمشق، للحافظ أبي القاسم علي بن الحسين الشافعي، تحقيق / محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر - لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري - ت: ٣١٠ - دار الفكر - بيروت .
- تفسير أهل البيت عليهم السلام - عبدالله بن أحمد الشرفي - مكتبة التراث الإسلامي - صعدة - ط ١ .
- تهذيب التهذيب - الحافظ ابن حجر العسقلاني - تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
- تهذيب الكمال : للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزني، تحقيق الدكتور بشاد عواد معدوف ، مؤسسة الرسالة .
- تيسير المطالب في آمالي أبي طالب - الإمام أبي طالب - مؤسسة الأعلمي ، بيروت .
- حلية الأولياء - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ .
- خصائص أمير المؤمنين - النسائي - دار الكتاب العربي - ط ٢ .
- درر الأحاديث النبوية - الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين - تحقيق يحيى بن عبدالكريم الفضيل - مؤسسة الأعلمي - ط ٢ - ١٤٠٢ - ١٩٨٢م .
- دلائل النبوة - البيهقي - دار الريان ، الكتب العلمية - ط ١ .
- ديوان ابن الرومي - تحقيق وشرح عبد الأمير علي مهنا - منشورات دار مكتبة الهلال بيروت ط ١ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- ديوان الإمام عبدالله بن حمزة (خ) .
- ديوان الصاحب بن عباد، تحقيق / محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة - بيروت، ط ٢ - ١٩٧٤م .
- ديوان الفرزدق - تحقيق كرم البستاني - دار صادر بيروت .
- ديوان دعبل الخزاعي - جمع وتحقيق عبد الصاحب عمران الرجيلي - منشورات دار الشريف الرضي - ط ٢ - ١٩٧٢م .

- رأب الصدع تخريج آمالي أحمد بن عيسى - السيد العلامة علي بن إسماعيل المؤيد
- دار النفائس - بيروت ط ١ - ١٤١٠ هـ .
- سنن ابن ماجه - دار الكتب العلمية - تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
- سنن أبي داود - دار الكتب العلمية - ط ١ .
- سنن البيهقي - أبي بكر البيهقي - دار المعرفة - ط ١ .
- سنن الترمذي : لأبي عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة - دار الكتب العلمية -
بيروت .
- سنن الدارمي - دار الكتب العلمية - بيروت .
- سنن الكبرى للبيهقي : للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي -
دار المعرفة .
- سنن النسائي - أبي عبد الرحمن النسائي - مكتبة المطبوعات الإسلامية - ط ١ .
- سياسة المریدین؛ للمؤید بالله أحمد بن الحسين الهاروني ، تحقيق / عبدالله إسماعيل
الشریف، منشورات مركز بدر العلمي، ط ١ - ١٤٢٢ هـ .
- سير أعلام النبلاء - الذهبي - مؤسسة الرسالة - بيروت .
- سيرة المصطفى - هاشم معروف الحسني - دار الشريف الرضي - ط ٢ .
- سيرة ابن هشام : مطبعة مصطفى البابي الحلبي . ط ٢ : ١٣٧٥ - ١٩٥٥ م .
- سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني - الحسين بن أحمد يعقوب - تحقيق
عبدالله بن محمد الحبشي - دار الحكمة اليمانية - ط ١ - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م .
- سيرة الإمام الهادي - راويه علي بن محمد العباسي العلوي - تحقيق د. سهيل زكار -
دار الفكر - ط ١ - ١٣٩٢ - ١٩٧٢ م .
- شرح المواهب اللدنية - الزرقاني - المطبعة الأزهرية - القاهرة - ط ١ .
- شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٣ م .
- شواهد التنزيل : عبیدالله بن عبدالله الحاكم الحسكاني - مؤسسة الأعلمي ط
١٣٩٣ - ١٩٧٤ م .

- صحيح ابن حبان - ابن بلبان - دار الكتب العلمية - ط ١ .
- صحيح البخاري : للإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا .
- صحيح مسلم : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء التراث العربي .
- طبقات الزيدية الكبرى - إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله - تحقيق عبدالسلام الوجيه - مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - ط ١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
- غاية الأمان في أخبار القطر اليماني، ليحيى بن الحسين بن محمد، تحقيق د / سعيد عبدالفتاح عاشور - دار الكاتب العربي - القاهرة ط ١ - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م .
- فتح الباري : للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر - بيروت .
- فضائل الخمسة من الصحاح الستة - السيد مرتضى الحسيني الفيروز آبادي - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - ط ٣ - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م .
- فضائل الصحابة - الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق وصي الله بن محمد عباس - دار ابن حزم الجوزي - ط ٢ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- فقه السيرة - محمد الغزالي - دار الكتب الحديثه .
- كتاب الفتوح - أحمد بن أعثم الكوفي - تحقيق علي شيري - دار الأضواء - بيروت ط ١ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م .
- كتاب المراتب؛ للشيخ أبي القاسم إسماعيل البستي المعتزلي، تحقيق / محمد رضا الأنصاري القمي، ط ١ - ١٤٢١هـ .
- كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب - الحافظ أبي عبدالله محمد بن يوسف القرشي - تحقيق محمد هادي الأمين - منشورات المطبعة الحيدرية - النجف - ط ٢ - ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- كنز العمال : للعلامة علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة - بيروت .

- لسان العرب - ابن منظور - دار صادر - بيروت - ط ١ .
- نوامع الأنوار - السيد مجد الدين المؤيدي - مكتبة التراث الإسلامي - ط ١ .
- مجمع البيان - الطبرسي - مؤسسة الاعلمي - ط ١ .
- مجمع الزوائد - دار الكتاب العربي - الهيثمي - ط ٣ .
- مجموع الإمام زيد : للإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام - منشورات دار مكتبة الحياة .
- مجموع رسائل الإمام القاسم بن إبراهيم : تحقيق / عبدالكريم جذبان - دار الحكمة اليمنية - صنعاء، ط ١ - ١٤٢٢هـ .
- مجموع رسائل الإمام الهادي، تحقيق عبدالله محمد الشاذلي، مؤسسة الإمام زيد، ط ١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
- مختار الصحاح - أبو بكر الرازي - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤هـ .
- مختصر مدينة دمشق، للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، تحقيق / رياض عبدالحميد مراد وآخرون، دار الفكر ط ١ - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- مروج الذهب - المسعودي - دار الأندلس - ط ٥ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل - المكتبة التجارية - ط ٢ .
- مسند الإمام زيد بن علي - دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٦م .
- مصنف عبد الرزاق الصنعاني - المكتب الإسلامي - ط ٢ .
- مصنف ابن أبي شيبة - دار التاج .
- مطلع البدور ومجمع البحور : تأليف أحمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال . ت : ١٠٩٢هـ . (خ) .
- مطمح الآمال في إيقاظ جهلة العمال من سنة الضلال، للعلامة الحسين بن ناصر المشهور بالمهلا، تحقيق / عبدالله الحوثي، مؤسسة الإمام زيد ط ١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
- معجم أعلام المؤلفين الزيدية : تأليف عبدالسلام بن عباس الوجيه مؤسسة الإمام زيد ابن علي - ط ١ .

- معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - إخراج مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- معجم رجال الحديث - أبي القاسم الخوئي - ط ٥ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- معجم ما استعجم - عبدالله البكري - عالم الكتب - بيروت - ط ٣ .
- مقاتل الطالبين - أبي الفرج الأصفهاني - تحقيق السيد أحمد صقر - مطبعة دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .
- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - الحافظ محمد بن سليمان الكوفي - تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي - مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم - ط ١ - ١٤١٢هـ .
- نصب الرأية لتحقيق الهداية : عبدالله بن يوسف الحنفي الزيلعي . ت : ٥٧٦٣ - دار الحديث القاهرة .
- نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي من خطب وكتابات ورسائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) - مؤسسة المعارف - بيروت ط ١ - ١٩٩٠م .
- نيل الأوطار - الشوكاني - دار الكتب العلمية - ط ١ .
- هاشميات الكميت بن زيد الأسدي بشرح أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي تحقيق د. داود سلوم ، و د. نوري القيسي - عالم الكتب - ط ٢ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
- وفيات الأعيان لمحمد بن خلكان - مطبعة الميمنة بمصر ١٣٠٦هـ .
- وقعة صفين : لنصر بن مزاحم المنقري - عبدالسلام هارون - دار الجيل الجديد - بيروت .
- ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة - الأمير الحسين بن بدر الدين - مكتبة بدر - صنعاء - ط ١ .

فهرس الجزء الثاني

- الإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام ١
- ذكر طرف من مناقبه وأحواله ١
- تصانيفه ٤
- ذكر بيعته عليه السلام ونبذ من سيرته واستتاره ٧
- ذكر نكت من كلامه ١٠
- الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام ٢٥
- صفته ٢٥
- ذكر طرف من مناقبه وأحواله ٢٦
- بيعته عليه السلام ونبذ من سيرته في ولايته ومدة ظهوره ٣٧
- وفاته عليه السلام ٤٩
- أولاده عليه السلام ٤٩
- ذكر نكت من كلامه عليه السلام ٥٠
- الإمام الناصر للحق الحسن بن علي عليه السلام ٥٥
- صفته ٥٥
- ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام ٥٦
- أولاده ٦٧
- ذكر قيامه ونبذ من سيرته ومدة ولايته ٦٧
- الإمام المرتضى لدين الله محمد بن يحيى بن الحسين عليه السلام ٨٠
- أولاده ٨٢
- مدة قيامه بالأمر ومبلغ عمره وموضع قبره ٨٢
- الإمام الناصر لدين الله أحمد بن يحيى بن الحسين عليه السلام ٨٨
- ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام ٨٨

أولاده	٨٩
مدة ظهوره ونبذ من سيرته ووقت موته	٨٩
الإمام المهدي لدين الله محمد بن الداعي إلى الله الحسن بن القاسم	١٠١
صفته	١٠١
ذكر طرف من مناقبه	١٠١
أولاده	١٠٨
بيعته ونبذ من سيرته ومدة ظهوره وموضع قبره	١٠٨
الإمام المنصور بالله القاسم بن علي عليهما السلام	١١٤
وفاته	١١٩
أولاده	١٢٠
الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم عليه السلام	١٢٠
الإمام المؤيد بالله عليه السلام	١٢٢
ذكر طرف من مناقبه وأحواله	١٢٣
ذكر بيعته ونبذ من سيرته ومبلغ عمره وموضع قبره	١٣٦
ذكر نكت من كلامه عليه السلام	١٤٦
دعوته	١٥٥
الإمام السيد الناطق بالحق الظافر بتأييد الله أبو طالب عليه السلام	١٦٥
ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام	١٦٥
ذكر بيعته ومدة انتصابه للأمر ومبلغ عمره وموضع قبره	١٦٨
الإمام أبو هاشم النفس الزكية الحسن بن عبدالرحمن عليه السلام	١٧٠
دعوته	١٧١
الإمام الناصر أبو الفتح الديلمي عليه السلام	١٨٧
الإمام الناصر الحسين الهوسمي عليه السلام	١٩٥

١٩٧.....	الإمام الهادي الحقيني
٢٠١.....	الإمام أبو الرضى الكيسمي الحسيني
٢٠٣.....	السيد أبو طالب الأخير عليه السلام
٢١٩.....	الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام
٢٢١.....	ذكر طرف من مناقبه وأحواله
٢٢٥.....	ذكر مدته وانتصابه للأمر ونهاية عمره وموضع قبره
٢٤٦.....	أولاده
٢٤٧.....	الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام
٢٤٨.....	مولده
٢٥٤.....	صفته
٢٥٥.....	ذكر طرف من مناقبه وأحواله
٢٥٩.....	تصانيفه
٢٧٩.....	كراماته
٢٨٦.....	ذكر بيعته وانتصابه للأمر ومنتهى عمره
٣١٠.....	رسالة ابن النساخ
٣٢٥.....	تصانيفه
٣٤٢.....	فرائد ألفاظه في الحكم
٣٤٧.....	كتابه عليه السلام إلى ولده الأمير الناصر لدين الله
٣٤٩.....	أولاده
٣٥٠.....	عماله وقضاته
٣٢٥.....	مختار مما رثي به
٣٥٤.....	فصل في ختام الكتاب
٤٠٦.....	المراجع
٤١٤.....	القهارس